حاشية الصاوي

على تفسير الجلالين

مذيلاً

بلباب النقول في أسباب النزول للسيوطي

طبعة جديدة منقحة

الجزء الرابع

قدم له وأشرف على تصحيحه
صدقي محمد جميل

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤٠] - سورة غافر

[مكية إلاّ ﴿الَّذِينَ يُجادِلُونَ﴾ الآيتين
وهي خمس وثمانون آية]

﴿حم﴾ : الله أعلم بمراده به ﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ﴾ : القرآن مبتدأ ﴿مِنَ اللهِ﴾ : خبره ﴿العَزِيزِ﴾ : في ملكه

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة غافر مكية

الا ﴿الذين يجادلون﴾ الآيتين. وهي خمس وثمانون آية

وتسمى سورة المؤمن لقوله في أثنائها ﴿وقال رجل مؤمن﴾ وسورة الطول لافتتاحها به في أوصاف الباري تعالى، واعلم أنه ورد في فضل الحواميم أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ «الحواميم ديباج القرآن» ومنها «لكل شيء ثمرة، وإن ثمرة القرآن ذوات حم، هن روضات حسان مخصبات متجاورات، من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم». ومنها «مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب» ومنها «لكل شيء لباب، ولباب القرآن الحواميم». ومنها «الحواميم سبع، وأبواب النار سبع، جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم، فكل حم تقف يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول: لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرؤني». فتحصل أنه يقال: حواميم، وآل حم، وذوات حم، خلافاً لمن أنكر الأول. قوله: [مكية] أي وكذا بقية الحواميم. قوله: [إلا الذين يجادلون] الخ، الصواب أن يقول: إلا ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر﴾ الآيتين، وأول الآية الثانية ﴿لخلق السموات والأرض﴾ الآية، لأن هاتين الآيتين هما المدنيتان، خلافاً لما يوهمه المفسر. قوله: [خمس وثمانون] وقيل: اثنتان وثمانون.

قوله: ﴿حم﴾ بسكون الميم في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بضم الميم وفتحها وكسرها. فالأول على أنه خبر لمحذوف. والثاني على أنه مفعول محذوف، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، أو شبه العجمة. والثالث على أنه مبني على الكسر مبتدأ خبره محذوف، أي هذا محله مثلاً. قوله: [الله أعلم بمراده] تقدم أن هذا القول في مثل هذا الموضع أسلم، وقيل: اسم من اسماء الله تعالى، وقيل: مفاتيح خزائنه، وقيل: اسم الله الأعظم، وقيل: مفاتح السور، وقيل: كل حرف منه يشير إلى كل اسم من اسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف، فالحاء افتتاح اسمه: حميد وحليم وحكيم وهكذا، والميم افتتاح اسمه: مالك ومجيد ومنان وهكذا، لما روي: أن أعرابياً سأل النبي ﷺ ما

﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [٢]: بخلقه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾: للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾: لهم مصدر ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾: للكافرين أي مشدده ﴿ذِي ٱلطَّوْلِ﴾: أي الإنعام الواسع وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٣]: المرجع ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [٤]: للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾: كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِّنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: يقتلوه ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾: يزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾: بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [٥]: لهم؟ أي هو واقع موقعه ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: أي لأملأن جهنم الآية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [٦]: بدل من كلمة

حٰم، فإنا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبي ﷺ: «بدء أسماء وفواتح سور». قوله: ﴿العزيز﴾ [في خلقه] أشار إلى أنه من عزّ، بمعنى قهر وغلب.

قوله: ﴿غافر الذنب﴾ أي ماحيه من الصحف. واعلم أن غافر وغفار وغفور، صيغ نسب على الصحيح، لأن أوصافه تعالى لا تفاوت فيها، بخلاف أوصاف الحوادث. قوله: ﴿وقابل التوب﴾ أتى بالواو إشارة إلى أنه تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة، فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير إذ يمكن محو الذنوب من غير توبة، ويمكن قبول التوبة في بعض الذنوب دون بعض. قوله: [مصدر] وقيل جمع توبة كدوم ودومة. قوله: [للكافرين] أي وأما العصاة وإن عوقبوا، فلا يعاملهم الله بالشدة. قوله: [أي الإنعام الواسع] وقيل: ﴿الطول﴾ بالفتح المن، وقيل: هو الغنى والسعة، وكلها ترجع لما قال المفسر. قوله: [وهو موصوف على الدوام] الخ هذه العبارة جواب عما يقال: إن الصفات الثلاث التي هي غافر وقابل وشديد مشتقات، وإضافة المشتق لا تفيده تعريفاً، فكيف وقعت صفات للمعرفة التي هي لفظ الجلالة؟ فأجاب المفسر: بأن محل ذلك ما لم يقصد بالمشتق الدوام. وإلا تعرّف بالإضافة نظيره ما قيل في ﴿مالك يوم الدين﴾. وأجيب أيضاً بأن الكل إبدال وهو لا يشترط فيه التبعية في التعريف.

قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ يصح أن يكون حالاً لأن الجمل بعد المعارف أحوال، ويصح أن يكون مستأنفاً. قوله: ﴿إليه المصير﴾ أي فيجازي كل واحد بعمله. قوله: ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ أي في إبطالها والطعن فيها، وهذا هو الجدال المذموم، وأما الجدال في نصر آيات الله بالحجج القاطعة الذي هو وظيفة الأنبياء ومن على قدمهم فهو ممدوح، ومنه قوله تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. قوله: ﴿فلا يغررك تقلبهم﴾ الخ، الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إذا علمت أنهم كفار فلا تحزن، ولا يغررك إمهالهم، فإنهم مأخوذون عن قريب، وهذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿كذبت قبلهم﴾ أي قبل أهل مكة، وهو تسلية له ﷺ أيضاً. قوله: ﴿من بعدهم﴾ أي من بعد قوم نوح. قوله: ﴿ليأخذوه﴾ أي يتمكنوا من إصابته بما أرادوه به. قوله: [أي هو واقع موقعه] أي فهو عدل منه سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿وكذلك﴾ أي كما وقع للأمم السابقة. قوله: ﴿حقت كلمة ربك﴾ أي وجبت وثبتت. والمعنى: مثل ما وقع وحصل للمكذبين قبل هؤلاء، يحصل لهؤلاء في الآخرة، وإكرامهم في الدنيا بالنعم، إنما هو ببركتك

---

* اسباب نزول الآيه ٤: اخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك في قوله ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾ قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾: مبتدأ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عطف عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: خبره ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: ملابسين للحمد أي يقولون سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: تعالى ببصائرهم أي يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: يقولون ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً﴾: أي وسع رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء

يا محمد. قوله: [بدل من كلمة] أي بدل كل من كل، إن أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله: ﴿إنهم أصحاب النار﴾ أو بدل اشتمال إن فسرت الكلمة بقوله: [لأملأن جهنم] الخ، ولا شك أن الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله: ﴿أنهم أصحاب النار﴾.

قوله: ﴿الذين يحملون العرش﴾ مبتدأ، أي الاسم الموصول مبتدأ، و﴿يحملون﴾ صلته، وقوله: ﴿ومن حوله﴾ اسم الموصول معطوف على الموصول قبله، و﴿حوله﴾ صلته، والتقدير والذين حوله، وليس معطوفاً على الضمير في ﴿يحملون﴾ لإيهامه أن من حوله حامل أيضاً. واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة، وأولهم وجوداً، وهم في الدنيا أربعة، وفي يوم القيامة ثمانية، ورد: أن لكل ملك منهم وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، وكل وجه من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، جناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيتصدع، وجناحان يصفق بهما بالهواء، يروى أن أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرضون والسماوات إلى حجزهم، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون أطرافهم، وهم أشد خوفاً من أهل السابعة، وأهلها أشد خوفاً من أهل السادسة وهكذا، والعرش جوهرة خضراء، وهو أعظم من المخلوقات خلقاً، ويكسى كل يوم ألف لون من النور.

قوله: ﴿ومن حوله﴾ أي وهم الكروبيون سادات الملائكة، قال وهب: إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صف خلف صف، يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء، يكبر فريق ويهلل فريق، ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام، أيديهم إلى أعناقهم، واضعين لها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم، رفعوا أصواتهم فقالوا: سبحانك اللهم وبحمدك، ما أعظمك وأجلك، أنت الله لا إله غيرك، والخلق كلهم إليك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة، قد وضعوا اليمنى على اليسرى، ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم ثلاثمائة عام، وما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربعمائة. قوله: [أي يقولون سبحان الله وبحمده] أي لما ورد: أن حملة العرش، يكونون يوم القيامة ثمانية، أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. قوله: [ببصائرهم] جواب عما يقال: إن وصفهم بالتسبيح يغني عن وصفهم بالإيمان، فما فائدة ذكره عقبه؟ فأجاب: بأن التسبيح من وظائف اللسان، والإيمان من وظائف القلب، فأفاد فائدة لم تكن في الأول، فذكره للاعتناء بشأنه.

قوله: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ أي يطلبون المغفرة لهم. وحكمة طلبهم المغفرة لهم، أنهم تكلموا في بني آدم حيث قالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾؟ فلما وقع منهم ذلك، أمرهم الله بالاستغفار لهم جبراً لما وقع عنهم، ففيه تنبيه على أن من تكلم في غيره، ينبغي له أن يستغفر ربه. قوله: [ويقولون] أي في كيفية الاستغفار لهم، وهذه الجملة المقدرة، حال من ضمير ﴿يستغفرون﴾.

قوله: ﴿ربنا وسعت كل شيء﴾ الخ، قدم هذا بين يدي الدعاء توطئة له للإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى، وهو موقن بالإجابة، ولا يتردد في الدعاء، فإنه مانع من الإجابة. قوله: ﴿رحمة وعلماً﴾ قدم

﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾: من الشرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[٧]: النار ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾: عطف على هم في وأدخلهم أو في وعدتهم ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٨]: في صنعه ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾: أي عذابها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٩]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾: من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾: إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾: في الدنيا ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[١٠] ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾: إماتتين ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾: إحياءتين لأنهم نطفاً أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾: بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾: من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾[١١]: طريق؟ وجوابهم لا ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُ﴾: أي بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾: بتوحيده ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾: يجعل له شريك ﴿تُؤْمِنُوا﴾: تصدقوا بالإشراك ﴿فَالْحُكْمُ﴾: في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ الْعَلِيِّ﴾: على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾[١٢]: العظيم ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: دلائل

الرحمة على العلم، لأن المقام للدعاء، والرحمة مقصودة فيه بالذات، وإلا فالعلم سابق عليها. قوله: [من الشرك] أي إن كان عليهم ذنوب. قوله: ﴿واتبعوا سبيلك﴾ أي بأن آمنوا. قوله: ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ أي اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه، بأن توفقهم لصالح الأعمال.

قوله: ﴿ومن صلح من آبائهم﴾ الخ، أي بأن مات على غير الكفر، فيدخل فيه أهل الفترة والجنون. قوله: ﴿وأزواجهم﴾ أي زوجاتهم لما ورد: إذا دخل المؤمن الجنة قال: أين أبي؟ أين أمي؟ أين ولدي؟ أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم، فإذا اجتمع بأهله في الجنة، كان أكمل لسروره ولذاته. قوله: [في وأدخلهم] أي وهو أولى لأنه يسير الدعاء لهم بالدخول صريحاً بخلافه على [وعدتهم] فإنه ضمني. قوله: ﴿وقهم السيئات﴾ الضمير راجع للآباء والأزواج والذرية. قوله: ﴿يومئذ﴾ التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق، والتقدير: يوم إذ تدخل من تشاء الجنة، ومن تشاء النار، وهو يوم القيامة. قوله: ﴿وذلك﴾ أي ما ذكر من الرحمة ووقاية السيئات.

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ شروع في ذكر أحوال الكفار بعد دخولهم النار، إثر بيان أنهم من أصحاب النار. قوله: [وهم يمقتون أنفسهم] أي يبغضونها ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد فيقول الواحد منهم لنفسه: مقتك يا نفسي، فتقول الملائكة لهم وهم في النار: لمقت الله إياكم، إذ أنتم في الدنيا، وقد بعث إليكم الرسل فلم تؤمنوا، أشد من مقتكم أنفسكم اليوم. قوله: ﴿لمقت الله﴾ أي بغضه، والمراد لازمه وهو الانتقام والتعذيب، لأن حقيقته محالة في حق الله تعالى. قوله: [لأنهم نطفاً أموات] كذا في بعض النسخ بنصب نطفاً على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا أو خلقوا نطفاً، فإن الإماتة إعدام الحياة، ابتداء أو بعد سبق الحياة.

قوله: ﴿ذلكم﴾ مبتدأ، و﴿بأنه﴾ خبره، والضمير للشأن. قوله: ﴿فالحكم لله﴾ هذا من جملة ما يقال لهم في الآخرة بدليل قوله: [في تعذيبكم]، وأما قوله: ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ فكلام مستأنف منقطع عما قبله، ويصح أن يكون الكلام تم بقوله: ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ وقوله: ﴿فالحكم لله﴾ تفريع على ما تقدم، كأنه قال: إذا علمتم أن الخلق فريقان، مؤمنون وكفار، فلا تعترضوا فإن الحكم لله، أي القضاء بأن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار لله وحده

توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾: بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ ١٣: يرجع عن الشرك ﴿فَٱدْعُوا ٱللَّهَ﴾: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ﴾ ١٤: إخلاصكم منه ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ﴾: أي الله عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خالقه ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ﴾: الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: أي قوله ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ﴾: يخوف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ١٥: بحذف الياء وإثباتها يوم القيامة لتلاقي أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾: خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: يقوله تعالى ويجيب نفسه ﴿لِلَّهِ

الموصوف بكونه يرينا آياته، فيعتبر بها من يشاء فيهدي، ويكذب بها من يشاء فيضل. قوله: ﴿وينزل لكم﴾ أي من أجلكم. قوله: [بالمطر] أي بسببه، فإن الماء سبب في جميع الأرزاق، كما هو مشاهد.

قوله: ﴿فادعوا الله﴾ يطلق الدعاء على الطلب حقيقة، وليس مراداً هنا بإجماع، بقرينة ما قبله وما بعده، وعلى العبادة مجازاً كما هنا، من باب تسمية الكل باسم جزئه، لأن الدعاء جزء من أجزاء العبادة، وسميت العبادة دعاء، لأنه أعظم أجزائها، لما في الحديث: «الدعاء مخ العبادة». قوله: ﴿مخلصين﴾ حال من فاعل ادعوا، وأشار بذلك إلى أن الإنسان مأمور بالعبادة ظاهراً، وبإخلاص قلبه من أنواع الشك، والشرك الأكبر والأصغر. قوله: [من الشرك] عام في الشرك الأكبر وهو الكفر، والأصغر وهو الرياء.

قوله: ﴿ولو كره الكافرون﴾ مبالغة فيما قبله، أي اعبدوه وأخلصوا له قلوبكم، هذا إذا رضي الكافرون بذلك، بل ولو كرهوا، أو قاتلوكم ومانعوكم من عبادته. قوله: [أي الله عظيم الصفات] أشار بذلك إلى أن ﴿رفيع﴾ صفة مشبهة خبر لمحذوف، أي هو منزه صفاته عن كل نقص، وقوله: [أو رافع] أشار به إلى أن فعيل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل.

قوله: ﴿يلقي الروح﴾ أي الوحي، سمي بذلك لأنه يسري في القلوب كسريان الروح في الجسد، ولذا كان لا يطرأ على النبي النسيان. قوله: ﴿من أمره﴾ بيان للروح أو حال منه [أي قوله] وقيل المراد بالأمر القضاء. قوله: [الملقى عليه] هو فاعل الأنذار، وهو كناية عن الموصول في قوله: ﴿على من يشاء﴾ والمفعول الأول محذوف قدره المفسر بقوله: [الناس] والمفعول الثاني هو قوله: ﴿يوم التلاق﴾. قوله: [بحذف الياء] أي وصلاً ووقفاً، وقوله: [وإثباتها] أي وصلاً ووقفاً، أو وصلاً فقط، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: [لتلاقي أهل السماء] علة لتسمية ﴿يوم التلاق﴾. قوله: ﴿يوم هم بارزون﴾ بدل من ﴿يوم التلاق﴾ بدل كل من كل، ويكتب ﴿يوم﴾ هنا وفي الذاريات في قوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ منفصلاً، لأن ﴿هم﴾ مرفوع بالابتداء فيهما، فالمناسب القطع، وأما في غير هذين المحلين نحو ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ ﴿يومهم الذي فيه يصعقون﴾ فيكتب موصولاً، لأن هم مجرور، فالمناسب وصله. قوله: [خارجون من قبورهم] أي ظاهرون لا يستترون بشيء، لكون الأرض إذ ذاك قاعاً صفصفاً، لما في الحديث: «يحشرون حفاة عراة غرلاً».

قوله: ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ الحكمة في تخصيص ذلك اليوم، مع أن الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام، أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا، أنهم إذا استتروا بالحيطان مثلاً، لا يراهم الله، وفي هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم. قوله: ﴿لمن الملك اليوم﴾ هذا حكاية لما يقع من السؤال والجواب حينئذ، وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا يكون حينئذ؟ فقيل: يقال: ﴿لمن الملك﴾ الخ. قوله: [يقول الله تعالى] قيل في القيامة كما

﴿ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾١٦: أي لخلقه ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾١٧: يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: يوم القيامة من أزف الرحيل قرب ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾: ترتفع خوفاً ﴿لَدَى﴾: عند ﴿ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾: ممتلئين غماً حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: محب ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾١٨: لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلاً فما لنا من شافعين أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء أي لو شفعوا فرضاً لم يقبلوا ﴿يَعْلَمُ﴾: أي الله ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾١٩: القلوب ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون أي كفار مكة بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾: فكيف يكونون شركاء لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾٢٠: بأفعالهم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾: وفي قراءة منكم ﴿قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى﴾

ورد: يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة، لم يعص الله عليها، فيؤمر منادٍ ينادي: ﴿لمن الملك اليوم﴾؟ فيقول له العباد مؤمنهم وكافرهم ﴿لله الواحد القهار﴾ فيقول المؤمنون هذا الجواب سروراً وتلذذاً، ويقول الكافرون غماً وانقياداً وخضوعاً، وقيل: بين النفختين حين تفنى جميع الخلائق ويبقى الله وحده، فلا يرى غير نفسه، فيقول ﴿لمن الملك اليوم﴾ فيجيب نفسه بعد أربعين سنة ﴿لله الواحد القهار﴾ لأنه بقي وحده وقهر خلقه.

قوله: ﴿اليوم تجزى كل نفس﴾ الخ، إما من تتمة الجواب، أو حكاية ما يقوله الله تعالى عقب جواب الخلق. قوله: ﴿لا ظلم اليوم﴾ ﴿لا﴾ نافية للجنس، و﴿ظلم﴾ اسمها، و﴿اليوم﴾ خبرها. قوله: [في قدر نصف النهار] أي ولا يشغله حساب أحد عن أحد، بل كل إنسان يرى أنه هو المحاسب. قوله: [من أزف الرحيل] من باب تعب أي دنا وقرب. قوله: ﴿إذ القلوب﴾ بدل من ﴿يوم الآزفة﴾ و﴿القلوب﴾ مبتدأ خبره ﴿لدى الحناجر﴾ وهو متعلق بمحذوف قدره بقوله: [ترتفع]. قوله: ﴿الحناجر﴾ جمع حنجور كحلقوم وزناً ومعنى، أو جمع حنجرة. قوله: ﴿من حميم﴾ ﴿من﴾ زائدة في المبتدإ. قوله: ﴿ولا شفيع يطاع﴾ أي ويؤذن له في الشفاعة فيقبل. قوله: [إذ لا شفيع لهم أصلاً] أي لا مطاع ولا غيره. قوله: [أي لو شفعوا] الخ تفسير للمفهوم على الوجه الثاني.

قوله: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ خبر رابع عن المبتدإ الذي أخبر عنه برفيع وما بعده، والإضافة على معنى من، أي الخائنة من الأعين. قوله: [بمسارقتها النظر إلى محرم] ومن جملة ذلك: الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره. قوله: ﴿وما تخفي الصدور﴾ أي عن العبادة من خير وشر. قوله: [أي كفار مكة] تفسير للواو في ﴿يدعون﴾. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿لا يقضون بشيء﴾ من باب التهكم بهم، إذ الجماد لا يوصف بقضاء ولا بغيره. قوله: ﴿إن الله هو السميع البصير﴾ وعيد لهم على أفعالهم وأقوالهم، أي فيجازيكم بها.

قوله: ﴿أو لم يسيروا في الأرض﴾ لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة، أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال ﴿أو لم يسيروا﴾ الخ، وقوله: ﴿كيف كان عاقبة﴾ الخ ﴿كيف﴾ خبر ﴿كان﴾ مقدم، و﴿عاقبة﴾ اسمها، والجملة في محل نصب على المفعولية، وقوله: ﴿كانوا﴾ الخ جواب ﴿كيف﴾ والواو اسم ﴿كان﴾ والضمير للفصل، و﴿أشد﴾ خبرها. قوله: ﴿فينظروا﴾ يجوز أن يكون منصوباً في جواب الاستفهام، وأن يكون مجزوماً نسقاً على ما قبله. قوله: ﴿عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ أي حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم، كعاد وثمود وأضرابهم. قوله: [وفي قراءة

﴿الْأَرْضِ﴾: من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ٢١: عذابه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٢٢ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٢٣: برهان بيّن ظاهر ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا﴾: هو ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ٢٤ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا﴾: استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ٢٥: هلاك ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾: ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: من عبادتكم إياي فتتبعونه ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ٢٦: من قتل وغيره وفي قراءة أو وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾: لقومه وقد سمع

منكم] أي بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب. قوله: ﴿وآثاراً في الأرض﴾ عطف على ﴿قوة﴾. قوله: [من مصانع] أي أماكن في الأرض تخزن فيها المياه كالصهاريج. قوله: ﴿وما كان لهم﴾ الخ ﴿لهم﴾ خبر ﴿كان﴾ مقدم و﴿واق﴾ اسمها مؤخر على زيادة ﴿من﴾ و﴿من الله﴾ متعلق بواق، و﴿من﴾ فيه ابتدائية، ومفعول ﴿واق﴾ محذوف قدره بقوله: [عذابه] وكان للاستمرار، أي ليس لهم واق أبداً.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي أخذهم بسبب أنهم كانت، الخ. قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ الخ، شروع في ذكر قصة موسى مع فرعون، وحكمة تكرارها وغيرها، تسليته ﷺ وزيادة في الاحتجاج على من كفر من أمته. قوله: ﴿وسلطان مبين﴾ قيل: المراد به نفس الآيات، فالعطف مرادف، وإنما التغاير باعتبار العنوانين، وقيل: المراد به بعض الآيات وهو العصا واليد، وحينئذ فيكون من عطف الخاص على العام، والنكتة الاعتناء بهما.

قوله: ﴿إلى فرعون وهامان وقارون﴾ خصهم بالذكر لأنهم الرؤساء، فإن فرعون كان ملكاً، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، إنما جمعه الله معهما لأنه شاركهما، في الكفر والتكذيب في آخر الأمر، وإن آمن أولاً، فإن فعله آخراً، دل على أن مطبوع على الكفر كإبليس. قوله: ﴿فقالوا﴾ نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر. قوله: [هو] ﴿ساحر﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿ساحر﴾ خبر لمحذوف، و﴿كذاب﴾ عطف على ﴿ساحر﴾ والمعنى ساحر فيما أظهر من المعجزات، كذاب فيما ادّعاه أنه من عند الله.

قوله: ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا﴾ الخ، أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم، فهذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون بعد ولادة موسى، أمسك عن قتل الأولاد، فلما بعث الله موسى، وعجز عن معارضته، أعاد القتل، في الأولاد، ليمتنع الناس من الإيمان، ولئلا يكثر جمعهم فيكيدوه، فأرسل الله عليهم أنواع العذاب، كالضفادع والقمل والدم والطوفان، إلى أن خرجوا من مصر، فأغرقهم الله تعالى، وجعل كيدهم في نحورهم. قوله: [استبقوا] ﴿نساءهم﴾ أي بناتهم للخدمة. قوله: [هلاك] أي ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئاً. قوله: [لأنهم كانوا يكفونه عن قتله] في حكمة منعهم له عن قتله وجوه، أولها: أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره، فكان صاحب سر فرعون، وكان يتحيل في منع فرعون من قتله. ثانيها: أنهم منعوه من قتله احتقاراً له، فكانوا يقولون: إنه ساحر ضعيف، فإن قتلته قالت الناس: إنهم قتلوه لعجزهم عن معارضته. ثالثها: خوفهم على فرعون لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالاً. رابعها: ليشتغل عنهم بمخاصمة موسى لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا من يشتغلوا به، تعرضوا لرعاياهم. قوله: ﴿وليدع ربه﴾ اللام للأمر، وهو أمر تعجيز في زعم فرعون. قوله: [فتتبعونه] المناسب أن يحذف النون. قوله: [وفي قراءة أو] الخ، تحصل أن القراءات أربع سبعيات: رفع الفساد، ونصبه مع الواو، أو أو.

ذَلِكَ ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ٢٧ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: قيل هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ﴾: أي لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: أي ضرر كذبه ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مشرك ﴿كَذَّابٌ﴾ ٢٨: مفترٍ ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾: غالبين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾: عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾: أي لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾: أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ٢٩: طريق الصواب ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ ٣٠: أي يوم حزب بعد حزب ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: مثل بدل من مثل قبله أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ٣١ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ٣٢: بحذف الياء وإثباتها أي يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها

قوله: ﴿وقال موسى إني عذت﴾ بادغام الذال في التاء وإظهارها، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿من كل متكبر﴾ لم يسمّ فرعون، بل ذكره في ضمن المتكبرين، لتعميم الإستعاذة والتقبيح على فرعون أنه متكبر متجبر. قوله: ﴿وقال رجل مؤمن﴾ لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى، قيض له من يخاصم عنه هذا اللعين، قال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره، وغير امرأة فرعون، وغير المؤمن الذي قال لموسى ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ الخ، وفي الحديث: «الصديقون: حبيب النجار من آل يس، ومؤمن آل فرعون الذي قال ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾، والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم». وكان اسم الرجل حزقيل، وقيل شمعان بفتح المعجمة بوزن سلمان. قوله: [قيل هو ابن عمه] وقيل: كان من بني اسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون. قوله: [أي لأن] ﴿يقول﴾ الخ، أي لأجل هذا القول، من غير تأمل وتفكر. قوله: ﴿وقد جاءكم بالبينات﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يقول﴾. قوله: ﴿بعض الذي يعدكم﴾ أي إن لم يصبكم كله، فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، إن تعرضتم له بسوء.

قوله: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون، فالأول معناه: أن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات، ومن كان كذلك فلا يكون مسرفاً كذاباً، فموسى ليس بمسرف ولا كذاب، والثاني معناه: أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في ادعائه الألوهية، وحينئذ فالله لا يهدي من هذا وصفه.

قوله: ﴿يا قوم لكم الملك﴾ الخ، أي فلا تفسدوا أمركم، ولا تعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل. قوله: [حال] أي من الضمير في ﴿لكم﴾. قوله: ﴿قال فرعون﴾ أي بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها. قوله: [أي ما أشير عليكم بما أشير به على نفسي] أي فلا أظهر لكم أمراً وأكتم عنكم غيره. قوله: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى. قوله: [أي يوم حزب بعد حزب] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يوم الأحزاب﴾ مفرد في معنى الجمع، أي أيامها. قوله: [أي مثل جزاء] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [عادة] تفسير للدأب. والمعنى جزاء الأمر الذي اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم.

قوله: ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ أي فلا يعاقبهم بغير ذنب. قوله: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم﴾ الخ، لما خوفهم بالعذاب الدنيوي، شرع يخوفهم بالعذاب الأخروي. قوله: [بحذف الياء] أي في الوصل والوقف، وقوله: [وإثباتها] أي في الوصل، والوقف، فالقراءات أربع سبعيات، وهذا في اللفظ، وأما في الخط فمحذوفة لا غير. قوله:

وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ : عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ : أي من عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ : مانع ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ٣٣ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ : أي من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر إلى زمن موسى أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قول ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ : بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ : من غير برهان ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ : أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَلِكَ﴾ : أي مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ : مشرك ﴿مُرْتَابٌ﴾ ٣٤ : شاك فيما شهدت به البينات ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ : معجزاته مبتدأ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ : برهان ﴿أَتَاهُمْ كَبُرَ﴾ : جدالهم خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ : أي مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ : يختم ﴿اللَّهُ﴾ : بالضلال ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ ٣٥ : بتنوين قلب ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي

[وغير ذلك] من جملته أن ينادى: ألا إن فلاناً سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلاناً شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وأن ينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، وأن ينادي المؤمن: هاؤم اقرؤوا كتابيه، وينادي الكافر: يا ليتني لم أوت كتابيه، وأن ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور، فهذه الأمور كلها تقع في هذا اليوم. قوله: ﴿مدبرين﴾ [عن موقف الحساب إلى النار] أي لأنهم إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين، فلا يأتوا قطراً من الأقطار، إلا وجدوا الملائكة صفوفاً، فيرجعوا إلى مكانهم. قوله: ﴿ما لكم من الله﴾ الجملة حالية، وقوله: ﴿من عاصم﴾ مبتدأ، و﴿من﴾ زائدة، و﴿من الله﴾ متعلق بعاصم. قوله: ﴿فما له من هاد﴾ بإثبات الياء وحذفها في الوقف وبحذفها في الوصل مع حذفها في الخط على كل شيء.

قوله: ﴿ولقد جاءكم يوسف﴾ الخ المتبادر أنه من كلام الرجل المؤمن، وقيل من كلام موسى. قوله: [عمر إلى زمن موسى] هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين، لأن بين يوسف وموسى أربعمائة سنة، فالصواب أن يقول: عمر إلى زمن فرعون، فإن فرعون أدركه، وعمر إلى أن أدرك موسى، وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم، ويتعدى بالتضعيف. قوله: [أو يوسف بن ابراهيم] أي فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب، أرسله الله إلى القبط، فأقام فيهم عشرين سنة نبياً. قوله: ﴿فما زلتم في شك﴾ أي فما زالت أصولكم. قوله: [فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره] أتى بهذا دفعاً لما يتبادر من ظاهر الآية، أنهم كانوا مؤمنين بيوسف، وندموا على فراقه، بل كانوا كفاراً به، وانقيادهم له خوفاً من سطوته بهم، وطمعاً في جاهه الدنيوي.

قوله: ﴿الذين يجادلون﴾ الخ من كلام الرجل المؤمن، وقيل ابتداء كلام من الله تعالى. قوله: ﴿أتاهم﴾ صفة لسلطان. قوله: [خبر المبتدأ] هذا أحسن الأعاريب في هذا المقام، وقوله: ﴿مقتاً﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي كبر مقت جدالهم، و﴿عند﴾ ظرف لكبر، ومقت الله إياهم سخطه وانزال العذاب بهم. قوله: [مثل إضلالهم] المناسب أن يقول: مثل ذلك الطبع. قوله: [بتنوين قلب ودونه] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [ومتى تكبر القلب] الخ أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين، لأنه يلزم من اتصاف القلب بالكبر، اتصاف الشخص به، لأن القلب سلطان الأعضاء، فمتى فسد فسدت. قوله: [لعموم الضلال جميع القلب] أي جميع أجزائه، فلم يبق فيه محل يقبل الهدى، وهذا على خلاف القاعدة في ﴿كل﴾ فإن قاعدتها أنها إذا دخلت على نكرة مفردة، أو مجموعة، أو معرفة مجموعة، تكون لعموم الأفراد، وإذا دخلت على معرفة مفردة، تكون لعموم الأجزاء، وهنا قد دخلت على النكرة المفردة، فكان حقها أن تكون

صَرْحاً﴾: بناء عالياً ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ٣٦ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾: طرقها الموصلة إليها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾: بالرفع عطفاً على أبلغ وبالنصب جواباً لابن ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾: أي موسى ﴿كَاذِباً﴾: في أن له إلهاً غيري قال فرعون ذلك تمويهاً ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الهدى بفتح الصاد وضمها ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ ٣٧: خسار ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي﴾: بإثبات الياء وحذفها ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ٣٨: تقدم ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾: تمتع يزول ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ ٣٩ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٤٠: رزقاً واسعاً بلا تبعة ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ ٤١ ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾: الغالب على أمره ﴿الْغَفَّارِ﴾ ٤٢: لمن

لعموم الأفراد، وإنما أريد هذا المعنى، وإن كان مخالفاً للقاعدة، للمبالغة في وصول الضلال لقلوبهم وتمكنه منها.

قوله: ﴿وقال فرعون﴾ أي معرضاً عن كلام المؤمن. قوله: [بناء عالياً] أي مفرداً طويلاً ضخماً، وتقدمت قصته في سورة القصص. قوله: [طرقها] أي أبوابها الموصلة إليها، وحكمة التكرار في أسباب التفخيم والتعظيم، لأن الشيء إذا أبهم ثم وضح، كان أدخل في تعظيم شأنه. قوله: [عطفاً على أبلغ] أي فيكون داخلاً في حيز الترجي. قوله: [بالنصب جواباً لابن] أي فهو منصوب بأن مضمرة بعد الفاء كقوله:

يا ناق سيري عنقاً فسيحا ... إلى سليمان فنستريحا

وقيل: إنه منصوب في جواب الترجي، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿إلى إله موسى﴾ أي أنظر إليه وأطلع على حاله. قوله: [تمويهاً] أي تلبيساً وتخليطاً على قومه، وإلا فهو يعرف ويعتقد أن موسى صادق في جميع ما قاله. قوله: ﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك التزيين. قوله: [بفتح الصاد وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وقال الذي آمن﴾ هو الرجل المؤمن، وقيل المراد به موسى عليه السلام. قوله: ﴿اتبعون﴾ أي امتثلوا ما آمركم به. قوله: [بإثبات الياء وحذفها] أي وهما سبعيتان، وهذا في اللفظ، وأما في الخط، فهي محذوفة لا غير، لأنها من ياءات الزوائد. قوله: [تمتع يزول] أي تمتع قليل يسير لا بقاء له. قوله: ﴿دار القرار﴾ أي الثبات فلا تحول عنها. قوله: ﴿من عمل سيئة﴾ أي ولم يتب عنها. قوله: ﴿وهو مؤمن﴾ الجملة حالية. قوله: [بضم الياء] الخ، أي وهما سبعيتان. قوله: ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ أي وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالها، فهذا في ابتداء الأمر عند المحاسبة على الأعمال، فإذا تم الحساب، تفضل الله على عباده، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: [بلا تبعة] أي فرزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع ثمن، بل يتنعمون نعيماً خالياً من العلل، صافياً من الكدر، جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه.

قوله: ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم﴾ الخ، أتى بالواو في النداء الأول والثالث، لأنه كلام مستقل مستأنف، وتركها من الثاني لأنه من تعلقات الكلام الأول، والعطف يقتضي المغايرة، وقوله: ﴿ما لي﴾ أي أي شيء ثبت لي، فما مبتدأ، والجار والمجرور خبر عنه، وقوله: ﴿أدعوكم﴾ حال، والاستفهام للتعجب، ومحط العجب هو قوله: ﴿وتدعونني إلى النار﴾ كأنه قال: أعجب من هذه الحال، أدعوكم إلى النجاة والخير، وتدعونني إلى النار والشر. قوله: ﴿تدعونني لأكفر﴾ الخ، هذا بدل من قوله: ﴿تدعونني﴾ الأول، بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿ما ليس لي به﴾ أي بوجوده،

تَأْب ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾: لأعبده ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾: أي استجابة دعوة ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا﴾: مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: الكافرين ﴿هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ﴾٤٣ ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾: إذا عاينتم العذاب ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ﴾٤٤: قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم ﴿فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا﴾: به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾: بقومه معه ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾٤٥: الغرق ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: يحرقون بها ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: صباحاً ومساء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: يقال: ﴿أَدْخِلُوٓا﴾: يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾: وفي قراءة: بفتح الهمزة وكسر الخاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾٤٦: عذاب جهنم ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾: يتخاصم الكفار ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: جميع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾: جزءاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾٤٧ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾٤٨: فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا

والمراد نفي المعلوم من أصله. قوله: ﴿وأنا أدعوكم﴾ راجع لقوله: ﴿أدعوكم إلى النجاة﴾. قوله: ﴿إلى العزيز الغفار﴾ أي إلى عبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

قوله: ﴿لا جرم﴾ ﴿لا﴾ نافية، و﴿جرم﴾ فعل ماض بمعنى حق، وقوله: ﴿إنما تدعونني﴾ فاعله، والمعنى حق ووجب عدم استجابة دعوة آلهتكم. قوله: [حقاً] مفعول لمحذوف دل عليه ﴿لا جرم﴾ والمعنى حق ما تدعونني إليه حقاً، وهي كلمة في الأصل بمنزلة لا بد، ثم تحولت إلى معنى القسم. قوله: ﴿أنما تدعونني﴾ ما اسم موصول، فحقها أن تفصل من النون، وإنما وصلت بها تبعاً للمصحف. قوله: [أي استجابة دعوة] أي لا شفاعة لها دنيا ولا أخرى، وقيل: المعنى ليست له دعوة إلى عبادته، لأن الأصنام لا تدعي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادة نفسها، وفي الآخرة تتبرأ من عبادها. قوله: ﴿ما أقول لكم﴾ أي من النصيحة. قوله: [توعدوه] أي ففر هارباً إلى جبل، فأرسل فرعون خلفه ألفاً ليقتلوه، فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله، فأكلت السباع بعضهم، ورجع بعضهم هارباً، فقتله فرعون.

قوله: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ أي شدائد مكرهم، وقد نجى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الغرق أيضاً. قوله: [قومه معه] أي ولم يصرح به، لأنه أولى منهم بذلك. قوله: [ثم] ﴿النار﴾ أتى بثم إشارة إلى أنه كلام مستأنف، و﴿النار﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يعرضون عليها﴾ خبره، والمعنى تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار، لما روي: أن أرواح الكفار في جوف طير سود، تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين، فذلك عرضها.

قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ إما معمول لادخلوا، أو لمحذوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ﴿ادخلوا﴾ وعليه درج المفسر. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، فعلى القراءة الأولى، يكون المنادى على حذف ياء النداء، وعلى الثانية يكون مفعولاً لادخلوا. قوله: [عذاب جهنم] تفسير للأشد، فإنه أشد مما كانوا فيه لأن ذاك عرض، وهذا دخول واستيطان. قوله: ﴿فيقول الضعفاء﴾ تفصيل للتخاصم. قوله: [جمع تابع] كخدم وخادم. قوله: [دافعون] أشار بذلك إلى أن ﴿مغنون﴾ مضمن معنى [دافعون] فنصب نصيباً، ويصح أن يضمن معنى حاملون، و﴿من النار﴾ صفة لنصيباً. قوله: ﴿إنا كل فيها﴾ أي فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا فكيف ندفع عنكم. قوله: ﴿إن الله قد حكم بين العباد﴾ أي فلا يغني أحد عن أحد شيئاً.

قوله: ﴿وقال الذين في النار﴾ أي من الضعفاء والمستكبرين جميعاً، حين حصل لهم اليأس، من تحمل بعضهم

رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً﴾: أي قدر يوم ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾٤٩ ﴿قَالُوا﴾: أي الخزنة تهكماً ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَى﴾: أي فكفروا بهم ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾: أنتم فإنا لا نشفع لكافر قال تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾٥٠: انعدام ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾٥١: جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾: بالياء والتاء ﴿ٱلظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: عذرهم لو اعتذروا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: أي البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ﴾٥٢: الآخرة أي شدة عذابها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَى﴾: التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: من بعد موسى ﴿ٱلْكِتَابَ﴾٥٣: التوراة ﴿هُدًى﴾: هادياً ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾٥٤: تذكرة لأصحاب العقول ﴿فَاصْبِرْ﴾: يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾: وأنت ومن اتبعك منهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾: ليستن بك

عن بعض. قوله: ﴿لخزنه جهنم﴾ أتى بالظاهر في محل الضمير تقبيحاً عليهم، أو لبيان محلهم فيها. قوله: ﴿يوما من العذاب﴾ أي يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم، وقوله: [أي قدر يوم] أشار بذلك إلى أنه ليس في الآخرة ليل ولا نهار. قوله: ﴿قالوا أو لم تك تأتيكم﴾ الخ، المقصود من ذلك إلزامهم الحجة والتوبيخ على تفريطهم. قوله: ﴿قالوا بلى﴾ أتونا فكذبناهم، وتقدم أنهم قبل الدخول ينكرون، وبعده يقرون. قوله: [فإنا لا نشفع لكافر] أي لتحتم خلوده في النار، فالشفاعة لا تفيد شيئاً. قوله: [انعدام] أي من الإجابة.

قوله: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ أي بالحجة والظفر على الأعداء، وإن وقع لهم بعض امتحان، فالعبرة بالعواقب وغالب الأمر. قوله: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ معطوف على قوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ والمعنى نصرهم في الدنيا والآخرة. قوله: [جمع شاهد] أي ويصح أن يكون جمع شهيد، قال تعالى ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾. قوله: [وهم الملائكة] أي والأنبياء والمؤمنون، أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون، يشهدون بما شاهدوا، وأما الأنبياء، فإنهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أممهم، وأما المؤمنون من أمة محمد ﷺ، فتشهد على باقي الأمم يوم القيامة. قوله: ﴿يوم لا ينفع﴾ بدل من يوم الأول. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما سبعيتان. قوله: [لو اعتذروا] جواب عما يقال: مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم، إلا أنها لا تنفعهم، وحينئذ يكون بينها وبين الآية الأخرى وهي ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ تناف، فأجاب: بأن معنى [لو اعتذروا] فرضاً لا تنفعهم معذرتهم، فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿إنا لننصر رسلنا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ فهذا من النصر الدنيوي الموصل للنصر الأخروي. قوله: [من بعد موسى] أي إلى نزول عيسى، فآتاه الله الإنجيل، ناسخة لبعض أحكام التوراة. قوله: ﴿الكتاب﴾ لم يعبر عنه في جانب بني إسرائيل بالهدى، كما عبر في جانب موسى، اشارة إلى أنه لم يكن هدى لجميعهم، بل هدى لمن آمن وصدق، ووبال لمن طغى وكفر. قوله: [هادياً] أشار بذلك إلى أن ﴿هدى﴾ حال من ﴿الكتاب﴾، وكذا قوله: ﴿وذكرى﴾. قوله: ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي إذا علمت أن الله ناصر لرسله في الدنيا والآخرة، فاصبر حتى يأتيك النصر من ربك.

قوله: ﴿واستغفر لذنبك﴾ أي اطلب المغفرة من ربك لذنبك، والمقصود من هذا الأمر، تعليم الأمة ذلك، وإلا فرسول الله ﷺ معصوم من الذنوب جميعاً، صغائر وكبائر، قبل النبوة وبعدها على التحقيق كجميع الأنبياء، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: [ليستن بك] أي يقتدي بك، وأجيب أيضاً: بأن الكلام على حذف مضاف، والتقدير واستغفر لذنب أمتك، وانما أضيف الذنب له لأنه شفيع لهم، وأمرهم متعلق به، فإذا لم يسع في غفرانه في الدنيا، اتبعه في

﴿وَسَبِّحْ﴾: صلِّ متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾: وهو من بعد الزوال ﴿وَالإِبْكَارِ﴾ ٥٥: الصلوات الخمس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: برهان ﴿أَتَاهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾: تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ﴾: من شرهم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ ٥٦: بأحوالهم. ونزل في منكري البعث ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ابتداء ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٥٧: ذلك فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَ﴾: لا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: وهو المحسن ﴿وَلَا الْمُسِيءُ﴾: فيه زيادة لا ﴿قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥٨: يتعظون، بالياء والتاء أي تذكرهم قليل جداً ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهَا﴾

الاخرة، قال تعالى ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ وكل هذا تشريف لهذه الأمة المحمدية، فقد تشرفت بأمور: منها أن نبيها مأمور بالاستغفار لها، ومنها صلاة الله وملائكته عليها، وغير ذلك. وأجيب أيضاً: بأن المراد بالذنب خلاف الأولى، وسمي ذنباً بالنسبة لمقامه، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: [صلِّ] إنما فسر التسبيح بالصلاة لقرينة قوله: [بعد] ﴿بالعشي والإبكار﴾. قوله: [وهو من بعد الزوال] أي وفيه أربع صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقوله: ﴿والإبكار﴾ أي وهو من الفجر إلى الزوال، وفيه صلاة واحدة وهي الصبح، فلذلك قال: الصلوات الخمس.

قوله: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير﴾ الخ، بيان لتفصيل أن جدالهم ناشىء من الحقد الذي في صدورهم، وفيما تقدم بيّن عاقبة جدالهم، وما أعد لهم في نظيره. قوله: ﴿بغير سلطان أتاهم﴾ وصف كاشف إذ يستحيل المجادلة في آيات الله بسلطان. قوله: ﴿إن في صدورهم﴾ خبر ﴿إنّ﴾ قوله: ﴿ما هم ببالغيه﴾ هذا وعد حسن من الله تعالى، بأن المتكبر لا يبلغ ما أمله بكبره، وإنما يجعل كيده في نحره. قوله: ﴿فاستعذ بالله﴾ أي تحصن بالله من كيدهم، والتجىء إليه في دفع مكرهم. قوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿لخلق السموات﴾ الخ أي سبعاً طباقاً على هذا الوجه المشاهد. قوله: [ابتداء] أي من غير سبق مثال. قوله: ﴿أكبر﴾ أعظم بحسب العادة، وإلا فالكل بالنسبة إليه تعالى لا تفاوت فيها بين الصغير والكبير، بدءاً وإعادة. قوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي والأقل يعلمه وهو من آمن. قوله: [فهم كالأعمى] الخ، هذا نتيجة ما قبله، وهو دخول على قوله: ﴿وما يستوي الأعمى﴾ الخ. قوله: ﴿و﴾ [لا] ﴿الذين آمنوا﴾ الخ، راجع للبصير، وقوله: ﴿ولا المسيء﴾ راجع لقوله: ﴿الأعمى﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش، وهو من أنواع البلاغة. قوله: [فيه زيادة لا] أي للتوكيد لطول الكلام بالصلة.

قوله: ﴿قليلاً ما يتذكرون﴾ ﴿قليلاً﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق، أي يتذكرون تذكراً قليلاً، و﴿ما﴾ زائدة لتوكيد القلة. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي تذكرهم قليلاً] هكذا بالنصب على الحال، والخبر محذوف، والتقدير يحصل حال كونه قليلاً. قوله: ﴿لا ريب فيها﴾ أي لوضوح الأدلة على حصولها.

---

* أسباب نزول الآية ٥٦: وأخرج عن أبي العالية قال: جاءت اليهود الى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال، فقالوا: يكون منا في آخر الزمان فعظموا أمره وقالوا: يصنع كذا، فأنزل الله ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله﴾ فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال.

* أسباب نزول الآية ٥٧: قوله تعالى: ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ قال: من خلق الدجال، وأخرج عن كعب الأحبار في قوله ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان﴾ قال: هم اليهود، نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٩: بها ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: أي اعبدوني أثبكم بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾: بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ٦٠: صاغرين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: إسناد الأبصار إليه مجازي لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ٦١: الله فلا يؤمنون ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا

قوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ [بها] أي جحداً وعناداً، والأقل يؤمنون لقيام الدليل العقلي والشرعي، على أنه تعالى قادر على كل شيء، وأخبر على ألسنة رسله أنه كما بدأنا يعيدنا، فلو جوز تخلفه للزم إما كذب خبره تعالى أو عجزه، وكلاهما محال تنزه الله عنه.

قوله: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ الدعاء في الأصل، السؤال والتضرع إلى الله تعالى في الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة، ومنه ما ورد: ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى في شسع نعله إذا انقطع، وقوله: ﴿أستجب لكم﴾ أي أجبكم فيما طلبتم، لما ورد: إذا قال العبد: يا رب، قال الله: لبيك يا عبدي. إن قلت: قوله: ﴿أستجب لكم﴾ وعد بالإجابة، ووعده لا يتخلف، مع أنه نشاهد أن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له. أجيب: بأن الدعاء له شروط، فإذا تخلف بعضها تخلفت الإجابة، منها: إقبال العبد بكليته على الله وقت الدعاء، بحيث لا يحصل في قلبه غير ربه، وأن لا يكون لمفاسد، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم، وأن لا يستعجل الإجابة، وأن يكون موقناً بها، فإذا كان الدعاء بهذه الشروط، كان محققاً بالإجابة، فإما أن يعجلها له، وإما أن يؤخرها له، فالإجابة على مراده تعالى، وحينئذ فالذي ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى، ويفوض له الأمر في الإجابة، ولذا ورد: «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، أو يستعجل، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: يقول: دعوت فما استجاب لي» والدعاء من خصائص هذه الأمة، لما حكي عن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً، لم يعطهن أمة قبلهم إلا نبي، كان إذا أرسل نبي، قيل له: أنت شاهد على أمتك، وقال تعالى لهذه الأمة ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وكان يقال للنبي: ليس عليك في الدين من حرج، وقال تعالى لهذه الأمة ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكان يقال للنبي: ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازاً، من اطلاق الخاص وارادة العام، وهما تفسيران للدعاء هنا مشى المفسر على الثاني، وعبر عنها بالدعاء إشارة إلى أن المقصود من العبادة، الذل والخضوع والفقر والمسكنة، والدعاء مشعر بذلك. قوله: [بقرينة ما بعده] أي وهو قوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ الخ، فتحصل أن في الآية تفسيرين: أحدهما حقيقة، والثاني مجاز، اختار المفسر الثاني لوجود القرينة، ويصح ارادة الحقيقة لأنها الأصل. قوله: [بفتح الياء وضم الخاء] أي والقراءتان سبعيتان. قوله: [صاغرين] أي أذلاء، فمن أنف واستكبر في الدنيا، ألبس ثوب الذل في الآخرة، ومن تواضع وتذلل في الدنيا، ألبس ثوب العز والفخر في الآخرة، فباب الذل والانكسار من أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى، لما حكي عن سيدي أحمد الرفاعي أنه قال: طرقت الأبواب الموصلة إلى الله تعالى فوجدتها مزدحمة، إلا باب الذل والانكسار، وورد أن داود سأل ربه فقال: يا ربنا كيف الوصول إليك؟ قال: يا داود خل نفسك وتعال.

قوله: ﴿الله الذي جعل لكم الليل﴾ الخ، هذا من جملة الأدلة على باهر قدرته تعالى كأنه قال: لا يليق منكم أن تتركوا عبادة من هذه أفعاله. قوله: [مجازي] أي عقلي من اسناد الفيء إلى زمانه. قوله: ﴿لذو فضل﴾ أي جود واحسان. قوله: ﴿ولكن أكثر الناس﴾ أي وهم الكفار، وكان حقاً على الناس جميعهم أن يشكروا الله تعالى ويوحدوه.

هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾٦٢: فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾: أي مثل إفك هؤلاء إفك ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ﴾٦٣ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: سقفاً ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾٦٤ ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾٦٥ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾: دلائل التوحيد ﴿مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾٦٦* ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ

قوله: ﴿ذلكم﴾ الإشارة مبتدأ، و﴿الله﴾ و﴿ربكم﴾، و﴿خالق كل شيء﴾ و﴿لا إله إلا هو﴾ أخبار أربعة له. قوله: ﴿فأنى تؤفكون﴾ من الأفك بفتح الهمزة وهو الصرف، وأما الإفك بالكسر فهو الكذب. قوله: ﴿كذلك يؤفك﴾ الخ، هذا تسلية له ﷺ، والمعنى لا تحزن يا محمد فلا خصوصية لأمتك، بل من قبلهم كذلك. قوله: [أفك] ﴿الذين﴾ بضم الهمزة فعل ماض مبني للمجهول، وأشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً استحضاراً للصورة الغريبة.

قوله: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ هذا من جملة أدلة توحيده، وقوله: ﴿قراراً﴾ أي محل قرار، أي سكون مع كونها في غاية الثقل، لا ممسك لها إلا قدرة الله تعالى. ﴿فأحسن صوركم﴾ أي صوركم أحسن تصوير، حيث جعلكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء، تمشون على رجلين، وجعل محل المواجهة من أعلى ومحل الاقتذار من أسفل، فسبحان الحكيم العليم. قوله: ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ أي المستلذات ملبساً ومطعماً ومركباً. قوله: ﴿ذلكم﴾ أي الفاعل لذلك كله، واسم الاشارة مبتدأ، و﴿الله ربكم﴾ خبران له. قوله: ﴿هو الحي﴾ أي الحياة الذاتية التي لا فناء لها ولا انقضاء. قوله: [اعبدوه] تقدم أنه أحد تفسيرين، ويصح ارادة الآخر، وهو السؤال والتضرع، والمعنى إذا علمتم أن الله مالك الملك، المتصرف فيه دون غيره، فاسألوه في جميع ما تحتاجون، لأن خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره. قوله: ﴿مخلصين﴾ حال، وقوله: ﴿الدين﴾ مفعول للمخلصين، والمعنى غير مشركين غيره، لا ظاهراً ولا باطناً.

قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يحتمل أنه من كلام العباد، فهو مقول لقول محذوف حال، والمعنى قائلين ذلك لما ورد عن ابن عباس: من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ فهو إشارة إلى أن العبد لا يؤجر على الحمد، ولا يعد به شكوراً، إلا إذا كان موحداً، وأما الكافر فعمله يذهب هباء منثوراً، ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى تعليماً لعباده كيفية الحمد.

قوله: ﴿قل إني نهيت﴾ الخ، أمر الله تعالى نبيه أن يخاطب قومه بذلك زجراً لهم، حيث استمروا على عبادة غير الله بعد ظهور الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿لما جاءني﴾ أي حين جاءني. قوله: [دلائل التوحيد] الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿وأمرت أن أسلم﴾ الخ، إما من الاسلام بمعنى الانقياد، أو بمعنى الخلوص، وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الأول أسلم أمري له، وعلى الثاني أخلص قلبي من عبادة غيره تعالى. قوله: ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ الخ، لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق، وهي: الليل والنهار والأرض

---

* أسباب نزول الآية ٦٦: وأخرج جويبر عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك، فأنزل الله ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ الآية.

طِفْلًا﴾: بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾: يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾: تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً﴾: بضم الشين وكسرها ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ﴾: أي قبل الأشد والشيخوخة فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى﴾: وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٦٧: دلائل التوحيد فتؤمنون ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً﴾: أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ٦٨: بضم النون وفتحها بتقدير أن أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ﴾: القرآن ﴿أَنَّى﴾: كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ ٦٩: عن الإيمان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾: من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٧٠: عقوبة تكذيبهم ﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: إذ بمعنى إذا ﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾: عطف

والسماء، وثلاثة من دلائل الأنفس وهي: التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات، ذكر هنا كيفية خلق الأنفس ابتداء وانتهاء. قوله: [بخلق أبيكم آدم] الخ، أي فالكلام على حذف مضاف، ويصح ابقاء الكلام على ظاهره، باعتبار أن أصل النطفة الغذاء، وهو ناشىء من التراب. قوله: ﴿ثم من علقة﴾ أي بعد مضي أربعين يوماً.

قوله: ﴿ثم يخرجكم طفلا﴾ أجمل هنا في المراتب، وفصلها في سورة المؤمنون في قوله ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ الخ، أي فهنا حذف مرتبتين المضغة والعظم العاري عن اللحم. قوله: [بمعنى أطفالاً] إنما أوله بالجمع، لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها، فإن ﴿طفلا﴾ حال من الكاف في ﴿يخرجكم﴾ فالحال مفردة لفظاً جمع معنى، لأن لفظ الطفل يقع على المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، ومن ذلك قوله تعالى ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾. قوله: ﴿ثم﴾ [يبقيكم] ﴿لتبلغوا﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿لتبلغوا﴾ متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله: ﴿يخرجكم﴾. قوله: ﴿ثم لتكونوا﴾ معطوف على ﴿لتبلغوا﴾. قوله: [بضم الشين وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [فعل ذلك بكم لتعيشوا] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿ولتبلغوا﴾ معطوف على محذوف وهما علتان، والمعلول ما تقدم من الأفعال الصادرة منه تعالى. قوله: [وقتاً محدوداً] أي وهو وقت الموت. قوله: ﴿ولعلكم تعقلون﴾ معطوف على قوله: ﴿لتبلغوا﴾ ويصح أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ﴿ولعلكم تعقلون﴾.

قوله: ﴿هو الذي يحيي ويميت﴾ هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿فإذا قضى أمراً﴾ مرتب على ما تقدم، والمعنى: من ثبت أن هذه أفعاله، علم أنه لا يعسر عليه شيء، ولا يتوقف إلا على تعلق إرادته به. قوله: [بضم النون] أي على أنه خبر لمبتدإ محذوف، أي فهو يكون. قوله: [وفتحها] أي فهو منصوب بأن مضمرة وجوباً، بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر، والقراءتان سبعيتان. قوله: [عقب الارادة التي هي معنى القول المذكور] والأوضح أن يقول وهذا القول المذكور، كناية عن سرعة الإيجاد، فالمعنى: أن المراد ايجاد شيء وجد سريعاً من غير توقف على شيء، وإلا فكلام المفسر يقتضي أن معنى الآية: فإذا أراد إيجاد شيء، فإنما يريد إيجاده فيوجد، وهذا لا معنى له.

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون﴾ الخ هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة، وبيان لعاقبة أمرهم. قوله: ﴿الذين كذبوا﴾ إما بدل من الموصول قبله فهو في محل جر، أو في محل نصب أو رفع على الذم. قوله: [من التوحيد] أي وسائر الكتب والشرائع. قوله: [إذ بمعنى إذا] جواب عما يقال: إن سوف للاستقبال، و﴿إذ﴾ للماضي؛ وحينئذ فلا يصح تعلق الماضي بالمستقبل، فأجاب: بأنها مستعملة في الاستقبال مجازاً، والمسوغ الاشارة إلى أن هذا الأمر محقق

على الأغلال فتكون في الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبر ﴿يُسْحَبُونَ﴾ ٧١: أي يجرون بها ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾: أي جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ٧٢: يوقدون ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾: تبكيتاً ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: معه وهي الأصنام ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنَّا﴾: فلا نراهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئاً﴾: أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت قال تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ أي وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ٧٤: ويقال لهم أيضاً ﴿ذَٰلِكُم﴾: العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ٧٥: تتوسعون في الفرح ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ ٧٦ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بعذابهم ﴿حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾: فيه إن الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ ٧٧: فنعذبهم أشد

وواقع. قوله: [عطف على الأغلال] أي وقوله: ﴿في أعناقهم﴾ خبر عنهما. قوله: [أو مبتدأ] الخ أي وجملة ﴿يسحبون﴾ حال من الضمير المستكن في الظرف، أو مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا حالهم؟ فقيل ﴿يسحبون في الحميم﴾. قوله: [أو خبره] ﴿يسحبون﴾ أي وعليه فالرابط محذوف قدره بقوله: [بها] فتحصل أن المعنى: الأغلال والسلاسل تكون في أعناقهم، ويسحبون في جهنم على وجوههم؛ وهذا على الاعرابين الأولين؛ وعلى الثالث فالمعنى: أن الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، ويسحبون في جهنم، وكل صحيح. قوله: [أي جهنم] وقيل ﴿الحميم﴾ الماء الحار. قوله: ﴿يسجرون﴾ أي يعذبون بأنواع العذاب.

قوله: ﴿ثم قيل لهم﴾ التعبير بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: ﴿أين ما كنتم﴾ ترسم ﴿أين﴾ مفصولة من ﴿ما﴾. قوله: [وهي الأصنام] تفسير لما. قوله: ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً﴾ هذا في أول الأمر يتبرؤون من عبادة الأصنام لرجاء أنه ينفعهم، فهو إضراب عن قوله: ﴿ضلوا عنا﴾ وهذا قبل أن تقرن بهم آلهتهم. قوله: [ثم أحضرت] جواب عما يقال: إن حمل الآية على هذا الوجه، يخالف قوله تعالى ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ فأجاب: بأنهم أولاً تضل عنهم آلهتهم ويتبرؤون؛ ثم تحضر وتقرن بهم. قوله: [ويقال لهم أيضاً] أي توبيخاً. قوله: [تتوسعون في المعاصي] أي تظهرون السرور في الدنيا؛ بالمعصية وكثرة المال وضياعه في المحرمات، فالمرح شدة الفرح، وهو وإن كان ذماً في الكفار، يجر بذيله على كل من توسع في معاصي الله، فله من هذا الوعيد نصيب.

قوله: ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ عطف على قوله: ﴿ذلكم﴾ الخ، داخل في حيز القول المقدر. قوله: ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ لم يقل فبئس مدخل المتكبرين، لأن الدخول لا يدوم، وإنما يدوم المثوى، ولذا خصه بالذم. قوله: ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ هذا تسلية من الله لنبيه ﷺ، ووعد حسن بالنصر له على أعدائه. قوله: [بعذابهم] أي وسمي وعداً، بالنظر لكونه نصراً للنبي، فهو في الحقيقة وعد ووعيد. قوله: [فيه] خبر مقدم و[إن الشرطية] مبتدأ مؤخر، وقوله: [مدغمة] حال من [إن] ولم يذكر المدغم فيه وهو [ما] الزائدة، وقوله: [تؤكد معنى الشرط] أي التعليق، وقوله: [أول الفعل] حال من [ما] الزائدة، والمعنى حال كونها واقعة في أول فعل الشرط، وقوله: [والنون تؤكد] أي تؤكد الفعل، فحذف المؤكد بالفتح، وقوله: [آخره] حال من النون، أي حال كونها واقعة في آخر الفعل، فتحصل أن هنا مؤكدين بالكسر وهما: ما والنون، ومؤكدين بالفتح وهما: التعليق وفعل الشرط. قوله: ﴿بعض الذي نعدهم﴾ مفعول ﴿نرينك﴾ الثاني؛ والكاف مفعول أول. قوله: [وجواب الشرط] أي الأول.

العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾: رُوي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾: منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِيَ﴾: بين الرسل ومكذبيهم ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ٧٨: أي ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾: قيل الإبل خاصة هنا والظاهر البقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٧٩ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾: في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السفن في البحر

قوله: ﴿أو نتوفينك﴾ عطف على قوله: ﴿نرينك﴾ قوله: [فالجواب المذكور للمعطوف فقط] أي ولا يصح أن يكون جواباً عن الأول، لأن من المعلوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله، ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم في الآخرة، مسبباً عن رؤية النبي ﷺ تعذيبهم في الدنيا، وفي الحقيقة قوله: ﴿فإلينا يرجعون﴾ دليل الجواب، والجواب محذوف أيضاً، والتقدير فلا يفوتهم.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ الخ، هذا تسلية له ﷺ، كأن الله تعالى يقول له: إنا قد أرسلنا قبلك رسلاً، وآتيناهم معجزات، وجادلهم قومهم، وصبروا على أذاهم، فتأس بهم. قوله: ﴿رسلاً﴾ المراد بهم ما يشمل الأنبياء. قوله: ﴿منهم من قصصنا عليك﴾ أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم في القرآن، وهم خمسة وعشرون. قوله: ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ أي لم نذكر لك قصصهم في القرآن تخفيفاً ورحمة بأمتك، لئلا يعجزوا عن حفظه، وبهذا التقدير اندفع ما قد يتوهم أن النبي ﷺ مساو لأمته في عدم علم ما عدا الخمسة والعشرين، فتحصل أن النبي ﷺ لم يخرج من الدنيا، حتى علم جميع الأنبياء تفصيلاً، كيف لا، وهم مخلوقون منه، وصلوا خلفه ليلة الاسراء في بيت المقدس؟ ولكنه من العلم المكتوم، وإنما ترك بيان قصصهم للأمة رحمة بهم، فلم يكلفهم إلا بما يطيقون. قوله: [روي] في عبارة غيره، قيل: والصحيح ما روي عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله كم عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً».

قوله: ﴿وما كان لرسول﴾ أي ما صح وما استقام. قوله: ﴿إلا بإذن الله﴾ أي بإرادته. قوله: [مربوبون] أي مملوكون، والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمر إلا بإذن سيده، وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهباً، وغير ذلك مما تقدم تفصيله في سورة الإسراء. قوله: ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ أي حكمه وقضاؤه، والمعنى ظهر وبرز حكمه بنزول العذاب بهم. قوله: ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ الحكمة في ختم هذه الآية بالمبطلون، وختم السورة بالكافرون أنه ذكر هنا الحق، فكان مقابلته بالباطل أنسب، وهناك ذكر الايمان، فكان مقابلته بالكفر أنسب. قوله: [أي ظهر القضاء] الخ دفع بذلك ما يقال: إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة، فأجاب: بأن المراد ظهر الأمر الذي كان مخفياً. قوله: [قيل الإبل خاصة] أي لأنها هي التي يوجد فيها جميع المنافع الآتية.

قوله: ﴿لتركبوا منها﴾ الخ، هذه الآية نظير قوله تعالى في النحل ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء﴾ الآية. قوله: ﴿وعليها﴾ [في البر] الخ، أفرد الحمل عما قبله لكونه مزية عظيمة، وقرن بينها وبين الفلك لما بينهما من شدة المناسبة، حتى سميت الإبل سفائن البر، وعبر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك، وفي قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى ﴿وقال اركبوا فيها﴾ لما قيل: إن سفينة نوح كانت مغطاة، فظاهرها كباطنها، فالخلق مظروفون فيها، وما عداها

﴿تَحْمِلُونَ﴾ ٨٠ ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾: الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ﴾ ٨١: استفهام توبيخ وتذكير أي أشهر من تأنيثه ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٢ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾: أي الكفار ﴿بِمَا عِندَهُم﴾: أي الرسل ﴿مِّنَ الْعِلْمِ﴾: فرح استهزاء وضحك منكرين له ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٨٣: أي العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: أي شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ٨٤ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ﴾: نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾: في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ ٨٥: تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

فالشأن فيها أنها غير معطلة، فالخلق على ظاهرها. قوله: ﴿فأي آيات الله﴾ الخ، أي منصوب بتنكرون، قدم لكونه له صدر الكلام. قوله: [وتذكيره أشهر من تأنيثه] أي فلم يقل أية آيات الله، وذلك لأن التفرقة في الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب، وهي في أي أغرب لإبهامها.

قوله: ﴿أفلم يسيروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعجزوا فلم يسيروا الخ، والاستفهام إنكاري، وتقدم نظيره غير مرة. قوله: ﴿كانوا أكثر منهم﴾ كلام مستأنف مبين لمبدأ أحوالهم وعواقبها. قوله: ﴿وآثاراً﴾ عطف على ﴿قوة﴾. قوله: [من مصانع] أي أماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج. قوله: [والقصور] أي الأماكن المرتفعة. قوله: ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما الأولى نافية أو استفهامية، والثانية موصولة أو مصدرية. قوله: [فرح استهزاء] أي سخرية؛ حيث لم يأخذوه بالقبول، ويمتثلوا أمر الله، ويجتنبوا نواهيه يدل على هذا المعنى. قوله: ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾. قوله: [أي العذاب] أي فكانوا يعدونهم به لو لم يؤمنوا، فيستهزئون بالعذاب الموعود به، قال تعالى حكاية عن أهل مكة ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية. قوله: ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ أي في الدنيا. قوله: [بفعل مقدر من لفظه] أي والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم. قوله: ﴿التي قد خلت﴾ أي مضت وسبقت. قوله: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ أي وقت رؤيتهم العذاب. قوله: [تبين خسرانهم] أي ظهر ما كان خافياً، وهو جواب عن سؤال مقدر كالذي قبله.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤١] ـ سورة حم السجدة

[مكية وهي ثلاث وخمسون آية]

﴿حم﴾ ١ : الله أعلم بمراده به ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ٢ : مبتدأ ﴿كِتَابٌ﴾ : خبره ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ : بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ : حال من كتاب بصفته ﴿لِقَوْمٍ﴾ : متعلق بفصلت ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ٣ : يفهمون ذلك وهم العرب ﴿بَشِيراً﴾ : صفة قرآناً ﴿وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ٤ :

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة فصّلت مكية

وهي أربع وخمسون آية

مُبتدأ، و[ثلاث وخمسون آية] خبر أول، و[مكية] خبر ثان، وتسمى أيضاً سُورة حم السجدة، وسورة المَصَابيح، وسورة السَّجدة. قوله: [الله أعلم بمراده] تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم. قوله: ﴿من الرحمن الرحيم﴾ خصّ هذين الاسمين إشارة إلى أن نزول القرآن من أكبر النعم، ولا شك أن النعم من مظهر تجلي الرحمة، فالقرآن نعمة باقية إلى يوم القيامة. قوله: [مبتدأ] أي وسوغ الابتداء به، عمله في الجار والمجرور بعده على حد: ورغبة في الخير خير. قوله: ﴿كتاب﴾ [خبره] أي و﴿فصلت آياته﴾ نعت للخبر. قوله: [بينت بالأحكام] أي ميزت ووضحت لفظاً ومعنى، فاللفظ في أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق، والمعنى كالوعد والوعيد والقصص والأحكام، وغير ذلك من المعاني المختلفة، فإذا تأملت في القرآن، تجد بعض آياته متعلقاً بذات الله وصفاته، وبعضها متعلقاً بعجائب خلقه، من السماوات والأرض وما فيهما، وبعضها متعلقاً بالمواعظ والنصائح، وغير ذلك، قال البوصيري في ذلك المعنى:

فلا تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام من الاكثار بالسأم

قوله: [حال من كتاب] أي كل من ﴿قرآنا﴾ و﴿عربياً﴾ فتكون حالاً مؤسسة، ويصح أن يكون الحال لفظ ﴿قرآناً﴾ و﴿عربياً﴾ صفته. قوله: [بصفته] أي الكتاب، والمعنى أن المسوغ لمجيء الحال منه مع كونه نكرة، وصفه بما بعده. قوله: [متعلق بفصلت] أي والمعنى بينت ووضحت لهؤلاء. قوله: [يفهمون ذلك] أي تفاصيل آياته. قوله: [وهم العرب] أي وإنما خصوا بالذكر لأنهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن نزل بلغتهم، وأما غيرهم فلا يفهم القرآن إلا بواسطتهم. قوله: [صفة قرآناً] ويصح أن يكونا حالين من كتاب، وهذا على قراءة الجمهور، وقرئ شذوذاً

سَمَاعَ قبولٍ ﴿وَقَالُوا﴾: للنبي ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: أغطية ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: ثقل ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ
حِجَابٌ﴾: خلاف في الدِّين ﴿فَاعْمَلْ﴾: على دينك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾٥: على ديننا ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى
إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾: كلمة عذاب ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾٦
﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾: تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ﴾٨: مقطوع ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾: بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى

على أنه خبر لمحذوف، أي ﴿بشيراً ونذيراً﴾، ونعت لكتاب. قوله: ﴿فأعرض أكثرهم﴾ أي تكبراً وعناداً، واستفيد منه أن الأقل لم يعرض، بل خضع وانقاد وآمن، وذلك كأبي بكر وأضرابه.

قوله: ﴿وقالوا﴾ معطوف على ﴿فأعرض﴾ وقوله: ﴿قلوبنا في أكنة﴾ جمع كنان، وهو ما تجعل فيه السهام، ويسمى جعبة بفتح الجيم، ويجمع على جعاب. قوله: ﴿مما تدعونا إليه﴾ ما واقعة على التوحيد، والفعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره أنت، وما مفعوله. قوله: ﴿وفي آذاننا وقر﴾ شبهوا أسماعهم بآذان فيها صمم، من حيث إنها تمج الحق، ولا تميل إلى استماعه. قوله: ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية، والمعنى: أن الحجاب ناشىء من جهتنا، فلا نستطيع التوصل لما عندك، والحجاب ناشىء من جهتك، لا تستطيع التوصل لما عندنا، فنحن معذورون في عدم اتباعك، لوجود المانع من جهتنا ومن جهتك. قوله: [خلاف] أي مخالفة في الدين. قوله: ﴿فاعمل﴾ [على دينك] أي استمر عليه، وقوله: ﴿إننا عاملون﴾ أي مستمرون عل ديننا.

قوله: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ هذا رد لما زعموا من الحجاب كأنه قال: دعواكم الحجاب باطلة لا أصل لها، لأني بشر من جنسكم، تعرفون حالي وطبعي، وأعرف حالكم وطبعكم، فلست مغايراً لكم، حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين، ولست بداع لكم إلى شيء لا تقبله العقول والاسماع بل أنا داع لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم الذي قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿فاستقيموا إليه﴾ ضمنه معنى توجهوا، فعداه بإلى. قوله: ﴿واستغفروه﴾ أي مما أنتم متحلية من سوء العقيدة، وفيه إشارة إلى أن الاستقامة لا تتم، إلا بالاستغفار والندم على ما مضى، بحيث يكره أن يعود للكفر، كما يكره الوقوع في النار.

قوله: ﴿وويل للمشركين﴾ مبتدأ وخبر، وسوغ الابتداء به قصد الدعاء. قوله: ﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ إنما خص منع الزكاة، وقرنه بالكفر بالآخرة، لأن المال أخو الروح، فإذا بذله الإنسان في سبيل الله، كان دليلاً على قوته، وثباته في الدين، قال تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾ الخ، أي يثبتون أنفسهم، ولذا كان ﷺ يؤلف حديث العهد بالإيمان بالمال، وقاتل أبو بكر مانعي الزكاة بعد وفاته ﷺ، ففي هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة، وتحضيض على أدائها، وقال ابن عباس: هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. فإن قلت: على تفسير الجمهور يشكل بأن الآية مكية، والزكاة فرضت بالمدينة، فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها. والجواب: أن المراد بالزكاة، صرف المال في مراضي الله تعالى.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ ذكر تعالى وعد المؤمنين إثر وعيد المشركين، جرياً على عادته سبحانه وتعالى في كتابه. قوله: ﴿غير ممنون﴾ [مقطوع] أي بل هو دائم مستمر بدوام الله، وهذا أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل غير منقوص، وقيل غير ممنون به عليهم، فلا يعدد الله ولا ملائكته عليهم النعم في الجنة ويطلبهم بشكرها،

﴿لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾: الأحد والاثنين ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً﴾: شركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّ﴾: مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ٩: جمع عالم وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليباً للعقلاء ﴿وَجَعَلَ﴾: مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الأجنبي ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾: بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾: قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾: للناس والبهائم ﴿فِي﴾: تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: أي

لانقطاع التكليف بالموت، وأيضاً نفوس أهل الجنة مطهرة، فلا تزال تشكر الله تعالى، وإن كان غير مطلوب منهم تلذذاً وفرحاً بنعم الله تعالى، ولأن الجنة دار ضيافة مولانا تعالى، والكريم لا يعدد نعمه على أضيافه.

قوله: ﴿قل أئنكم﴾ قدم الاستفهام على التأكيد لأن له صدر الكلام، وهو استفهام انكار وتشنيع، وأن اللام لتأكيد الإنكار، والمعنى أنتم تعلمون أنه لا شريك له في العالم العلوي والسفلي، فكيف تجعلون له شريكاً؟ قوله: [وإدخال ألف] الخ المناسب أن يقول وتركه لأن القراءات السبعية هنا أربع لا اثنتان كما يوهمه كلامه. قوله: ﴿في يومين﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق يوماً فسماه يوم الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفات يوم الخميس، وخلق الانسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت، وهذا هو الصحيح، وقد مشى عليه المفسر، وقيل إن مبدأ الخلق السبت.

قوله: ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ عطف على ﴿تكفرون﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: ﴿ذلك رب العالمين﴾ اسم الاشارة عائد على الموصول، وأتى بالخطاب مفرداً، اشارة إلى أن المخاطب فرد غير معين. قوله: [وجمع] الخ جواب عما يقال: إنه اسم جنس يصدق على كل ما سوى الله، والجمع لا بد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر. فأجاب: بأنه جمع باعتبار أنواعه. قوله: [بالياء والنون] اشارة لسؤال آخر، فلو أتى بالواو لكان أوضح. وحاصل هذا السؤال أن هذا الجمع خاص بالعقلاء، والعالم غالبه غير عاقل. فأجاب بقوله: [تغليباً] الخ. قوله: [مستأنف] الخ هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة، ولا يقال إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، فالأولى اسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ، وقوله: [للفاصل] أي وهو قوله: ﴿وتجعلون﴾ الخ، فإنه معطوف على ﴿تكفرون﴾ فليس من أجزاء الصلة. قوله: ﴿من فوقها﴾ الحكمة في قوله: ﴿من فوقها﴾ أنه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها، لتوهم أنها هي التي أمسكتها عن النزول، فجعل الله الجبال فوقها، ليعلم الانسان أن الأرض وما عليها ممسكة بقدرة الله تعالى.

قوله: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ قال محمد بن كعب: قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان، فخص كل قوت بقطر من الأقطار، وأضاف القوت إلى الأرض، لكونه متولداً منها، وناشئاً فيها، وذلك أنه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الأشياء المطلوبة، حتى إن أهل هذه البلدة، يحتاجون إلى الأشياء الموجودة في تلك البلد وهكذا، فصار ذلك سبباً لرغبة الناس في التجارة واكتساب الأموال، وجميع ما خلقه الله لا ينقص عن حاجة المحتاجين، ولو زادت الخلق أضعافاً. وإنما ينقص توصل بعضهم إليه، فلا يجد له ما يكفيه، وفي الأرض أضعاف كفايته. قوله: ﴿في﴾ [تمام] ﴿أربعة أيام﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، دفعاً لما يتوهم أن الأيام ثمانية: يومان في خلق الأرض، وأربعة في خلق الأقوات، ويومان في خلق السماوات، لينافي قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في

الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَاءً﴾: منصوب على المصدر أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ (١٠): عن خلق الأرض بما فيها ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾: قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾: بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾: إلى مرادي منكما ﴿طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾: في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا﴾: بمن فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ (١١): فيه تغليب المذكر العاقل أو نزلتا لخطابهما منزلته ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾: الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه أي صيّرها ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾: الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾: الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾: بنجوم

ستة أيام﴾ والحكمة في تقديره هذه المدة، مع أنه تعالى قادر على خلق كل في قدر لمحة تعليم العباد التمهل والتأني في الأمور، والبعد من العجلة. قوله: **[في يوم الثلاثاء]** بفتح الثاء وضمها.

قوله: **﴿للسائلين﴾** متعلق بسواء، والمعنى مستوية للسائلين، أي جواب السائلين فيها سواء، لا يتغير لسائل بزيادة ولا نقص. قوله: **[قصد] ﴿إلى السماء﴾** أي أراد، والمعنى تعلقت ارادته بخلق السماوات. قوله: **﴿وهي دخان﴾** المراد بخار الماء، وذلك أن العرش كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض، ثم أحدث الله في ذلك الماء اضطراباً، فأزبد وارتفع، فخرج منه دخان فارتفع وعلا، فخلق منه السماوات، وأما الزبد فبقي على وجه الماء، فخلق منه اليبوسة، وأحدث منه الأرض. قوله: **﴿فقال لها﴾** الخ، اختلف في قول الله للأرض والسماوات وجوابهما له، فقيل: هو حقيقة وأجابتاه بلسان المقال ولا مانع منه لأن القادر لا يعجزه شيء، فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا، ويؤيده ما روي أنه نطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السماء ما يحاذيها، فوضع الله فيهما حرمه، وقيل: إن معنى القول في حق الله تعالى ظهور تأثير قدرته وكلاهما كناية عن الطاعة والانقياد. قوله: **[فيه تغليب المذكر العاقل]** أي حيث جمعوا جمعه.

قوله: **﴿فقضاهن﴾** تفصيل لتكوين السماء. قوله: **[أي صير] ﴿سبع سموات﴾** أشار بذلك إلى أن قضى مضمن معنى صير فسبع مفعول به. قوله: **[وفيها خلق آدم]** ظاهره أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها ألوفاً من السنين. وأجيب: بأن المراد أنه خلق في مثل ذلك اليوم، كما تقول: ولد محمد يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين. قوله: **[ووافق ما هنا]** الخ أي بتقدير المضاف السابق، والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا؛ وقيل: كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا، فتكون الستة أيام بقدر الستة آلاف سنة. إن قلت: إن اليوم عبارة عن الليل والنهار، وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها، وقبل خلق السماوات لا يعقل حصول اليوم، فضلاً عن تسميته بالأحد ونحوه. أجيب: بأن الله تعالى قدر مقداراً خلق فيه الأرض وسماه الأحد والاثنين، ومقداراً خلق فيه الأقوات وسماه الثلاثاء والأربعاء، وهكذا، فالتسمية للمقادير التي خلقت فيها تلك الأشياء. بقي شيء آخر وهو: أن ما هنا يقتضي أن الأرض خلقت قبل السماوات، فيخالف آية النازعات المفيدة أن الأرض خلقت بعد السماوات، قال تعالى: **﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾** إلى أن قال: **﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾**. وأجيب: بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً في يومين كروية، ثم خلق بعدها السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وبسطها، فخلق الجميع في ستة أيام، والدحي بعد ذلك، فلا تناقض، واستشكل ذلك الرازي وأجاب عنه بما لا طائل تحته. قوله: **﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾** الوحي كناية عن التكوين. قوله: **[الذي أمر به من فيها]** الخ، وقيل:

﴿وَحِفْظًا﴾: منصوب بفعله المقدر أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾: في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ ١٢: بخلقه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾: أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾: خوفتكم ﴿صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ١٣: أي عذاباً يهلككم مثل الذي أهلكهم ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي والإهلاك في زمنه فقط ﴿أَلَّا﴾: أي بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾: علينا ﴿مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾: على زعمكم ﴿كَافِرُونَ﴾ ١٤ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا﴾: لما خوفوا بالعذاب ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: أي لا أحد كان واحدهم يقلع

المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلج. قوله: [بفعله المقدر] أي وهو معطوف على ﴿زينا﴾. قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور بتفاصيله. قوله: ﴿فإن أعرضوا﴾ مرتب على قوله فيما تقدم ﴿قل أئنكم لتكفرون﴾ الخ، والمعنى: بيّن يا محمد لقومك طريق الرشاد، وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك، فإن أعرضوا بعد إقامة الحجج وبيان الهدى، فخوفهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الأمم لأنه جرت عادة الله تعالى، أن لا يعذب أمة إلا بعد طلوع شمس الحق لهم وإعراضهم عنه، وفي قوله: ﴿أعرضوا﴾ التفات من خطابهم بقوله: [أئنكم] أي الغيبة إشارة إلى أنهم كما أعرضوا جوزوا بالأعراض والالتفات من خطابهم، لأن الخطاب شأن من يرجى إقباله، وهم ليسوا كذلك.

قوله: ﴿فقل أنذرتكم﴾ عبر بالماضي إشارة إلى تحققه وحصوله. قوله: ﴿صاعقة﴾ هي في الأصل الصيحة التي يحصل بها الهلاك، أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد، والمراد هنا العذاب المهلك، وقرئ شذوذاً صعقة بغير ألف مع سكون العين في الموضعين. وقوله: ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾ التشبيه في مطلق الهلاك، وإن كان هلاك عاد وثمود عاماً، وهلاك هذه الأمة خاص ببعض أفرادهم، فهو تشبيه جزئي بكلي، وبهذا اندفع ما قد يقال: إن العذاب العام لا يأتي لهذه الأمة، لما ورد في الأحاديث الصحيحة من أمن الأمة من ذلك. وأجيب أيضاً: بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل، وحينئذ فالمعنى: أنتم ارتكبتم أموراً تستحقون عليها ما نزل بعاد وثمود.

قوله: ﴿إذ جاءتهم﴾ ظرف لصاعقة الثانية، والمعنى: صعقتهم وقت مجيء رسلهم إليهم، والضمير في ﴿جاءتهم﴾ عائد على ﴿عاد وثمود﴾ وقوله: ﴿الرسل﴾ المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وادريس وشيث وآدم، لكن مجيء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقي، ومجيء من قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللازم لأن كل رسول قد جاء بالتوحيد، وتكذيب واحد تكذيب للجميع. قوله: [أي مقبلين عليهم] أي وهم هود وصالح، وقوله: [ومدبرين عنهم] أي وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح، وهو لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿أن لا تعبدوا﴾ الخ، يصح أن تكون ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية، وكلام المفسر يشير للمعنيين الأولين، حيث قدر الباء و﴿لا﴾ ناهية في الأوجه الثلاثة، ويصح أن تكون نافية أيضاً في الوجه الثاني، والفعل منصوب بأن، حذفت منه النون للناصب، و﴿لا﴾ النافية لا تمنع عمل ﴿أن﴾ في الفعل.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي عاد وثمود لهود وصالح. قوله: ﴿لو شاء ربنا﴾ أي انزال ملائكته بالرسالة، فمفعول ﴿شاء﴾ محذوف. والمعنى: لو شاء ربنا ارسال رسول، لجعله ملكاً لا بشراً، وهذا توصل منهم لإنكار الرسالة لزعمهم أنها لا تكون للبشر. قوله: [على زعمكم] أي وإلا فهم ينكرون رسالتهما.

قوله: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض﴾ أي تعظموا على أهلها واستعلوا فيها، وهذا شروع في حكاية ما يخص

الصَّخْرَةُ الْعظيمة من الجَبَل يجعلها حَيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾: المُعْجِزاتِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾ ١٥ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾: باردة شَدِيدة الصَّوْت بلا مطر ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾: بكسر الحاء وسكونها مشؤومات عليهم ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: الذل ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾: أشد ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ ١٦: بِمنعه عنهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾: بينا لهم طَرِيقَ الهُدى ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ﴾: اختاروا الكفر ﴿عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: المهين ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٧ ﴿وَنَجَّيْنَا﴾: منها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ١٨: الله ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾: بالياءِ والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة ﴿أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٩: يساقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا﴾: زائدة ﴿جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ

كل طائفية من القبائح والعذاب، بعد الإجمال في كفرهم. قوله: ﴿من أشد منا قوة﴾ أي فنحن نقدر على دفع العذاب على أنفسنا بقوتنا. قال ابن عباس: إن أطولهم كان مائة ذراع، وأقصرهم كان ستين ذراعاً. قوله: [يجعلها] أي يضعها حيث شاء. قوله: ﴿أو لم يروا﴾ الخ، هذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، خوطب بها النبي ﷺ للتعجيب من مقالتهم الشنيعة، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أيقولون ذلك ولم يروا؟ قوله: ﴿وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ ضمنه معنى يكفرون، فعداه بالباء وهو معطوف على قوله: ﴿فاستكبروا﴾.

قوله: ﴿صرصراً﴾ من الصر وهو البرد، أو من الصرير، وهو التصويت بشدة، والمفسر جمع بينهما. قوله: [بكسر الحاء وسكونها] أي فهما قراءتان سبعيتان، قيل: هما صفة مشبهة، والسكون للتخفيف، كأشر وفرح، وقيل: إنه بالسكون مصدر وصف به. قوله: [مشؤومات] أي غير مباركات من الشؤم ضد اليمن، وهو تفسير لكل من القراءتين، وكانت آخر شوال صبح الأربعاء، إلى غروب الأربعاء التي يليها، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوماً. قال ابن عباس: ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء. قوله: ﴿عذاب الخزي﴾ أي العذاب الخزي، فهو من اضافة الموصوف لصفته، وقوله: [الذل] وصف به العذاب مبالغة، وإلا فحقه أن يوصف به أصحاب العذاب.

قوله: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ شروع في ذكر أحوال الطائفة الثانية. قوله: [بينا لهم طريق الهدى] أي فالمراد بالهداية الدلالة، لا الوصول بالفعل. قوله: ﴿على الهدى﴾ أي الإيمان. قوله: [المهين] أي الموقع في الاهانة والذل. قوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي من الكفر وتكذيب نبيهم. قوله: ﴿ونجينا الذين آمنوا﴾ أي مع صالح وكانوا أربعة آلاف، وتقدم في الأعراف أنه نجا من كان مع هود، قال تعالى ﴿فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ وكانوا أربعة آلاف أيضاً، كما تقدم لنا في سورة هود. قوله: ﴿و﴾ [اذكر] ﴿يوم يحشر﴾ ﴿يوم﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر]. قوله: [بالياء] أي مع فتح الشين ورفع ﴿أعداء﴾ على أنه نائب فاعل. قوله: [وفتح الهمزة] أي من ﴿أعداء﴾ على أنه مفعول، والفاعل على كل هو الله تعالى، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿أعداء الله﴾ المراد بهم كل من كان من أهل الخلود في النار مطلقاً، من أول الزمان لآخره. قوله: ﴿إلى النار﴾ المراد موقف الحساب، وإنما عبر بالنار لأنها عاقبة حشرهم. قوله: [يساقون] وفسره البيضاوي بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، ولا ينافي ما قاله المفسر، فإن المراد يساق آخرهم ليلحق أولهم، فيحصل الإجتماع والازدحام، حتى يكون على ألف قدم. قوله: [زائدة] أي للتأكيد، وإنما أكده لأنهم ينكرون مضمون الكلام.

قوله: ﴿شهد عليهم سمعهم﴾ الخ، أي بأن يخلق الله فيها النطق والفهم، والادراك كاللسان، فتقر بما فعلته من

شَيْءٍ﴾: أي أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢١: قيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام ا تعالى كالذي بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء قادر على إنط جلودكم وأعضائكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾: عند ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾: عند استتاركم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَذَٰلِكُمْ﴾: مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾: نعت والخبر ﴿أَرْدَاكُمْ﴾: أي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٢٣ ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾: على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾: مأوى ﴿لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾: يطلبوا العتبى أ

المعاصي حقيقة وهو التحقيق، وقيل: النطق كناية عن ظهور المعاصي على تلك الجوارح، كظهور النتونة على فروج الزناة، ونحو ذلك، وقيل: النطق من غير فهم ولا ادراك. عن أنس بن مالك قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: أتدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم فيقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهوداً، قال: فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبينها فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل». قوله: ﴿وجلودهم﴾ المراد بها مطلق الجوارح، فيكون م عطف العام على الخاص، وقيل: المراد بالجلود خصوص الفروج، ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية ويكون هذا في شهادة الزنا، وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا، والأقرب الأول.

قوله: ﴿وقالوا لجلودهم﴾ أي توبيخاً وتعجباً من هذا الأمر. قوله: ﴿قالوا أنطقنا الله﴾ الخ، أي جواباً لهم واعتذاراً عما صدر منهم. قوله: ﴿ترجعون﴾ أي تردون إليه بالبعث، وعبر بالمضارع مع أن المقالة بعد الرجوع بالفعل لأن المراد بالرجوع البعث، وما يترتب عليه من العذاب الدائم، والعذاب مستقبل بالنسبة لمقالتهم. قوله: [قيل هو] أي قوله: ﴿وهو خلقكم﴾ الخ. قوله: [كالذي بعده] أي وهو قوله: ﴿وما كنتم تستترون﴾. قوله: [وموقعه] أي مناسبته. قوله: ﴿وهو خلقكم﴾ ووجه مناسبته له في المعنى أنه يقربه من القول، من حيث إن القادر على الإبداء والإعادة، قادر على إنطاقها.

قوله: ﴿وما كنتم تستترون﴾ أي تستخفون من هؤلاء الشهود، وهو لا يكون إلا بترك الفعل بالكلية، لأنها ملازمة للإنسان في حركاته وسكناته. قوله: [من] ﴿أن يشهد﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أن يشهد﴾ في محل نصب بنزع الخافض، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، والتقدير مخالفة أن يشهد، الخ. قوله: [عند استتاركم] أي من الناس. قوله: ﴿أن الله لا يعلم كثيراً﴾ المراد به ما أخفوه عن الناس من الأعمال، فظنوا أن علم الله مساو لعلم الخلق، فكل ما ستروه عن الناس لا يعلمه الله. قوله: ﴿وذلكم ظنكم﴾ الخ، اعلم أن الظن قسمان: حسن وقبيح، فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والإحسان والخير، ففي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي» والقبيح أن يظن بالله نقصاً في ذاته أو صفاته أو أفعاله. قوله: ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾ نتيجة ما قبله.

قوله: ﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم﴾ إن قلت: إن النار مأوى لهم صبروا أو لا، فما وجه التقييد بالصبر؟

---

* أسباب نزول الآية ٢٢: أخرج الشيخان والترمذي وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود قال: اختصم عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي. فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول، فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله ﴿وما كنتم تستترون﴾ الآية.

الرضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ ٢٤ : المرضيين ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ : سببنا ﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ : من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ : بالعذاب وهو ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿فِي﴾ : جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ : هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ٢٥ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : عند قراءة النبي ﷺ ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ : ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ٢٦ : فيسكت عن القراءة قال الله تعالى فيهم ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ : أي أقبح جزاء عملهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ : العذاب

وأجيب: بأن في الآية حذفاً، والتقدير: فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم، وإنما حذف المقابل للعلم به؛ لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر، فهي لهم مع عدمه بالأولى، بخلاف الدنيا، فإن الإنسان مع الصبر، ربما تخف مصيبته أو يعوض خيراً ومع عدمه يزاد فيها ويغضب الله عليه. قوله: [أي الرضا] وقيل العتبى الرجوع إلى ما يحبون. قوله: [المرضيين] أي المرضي عليهم.

قوله: ﴿وقيضنا لهم﴾ أي لكفار مكة ومعنى [سببنا] هيأنا وبعثنا والمعنى سببنا لهم قرناء يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض وهو قشر البيض على البيض. قوله: ﴿فزينوا لهم﴾ أي من القبائح. قوله: ﴿ما بين أيديهم﴾ [من أمر الدنيا] الخ، وقيل: ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وما خلفهم من أمر الدنيا، قال القشيري: إذا أراد الله بعبد سوءاً، قيض له إخوان سوء، وقرناء سوء، يحملونه على المخالفات ويدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، وأشر منه النفس وبئس القرين، يدعوه اليوم إلى ما فيه الهلاك، ويشهد عليه غداً؛ وإذا أراد الله بعبد خيراً، قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة، ويحملونه عليها، ويدعونه إليها، وفي الحديث: «إذا أراد الله بعبد شراً، قيض له قبل موته شيطاناً، فلا يرى حسناً إلا قبحه عنده، ولا قبيحاً إلا حسنه عنده». وعن عائشة قالت: «إذا أراد الله بالوالي خيراً، جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه». وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله تعالى».

قوله: ﴿وحق عليه القول﴾ أي ثبت وتحقق. قوله: ﴿في أمم﴾ حال من الضمير في ﴿عليهم﴾ والمعنى كائنين في جملة أمم. قوله: ﴿قد خلت﴾ صفة لأمم. قوله: [هلكت] المناسب أن يقول مضت. قوله: ﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب. قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي من كفار مكة، وإنما قالوا ذلك، لأنه لما كان النبي ﷺ يقرأ، يستميل القلوب بقراءته، فيصغي إليها المؤمن والكافر، فخافوا أن يتبعه الناس. قوله: ﴿والغوا فيه﴾ اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه، وهو بفتح الغين في قراءة العامة من لغي كفرح وقرئ شذوذاً بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ومنه حديث أنصت فقد لغوت. قوله: [باللغط] بسكون الغين وفتحها، وهو كلام فيه جلبة واختلاط.

قوله: ﴿لعلكم تغلبون﴾ أي في القول فإذا غلبتموه وسكت؛ لأنه لم يكن مأموراً حينئذ بقتالهم. قوله: [قال تعالى فيهم] أي في شأنهم. قوله: ﴿الذين كفروا﴾ أي استمروا على الكفر وماتوا عليه. قوله: [أي أقبح جزاء عملهم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، دفعاً لما قد يتوهم، أنهم يجزون بنفس عملهم الذي عملوه في الدنيا كالكفر مثلاً، والمعنى أن المستهزئين برسول الله يجازون بأقبح جزاء أعمالهم، وفي هذه الآية وعيد لكل من يفعل اللغط في حال قراءة القرآن، ويشوش على القارئ ويخلط عليه، فإنه حرام بإجماع، إن لم يقصد إبطال النفع بالقرآن كراهة فيه، وإلا فهو كافر.

الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ﴾: بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واواً ﴿النَّارُ﴾: عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾: أي إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءً﴾: منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ ٢٨ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في النار ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: أي إبليس وقابيل سنّا الكفر والقتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ٢٩: أي أشد عذاباً منا ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: عند الموت ﴿أَنْ﴾: بأن ﴿لَا تَخَافُوا﴾: من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٣٠ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي نحفظكم

قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور من الأمرين كما قال المفسر. قوله: [بتحقيق الهمزة الثانية] أي الكائنة أول أعداء، والقراءتان سبعيتان. قوله: [عطف بيان] هذا أحد أوجه في إعرابها، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿جزاء﴾ ورد بأن البدل يصح حلول المبدل منه محله، وهنا لا يصح لأنه يصير التقدير ذلك النار، ويصح أن يكون مبتدأ، و﴿لهم فيها دار الخلد﴾ خبره، ويصح أن يكون خبر مبتدأ محذوف. قوله: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ في الكلام تجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة، أمراً آخر موافقاً له في تلك الصفة على سبيل المبالغة، فقد انتزع من النار داراً أخرى سماها دار الخلد، والمعنى أن الدار نفسها هو الخلد. قوله: [منصوب على المصدر بفعله المقدر] والتقدير يجزون جزاء. قوله: ﴿بآياتنا﴾ الباء إما زائدة أو ضمن ﴿يجحدون﴾ معنى يكفرون، فعداه بالباء. قوله: [في النار] حال من فاعل ﴿قال﴾.

قوله: ﴿أرنا﴾ أصله أرئينا، فالراء فاء الكلمة، والهمزة الثانية عينها، والياء لامها، حذفت الياء لبناء الفاعل على حذفها، ونقلت حركة الهمزة للساكن قبلها، فسقطت الهمزة وصار وزنه أفنا وهي بصرية، تعدت بالهمزة للمفعول الثاني الذي هو الاسم الموصول، ومفعولها الأول الضمير. والمعنى صيرنا رائين بأبصارنا. قوله: ﴿من الجن والإنس﴾ أي لأن الشيطان على قسمين: جني وإنسي، كما قال تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن﴾ وقدم الجن لأنهم أصل الضلال. قوله: [سنا الكفر والقتل] لف ونشر مرتب، فقابيل أخو هابيل، فهو أول من سن القتل، وإبليس أول من كفر بالله. قوله: ﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾ أي إما حقيقة فيكونان أشد عذاباً منا، أو هو كناية عن كونهم في الدرك الأسفل. قوله: ﴿ليكونا من الأسفلين﴾ أي في دركات النار.

قوله: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ الخ، شروع في بيان حال المؤمنين إثر بيان وعيد الكافرين. والمعنى: قالوا ربنا الله اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته. قوله: ﴿ثم استقاموا﴾ أي ظاهراً أو باطناً، بأن فعلوا المأمورات، واجتنبوا المنهيات، وداموا على ذلك إلى الممات، قال عمر بن الخطاب: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق. قوله: [عند الموت] أي أو عند الخروج من القبر، ولا مانع من الجمع، والمراد ملائكة الرحمة تأتيهم بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن. قوله: ﴿أن لا تخافوا﴾ ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، أو مصدرية، أو مفسرة، وكلام المفسر يحتمل المعنيين الأولين، والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه في المستقبل، والحزن غم يلحقها لفوات نفع في الماضي.

قوله: ﴿وأبشروا بالجنة﴾ أي وهي دار الكرامة التي فيها من النعيم الدائم والسرور، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: ﴿التي كنتم توعدون﴾ أي في الكتب المنزلة وعلى ألسنة الرسل. قوله: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ الخ، يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى، وهو ولي المؤمنين ومولاهم،

فيها ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾: أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ٣١ تطلبون ﴿نُزُلًا﴾: رزقاً مهيئاً منصوبٌ بجعل مقدراً ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ ٣٢: أي الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾: أي لا أحدَ أحسن قولاً ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ٣٣ ولا

ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة. والمعنى: كنا أولياءكم في الدنيا، ونكون معكم في الآخرة، فلا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. قوله: ﴿ما تدعون﴾ من الدعاء بمعنى الطلب، وهو أعم من الأول. والمعنى: لكم كل ما تشتهون وكل ما تطلبون، ولو لم يكن مشتهى، كالرتب العلية والفضائل السنية. قوله: [منصوب بجعل مقدراً] ويصح أن يكون حالاً من قوله: ﴿ما تدعون﴾. قوله: ﴿من غفور رحيم﴾ متعلق بتدعون أو صفة لنزلا، وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلاً، إشارة إلى مزيد السرور لهم وإكرامهم، وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة، ويتجلى لهم بأوصاف الجمال، دون أوصاف الجلال.

قوله: ﴿ومن أحسن قولاً﴾ الخ. قيل: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي جمع تلك الأوصاف، لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام: فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد قولاً، كالأشعري والماتريدي ومن تبعهما إلى يوم القيامة، وفعلاً كالمجاهدين. ومنهم الداعون إلى الله بالأحكام الشرعية، كالأئمة الأربعة ومن على قدمهم. ومنهم الداعون إلى الله تعالى بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب، بحيث يكون دائماً في حضرة الله، ليس في قلبه سواه، كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة. ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالإعلام بأداء الفرائض، كالمؤذنين، وهذه الأقسام مجموعة في النبي عليه الصلاة والسلام، متفرقة في أصحابه، ثم انتقلت منهم إلى من بعدهم، وهكذا إلى يوم القيامة، لقوله في الحديث الشريف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». قوله: [بالتوحيد] أي وفروعه وإنما خصه لأنه رأس الأمور وأساسها.

قوله: ﴿وعمل صالحاً﴾ أي امتثل أمر ربه واجتنب نواهيه، وحيث كان داعياً إلى الله، مع اتصافه بالعمل الصالح، كان قوله مقبولاً، ويؤثر في القلوب، وأما من كان بخلاف ذلك، فلا يكون قوله مقبولاً، ولا يؤثر في القلوب، ولا تنبغي صحبته، قال العارف: لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله، وقال بعضهم:

أتنهى الناس ولا تنتهي … متى تلحق القوم يا لكع
ويا حجر السن ما تستحي … تسن الحديد ولا تقطع

فمن لم يؤثر كلامه في نفسه، فلا يؤثر في غيره بالأولى. قال بعضهم:

يا أيها الرجل المعلم غيره … هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا … كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها … فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفي … بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله … عار عليك إذا فعلت عظيم

وبالجملة، فالدعوة إلى الله لا تنفع إلا من قلب ناصح، وأعظم الداعين إلى الله تعالى الأولياء المسلكون، الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق، وهم موجودون في كل زمن، غير أنه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم إلا من لحظه الله تعالى بفضله، كما قال بعض العارفين: الأولياء عرائس مخدرة، ولا يرى العرائس المجرمون، نفعنا الله بهم أجمعين.

تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾: في جزئياتهما لأن بعضهما فوق بعض ﴿ٱدْفَعْ﴾: السيئة ﴿بِٱلَّتِي﴾: أي بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ٣٤: أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك فالذي مبتدأ وكأنه الخبر وإذا ظرف لمعنى التشبيه ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَا﴾: أي يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾: ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾ ٣٥ ﴿وَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ٣٦: بالفعل ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ

قوله: ﴿وقال إنني من المسلمين﴾ أي تحدثاً بنعمة ربه، وفرحاً بالإسلام. قوله: ﴿ولا السيئة﴾ يحتمل أن ﴿لا﴾ زائدة للتوكيد، لأن الاستواء لا يكون من واحد، بل من اثنين، كأنه قال: لا تستوي الحسنة مع السيئة، بل الحسنة خير والسيئة شر، ويحتمل أن ﴿لا﴾ أصلية، والمعنى: لا تستوي مراتب الحسنات، بل بعضها أعلى من بعض، ولا تستوي مراتب السيئات، بل بعضها أعلى من بعض، فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات، وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات، وهذا ما مشى عليه المفسر. قوله: ﴿بالتي هي أحسن﴾ أي حيث فعلت معك سيئة، ادفعها بخصلة هي أحسن. قوله: [كالغضب بالصبر] الخ، أي أعلى المراتب أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وقد كان هذا خلق رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة﴾ الخ ﴿إذا﴾ فجائية ظرف لمعنى التشبيه، فعاملها معنوي مؤخر، واغتفر تأخير عاملها المعنوي، لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها؛ و﴿الذي﴾ مبتدأ و﴿بينك﴾ خبر مقدم، و﴿عداوة﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول، و﴿كأنه﴾ الخ خبر الموصول، والمعنى: فإذا فعلت مع عدوك ما ذكر، فاجأك في الحضرة انقلابه وصيرورته مشابهاً في المحبة للصديق الذي لم تسبق منه عداوة. قوله: ﴿كأنه ولي حميم﴾ الحميم يطلق على الماء الحار، وعلى القريب الذي يهتم لأمره، وهو المراد هنا. قوله: [فيصير عدوك كالصديق القريب] هذا تفسير لمعنى الولي الحميم، فالولي القريب والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولي، قال بعضهم في وصفه:

إنّ أخاك الحقّ من كان معك ... ومن يضرّ نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتّت فيه شمله ليجمعك

قوله: [في محبته] هذا هو وجه الشبه. قوله: [إذا فعلت ذلك] أي الإحسان للعدو. قوله: [التي هي أحسن] الأوضح أن يقول: وهي مقابلة الإساءة بالإحسان. قوله: [ثواب] ﴿عظيم﴾ وقيل: المراد بالحظ الخلق الحسن وكمال النفس.

قوله: ﴿وإما ينزغنك﴾ الخ المراد بالنزغ الوسوسة، والمعنى: وإن يوسوس الشيطان بترك ما أمرت به فاستعذ بالله، أي اطلب التحصن من شره، ومن جملة وسوسته الغضب، فإنه ربما يحمله على ارتكاب منهي عنه، فإذا حصل عنده فليدفعه باستعاذة، فإن لم يزل فليدفعه بالسكون، ثم بالجلوس إن كان قائماً، ثم بالاضطجاع إن كان جالساً، فإن لم يزل بعد ذلك، ذهب من المكان الذي هو به. قوله: ﴿إنه هو السميع العليم﴾ تعليل لما قبله، وفي هذه الآية دليل

﴿لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾: أي الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا﴾: عن السجود لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: أي فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يصلون ﴿لَهُ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ ٣٨: لا يملون ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾: انتفخت وعلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: من ألحد ولحد ﴿فِيٓ آيَاتِنَا﴾: القرآن بالتكذيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾: فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ آمِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٤٠*: تهديد لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلذِّكْرِ﴾: القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾:

على استعمال التعوذات في الصباح والمساء، لأن الإنسان بينهما لا يخلو من نزغات شيطانية، فلذلك ورد في الأحاديث وفي كلام العارفين، كثرة التعوذ في هذين الوقتين، فتدبر.

قوله: ﴿ومن آياته﴾ خبر مقدم، و﴿الليل﴾ وما عطف عليه مبتدأ مؤخر، والمعنى: ومن دلائل قدرته وانفراده بالألوهية الليل الخ، أي ظهور كل من هذه الأربع. قوله: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ خصهما بالذكر لأن الكفار عبدوهما من دون الله. قوله: [أي الآيات الأربع] وإنما عبر عنها بضمير الاناث، مع أن غالبها مذكر، والعادة تغليب المذكر لا العكس، نظراً للفظ الآيات، فإن مفردة آية وهو مؤنث. قوله: ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ أي تفردونه بالعبادة، فاتركوا عبادة غيره. قوله: ﴿فإن استكبروا﴾ أي تكبروا وعاندوا، حيث جعلوا ما به الهدى والدلالة على توحيد الله إلهاً معبوداً.

قوله: ﴿فالذين عند ربك﴾ علة لجواب الشرط المحذوف، والتقدير فلا تنعدم العبادة لأن الذين الخ، والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان، فهو كما تقول: عند الملك من الجند كذا وكذا. قوله: ﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾ هذا من مجاراة الكفار، وإلا فلو ترك جميع الخلق عبادته لم ينقص من ملكه شيء، لما في الحديث: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً». قوله: ﴿ومن آياته﴾ خبر مقدم و﴿إن﴾ وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، والتقدير: ومن آياته رؤيتك الأرض، الخ.

قوله: [يابسة] أي فالأرض الخاشعة هي الغبراء التي ليس بها نبات، استعير لها حال الخاشع، وهو الذل والتقاصر. قوله: ﴿اهتزت وربت﴾ أي تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة، وارتفع ترابها وعلا، فالآية باقية على أصلها خلافاً لمن قال: إن فيها قلباً، والتقدير ربت واهتزت. قوله: ﴿لمحيي الموتى﴾ أي يبعثهم.

قوله: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ أي يميلون عن الاستقامة في الدين، ويطعنون في آياتنا بالتحريف واللغو والاكاذيب. قوله: [من ألحد ولحد] أشار بذلك إلى أن هنا قراءتين سبعيتين وهما ضم الياء وكسر الحاء من ألحد رباعياً، وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثياً، من باب نفع، والالحاد الميل والعدول، ومنه اللحد في القبر، لأنه ميل إلى ناحية منه. قوله: [فنجازيهم] أي بأعمالهم. قوله: ﴿أم من يأتي آمناً﴾ عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يقل: أم من يدخل الجنة، تصريحاً بحصول الأمن لهم، وانتفاء الخوف عنهم. قوله: [تهديد لهم] أي للكفار، وزيادة مسرة للمؤمنين.

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ الخ خبر ﴿إن﴾ محذوف قدره المفسر بقوله: [نجازيهم] وهو أحد أعاريب وهو

---

* أسباب نزول الآية ٤٠: وأخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾.

نجازيهم ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾٤١: منيع ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾: أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾٤٢: أي الله المحمود في أمره ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾: من التكذيب ﴿إِلَّا﴾: مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾٤٣: للكافرين ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾: أي الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا﴾: هلا ﴿فُصِّلَتْ﴾: بينت ﴿آيَاتُهُ﴾: حتى نفهمها ﴿أَ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيٌّ وَ﴾: نبي ﴿عَرَبِيٌّ﴾: استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفاً بإشباع ودونه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾: من الضلالة ﴿وَشِفَاءٌ﴾: من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: فلا

أسهلها، وقيل: إنه جملة لا يأتيه الباطل، الخ، والعائد محذوف، والتقدير: لا يأتيه الباطل منهم، والمعنى لا يبلغون مرادهم فيه، بل هو محفوظ منهم، وقيل: إن الخبر قوله ما يقال لك، الخ، والعائد محذوف ما يقال لك في شأنهم، وقيل غير ذلك. قوله: ﴿لما جاءهم﴾ ظرف لقوله: ﴿كفروا﴾. قوله: ﴿لكتاب عزيز﴾ الجملة حالية من الذكر والمعنى، والتقدير: كفروا بالقرآن حين جاءهم، والحال أنه كتاب يرد المعارض ويقهره، قال البوصيري:

كم جدلت كلمات الله من جدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم

قوله: [منيع] فعيل بمعنى فاعل، أي مانع المعارض عن الخوض فيه، ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال. قوله: [أي ليس قبله كتاب يكذبه] الخ أي لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات، بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع، ليس بعده كتاب أصلاً، وليس قبله ما يقدح فيه، وفي كلام المفسر لف ونشر مشوش، فقوله: [ليس قبله] راجع للخلق، وقوله: [ولا بعده] راجع لما بين يديه. قوله: ﴿من حكيم﴾ الحكيم هو الذي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿ما يقال لك﴾ الخ شروع في تسليته ﷺ على ما يصيبه من أذى الكفار. قوله: [من التكذيب] أي من أجل حصوله ووقوعه. قوله: ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ الخ هذا هو المقول، والمعنى ما يقال لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم، إلا قولاً مثل ما قيل للرسل من قبلك وهو ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ الخ.

قوله: ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا﴾ لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم. قوله: ﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ أي بلسان نفهمه وهو لسان العرب، وقوله: ﴿أأعجمي﴾ الخ جملة مستقلة عن جملة مقولهم، والمعنى: أنهم طلبوا أولاً نزوله بلغة العجم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وقالوا لولا فصلت آياته﴾ أي جاءت بلغة العرب، وأخبر الله تعالى أنه لو جاءهم بلغة العجم، لادعوا التنافي بين كونه بلغة العجم، وكون الجائي به عربياً، وغرضهم بذلك إنكار كون القرآن من عند الله على أي حال، والأعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به، والياء للمبالغة في الوصف، كأحمري وأعجمي خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: [أقرآن] الخ، وكذا قوله: ﴿وعربي﴾. قوله: [بتحقيق الهمزة الثانية] أي من غير ألف بينهما، وقوله: [وقلبها ألفاً] أي ممدوداً مداً لازماً، وهاتان قراءتان، وقوله: [بإشباع ودونه] سبق قلم منه، والصواب أن يقول: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه، فالإشباع هو إدخال ألف بين المحققة والمسهلة، وعدمه هو ترك الإشباع، وبقيت قراءة خامسة سبعية أيضاً وهي أسقاط الهمزة الأولى.

قوله: ﴿قل للذين آمنوا﴾ أي صدقوا به وأذعنوا له. قوله: ﴿وشفاء﴾ [من الجهل] أي ومن الأمراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية. قوله: ﴿والذين لا يؤمنون﴾ مبتدأ، و﴿في آذانهم﴾ خبر مقدم، و﴿وقر﴾ مبتدأ مؤخر،

---

* أسباب نزول الآية ٤٤: وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً، فأنزل الله ﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ الآية، وأنزل الله بعد هذه الآية فيه بكل لسان، قال ابن جرير: والقراءة على هذا أعجمي بلا استفهام.

يفهمونه ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٤٤: أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ٤٥: موقع في الريبة ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾: عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾: أي فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ٤٦: أي بذي ظلم لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: متى تكون لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَةٍ﴾: وفي قراءة: ثمرات ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعيتها جمع كم بكسر الكاف إلا بعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا

والجملة خبر المبتدأ الأول. قوله: [فلا يسمعونه] أي لوجود الحجاب على قلوبهم، فلا يوفقون لاتباعه. قوله: [أي هم كالمنادى] الخ أي فالكلام فيه استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم في عدم قبول المواعظ، وإعراضهم عن القرآن وما فيه بحال من ينادى من مكان بعيد، والجامع عدم الفهم في كل.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ كلام مستأنف سيق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة غير مختص بقومك، وهو تسلية له ﷺ، والمعنى لا تحزن على اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابه. قوله: ﴿لقضي بينهم﴾ أي عجل لهم العذاب. قوله: ﴿لفي شك منه﴾ أي من أجل المخالفة. وقوله: ﴿مريب﴾ أي مورث شكاً آخر. قوله: ﴿فلنفسه﴾ [عمل] أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف ويصح أن يكون خبر المحذوف، أي فعمله الصالح لنفسه، والجملة على كل حال جواب الشرط، إن جعلت من شرطية، أو خبر لها إن جعلت موصولة، وكذا يقال في الجملة بعدها. قوله: [أي بذي ظلم] جواب عما يقال: إن الآية لم تنف أصل الظلم. فأجيب: بأن ظلام صيغة نسبة لا مبالغة، والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز، أي منسوب للتمر والخبز. إن قلت: إن الظلم مستحيل على الله تعالى، لأنه التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه، فكيف يتصور إثباته حتى يحتاج لنفيه؟ أجيب: بأن المراد بالظلم المنفي في الآية تعذيب المطيع لا حقيقة الظلم، وإنما سماه ظلماً تفضلاً منه وإحساناً، كأن الله تعالى يقول: لا أدخل أحداً النار من غير ذنب، فإن فعلت ذلك كنت ظالماً وهو مستحيل، على حد ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ فتدبر.

قوله: ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ أي لله يرد علم جواب السؤال عن الساعة، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قل إنما علمها عند ربي﴾ لا يجليها لوقتها إلا هو فالمعنى تعيين وقت مجيئها لا يعلمه إلا الله تعالى وتقدم ذلك عند قوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾. قوله: [لا يعلمه غيره] أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور، والمعنى لا يفيد علمه غيره تعالى، فلا ينافي أن رسول الله ﷺ لم يخرج من الدنيا، حتى اطلع على ما كان وما يكون وما هو كائن، ومن جملته وقت الساعة، ولكن أمر بكتمانه، فلا يفيد السائل عنه شيئاً. قوله: ﴿من ثمرة﴾ المراد الجنس. وقوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً والجمع ظاهر. قوله: [جمع كم بكسر الكاف] أي وهو ما يغطي الثمرة من النوار والزهر، ويجمع أيضاً على أكمة وكمام، وأما ما يغطي اليد من القميص فبالضم، وجمعه أكمام، وقيل: ما يغطي الثمرة بالضم والكسر، وما يغطي اليد بالضم فقط.

قوله: ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع﴾ الخ، أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته، وكونه ذكراً أو أنثى، واحداً أو متعدداً، وغير ذلك، ويعلم وقت وضعه ومكانه. قوله: ﴿إلا بعلمه﴾ استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والتقدير: وما

آذنّاك﴾: أعلمناك الآنَ ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ ٤٧: أي شاهد بأنَّ لك شريكاً ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ ٤٨: مهرب من العذاب والنفي في الموضعين مُعلق عن العمل وجملة النفي سدت مسد المفعولين ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: أي لا يزال يسأل ربه المالَ والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ﴾: الفقر والشدة ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ ٤٩: من رحمة الله وهذا وما بعده في الكافرين ﴿وَلَئِنْ﴾: لام قسم ﴿أَذَقْنَاهُ﴾: آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾: غنى وصحة ﴿مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾: شدة وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾: أي بعملي ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾: أي الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٥٠: شديد واللام في الفعلين لام قسم ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾: الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ ٥١: عن الشكر ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾: ثنى

يحدث شيء، من خروج ثمرة، أو حمل حامل أو وضعها، إلا ملتبساً بعلمه، فقد حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه. إنْ قلت: قد يعلمُ ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف، وبعض الكهنة والمنجمين. أجيب: بأنّ صاحب الكشف عليه بإلهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط، وأما الكهنة والمنجمون فعلمهم مستند لأمور ظنية قد تصيب، والغالب عليها الخطأ. قوله: ﴿أي شركائي﴾ أي بزعمكم وفيه تقريع وتهكم بهم. قوله: ﴿قالوا﴾ أي يقولون، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: [الآن] أشار بذلك إلى أن المراد الإنشاء لا الإخبار عما سبق، فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، ويصح أن يراد الإخبار لتنزيلهم علمه تعالى بحالهم منزلة إعلامهم به، فأخبروا وقالوا آذناك.

قوله: ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون﴾ أي غاب نفعهم عنهم، فلا يشفعون لهم، ولا ينصرونهم، وهذا في المحشر، وأما في النار فيجمعون معهم. قوله: ﴿من محيص﴾ أي فرار ومهرب من النار. قوله: [والنفي] أي وهو ﴿ما﴾ وقوله: [في الموضعين] أي وهما: ما منا، وما لهم. [معلق عن العمل] التعليق إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والعامل المعلق هو آذن وظن. قوله: [وجملة النفي] أي في الموضعين. قوله: [سدت مسد المفعولين] أي الأول والثاني لظنوا، والثالث لآذنا، فإنه يتعدى لثلاثة، كأعلم وأرى؛ والمفعول الأول الكاف.

قوله: ﴿لا يسأم الإنسان﴾ المراد به جنس الكافر كما يأتي في المفسر. قوله: ﴿من دعاء الخير﴾ المصدر مضاف لمفعوله. قوله: [وغيرهما] أي كالولد ونحوه من خير الدنيا. قوله: ﴿فيؤوس قنوط﴾ خبران لمبتدأ محذوف، أي فهو قبل اليأس والقنوط مترادفان، وجمع بينهما للتأكيد، وقيل: اليأس قطع الرجاء من رحمة الله، والقنوط إظهار اثاره على ظاهر البدن، ويطلق اليأس على العلم كما في قوله تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ ويئس من باب فهم، وقنط من باب جلس ودخل وطرب. قوله: [وما بعده] أي وهو قوله: ﴿ولئن أذقناه﴾ إلى قوله: ﴿للحسنى﴾ وأما قوله: ﴿فلننبئن﴾ الخ، تصريح في الكافرين لا يحتاج للتنبيه عليه. قوله: ﴿ليقولن هذا لي﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، لسد جواب القسم مسده، للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

قوله: [أي بعملي] أي بما لي من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير. قوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أي تقوم. قوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾ أي كما تقول الرسل على فرض صدقهم، وقد أكدت هذه الجملة بأمور زيادة في التعنت منها: القسم وإنّ، وتقديم الظرف والجار والمجرور. قوله: ﴿فلننبئن الذين كفروا﴾ جواب لقول الكافر ﴿ولئن رجعت﴾ الخ. قوله: [الجنس] أي من حيث هو مسلماً أو كافراً، ولكنه مشكل بالنسبة للكافر، فإنه تقدم عند مس

عِطْفه متبختراً وفي قراءة بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾: أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ ٥٢: عن الحق أوقع هذا موقع منكم بياناً لحالهم ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ﴾: أقطار السماوات والأرض من النيرات والنبات والأشجار ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾: من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾: أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ﴾: المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾: فاعل يكف ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥٣: بدل منه أي أولم يكفهم في صدقك إن ربك لا يغيب عنه شيء ما ﴿أَلَا

الشر كان يؤوساً قنوطاً، وهنا أفاد أنه ذو دعاء عريض، فيقتضي أنه راج، فحصل بين الآيتين التناقض. وأجيب: بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون آخرين أو على الكل، لكن الأوقات مختلفة، فبعض الأوقات يكونون آيسين، وبعض الأوقات يكونون راجين.

قوله: ﴿وناء بجانبه﴾ بتقديم الألف على الهمزة بوزن قال، وقوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً وقوله: [بتقديم الهمزة] أي على الألف بوزن رمى، والنون مقدمة على كليهما. قوله: ﴿فذو دعاء عريض﴾ أي فهو ذو دعاء. قوله: [كثير] أشار بذلك إلى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال: أطال فلان الكلام، وأعرض في الدعاء إذا أكثر. قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ رأى في الأصل علمية أو بصرية، أطلق العلم أو الإبصار، وأريد ما ينشأ عنه وهو الخبر، ثم أطلق الاستفهام عن العلم أو الأبصار، وأريد منه طلب الأخبار ففيه مجازان. قوله: [كما قال النبي] المناسب إسقاطه. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: [أوقع هذا] أي قوله: ﴿ممن هو في شقاق بعيد﴾.

قوله: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ الضمير عائد على كفار مكة، والمعنى: سنري كفار مكة دلائل قدرتنا حال كونها في الآفاق، جمع أفق كأعناق وعنق، ويقال أفق بفتحتين، كعلم وأعلام. قوله: [من النيرات] أي الشمس والقمر والنجوم، وقوله: [والأشجار والنبات] أي والرياح والأمطار والجبال والبحار، وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية.

قوله: ﴿وفي أنفسهم﴾ أي كخلقهم أولاً نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً، ثم بعد تمام مدتهم في البطون، يخرجهم إلى فضاء الدنيا ضعافاً، ثم يعطيهم القوة شيئاً فشيئاً وهكذا، واستشكل ظاهر الآية، بأن السين تدل على تخليص المضارع للاستقبال، مع أنهم مشاهدون هذه الآيات في الحال. أجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، والتقدير سنريهم عواقب آياتنا وأسرارها، ففيه وعد للمعتبر، ووعيد لغيره، لأن حكمة هذه الآيات، النظر والتأمل والاعتبار، فمن اعتبر بهذه الآيات فقد سعد، ومن تركه فقد شقي. قوله: [من لطيف الصنعة وبديع الحكمة] من ذلك ما خلقه وأبدعه في نفس الإنسان، كالأكل والشرب، يدخل من مكان واحد، ويتميز ذلك خارجاً من مكانين مختلفين، لا يختلط أحدهما بالآخر، والبصر فإنه ينظر به السماء من الأرض مسيرة خمسمائة عام، والسمع فإنه يفرق به بين الأصوات المختلفة، وغير ذلك، وهذا ما قرر به المفسر الآية. وهناك احتمالات أخر منها: أن المراد بالآيات ما أخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث الآتية، والمراد بالآفاق فتح القرى له ولخلفائه من بعده، الذي لم يتيسر مثله لأحد من خلفاء الأرض قبلهم، والمراد بأنفسهم فتح مكة وملكهم، وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده، ومنها: أن المراد بالآيات وقائع الأمم السابقة، والمراد بأنفسهم ما حصل لهم يوم بدر من القتل والأسر، ومنها غير ذلك.

قوله: ﴿أو لم يكف بربك﴾ الخ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أتحزن على

﴿إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: لإنكارهم البعث ﴿أَلَا إِنَّهُ﴾: تعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ ٥٤: علماً وقدرة فيجازيهم بكفرهم.

إنكارهم ومعارضتهم لك، ولم يكفك ربك؟ والاستفهام إنكاري، والباء زائدة في الفاعل، والمفعول محذوف تقديره يكفك، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر بدل من الفاعل بدل كل من كل، والمعنى: أتحزن على كفرهم، ولم يكفك شهادة ربك لك وعليهم؟ والمفسر قرر الآية بتقرير آخر، والمؤدى واحد، حيث جعل الآية إخباراً عن حالهم، وعليه فالمعنى: ألم يعتبروا؟ أو لم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق، وعليهم بالتكذيب؟ قوله: [لإنكارهم البعث] أي بألسنتهم، والمعنى: أن الدليل لنا على كونهم في شك من لقاء ربهم إنكارهم بألسنتهم للبعث، ولا يقال: إن عندهم جزماً في قلوبهم بعدم البعث؛ لأننا نقول: لا دليل لهم عليه، حتى يحصل الجزم بالأوهام، أو وساوس شيطانه، والحجة القطعية إنكارهي على البعث، وهكذا سائر عقائد الكفر فتدبر. قوله: ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ تسلية له ﷺ والمعنى: لا تحزن على كفرهم، فإن الله محيط بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ومن لازمه أنه يجازيهم، فلذلك قال المفسر: [فيجازيهم].

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤٢] - سُورَة الشورى

[مكية إلَّا ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ الآياتَ الأربع وهيَ ثلاث وخمسون آيَةً]

﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ﴾ ٢: الله أعلم بمراده به ﴿كَذٰلِكَ﴾: أي مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَ﴾: أوْحَى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿الْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٣ في صنعه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الشورى مكية

إلا ﴿قل لا أسألكم﴾ الآيات الأربع. وهي ثلاث وخمسون آية

بالتعريف، وتسمى أيضاً سورة شورى من غير تعريف، وسورة حم عسق، وسورة عسق، وسورة حم سق. قوله: [إلا ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾] الخ، وقيل: أول المدني ﴿ذلك الذي يبشر الله عباده﴾ وينتهي إلى ﴿عليم بذات الصدور﴾ وقيل: فيها من المدني أيضاً قوله: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ إلى قوله: ﴿من سبيل﴾.

قوله: ﴿حم عسق﴾ أجمع القراء على أن ﴿حم﴾ مفصولة من ﴿عسق﴾ في الخط، وعلى أن ﴿كهيعص﴾ متصلة ببعضها، والحكمة في ذلك أن ﴿حم عسق﴾ فصلت لما قيل: إنهما اسمان للسورة، وأيضاً ليطابق سائر الحواميم.

قوله: [أي مثل ذلك الايحاء] أشار بذلك إلى أن الكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة، والمعنى يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ايحاء مثل ذلك الإيحاء في المعنى لما ورد عن ابن عباس: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحي إليه ﴿حم عسق﴾ ووجه المشابهة أن الوحي به في الكل يرجع لأمور ثلاثة: التوحيد، والنبوة، والبعث، فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب.

قوله: ﴿يوحي إليك﴾ جمهور القراء على أنه بالياء مبنياً للفاعل والله فاعله، وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول، ونائب الفاعل إما ضمير عائد على ﴿كذلك﴾ أو الجار والمجرور، وقوله: ﴿الله العزيز الحكيم﴾ فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من يوحيه؟ فقيل: يوحيه الله، نظير ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ وقرئ شذوذاً بالنون مبنياً للفاعل، ولفظ الجلالة بدل من الضمير في نوحي الواقع فاعلاً. قوله: ﴿و﴾ [أوحى] ﴿إلى الذين من قبلك﴾ أشار بذلك إلى أن يوحي مستعمل في حقيقته ومجازه، فهو مستعمل في المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن حينئذ، وفي الماضي بالنظر لما أنزل عليه بالفعل، وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين. قوله: [فاعل الأيحاء] أي على قراءة الجمهور، وأما على قراءة البناء للمفعول، فهو فاعل بفعل محذوف، وعلى قراءة النون، فهو بدل من ضمير نوحي.

﴿الأَرْضِ﴾: مِلكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾: على خلقه ﴿الْعَظِيمُ﴾ ٤: الكبير ﴿تَكَادُ﴾: بالتاء والياء ﴿السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾: بالنون، وفي قراءة: بالتاء والتشديد. ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾: أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: أي ملابسين للحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾: لأوليائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٥: بهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾: أي الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ﴾: محصٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: ليجازيهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ٦: تحصّل المطلوب منهم ما عليك إلا البلاغ ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ﴾: تخوّف ﴿أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي

قوله: ﴿وهو العلي﴾ [على خلقه] أي المنزه عن صفات خلقه. قوله: ﴿العظيم﴾ أي المنفرد بالكبرياء والعظمة.

قوله: [بالنون] الخ، ظاهره أن القراءات أربع، من ضرب اثنتين في اثنتين، وليس كذلك، بل هي ثلاثة فقط سبعيات، لأن من قرأ ﴿تكاد﴾ بالتاء الفوقية، يجوز في ﴿يتفطرن﴾ الوجهين، ومن قرأ [يكاد] بالياء التحتية لا يقرأ يتفطرن إلا بالتاء مع التشديد. قوله: [أي تنشق كل واحدة] أي تسقط السابعة فوق السادسة، والسادسة فوق الخامسة، وهكذا، إلى أن يسقط الجميع فوق الأرض ﴿فتنشق الأرض وتخر الجبال هداً﴾ والتقييد بالفوقية أبلغ، في مزيد الهيبة والجلال. قوله: [فوق التي تليها] أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿فوقهن﴾ عائد على ﴿السموات﴾ ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين، أو على الأرضين لتقدم ذكر الأرض. قوله: [من عظمة تعالى] أي فالسموات تكاد تنشق وتخر، خوفاً من الجلال الناشيء عن قولهم ﴿اتخذ الله ولداً﴾ يدل على ذلك ما تقدم في سورة مريم.

قوله: ﴿والملائكة يسبحون﴾ الخ، هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بني آدم. قوله: [من المؤمنين] أي والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله، بدليل ما تقدم في غافر، فحمل المطلق على المقيد، وقيل: المراد مطلق الملائكة وبمن في الأرض العموم، فيشمل جميع الحيوانات، والمراد بالاستغفار طلب الأرزاق ودفع البلاء، وكل صحيح، ولذلك قال بعض العارفين: أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، وأغش عباد الله لعباد الله الشياطين.

قوله: ﴿ألا إن الله﴾ الخ ﴿ألا﴾ أداة استفتاح يؤتى بها لتأكيد ما بعدها، وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة، وأكد بألا الاستفتاحية، و﴿إن﴾ والجملة الإسمية تفضلاً منه وإحساناً، للإشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه.

قوله: [أي الأصنام] تفسير للمفعول الأول فهو محذوف، والثاني هو قوله: ﴿أولياء﴾ والمعنى: والذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة قائلين ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ يدل عليه الآية الأخرى، وأما الأولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم، وتولاهم بمحبته ومعرفته، فمحبتهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله، وليست محبتنا لهم، وتوسلنا بهم شركاً، إلا إذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلاً، واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم في نفع أو ضر، خلافاً للخوارج الضالين المضلين، حيث زعموا أن كل من توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك. قوله: ﴿الله حفيظ﴾ أي ضابط لهم ولأعمالهم، فلا يغيب عنه شيء منها، ولا يفلتون منه، فهذه الآية توبيخ للكفار، وتسلية له ﷺ.

قوله: ﴿وكذلك﴾ يصح أن يكون مفعولاً مطلقاً لأوحينا، و﴿قرآناً﴾ مفعول به، والتقدير: وأوحينا إليك قرآناً عربياً إيحاء كذلك، واسم الإشارة عائد على الإيحاء المتقدم في قوله ﴿كذلك يوحي إليك﴾ الخ، ويصح أن يكون مفعولاً به، و﴿قرآناً﴾ حال، والتقدير: وأوحينا إليك مثل ذلك الإيحاء، حال كونه قرآناً عربياً. قوله: ﴿أم القرى﴾ سميت بذلك لأنها أول بلد خلقها الله وشرفها، ولذا بعث لها أصل الخلق وأشرفهم، وهو سيدنا محمد ﷺ. قوله: ﴿ومن حولها﴾ أي من كل جهة، فهو مبعوث لسائر أهل الأرض، بل وأهل السماء، وإنما اقتصر على الانذار، وإن كان مبعوثاً بالبشارة أيضاً، لأنه في ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى، لأن الخلق في ذلك الوقت كفار.

أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾: الناس ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾: أي يوم القيامة تجمع فيه الخلائق ﴿لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾: منهم ﴿فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ ٧: النار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أي على دين واحد وهو الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٨: يدفع عنهم العذاب ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾: أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة للإنكار أي ليس المتخذون أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾: أي الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٩ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾: مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾: من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾: مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ١٠: أرجع ﴿فَاطِرُ

قوله: ﴿يوم الجمع﴾ هو المفعول الثاني، والأول محذوف قدره المفسر بقوله: [الناس] عكس الفعل الأول، فإنه قد ذكر المفعول الأول، وحذف الثاني تقديره العذاب، ففي الآية احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ حال من ﴿يوم الجمع﴾ قوله: ﴿فريق﴾ إما مبتدأ في كل خبره الجار والمجرور بعده، والمسوغ للابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وهو الأولى، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم. قوله: ﴿في الجنة﴾ المراد بها دار الثواب، فتعم جميع الجنان، وقوله: ﴿وفريق في السعير﴾ المراد به دار العذاب بجميع طبقاتها، فالجنة لمن لم يتصف بالكفر من الثقلين إنساً وجناً، والنار لمن اتصف بالكفر من المكلفين إنساً وجناً.

قوله: ﴿لو شاء الله﴾ مفعول ﴿شاء﴾ محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة، والمعنى: أن الأمر كله لله، فلا يسأل عما يفعل لحكمة سبقت، بأن خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وخلق ناراً وخلق لها أهلاً. قوله: [وهو الاسلام] أي أو الكفر. قوله: ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ أي بفضله وإحسانه، وهم فريق الجنة. قوله: ﴿والظالمون﴾ أي وهم فريق النار، وهو مقابل قوله: ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ كان مقتضى الظاهر أن يقال: ويدخل من يشاء في غضبه، وعدل عنه إلى ما ذكر إشارة إلى دفع توهم، أن لهم شفيعاً ونصيراً في الآخرة، وأما دخولهم في الغضب فأمر معلوم لا يحتاج للنص عليه. قوله: [الكافرون] تفسير للظالمون، فالمراد بالظلم الكفر، وأما الظالمون بمعنى العاصين بغير الكفر، فلهم نصير يدفع عنهم العذاب، لما في الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». قوله: [التي للانتقال] أي من بيان المسبب لبيان السبب، فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب في دخولهم النار. قوله: [والهمزة للإنكار] هذا أحد أوجه في ﴿أم﴾ المنقطعة، وهو أنها تقدر ببل والهمزة، ويصح تقديرها ببل وحدها، أو الهمزة وحدها. قوله: [أي ليس المتخذون أولياء] أي فالنفي منصب على المفعول الثاني.

قوله: ﴿فالله هو الولي﴾ أي المعبود بحق المتولي أمور الخلق، والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق إلا الله تعالى، إن قلت: مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولي لا يتصف به المخلوق، ومقتضى آية ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أنه يتصف به المخلوق، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن معنى الولي هنا المعبود بحق، وذلك لا يتصف به غيره تعالى، وأما الولي في تلك الآية فمعناه المنهمك في طاعة الله تعالى، المتولي الله أموره، وتقدم ذلك. قوله: [والفاء لمجرد العطف] أي عطف ما بعدها على ما قبلها، ورد بذلك على الزمخشري القائل: إن الفاء واقعة في جواب الشرط مقدر، أي إن أرادوا ولياً بحق فالله هو الولي، قال أبو حيان: لا حاجة إلى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه.

قوله: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ ﴿ما﴾ مبتدأ شرطية أو موصولة، و﴿من شيء﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فحكمه إلى الله﴾ خبر المبتدإ. قوله: [وغيره] أي كأمور الدنيا. قوله: [يفصل بينكم] أي فيدخل المحق الجنة والمبطل النار. قوله:

﴿السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: حيث خلق حوّاء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾: ذكوراً وإناثاً ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾: بالمعجمة يخلقكم ﴿فِيهِ﴾: في الجعل المذكور أي يكثركم بسببه بالتوالد والضمير للأناسي والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ ١١: لما يفعل ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾: امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٢ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾: هو أول أنبياء الشريعة ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

﴿ذلكم﴾ اسم الإشارة مبتدأ، أخبر عنه بأخبار، أولها لفظ الجلالة، وآخرها ﴿شرع لكم من الدين﴾. قوله: ﴿عليه توكلت﴾ أي فوضت أموري. قوله: [مبدعهما] أي على غير مثال سابق.

قوله: ﴿جعل لكم من أنفسكم﴾ أي من جنسكم. قوله: ﴿أزواجاً﴾ أي نساء. قوله: [حيث خلق حوّاء من ضلع آدم] أي اليسرى وهو نائم، فلما استيقظ ورآها، سكن ومال إليها، ومدّ يده إليها، فقالت الملائكة: مه يا آدم، قال: لم وقد خلقها الله لي؟ فقالوا: حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: حتى تصلي على محمد ثلاث مرات، وفي رواية: لما رام آدم القرب منها، طلبت منه المهر، فقال: يا ربّ وماذا أعطيها؟ فقال: يا آدم صلّ على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة، فلما فعل ما أمر به، خطب الله له خطبة النكاح ثم قال: اشهدوا يا ملائكتي وحملة عرشي، أني زوجت أمتي حواء من عبدي آدم، والضلع بوزن عنب وجمل، فالضاد مكسورة، واللام إما مفتوحة أو ساكنة وفعله ضلع من باب تعب اعوج، ومن باب نفع مال عن الحق.

قوله: ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ أي أصنافاً. قوله: [أي يكثركم بسببه] أشار بذلك إلى أن في السببية، والضمير في ﴿فيه﴾ عائد على [الجعل] المأخوذ من جعل. قوله: [والضمير للأناسي] أي وهو الكاف في ﴿يذرؤكم﴾. قوله: [بالتغليب] جواب عما يقال: كيف جمع بين العاقل وغيره في ضمير واحد؟ فكان مقتضى الظاهر أن يقال: يذرؤكم ويذرؤها. قوله: [الكاف زائدة] أي للتأكيد، وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقدر، وهو أن ظاهر الآية يوهم ثبوت المثل له تعالى وهو محال، لأنه يصير التقدير: ليس مثل مثله شيء، فنفى المماثلة عن مثله، فثبت أن له مثلاً، ولا مثل له، وأيضاً يلزم عليه التناقض، لأنه إذا كان له مثل، فلمثله مثل، وهو هو، مع أن إثبات المثل له تعالى محال، فأجاب المفسر بأن الكاف زائدة، والتقدير: ليس مثله شيء، وهذا الجواب أسهل الأجوبة في هذا المقام. وأجيب أيضاً: بأن مثل زائدة، ورد بأن زيادة الأسماء غير جائزة أيضاً، يلزم عليه دخول الكاف على الضمير، وهو لا يجوز إلا في الشعر. وأجيب أيضاً: بأن المثل بمعنى الصفة، وحينئذ فالتقدير ليس مثل صفته شيء. وأجيب أيضاً: بأن الكاف أصلية، والكلام من قبيل الكناية كقولهم: مثلك لا يبخل، وليس لأخي زيد أخ، ففي المماثلة عن المثل مبالغة في نفيها عنه، لأن العرب تقيم المثل مقام النفس.

قوله: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ جمع مقلاد، أو مقليد، أو إقليد. قوله: [من المطر] الخ بيان للخزائن، وقوله: [وغيرهما] أي كالجواهر المستخرجة من الأرض. قوله: ﴿إنه بكل شيء عليم﴾ تعليل لما قبله. قوله: ﴿شرع لكم﴾ الخطاب لأمة محمد ﷺ، والمعنى: بيّن لكم وجعل لكم ديناً قوياً واضحاً، تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من قبل، وهو تفصيل لما أجمل أولاً في قوله: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾.

قوله: ﴿ما وصى به نوحاً﴾ الخ خص هؤلاء بالذكر، لأنهم أكابر الأنبياء، وأولي العزم، وأصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة، فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد، وأما من عداهم من الرسل، إنما كان يبعث

وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾: هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَبُرَ﴾: عظم ﴿عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: من التوحيد ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾: إلى التوحيد ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ١٣: يقبل إلى طاعته ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾: أي أهل الأديان في الدين بأن وحد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: بالتوحيد ﴿بَغْيًا﴾: من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بتأخير الجزاء ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ

بتبليغ شرع من قبله، فمن بين نوح وإبراهيم، وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح، ومن بين إبراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم، وكذا من بين موسى وعيسى، بعثوا بتبليغ شرع موسى، وإنما يذكر من قبلهم لأنه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة، لأن آدم كان شرعه التوحيد ومصالح المعاش، واستمر ذلك الأمر إلى نوح، فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب والديانات، ولم يزل ذلك الأمر يتأكد بالرسل، ويتناصر بالأنبياء، واحداً بعد واحد، وشريعة إثر شريعة، حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا، على لسان أكرم الرسل نبينا ﷺ، فتبين بهذا أن شرعنا معشر الأمة المحمدية، قد جمع جميع الشرائع المتقدمة. قوله: [هو أول أنبياء الشريعة] أي فهذا حكمة بدئه بنوح، وأيضاً لتقدمه في الزمان.

قوله: ﴿والذي أوحينا إليك﴾ أتى بالاسم الموصول الذي هو أصل الموصولات، وعبر في جانبه ﷺ بالإيحاء، تعظيماً لشأنه، ورداً على المشركين المنكرين بعثته ﷺ حيث قالوا: لست مرسلاً. قوله: ﴿أن أقيموا الدين﴾ الأوضح أن ﴿أن﴾ تفسيرية بمعنى أي، ويصح أن تكون مصدرية، إما في محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو إقامة الدين، أو في محل نصب بدل من مفعول ﴿شرع﴾ والمراد بإقامة الدين، تعديل أركانه وحفظه والمواظبة عليه. قوله: [وهو التوحيد] بيان للمراد من الدين الذي اشترك فيه هؤلاء الرسل، وأما قوله: ﴿والذي أوحينا إليك﴾ فهو أعم من ذلك، فإن المراد به جميع الشريعة أصولاً وفروعاً، وإنما اقتصر على التوحيد، لأنه رأس الدين وأساسه.

قوله: ﴿كبر على المشركين﴾ أي شق عليهم. قوله: [من التوحيد] اقتصر عليه لأنه عماد الدين، وإلا فما يدعوهم إليه عام، يشمل جميع الأصول والفروع. قوله: ﴿الله يجتبي إليه﴾ من الاجتباء وهو اصطفاء الله العبد وتوفيقه لما يرضاه، وتخصيصه بالفيوضات الربانية. قوله: ﴿من ينيب﴾ ضمنه معنى يقبل أو يميل، فعداه بإلى. قوله: ﴿وما تفرقوا﴾ الضمير عائد على أهل الأديان المتقدمين، من أول الزمان إلى آخره، كما قال المفسر، والمراد بأهل الأديان أمم الأنبياء المتقدمين، كأمة نوح، وأمة هود، وأمة صالح وغيرهم، وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره، ففي رواية عنه أن المراد بهم قريش، والمراد بالعلم محمد، دليله قوله تعالى ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً﴾ وفي رواية عنه: أن المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ وفي رواية غيره، أن المراد أمم الأنبياء المتقدمين. قوله: ﴿العلم﴾ [والتوحيد] أي بأن قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم.

قوله: ﴿بغياً﴾ مفعول لأجله، أي تفرقوا من أجل حصول البغي بينهم الذي هو الحسد والعناد في الكفر. قوله: [بتأخير الجزاء] أي إلى يوم القيامة، وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقي ولا سعيد. إن قلت: إن كفار الأمم الماضية قد نزل بهم أنواع من العذاب كالصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك. أجيب: بأنه ليس بجزاء، بل هو علامة الجزاء والخزي. قوله: ﴿أورثوا﴾ فعل مبني للمفعول والفاعل الله تعالى. قوله: [وهم اليهود والنصارى] تفسير للذين أورثوا الكتاب، وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل، والضمير في ﴿بعدهم﴾ عائد على أصولهم المتفرقين في الحق،

مِن بَعْدِهِمْ﴾: وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾ ١٤: موقع في الريبة ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾: التوحيد ﴿فَادْعُ﴾: يا محمد الناس ﴿وَاسْتَقِمْ﴾: عليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: في تركه ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾: أي بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمُ﴾: في الحكم ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾: فكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾: خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ١٥: المرجع ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي﴾: دين ﴿اللَّهِ﴾: نبيه ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾: بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ١٦ ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلق بأنزل ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾:

وقيل: معنى ﴿من بعدهم﴾ من قبلهم، ويكون الضمير حينئذ عائداً على مشركي مكة، وقيل: المراد بالذين أورثوا الكتاب مشركي العرب، والمراد بالكتاب القرآن، والضمير في ﴿من بعدهم﴾ عائد على اليهود والنصارى. قوله: ﴿لفي شك﴾ المراد به هنا مطلق التردد والتحير. قوله: [موقع في الريبة] أي الشبهات والضلالات.

قوله: ﴿فلذلك﴾ الجار والمجرور متعلق بادع، والتقدير: فادع الناس لذلك التوحيد الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿شرع لكم من الدين﴾. قوله: ﴿واستقم﴾ الاستقامة لزوم المنهج القويم. قوله: ﴿كما أمرت﴾ أي من تقوى الله حق تقاته، وعبادته حق العبادة، ومن هنا شاب رسول الله ﷺ وقال: شيبتني هود وأخواتها، فسبب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به، ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ وقوله: ﴿كما أمرت﴾ الكاف بمعنى مثل، والمعنى استقم استقامة مثل الذي أمرت به، أي موافقة له.

قوله: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ أي حيث قالوا: اعبد آلهتنا سنة، ونحن نعبد إلهك سنة. قوله: ﴿من كتاب﴾ بيان لما، والمعنى آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه﴾ الخ. قوله: [أي بأن أعدل] أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء، وأن المصدرية مقدرة، والفعل منصوب بها. قوله: [فكل يجازى بعمله] أي من خير وشر. قوله: [هذا قبل أن يؤمر بالجهاد] أشار بذلك إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الآية، وقيل: ليست منسوخة، بل المراد من الآية أن الحق قد ظهر، والحجج قامت، فلم يبق إلا العناد، وبعد العناد لا حجة ولا جدال. قوله: ﴿وإليه المصير﴾ أي فيجازي كل أحد بعمله من خير وشر.

قوله: ﴿والذين يحاجون في الله﴾ الكلام على حذف مضاف، والمفعول محذوف كما أشار لذلك المفسر. قوله: ﴿من بعد ما استجب له﴾ أي من بعد دخول الناس في دينه، وأجابوا دعوته، فالسين والتاء زائدتان. قوله: [وهم اليهود] تفسير للموصول. قوله: ﴿داحضة﴾ من الادحاض وهو الإزلاق، يقال: دحضت رجله أي زلقت، والمراد هنا الإبطال. قوله: ﴿ولهم عذاب شديد﴾ أي في الآخرة. قوله: [متعلق بأنزل] أي والباء للملابسة. قوله: ﴿والميزان﴾ [العدل] أي وسمي العدل ميزاناً لأن الميزان يحصل به الإنصاف والعدل، فهو من تسمية المسبب باسم السبب، وإنزاله الأمر

---

* أسباب نزول الآية ١٦: أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل الناس في دين الله أفواجاً فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا؟ فنزلت: ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له﴾ الآية. وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله ﴿والذين يحاجون﴾ الآية، قال: هم اليهود والنصارى قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم.

يعلّمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: أي إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ ١٧: ولعل معلّق للفعل عن العمل أو ما بعده سد مسد المفعولين ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: يقولون متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾: خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَا إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: يجادلون ﴿فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ١٨ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: برّهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾: من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾: على مراده ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ ١٩: الغالب على أمره ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾: بعمله ﴿حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾: أي كسبها وهو الثواب ﴿نَزِدْ لَهُ

به، وقيل: المراد بالميزان نفسه الذي يوزن به، والمراد بإنزاله إنزال الإلهام بعمله والأمر بالوزن به، وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله.

قوله: ﴿وما يدريك﴾ استفهام إنكاري، والمعنى: لا سبب يوصلك للعلم بقربها، إلا الوحي الذي ينزل عليك.

قوله: [أي إتيانها] ﴿قريب﴾ قدر المضاف ليصح الإخبار بالمذكر عن المؤنث. قوله: [ولعل معلق للفعل عن العمل] التعليق إبطال العمل لفظاً، لا محلاً، بسبب توسط أداة لها صدر الكلام. قوله: [أو ما بعده سد مسد المفعولين] أي الثاني والثالث، وأما الأول فهو الكاف، ويتعين جعل [أو] بمعنى الواو. قوله: ﴿الذين لا يؤمنون بها﴾ أي فلا يشفقون منها، وقوله ﴿الذين آمنوا مشفقون منها﴾ أي فلا يستعجلون بها، ففي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿أنها الحق﴾ أي كائنة وحاصلة لا محالة. قوله: ﴿في الساعة﴾ أي في إتيانها. قوله: ﴿لفي ضلال بعيد﴾ أي عن الاهتداء.

قوله: ﴿الله لطيف بعباده﴾ أي حفي بهم، وقيل: بار بهم، وقيل: رفيق بهم، وقيل: معناه لطيف بهم في العرض والمحاسبة، وقيل: يلطف بهم في الرزق من وجهين: أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره، وقيل: اللطيف من إذا لجأ إليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه، وفي الحديث: «إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس، فيقول الله عز وجل: انمحقت آثارهم، واضمحلت صورهم، وبقي عليهم العذاب، وأنا اللطيف، وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم»، وقيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب، ويستر عليهم المثالب، ومنه حديث: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح»، وقيل: هو الذي يقبل القليل، ويبذل الجزيل، وقيل: هو الذي يجبر الكسير ويسر العسير، وقيل: هو الذي لا يخاف إلا عدله، ولا يرجى إلا فضله، وقيل: هو الذي يعين على الخدمة، ويكثر المدحة، وقيل: هو الذي لا يعاجل من عصاه، ولا يخيب من رجاه، وقيل: هو الذي لا يرد سائله، ولا يؤيس آمله، وقيل: هو الذي يعفو عمن يهفو، وقيل: هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه، وقيل: هو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجاً، وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجاً، وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجاً، وبالجملة فهذا الاسم جامع لمعاني الأسماء الجمالية، فينبغي للعاقل الإكثار من ذكره، سيما إذا قصد بذكره رضا ربه، فإن له السعادة دنيا وأخرى، ويكفي همومهما لما ورد: اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه. قوله: [من كل منهم] بيان لمن، والمعنى أن الذي يشاء رزقه هو كل منهم.

قوله: ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ الخ الحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض، ويطلق على الزرع الحاصل منه، ثم استعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها، على سبيل الاستعارة، حيث شبهت ثمرات الأعمال بالغلال الحاصلة من البذر، بجامع حصول الفعل والتعب في كل، فإن من أتعب نفسه أيام البذر، واشتغل بالحرث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد، فكذلك من أتعب نفسه في الدنيا، وعمل ابتغاء وجه ربه، فإنه يجد ثمرات أعماله في الآخرة، ومنها هنا حديث: «الدنيا مزرعة للآخرة»، وهذه الآية عامة، لبيان حال المخلص في عمله لوجه الله،

﴿فِي حَرْثِهِ﴾: بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: بلا تضعيف ما قسم له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ ٢٠ ﴿أَمْ﴾: بل ﴿لَهُمْ﴾: لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾: هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾: أي الشركاء ﴿لَهُم﴾: للكفار ﴿مِّنَ الدِّينِ﴾: الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾: كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾: أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢١: مؤلم ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾: يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾: أي الجزاء عليها ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: أنزهها بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ٢٢ ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ﴾: من البشارة مخففاً ومثقلا به ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

والذي يطلب بعمله أعراض الدنيا ذكراً أو أنثى، لأن ﴿مَنْ﴾ من صيغ العموم، وقوله: [بعمله] المراد به خدمته في الدنيا، صلاة أو صوماً أو غيرهما، كالسعي على العيال، وحينئذ فالمدار على النية الحسنة، إذ بها تصير العادات عبادات. قوله: [الحسنة] منصوب بالمصدر الذي هو التضعيف.

قوله: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا﴾ الخ، أي بعمله وخدمته، والمعنى: من صرف نيته للدنيا، وجعل عمله وخدمته لها، نعطيه ما قسم له منها، وبعد ذلك ليس له في الآخرة حظ ولا نصيب، فالذي ينبغي للشخص أن يسعى فيما يرضي ربه، ويقصد بعمله وجه خالقه وسيده، يحصل له غنى الدنيا والآخرة، ومن معنى هذه الآية حديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». وحديث: «أوحى الله إلى الدنيا: يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه». قوله: [ما قسم له] مفعول ﴿نؤته﴾.

قوله: ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾ أي حظ في النعيم، واعلم أن المقام فيه تفصيل، فإن تجرد عمله للدنيا، وقدم السعي فيها على الايمان، فهو مخلد في النار، وليس له في الآخرة نعيم أصلاً، وأما إن كان التفريط فيما عدا الايمان، كأن يرائي بعمله قصداً لطلب الدنيا، فهو مسلم عاص له نعيم في الآخرة غير كامل. قوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ قدرها المفسر ببل التي للانتقال من قصة إلى قصة، وقدرها غيره ببل، والهمزة التي للتوبيخ والتقريع، وهو متصل بقوله ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾. قوله: [شياطينهم] أي الذين شاركوكم في الكفر والعصيان.

قوله: ﴿شرعوا لهم﴾ إسناد الشرع إلى الشياطين مجاز من الاسناد للسبب، لأنها سبب إضلالهم. قوله: ﴿لقضي بينهم﴾ أي حكم بين الكفار والمؤمنين، بأن يعذب الكفار، ويثيب المؤمنين، ولكن حكم الله وقضى في سابق أزله، أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة. قوله: ﴿ترى الظالمين﴾ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية. قوله: ﴿مشفقين﴾ [حال] أي حال كونهم خائفين في ذلك اليوم، وهذا الخوف زيادة عذاب لهم، وأما المنجي فهو الخوف في الدنيا من عذاب الله. قوله: [أن يجازوا عليها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي من جزاء ما كسبوا. قوله: [لا محالة] أي أشفقوا أو لم يشفقوا.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ خبره ﴿في روضات الجنات﴾. قوله: [أنزهها بالنسبة إلى من دونهم] أي فروضة الجنة، أي أعلاها وأطيبها، وفيه إشارة إلى أن الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات في الجنة، غير أنهم ليسوا في الأعلى، ولا في الأطيب. قوله: ﴿عند ربهم﴾ ظرف ليشاؤون، والعندية مجازية. قوله: ﴿الفضل الكبير﴾ أي الذي لا يوصف،

الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أي على تبليغ الرسالة ﴿أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾: استثناء منقطع أي لكن

لأن الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر، فمن ذا الذي يستطيع أن يصفه من الحوادث. قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، و﴿الذي يبشر﴾ خبره، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله: [به] حذف الجار فاتصل الضمير، هذا على الصحيح من أنها اسم موصول، وأما على رأي يونس من أنها مصدرية، فلا تحتاج إلى عائد، والتقدير عنده ذلك تبشير الله عباده. قوله: [من البشارة] أي وهي الخبر السار. قوله: [مخففاً ومثقلاً] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ أي قل يا محمد لأمتك: لا أطلب منكم أجراً في نظير تبليغ الرسالة وتبشيري إياكم؛ ولا خصوصية له ﷺ بذلك، بل جميع الأنبياء لا يسألون الأجرة، لأن سؤال الأجرة على الأمور الأخروية نقص في حق غير الأنبياء فأولى الأنبياء. قوله: ﴿إلا المودة في القربى﴾ اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال، الأول عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان وسط النسب من قريش، ليس بطن من بطونهم إلا قد ولده، وكان له فيهم قرابة، فقال الله عز وجل ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ أي ما بيني وبينكم من القرابة، والمعنى: إن لم تتبعوني، فاحفظوا حق القربى، وصلوا رحمي، ولا تؤذوني، بعد نفعها عليكم لما في الحديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني» فثمرته عائدة عليهم لا على النبي ﷺ. الثاني عنه أيضاً: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، لم يكن في يده سعة، فقالت الأنصار: إن هذا الرجل هداكم، وهو ابن أختكم، وأجاركم في بلدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم، ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم، ونزلت الآية، وحينئذ فالخطاب للأنصار. الثالث عن الحسن: أن معناه إلا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة في التقرب إلى الله بطاعته وخدمته لا لغرض دنيوي، فالقربى على الأول القرابة بمعنى الرحم، وعلى الثاني بمعنى الأقارب، وعلى الثالث بمعنى القرب والتقرب، واعلم أن طلب الأجر على التبليغ لا يجوز لوجوه، الأول: تبري الأنبياء جميعاً منه. الثاني: أن التبليغ واجب، وطلب الاجرة على أداء الواجب لا يليق بأفراد الأمة فضلاً عن الأنبياء. الثالث: أن النبوة أمرها عظيم، والدنيا وإن عظمت حقيرة، لا تزن جناح بعوضة، ولا يليق طلب الخسيس في دفع الشريف، وغير ذلك، إن قلت: حيث كان الأمر كذلك، فما معنى الاستثناء في الآية؟ أجيب بجوابين، الأول: أن هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، على حد قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

فالمعنى: لا أطلب إلا هذا، وهو في الحقيقة ليس بأجر، لأن المودة بين المسلمين واجبة، خصوصاً في حق أشرافهم، وحينئذ فيكون الاستثناء متصلاً بالنظر للظاهر. الثاني: أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر، وحينئذ فالكلام تم عند قوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ ثم قال: ﴿إلا المودة في القربى﴾ أي أذكركم قرابتي، والمراد بقرابته قيل: فاطمة وعلي وابناهما، وقيل: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، لما روي عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم ثقلين: كتاب الله، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» قيل لزيد بن أرقم: فمن أهل بيته؟ فقال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، وقيل: هم الذين تحرم عليهم الزكاة، وقيل: غير ذلك، فتحصل أن الخطاب على القول الأول لقريش، وعلى الثاني للأنصار، والعبرة بعموم اللفظ، لأن رحم النبي رحم لكل مؤمن،

* أسباب نزول الآية ٢٣: وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: قالت الأنصار: لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالاً، فأنزل الله ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ فقال بعضهم: إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم، فأنزل الله ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً﴾ الى قوله ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ فعرض لهم التوبة، الى قوله ﴿ويزيدهم من فضله﴾.

أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضاً فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾: يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾: طاعة ﴿نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾: بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ ٢٣: للقليل فيضاعفه ﴿أَمْ﴾: بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾: يربط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾: الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾: يثبته ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾: المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٢٤: بما في القلوب ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾: منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾: المتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢٥: بالياء والتاء ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يجيبهم إلى ما يسألون ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ٢٦ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾: جميعهم ﴿لَبَغَوْا﴾: جميعهم أي طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾: بالتخفيف والتشديد من

لقوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ فمحبة أهل البيت فيها السعادة والسيادة دنيا وأخرى، والمرء يحشر مع من أحب. قوله: ﴿في القربى﴾ الظرفية مجازية. والمعنى إلا المودة العظيمة المحصورة في القربى، وإنما لم يعدها باللام، لئلا يتوهم زيادة اللام، فيكون الكلام خالياً من البلاغة، فالتعبير بفي للمبالغة، إشارة إلى أنهم جعلوا محلاً للمودة، وهم لها أهل. قوله: [فإن له في كل بطن] أي قبيلة. قوله: [من قريش] أي وهم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده ﷺ. قوله: ﴿حسنة﴾ فسرها ابن عباس بالمودة لآل محمد ﷺ. قوله: [بتضعيفها] أي من عشرة إلى سبعين إلى سبعمائة إلى غير ذلك. قوله: ﴿شكور﴾ [للقليل] أي يقبله ويثيب عليه. قوله: [وقد فعل] أي قد ختم على قلبه ﷺ بأن صبره على ما ذكر، فدل كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوع بوقوعها. قوله: ﴿ويمحو الله الباطل﴾ كلام مستأنف غير داخل في حيز الشرط، لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً. قوله: ﴿بكلماته﴾ أي القرآن. قوله: [بما في القلوب] أشار بذلك إلى أنه أطلق المحل وأراد الحال.

قوله: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، ولها شروط ثلاثة: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألا يعود إليها أبداً، فإن كانت المعصية بحق آدمي، فيزاد على هذه الثلاثة رابع، وهو استسماح صاحب الحق، ويكفي عند مالك براءة المجهول، فلا يشترط عنده أن يعين له ذلك الحق، فإذا تاب بالشروط، وقدر الله عليه الوقوع في الذنب مرة أخرى، فإنه يتوب، ولا يقنط من رحمة الله تعالى، ولا ترجع عليه ذنوبه التي تاب منها. قوله: [منهم] أشار بذلك إلى أن ﴿عن﴾ بمعنى من، والقبول بمعنى الأخذ. قوله: [المتاب منها] أي ويصح أن المراد ولو لم يتب، فمن صفاته تعالى أنه يقبل توبة التائب، ويعفو عن سيئات من لم يتب، إذ لا يسأل عما يفعل. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [يجيبهم إلى ما يسألون] أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان، والموصول مفعول به، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. قوله: ﴿لبغوا﴾ [جميعهم] دفع بذلك ما يقال: إن البغي حاصل بالفعل فكيف يصح انتفاؤه؟ فأجاب: بأن اللازم المنتفي هو بغي جميعهم، والملزوم بسط الرزق للجميع، وإلا فبغي البعض، وبسط الرزق للبعض، حاصل في كل زمن. قوله: [أي طغوا] ﴿في الأرض﴾ أي لأن الله تعالى لو سوى في الرزق بين جميع عباده، لامتنع كون البعض محتاجاً للبعض، وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه، فأفعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح، وإن لم يجب على الله فعلها، فقد يعلم

---

* أسباب نزول الآيه ٢٧: واخرج الحاكم وصححه عن علي قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا الدنيا، وأخرج الطبراني عن عمرو بن حريث مثله.

الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾: فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ٢٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: المطر ﴿مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: يبسط مطره ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾: المحسن للمؤمنين ﴿الْحَمِيدُ﴾ ٢٨: المحمود عندهم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ﴾: خلق ﴿مَا بَثَّ﴾: فرق ونشر ﴿فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾: هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾: للحشر ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٢٩: في الضمير تغليب العاقل على غيره ﴿وَمَا أَصَابَكُم﴾: خطاب للمؤمنين ﴿مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: بلية وشدة

من حال عبد، أنه لو بسط عليه الرزق، قاده ذلك إلى الفساد، فيزوي عنه الدنيا مصلحة له، ففي حديث أنس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «إن من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة، وإني عليم أني لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده الفقر، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده الغنى، وإني لأدبر عبادي لعلمي بقلوبهم، فإني عليم خبير» ثم قال أنس: اللهم إني من عبادك المؤمنين الذي لا يصلحهم إلا الغنى، فلا تفقرني برحمتك. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [فيبسطها لبعض دون بعض] أي ويبسطها للبعض أحياناً، ويضيقها عليه أحياناً، فلا يسأل عما يفعل. قوله: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ تعليل لما قبله. والمعنى عليم بالبواطن والظواهر.

قوله: ﴿وهو الذي ينزل﴾ بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿من بعد ما قنطوا﴾ العامة على فتح النون، وقرىء شذوذاً بكسر النون، ومضارعها بفتح النون، وبه قرىء في المتواتر، فتحصل أنه في المضارع قرىء بالوجهين قراءة سبعية، وفي الماضي لم يقرأ في السبع إلا بالفتح، والكسر قراءة شاذة، وإن كان لغة فيه. قوله: [يبسط مطره] أشار بذلك إلى أن المطر سمي باسمين: الغيث لأنه يغيث من الشدائد، والرحمة لأنه رحمة وإحسان للخلق، ويصح أن يراد بالرحمة البركات؛ أي بركات الغيث، ومنافعه في كل شيء، من السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ما قبله، من عطف المسبب على السبب. قوله: [المحمود عندهم] أي وعند جميع المخلوقات، وإنما خص المؤمنين تشريفاً لهم.

قوله: ﴿ومن آياته﴾ أي دلائل قدرته وعجائب وحدانيته. قوله: ﴿خلق السماوات والأرض﴾ أي فإنهما بذاتهما وصفاتهما، يدلان على اتصاف خالقهما بالكمالات، قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها﴾ الآية. قوله: ﴿و﴾ [خلق] ﴿ما بث﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وما بث﴾ معطوف على ﴿السموات﴾ مسلط عليه ﴿خلق﴾ ويصح أن يكون في محل رفع عطف على ﴿خلق﴾. قوله: [هي ما يدب على الأرض] أشار بذلك إلى أن المراد في أحدهما، فهو من اطلاق المثنى على المفرد، كما في قوله تعالى ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح، وهذا أسلم وأحسن مما قيل: إن الآية باقية على ظاهرها، ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات في السماوات يمشون فيها كمشي الأناسي على الأرض، لأن ذلك بعيد من الأفهام، لكونه على خلاف العرف العام.

قوله: ﴿إذا يشاء﴾ متعلق بجمعهم، و﴿قدير﴾ خبر الضمير، و﴿على جمعهم﴾ متعلق بقدير، والمعنى: وهو قدير على جمعهم في أي وقت شاء، وهو معنى قوله تعالى ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ فمتى أراد الله شيئاً أبرزه بقدرته. قوله: [في الضمير] أي وهو قوله: ﴿على جمعهم﴾ ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها. قوله: [خطاب المؤمنين] أي وأما مصائب الكفار في الدنيا، فتعجيل لبعض العقاب لهم. قوله: ﴿من مصيبة﴾ بيان

﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي كسبتم من الذنوب وعبّر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ٣٠: منها فلا يجازي عليها وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة ﴿وَمَا أَنتُمْ﴾: يا مشركين ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: الله هرباً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: فتفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٣١ يدفع عذابه عنكم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾: السفن ﴿فِي الْبَحْرِ

لما، قوله: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ جواب الشرط إن جعلت ما شرطية، أو خبر المبتدأ إن جعلت موصولة، وقرنت بالفاء لما في المبتدأ على معنى الشرط، وهذا على ثبوت الفاء، وأما على حد قراءة حذفها، فالأولى جعلها خبراً وما موصولة، وجعلها شرطية يلزم عليه حذف الفاء في جوابه وهو شاذ، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ويعفو عن كثير﴾ من تتمة قوله: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ والمعنى: أن الذنوب قسمان، قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب، وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها، وما يعفو عنه أكثر. قال علي بن أبي طالب: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير، فأي شيء يبقى بعد كفارته وعفوه؟ وقد روي هذا المعنى مرفوعاً عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي ﷺ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ الآية؟ «يا علي، ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فبما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا، فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه». وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «ما من اختلاف عرق، ولا خدش عود، ولا نكبة حجر، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر». وقال الحسن: دخلنا على عمران بن حصين، فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل، فوالله إني لأحب الوجع، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فهذا مما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقي أكثر. وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها، إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها، أو لينال درجة لم يكن ليوصله إليها إلا بها. وروي أن رجلاً قال لموسى: يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها، ففعل موسى، فلما ترك إذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله، فقال موسى: يا رب ما بال هذا؟ فقال الله تعالى: يا موسى إنه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله، فأصبته بما ترى لأجعله وسيلة له في نيل تلك الدرجة. قوله: [وهو تعالى أكرم] الخ، متعلق بقوله: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ فكان المناسب تقديمه بلصقه. قوله: [من أن يثني الجزاء في الآخرة] أي من أن يعيد الجزاء بالعقوبة في الآخرة لأن الكريم لا يعاقب مرتين. قوله: [وأما غير المذنبين] أي كالانبياء والاطفال والمجانين. قوله: [لرفع درجاتهم] وقيل في الأطفال: إن مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم، وفي الحقيقة رفع درجات لهم، وتكفير لآبائهم. قوله: [يا مشركين] كذا في النسخ التي بأيدينا، والصواب يا مشركون، لأن المنادى يبنى على ما يرفع به، وهو يرفع بالواو. قوله: ﴿بمعجزين﴾ [الله] أي فارين من عذابه.

قوله: ﴿ومن آياته﴾ أي أدلة توحيده وعجائب قدرته. قوله: ﴿الجوار﴾ بحذف الياء خطأ لأنها من ياءات الزوائد، وإثباتها في اللفظ وصلاً ووقفاً، وحذفها كذلك أربع قراءات سبعيات. قوله: [السفن] استشكل بأن ظاهر الآية يوهم حذف الموصوف وإبقاء صفته، مع أن الجري ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو [السفن] وحينئذ فلا يجوز حذفه لعدم علمه. قال ابن مالك:

وما من المنعوت والنعت عقل ... يجوز حذفه وفي النعت يقل

كَالْأَعْلَامِ﴾٣٢: كالجبال في العظم ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾: يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾: ثوابت لا تجري ﴿عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾٣٣: هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء. ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾: عطف على يُسكن أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي أهلهن من الذنوب. ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾٣٤ منها فلا يغرق أهله ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالرفع مستأنف، وبالنصب معطوف على تعليل مقدر: أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾٣٥: مهرب من العذاب وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم والنفي معلق عن العمل ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾٣٦: ويعطف عليه ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾: موجبات الحدود من عطف البعض على

أجيب: بأن محل الامتناع إذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد، بأن تغلب عليها الإسمية، كالأبطح والأبرق والأجرع، والإجاز حذف الموصوف، ولذلك فسر ﴿الجوار﴾ بالسفن، ولم يقل أي السفن الجارية. قوله: ﴿فيظللن﴾ بفتح اللام وفي قراءة العامة، من ظلِل بكسرها كعلم، وقرئ شذوذاً فيظللن بكسر اللام من ظلّ بفتحها كضرب. قوله: [أي يصرن] أشار بذلك إلى أن المراد من ظل الصيرورة في ليل أو نهار، وليس المراد معناها، وهو اتصاف المخبر عنه بالخبر نهاراً. قوله: ﴿رواكد﴾ جمع راكد، يقال: ركد الماء ركوداً، من باب قعد سكن، ويوصف به الريح والسفينة وكل شيء سكن بعد تحركه. قوله: ﴿لكل صبار﴾ أي كثير الصبر على البلايا، عظيم الشكر على العطايا. قوله: [عطف على يسكن] أي فالمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن، أو يعصفها فيغرقن، ولا مفهوم له، بل قد يغرقهن الله بسبب آخر، كقلع لوح أو غير ذلك. قوله: [بعصف الريح بأهلهن] أي اشتدادها، وإنما قيد به وإن كانت أسباب الغرق كثيرة، نظراً للشأن والغالب. قوله: [أي أهلهن] تفسير للواو في ﴿كسبوا﴾ العائد على أهل السفن المعلوم من السياق.

قوله: ﴿ويعف عن كثير﴾ قرأ العامة بالجزم، عطفاً على جواب الشرط، واستشكل بأنه يلزم عليه دخول العفو في حيز المشيئة، مع أنه إخبار عن العفو، من غير شرط المشيئة، وأجيب: بأن الجزم من حيث الصورة الظاهرية، لا من حيث المعنى، وقرئ شذوذاً ويعفو بالرفع والنصب، أما قراءة الرفع فهي محتملة لوجهين: الأول الاستئناف، الثاني الجزم، وزيدت الواو للإشباع، كزيادتها في من يتقي ويصبر، وأما قراءة النصب فهي على إضمار أن بعد الواو، وقال ابن مالك:

والفعل من بعد الجزا إن يقترن ... بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذا نظير ما قيل في قوله تعالى ﴿فيغفر لمن يشاء﴾. قوله: [منها] أي الذنوب أو السفن. قوله: [بالرفع مستأنف] أي وهو يعلم، وقوله: [وبالنصب] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لينتقم منهم] أي بالغرق، وهو تعليل للإغراق. قوله: ﴿فما أوتيتم﴾ ما الشرطية مفعول ثان لأوتيتم، والأول ضمير المخاطبين به نائب الفاعل، و﴿من شيء﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ جملة من مبتدأ وخبر جواب الشرط. قوله: [من أثاث الدنيا] أي منافعها من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومركب وغير ذلك، واحدة أثاثة، وقيل: لا واحد له من لفظه. قوله: [ثم يزول] أخذ من قوله: ﴿متاع﴾ لأن المتاع هو ما يتمتع به تمتعاً ينقضي. قوله: ﴿للذين آمنوا﴾ أي اتصفوا بالإيمان وماتوا عليه.

قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي يعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه، ولا ضار ولا نافع سواه، والتوكل

الكل ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾٣٧: يتجاوزون ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾: أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾: الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾٣٨: في طاعة الله ومن ذكر صنف ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾:

بهذا المعنى شرط في صحة الإيمان، وأما إن أريد به تفويض الأمور إليه، والاعتماد عليه في جميع ما ينزل بالشخص، فليس شرطاً في صحته، بل هو وصف كامل الإيمان، وليس مراداً هنا؛ لأن ما عند الله من الثواب، يكون لعموم المؤمنين. قوله: [ويعطف عليه] أي على قوله: ﴿للذين آمنوا﴾. قوله: ﴿يجتنبون كبائر الإثم﴾ هي كل ما ورد فيها حد أو وعيد. قوله: [من عطف البعض على الكل] مراده عطف الخاص على العام؛ لأن من الكبائر ما فيه الوعيد، ولا حد فيه، كالغيبة والنميمة والعجب والرياء.

قوله: ﴿وإذا ما غضبوا﴾ الخ ﴿إذا﴾ ظرف منصوب بيغفرون مجرد عن معنى الشرط، و﴿ما﴾ صلة، و﴿هم﴾ مبتدأ، و﴿يغفرون﴾ خبره، والجملة معطوفة على الصلة، والتقدير: والذين يجتنبون وهم يغفرون، عطف جملة اسمية على فعلية، ويصح أن تكون ﴿إذا﴾ شرطية، و﴿ما﴾ صلة، و﴿غضبوا﴾ فعل الشرط و﴿هم﴾ تأكيد للواو، و﴿يغفرون﴾ جواب الشرط، وأما جعل ﴿هم يغفرون﴾ جملة من مبتدإ وخبر جواب الشرط فشاذ لخلوه من الفاء، ولا ينبغي حمل التنزيل عليه، والمعنى: أن مكارم الأخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب، ولكن يشترط أن يكون الحلم، غير مخل بالمروءة ولا واجباً، وإلا فالغضب مطلوب، كما إذا انتهكت حرمات الله، فالواجب الغضب لا الحلم، وعليه قول الإمام الشافعي: من استغضب ولم يغضب فهو حمار، وقال الشاعر:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وبالجملة فكل مقام له مقال. قوله: ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ معطوف على الموصول المتقدم، وهذه الآية نزلت في الأنصار، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان فاستجابوا له، ونقب عليهم اثني عشر نقيباً قبل الهجرة. قوله: [أجابوه إلى ما دعاهم] الخ أي على لسان رسول الله ﷺ، وأشار المفسر إلى أن السين والتاء زائدتان. قوله: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي أدوها بشروطها وآدابها.

قوله: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ والشورى مصدر شاورته أي شاركته في الرأي كالبشرى، وكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إذا أرادوا أمراً، تشاوروا فيه ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به وأمر ﷺ بذلك، قال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ تأليفاً لقلوب أصحابه، وذلك في الأمور الاجتهادية، كالحروب ونحوها، ولم يكن يشاورهم في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند الله تعالى، وكانت الصحابة بعده ﷺ يتشاورون في المهمات من أمور الدين والدنيا، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة، لأن النبي لم ينص عليها، فوقع بينهم اختلاف، ثم اجتمعوا وتشاوروا فيه، فقال عمر: نرضى لدنيانا ما رضيه النبي لديننا، فوافقوه على ذلك، وبالجملة فالشورى أمرها عظيم، قال الحسن: ما تشاور قوم قط، إلا هدوا إلى أرشد أمورهم، وفي الحديث: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإن كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

قوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي في وجوه البر، وكانوا يقدمون غيرهم عليهم، قال تعالى في وصفهم ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾. قوله: [ومن ذكر صنف] أي المؤمنون المتقدمون، فتحصل أن الله

الظلم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ ٣٩: صنف أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾: سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات قال بعضهم وإذا قال له أخزاك الله فيجيبه أخزاك الله ﴿فَمَنْ عَفَا﴾: عن ظالمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾: الود بينه وبين المعفو عنه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: أي إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ٤٠: أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾: أي ظلم الظالم إياه ﴿فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ ٤١: مؤاخذة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾: يعملون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بالمعاصي ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٤٢: مؤلم ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾: فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾: تجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ٤٣: أي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعاً ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ﴾: أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾: إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ ٤٤: طريق ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: أي النار ﴿خَاشِعِينَ﴾: خائفين متواضعين ﴿مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾: إليها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾:

تعالى جعل المؤمنين صنفين، صنفاً يعفون عمن ظلمهم، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ وصنفاً ينتقمون ممن ظلمهم، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾. قوله: ﴿ينتصرون﴾ هذا في الإعراب كقوله: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ سواء بسواء، ويزيد هنا: أنه يصح أن يكون ﴿هم﴾ توكيداً للضمير المنصوب في ﴿أصابهم﴾ وحينئذٍ ففيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل. قوله: [وهذا] أي قوله مثلها، وقوله: [من الجراحات] أي وغيرها من سائر الحقوق التي يمكن استيفاؤها. قوله: [قال بعضهم] هو مجاهد والسدي.

قوله: ﴿فمن عفا﴾ الفاء للتفريع، أي إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة، فالأولى العفو والإصلاح لتعذر المماثلة غالباً. قوله: ﴿وأصلح﴾ [الود بينه وبين المعفو عنه] أشار بذلك إلى أن الإصلاح من تمام العفو، وفيه تحريض وحث على العفو، فإن أمره عظيم، وفيه تفويض الأمر إلى الله تعالى، والله لا يخيب من فوض الأمر إليه. قوله: [أي البادئين بالظلم] أي الذين فعلوا الظلم ابتداء.

قوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ اللام للابتداء، ومن شرطية، وجملة ﴿فأولئك﴾ الخ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فأولئك﴾ خبره، ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط. قوله: [أي ظلم الظالم إياه] أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للمفعول، وفي هذه الآية إشارة إلى أن للمظلوم أن يأخذ حقه ممن ظلمه بنفسه، وهو جائز بشرط أن لا يزيد على حقه، وأن يأمن من ولاة الأمور، وأن يكون حقه ثابتاً. قوله: ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي لأنهم فعلوا ما هو جائز لهم. قوله: ﴿بغير الحق﴾ قيد به إشارة إلى أن البغي قد يكون مصحوباً بالحق، كما إذا أخذ حقه مع التجاوز فيه. قوله: ﴿ولمن صبر﴾ الخ عطف على قوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ وجملة ﴿إنما السبيل﴾ الخ اعتراض، وكرر الصبر اهتماماً به وترغيباً فيه، وإشارة إلى أنه محمود العاقبة وهو أولى، إن لم يترتب عليه مفسدة، وإلا كان الانتصار أولى. قوله: ﴿لمن عزم الأمور﴾ أي من الأمور التي أمر الله بها وأكد عليها. قوله: ﴿ومن يضلل الله﴾ أي يمنعه عن الهدى.

قوله: ﴿وترى الظالمين﴾ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهي بصرية، والجملة بعدها حال. قوله: ﴿لما رأوا العذاب﴾ عبر عنه بالماضي إشارة لتحقق الوقوع. قوله: ﴿يعرضون عليها﴾ حال، وكذا قوله: ﴿خاشعين﴾. قوله:

ضعيف النظر مسارقة ومن ابتدائية أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا والموصول خبر إن ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ ٤٥: دائم هو من مقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾ ٤٦: طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم﴾: أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي أنه إذا أتى به لا يرده ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾: تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ ٤٧: إنكار لذنوبكم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾: عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾: وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: نعمة كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ﴾: الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةٌ﴾: بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي

[أي النار] أي المعلومة من دلالة العذاب عليها. قوله: ﴿من الذل﴾ متعلق بخاشعين أي من أجل الذل. قوله: [مسارقة] أي يسارقون النظر إليها، خوفاً منها وذلاً في أنفسهم. قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ظرف لخسروا، والقول واقع في الدنيا، أو ظرف لقال، فهو واقع يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: [بتخليدهم في النار] الخ، لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وما كان لهم﴾ ﴿لهم﴾ خبر مقدم، و﴿من أولياء﴾ اسمها مؤخر، و﴿من﴾ زائدة، و﴿ينصرونهم﴾ صفة لأولياء.

قوله: ﴿استجيبوا لربكم﴾ السين والتاء زائدتان كما أشار له المفسر بقوله: [أجيبوه] والمعنى: أجيبوا داعي ربكم وأطيعوه فيما يأمركم به من التوحيد والعبادة. قوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم﴾ الخ، أي أطيعوا في الدنيا هي ظرف للأعمال والإيمان، قبل أن يأتي يوم الحسرة والندامة، فإنه إذا جاء لا يرده الله، ففيه وعيد للكافرين. قوله: [لا يرده] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿من الله﴾ متعلق بمرد. قوله: ﴿من ملجأ﴾ أي مفر ومهرب. قوله: [إنكار لذنوبكم] أي لأنها مكتوبة في صحائفكم، تشهد بها الملائكة والجوارح، والمراد انكار نافع، وإلا فالكفار أولاً ينكرون الذنوب طمعاً في العفو، ثم لما لم يجدوا مخلصاً يقرون، وما قاله المفسر أوضح مما قاله غيره، إن المراد بالنكير الناصر الذي ينصرهم لإغناء قوله من ملجأ عنه.

قوله: ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف، والتقدير: فلا تحزن، أو لا عتاب عليك، أو لا تكلف بشيء، لأننا ما أرسلناك الخ. قوله. [بأن توافق] أي أعمالهم الصادرة منهم، وقوله: [المطلوب منهم] أي الأعمال المطلوبة منهم كالإيمان والطاعة. والمعنى: لم نرسلك لتخلق الهدى في قلوبهم، وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذي طلبناه منهم. قوله: [وهذا قبل الأمر بالجهاد] اسم الاشارة عائد على الحصر. والمعنى: أن هذا الحصر منسوخ، لأنه بعد الأمر بالجهاد عليه البلاغ والقتال.

قوله: ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان﴾ الخ، الحكمة في تصدير النعمة بإذا، والبلاء بإن، الاشارة إلى أن النعمة محققة الحصول بخلاف البلاء، لأن رحمة الله تغلب غضبه. قوله: ﴿فرح بها﴾ أي فرح بطر وتكبر. قوله: [الضمير] أي في ﴿تصبهم﴾. قوله: [باعتبار الجنس] أي الاستغراق فجمعه باعتبار المعنى. قوله: ﴿بما قدمت أيديهم﴾ في ذلك اشارة إلى أن المصيبة تكون بسبب كسب المعاصي، والنعمة تكون بمحض فضل الله، قال تعالى ﴿ما أصابك من حسنة فمن

قدّموه وعبّر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿فإنّ الإنسان كفور﴾ ٤٨: للنعمة ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء﴾: من الأولاد ﴿إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ٤٩ أو يزوجهم﴾: أي يجعلهم ﴿ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾: فلا يلد ولا يولد له ﴿إنه عليم﴾: بما يخلق ﴿قدير﴾ ٥٠: على ما يشاء ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا﴾: أن يوحى إليه ﴿وحياً﴾: في المنام أو بالإلهام ﴿أو﴾: إلا ﴿من وراء حجاب﴾: بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أو﴾: إلا أن ﴿يرسل رسولاً﴾: ملكاً كجبريل ﴿فيوحي﴾: الرسول

الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ فالواجب على الإنسان، إذا أعطاه الله نعمة، أن يشكره عليها ويصرفها فيما يرضيه، وإذا أصيب بمصيبة، فليصبر عليها ويحمده عليها، فلعلها تكون كفارة لما اقترفه.

قوله: ﴿لله ملك السماوات والأرض﴾ أي يتصرف فيهما كيف يشاء. قوله: ﴿يخلق ما يشاء﴾ أي من حيوانات وغيرها. قوله: ﴿يهب﴾ من وهب كوضع، والمصدر وهباً بسكون الهاء، وفتحها وهبة، والاسم الموهب والموهبة بكسر الهاء، وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض. قوله: ﴿لمن يشاء﴾ أي الآباء والأمهات. قوله: [من الأولاد] متعلق بيهب لا بيان لمن، لأنها عبارة عن الآباء والامهات. قوله: ﴿إناثاً﴾ قدمهن إشارة إلى أنه يفعل ما يشاء، لا ما يشاؤه عباده، فالإناث مما يشاؤه هو، ونكرهن لانحطاط رتبتهن عن الذكور، ولذا عرّف الذكور وقدمهم آخراً. قوله: [أي يجعلهم] ﴿ذكراناً وإناثاً﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿ذكراناً وإناثاً﴾ مفعول ثان ليزوج، والمعنى: يجعل الأولاد ذكراناً وإناثاً حال كونهم مزدوجين.

قوله: ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ ﴿من﴾ واقعة على الرجل والمرأة، فقوله: [فلا يلد] أي إذا كان امرأة، وقوله: [ولا يولد له] أي إذا كان رجلاً، فالعقيم هو الذي لا يولد له ذكراً أو أنثى، وفعله من باب فرح ونصر وكرم، وقال ابن عباس: يهب لمن يشاء إناثاً، يريد لوطاً وشعيباً عليهما السلام، لأنهما لم يكن لهما إلا البنات، ويهب لمن يشاء الذكور، يريد ابراهيم عليه السلام لأنه لم يكن له إلا الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً، يريد محمداً ﷺ، فإنه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح: القاسم وعبد الله وابراهيم، ومن البنات أربع: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، ويجعل من يشاء عقيماً، يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى، ولكن حمل الآية على العموم أولى، لأن المراد بيان نفاذ قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء.

قوله: ﴿أن يكلمه﴾ ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم ﴿كان﴾. قوله: ﴿إلا﴾ [أن يوحى إليه] أشار بذلك إلى أن ﴿وحياً﴾ منصوب على الاستثناء المفرّغ، خلافاً لمن قال إنه منقطع نظراً لظاهر اللفظ، فإن الوحي ليس بتكليم، والوحي الإشارة والرسالة والكتابة، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه، ثم غلب استعماله فيما يلقى إلى الأنبياء. قوله: [في المنام] أي فرؤيا الأنبياء حق، وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولده في المنام، ولرسول الله ﷺ حين رأى أنه يدخل مكة، فصدق الله رؤياهما، وقوله: [أو بالإلهام] أي الإلقاء في القلوب لا بواسطة ملك، وقد يقع الإلهام لغير الأنبياء كالأولياء، غير أن إلهام الأولياء، لا مانع من اختلاط الشيطان به، لأنهم غير معصومين، بخلاف الأنبياء فإلهامهم محفوظ منه. قوله: ﴿أو﴾ [إلا] ﴿من وراء حجاب﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿من وراء حجاب﴾ معطوف على ﴿وحياً﴾ باعتبار متعلقه تقديره إلا أن يوحي إليه أو يكلمه. قوله: [ولا يراه] أشار بذلك إلى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية، والحجاب وصف العبد لا وصف الرب. قوله: [كما وقع لموسى عليه السلام] أي في جميع مناجاته كما تقدم مفصلاً. قوله: ﴿أو يرسل رسولاً﴾ برفع اللام وكذا يوحي ونصبهما قراءتان سبعيتان، فالرفع خبر لمحذوف أي هو يرسل، والنصب على ﴿وحياً﴾ بإضمار أن، قال ابن مالك:

إلى المرسل إليه أي يكلمه ﴿بإذنه﴾: أي الله ﴿ما يشاء﴾: الله ﴿إنه علي﴾: عن صفات المحدثين ﴿حكيم﴾ ٥١: في صنعه ﴿وكذلك﴾: أي مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أوحينا إليك﴾: يا محمد ﴿روحاً﴾: هو القرآن به تحيا القلوب ﴿من أمرنا﴾: الذي نوحيه إليك ﴿ما كنت تدري﴾: تعرف من قبل الوحي إليك ﴿ما الكتاب﴾: القرآن ﴿ولا الإيمان﴾: أي شرائعه ومعالمه والنفي معلق للفعل عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين ﴿ولكن جعلناه﴾: أي الروح أو الكتاب ﴿نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي﴾: تدعو بالوحي إليك ﴿إلى صراط﴾: طريق ﴿مستقيم﴾ ٥٢: دين الإسلام ﴿صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾: ملكاً

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه إن ثابتاً أو متحذف

قوله: [كجبريل] أدخلت الكاف غيره كإسرافيل وملك الجبال، فإن الله تعالى أرسل كلاً إلى رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿إنه علي﴾ [عن صفات المحدثين] أي منزه ومقدس عنها. قوله: ﴿حكيم﴾ [في صنعه] أي يضع الشيء في محله. قوله: [أي مثل إيحائنا إلى غيرك] الخ، التشبيه في مطلق الإيحاء والإرسال، لأنه ﷺ وقع له الكلام والرؤية، بخلاف باقي الأنبياء، فهو من تشبيه الأكمل بالكامل، لسابقية الكامل في الوجود، فالحصر المتقدم بالنسبة للأنبياء غير نبينا ﷺ فلا يقال: إن الآية تدل على أن الوحي منحصر في هذه الثلاثة، ولا يشمل الكلام مشافهة، مع أنه وقع لرسول الله ﷺ. قوله: [هو القرآن] هذا أحد تفاسير في الروح، وقيل هو الرحمة، وقيل هو الوحي، وقيل الكتاب، وقيل جبريل. قوله: [به تحيا القلوب] أي فشبه القرآن بالروح من حيث إن كلاً به الحياة، فالقرآن به حياة الأرواح، والروح بها حياة الأشباح. قوله: ﴿من أمرنا﴾ ﴿من﴾ تبعيضية حال. والمعنى: حال كون هذا القرآن بعض ما نوحيه إليك لأنه ورد أنه أعطي القرآن ومثله معه. قوله: ﴿ما الكتاب﴾ الكلام على حذف مضاف أي جواب ﴿ما الكتاب﴾ والمعنى جواب هذا الاستفهام.

قوله: ﴿ولا الإيمان﴾ إن قلت: إن الأنبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها في الأشباح، عن التوحيد الأصلي الكائن في يوم، ألست بربكم، بل بعض الأولياء كذلك، فكيف يقال في حق نبينا عليه الصلاة والسلام ﴿ولا الإيمان﴾ مع أنه كان يتعبد قبل البعثة، وحاشاه أن يعبد الله مع جهله بمعبوده؟ أجاب المفسر: بأن الكلام على حذف مضاف، أي شرائع الإيمان ومعالمه، كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر، والمراد بالإيمان الإسلام. قوله: [والنفي معلق] صوابه الاستفهام لأنه متأخر عن النفي، وهو المعلق للفعل عن العمل لفظاً. قوله: [أو ما بعده] [أو] بمعنى الواو. قوله: ﴿نهدي به﴾ صفة لنوراً، أو سمي نوراً لأن بالنور الاهتداء في الظلمات الحسية، فكذا القرآن يهتدى به في الظلمات المعنوية، والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله: ﴿من نشاء﴾. قوله: ﴿وإنك لتهدي﴾ أي تدل، والمفعول محذوف أي كل مكلف فتحصل أن المعنى أنت يا محمد عليك البلاغ والدلالة وإقامة الحجج، ونحن نخلق الهداية والتوفيق في قلب من نختاره من عبادنا. قوله: [دين الإسلام] أي وسمي طريقاً، لأنه يحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسي. قوله: ﴿صراط الله﴾ بدل من ﴿صراط﴾ الأول بدل معرفة من نكرة.

---

* أسباب نزول الآية ٥٢: سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه ان كنت نبياً كما كلمه موسى؟ فنزلت ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ أي وكالوحي الذي أوحينا الى الأنبياء قبلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا.

وخلقاً وعبيداً ﴿أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ ٥٣: ترجع.

قوله: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ ﴿ألا﴾ أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها، والجار والمجرور متعلق بتصير، قدم للحصر، وأتى بهذه الجملة عقب التي قبلها، إشارة إلى أن كل شيء من الله وإلى الله، فأفاد بالجملة الأولى، أن جميع ما في السماوات وما في الأرض، مملوك وناشئ منه، وأفاد بالجملة الثانية، أن جميع هذه الأشياء مرجعها إليه في كل ذرة ولمحة، فلا غنى لها عنه تعالى، والمراد من المضارع الدوام. والمعنى شأنه رجوع الأمور إليه تعالى، وليس المراد حقيقته لأن الأمور متعلقة به في كل وقت، فإذا علمت ذلك، فكل شيء لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين، قال العارف الشاذلي: ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، فإذا شاهد الإنسان ذلك أورثه مقام المراقبة، ورؤية عجز نفسه واضطرارها وافتقارها إلى مالكها، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

ـ فائدة ـ قال سهل بن أبي الجعد: احترق مصحف فلم يبق إلا قوله: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وغرق مصحف فانمحى كله إلا قوله: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ انتهى.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤٣] ـ سورة الزخـرف

[مكيّة وقيل إلّا ﴿وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ الآية وهي تسع وثمانون آية]

﴿حمٓ﴾ ١ : الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْكِتَابِ﴾ : القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ ٢ : المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ : أوجدنا الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ : بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ : يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ ٣ : تفهمون معانيه ﴿وَإِنَّهُ﴾ : مثبت ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَابِ﴾ : أصل الكتب أي اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾ : على

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الزخرف مكية

وقيل إلا ﴿واسأل من أرسلنا﴾ الآية. وهي تسع وثمانون آية

سُميت باسْم كلمة منها وهي قوله تعالى ﴿وزخرفا﴾. قوله: [مكية] أي كلها حتى هذه الآية، بناء على أن المراد سؤال نفس الرسل، وكان ذلك ليلة الإسراء ببيت المقدس، فتكون مكية لكونها قبل الهجرة. قوله: [وقيل إلا قوله تعالى واسأل من أرسلنا] الخ أي بناء على أن المعنى: واسأل من أمم رسلنا، والمراد بهم اليهود والنصارى. قوله: ﴿والكتاب المبين﴾ هذا هو المقسم به، والمقسم عليه هو قوله: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ وهو من أنواع البلاغة، حيث جعل المقسم والمقسم عليه من وادٍ واحد، كأن الله تعالى يقول: ليس عندي أعظم من كلامي حتى أقسم به. قوله: [أوجدنا الكتاب] أي صيرناه مقروءاً، أي مجموعاً سوراً، موصوفة بكونها عربية، رحمة منا وتنزلاً لعبادنا، لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا، فحلوله من حيث قيامه بالمخلوقات، وقدمه من حيث وصف الله به، وقد تنزه وصفه عن الحروف والأصوات والجمع والتفرق فتدبر، ودفع بذلك ما قيل: إن ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة: الأول أنها تدل على أن القرآن مجعول، والمجعول هو المصنوع والمخلوق، والثاني أنه وصفه بكونه قرآناً، والمجموع بعضه لبعض مصنوع، والثالث وصفه بكونه عربياً، والعربي ما كان بلغة العرب، وذلك يدل على أنه مجعول. وأجاب الرازي أيضاً عن ذلك: بأن هذا الذي ذكرتموه حق، لأنكم استدللتم بهذه الوجوه، على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة، وذلك معلوم بالضرورة، وليس لكم منازع فيه.

قوله: ﴿وإنه﴾ [مثبت] الخ أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور خبر إن، ولعلي خبر ثان، واعترض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها، وفي جوازه خلاف، فالأحسن أن الجار والمجرور متعلق بعلي، ولا يقال إن لام الابتداء لها صدر الكلام لأنه يقال محل ذلك في غير باب إن كما قال ابن هشام في مغنيه، لأنها فيه

الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾[٤]: ذو حكمة بالغة ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾: نمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿صَفْحاً﴾: إمساكاً فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ﴾[٥]: مشركين؟ لا ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٦] ﴿وَمَا﴾: كان ﴿يَأْتِيهِم﴾: أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[٧]: كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾: من قومك ﴿بَطْشاً﴾: قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾: سبق في الآيات ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٨]: صفتهم في الإهلاك فعاقبة قومك كذلك ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾: حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٩]: آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم زاد تعالى ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً﴾: فراشاً كالمهد للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾: طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٠]: إلى

مؤخرة من تقديم، ولهذا تسمى المزحلقة. قوله: [بدل] أي من الجار والمجرور، وقوله: [عندنا] تفسير للدنيا. قوله: ﴿لَعَلِيٌّ﴾ أي رفيع الشأن على غيره من الكتب. قوله: ﴿أفنضرب﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه تقديره أنهملكم فنضرب الخ، والاستفهام انكاري بدليل قول المفسر في آخر العبارة [لا] والمعنى: لا نهملكم برفع الوحي ومنع إنزال القرآن، ونعجل الهلاك من أجل كونكم قوماً مسرفين، بل نتم نورنا بتمام الانزال لعبدنا، ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾. قوله: [نمسك] أي عن إنزاله لكم. قوله: ﴿صفحاً﴾ أشار المفسر إلى أنه مفعول مطلق ملاق لعامله، وهو نضرب، في المعنى. قوله: [فلا تؤمرون ولا تنهون] أي بل تصيرون كالبهائم. قوله: ﴿إن كنتم قوماً مسرفين﴾ بكسر الهمزة على أنها شرطية، وفتحها على أنها تعليلية، قراءتان سبعيتان، لكن يرد على القراءة الأولى أن ﴿إن﴾ تفيد الشك، مع أن إسرافهم محقق، ويجاب: بأنه يؤتى بها في مقام التحقق قصداً لتجهيل المخاطب، بجعله متردداً في ثبوت الشرط شاك فيه.

قوله: ﴿وكم أرسلنا﴾ ﴿كم﴾ خبرية بمعنى عدداً كثيراً، مفعول مقدم لأرسلنا، و﴿من نبي﴾ تمييز لها، و﴿في الأولين﴾ متعلق بأرسلنا أي في الأمم الأولين. قوله: [أتاهم] أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وعبر عنه بالمضارع استحضاراً للصورة العجيبة. قوله: ﴿من نبي﴾ أي رسول بدليل قوله: ﴿أرسلنا﴾ الخ. قوله: [وهذا تسلية له] أي وقوله: ﴿وكم أرسلنا﴾ والمعنى تسل يا محمد ولا تحزن، فإنه وقع للرسل قبلك ما وقع لك. قوله: ﴿أشد منهم﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول لأهلكنا. قوله: ﴿بطشاً﴾ تمييز أي أهلكنا قوماً أشد من قومك من جهة البطش وهو شدة الأخذ. قوله: [سبق في الآيات] أي في القرآن غير مرة. قوله: [صفتهم في الأهلاك] وإنما سمي مثلاً لغرابته، فإن المثل في الأصل كلام شبه مضربه بمورده لغرابته. قوله: [وعاقبة قومك كذلك] أي الهلاك، فاصبر على أذى قومك، كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم، وفي هذه الآيات تعليم للأمة، أن يصبروا على من آذاهم، لينالوا العز الأكبر تأسياً بنبيهم. قوله: [لام قسم] أي وقوله: ﴿ليقولن﴾ جوابه، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر. قوله: [حذف منه نون الرفع] أي لتوالي النونات، ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين، ووجود الدليل عليها وهو الضمة.

قوله: ﴿خلقهن العزيز العليم﴾ كرر الفعل للتوكيد، وإلا فيكفي أن يقال العزيز العليم، وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه، ولو روعي صدره لجيء بجملة ابتدائية بأن يقال: هو العزيز العليم مثلاً. قوله: [آخر جوابهم] أي أن ما ذكر آخر جواب الكفار، وأما قوله: ﴿الذي جعل﴾ إلى قوله: ﴿المنقلبون﴾ فهو من كلامه تعالى زيادة في توبيخهم على عدم التوحيد. قوله: [كالمهد للصبي] أي الفرش له، أي ولو شاء لجعلها متحركة، لا يثبت عليها شيء،

مقاصدكم في أسفاركم ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: أي بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفاناً ﴿فَأَنشَرْنَا﴾: أحيينا ﴿بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ﴾: أي مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ﴾ ١١: من قبوركم أحياء ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ﴾: السفن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ ١٢: حذف العائد اختصاراً وهو مجرور في الأول أي فيه منصوب في الثاني ﴿لِتَسْتَوُوا﴾: لتستقروا ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾: ذكر الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ ما ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ ١٣: مطيقين ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ ١٤: لمنصرفون ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾: حيث قالوا

ولا يمكن الانتفاع بها، فمن رحمته أن جعل الأرض قارة مسطحة ساكنة. قوله: ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ أي بحيث تسلكون فيها إلى مقاصدكم، ولو شاء لجعلها سداً ليس فيها طرق، بحيث لا يمكنكم السير فيها كما في بعض الجبال. قوله: [أي بقدر حاجتكم] أي فليس بقليل فلا تنتفعون به، ولا كثير فيضركم. قوله: ﴿فأنشرنا﴾ في الكلام التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿تخرجون﴾ أي فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها بالماء، قادر على احياء الخلق بعد موتهم. قوله: [الاصناف] أي الاشكال والانواع، كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى.

قوله: ﴿وجعل لكم من الفلك﴾ أي خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره، وألهمكم صنعتها، وسيّرها لكم في البحر لتنتفعوا بها. قوله: [كالابل] إن قلت: إنه لم يبق شيء من الأنعام يركب سوى الإبل، فالكاف استقصائية إلا أن يقال: المراد بالأنعام ما يركب من الحيوان، وهو الإبل والخيل والبغال والحمير، لأن المقام للامتنان بالركوب. قوله: ﴿ما تركبون﴾ مفعول لجعل، و﴿من الفلك والأنعام﴾ بيان له. قوله: [حذف العائد اختصاراً] الخ، أي والمعنى: جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه، ومن الأنعام ما تركبونها، فهو مجرور في الأول بفي، منصوب في الثاني بالفعل.

قوله: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ اللام للتعليل أو للعاقبة، والصيرورة متعلقة بجعل. قوله: [ذكر الضمير] أي المضاف إليه، وقوله: [وجمع الظهر] أي الذي هو المضاف، وقوله: [نظراً للفظ ما] الخ لف ونشر مرتب، والمناسب أن يقول: أفرد الضمير وجمع الظهر الخ، ولو روعي معناها فيهما لقيل على ظهورها، ولو روعي لفظها لقيل على ظهره. قوله: ﴿ثم تذكروا﴾ أي بقلوبكم. قوله: ﴿إذا استويتم عليه﴾ أي على ما تركبون، ففيه مراعاة للفظ ﴿ما﴾ وكذا في قوله: ﴿سخر لنا هذا﴾.

قوله: ﴿وتقولوا سبحان الذي﴾ الخ، أي تقولوا بألسنتكم لتجمعوا بين القلب واللسان. قوله: ﴿هذا﴾ أي المركوب من سفينة ودابة، وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الأولى، وقال بعضهم: إن هذا مخصوص بالدابة، وأما السفينة فيقول فيها ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية، وفي الحديث: كان ﷺ إذا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال، ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ إلى قوله: ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ فإذا كان الإنسان يريد السفر زاد: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال. ومعنى الحور بعد الكور: الفرقة بعد الاجتماع، وورد: إن الإنسان إذا قرأ هذه الآية عند ركوب الدابة تقول الدابة: بارك الله فيك من مؤمن، خففت عن ظهري، وأطعت ربك، أنجح الله حاجتك، فالذي ينبغي للإنسان، أن لا يدع ذكر الله خصوصاً في هذه المواطن، فإنه معرض فيها للتلف، فكم من راكب دابة، عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك، وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق، وحينئذ فمنقلبه إلى الله، غير

الملائكة بناتَ الله تعالى لأن الولد جزءُ الوالدِ والملائكة من عباد الله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ﴾: القائل ما تقدم ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ١٥: بيّن ظاهر الكفر ﴿أَمِ﴾: بمعنى همزة الإنكار والقول مقدّر أي أتقولون ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾: لنفسه ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾: أخلصكم ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ ١٦: اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المنكر ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾: جعل له شبهاً بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: متغيراً تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ١٧: ممتلىء غماً فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك ﴿أَوَ﴾: همزة الإنكار وواو العطف بجملة أي يجعلون لله ﴿مَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾: الزينة ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ١٨: مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟﴾:

منفلت من قضائه، فيكون مستعداً لقضاء الله بإصلاح نفسه. قوله: ﴿وما كنا له مقرنين﴾ الجملة حالية وهو من الإقران أو المقارنة. قوله: [لمنصرفون] أي من الدنيا إلى دار البقاء، فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة، فالآية منبهة بالسير الدنيوي على السير الأخروي، ففيه إشارة للرد على منكري البعث.

قوله: ﴿وجعلوا له﴾ الخ هذا مرتبط بقوله: ﴿ولئن سألتهم﴾ الخ، والمعنى: أنهم ينسبون الخلق لله تعالى، ومع ذلك يعتقدون أن له شريكاً، فالمقصود التأمل في عقول هؤلاء الكفرة، حيث لم يضبطوا أحوالهم. قوله: [لأن الولد جزء الوالد] أي لأنه خارج من مخه وعظامه، وهذا مناف لقولهم ﴿خلقهن العزيز العليم﴾ لأن من شأن الوالد أن يكون مركباً، والإله ليس بمركب، بل هو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وشأن الخالق أن يكون مخالفاً لما خلقه، والولد لا بد وأن يكون مماثلاً لوالده لأنه جزء منه، فتبين أن الولد على الله محال، وتبين أن هؤلاء الكفرة حالهم متناقض غير مضبوط. قوله: [بين] أشار بهذا إلى أن ﴿مبين﴾ من أبان اللازم، ويصح أن يقدر من أبان المتعدي، بمعنى مظهر الكفر. قوله: [بمعنى همزة الإنكار] أي والتوبيخ والتقريع، وتقدر ببل أو بها والهمزة، ففيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة. قوله: [لنفسه] متعلق باتخذ. قوله: [أخلصكم] أي خصكم. قوله: [اللازم] بالنصب نعت لقوله: ﴿وأصفاكم﴾ المعطوف على ﴿اتخذ﴾ الواقع مقولا لقول محذوف، فالمعنى إنهم قالوا ﴿الملائكة بنات الله﴾ مع كراهة نسبتها لأنفسهم، ومحبة نسبة البنين لهم، فلزم منه أنهم قالوا: والبنون لنا. قوله: [فهو من جملة المنكر] أي لعطفه على ﴿اتخذ﴾ الداخل عليه أم التي هي بمعنى همزة الإنكار.

قوله: ﴿وإذا بشر أحدهم﴾ الخ كلام مستأنف تقرير لما قبله، وزيادة توبيخ لهم، وترق في الرد عليهم. قوله: ﴿بما ضرب﴾ ما موصولة واقعة على الأنثى بدليل الآية الأخرى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ و﴿ضرب﴾ بمعنى جعل، والمفعول الأول محذوف هو العائد أي ضربه، و﴿مثلاً﴾ هو المفعول الثاني. قوله: [شبهاً] أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الشبه أي المشابه، وليس بمعنى الصفة الغريبة. قوله: ﴿وهو كظيم﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿أو من ينشأ﴾ قرأ العامة بفتح الياء وسكون النون من نشأ، وبضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنياً للمفعول، أي يربى قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً ينشأ بضم الياء مخففاً، ويناشأ كيقاتل مبنياً للمفعول. قوله: [همزة الإنكار] الخ أي إنهما كلمتان لا كلمة واحدة هي أو التي للعطف، فتحصل أن ﴿من﴾ معمولة لمحذوف معطوف بواو العطف على محذوف، والتقدير: أيجترئون ويسيئون الأدب ويجعلون من ينشأ الخ؟ وقوله: [الزينة] أي إن الأنثى تتزين في الزينة لنقصها، إذ لو كملت في نفسها لما احتاجت للزينة. قوله: ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾ الجملة حالية، والمعنى غير قادر على تقرير دعواه وإقامة الحجة، لنقصان عقله وضعف رأيه، فقلما تكلمت امرأة تريد أن تتكلم بحجة لها، إلا تكلمت بالحجة عليها. قوله: [مظهر الحجة] أشار بذلك إلى أنه من أبان المتعدي وسابقاً أفاد أنه من أبان اللازم، وهما استعمالان.

حضروا ﴿خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾: بأنهم إناث ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ ١٩: عنها في الآخرة فيترتب عليها العقاب ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾: أي الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها قال تعالى: ﴿مَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾: المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ٢٠: يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾: أي القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ ٢١: أي لم يقع ذلك ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: ملة ﴿وَإِنَّا﴾: ماشون ﴿عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ ٢٢: بهم وكانوا يعبدون غير الله ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: متنعموها مثل قول قومك ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ ٢٣: متبعون ﴿قَالَ﴾: لهم ﴿أَ﴾: تتبعون ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ

قوله: ﴿وجعلوا الملائكة﴾ الخ، المراد بالجعل القول والحكم، وهو بيان أنواع أخر من كفرياتهم لأن نسبة الملائكة الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله للأنوثة التي هي وصف خسة كفر، ورد أنهم لما قالوا ذلك، سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يدريكم أنها إناث؟» قالوا سمعنا من آبائنا، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا، فنزل ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾. قوله: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن﴾ الخ، مفعول ﴿شاء﴾ محذوف، أي عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم، وهذا استدلال منهم بنفي مشيئة عدم العبادة، على امتناع النهي عنها لزعمهم أن المشيئة متحدة مع الرضا وهو فاسد، لأن الله تعالى قد يريد ما لا يرضاه، فهو بيان لنوع آخر من كفرياتهم، فتحصل أنهم كفروا بمقالات ثلاث: هذه، وقولهم: الملائكة إناث، وقولهم: الملائكة بنات الله.

قوله: ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ قاله هنا بلفظ ﴿يخرصون﴾ وفي الجاثية بلفظ ﴿يظنون﴾ لأن ما هنا متصل بقوله: ﴿وجعلوا الملائكة﴾ الآية، أي قالوا ﴿الملائكة بنات الله وإن الله قد شاء عبادتنا إياهم﴾ وهذا كذب فناسبه ﴿يخرصون﴾ وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب لأن قولهم (نموت ونحيا) صدق، وإنكارهم البعث وقولهم (ما يهلكنا إلا الدهر) كذب فناسبه يظنون. قوله: ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ تنويع في الانكار عليهم مرتبط بقوله: ﴿أشهدوا خلقهم﴾. قوله: [أي لم يقع ذلك] أشار به إلى أن الهمزة للإنكار.

قوله: ﴿بل قالوا إنا وجدنا﴾ الخ، أي لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية، بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم. قوله: ﴿أمة﴾ قرأ العامة بضم الهمزة بمعنى الطريقة والملة، وقرئ شذوذاً بكسرها بمعنى الطريقة أيضاً، وبالفتح المرة من الأم وهو القصد. قوله: [ماشون] أشار بتقدير هذا، إلى إن الجار والمجرور خبر إن، وعليه فيكون ﴿مهتدون﴾ خبراً ثانياً. قوله: ﴿مهتدون﴾ قاله هنا بلفظ ﴿مهتدون﴾ وفيما يأتي بلفظ ﴿مقتدون﴾ تفنناً. قوله: ﴿وكذلك﴾ أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد، وقوله: ﴿ما أرسلنا﴾ استئناف مبين لذلك، دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم، ليس لأسلافهم أيضاً مستند غيره، وفيه تسلية لرسول الله.

قوله: ﴿إلا قال مترفوها﴾ جمع مترف اسم مفعول، وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم. قوله: [مثل قول قومك] مفعول مطلق نعت مصدر محذوف، أي قولاً مثل قول قومك وقوله: ﴿إنا وجدنا﴾ مقول القول. قوله: ﴿قل لهم﴾ خطاب للنبي ﷺ أي قل لقومك يا محمد الخ. قوله: ﴿بأهدى مما وجدتم﴾ الخ، أي بدين أهدى وأصوب مما وجدتم الخ، أي من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء، والتعبير بالتفصيل لأجل التنزل معهم وإرخاء العنان.

---

* أسباب نزول الآية ١٩: أخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة فنزل فيهم ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾.

قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَافِرُونَ﴾ ٢٤ : قال تعالى تخويفاً لهم: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: أي من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٢٥ ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾: أي بريء ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ٢٦ ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ ٢٧ يرشدني لدينه ﴿وَجَعَلَهَا﴾: أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾: ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: أي أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ ٢٨ : عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾: المشركين ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾: ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ ٢٩ : مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد ﷺ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: القرآن ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ ٣٠ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾: هلا ﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾: من أية منهما ﴿عَظِيمٍ﴾ ٣١ : أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن

قوله: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أي فلا تكترث بتكذيب قومك لك، فإن عاقبتهم كغيرهم من المكذبين. قوله: [واذكر] قدره إشارة إلى أن الظرف معمول لمحذوف، وسيأتي أن قوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ متعلق بذلك المحذوف. قوله: ﴿لأبيه﴾ تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه، وتوجيه كل من القولين مفصلاً. قوله: ﴿براء﴾ العامة على فتح الباء والراء، بعدها ألف فهمزة، مصدر وقع موقع الصفة وهي بريء، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وقرىء شذوذاً بضم الباء وكسرها، بوزن طوال وكرام.

قوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾ يحتمل أن الاستثناء منقطع، بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله غيره، وذلك أنهم كانوا يعبدون النمروذ، ويحتمل أن إلا صفة بمعنى غير. قوله: [يرشدني لدينه] أي يدلني على أحكامه من صلاة وغيرها، ودفع بذلك ما يقال: إن الهداية حاصلة لكونه مجبولاً على التوحيد من ﴿ألست بربكم﴾ فكيف يعبر بالمضارع فضلاً عن اقترابه بالسين، فأجاب بما ذكر نظير ما أجاب به عن قوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾ وأجيب أيضاً: بأن السين زائدة، والمضارع للدلالة على الاستمرار، والمعنى يديمني على الهدى، وأجيب أيضاً: بأن المعنى سيثبتني على الهداية. قوله: [أي كلمة التوحيد] الخ تفسير للضمير البارز، والضمير المستتر يعود على إبراهيم، والمعنى: أن إبراهيم وصى بهذه الكلمة عقبه، قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ الآية. قوله: [أي أهل مكة] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿لعلهم﴾ الخ، متعلق باذكر الذي قدره، والمعنى: اذكر يا محمد لقومك ما ذكر ليحصل عندهم رجوع إلى دين إبراهيم.

قوله: ﴿بل متعت هؤلاء﴾ إضراب انتقالي للتوبيخ والتقريع على ما حصل منهم من عدم الاتباع، واسم الاشارة عائد على المشركين الكائنين في زمنه ﷺ. قوله: [ولم أعاجلهم بالعقوبة] أي بل أعطيتهم نعماً عظيمة وحرماً آمناً، يجبى إليه ثمرات كل شيء، فلم يشكروا بل ازدادوا طغياناً، فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام. قوله: ﴿حتى جاءهم الحق﴾ غاية لمحذوف، والتقدير بل متعت هؤلاء، فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم.

قوله: ﴿وقالوا لولا نزل﴾ الخ هذا من جملة شبههم الفاسدة التي بنوا عليها إنكار نبوته ﷺ، وذلك أنهم قالوا: إن الرسالة منصب شريف، لا يليق إلا برجل شريف، وهذا صدق، غير أنهم غلطوا في دعواهم أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه، ومحمد ليس كذلك، فلا تليق به رسالة الله، وليس كذلك، بل العبرة بتعظيم الله،

---

* أسباب نزول الآية ٣١: وتقدم في سورة يونس سبب قوله تعالى ﴿وقالوا لولا نزل﴾ الآيتين.

مسعود الثقفي بالطائف ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: النبوة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾: بالغنى ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم﴾: الغني ﴿بَعْضًا﴾: الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾: مسخراً في العمل له بالأجرة والياء للنسب وقرىء بكسر السين ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ٣٢: في الدنيا ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: على الكفر ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾: بدل من لمن ﴿سُقُفًا﴾: بفتح السين وسكون القاف وبضمهما جمعاً ﴿مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ ٣٣: يعلون إلى السطح ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾: من فضة ﴿وَ﴾: جعلنا لهم

لا بالمال والجاه، فليس كل عظيم المال والجاه معظماً عند الله تعالى. قوله: [من أية منهما] أي من إحدى القريتين قوله: [أي الوليد بن المغيرة] أي وقد استمر كافراً حتى هلك. قوله: [وعروة بن مسعود] أي وقد هداه الله للإسلام فأسلم وحسن إسلامه، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يشبه عيسى ابن مريم عليه السلام، به رضي الله تعالى عنه.

قوله: ﴿أهم يقسمون﴾ الاستفهام انكاري وتعجب من حالهم وتحكمهم. قوله: ﴿رحمت ربك﴾ ترسم بالتا المجرورة هنا، وفي قوله تعالى فيما يأتي ﴿ورحمت ربك﴾ اتباعاً لرسم المصحف، وهذان موضعان ترسم فيهما بالتا المجرورة. ثالثها في البقرة ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾ رابعها في الأعراف ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ خامسها في هود ﴿رحمت الله وبركاته عليكم﴾ سادسها في مريم ﴿رحمت ربك﴾ سابعها في الروم ﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ وما عداها يرسم بالهاء، وللقراء في تلك المواضع السبعة في الوقف طريقان: فمنهم من يقف بالهاء كسائر الهاءات الداخلة على الأسماء، كفاطمة وقائمة، ومنهم من يقف بالتاء تغليباً لجانب الرسم.

قوله: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ أي فجعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا مالكاً، وهذا مملوكاً، وهذا قوياً، وهذا ضعيفاً لاستقامة نظام العالم، لا للدلالة على سعادة وشقاوة. قوله: ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ اللام للتعليل، أي إن القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق، لينتفع بعضهم ببعض، ولو كانوا سواء في جميع الأحوال، لم يخدم أحد أحداً، فيفضي إلى خراب العالم وفساد نظامه. قوله: [والياء للنسب] أي نسبته للسخرة وهي العمل بلا أجرة. إذا علمت ذلك، فقول المفسر [بالأجرة] تقييد بالنظر لصحة التعليل، ويصح أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء، والمعنى ليستهزىء الغني بالفقير، وعليه فتكون اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: [وقرىء بكسر السين] أي قراءة شاذة هنا، جرياً على عادته في التعبير عن الشاذ بقرىء، وعن السبعي بوفي قراءة، وأما ما في المؤمنين وص فكسر السين فيهما قراءة سبعية، ففرق بين ما هنا وما في السورتين المتقدمتين. قوله: ﴿خير مما يجمعون﴾ أي والعظيم من حازها وهو النبي ﷺ ومن تبعه، لا من حاز الكثير من المال.

قوله: ﴿ولولا أن يكون الناس﴾ الخ، الكلام على حذف مضاف، أي ولولا خوف أن يكون الناس الخ، كما أشار له المفسر فيما يأتي، والأوضح أن يقول: لولا رغبة الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لجعلنا الخ، لأنه تعالى لا يوصف بالخوف، ففرق الله الدنيا بين المؤمن والكافر، على حسب ما قدره لهم في الأزل. إن قلت: لم لم يوسع الدنيا على المسلمين، حتى يصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام؟ فالجواب: لأن الناس حينئذ يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهو إيمان المنافقين، فما قدره الله تعالى خير، لأن كل من دخل الإيمان، فإنما يقصد رضا الله فقط. قوله: [بدل من لمن] أي بدل اشتمال. قوله: [وبضمهما جمعاً] أي على وزن رهن جمع رهن، فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ومعارج﴾ جمع معرج بفتح الميم وكسرها وهو السلم. قوله: ﴿و﴾ [وجعلنا لهم] ﴿سرراً﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿سرراً﴾ معمول لمحذوف معطوف على قوله: ﴿جعلنا لمن يكفر بالرحمن﴾ عطف جمل.

﴿سُرُرًا﴾: من فضة جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ٣٤ وَزُخْرُفًا﴾: ذهباً المعنى لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك لقلة حظ الدنيا عندنا وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَإِن﴾: مخففة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا﴾: بالتخفيف فما زائدة وبالتشديد بمعنى إلا فإن نافية ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةُ﴾: الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ٣٥ وَمَن يَعْشُ﴾: يعرض ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾: أي القرآن ﴿نُقَيِّضْ﴾: نسبب ﴿لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: لا يفارقه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: أي الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾: أي العاشين ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ٣٧﴾ في الجمع رعاية معنى من ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾:

قوله: ﴿وزخرفاً﴾ ذهباً، وقيل الزخرف الزينة. قوله: [مخففة من الثقيلة] أي مهملة لوجود اللام في خبرها.

قوله: ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ أي إن الجنة تكون لكل موحد، قال كعب: وجدت في بعض كتب الله المنزلة: لولا أن يحزن عبدي المؤمن، لكللت رأس عبدي الكافر بالإكليل، ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق لوجع، أي لا يتحرك، وفي الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». وورد: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء» قال البقاعي: ولا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة والجبابرة، من زخرفة الأبنية، وتذهيب السقوف وغيرها، من مبادىء الفتنة، بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة، حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال، لأن من يبقى إذ ذاك على الحق في غاية القلة، بحيث إنه لا عداد له في جانب الكفرة لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة، وإن خرج مخرج الشرط، فكيف بملك الملوك سبحانه اهـ.

قوله: ﴿ومن يعش﴾ من العشاء وهو الإعراض والتغافل، ويطلق على ضعف البصر، وفعله عشا يعشو، كدعا يدعو. قوله: [يعرض] أي يتعام ويتغافل، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً﴾.

قوله: ﴿عن ذكر الرحمٰن﴾ أضاف الذكر إلى هذا الاسم إشارة إلى أن الكافر بإعراضه عن القرآن، سد على نفسه باب الرحمة، ولو اتبعه لعمته الرحمة. قوله: ﴿نقيض﴾ جواب الشرط، وفعله قوله: ﴿يعش﴾ مجزوم بحذف الواو، والضمة دليل عليها. قوله: ﴿فهو له قرين﴾ أي في الدنيا، بأن يمنعه من الحلال، ويحمله على فعل الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية، أو في الآخرة إذا قام من قبره، لما ورد: إذا قام من قبره، شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخله النار، وإن المؤمن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه، والأولى العموم.

قوله: ﴿وإنهم﴾ جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان، كما أفرد أولاً في قوله: ﴿فهو﴾ مراعاة للفظه. قوله: ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ الجملة حالية، أي يعتقدون أنهم على هدى، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾. قوله: [في الجمع] أي في المواضع الثلاثة الأول، أي ليصدونهم ويحسبون أنهم، وقوله: [رعاية معنى من] أي بعد أن روعي لفظها في ثلاثة أيضاً: الضمير المستتر في ﴿يعش﴾ والضمير أن المجروران باللام في نقيض له ﴿فهو له﴾ وسيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في ﴿جاء﴾ و﴿قال﴾ ثم مراعاة معناها في ثلاثة مواضع ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم﴾.

---

* أسباب نزول الآية ٣٦: وأخرج ابن المنذر عن قتادة قال: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقاً أنزل عليّ هذا القرآن أو على ابن مسعود الثقفي فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشاً قالت: قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه فقيضوا لأبي بكر طلحة، فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر: إلام تدعوني؟ قال: أدعوك الى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا، قال: وما العزى؟ قال: بنات الله، قال: فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فأنزل الله ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن نقيض له شيطاناً﴾ الآية.

العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾: له ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: أي مثل بُعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ ٣٨: أنت لي قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ﴾: أي العاشين تمنيكم وندمكم ﴿ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾: أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾: مع قرنائكم ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ٣٩: علة بتقدير اللام لعدم النفع وإذ بدل من اليوم ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٤٠: بين؟ أي فهم لا يؤمنون ﴿فَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾: بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ ٤١: في الآخرة ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾: في حياتك ﴿ٱلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾: به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ﴾: على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾: قادرون ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: أي القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ ٤٣ ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾: لشرف ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ٤٤: عن القيام بحقه ﴿وَٱسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: أي غيره ﴿آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ٤٥:

قوله: ﴿حتى إذا جاءنا﴾ بالافراد والتثنية قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشي، وعلى الثانية ضمير التثنية. قوله: [بقرينه] أي مع قرينه. قوله: ﴿يا﴾ [للتنبيه] ويصح أن تكون للنداء، والمنادي محذوف تقديره قريني. قوله: ﴿بعد المشرقين﴾ اسم ﴿ليت﴾ مؤخر، وفيه تغليب [المشرق والمغرب]. قوله: [أي مثل ما بين المشرق والمغرب] أي في أنهما لا يجتمعان ولا يقربان منه؛ لأنهما ضدان. قوله: [أنت] هو المخصوص بالذم. قوله: [قال تعالى] الماضي بمعنى المضارع؛ لأن هذا القول يحصل في الآخرة. [أي العاشين] تفسير للكاف، وقوله [وتمنيكم وندمكم] للضمير المستتر، فهو اشارة إلى أنه فاعل ينفع، وهو معلوم من السياق دل عليه قوله: ﴿يا ليت بيني وبينك﴾ الخ، وبعضهم قال: إن الفاعل هو ﴿إنكم﴾ وما في حيزها، والتقدير: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب، وأتى بهذا دفعاً لما قد يتوهم من أن عموم المصيبة يهونها، كمصائب الدنيا، فإنها إذا عمت هانت؛ بل في الآخرة عمومها موجب لعظمها وهولها. قوله: [أي تبين لكم] أي الآن في الآخرة، ودفع بذلك ما يقال: إن الظلم وقع في الدنيا، و﴿اليوم﴾ عبارة عن يوم القيامة، و﴿إذ﴾ بدل من ﴿اليوم﴾ فكيف بدل الماضي من الحال؟ فأجاب: بأن المراد تبين الظلم وظهوره، وذلك يكون يوم القيامة. قوله: [وإذ بدل من اليوم] أي بدل كل، إن قلت: لن ينفعكم عامل في اليوم، وإذ مع أنه مستقبل، واليوم ظرف حالي، وإذ ظرف ماض، فكيف يعمل المستقبل في الحال والماضي؟ أجيب: بأن عمله في الحال من حيث إنه قريب من الاستقبال، وتقدم أن الماضي مؤول بالحال.

قوله: ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي أنت لا تسمعهم، كما أشار له المفسر، وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد في دعائهم، وهم لا يزدادون إلا تصميماً على الكفر. قوله: ﴿ومن كان في ضلال مبين﴾ عطف على ﴿العمي﴾ ويكفي في العطف تغاير العنوان، وإلا فالأوصاف الثلاثة مجتمعة في كل كافر. قوله: [بأن نميتك قبل تعذيبهم] أي نقبضك إلينا قبل انتقامنا منهم. قوله: ﴿فإنا عليهم مقتدرون﴾ أي فلا يعجزوننا، وقد وقع بهم العذاب على يده في الدنيا، وعلى أيدي أتباعه بعد موته إلى يوم القيامة، ولعذاب الآخرة أشد. قوله: ﴿فاستمسك﴾ أي دم على الاستمساك.

قوله: ﴿إنك﴾ الخ تعليل للأمر بالاستمساك. قوله: ﴿ولقومك﴾ أي قريش خصوصاً ولغيرهم عموماً، فهو شرف لكل من تبعه، وهذه الآية نظير قوله تعالى ﴿ولقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾. قوله: ﴿من رسلنا﴾ بيان لمن. قوله:

قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء وقيل المراد أمم أي من أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين، لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: أي القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٦ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ٤٧ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ﴾: من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: قرينتها التي قبلها

﴿أجعلنا من دون الرحمٰن﴾ الخ، أي حكمنا بعبادة الأوثان، و أنزلنا ذلك في كتبنا. قوله: [قيل هو على ظاهره] أي من غير تقدير، فهو مأمور بسؤال المرسلين أنفسهم، وهذا على أن الآية مكية. قوله: [بأن جمع له الرسل] الخ، جواب عما يقال: إنه متأخر في البعث عن الرسل، فكيف يؤمر بسؤال من لم يلقه؟ قوله: [وقيل المراد أمم] الخ، أي فالكلام على حذف مضاف، والمعنى: واسأل أمم من أرسلنا، وقوله: [أي أهل الكتابين] تفسير لأمم، وهذا على أن الآية مدنية، لأن أهل الكتابين إنما كانوا في المدينة. قوله: [ولم يسأل على واحد من القولين] هذا أحد قولين، قال ابن عباس وابن زيد: لما أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو مسجد بيت المقدس، بعث الله له آدم ومن دونه من المرسلين، وجبريل مع النبي ﷺ، فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله ﷺ قال له جبريل: سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا، أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يعبدون؟ فقال ﷺ: قد اكتفيت. والقول الآخر لغير ابن عباس: أنهم صلوا خلفه ﷺ سبعة صفوف: المرسلون ثلاثة صفوف، والنبيون أربعة صفوف، وكان يلي ظهر رسول الله ﷺ إبراهيم الخليل، وعلى يمينه إسماعيل، وعلى يساره إسحاق، ثم موسى، ثم سائر المرسلين، فصلى بهم ركعتين، فلما انتقل قام فقال: إن ربي أوحى إلي أن أسألكم: هل أرسل أحداً منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى؟ فقالوا: يا محمد إنا نشهد أنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة، أن لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل، وأنك خاتم النبيين وسيد المرسلين، قد استبان ذلك بإمامتك إيانا، وأنه لا نبي بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم، فإنه مأمور أن يتبع أثرك.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ الخ الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها، عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته ﷺ، فإن موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد ﷺ من قومه، من التعيير بقلة المال والجاه. قوله: ﴿بآياتنا﴾ أي معجزاتنا التسع، والباء للملابسة. قوله: ﴿فقال إني رسول رب العالمين﴾ في القصة اختصار قد بين في سورة طه والقصص، والمعنى: فقال إني رسول رب العالمين، لتؤمن به وترسل معه بني إسرائيل.

قوله: ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ مرتب على مقدر، أي فطلبوا منه آية تدل على صدقه، يدل عليه ما تقدم في الأعراف ﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها﴾ الخ. قوله: ﴿إذا هم منها يضحكون﴾ ﴿إذا﴾ فجائية، والمعنى: فحين جاءهم بالآيات فاجؤوا المجيء بها بالضحك والسخرية، من غير تأمل ولا تفكر. قوله: [والجراد] أي والقمل والضفادع والدم، كل واحدة تمكث سبعة أيام عليهم، فيستجيروا بموسى، فيدعو الله تعالى فيكشفه عنهم، فيمكثون بين كل واحدة والأخرى شهراً ويعودون لما كانوا عليه من الطغيان، ثم أرسل الله عليهم السنين المجدبة، فاستجاروا ثم عادوا للطغيان، ثم دعا الله فكشفت عنهم، ثم دعا عليهم بالطمس فطمست أموالهم، فعزموا على قتل موسى وقومه، فانتقم الله منهم بالغرق.

قوله: ﴿إلا هي أكبر من أختها﴾ الجملة صفة لآية، والمعنى إلا هي بالغة الغاية في الإعجاز بحيث يظن الناظر

﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٤٨: عن الكفر ﴿وَقَالُوا﴾: لموسى لما رأوا العذاب: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾: أي العالم الكامل لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ ٤٩: أي مؤمنون ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾: بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ٥٠: ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾: افتخاراً ﴿فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾: أي من النيل ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾: أي تحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٥١: عظمتي ﴿أَمْ﴾: تبصرون؟ وحينئذ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾: أي موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ٥٢: يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره ﴿فَلَوْلَا﴾: هلا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾: إن كان صادقاً ﴿أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾: جمع أسورة ـ كأغربة ـ جمع سوار كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ ٥٣: متتابعين يشهدون بصدقه ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾: استفز فرعون ﴿قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾: فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٥٤ ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٥٥ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ﴾

فيها أنها أكبر من غيرها. قوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي عما هم عليه من الكفر. قوله: [لأن السحر عندهم علم عظيم] أي فقصدوا بذلك تعظيمه لا نقصه. إن قلت: إن الله تعالى قال في سورة الأعراف حكاية عنهم ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك﴾ الخ، فهذا يقتضي أنهم نادوه باسمه، وهذا صريح في أنهم نادوه بيا أيها الساحر، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن الخطاب تعدد، وإنما لم يلمهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا واستقصاراً لعقولهم. قوله: [من كشف العذاب] بيان لما. قوله: ﴿إننا لمهتدون﴾ أي إن كشف العذاب عنا. قوله: ﴿إذا هم ينكثون﴾ أي في كل مرة من مرات العذاب.

قوله: ﴿ونادى فرعون﴾ أي بنفسه وبمناديه. قوله: ﴿وهذه الأنهار﴾ الخ، معطوف على ﴿ملك مصر﴾ وجملة ﴿تجري﴾ حال من اسم الاشارة. قوله: ﴿أفلا تبصرون﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: [عظمتي]. قوله: ﴿أم﴾ [تبصرون] أشار بذلك إلى أن ﴿أم﴾ متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين، والمعادل محذوف، واعترض بأن المعادل لا يحذف بعد ﴿أم﴾ إلا إن كان بعدها لا، نحو: أتقوم أم لا؟ أي أم لا تقوم. وأجيب: بأن هذا غالب لا مطرد. قوله: [وحينئذ] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أنا خير﴾ الخ، مسبب عن المعادل المحذوف. قوله: [حقير] أي لأنه يخدم نفسه، وليس له ملك ولا نفاذ أمر.

قوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾ الجملة إما عطف على جملة ﴿وهو مهين﴾ أو حال أو مستأنفة. قوله: [للثغته] بضم اللام وهي تصيير الراء غيناً أو لاماً، أو السين ثاء. قوله: [التي تناولها في صغره] أي حين لطم فرعون على وجهه، فاغتم لذلك وأراد قتله، فمنعته زوجته وقالت له: إنه صغير لا يعرف التمرة من الجمرة، فأتى له بتمر وجمر، فأراد أخذ التمرة، فحول جبريل يده فأخذ الجمرة، فأثرت في لسانه، وقد حلها الله حين أرسله، وإنما وصفه فرعون بها الآن استصحاباً لما كان يعرف منه. قوله: ﴿فلولا ألقي عليه﴾ أي من عند مرسله الذي يدعي أنه الملك حقيقة. قوله: [استفز فرعون] ﴿قومه﴾ المعنى استخف عقول قومه، فألقى عليهم تلك الشبه الواهية التي أثبت بها الوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه. قوله: ﴿فلما آسفونا﴾ أصله أأسفونا بهمزتين، أبدلت الثانية ألفاً. قوله: [أغضبونا] أي حيث بالغوا في العناد والعصيان. قوله: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي عاقبناهم. قوله: ﴿فأغرقناهم أجمعين﴾ تفسير للانتقام، وقد أهلكوا بجنس

﴿سَلَفاً﴾: جمع سالف كخادم وخدم أي سابقين عبرة ﴿وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ﴾ ٥٦: بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾: جعل ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾: حين نزل قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لأنه عبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾: أي المشركون ﴿مِنْهُ﴾: من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ ٥٧: يضحكون فرحاً بما سمعوا ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾: أي عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾: أي المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلاً﴾: خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ٥٨: شديدو الخصومة ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾: عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾: بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾: بوجوده من غير أب ﴿مَثَلاً لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ٥٩: أي كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ ٦٠: بأن نهلككم

ما تكبّروا به، ففيه إشارة إلى أن من افتخر بشيء وتعزز به غير الله أهلكه به. قوله: ﴿ومثلاً﴾ معطوف على ﴿سلفاً﴾ والمراد بالآخرين المتأخرون في الزمان، وهي الأمة المحمدية.

قوله: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ الآية، قال عبد الله بن الزبعري وكان قبل أن يسلم: أهذا لنا ولآلهتنا، أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال: قد خصمتك ورب الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح؟ واليهود يعبدون عزيراً؟ وبنو مليح يعبدون الملائكة؟ فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، فسكت انتظاراً للوحي، فظنوا أنه ألزم الحجة، فضحكوا وارتفعت أصواتهم، إذا علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع من المفسّر في القصة. قوله: ﴿إذا قومك﴾ فجائية، والمعنى: فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم. قوله: ﴿يصدون﴾ بضم الصاد وكسرها من باب ضرب ورد قراءتان سبعيتان. قوله: [فرحاً بما سمعوا] أي إن محمداً صار مغلوباً بهذا الجدال.

قوله: ﴿وقالوا أآلهتنا خير﴾ الخ، تفصيل لجدالهم، والمعنى أنهم قالوا: آلهتنا خير عندك أم عيسى؟ فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه، وقوله: ﴿أآلهتنا﴾ بتحقيق الهمزتين أو تسهيل الثانية، بغير ادخال ألف بينهما، فهما قراءتان سبعيتان فقط، وقرئ شذوذاً بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر. قوله: ﴿فترضى أن تكون﴾ الخ هذا تفريع على الشق الثاني. قوله: ﴿إلا جدالاً﴾ مفعول من أجله، أي لأجل الجدل والمراء. قوله: [لعلمهم أن ما] أي الواقعة في قوله تعالى ﴿إنكم وما تعبدون﴾ وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب، أن ما تكون لغير العاقل، ومن للعاقل. قوله: ﴿إن هو إلا عبد﴾ رد عليهم، والمعنى: ما عيسى إلا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة، لا إله ولا ابن إله. قوله: [بوجوده من غير أب] أي فهو نظير آدم في خلقه من غير أبوين. قوله: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ خطاب لقريش، والمعنى: أننا أغنياء عنكم وعن عبادتكم، فلو نشاء لأهلكناكم، وجعلنا بدلكم ملائكة يعبدوني في الأرض. قوله: [بدلكم] أي فهو نظير قوله تعالى ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ وقول الشاعر:

جارية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا

ويصح أن تكون من تبعيضية، والمعنى: لو نشاء لجعلنا بعضكم ملائكة يخلفونكم فيها، بأن يحول بعضكم إلى

---

* أسباب نزول الآية ٥٧: وأخرج أحمد بسند صحيح والطبراني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقريش: إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير، فقالوا: ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً صالحاً وقد عبد من دون الله، فأنزل الله ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ الآية.

﴿وَإِنَّهُ﴾: أي عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾: تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: أي تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَ﴾: قل لهم ﴿اتَّبِعُونِ﴾: على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾: الذي آمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾: يصرفنكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٦٢: بين العداوة ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ٦٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦٤ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: في عيسى أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾: كلمة عذاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ٦٥: مؤلم ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: أي كفار مكة أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾: بدل من الساعة ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٦٦: بوقت مجيئها قبله ﴿الْأَخِلَّاءُ﴾: على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة متعلق بقوله ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ٦٧: المتحابين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء ويقال لهم: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ٦٨ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نعت لعبادي ﴿بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ٦٩ ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ﴾: مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾: زوجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾ ٧٠: تسرون وتكرمون خبر المبتدإ

صورة الملائكة، أو يلد بعضكم ملائكة. قوله: ﴿وإنه لعلم﴾ أي نزوله علامة على قرب الساعة، فالكلام على حذف مضاف، واللام بمعنى على. قوله: ﴿واتبعون﴾ أي امتثلوا ما آمركم به. قوله: ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ معطوف على ﴿اتبعون﴾ فهو مقول القول، وقيل: من كلام الله تعالى: والمعنى اتبعوا يا عبادي هديي أو رسولي ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ الخ. قوله: ﴿ولما جاء عيسى﴾ أي أرسل لبني إسرائيل. قوله: ﴿ولأبين لكم﴾ معطوف على قوله: ﴿بالحكمة﴾ أي وجئتكم لأبين، ولم يترك العاطف؛ إشارة إلى أنه متعلق بما قبله، إشعاراً بالاهتمام بالعلة، حتى جعل كأنه كلام برأسه. قوله: ﴿بعض الذي تختلفون فيه﴾ أي فبين لهم أمر الدين، وهو بعض ما يختلفون فيه، لأن اختلافهم في أمر الدين وتكسبات الدنيا، والأنبياء بعثوا لبيان الدين، لا لصنائع الدنيا، فإنها تؤخذ على أهلها، وفي الحديث: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أي فيما أبلغه عنه.

قوله: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ أي تفرقوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى. قوله: [أهو الله] هذه مقالة فرقة من النصارى تسمى اليعقوبية. قوله: [أو ابن الله] هذا قول فرقة منهم أيضاً تسمى المرقوسية. قوله: [أو ثالث ثلاثة] هذا قول فرقة منهم أيضاً تسمى الملكانية، وقالت فرقة: إنه عبد الله ورسوله، وإنما كفرت ببعثة محمد ﷺ وقالت اليهود: إنه ليس بنبي فإنه ابن زنا؛ لعنهم الله. قوله: [كلمة عذاب] أي كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ، وقوله: ﴿للذين ظلموا﴾ خبره. قوله: [أي كفار مكة] هذا توعد لهم بالعذاب، إثر بيان فرحهم بجعل المسيح مثلاً.

قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ الجملة حالية. قوله: [على المعصية] أي وعليه فيكون الاستثناء منقطعاً، ويصح أن المراد بالأخلاء الأحباب مطلقاً، فيكون الاستثناء متصلاً. قوله: [متعلق بقوله] ﴿بعضهم﴾ أي والفصل بالمبتدإ لا يضر. قوله: [فإنهم أصدقاء] أي يشفعون لبعضهم ويتوددون، كما كانوا في الدنيا. قوله: [ويقال لهم] أي تشريفاً وتطييباً لقلوبهم، ورد أنه ينادي مناد في العرصات ﴿يا عبادي لا خوف عليكم اليوم﴾، فيرفع أهل العرصة رؤوسهم، فيقول المنادي: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾، فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾: بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾: جمع كوب وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾: تلذذاً ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾: نظراً ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٧١ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾: أي بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ ٧٣: وكل ما يؤكل يخلف بدله ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ﴾: يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ٧٥: ساكتون سكوت يأس

قوله: ﴿يا عبادي﴾ الإضافة للتشريف والتكريم، والياء إما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة، ثلاث قراءات سبعيات، وقد ناداهم الله تعالى بأربعة أمور: الأول نفي الخوف، والثاني نفي الحزن، والثالث الأمر بدخول الجنة، والرابع البشارة بالسرور في قوله: ﴿تحبرون﴾ قوله: ﴿لا خوف عليكم﴾ بالرفع والتنوين في قراءة العامة، وهو مبتدأ، و﴿عليكم﴾ خبره، وقرئ شذوذاً بالضم والفتح دون تنوين. قوله: ﴿وكانوا مسلمين﴾ أي مخلصين في أمر الدين. قوله: [زوجاتكم] أي المؤمنات. قوله: [تسرون] أي يظهر أثره على وجوهكم. قوله: [بقصاع] جمع قصعة وهي الإناء الذي يشبع العشرة، وأكبر منها الجفنة، والصحفة ما يشبع الخمسة، والمأكلة ما يشبع الرجلين أو الثلاثة، ورد أنه يطوف على أدنى أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلام، بسبعين ألف صحفة من ذهب، يغدى عليه بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضه بعضاً، ويراح عليه بمثلها، ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام، مع كل غلام صحفة من ذهب، فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضه بعضاً. قوله: [جمع كوب] أي كعود وأعواد. قوله: [لا عروة له] أي ليس له محل يمسك منه. قوله: [ليشرب الشارب من حيث شاء] أي لأن العروة تمنع من بعض الجهات، وروي أنهم يؤتون بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك، أتوا بالشراب الطهور، فتنضمر لذلك بطونهم، وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك، قال تعالى ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾.

قوله: ﴿وفيها﴾ أي الجنة. قوله: ﴿ما تشتهي الأنفس﴾ أي من الأشياء المعقولة والمسموعة والمنظورة والملموسة والمذوقة والمشمومة، روي أن رجلاً قال: يا رسول الله أفي الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل. فقال: إن يدخلك الله الجنة، فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء، فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت، فقال أعرابي: يا رسول الله أفي الجنة إبل؟ فإني أحب الإبل. فقال: يا أعرابي إن أدخلك الله الجنة، أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك». وتشتهي: بهاء واحدة وأثنتين بينهما الياء، قراءتان سبعيتان. قوله: [تلذذاً] أي بطعامها وشرابها، لا عن عطش. قوله: [نظراً] أي وأعظمه النظر إلى وجه الله الكريم.

قوله: ﴿وتلك الجنة﴾ مبتدأ وخبر، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تشريفاً لها وتعظيماً لقدرها، ولم يقل: وتلكم الجنة، ليكون مناسباً لقوله: ﴿أورثتموها﴾ إشارة إلى أن كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال. قوله: ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ أي أعطيتموها بسبب عملكم، وهذا زيادة في الإكرام لأهل الجنة، حيث لم يقل أورثتموها من فضلي، وإن كانت في الحقيقة من فضله تعالى، قال ابن عباس: خلق الله لكل نفس جنة وناراً، فالكافر يرث نار المسلم، والمسلم يرث جنة الكافر. قوله: [يخلف بدله] أي لأنها على صفة الماء النابع، لا يؤخذ منها شيء، إلا خلف مكانه في الحال مثله.

قوله: ﴿إن المجرمين﴾ الخ، لما ذكر وعد المؤمنين الحسن بالجنة وما فيها، شرع في ذكر وعيد الكافرين السيء بالنار وما فيها، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، والمراد بالمجرمين الكفار لذكرهم في مقابلة

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ٧٦ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾: هو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: ليمتنا ﴿قَالَ﴾: بعد ألف سنة ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ٧٧﴾: مقيمون في العذاب دائماً قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم﴾: أي أهل مكة ﴿بِالْحَقِّ﴾: على لسان الرسول ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ٧٨ أَمْ أَبْرَمُوا﴾: أي كفار مكة أحكموا ﴿أَمْرًا﴾: في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ٧٩﴾: محكمون كيدنا في إهلاكهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾: ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَى﴾: نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾: الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندهم ﴿يَكْتُبُونَ ٨٠﴾*: ذلك ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾: فرضاً ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ٨١﴾: للولد لكن ثبت أن لا ولد له

المؤمنين. قوله: ﴿لا يفتر عنهم﴾ الجملة حالية، وكذا ما بعدها، والفتور السكون، يقال من فتر الماء سكن حره. قوله: [ساكتون] أي فالإبلاس السكوت، ويطلق على السكون، يقال أبلس سكت وسكن. قوله: [سكوت يأس] أي من رحمة الله تعالى. إن قلت: إن مقتضى ما هنا أنهم يسكتون في النار، ومقتضى ما يأتي في قوله: ﴿ونادوا يا مالك﴾ الآية، أنهم يستغيثون ويتكلمون، فحصل التنافي بين الموضعين. أجيب: بأنهم يسكتون تارة ويستغيثون أخرى، فأحوالهم مختلفة. قوله: ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ العامة على نصب ﴿الظالمين﴾ خبراً لكان، و﴿هم﴾ ضمير فصل، وقرىء شذوذاً الظالمون بالرفع، على أن ﴿هم﴾ ضمير منفصل مبتدأ، والظالمون خبره، والجملة خبر كان.

قوله: ﴿ونادوا﴾ التعبير بالماضي لتحقق الحصول. قوله: [هو خازن النار] أي كبير خزنتها، ومجلسه وسط النار، وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها. قوله: ﴿ليقض علينا ربك﴾ اللام للدعاء، ويقض مجزوم بحذف الياء، والمعنى: سل ربك أن يميتنا، فهو من قضى عليه إذا أماته. قوله: [ليمتنا] أي لنستريح مما نحن فيه. قوله: [بعد ألف سنة] هذا أحد أقوال، وقيل بعد مائة سنة، وقيل بعد أربعين سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون. قوله: [مقيمون في العذاب دائماً] أي لا مفر لكم منه بموت ولا غيره. قوله: ﴿لقد جئناكم﴾ الخ، يحتمل أنه من كلام الله تعالى، خطاب لأهل مكة عموماً، مبين لسبب مكث الكفار في النار، وهو ما مشى عليه المفسر. قوله: ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ أي وأما قلتكم فهو مؤمن يحب الحق، ويحتمل أنه من كلام مالك لأهل النار، مجاز مجرى العلة كأنه قال: إنكم ماكثون لأنا جئناكم الخ، ويكون معنى أكثركم كلكم. قوله: ﴿كارهون﴾ أي لما فيه من منع الشهوات، فكراهتكم له من أجل كونه مخالفاً لهواكم وشهواتكم.

قوله: ﴿أم أبرموا أمراً﴾ الإبرام في الأصل الفتل المحكم، يقال: أبرم الحبل إذا أتقن فتله ثانياً، وأما فتله أولاً فيسمى سحلاً، ثم أطلق على مطلق الإتقان والإحكام، و﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، وهو انتقال من توبيخ أهل النار إلى توبيخ الكفار، على بعض ما حصل منهم في الدنيا. قوله: [في كيد محمد] أي كما ذكره في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾ الآية.

قوله: ﴿أم يحسبون﴾ ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل وهمزة الإنكار. قوله: ﴿ورسلنا﴾ الخ، الجملة حالية. قوله: ﴿يكتبون﴾ [ذلك] أي سرهم ونجواهم. قوله: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ أي إن صح وثبت ذلك ببرهان صحيح، فأنا أول من يعظم ذلك الولد ويعبده. قوله: [لكن ثبت أن لا ولد له] أشار بذلك إلى أنه قياس استثنائي، وقد استثنى فيه

* أسباب نزول الآية ٨٠: وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال واحد منهم: ترون الله يسمع كلامنا، فقال آخر: إذا جهرتم سمع وإذا أسررتم لم يسمع، فأنزلت ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ الآية.

تعالى فانتفت عبادته ﴿سُبْحَانَ رَبِّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾: الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٨٢: يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾: في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: في دنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ٨٣ فيه العذاب وهو يوم القيامة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي﴾ هو ﴿فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَهٌ﴾: بتحقيق الهمزتين وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء أي معبود ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: في تدبير خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ٨٤: بمصالحهم ﴿وَتَبَارَكَ﴾: تعظم ﴿ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ٨٥: بالياء والتاء ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون أي الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾: أي الله ﴿ٱلشَّفَاعَةَ﴾: لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي قال لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٨٦: بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: حذف منه نون الرفع وواو الضمير ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٨٧: يصرفون عن عبادة الله ﴿وَقِيلِهِ﴾: أي قول محمد النبي ونصبه على المصدر بفعله المقدر أي وقال ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٨: قال تعالى

نقيض المقدم بقوله: [لكن ثبت] الخ، فأنتج نقيض التالي وهو قوله: [فانتفت عبادته] وإيضاحه: أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محالة في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فحصل نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها. قوله: [الكرسي] المناسب إبقاء الآية على ظاهرها لأن من المعلوم أن ﴿العرش﴾ غير [الكرسي]. قوله: [العذاب] مفعول ثان ليوعدون وفيه متعلق بالعذاب. قوله: [وهو يوم القيامة] المناسب أن يقول: يوم موتهم، لأن خوضهم ولعبهم إنما ينتهي بيوم الموت.

قوله: ﴿وهو الذي﴾ [هو] ﴿في السماء﴾ الخ قدر الضمير إشارة إلى أن العائد محذوف وهو مبتدأ، و﴿إله﴾ خبره، و﴿في السماء﴾ متعلق بإله، وإنما حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه، ولطول الصلة بالمعمول، نظير قولك: ما أنا بالذي قائل لك سوءاً، ولا يصح أن يكون الجار والمجرور خبراً مقدماً، و﴿إله﴾ مبتدأ مؤخراً، لئلا تعرى الجملة عن رابط نظير: جاء الذي في الدار زيد. قوله: [بتحقيق الهمزتين] الخ أي همزة سماء، وهمزة إله، وذكر المفسر هنا ثلاث قراءات، وفي الحقيقة هي سبع سبعيات: التحقيق وهي قراءة واحدة، وإسقاط الهمزة الأولى وتسهيلها مع القصر في سماء بقدر ألف، والمد بقدر ألفين، وتسهيل الثانية وابدالها ياء مع القصر لا غير. قوله: [متعلق بما بعده] أي وهو إله لأنه بمعنى معبود، والتقدير: وهو معبود في السماء ومعبود في الأرض، ولا شك أن العابد في السماء غير العابد في الأرض، والمعبود واحد، ودفع ما يتوهم من ظاهر الآية أن الإله متعدد، لأن النكرة إذا أعيدت كانت غيراً. قوله: ﴿وعنده علم الساعة﴾ أي علم وقت قيامها. قوله: [والتاء] أي فهو التفات من الغيبة للخطاب للتهديد والتقريع.

قوله: ﴿ولا يملك الذين﴾ الخ الإسم الموصول فاعل ﴿يملك﴾ وهو إما عبارة عن مطلق المعبودات غير الله ليكون الاستثناء متصلاً، وهو ما تقتضيه عبارة المفسر، أو عن خصوص الأصنام فيكون منقطعاً. قوله: [أي الكفار] تفسير للواو في ﴿يدعون﴾. قوله: [لأحد] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿الشفاعة﴾ محذوف. قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ الضمير عائد على ﴿من﴾ والجمع باعتبار معناها.

قوله: ﴿ولئن سألتهم﴾ أي العابدين مع ادعاء الشريك. قوله: ﴿ليقولن الله﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على القاعدة. قوله: [أي قول محمد النبي] تفسير لكل من المضاف والمضاف إليه، وقوله: [ونصبه على

﴿فَاصْفَحْ﴾: فأعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٨٩: بالياء والتاء تهديد لهم.

المصدر] أي القول والقيل المقالة كلها مصادر بمعنى واحد، وفي قراءة سبعية أيضاً بالجر، إما عطفاً على ﴿الساعة﴾ أو أن الواو للقسم، والجواب: إما محذوف والتقدير لأفعلن بهم ما أريد، أو مذكور وهو قوله: إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

قوله: ﴿وقل سلام﴾ خبر لمحذوف أي شأني سلام، أي ذو سلامة منكم ومني، فهو تباعد وتبرؤ منهم، فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار. قوله: [وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم] أي فالآية منسوخة، ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤٤] ـ سورة الدّخان

[مكية وقيل إلا ﴿إِنَّا كَاشِفُو ٱلْعَذَابِ﴾ الآية وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية]

﴿حمٓ﴾١: الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾٢: المظهر الحلال من الحرام ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الدخان مكية

وقيل إلا ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ الآية. وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

أي كلها وهو المعتمد. قوله: [الآية] أي إلى قوله ﴿عائدون﴾ وورد في فضل هذه السورة أحاديث منها قوله ﷺ: «من قرأ الدخان ليلة الجمعة، أصبح مغفوراً له، وزوج من الحور العين». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ الدخان ليلة الجمعة، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، بنى الله له بيتاً في الجنة». قال بعض العلماء: ما ذكره البيضاوي من الواردة في فضل السورة متكلم فيها إلا أحاديث سورة الدخان، وحديث يس الذي تقدم لنا وهو: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، من قرأها يريد وجه الله تعالى غفر الله له» إلى آخره، وحديث سورة الواقعة وهو: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

قوله: ﴿والكتاب﴾ الواو للقسم، و﴿الكتاب﴾ مقسم به، وجواب القسم هو قوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ الخ، وأما قوله: ﴿إنا كنا منذرين﴾ فهو تعليل للجواب، وهو أحسن من جعل الجواب قوله: ﴿إنا كنا منذرين﴾ وقوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ جملة معترضة بين القسم وجوابه. قوله: [القرآن] هذا أحد أقوال في تفسير الكتاب وهو أقواها، وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن، كما تقول للعظيم: أتشفع بك لك، وفي الحديث: «أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك». وقيل: المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء، والضمير في ﴿أنزلناه﴾ عائد على القرآن المفهوم من السياق، وقيل: المراد به في اللوح المحفوظ، وقوله: ﴿أنزلناه﴾ أي أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن. قوله: [هي ليلة القدر] هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين، ووجه بأمور منها قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ فيجب أن تكون الليلة المباركة هي المسماة بليلة القدر، لأن خير ما فسرته بالوارد، ومنها قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ فقوله تعالى هنا: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان، فثبت أنها ليلة القدر، ومنها قوله تعالى في صفة ليلة القدر: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ وقال هنا ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ وقال هنا: ﴿رحمة من

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾٣: مخوّفين. ﴿فِيهَا﴾: أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان ﴿يُفْرَقُ﴾: يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾٤: محكم من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة ﴿أَمْرًا﴾ فرقاً ﴿مِنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾٥: الرسل محمداً ومن قبله. ﴿رَحْمَةً﴾: رأفة بالمرسَل إليهم ﴿مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾:

ربك﴾ وقال في ليلة القدر: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ وإذا تقاربت الأوصاف، وجب القول بأن احدى الليلتين هي الأخرى، وهذه أدلة ظاهرة واضحة على أنها ليلة القدر وهو المعتمد، وسميت ليلة القدر، لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق، ويسلم ذلك إلى مدبرات الأمور وهم: اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام، وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ، من ليلة نصف من شعبان، ويقع الفراغ في ليلة القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى اسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت. قوله: [أو ليلة النصف من شعبان] هو قول عكرمة وطائفة، ووجه بأمور منها أن ليلة النصف من شعبان لها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الرحمة، وليلة الصك، ومنها فضل العبادة فيها لما ورد: من صلى فيها مائة ركعة، أرسل الله تعالى إليه مائة ملك، ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان، ومنها نزول الرحمة فيها لما في الحديث «إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة، بعدد شعر أغنام بني كلب». ومنها حصول المغفرة فيها لما في الحديث: «إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة، إلا الكاهن، والساحر، ومدمن الخمر، وعاق والديه، والمصر على الزنا». ومنها أن الله تعالى أعطى رسوله في تلك الليلة تمام الشفاعة في أمته، وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع، إلا من شرد عن الله شرود البعير. قوله: [نزل فيها] أي جملة، ومعنى انزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، أن جبريل أملاه منه على ملائكة سماء الدنيا، فكتبوه في صحف وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة، ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة، ينزل بها على النبي ﷺ بحسب الوقائع والحوادث. قوله: ﴿إنا كنا منذرين﴾ المراد من كان الاستمرار والدوام، أي شأننا وعادتنا الإنذار والتخويف، وهذه الجملة علة للإنزال، وكونه في ليلة مباركة. والمعنى إنما أنزلناه في ليلة مباركة، لأن شأننا الإنذار، وهذا القرآن عظيم أنزل في ليلة مباركة، شأنه أن يخاف منه.

قوله: ﴿فيها يفرق﴾ هذه الجملة إما مستأنفة أو صفة لليلة، وما بينهما اعتراض. قوله: [يفصل] أي يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف. قوله: [محكم] أي مبرم لا تغيير فيه ولا تبديل. قوله: [فرقاً] أشار بذلك إلى أن ﴿أمراً﴾ منصوب على المصدرية بفعل ملاق له في المعنى: كقمت وقوفاً، وجلست قعوداً، ويصح أن يكون حالاً من فاعل ﴿أنزلناه﴾ والتقدير أنزلناه حال كوننا آمرين، أو من مفعوله والتقدير أنزلناه حال كونه مأموراً به، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله وعامله أنزلناه، والتقدير أنزلناه لأمر الخلق أي شأنهم، بمعنى أن فيه مصالح دينهم ودنياهم. قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾. قوله: ﴿من عندنا﴾ صفة لأمراً. قوله: ﴿إنا كنا مرسلين﴾ جملة مستأنفة قصد بها بيان حكمة الإنزال في ليلة مباركة وكونه أمراً.

قوله: ﴿رحمة﴾ مفعول لأجله، والعامل فيه إما ﴿أنزلناه﴾ وإما ﴿أمراً﴾ وإما ﴿منذرين﴾ وإما ﴿يفرق﴾ وإما ﴿مرسلين﴾ وهو الأقرب، ويصح أن يكون منصوباً بفعل محذوف، أي رحمناهم رحمة، ويصح أن يكون حالاً من

لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ٦: بأفعالهم. ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: برفع رب خبر ثالث وبجره بدل من ربك ﴿إِن كُنتُم﴾: يا أهل مكة ﴿مُّوقِنِينَ﴾ ٧: بأنه تعالى رب السموات والأرض فأيقنوا بأن محمداً رسوله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٨. ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾: من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ٩: استهزاء بك يا محمد فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ١٠: فأجدبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾:

ضمير ﴿مرسلين﴾ أي ذوي رحمة، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿أمراً﴾. قوله: ﴿من ربك﴾ متعلق برحمة، وفيه التفات من التكلم للغيبة لمزيد الإرهاب والترغيب، فالإرهاب للكفار، والترغيب للمؤمنين. قوله: ﴿إنه هو السميع العليم﴾ تعليل لما قبله، وإن حرف توكيد ونصب، والهاء اسمها، وهو ضمير فصل، و﴿السميع﴾ خبر أول، و﴿العليم﴾ خبر ثان. قوله: ﴿رب﴾ خبر ثالث كما قال المفسر ففيه إشارة لهذا الإعراب. قوله: [فأيقنوا] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، والجملة الشرطية معترضة بين الاخبار، فإن قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ خبر رابع. قوله: ﴿ربكم ورب آبائكم﴾ بالرفع في قراءة العامة، على أنه بدل أو بيان أو نعت لرب السماوات والأرض فيمن رفعه، وقرىء شذوذاً بالجر والنصب، فالأول على أنه نعت لرب السماوات في قراءة من جره؛ والثاني على المدح.

قوله: ﴿بل هم في شك﴾ إضراب عن محذوف، والمعنى: فليسوا موقنين ﴿بل هم في شك﴾ وقوله: ﴿يلعبون﴾ حال، أي حال كونهم يلعبون بظواهرهم، من الأقوال والأفعال، والمراد بلعبهم انهماكهم في الفاني واعراضهم عن الباقي، قال تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب﴾ قوله: [فقال اللهم أعني عليهم بسبع] أي سنين، هذا مفرع على محذوف، أشار له المفسر بقوله: [استهزاء] أي فلما استهزؤوا به وكثر عنادهم، دعا عليهم بقوله: [اللهم أعني عليهم] أي على هداهم، وفي الحقيقة هو دعاء لهم لأن من شأن النفوس، أنها إذا شبعت وكثر عليها الخير، تكبرت وطغت وبغت، فإذا جاعت واشتد بها الألم، ذلت وصغرت ورجعت للحق، لما ورد: أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها: من أنا؟ قالت له: أنت أنت، وأنا أنا، فألقاها في بحر الجوع، فذلت وقالت أنت الله لا إله غيرك، ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع. قوله: [قال تعالى] أي إجابة لدعوته، واختلف هل حصل ذلك والنبي ﷺ في مكة، أو بعد هجرته إلى المدينة، وهو الراجح.

قوله: ﴿يوم تأتي السماء﴾ مفعول به، وعامله ﴿فارتقب﴾. قوله: ﴿بدخان﴾ الدخان بوزن غراب وجبل ورمان الغبار، والجمع أدخنة ودواخن ودواخين، والتلاوة بوزن غراب. قوله: [فأجدبت الأرض] أشار بذلك إلى أن حصول مطلوبة فيهم بالفعل. قوله: [كهيئة الدخان] أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة الدخان، بل رأوا شيئاً يشبهه من ضعف أبصارهم، وهو قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود، فلما اشتد الأمر عليهم، جاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا لهم بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام، حتى تضرروا من كثرته، فجاء أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه، فدعا فارتفع، وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن: إنه دخان حقيقة، يظهر في العالم في آخر الزمان، يكون علامة على قرب الساعة، يملأ

---

* أسباب نزول الآية ١٠: أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: إن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ فأتى رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت، فاستسقى فسقوا، فنزلت.

فقالوا: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾¹¹ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾¹² : مصدقون نبيك قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾: أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾¹³ : بين الرسالة ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾: أي يعلمه القرآن بشر ﴿مَجْنُونٌ﴾¹⁴ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾: أي الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾: فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾¹⁵: إلى كفركم فعادوا إليه اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾: هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾¹⁶ : منهم والبطش الأخذ بقوة ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾: هو موسى عليه السلام ﴿كَرِيمٌ﴾¹⁷ : على الله تعالى ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿أَدُّوا إِلَيَّ﴾: ما أدعوكم إليه من الإيمان أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾¹⁸ : على ما أرسلت به ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا﴾: تتجبروا

ما بين المشرق والمغرب، وما بين السماء والأرض، يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه كالزكام، وأما الكافر فيصير كالسكران، فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار.

قوله: ﴿يغشى الناس﴾ صفة ثانية للدخان، والمراد بهم قريش وأمثالهم على ما قاله المفسر، وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار. قوله: ﴿إنا مؤمنون﴾ هذا وعد منهم بالإيمان وقد أخلفوه، وليس المراد أنهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا. قوله: [أي لا ينفعهم الإيمان] الخ، الأوضح أن يقول: أي لا يوفون بما وعدوا من الإيمان عند كشف العذاب عنهم، فهو استبعاد لإيمانهم. قوله: ﴿وقالوا معلم﴾ أي قالوا في حق النبي عليه السلام تارة إنه يعلمه غلام أعجمي، وقالوا تارة إنه مجنون، وتقدم في سورة النحل في قوله: ﴿إنما يعلمه بشر﴾ أن رجلاً اسمه جبر، وهو غلام عامر بن الحضرمي، ورجلاً اسمه يسار، كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان النبي عليه السلام يدخل عليهما ويسمع مما يقرآنه، فقال الكفار ﴿إنما يعلمه بشر﴾ فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ الآية.

قوله: ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ جواب عن قوله: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾. قوله: ﴿قليلاً﴾ قيل إلى يوم بدر، وقيل إلى ما بقي من أعمارهم. قوله: [فعادوا إليه] أي استمروا عليه، لأنه لم يوجد منهم إيمان بالفعل. قوله: [اذكر] ﴿يوم نبطش﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿يوم﴾ منصوب بمحذوف، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿يوم تأتي﴾. قوله: [بلونا] أي امتحنا. والمعنى فعلنا بهم فعل الممتحن، بإقبال النعم عليهم منا، ومقابلتهم لها بالكفر والطغيان. قوله: ﴿قبلهم﴾ أي قبل قريش. قوله: [معه] أشار بذلك دفعاً لما يتوهم من ظاهر الآية، أن الابتلاء لخصوص قوم فرعون، فأجاب: بأن المراد هو وقومه.

قوله: ﴿وجاءهم﴾ هو من جملة الممتحن به. قوله: ﴿كريم﴾ [على الله] أي عزيز عليه، حيث اختصه بالرسالة والكلام، وهذا رد لقول فرعون ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين﴾ كأنه قال: حاشا موسى من المهانة، بل هو كريم عزيز على ربه. قوله: [أي بأن] أشار بذلك إلى أن ﴿أن﴾ مصدرية، ويصح أن تكون مفسرة، وأن تكون مخففة من الثقيلة. قوله: ﴿عباد الله﴾ مشى المفسر على أن مفعول ﴿أدوا﴾ محذوف، و﴿عباد الله﴾ منادى، وعليه فالمراد بعباد الله فرعون وقومه، وقيل: إن ﴿عباد الله﴾ مفعول لأدوا، والمراد بهم بنو إسرائيل: ومعنى تأديتهم إياهم إطلاقهم من الأسر،

---

* أسباب نزول الآية ١٥ و١٦: قوله تعالى: ﴿إنكم عائدون﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ يعني يوم بدر.

﴿عَلَى اللهِ﴾: بترك طاعته ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾: برهان ﴿مُبِينٍ﴾١٩: بيّن على رسالتي فتوعدوه بالرجم فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾٢٠: بالحجارة ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾: تصدّقوني ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾٢١: فاتركوا أذاي فلم يتركوه ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ﴾: أي بأن ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾٢٢: مشركون فقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾: بقطع الهمزة ووصلها ﴿بِعِبَادِي﴾: بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾٢٣: يتبعكم فرعون وقومه ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾: إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾: ساكناً منفرجاً حتى يدخله القبط ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾٢٤: فاطمأن بذلك فأغرقوا ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾٢٥: تجري ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾٢٦: مجلس حسن ﴿وَنَعْمَةٍ﴾: متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾٢٧: ناعمين ﴿كَذَلِكَ﴾: خبر مبتدأ أي الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾: أي أموالهم ﴿قَوْمًا﴾

يشير إلى هذا قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿أن أرسل معي بني اسرائيل﴾ وعلى كلا القولين فالخطاب في ﴿أدوا﴾ لفرعون وقومه. قوله: ﴿إني لكم رسول أمين﴾ تعليل للأمر، وقوله: [على ما أرسلت به] متعلق بأمين. والمعنى: مأمون على ما أرسلني الله به، فلا أزيد ولا أنقص، وذكر الأمانة بعد الرسالة، وإن كانت تستلزمها، إشارة إلى أنها وصف شريف ينبغي الاعتناء به.

قوله: ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ عطف على قوله: ﴿أن أدوا﴾. قوله: [تتجبروا] ﴿على الله﴾ فسر العلو بالتجبر، وفسره غيره بالتكبر والبغي والافتراء والتعاظم والاستكبار، وكلها معان متقاربة. قوله: ﴿إني آتيكم﴾ تعليل للنهي. قوله: [فتوعدوه بالرجم] ظاهره أنه حين قال ﴿إني آتيكم بسلطان مبين﴾ توعدوه بالرجم ولم يتمهلوا، مع أنه تقدم أن فرعون قال له: ﴿فائت بها إن كنت من الصادقين﴾ ومكث بينهم مدة عظيمة، وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة، ثم لما توعدوه دعا عليهم، وحينئذ فيكون بين ما هنا وبين ما تقدم تناف، فالجواب: أن القصة ذكرت هنا مجملة، وما تقدم ذكرت مبسوطة، وذكر الشيء مفصلاً ثم مجملاً أثبت في النفس. قوله: ﴿أن ترجمون﴾ الياء فيه وفي قوله: ﴿فاعتزلون﴾ من ياءات الزوائد لا تثبت في الرسم، وأما في اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها حالة الوصل فقط، وأما في الوقف فيتعين حذفها. قوله: ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ اللام بمعنى الباء، ويصح أن تكون لام العلة. والمعنى: إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، الخ. قوله: [فاتركوا أذاي] أي لا تتعرضوا لي بسوء.

قوله: ﴿فدعا ربه﴾ عطف على مقدر قدره بقوله: [فلم يتركوه] وقوله: ﴿إن هؤلاء﴾ الخ تعريض بالدعاء كأنه قال: فافعل بهم ما يليق بهم، و﴿أن﴾ بفتح الهمزة في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بكسرها على اضمار القول. قوله: [بقطع الهمزة ووصلها] أي فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان: الأولى من أسرى، والثانية من سرى، قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ وقال تعالى ﴿والليل إذا يسر﴾ والإسراء السير ليلاً، وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ. قوله: [إذا قطعته أنت وأصحابك] هذا تعليم لموسى بما يفعله في سيره قبل أن يسير، والمعنى: إذا سرت بهم، وتبعك العدو، ووصلت إلى البحر، وأمرناك بضربه، ودخلتم فيه ونجوتم منه، فاتركه بحاله ولا تضربه بعصاك فيلتئم، بل أبقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم. قوله: ﴿رهواً﴾ حال من البحر، وهو في الأصل مصدر رها يرهو رهواً، إما بمعنى سكن، وإما بمعنى انفرج، والمفسر جمع بينهما. قوله: [فاطمأن بذلك] أي بقوله: ﴿إنهم جند مغرقون﴾ والضمير في اطمأن عائد على موسى. قوله: ﴿كم تركوا من جنات﴾ ﴿كم﴾ مفعول لتركوا، والمعنى تركوا أموراً كثيرة بيّنها بقوله: ﴿من جنات﴾ الخ. قوله: [مجلس حسن] أي محافل مزينة ومنازل حسنة، كما هو مشاهد في منازل الملوك الآن. قوله: [متعة] أي أمور يتمتعون بها وينتفعون بها، كالملابس والمراكب. قوله: ﴿فاكهين﴾ العامة بالألف، وقرئ

﴿آخَرِينَ﴾ ٢٨: أي بني إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾: بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مُصَلّاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ ٢٩: مؤخرين للتوبة ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ٣٠: قتل الأبناء واستخدام النساء ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾: قيل: بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب وقيل بحال من العذاب ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ٣١ ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾: أي بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: منا بحالهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٣٢: أي عالمي زمانهم أي العقلاء ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ ٣٣: نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ٣٤ ﴿إِنْ هِيَ﴾: ما الموتة التي

شذوذاً بغير ألف، ومعنى الأولى [ناعمين] كما قال المفسر أي متنعمين، ومعنى الثانية مستخفين ومستهزئين بنعمة الله.

قوله: [خبر مبتدأ] أي والوقف على كذلك، والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها. قوله: [أي الأمر] أي وهو هلاك فرعون وقومه. قوله: ﴿وأورثناها﴾ معطوف على ﴿كم تركوا﴾ والمعنى: تركوا أموراً كثيرة، وأورثنا تلك الأمور بني إسرائيل.

قوله: [أي بني إسرائيل] فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون إن قلت: كيف قال تعالى ﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾ مع أنه تقدم أن أموالهم طمست ومسخت حجارة؟ قلت: لعل الجواب أنها بعد غرقهم، أعيدت كما كانت، إكراماً لبني إسرائيل، فحين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس. قوله: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ اختلف في البكاء، فقيل حقيقة وعليه فقيل هو واقع من ذات السماوات والأرض، ويؤيده ما ورد: ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان: باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فيبكيان عليه، وتلا ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ ويؤيده أيضاً قول مجاهد: إن السماء والأرض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحاً، قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال: أتعجب! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟ وقيل: الكلام على حذف مضاف أي أهل السماوات والأرض، وقيل: إن بكاهما حمرة أطرافهما، ويؤيده قول السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما: بكت عليه السماء، وبكاها حمرتها، وقول محمد بن سيرين: أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه، وقال سليمان القاضي: مطرنا دماً يوم قتل الحسين، وقيل: إن البكاء كناية عن عدم الإكتراث وعدم المبالاة بهم.

قوله: ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل﴾ هذا من جملة تعداد النعم على بن إسرائيل، والمقصود من ذلك تسليته ﷺ وتبشيره بأنه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدي المشركين، فإنهم لم يبلغوا في التجبر مثل فرعون وقومه. قوله: [وقيل حال من العذاب] أي متعلق بمحذوف، والمعنى واقعاً من جهة فرعون. قوله: ﴿من المسرفين﴾ خبر ثان لكان، والمعنى من المتجاوزين الحد. قوله: ﴿على علم﴾ ﴿على﴾ بمعنى مع، وقوله: ﴿على العالمين﴾ ﴿على﴾ على بابها للاستعلاء، فاختلف معناهما، وحينئذ فجاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترنا. قوله: [بحالهم] أي بكونهم أهلاً للاصطفاء، لكون أكثر الأنبياء منهم. قوله: [أي عالمي زمانهم] دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية، يدل على كون بني إسرائيل أفضل من كل العالمين، مع أن أمة محمد أفضل منهم، فدفع ذلك بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم، فلا ينافي أن أمة محمد أفضل منهم. قوله: [العقلاء] المناسب أن يقول الثقلين، فإن من جملة العقلاء الملائكة، وبنو إسرائيل ليسوا أفضل منهم. قوله: ﴿من الآيات﴾ بيان مقدم على المبين. قوله: [نعمة ظاهرة] هذا تفسير للبلاء، فإن البلاء معناه الاختبار، وهو يكون بالمحن وبالنعم، هل يصبر أو لا؟ وهل يشكر أو لا؟ قوله: [أي كفار مكة] إنما أشار إليهم بإشارة القريب، تحقيراً لهم وازدراء بهم. قوله: ﴿ليقولون﴾ أي جواباً لما قيل لهم: إنكم تموتون موتة تعقبها حياة، دل عليه قوله تعالى ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ كأنهم قالوا: مسلم أن لنا موتة تعقبها

بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾: أي وهم نطف ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ ٣٥: بمبعوثين أحياء بعد الثانية ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾: أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٣٦: أنا نبعث بعد موتنا أي نحيا. قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: هو نبي أو رجل صالح ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ٣٧ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ٣٨: بخلق ذلك حال ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾: وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: أي محقين في ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٩ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٤٠: للعذاب الدائم ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾: بقرابة أو صداقة أي لا يدفع عنه ﴿شَيْـًٔا﴾: من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٤١: يمنعون

حياة، لكن المراد بها الأولى، وهي حال النطفة، لا الثانية التي ينقضي بها العمر، فإنها لا تعقبها حياة. قوله: ﴿وما نحن بمنشرين﴾ هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾. قوله: ﴿فائتوا بآبائنا﴾ أي أحيوهم لنا ليخبرونا بصدقكم. قوله: ﴿أهم خير﴾ أي في أمور الدنيا. قوله: ﴿أم قوم تبع﴾ هو تبع الحميري أبو كرب واسمه أسعد، وإليه تنسب الأنصار، بني الحيرة بكسر الحاء بعدها مثناة تحتية فراء مهملة، مدينة بقرب الكوفة، وبنى سمرقند، وأراد غزو البيت وتخريب المدينة، فأخبر بأنها مهاجر نبي اسمه أحمد، فكف عنهما، وكسا البيت بالحبرة، وكتب كتاباً وأودعه عند أهل المدينة، وكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر، إلى أن هاجر النبي ﷺ فدفعوه إليه، يقال: إن الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد وفيه:

شهدت على أحمد أنه رسول الله باريء النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

أما بعد: فإني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك فيها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين، وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام، ثم ختم الكتاب ونقش عليه: لله الأمر من قبل ومن بعد، وكتب على عنوانه: إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله، خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ، من تبع الأول. وكان من اليوم الذي مات فيه تبع، إلى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة، لا يزيد ولا ينقص. قوله: [هو نبي أو رجل صالح] أي لحكاية الخلاف، فالقول الأول لابن عباس، والثاني لعائشة رضي الله عنهما، وكان ملكاً من الملوك، وكان قومه كهاناً، وكان معهم قوم من أهل الكتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قرباناً ففعلوا، فتقبل قربان أهل الكتاب فأسلم. قوله: ﴿والذين من قبلهم﴾ عطف على ﴿قوم تبع﴾ وقوله: ﴿أهلكناهم﴾ حال من المعطوف والمعطوف عليه. قوله: ﴿وما خلقنا السموات والأرض﴾ الخ هذا دليل على صحة الحشر ووقوعه، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الإنساني، وخلق له ما في الأرض جميعاً، وكلفه بالإيمان والطاعة، فآمن البعض وكفر البعض، وختم الله في سابق أزله، أن النعيم للمؤمن، والعقاب للكافر، وذلك لا يكون في الدنيا لعدم الاعتداد بها، فحينئذ لا بد من البعث، لتجزى كل نفس بما كسبت. قوله: ﴿وما بينهما﴾ أي بين الجنسين. قوله: [حال] أي وهي لا يستغنى عنها. قوله: [أي محقين في ذلك] أي لنا فيه حكمة، وقد بينها المفسر بقوله: [ليستدل به] الخ. قوله: ﴿لا يعلمون﴾ أي ليس عندهم علم بالكلية. قوله: ﴿إن يوم الفصل﴾ الإضافة على معنى اللام. قوله: ﴿ميقاتهم﴾ أي موعدهم، والمراد جميع الخلق. قوله: [للعذاب الدائم] أي للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين. قوله: ﴿يوم لا يغني مولى﴾ المولى يطلق على المعتق بالكسر والفتح، وابن العم والناصر والجار والحليف. قوله: [بقرابة]

منه ويوم بدل من يوم الفصل ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾: وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ٤٢: بالمؤمنين ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ ٤٣: هي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ ٤٤: أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾: أي كدردي الزيت الأسود خبر ثان ﴿يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ﴾ ٤٥: بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل ﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ ٤٦: الماء الشديد الحرارة ﴿خُذُوهُ﴾: يقال للزبانية خذوا الأثيم ﴿فَٱعۡتِلُوهُ﴾: بكسر التاء وضمها: جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ٤٧: وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ ٤٨: أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما في آية يصب من فوق رؤوسهم الحميم ويقال له: ﴿ذُقۡ﴾: أي العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ ٤٩: بزعمك وقولك ما بين جبليها أعز وأكرم مني ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾:

أي بسببها. قوله: ﴿ولا هم ينصرون﴾ الضمير للمولى، وجمع باعتبار المعنى، وهذه الجملة تؤكيد لما قبلها، والمعنى: لا ينصر الكافر، ولو كان بينهما علقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما. قوله: ﴿إلا من رحم الله﴾ يصح أن يكون الاستثناء متصلاً، والمعنى: لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين، فإنه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون لبعضهم، وهو ما مشى عليه المفسر، ويصح أن يكون منقطعاً، أي ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين. قوله: ﴿إنه هو العزيز﴾ الخ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿إن شجرت الزقوم﴾ ترسم شجرت بالتاء المجرورة في هذا الموضع دون غيره من القرآن، ويوقف عليه بالهاء والتاء؛ وأما غير هذا الموضع فيرسم بالهاء، ويوقف عليه بالهاء لا غير، والزقوم يطلق على نبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل، طعام أهل النار، ويطلق على شجر له ثمر كالتمر، وله دهن عظيم المنافع، عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة، وأمراض البلغم، وأوجاع المفاصل وعرق النساء، والريح الساقطة في الورق، يشرب زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الزمنى والمقعدين، ويقال أصله الاهليلج الكابلي. قوله: [أي كدردي الزيت الأسود] هذا أحد معاني المهل، ويطلق على القيح والصديد والنحاس المذاب. قوله: [وبالتحتانية] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [حال من المهل] الأظهر أنه حال من طعام، لأن المراد وصف الطعام المشبه بالمهل بالغليان، لا وصف المهل لأنه لا يتصف بذلك.

قوله: ﴿كغلي الحميم﴾ صفة لمصدر محذوف، أي تغلي غلياً مثل غلي الحميم. قوله: [بكسر التاء وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان، من باب ضرب ونصر. قوله: [جروه بغلظة] أي أو اضربوه بالعتلة، وهي بفتحتين، العصا الضخمة من الحديد لها رأس. قوله: ﴿ثم صبوا فوق رأسه﴾ أي ليكون محيطاً بجميع جسده. قوله: [من الحميم الذي] الخ، أي فإذا صب عليه الحميم، فقد صب عليه عذابه وشدته. قوله: [ويقال له] ﴿ذق﴾ الأمر للإهانة والتحقير. قوله: ﴿أنك﴾ بفتح الهمزة على معنى التعليل، وكسرها على الاستئناف المفيد للعلة، قراءتان سبعيتان، ووصفه بهذين

---

* أسباب نزول الآية ٤٣: وأخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾.

* أسباب نزول الآية ٤٩: وأخرج الأموي في مغازيه عن عكرمة قال: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل فقال: إن الله أمرني أن أقول لك ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ قال فنزع ثوبه من يده فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء لقد علمت أني أمنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته ونزل فيه ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه.

الذي ترون من العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ ٥٠: فيه تشكون ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾: مجلس ﴿أَمِينٍ﴾ ٥١: يؤمن فيه الخوف ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ٥٢ ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: أي ما رق من الديباج وما غلظ منه ﴿مُّتَقَابِلِينَ﴾ ٥٣ حال أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾: يقدر قبله الأمر ﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾: من التزويج أو قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ ٥٤: بنساء بيض واسعات الأعين حسانها ﴿يَدْعُونَ﴾: يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾: أي الجنة أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: منها ﴿آمِنِينَ﴾ ٥٥: من انقطاعها ومضرتها ومن كل

الوصفين للتهكم والاستهزاء. قوله: [وقولك] تفسير لقوله: [بزعمك] وقوله: [ما بين جبليها] أي مكة. قوله: ﴿ما كنتم به تمترون﴾ الجمع باعتبار المعنى، لأن المراد جنس الأثيم.

قوله: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ مقابل: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ لأنه جرت عادة الله تعالى في كتابه، أنه إذا ذكر أحوال أهل النار، أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة، وقوله: ﴿المتقين﴾ أي الشرك بأن ماتوا على التوحيد، وهذا أعم من أن يكونوا في أعلى مراتب التقوى، وهي تقوى الأغيار، بأن لا يخطر الغير ببالهم، أو أوسطها وهي تقوى المعاصي بفعل الطاعات، أو أدناها وهي تقوى مجرد الشرك بالإيمان. قوله: ﴿في مقام﴾ بفتح الميم وضمها، قراءتان سبعيتان، فالفتح هو موضع القيام ومكانه، والضم موضع الاقامة والمكث. قوله: [يؤمن فيه الخوف] أي من الخلق والخالق، والمعنى: تطمئن فيه النفس لا تنزعج من شيء أصلاً، فأهل الجنة آمنون من غضب الله، ومن جميع ما يؤذي في البدن والأهل والمال، وآمنون من خطور الأكدار ببالهم.

قوله: ﴿في جنات﴾ الخ بدل من مقام، وتقديمه عليه من باب تقديم التخلية على التحلية، لأن الأمن من المخاوف تحلية، وكونهم ﴿في جنات وعيون﴾ الخ تخلية. قوله: ﴿وعيون﴾ أي أنهار تجري تحت القصور. قوله: ﴿يلبسون﴾ خبر آخر لأن أو مستأنف. قوله: [أي ما رق من الديباج] الخ لف ونشر مرتب، والديباج هو الحرير، إن قلت: كي يكون لبس الغليظ من الحرير نعيماً في الجنة، مع أنه في الدنيا ربما كان غير نعيم؟ أجيب: بأن غليظ حرير الجنة ليس كغليظ حرير الدنيا، بل هو أعلى، على أن من غليظ حرير الدنيا ما يؤلف وينعم به كالقطيفة مثلاً.

قوله: ﴿متقابلين﴾ أي يواجه بعضهم بعضاً ليحصل الأنس لبعضهم بعضاً، وهذا في غير وقت النظر إلى وجه الله الكريم، وأما عنده فينسون النعيم، بل ومقابلة اخوانهم، لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة، ومن هنا قيل: إن حكمة المقابلة في حلق العلم والذكر في الدنيا، التشبه بمجالس الجنة والأنس بمقابلة الاخوان، وحكمة الاصطفاف بالصلاة وعدم المقابلة فيها، التشبه بالنظر لوجه الله الكريم في الجنة، لأن في الصلاة إقبالا بالكلية على الله تعالى، وقطعاً للشواغل. قوله: [أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض] أي لأن النظر للقفا مما يحزن، ولا حزن في الجنة. قوله: [يقدر قبله الأمر] أي فهو مبتدأ، وقوله: ﴿كذلك﴾ خبره، والجملة معترضة لتقدير ما قبلها.

قوله: ﴿وزوجناهم﴾ عطف على قوله: ﴿يلبسون﴾. قوله: [من التزويج] أي وهو جعل الشيء زوجاً، والمعنى جعلناهم اثنين اثنين، فقوله: [أو قرناهم] مرادف له، وليس المراد بالتزويج الانكاح بالعقد، فإنه لا قابل به. قوله: ﴿عين﴾ جمع عيناء، وأصله عين بضم العين وسكون الياء، فكسرت العين لتصح الياء. قوله: [بنساء بيض] تفسير للحور، وقوله: [واسعات الأعين] تفسير لعين، وهذا على أن المراد بالحور البياض مطلقاً، وقيل الحور شدة بياض العين وشدة سوادها، واختلف هل الأفضل في الجنة نساء الدنيا، أو الحور العين؟ والحق أن نساء الدنيا أفضل، لما روي: أن الآدميات أفضل من الحور بسبعين ألف ضعف. قوله: ﴿يدعون﴾ حال من الهاء في ﴿زوجناهم﴾.

مخوف حال ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم: إلا بمعنى بعد ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٥٦ فَضْلًا﴾: مصدر بمعنى تفضلاً منصوب بتفضل مقدراً ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾: سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾: بلغتك لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾: يتعظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ٥٩﴾: هلاكك وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

قوله: ﴿لا يذوقون﴾ حال من الضمير في ﴿آمنين﴾. قوله: [قال بعضهم] هو الطبري، وبهذا اندفع ما قيل: كيف قال صفة أهل الجنة ذلك، مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلاً؟ وهذا القول وإن كان يدفع الأشكال، إلا أن مجيء ﴿إلا﴾ بمعنى بعد لم يرد، وبعضهم يجعل الاستثناء منقطعاً، والمعنى: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها. قوله: [منصوب بتفضل] أي على أنه مفعول مطلق. قوله: ﴿الفوز العظيم﴾ أي لأنه خلوص من المكاره وظفر بالمطلوب. قوله: ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ هذا إجمال لما فصل في السورة كأنه قال: ذكر قومك بهذا الكتاب المبين، فإننا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه إليهم. قوله: [لكنهم لا يؤمنون] دخول على قوله: ﴿فارتقب﴾ قوله: ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾ أشار المفسر إلى أن مفعول [كل] محذوف قدر الأول بقوله [هلاكهم] والثاني بقوله: [هلاكك]. قوله: [وهذا قبل الأمر بالجهاد] أي فهو منسوخ لأن معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال، حتى يحكم الله بينك وبينهم.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤٥] ـ سورة الجاثية

[مكية إلا ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية وهي ست أو سبع وثلاثون آية]

﴿حم﴾ ١: الله أعلم بمراده به ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: القرآن مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ ٢: في صنعه ﴿إِنَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي في خلقهما ﴿لَآيَاتٍ﴾: دالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته تعالى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣ ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾: أي في خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنساناً ﴿وَ﴾: خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾: يفرق في الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الجاثية مكية

إلا ﴿قل للذين آمنوا﴾ الآية. وهي ست أو سبع وثلاثون آية

سميت باسم كلمة منها وهي قوله ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ وتسمى سورة الشريعة لقوله فيها ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾. قوله: [مكية إلا قوله ﴿قل للذين آمنوا﴾] الخ، أي إلى قوله ﴿أيام الله﴾ وهو قول ابن عباس وقتادة قالا: إنها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عابه عبدالله ابن أبي، فأراد عمر قتله فنزلت، وقيل: مكية كلها حتى هذه الآية فإنها نزلت في عمر أيضاً، شتمه رجل في مكة من الكفار، فأراد قتله فنزلت، ثم نسخت بآية الجهاد. قوله: ﴿من الله﴾ [خبره] أي متعلق بمحذوف تقديره كائن. قوله: ﴿العزيز﴾ [في ملكه] أي الغالب على أمره. قوله: ﴿الحكيم﴾ [في صنعه] أي الذي يضع الشيء في محله، فاقتضت حكمته تعالى إنزال أشرف الكتب وهو القرآن، على أشرف العبيد وهو محمد ﷺ.

قوله: ﴿إن في السموات والأرض﴾ الخ ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة في ثلاث فواصل، وختم الأولى بالمؤمنين، والثانية بيوقنون، والثالثة بيعقلون، ووجه التغاير أن الإنسان إذا تأمل في السماوات والأرض، وأنه لا بد لهما من صانع آمن، وإذا نظر في خلق نفسه ونحوها ازداد يقيناً، وإذا نظر في سائر الحوادث كمل عقله واستحكم علمه. قوله: [أي في خلقهما] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، يدل عليه التصريح به في سورة البقرة في قوله ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ وما في سورة آل عمران ﴿إن في خلق السموٰت والأرض﴾.

قوله: ﴿لآيات للمؤمنين﴾ بالنصب بالكسرة باتفاق القراء لأنه اسم إن، وأما ما يأتي في قوله: ﴿آيات لقوم

﴿يُوقِنُونَ﴾[٤]: بالبعث ﴿وَ﴾: في ﴿ٱخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾: مطر لأنه سبب الرزق ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تقليبها مرة جنوباً ومرة شمالاً وباردة وحارة ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥]: الدليل فيؤمنون ﴿تِلْكَ﴾: الآيات المذكورة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: حججه الدالة على وحدانيته ﴿نَتْلُوهَا﴾: نقصها ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بنتلو ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾: أي حديثه وهو القرآن ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾: حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾[٦]: أي كفار مكة أي لا يؤمنون وفي قراءة بالتاء ﴿وَيْلٌ﴾: كلمة عذاب ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾[٧]: كثير الإثم ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾: على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٨]: مؤلم ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾: أي القرآن ﴿شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: أي مهزوءاً بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: أي الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٩]: ذو إهانة ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾: أي أمامهم لأنهم في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا﴾: من المال والفعال ﴿شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا

يوقنون﴾ و﴿آيات لقوم يعقلون﴾ ففيه قراءتان سبعيتان: الرفع والنصب بالكسرة، فالرفع على أن قوله: ﴿في خلقكم﴾ خبر مقدم، و﴿آيات﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على جملة ﴿إن في السموات﴾ والنصب على أن ﴿آيات﴾ معطوف على آيات الأول، الذي هو اسم ﴿إن﴾ وقوله: ﴿وفي خلقكم﴾ معطوف على قوله: ﴿في السموات والأرض﴾ الواقع خبراً لأن، ففيه العطف على معمولي عامل واحد، وهو جائز باتفاق. قوله: ﴿و﴾ [خلق] ﴿ما يبث﴾ أشار بذلك إلى أنه معطوف على ﴿خلقكم﴾ المجرور بفي على حذف مضاف. قوله: [هي ما يدب] أي يتحرك. قوله: ﴿و﴾ [في] ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ أشار المفسر إلى أن حرف الجر مقدر، يؤيده القراءة الشاذة بإثباته. قوله: ﴿بعد موتها﴾ أي يبسها. قوله: [وباردة وحارة] لف ونشر مشوش وترك الصبا والدبور، فالرياح أربع.

قوله: ﴿تلك آيات الله﴾ مبتدأ وخبر، وجملة ﴿نتلوها﴾ حال. قوله: [الآيات المذكورة] أي وهي السماوات والأرض وما بعدهما. قوله: [متعلق بنتلو] أي على أنه عامل فيه مع كونه حالاً، والباء للملابسة. قوله: [أي لا يؤمنون] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [كلمة عذاب] أي فيطلق على العذاب، ويطلق على واد في جهنم. قوله: [كذاب] أي كثير الكذب على الله وعلى خلقه. قوله: [كثير الإثم] أي المعاصي. قوله: ﴿يسمع آيات الله﴾ إما مستأنف أو حال من الضمير في ﴿أثيم﴾. قوله: ﴿تتلى عليه﴾ حال من ﴿آيات الله﴾. قوله: ﴿ثم يصر﴾ [على كفره] ﴿ثم﴾ للترتيب الرتبي، والمعنى أن إصراره على الكفر، حاصل بعد تقدير الأدلة المذكورة وسماعه إياها.

قوله: ﴿كأن لم يسمعها﴾ ﴿كأن﴾ مخففة حذف منها ضمير الشأن، والجملة إما مستأنفة أو حال. قوله: ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ سماه بشارة تهكماً بهم لأن البشارة هي الخبر السار.

قوله: ﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً﴾ أي إذا بلغه شيء وعلم أنه من آياتنا اتخذها هزواً، الخ، وذلك نحو قوله في الزقوم: إنه الزبد والتمر، وقوله في خزنة جهنم: إن كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدي. قوله: ﴿اتخذها هزواً﴾ أنث الضمير مع أنه عائد على ﴿شيئاً﴾ وهو مذكر مراعاة لمعناه وهو الآية، ويصح عوده على ﴿آياتنا﴾. قوله: [أي الأفاكون] جمع باعتبار معنى الأفاك، وراعى أولاً لفظه فأفرد. قوله: [أي أمامهم] أشار بذلك إلى أن الوراء، كما يطلق على الخلف، يطلق على الأمام، كالجون يستعمل في الأبيض والأسود على سبيل الاشتراك. قوله: ﴿ما كسبوا﴾ ﴿ما﴾ إما مصدرية أي كسبهم، أو موصولة أي الذي كسبوه، وهذان الوجهان يجريان في قوله: ﴿ولا ما اتخذوا﴾ ومقتضى عبارة

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [١٠] ﴿هَٰذَا﴾: أي القرآن ﴿هُدًى﴾: من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾: حظ ﴿مِنْ رِجْزٍ﴾: أي عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ [١١]: موجع ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾: السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾: تطلبوا بالتجارة ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾: من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها أي خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾: تأكيد ﴿مِنْهُ﴾: حال أي سخرها كائنة منه تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١٣] فيها فيؤمنون ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: يخافون ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾: وقائعه أي اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾: أي الله وفي قراءة بالنون ﴿قَوْمًا﴾

المفسر أنها فيهما موصولة، حيث قال في الأول [من المال والفعال] وقال في الثاني [أي الأصنام]. قوله: ﴿هذا هدى﴾ أي لمن أذعن له واتبعه وهم المؤمنون، ووبال وخسران على الكفار، قال تعالى ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾.

قوله: ﴿الله الذي سخر لكم البحر﴾ أي حلواً وملحاً، والمعنى: ذلله وسهل لكم السير فيه، بأن جعله أملس الظاهر مستوياً شفافاً، يحمل السفن ولا يمنع الغوص فيه. قوله: [بإذنه] أي إرادته ومشيئته، ولو شاء لم تجر. قوله: [بالتجارة] أي والحج والغزو، وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية. قوله: ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي تصرفون النعم في مصارفها. قوله: [وغيره] أي كالملائكة فإنهم مسخرون لأهل الأرض، يدبرون معاشهم، وهذا سر قوله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ الآية. قوله: [تأكيد] أي حال مؤكدة. قوله: [حال] أي من ما، ويصح أن يكون صفة لجميعاً، والمعنى الأول: سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه أي مخلوقة له، وعلى الثاني: جميعاً كائناً منه تعالى. قوله: ﴿يتفكرون﴾ أي يتأملون في تلك الآيات.

قوله: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا﴾ الخ المراد بالغفر لهم تحمل أذاهم وعدم مقابلتهم بمثل ما فعلوا، واختلف في هذه الآية، فقيل مدنية، وعليه فسبب نزولها كما قال ابن عباس: أنهم كانوا في غزوة بني المصطلق نزلوا على بئر يقال له: المريسيع، فأرسل عبد الله بن أبي غلامه يستقي الماء، فأبطأ عليه فلما أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر قعد على طرف البئر، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي ﷺ، وقرب أبي بكر، فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء، إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك، فبلغ ذلك عمر، فاشتمل بسيفه يريد التوجه له، فنزلت هذه الآية، وقيل مكية، وعليه فسبب نزولها كما قال مقاتل: أن رجلاً من بني غفار شتم عمر بمكة، فهم عمر أن يبطش به، فنزلت، أو كما قال السدي: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة، كانوا في أذى كثير من المشركين، قبل أن يؤمروا بالجهاد، فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت، وما ذكره المفسر فيه إشارة إلى هذا الأخير.

قوله: ﴿لا يرجعون أيام الله﴾ أي لا يتوقعون وقائعه من قولهم أيام العرب، أي وقائعهم، وهذا ما مشى عليه المفسر، وقيل: إن الرجاء باق على معناه الأصلي، والمراد بالأيام مطلق الأوقات، والمعنى لا يؤملون الأوقات التي جعل الله فيها نصر المؤمنين وثوابهم. قوله: [أي اغفروا للكفار] أشار بذلك إلى أن مقول القول محذوف دل عليه قوله: ﴿يغفروا﴾ فهو مجزوم لكونه جواب أمر محذوف، والتقدير: قل لهم اغفروا يغفروا. قوله: [وهذا قبل الأمر بجهادهم] أي فهو منسوخ بآية القتال، وهذا على أنها مكية، وأما على أنها مدنية، فالكف عن المنافقين خوف أن يقول المشركون: إن محمداً يقتل أصحابه، حتى جاء الإذن بتمييزهم، وقيل: إنها ليست منسوخة، بل هي محمولة على ترك المنازعة،

﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٤: من الغفر للكفار أذاهم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾: عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾: أساء ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ١٥: تصيرون فيجازي المصلح والمسيء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾: به بين الناس ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: لموسى وهارون منهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الحلالات كالمن والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ١٦: عالمي زمانهم العقلاء ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾: أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾: في بعثته ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾: أي للبغي حدث بينهم حسداً له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾: يا محمد ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾: طريقة ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾: أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨: في عبادة غير الله ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا﴾: يدفعوا ﴿عَنْكَ مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه ﴿شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ١٩: المؤمنين ﴿هَذَا﴾: القرآن ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾: معالم

والتجاوز فيما يصدر عنهم من الكلام المؤذي. قوله: ﴿ليجزي قوماً﴾ علة لما قبله، والقوم هم المؤمنون، وهو ما مشى عليه المفسر، وقيل الكافرون، وقيل كل منهما، والتنكير إما للتعظيم، أو التحقير، أو التنويع. قوله: [وفي قراءة بالنون] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أذاهم] مفعول للغفر الواقع مصدراً. قوله: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء.

قوله: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل﴾ الخ، المقصود من ذلك تسليته ﷺ كأنه قال: لا تحزن على كفر قومك، فإننا آتينا بني إسرائيل الكتاب والنعم العظيمة، فلم يشكروا بل أصروا على الكفر. قوله: [التوراة] إنما اقتصر عليها لكونها تغني عن غيرها من كتبهم، ولا يغني غيرها عنها، فإن فيها أحكام شرعهم، وإلا ففي الحقيقة كتب بني إسرائيل: التوراة والإنجيل والزبور. قوله: ﴿والحكم﴾ أي الفصل بين الخصوم، وهذه نعم دينية، وقوله: ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ نعم دنيوية فلم يشكروا عليها. قوله: [كالمن والسلوى] أي في أيام التيه. قوله: [العقلاء] تقدم ما فيه، وأن الأولى التعبير بالثقلين.

قوله: ﴿وآتيناهم﴾ أي بني إسرائيل في التوراة، والمعنى: بينا لهم فيه أمر الشريعة، وأمر محمد ﷺ، وأنهم يؤمنون به إن ظهر بينهم، كما أشار له المفسر. قوله: ﴿واختلفوا﴾ [في بعثته] الخ، أي وقد كانوا قبل ذلك متفقين، فلما جاءهم العلم والشرع في كتابهم اختلفوا، وكان مقتضاه أن يدوم لهم الاتفاق. قوله: ﴿يقضي بينهم﴾ أي بالمؤاخذة والمجازاة. قوله: ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾ الكاف مفعول أول لجعلنا، و﴿على شريعة﴾ هو المفعول الثاني، والشريعة تطلق على مورد الناس من الماء على المذهب والملة، والمراد هنا ما شرعه الله لعباده من الدين، سمي شريعة لأنه يقصد ويلجأ إليه، كما يلجأ إلى الماء من العطش. قوله: ﴿من الأمر﴾ يطلق على مقابل النهي وعلى الشأن، ويصح إرادة كل منهما هنا، والمعنى: ثم جعلناك على طريقة من الدين، وهي ملة الإسلام التي كان عليها إبراهيم، ولا شك أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما التغاير في الفروع. قوله: ﴿أهواء الذين لا يعلمون﴾ أي وهم رؤساء قريش حيث قالوا: ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك وأسن.

قوله: ﴿إنهم لن يغنوا عنك﴾ تعليل لما قبله، وقوله: ﴿وإن الظالمين﴾ عطف على ما قبله من تتمة التعليل.

قوله: ﴿أولياء بعض﴾ أي في الدنيا، ولا ولي لهم في الآخرة يزيل عنهم العقاب. قوله: ﴿والله ولي المتقين﴾ أي في الدنيا والآخرة، لأنهم اتقوا الشرك. قوله: ﴿هذا بصائر﴾ مبتدأ وخبر، وجمع الخبر باعتبار أن المبتدأ مشار به إلى

يتبصّرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ٢٠: بالبعث ﴿أَمْ﴾: بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾: اكتسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: الكفر والمعاصي ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾ خبر ﴿مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضمير للكفار المعنى أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين أي في رغد من العيش مساوٍ لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون، قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٢١: أي ليس الأمر كذلك فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية أي بئس حكماً حكمهم هذا ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ﴾: خلق ﴿الْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

ما تقدم من الآيات، ولا شك أنه جمع. قوله: [معالم] جمع معلم، وهو في الأصل الأثر الذي يستدل به على الطريق، والمراد هنا أن تلك الآيات تبصر الناس في الأحكام وتدلهم عليها.

قوله: ﴿وهدى﴾ أي من الضلالة. قوله: ﴿ورحمة﴾ أي إحسان. قوله: ﴿لقوم يوقنون﴾ أي يطلبون اليقين، وأما الكفار فهو وبال وخسران عليهم. قوله: ﴿أم﴾ [بمعنى همزة الإنكار] أي فهي منقطعة، تقدر تارة بالهمزة وحدها، أو ببل وحدها، أو بهما معاً، والمراد إنكار الحسبان أي الظن، والمعنى: لا ينبغي أن يكون، وإلا فالظن قد وقع بالفعل. قوله: ﴿الذين اجترحوا السيئات﴾ فاعل حسب، وجملة ﴿أن نجعلهم﴾ الخ سادة مسد المفعولين، والمراد بالاجتراح الاكتساب كما قال المفسر، ومنه الجوارح، قال الكلبي الذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد ابن عتبة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي الله عنهم، حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم، وقيل: نزلت في قوم من المشركين قالوا إنهم يعطون في الآخرة خيراً مما يعطاه المؤمن، كما أخبر الله عنهم في قوله ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾.

قوله: ﴿سواء﴾ [خبر] أي على قراءة الرفع، وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال. قوله: [والجملة] أي من المبتدإ والخبر. قوله: [بدل من الكاف] أي الداخلة على الموصول. قوله: [أي ليس الأمر كذلك] أشار بذلك إلى أن همزة الإنكار للنفي، وكان المناسب للمفسر تقديم هذا على قوله: ﴿ساء ما يحكمون﴾ فإنه مرتبط بما قبله، والمعنى: أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم مستوياً، محياهم ومماتهم؟ كلا لا يستوون في شيء منها، فإن هؤلاء في عز الإيمان والطاعة، وشرفهما في المحيا، وفي رحمة الله ورضوانه في الممات، وأولئك في ظل الكفر والمعاصي، وهو أنهما في المحيا، وفي لعنة الله والعذاب المخلد في الممات، ولا يعتبر توسعة العيش في الدنيا، فإنها بحسب القسمة الأزلية، للمؤمن والكافر ولكل دابة. قوله: [أي بئس حكماً] الخ مقتضى هذا الحل أن ﴿ما﴾ مميزة، وحينئذ فالفاعل مستتر، وهو ينافي كونها مصدرية، لأنها في تلك الحالة تكون فاعلاً، فالمناسب لجعلها مصدرية أن يقول: ساء الحكم حكمهم.

قوله: ﴿وخلق الله السموات﴾ الخ من تتمة قوله: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ الخ، وهو كالدليل له، كأنه قال: لا يستوي المؤمن والكافر، بدليل أن الله خلق السماوات والأرض بالحق، أي للعبر والاستدلال، ولم يترك العباد سدى، وجازى كل نفس بما كسبت، فلا يستوي جزاء المؤمن بجزاء الكافر. قوله: [متعلق بخلق] أي على أنه حال من الفاعل أو المفعول. قوله: [ليدل على قدرته] الخ قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿ولتجزى﴾ عطف على علة محذوفة.

كَسَبَتْ﴾: من المعاصي والطاعات فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٢٢ ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾: أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: منه تعالى أي عالماً بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾: فلم يسمع الهدى ولم يعقله ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾: ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت أيهتدي ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾: أي بعد إضلاله إياه أي لا يهتدي ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٢٣: تتعظون فيه إدغام إحدى التاءين في الذال ﴿وَقَالُوا﴾: أي منكرو البعث ﴿مَا هِيَ﴾: أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾: التي في ﴿ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: أي يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾: أي مرور الزمان قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾: المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ٢٤ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ

قوله: ﴿وهم﴾ أي النفوس المدلول عليها بقوله: ﴿كل نفس﴾. قوله: ﴿لا يظلمون﴾ أي لا ينقص من ثواب المؤمن، ولا يزاد في العذاب على ما يستحقه الكافر. قوله: [أخبرني] تقدم أن فيه مجازين، حيث أطلق الرؤية وأراد الإخبار، ثم أطلق الاستفهام على الإخبار وأراد الأمر به. وقوله: ﴿من اتخذ إلهه﴾ الخ، مفعول أول لرأيت، والمعنى: ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى، فكأنه يعبده. قوله: [من حجر] أي وغيره كالشمس والقمر من كل معبود غير الله، عاقلاً أو غير عاقل. فالكفر هو العبادة، بأن يتقرب إلى غيره كما يتقرب إليه، وأما زيارة الصالحين والأنبياء، فليس من قبيل العبادة لهم، بل هي من باب التسبب في نفع الغير، لأن الترضي عن الأولياء، والصلاة والسلام على الأنبياء، دعاء للغير بذلك، ولا شك أن ذلك الغير ينتفع به، والمتسبب له مثله، لما ورد: أن الملك يقول له ولك مثل ذلك، فال الأمر إلى أن زيارة الصالحين والتوسل بهم، من جملة طاعة الله، وصاحبها محبوب لله، لأن أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده، وصدق عليهم أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل، فليست معصية فضلاً عن كونها شركاً، كما اعتقده ذوو الجهل المركب والعقيدة الزائغة. قوله: [أي عالماً بأنه من أهل الضلالة] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿على علم﴾ من الفاعل، ويصح أن يكون حالاً من المفعول، والمعنى أضله في حال كونه عالماً بالحق غير جاهل به، فهو أشد قبحاً.

قوله: ﴿غشاوة﴾ بكسر الغين أو بفتحها، مع سكون الشين وحذف الألف، قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بفتح الغين وضمها، وإثبات الألف أو بكسر الغين وحذف الألف، أو بالعين المهملة. قوله: [ويقدر هنا المفعول الثاني] أي وإنما حذف لدلالة ﴿فمن يهديه﴾ عليه، ولا حاجة للتقدير، إذ يصح أن تكون هي المفعول الثاني، وقد وصفهم الله تعالى بأربعة أوصاف: الأول قوله: ﴿اتخذ﴾ الخ، الثاني قوله: ﴿وأضله﴾ الخ، الثالث قوله: ﴿وختم﴾ الخ، الرابع قوله: ﴿وجعل﴾ الخ، فكل وصف منها مقتض للضلالة، فلا يمكن إيصال الهدى إليه بوجه من الوجوه. قوله: [إحدى التاءين] أي الثانية. قوله: [أي الحياة] بيان لمرجع الضمير، ويقال لهذا الضمير ضمير قصة. قوله: [أي يموت بعض] الخ، دفع بذلك ما يقال إن قولهم ﴿نموت ونحيا﴾ فيه اعتراف بالحياة بعد الموت، مع أنهم ينكرونها، ويجاب أيضاً: بأن الآية فيها تقديم وتأخير، أي نحيا ونموت. قوله: [أي مرور الزمان] أي فكان الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا، وهو الذي يحيينا ويميتنا، ولذلك رد عليهم بقوله ﷺ: «كان أهل الجاهلية يقولون: وما يهلكنا إلا الليل والنهار، وهو الذي يحيينا ويميتنا، فيسبون الدهر، فقال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب

---

* أسباب نزول الآية ٢٣: أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تعبد الحجر حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ٢٤: وأخرج عن أبي هريرة قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾.

عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات حال ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢٥ أنا نبعث ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾: حين كنتم نطفاً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾: أحياء ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: وهم القائلون ما ذكر ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٦ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: يبدل منه ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ ٢٧: الكافرون أي يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ﴾: أي أهل دين ﴿جَاثِيَةً﴾: على الركب أو مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾: كتاب أعمالها ويقال لهم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٨: أي جزاؤه ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾: ديوان الحفظة ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾: نثبت ونحفظ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٩ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الليل والنهار». والحاصل أن فرقة من الكفار يسمون الدهرية، ينسبون الفعل ضراً أو نفعاً للزمان، فرد عليهم بما تقدم. قوله: [المقول] أي وهو قولهم ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا﴾ الخ. قوله: [واضحات] أي ظاهرات. قوله: [حال] أي من ﴿آياتنا﴾.

قوله: ﴿ما كان حجتهم﴾ بالنصب خبر ﴿كان﴾ وقوله ﴿إلا أن قالوا﴾ اسمها، أي إلا قولهم، وتسميتها حجة على سبيل التهكم، أو على حسب زعمهم. قوله: ﴿ائتوا بآبائنا﴾ أي الذين ماتوا قبلنا. قوله: ﴿قل الله يحييكم﴾ رد لقولهم ﴿ما يهلكنا إلا الدهر﴾. قوله: [وهم] أي الأكثر، وجمع باعتبار المعنى. قوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ تعميم بعد تخصيص. قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ ظرف لقوله ﴿يخسر﴾ وقوله: ﴿يومئذ﴾ بدل من ﴿يوم﴾ قبله للتوكيد، والتنوين في ﴿يومئذ﴾ عوض عن جملة مقدرة، والتقدير: يومئذ تقوم الساعة، فهو بدل توكيدي. قوله: [أي يظهر خسرانهم] جواب عما يقال: إن خسرانهم متحتم في الأزل.

قوله: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ رأى بصرية و﴿كل﴾ مفعولها و﴿جاثية﴾ حال، واختلف هل الجثي خاص بالكفار، وبه قال يحيى بن سلام، وقيل عام للمؤمن والكافر انتظاراً للحساب، ويؤيده ما ورد: إن في القيامة لساعة هي عشر سنين، يخر الناس فيها جثاة على ركبهم، حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادي: لا أسألك اليوم إلا نفسي، وذلك لأن الحضرة في ذلك اليوم حضرة جلال، فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبة، إلى أن يحصل التمييز، والجثو وضع الركبتين بالأرض، مع رفع الألية ونصب القدمين، ويطلق على الجلوس على أطراف القدمين مع وضع الركب بالأرض، وكل من المعنيين يدل على كونه مستوفزاً غير مطمئن. وقوله: [أو مجتمعة] أو لحكاية الخلاف، وقيل معناه متميزة، وقيل خاضعة. قوله: ﴿كل أمة﴾ بالرفع في قراءة العامة مبتدأ، و﴿تدعى﴾ خبرها. قوله: ﴿تدعى إلى كتابها﴾ أضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مشتمل على أعمالهم. قوله: [ويقال لهم] قدره إشارة إلى أن الجملة مقولة لقول محذوف، و﴿اليوم﴾ معمول لتجزون، و﴿ما كنتم﴾ مفعوله الثاني، ونائب الفاعل مفعول أول.

قوله: ﴿هذا كتابنا﴾ قيل من قول الله لهم، وقيل من قول الملائكة لهم. قوله: ﴿ينطق عليكم بالحق﴾ أي يدل عليه لأنهم يقرؤونه، فيذكرهم بما فعلوه لقوله تعالى ﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾. قوله: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ قيل معناه أن لله ملائكة مطهرين، ينسخون من أم الكتاب في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم في العام كله، ويعرضونه على الحفظة كل خميس، فيجدون ما كتبه الحفظة على بني آدم موافقاً لما في أيديهم، وقيل إن الملائكة الحفظة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله عز وجل أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب، ويسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب. قوله: [نثبت ونحفظ] أي فالمراد بالنسخ الإثبات والنقل، إما من اللوح المحفوظ، أو من صحف الكتبة كما علمت.

ٱلصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾: جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ ٣٠: البين الظاهر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾: أي القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم ﴿وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾ ٣١: كافرين ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾: لكم أيها الكفار ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بالبعث ﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ﴾: بالرفع والنصب ﴿لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن﴾: ما ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً﴾: قال المبرد: أصله إن نحن إلا نظن ظناً ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ ٣٢: أنها آتية ﴿وَبَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: في الدنيا أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ٣٣: أي العذاب ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾: نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾: أي تركتم العمل للقائه ﴿وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ٣٤: مانعين منها ﴿ذَٰلِكُم

قوله: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ الخ، تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾. قوله: ﴿فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ أي مع السابقين، فلا ينافي أن المؤمن، وإن لم يعمل الصالحات يدخل الجنة، لكن لا مع السابقين، بل إما بعد الحساب، أو بعد الشفاعة، فلا يقال: إن التقييد بالعمل الصالح يخرج من مات على الإيمان ولم يعمل صالحاً. قوله: [جنته] إنما فسر العام بالخاص، لأن الجنة أثر الرحمة التي تستقر الخلائق فيها، وتوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة. قوله: ﴿الفوز﴾ أي بلوغ الآمال والظفر بالمقصود. قوله: ﴿المبين﴾ أي الخالص من الشوائب. قوله: [فيقال لهم] قدره إشارة إلى أن جواب أما محذوف.

قوله: ﴿أفلم تكن آياتي﴾ الخ، الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، أي أتركتم الإيمان بالرسل فلم تكن الخ. قوله: ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق﴾ هذا من جملة ما يقال لهم، وحينئذ فيصير المعنى: وكنتم إذا قيل لكم إن وعد الله حق، الخ. قوله: ﴿إن وعد الله حق﴾ بكسر ﴿إن﴾ في قراءة العامة لحكايتها بالقول، وقرئ شذوذاً بفتحها، إجراء للقول مجرى الظن في لغة سليم. قوله: [بالرفع والنصب] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالرفع على الابتداء، وجملة ﴿لا ريب فيها﴾ خبره، والنصب عطفاً على اسم ﴿إن﴾.

قوله: ﴿ما ندري ما الساعة﴾ هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد. قوله: [إن نظن إلا ظناً] إن قلت: ما الجمع بين ما هنا وما تقدم في قوله ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ فإن ما تقدم أثبت أنهم جازمون بعدم البعث، وهنا أفاد أنهم شاكون فيه، ويمكن الجواب بأن الكفار لعلهم افترقوا فرقتين: فرقة جازمة بنفي البعث، وفرقة متحيرة فيه. قوله: [قال المبرد] الخ، جواب عما يقال: إن ظاهر الآية وقوع المفعول المطلق استثناء مفرغاً، مع أن المقرر في النحو أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المعمولات، إلا المفعول المطلق، فلا يقال: ما ضربت إلا ضرباً لاتحاد مورد النفي والإثبات، لأنه يصير في قوة ما ضربت إلا ضربت، ولا فائدة في ذلك، فأجاب المفسر: بأن الآية مؤولة بأن مورد النفي محذوف تقديره ﴿نحن﴾، ومورد الإثبات كونه نظن ظناً، فكلمة ﴿إلا﴾ مؤخرة من تقديم، والمعنى حصر أنفسهم في الظن ونفي ما عداه.

قوله: ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ مبالغة في نفي ما عدا الظن عنهم. قوله: [أي جزاؤها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [نترككم في النار] أشار بذلك إلى أن المراد من النسيان الترك مجازاً. لأن الترك مسبب عن النسيان، فإن من نسي شيئاً تركه، فسمي السبب باسم المسبب، لاستحالة حقيقة النسيان عليه تعالى. قوله: [أي تركتم العمل للقائه] أشار بذلك إلى أنه من إضافة المصدر إلى ظرفه على حد مكر الليل، وفي الكلام حذف قدره المفسر بقوله: [العمل] والمعنى: تركتم العمل للقاء الله في يومكم هذا، ولا يصح أن يكون من إضافة المصدر لمفعوله، لأن

بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ آيَاتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾: بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿مِنْهَا﴾: من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ٣٥: أي لا يُطلب منهم أن يُرضوا ربهم بالتوبة والطاعة، لأنها لا تنفع يومئذ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾: الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ٣٦: خالق ما ذكر، والعالم ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، ورب بدل ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ﴾: العظمة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: حال أي كائنة فيهما ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ٣٧: تقدم.

التوبيخ على نسيان ما في اليوم من الجزاء، لا على نفس اليوم. قوله: ﴿ذلكم﴾ أي العذاب الدائم. قوله: ﴿بأنكم اتخذتم﴾ الخ أي بسبب اتخاذكم.

قوله: ﴿فاليوم لا يخرجون﴾ الخ فيه التفات من الخطاب للغيبة، ونكتته الإشارة إلى أنهم ساقطون عن رتبة الخطاب لهوانهم. قوله: [بالبناء للفاعل وللمفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لأنها لا تنفع يومئذ] أي وأما في الدنيا فالتوبة والطاعة نافعان، فالذي ينبغي للعاقل المبادرة لذلك قبل الفوات. قوله: [على وفاء وعده في المكذبين] أي وللمؤمنين، وإنما اقتصر على المكذبين دفعاً لما يتوهم أنه تعالى إنما يحمد على الفضل، فأفاد أنه كما يحمد على الفضل، يحمد على العدل، لأن أوصافه تعالى جميلة. قوله: [ورب بدل] أي في المواضع الثلاثة، ويصح أن يكون نعتاً للفظ الجلالة.

قوله: ﴿وله الكبرياء﴾ أي آثارها، لأن وصف الكبرياء قائم بذاته تعالى، وإنما تظهر آثارها في السماوات والأرض من التصرف والقهر، فتصرفه سبحانه وتعالى في السماوات والأرض وما فيهما من آثار كبريائه سبحانه وتعالى، لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته. قوله: [حال] ويصح أن يتعلق بنفس الكبرياء لأنه مصدر. قوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ أي الغالب الذي يضع الشيء في محله.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤٦] ـ سورة الأحقاف

[مكية إلا ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ الآية وإلا ﴿فَاصْبِرْ كما صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الآية وإلا ﴿وَوَصَّينا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الثلاث آيات وهي أربع أو خمس وثلاثون آية]

﴿حمٓ﴾[١]: الله أعلم بمراده به ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: القرآن مبتدأ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾[٢]: في صنعه ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾: خلقا ﴿بِالْحَقِّ﴾: ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: إلى فنائهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا﴾: خوفوا به من العذاب

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الأحقاف مكية

إلا ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ الآية. وإلا ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ الآية.

وإلا ﴿ووصينا الانسان بوالديه﴾ الثلاث آيات. وهي أربع أو خمس وثلاثون آية.

سيأتي أن الأحقاف وادٍ باليمن، كانت فيه منازل عاد، وقيل: إنه جمع حقف وهو التل من الرمل، ولا منافاة بين القولين، إذ لا مانع من كون التلال في منازل عاد. قوله: [إلا قوله تعالى ﴿قل أرأيتم﴾ الخ] أي بناء على أن الشاهد عبد الله بن سلام، إذ لم يظهر منه التصديق بالقرآن إلا بالمدينة، وأما على أن المراد به موسى عليه السلام، فلا تكون مدنية. قوله: [الثلاث آيات] أي وآخرها قوله ﴿أساطير الأولين﴾ وحينئذ فجملة الآيات المستثنيات خمس. قوله: [وهي أربع أو خمس] الخ هذا الخلاف مبني على أن ﴿حمٓ﴾ تعد آية مستقلة أولاً. قوله: [الله أعلم بمراده به] تقدم غير مرة أن هذا القول هو الأسلم، وهو طريقة السلف في تفويض علم المتشابه لله تعالى.

قوله: ﴿من الله﴾ أي لم يخترعه من نفسه، ولم ينقله من بشر، ولا من جني كما قال الكفار. قوله: ﴿الحكيم﴾ [في صنعه] أي الذي أتقن كل شيء. قوله: ﴿إلا بالحق﴾ هذا هو مصب النفي، وهو صفة لمصدر محذوف كما قدره المفسر. قوله: [ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا] أي وباقي الصفات الكمالية، وتنزهه عن النقائص، لأن بالخلق يعرف الحق، لأن كل صنعة تدل على وجود صانعها، واتصافه بصفات الكمال. قوله: ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على الحق والكمال على حذف مضاف، أي وإلا بتقدير أجل مسمى، لأن الأجل نفسه متأخر عن الخلق، وفيه رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم.

قوله: ﴿والذين كفروا﴾ مبتدأ، و﴿معرضون﴾ خبره، وقوله: ﴿عما أنذروا﴾ متعلق بمعرضون، وما اسم

﴿مُعْرِضُونَ﴾[3] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: أخبروني ﴿مَا تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ ٱللهِ﴾: أي الأصنام مفعول أول ﴿أَرُونِي﴾: أخبروني (ما) تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾: مفعول ثان ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: بيان ما ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: مشاركة ﴿فِي﴾: خلق ﴿ٱلسَّمٰوَاتِ﴾: مع الله، وأم: بمعنى همزة الإنكار ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ﴾: منزل ﴿مِنْ قَبْلِ هٰذَا﴾: القرآن ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾: بقية ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾: يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4]: في دعواكم ﴿وَمَنْ﴾: استفهام بمعنى النفي أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا﴾: يعبد ﴿مِنْ دُونِ ٱللهِ﴾: أي غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾: وهم الأصنام لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾: عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾[5]: لأنهم جماد لا يعقلون ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا﴾: أي الأصنام ﴿لَهُمْ﴾: لعابديهم ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾: بعبادة عابديهم ﴿كَافِرِينَ﴾[6]: جاحدين ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أي أهل مكة ﴿آيَاتُنَا﴾: القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: ظاهرات حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾: أي للقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[7]: بيّن ظاهر ﴿أَمْ﴾: بمعنى بل وهمزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ﴾: أي القرآن ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ﴾: فرضاً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللهِ﴾: أي من عذابه ﴿شَيْئاً﴾: أي لا تقدرون على دفعه عني إذا عذبني الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾:

موصول، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله: والأولى أن يقدر منصوباً لاختلاف الجار للموصول وللعائد بأن يقول: خوفوه. قوله: [تأكيد] أي لقوله: ﴿أرأيتم﴾. قوله: [مفعول ثان] أي أن الجملة الاستفهامية سدت مسد المفعول الثاني. قوله: [بيان ما] أشار بذلك إلى أن ﴿ما﴾ اسم استفهام، و﴿ذا﴾ اسم موصول خبرها، و﴿خلقوا﴾ صلة الموصول، ويصح أن ﴿ماذا﴾ اسم استفهام مفعول لخلقوا. قوله: [بمعنى همزة الإنكار] أي وبل الإضرابية فهي منقطعة.

قوله: ﴿ائتوني بكتاب﴾ الأمر للتبكيت، وفيه إشارة إلى نفي الدليل النقلي، بعد الإشارة إلى نفي الدليل العقلي.

قوله: ﴿من قبل هذا﴾ صفة لكتاب، والجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر خاصاً بقوله: [منزل] والمناسب أن يقدره عاماً من مادة الكون. قوله: ﴿أو أثارة﴾ مصدر على وزن كفالة، وقوله: ﴿من علم﴾ صفة لأثارة، وهي مشتقة من الأثر الذي هو الرواية والعلامة، أو من أثرت الشيء أثيره أثارة، استخرجت بقيته، والمعنى: ائتوني برواية أو علامة أو بقية من علم يؤثر عن الأنبياء والصلحاء. قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فائتوني.

قوله: ﴿ومن أضل﴾ الخ، مبتدأ وخبر. قوله: ﴿من لا يستجيب﴾ ﴿من﴾ نكرة موصوفة بالجملة بعدها؛ أو اسم موصول ما بعدها صلتها، وهي معمولة لـ ﴿يدعو﴾ والمعنى لا أحد أضل من شخص يعبد شيئاً لا يجيبه، أو الشيء الذي لا يجيبه، ولا ينفعه في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ الغاية داخلة في المغيا، وهو كناية عن عدم الاستجابة في الدنيا والآخرة. قوله: [وهم الأصنام] عبر عنهم بضمير العقلاء، مجاراة لما يزعمه الكفار. قوله: [لأنهم جماد] أشار بذلك إلى أن المراد بالغفلة عدم الفهم. قوله: ﴿وإذا حشر الناس﴾ أي جمعوا بعد إخراجهم من القبور.

قوله: [جاحدين] أي منكرين، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ قوله: [حال] أي من آياتنا. قوله: ﴿قال الذين كفروا﴾ أظهر في مقام الأضمار لبيان وصفهم بالكفر، ووصف الآيات بالحق، وإلا فمقتضى الظاهر: قالوا لها. قوله: ﴿لما جاءهم﴾ أي حين جاءهم. قوله: [ظاهر] أي باهر لا يعارض إلا بمثله.

قوله: ﴿أم يقولون﴾ الخ، ترق في الانكار، وانتقال إلى ما هو أشنع. قوله: [فرضاً] أي على سبيل الفرض والتقدير. قوله: [فلا تملكون لي من الله شيئاً] أي فهو المتولي أموري، لا أحد يقدر على دفع ما أصابني منه غيره.

تقولون في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾: تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [٨] به فلم يعاجلكم بالعقوبة ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾: بديعاً ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: أي أول مرسل، قد سبق قبلي كثير منهم فكيف تكذبوني ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾: في الدنيا أأخرج من بلدي ام أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي أو ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٩]: بيّن الإنذار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني ماذا حالكم ﴿إِن كَانَ﴾: أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾: جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾: أي عليه أنه

قوله: [هو أعلم بما تفيضون فيه] أي تخوضون وتقدحون في القرآن بقولكم: هو شعر، هو سحر، وغير ذلك. قوله: ﴿كفى به شهيداً بيني وبينكم﴾ أي فيشهد لي بالصدق والبلاغ، وعليكم بالتكذيب والانكار. قوله: ﴿الرحيم﴾ [به] المناسب أن يقول: الرحيم بعباده، ليحسن ترتيب قوله: [فلم يعاجلكم] الخ، عليه. قوله: [فلم يعاجلكم بالعقوبة] أي بل أمهلكم لتتوبوا وترجعوا، عما أنتم عليه، ففيه وعد حسن بالمغفرة للتائبين، والرحمة بجميع العباد، إشارة إلى أن حلم الله ورحمته شاملة لهم، مع عظم خوفهم. قوله: [بديعاً] أشار بذلك إلى أن ﴿بدعاً﴾ صفة كحق وحقيق، وهو من الابتداع والاختراع، ويصح أن يكون مصدراً على حذف مضاف، أي ذا بدع، وقرئ شذوذاً بكسر الباء وفتح الدال جمع بدعة، أي ما كنت صاحب بدع، وبفتح الباء وكسر الدال، وصف كحذر.

قوله: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ ﴿ما﴾ استفهامية مبتدأ، والجملة بعدها خبرها، وهي معلقة لأدري عن العمل، فهي سادة مسد مفعوليها، ولما نزلت هذه الآية، فرح المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا؟ وإنه لا فضل له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه، لأخبره الذي بعثه بما يفعله به، فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف الكفار بنزول قوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ الآيات، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، لقد بين الله لك ما يفعل بك، فليت شعرنا ما هو فاعل بنا؟ فنزلت ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ الآية. ونزلت ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ فهذه الآية نزلت في أوائل الاسلام، قبل بيان مآل النبي والمؤمنين والكافرين، وإلا فما خرج ﷺ من الدنيا، حتى أعلمه الله في القرآن، ما يحصل له وللمؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، إجمالاً وتفصيلاً.

قوله: ﴿وما أنا إلا نذير مبين﴾ الحصر إضافي، أي منذر عن الله، لا مخترع من تلقاء نفسي، فلا ينافي أنه بشير أيضاً. قوله: [ماذا حالكم] أشار بذلك إلى أن مفعولي ﴿أرأيتم﴾ محذوفان دلت عليهما الجملة. قوله: [جملة حالية] أي وكذا ما بعدها من الجمل الثلاث، ويصح جعل الجمل الأربعة معطوفات على فعل الشرط، فقول المفسر فيما يأتي بما عطف عليه، يعني من الجمل الأربع فيه تلفيق، ويمكن أن يجاب بأن المراد العطف اللغوي. قوله: [هو عبد الله بن

---

* اسباب نزول الاية ١٠: أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال؛ انطلق النبي ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه، فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم انصرف فاذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل فقال: أي رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك قال: فاني أشهد أنه النبي الذي تجدون في التوراة قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا فيه شراً، فأنزل الله ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به﴾ الآية، وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: في عبد الله بن سلام نزلت ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن سلام قال: فيّ نزلت.

من عند الله ﴿فَآمَنَ﴾: الشاهد ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم عن الإيمان وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين؟ دل عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٠ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي في حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾: الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾: أي القائلون ﴿بِهِۦ﴾: أي بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ﴾: أي القرآن ﴿إِفْكٌ﴾: كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ ١١ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾: أي القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: أي التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾: للمؤمنين به حالان ﴿وَهَٰذَا﴾: أي القرآن ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾: للكتب قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾: حال من الضمير في مصدق ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: مشركي مكة ﴿وَ﴾ هو ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٢: المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾:

سلام] وقيل: الشاهد موسى، وشهادته ما في التوراة من نعته ﷺ. قوله: [أي عليه] أشار بذلك إلى أن مثل صلة. قوله: [ألستم ظالمين] المناسب للمفسر تقدير الفاء، لأن الجملة التي فعلها جامد إذا وقعت جواباً للشرط، لزمت الفاء.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ الخ هذا من جملة قبائح الكفار، وزعماً منهم أن عز الآخرة تابع لعز الدنيا، ولم يعلموا أن رحمة الله يخص بها من يشاء، ولا سيما من لم تكن الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، ورد أن القائل ذلك جملة من العرب وهم: بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع، لما أسلم جهينة ومزينة أو أسلم وغفار. قوله: [أي في حقهم] أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في، ويصح أن تبقى على بابها. قوله: ﴿لو كان﴾ [الايمان] الخ أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿كان﴾ عائد على [الايمان] ويصح عوده على القرآن أو على الرسول، وكلها معان متلازمة. قوله: ﴿ما سبقونا إليه﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، وكان مقتضى الظاهر ما سبقتمونا إليه، والضمير في ﴿إليه﴾ عائد على ما عاد عليه ضمير ﴿كان﴾.

قوله: ﴿وإذ لم يهتدوا به﴾ ظرف لمحذوف تقديره زادوا طغياناً، وليس قوله: ﴿فسيقولون﴾ عاملاً فيه لأمرين: وجود الفاء، وكون الفعل مستقبلاً، لأن ما بعد الفاء، لا يعمل فيما قبلها وبين الماضي والاستقبال تضاد، فإن الفعل مستقبل و﴿إذ﴾ للماضي. قوله: ﴿إفك قديم﴾ أي من قول الأقدمين: أتى به هو ونسبه إلى الله تعالى، فهو كقولهم ﴿أساطير الأولين﴾. قوله: ﴿ومن قبله﴾ خبر مقدم، و﴿كتاب﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة حالية أو مستأنفة، وهو رد لقولهم ﴿هذا إفك قديم﴾ والمعنى: لا يصح كونه إفكاً قديماً، مع كونكم سلمتم كتاب موسى ورجعتم إلى حكمه، فإن القرآن مصدق لكتاب موسى وغيره، وفيه قصص المتقدمين من الرسل وغيرهم والمتأخرين. قوله: [حالان] أي من كتاب موسى. قوله: ﴿مصدق﴾ [للكتب قبله] أي كتاب موسى وغيره من باقي الكتب السماوية. قوله: [حال من الضمير في مصدق] ويصح أن يكون حالا من ﴿كتاب﴾، و﴿عربيا﴾ صفة لـ﴿لسانا﴾. قوله: ﴿لينذر﴾ متعلق بـ﴿مصدق﴾ قوله: ﴿وبشرى للمحسنين﴾ أشار المفسر بتقدير الضمير إلى أنه خبر لمبتدأ محذوف، والجملة حالية، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿مصدق﴾ فهو مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر، أو منصوب عطف على محل قوله: ﴿لينذر﴾ كأنه قال للإنذار والبشارة.

قوله: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾ أي وحدوا ربهم، وقوله: ﴿ثم استقاموا﴾ الاستقامة هي العلم والعمل، وأتى

---

* أسباب نزول الآية ١١: واخرج أيضاً عن قتادة قال: قال ناس من المشركين: نحن أعز ونحن ونحن فلو كان خيراً ما سبقنا اليه فلان وفلان، فنزل ﴿وقال الذين كفروا﴾ وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد قال: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها ـ زنين ـ فكان عمر يضربها على اسلامها حتى يفتر، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيراً ما سبقتنا اليه زنين، فأنزل الله في شأنها ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً﴾ الآية. وأخرج ابن سعد نحوه عن الضحاك والحسن.

على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٣ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: حال ﴿جَزَاءً﴾: منصوب على المصدر بفعله المقدر أي يجزون ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٤ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾: وفي قراءة إحساناً أي أمرناه أن يحسن إليهما، فنصب إحساناً على المصدر بفعله المقدر ومثله حسناً ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾: أي على مشقة ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾: من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾: ستة أشهر أقل مدة الحمل والباقي أكثر مدة الرضاع وقيل إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّىٰ﴾: غاية لجملة مقدرة أي وعاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: هو كمال قوته وعقله ورأيه أقله ثلاث وثلاثين سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: أي تمامها وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾: الخ، نزل في أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به ثم آمن

بثم إشارة إلى أن اعتبار العلم والعمل إنما يكون بعد التوحيد، وللدلالة على الاستمرار على الاستقامة، فليس المراد حصول الاستقامة مدة، ثم يرجع للمخالفات. قوله: ﴿فلا خوف عليهم﴾ أي من وقت حضور الموت، إلى ما لا نهاية له، فيأمنون من الفتانات، وسؤال الملكين، وعذاب القبر، وهو الموقف والنار. قوله: ﴿ولا هم يحزنون﴾ أي على ما فاتهم في الدنيا. قوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ أي هي لهم بالأصالة. قوله: [حال] أي من ضمير أصحاب الجنة.

قوله: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ لما كان حق الوالدين مطلوباً، بعد حق الله تعالى، ذكر الوصية بهما، ثم ما يتعلق بحقوقه تعالى، ومناسبة ذكر الوصية بالوالدين، عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار، لأن الإنسان يختلف حاله مع أبويه، فقد يبرهما فيكون ملحقاً بأهل الجنة، وقد يعقهما فيكون ملحقاً بأهل النار. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية أيضاً. قوله: [أي أمرناه] الخ، تفسير لكل من القراءتين. قوله: [فنصب إحساناً] الخ، بيان لإعراب القراءتين، على اللف والنشر المشوش، والحسن والاحسان بمعنى واحد، وهو جمال القول والفعل، بأن يعظمهما ويوقرهما قولاً وفعلاً. قوله: ﴿حملته أمه﴾ الخ، علة لقوله: ﴿وصينا﴾ واقتصر على ذكر الأم، لأن حقها أعظم، ولذلك قيل: إن لها ثلثي الأجر. قوله: ﴿كرهاً﴾ بفتح الكاف وضمها، قراءتان سبعيتان، ومعناهما واحد. قوله: [أي على مشقة] أي في أثناء الحمل، إذ لا مشقة في أوله.

قوله: ﴿وحمله﴾ أي مدة حمله. وقوله: ﴿ثلاثون شهراً﴾ خبر قوله: ﴿حمله﴾ على حذف مضاف. قوله: [إن حملت به ستة] أي من الشهور، وقوله: [أرضعته الباقي] أي من الثلاثين، وهو أربعة وعشرون، أو أحد وعشرون، قيل: إن الآية عامة في كل إنسان، وقيل: إنها خاصة بمن نزلت في حقه، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لما روي أن أمه حملت به تسعة أشهر، وأرضعته إحدى وعشرين شهراً. قوله: [غاية لجملة مقدرة] أي معطوفة على قوله: ﴿ووضعته﴾ أو مستأنفة. قوله: [أقله ثلاث وثلاثون سنة] أي لأن هذا الوقت هو الوقت الذي يكمل فيه بدن الانسان.

قوله: [الخ] أي وآخرها قوله: ﴿وإني من المسلمين﴾. قوله: [نزل] أي المذكور من قوله تعالى ﴿ووصينا الانسان﴾ الخ. وحاصل ذلك أن أبا بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة، في تجارة إلى الشام، فنزلوا منزلاً فيه سدرة، فقعد النبي ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك، فسأله عن الدين فقال له الراهب: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال الراهب: هذا والله نبي، وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا، وهو نبي آخر الزمان، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي ﷺ في سفر ولا حضر، فلما بلغ رسول الله أربعين سنة، وأكرمه الله تعالى بنبوته، واختصه برسالته، آمن به أبو بكر الصديق رضي الله عنه وصدقه، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، فلما بلغ أربعين سنة، دعا ربه عز وجل فقال:

أبوَاه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ﴾: بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾: وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾: فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾: فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ﴾*: أي قائلوا هذا القول أبو بكر وغيره ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾: بمعنى حسن ﴿مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾: حال أي كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ١٦﴾ في قوله تعالى: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾: وفي قراءة: بالإدغام أريد به الجنس ﴿أُفٍّ﴾: بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتناً وقبحاً ﴿لَّكُمَآ﴾: أتضجر منكما ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾: وفي قراءة بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾: من القبر ﴿وَقَدْ خَلَتِ

﴿رب أوزعني﴾ الآية. قوله: [ثم آمن أبواه] أي أبوه عثمان بن عامر بن عمرو، وكنيته أبو قحافة، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو. قوله: [وابن عبد الرحمن] أي واسمه محمد، وكلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة غير أبي بكر، وامرأة أبي بكر اسمها قتيلة بنت عبد العزى، وامرأة أبيه اسمها قيلة. قوله: [ألهمني] أي رغبني ووفقني. قوله: [فأعتق تسعة] أي افتداهم من أيدي الكفار، وخلصهم من أذاهم، فهو عتق صوري، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه.

قوله: ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ أي اجعل الصلاح سارياً فيهم، وعبر بفي إشارة إلى أنهم كالظرف للصلاح لتمكنه منهم. قوله: [فكلهم مؤمنون] أي فالصلاح مقول بالتشكيك، يتحقق بأصل الايمان، ويتزايدون فيه على حسب مراتبهم. قوله: [أي قائل القول] أشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿الذين يتقبل﴾ هو، و﴿يتجاوز﴾ بالياء مبنياً للمفعول، أو بالنون مبنياً للفاعل، قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بالياء مبنياً للفاعل. قوله: [بمعنى حسن] أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه. قوله: [حال] أي من ضمير ﴿عنهم﴾. قوله: ﴿وعد الصدق﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر، أي وعد الله وعد الصدق. قوله: ﴿الذين كانوا يوعدون﴾ أي في الدنيا على لسان رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿والذي قال لوالديه﴾ الخ، اسم الموصول معمول لمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك الشخص الذي قال لوالديه الخ، ويحتمل أنه مبتدأ خبره قوله: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾ الخ، والمراد منه الجنس لا شخص معين، ولذا أخبر عنه بالجمع مراعاة لمعناه، فهي واردة في كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين، وهذا هو الصحيح، خلافاً لمن شذ وقال: إن هذه الآية نزلت في حق عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه، فإنه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم، وقد كذبت الصديقة من قال ذلك، ويرده أيضاً قوله تعالى: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾ الخ. قوله: [وفي قراءة بالادغام] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [بكسر الفاء] أي مع التنوين وتركه، وقوله: [وفتحها] أي من غير تنوين، فالقراءات ثلاث سبعيات، وهو مصدر أف يؤف أفاً، بمعنى نتنا وقبحاً، أو هو اسم صوت يدل على تضجر، أو اسم فعل أتضجر، والمفسر أشار لاثنين منها بقوله: [بمعنى مصدر] وبقوله: [أتضجر منكما]. قوله: [أي نتناً] النتن القذارة والرائحة الكريهة، وهو كناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجر منهما. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿أن أخرج﴾ هذا هو الموعود به، والباء محذوفة أي بأن أخرج، وحذف الجار مع أن مطرد. قوله: ﴿وقد

---

* أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: نزلت هذه الآية ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ في عبد الرحمن بن أبي بكر

﴿ٱلْقُرُونُ﴾: الأمم ﴿مِن قَبْلِي﴾: ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾: يسألانه الغوث برجوعه ويقولان إن لم ترجع ﴿وَيْلَكَ﴾: أي هلاكك بمعنى هلكت ﴿ءَامِنْ﴾: بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾: أي القول بالبعث ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ١٧: أكاذيبهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: بالعذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ ١٨ ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾: أي المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾: أي الله وفي قراءة بالنون ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ١٩: شيئاً، ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: بأن تكشف لهم يقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾: بهمزة،

خلت القرون من قبلي﴾ الجملة حالية. قوله: [ولم تخرج من القبور] أي زعماً منه أن الخروج من القبور لو كان صدقاً لحصل قبل انقضاء الدنيا. قوله: ﴿وهما يستغيثان الله﴾ اعلم أن مادة الاستغاثة تتعدى بنفسها تارة، وبالباء أخرى، لكن لم ترد في القرآن إلا متعدية بنفسها. قال تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا﴾ ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾. قوله: [يسألانه الغيث] أي إغاثة ذلك الولد بتوفيقه للإسلام. قوله: ﴿ويلك﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [ويقولون] الخ، وذلك المحذوف حال من فاعل يستغيثان. والمعنى يستغيثان الله حال كونهما قائلين ﴿ويلك﴾ فهو فعل أمر. قوله: ﴿آمن﴾ أي صدق واعترف.

قوله: ﴿إن وعد الله حق﴾ جملة مستأنفة أو تعليل لما قبلها. قوله: [أكاذيبهم] أي اخترعوها من غير أن يكون لها أصل. قوله: ﴿في أمم﴾ حال من ضمير ﴿عليهم﴾، والمعنى ثبت عليهم القول في عداد أمم، الخ. قوله: ﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ أي كافرين ابتداء وانتهاء. قوله: ﴿ولكل﴾ خبر مقدم، و﴿درجات﴾ مبتدأ مؤخر. والمعنى لكل شخص من المؤمنين والكفار. قوله: ﴿درجات﴾ في الكلام تغليب، لأن مراتب أهل النار يقال لها دركات بالكاف لا بالجيم، أو تسمح حيث أطلق الدرجات، وأراد المنازل مطلقاً، علوية أو سفلية. قوله: ﴿مما عملوا﴾ أي من أجل ما عملوا من خير وشر. قوله: ﴿وليوفيهم﴾ عطف علة على معلول، والمعنى جازاهم بذلك ليوفيهم. قوله: [أي جزاءها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [ينقص للمؤمنين] أي من درجاتهم، بل قد يزاد لهم فيها. قوله: [ويزاد للكفار] أي في دركاتهم، بل قد يخفف عن بعضهم، كأبي طالب وأبي لهب.

قوله: ﴿ويوم يعرض﴾ الخ ﴿يوم﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [يقال لهم] الخ، والمعنى يقال لهم أذهبتم الخ، وقت عرضهم على النار. قوله: [بأن تكشف لهم] أشار بذلك إلى أن الكلام فيه قلب، والأصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا، أي يكشف لهم عنها، وأتى به كذلك، لأن عرض الشخص على النار، أشد في إهانته من عرض النار عليه، لأن عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المجعول للإحراق، وإنما كان فيه قلب، لأن المعروض عليه شأنه

قال لأبويه وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم فكانا يأمرانه بالإسلام فيرد عليهما ويكذبهما ويقول: فأين فلان، وأين فلان، يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد فحسن اسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله. لكن أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال: قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: ان هذا الذي أنزل الله فيه ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري. وأخرج عبد الرزاق من طريق مكي، أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر وقالت: إنما نزلت في فلان وسمت رجلاً، قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح اسناداً وأولى بالقبول.

وبهمزتين، وبهمزة ومدة، وبهما، وتسهيل الثانية ﴿طَيِّبَاتِكُمْ﴾: باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾: تمتعتم ﴿بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: أي الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تتكبرون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ ٢٠: به وتعذبون بها ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾: هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾: الخ بدل اشتمال ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُ﴾: خوفهم ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾: واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾: مضت الرسل ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾: أي من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم ﴿أَلَّا﴾: أي بأن قال ﴿لَا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: وجملة وقد خلت معترضة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن عبدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٢١ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: لتصرفنا

العلم والاطلاع، والنار ليست كذلك، وقيل: المراد بالعرض العذاب، وحينئذ فليس فيه قلب، وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخراً بقوله: [يعذبون بها]. قوله: [يقال لهم] هذا المقدر عامل في جملة ﴿أذهبتم﴾ وناصب لـ﴿يوم﴾ على الظرفية.

قوله: ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ أي ما قدر لكم من المستلذات فقد استوفيتموه في الدنيا، فلم يبق لكم حظ تأخذونه في الآخرة. قوله: [بهمزة] الخ أشار المفسر لخمس قراءات: تحقيق الهمزتين: وتسهيل الثانية بألف بينهما على الوجهين، وتركه، وهمزة واحدة وأجمل في ذلك، فقوله: [بهمزة] وهي إحدى القراءات الخمس، وقوله: [وبهمزتين] أي محققتين بغير مد بينهما، ثانيتها قوله: [وبهمزة ومدة] المناسب وبهمزتين محققتين ومدة وهي ثالثها، وقوله: [وبهما وتسهيل الثانية] أي بمدة ودونها فقد تمت الخمس. قوله: [أي الهوان] أشار بذلك إلى أنه من اضافة الموصوف لصفته. قوله: ﴿بغير الحق﴾ وصف كاشف، لأن الاستكبار لا يكون إلا بغير الحق، فإن الكبرياء وصف لله وحده. قوله: [به] متعلق بـ﴿تستكبرون﴾ و﴿تفسقون﴾ وقدره إشارة إلى أن العائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية، أي بكونهم مستكبرين فاسقين، والمراد بالاستكبار الفواحش الباطنية، وبالفسق الفواحش الظاهرية. قوله: [ويعذبون بها] عطف على ﴿يعرض﴾ عطف تفسير، فهو تفسير آخر للعرض، فالمناسب تقديمه و﴿على﴾ بمعنى الباء.

قوله: ﴿واذكر أخا عاد﴾ أي في النسب لا في الدين، لأن هوداً هو وقومه ينتسبون لعاد. قوله: [هو هود] أي ابن عبد الله بن رباح، وتقدم ذكره تفصيلا في سورة هود. قوله: [بدل اشتمال] أي فالمقصود ذكر قصته مع قومه للاعتبار بها. قوله: ﴿بالأحقاف﴾ حال من ﴿قومه﴾ أي أنذرهم، والحال أنهم مقيمون بالأحقاف. قوله: [واد باليمن] أي فهو علم على الوادي لا جمع، وقوله: [ومنازلهم] تفسير آخر، وعليه فهو جمع حقف وهو الرمل المستطيل، وتقدم القولان في أول السورة، وقيل: إن الأحقاف جبل بالشام.

قوله: ﴿وقد خلت النذر﴾ الواو اعتراضية، والخلو بالنسبة لزمن رسول الله ﷺ، وأتى بهذه الجملة لبيان أن إنذار هود لعاد وقع مثله للرسل المتقدمين عليه والمتأخرين عنه، فلم يكن مختصاً بهود، ويحتمل أن معنى قوله: ﴿وقد خلت النذر﴾ الخ، أي مضى لك ذكرهم في القرآن مراراً، فلا حاجة للإعادة، فهو ذكر لباقي القصص إجمالاً، نظير قوله فيما تقدم ﴿وقد مضى مثل الأولين﴾ فتدبر. قوله: [أي من قبل هود] الخ لف ونشر مرتب، والذين قبله أربعة: آدم وشيث وإدريس ونوح، والذين بعده: كصالح وابراهيم وإسماعيل وإسحاق وسائر بني إسرائيل. قوله: [إلى أقوامهم] متعلق بمضت لتضمنه معنى مرسلين. قوله: [أي بأن] أشار بذلك إلى أن ﴿أن﴾ مصدرية ومخففة من الثقيلة، والباء المقدرة للتصوير. قوله: [معترضة] أي بين الإنذار ومعموله.

قوله: ﴿إني أخاف﴾ علة لقوله: ﴿أن لا تعبدوا﴾. قوله: ﴿عظيم﴾ بالجر صفة لـ﴿يوم﴾ ووصف اليوم بالعظم

عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: من العذاب على عبادتِها ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٢٢ في أنه يأتينا ﴿قَالَ﴾: هود ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾: هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: إليكم ﴿وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ٢٣ باستعجالكم العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾: أي ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾: سحاباً عرض في أفق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾: أي ممطر إيانا قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾: من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من ما ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٤: مؤلم ﴿تُدَمِّرُ﴾: تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: بإرادته أي كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا تُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٥ غيرهم ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا﴾: في الذي ﴿إِن﴾: نافية أو زائدة ﴿مَّكَّنَّاكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾: من

لشدة هوله. قوله: ﴿قالوا أجئتنا﴾ أي جواباً لإنذاره. قوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿إنما العلم عند الله﴾ أي علم وقت إتيان العذاب عند الله، فلا علم لي بوقته، ولا مدخل لي في استعجاله. قوله: ﴿وأبلغكم ما أرسلت به إليكم﴾ أي أن وظيفتي تبليغكم لا الإتيان بالعذاب، إذ ليس في طاقتي، و﴿أبلغكم﴾ بسكون الباء وتخفيف اللام، وبفتحها وتشديد اللام مكسورة، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ولكني﴾ بسكون الياء وفتحها قراءتان سبعيتان. قوله: [أي ما هو العذاب] أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿رأوه﴾ عائد على ما في قوله: ﴿ما تعدنا﴾. قوله: [سحاباً عرض] أي فالعارض هو السحاب الذي يعرض في الأفق.

قوله: ﴿مستقبل أوديتهم﴾ أي متوجهاً إليها، والإضافة لفظية للتخفيف، وكذا هي في قوله: ﴿ممطرنا﴾ ولذا وقع المضاف في الموضعين صفة للنكرة، وهي عارضاً وعارض. قوله: [أي ممطر إيانا] أي يأتينا بالمطر. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بل هو﴾ الخ من كلامه تعالى، ويصح أن يكون من كلام هود، رداً لقولهم ﴿هذا عارض ممطرنا﴾ وهو الأولى. قوله: [بدل من ما] أي أو خبر لمحذوف أي هي ريح. قوله: ﴿فيها عذاب أليم﴾ الجملة صفة لـ ﴿ريح﴾ وكذا قوله: ﴿تدمر﴾. قوله: [أي كل شيء أراد إهلاكه بها] تفسير لقوله: ﴿بأمر ربها﴾. قوله: [فأهلكت رجالهم] قدر هذا ليعطف عليه قوله: ﴿فأصبحوا﴾ الخ، روي أن هوداً لما أحس بالريح، أخذ المؤمنين ووضعهم في حظيرة، وقيل خط حولهم خطاً، فكانت الريح لا تعدو الخط، وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام؟ يسمع لهم أنين، ثم كشفت عنهم الرمل، واحتملتهم فقذفتهم في البحر. قوله: [وبقي هود ومن آمن معه] أي وهم آلاف، وكان الريح تأتيهم لينة باردة طيبة، والريح التي تصيب قومه، شديدة عاصفة مهلكة، وهي معجزة عظيمة لهود عليه السلام. قوله: ﴿فأصبحوا﴾ أي صاروا. قوله: ﴿لا ترى إلا مساكنهم﴾ بتاء الخطاب ونصب المساكن وبياء الغيبة، مبنياً للمفعول، ورفع مساكن على أنه نائب الفاعل، قراءتان سبعيتان، والمعنى: فصاروا لا يرى إلا أثر مساكنهم، لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار، والمساكن معطلة. قوله: [كما جزيناهم] أي عاداً.

قوله: ﴿ولقد مكناهم﴾ أي عاداً. قوله: [في الذي] أشار به إلى أن ما موصولة. قوله: [نافية] أي بمعنى ما، ولم يؤت بلفظها دفعاً لثقل التكرار، ويكون المعنى: ولقد مكنا عاداً في الذي لم نمكنكم يا أهل مكة فيه. قوله: [أو زائدة] أي والمعنى: ولقد مكنا عاداً في مثل الذي مكناكم فيه، ويصح أن تكون شرطية، وجوابها محذوف، والتقدير: ولقد

القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً﴾: بمعنى أسماعاً ﴿وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً﴾: قلوباً ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي شيئاً من الإغناء، ومن زائدة ﴿إِذْ﴾: معمولة لأغنى وأشربت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾: بحججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٢٦: أي العذاب ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾: أي من أهلها، كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾: كررنا الحجج البينات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٢٧ ﴿فَلَوْلَا﴾: هلا ﴿نَصَرَهُمْ﴾: بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾: أي غيره ﴿قُرْبَاناً﴾: متقرباً بهم إلى الله ﴿آلِهَةً﴾: معه وهم الأصنام، ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أي هم وقرباناً الثاني وآلهة بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾: عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾: أي اتخاذهم الأصنام آلهة قرباناً ﴿إِفْكُهُمْ﴾: كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ٢٨: يكذبون، وما مصدرية أو موصولة، والعائد محذوف أي فيه ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾: أملنا ﴿إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ﴾: جن نصيبين باليمن أو جن نينوى، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخل يصلي بأصحابه الفجر رواه الشيخان ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا﴾:

مكناهم في الذي إن مكناكم فيه طغيتم وبغيتم، وأوضحها أولها. قوله: ﴿وجعلنا لهم سمعاً] الخ، أفرد السمع لأن ما يدرك به متحد وهو الصوت، بخلاف ما بعده من الأبصار والأفئدة، فإنه يدرك بها أشياء كثيرة. قوله: [أي شيئاً] أشار بذلك إلى أن ﴿من شيء﴾ مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدرة، منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد. قوله: [معمولة لأغنى] أي لنفيه، فإن التعليل للنفي، والمعنى انتفى نفع هذه الحواس عنهم لأنهم كانوا يجحدون، الخ.

قوله: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾ الخطاب لأهل مكة. قوله: ﴿من القرى﴾ أي أهلها. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن ﴿لولا﴾ تحضيضية. قوله: [ومفعول اتخذوا] الخ، أي والمعنى فلا تدفع عنهم العذاب الأصنام الذين اتخذوهم قرباناً آلهة، والمقصود توبيخهم. قوله: [وآلهة بدل منه] هذا أحد أعاريب، ويصح أن يكون ﴿آلهة﴾ الثاني و﴿قرباناً﴾ حال أو مفعول من أجله. قوله: ﴿بل ضلوا عنهم﴾ إضراب انتقالي من نفي الدفع عنهم، إلى غيبتها عنهم بالكلية، والمعنى لم يحضروا عندهم فضلاً عن كونهم يدفعون عنهم العذاب. قوله: ﴿إفكهم﴾ قرأ العامة بكسر الهمزة وسكون الفاء، مصدر أفك يأفك إفكاً، وقرئ شذوذاً بفتح الهمزة، وهو مصدر له أيضاً، وبفتحات فعلاً ماضياً. قوله: [وما مصدرية] أي وافتراؤهم وهو الأحسن لتناسب المعطوفين. قوله: [أي فيه] أي فحذف الجار فاتصل الضمير ثم حذف، ولو قال: أي يفترونه لكان أوضح.

قوله: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ أي اذكر يا محمد لقومك قصة صرفنا إليك نفراً من الجن، ليعتبروا بأن رسالتك عامة، للإنس والجن والملائكة وجميع الخلق، لكن إرساله للإنس والجن إرسال تكليف إجماعاً، وإرساله للملائكة قيل إرسال تكليف بما يليق بهم، وقيل إرسال تشريف، وإرساله لما عداهم من الحيوانات الغير العاقلة والجمادات إرسال تشريف ورحمة. قوله: ﴿نفراً﴾ النفر بفتحتين، والنفر والنفير من ثلاثة رجال إلى عشرة. قوله: [نصيبين] أي وهي قرية باليمن. قوله: [أو جن نينوى] بنون مكسورة فياء ساكنة، فنون مضمومة أو مفتوحة، فواو فألف مقصورة، وهي قرية يونس عليه السلام قرب الموصل. قوله: [وكان ﷺ ببطن نخل] الصواب أن يقول: وكان ببطن نخلة لأنه هو الذي في طريق الطائف، وأما بطن نخل، فهو المكان الذي صلى فيه صلاة الخوف، وهو على مرحلتين من

---

* أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال: إن الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ الى قوله ﴿ضلال مبين﴾.

المدينة. قوله: [يصلي بأصحابه الفجر] فيه شيء، إذ لم يثبت أنه كان معه من الصحابة إلا زيد بن حارثة، وهذه الواقعة كانت قبل فرض الصلوات، فالصواب أن يقول: كان يصلي في جوف الليل، وعبارة المواهب: ثم خرج عليه السلام إلى الطائف، بعد موت خديجة بثلاثة أشهر، في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة، لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب، وكان معه زيد بن حارثة، فأقام به شهراً يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى، فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه، ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعاً إلى مكة، نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة، صرف إليه سبعة من جن نصيبين، وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يصلي الخ. واعلم أن العلماء ذكروا في سبب هذه الواقعة قولين: أحدهما: أن الجن كانت تسترق السمع، فلما رجموا ومنعوا من السماء حين بعث النبي قالوا: ما هذا إلا شيء حدث في الأرض، فذهبوا فيها يطلبون السبب، وكان قد اتفق أن النبي ﷺ في الحادية عشرة من النبوة، لما أيس من أهل مكة، خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الاسلام، فلم يجيبوه، فانصرف راجعاً إلى مكة، فقام ببطن نخل يقرأ القرآن، فمر به نفر من جن نصيبين، كان إبليس قد بعثهم يطلبون السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم بالشهب، فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هو السبب، وعليه فلم يكن اجتماعه بالجن مقصوداً للإرسال.

ثانيهما: أن الله أمر رسوله ﷺ أن ينذر الجن، ويدعوهم إلى الله، ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله إليه نفراً منهم يستمعون القرآن وينذرون قومهم، وذلك لأن الجن مكلفون، لهم الثواب، وعليهم العقاب، ويدخلون الجنة، ويأكلون فيها ويشربون كالانس، فانتهض النبي ﷺ ذات ليلة وقال: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة القرآن، فأيكم يتبعني؟ فأطرقوا، فتبعه عبد الله بن مسعود، قال عبد الله بن مسعود: ولم يحضر معه أحد غيري، قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة، دخل النبي شعباً يقال له شعب الحجون، وخط لي خطاً، وأمرني أن أجلس فيه وقال لي: لا تخرج حتى أعود إليك، فانطلق حتى وصل إليهم، فافتتح القرآن، فجعلت أرى أمثال النسور تهوي، وسمعت لغطاً شديداً، حتى خفت على نبي الله، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى لم أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبي منهم مع الفجر، فانطلق إلي فقال لي: قد نمت؟ فقلت: لا والله، ولكني هممت أن آتي إليك لخوفي عليك، فقال ﷺ له: لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، فأولئك جن نصيبين، فقلت: يا رسول الله سمعت لغطاً شديداً، فقال: إن الجن اختصموا في قتيل قتل بينهم، فتحاكموا إلي، فقضيت بينهم بالحق، وكان عدة هؤلاء اثني عشر ألفاً. وروي عن أنس قال: كنت عند النبي ﷺ وهو بظاهر المدينة، إذا أقبل شيخ يتوكأ على عكازه، فقال النبي ﷺ: إنها لنغمة جني، فقال الشيخ: أجل يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: من أي الجن أنت؟ قال: إني هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس، فقال له النبي: كم أتى عليك من العمر؟ فقال: أكلت عمر الدنيا إلا القليل، كنت حين قتل هابيل غلاماً ابن أعوام، فكنت أشرف على الآكام، وأصطاد الهام، وأجعله بين الآنام، فقال النبي: بئس العمل، فقال: يا رسول الله، دعني من العتب، فإني ممن آمن مع نوح عليه السلام، وعاتبته في دعوته فبكي وأبكاني وقال: والله إني لمن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وأتيت هوداً فعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني وقال: والله إني لمن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت ابراهيم وآمنت به، وكنت بينه وبين الأرض إذ رمي به في المنجنيق، وكنت معه في النار إذ ألقي فيها، وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجب، فسبقته إلى قعره، ولقيت موسى بن عمران، وكنت مع عيسى ابن مريم عليهما السلام، فقال لي: إن لقيت محمداً فاقرأ عليه السلام، قال أنس: فقال النبي: وعليه السلام، وعليك السلام يا هام، ما حاجتك؟ فقال: إن موسى علمني التوراة، وإن عيسى علمني الانجيل، فعلمني القرآن قال أنس: فعلمه النبي ﷺ: سورة الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، وقل يا أيها الكافرون، وسورة الاخلاص، والمعوذتين. ولا منافاة بين هذه القصص، فلعل الواقعة تعددت، فإحداها كان بها

أي قال بعضهم لبعض ﴿أَنْصِتُوا﴾: اصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا﴾: رجعوا ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ٢٩: مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً وقد أسلموا ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً﴾: هو القرآن ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي تقدمه كالتوراة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: الإسلام ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٣٠: أي طريقه ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾: محمداً ﷺ إلى الإيمان ﴿وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ﴾: الله ﴿لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: أي بعضها لأن منها المظالم، ولا تغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٣١: مؤلم ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾: لمن لا يجب ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: أي الله ﴿أَوْلِيَاءُ﴾: أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُولَئِكَ﴾: الذين لم يجيبوا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٣٢: بين ظاهر ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا، أي منكرو البعث ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾: لم يعجز عنه ﴿بِقَادِرٍ﴾: خبر أن، وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة أليس الله بقادر ﴿عَلَى أَنْ يُحْيِيَ

زيد بن حارثة، والأخرى كان فيها عبد الله بن مسعود، والأخرى كان فيها أنس بن مالك، كما أن قراءة القرآن عليهم تعددت.

قوله: ﴿يستمعون القرآن﴾ جمعه مراعاة لمعنى النفر، ولو راعى لفظه لقال يستمع. قوله: ﴿فلما حضروه﴾ أي القرآن والرسول. قوله: [اصغوا] بكسر الهمزة وفتح الغين؛ من باب رمى، أو بفتح الهمزة وضم الغين من الرباعي. قوله: ﴿فلما قضي﴾ بالبناء للمفعول في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالبناء للفاعل، فالأولى تؤيد عود الضمير على القرآن، والثانية تؤيد عوده على الرسول.

قوله: ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ أي بأمر الرسول عليه السلام؛ لأنه جعلهم رسلاً إلى قومهم. قوله: [وكانوا يهوداً] أي وقد أسلموا في هذه الواقعة، وأسلم من قومهم حين رجعوا إليهم وأنذروهم وهم سبعون، وقال العلماء: إن الجن فيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام، وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع. وروي أنهم أصناف ثلاثة: صنف لهم أجنحة يطيرون بها، وصنف على صورة الحيات والكلاب، وصنف يحلون ويظعنون، واختلف في مؤمني الجن، فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار؛ وعليه أبو حنيفة والليث؛ وبعد نجاتهم من النار يقال لهم: كونوا تراباً. وقال الأئمة الثلاثة: هم يدخلون الجنة، ويأكلون ويشربون ويتنعمون. وقيل: إنهم يكونون حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها. قوله: [كالتوراة] أي والإنجيل والزبور وغيرهما. قوله: [أي طريقه] أي الإسلام وهو الانقياد وطريقه الأعمال الصالحة، كالصلاة والصوم. قوله: ﴿يغفر لكم﴾ جواب الأمر. قوله: ﴿ويجركم﴾ أي يخلصكم وينجيكم.

قوله: ﴿ومن لا يجب﴾ الخ، ﴿من﴾ شرطية وجوابها قوله: ﴿فليس بمعجز﴾ الخ. قوله: ﴿أولياء أولئك﴾ همزتان مضمومتان من كلمتين، وليس في القرآن محل لاجتماعهما غير هذا. قوله: ﴿أولئك﴾ الخ هذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن. قوله: ﴿أو لم يروا﴾ الخ، رجوع لتوجيه الكلام إلى أهل مكة وغيرهم بعد تقرير قصة الجن، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه تقديره أتركوا التفكر ولم يروا. قوله: [لم يعجز عنه] أي لم يضعف ولم يتعب. قوله: [وزيدت الباء فيه] الخ، جواب عما يقال: إن الباء لا تزاد إلا في خبر ليس وما، كما قال ابن مالك:
وبعد ما وليس جر الباء الخبر: وإن للإثبات. قوله: [لأن الكلام] الخ حاصل الجواب أنها واقعة في خبر ليس تأويلاً.
قوله: ﴿بلى﴾ هي جواب النفي ويصير بها إثباتاً؛ بخلاف نعم فإنها تقرر ما قبلها نفياً أو إثباتاً.

﴿ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ﴾: هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٣ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: بأن يعذبوا بها يقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾: التعذيب ﴿بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٤ فَٱصْبِرْ﴾: على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾: ذوو الصبر والثبات على الشدائد ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قبلك فتكون ذا عزم، و«من» للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ ولا يونس لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لقومك نزول العذاب بهم، قيل كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فإنه نازل بهم لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب في الآخرة لطوله ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾: في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾: هذا القرآن

قوله: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا﴾ الخ، هذا إشارة لبعض ما يحصل في يوم البعث من الأهوال، إثر بيان إثباته وتقرره. قوله: [يقال لهم] قدره إشارة إلى أن ﴿يوم﴾ ظرف لمحذوف، وإلى أن قوله: ﴿أليس هذا بالحق﴾ مقول لقول محذوف. قوله: ﴿وربنا﴾ الواو للقسم، وإنما أكدوا كلامهم بالقسم طمعاً في الخلاص، حيث اعترفوا بالحق. قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ أي بسبب كفركم. قوله: ﴿فاصبر﴾ الخ، هذا تسلية له ﷺ، والصبر: تلقي الشدائد بالرضا والتسليم. قوله: ﴿كما صبر أولوا العزم﴾ الكاف بمعنى مثل، صفة لمصدر محذوف، وما مصدرية، والتقدير: صبراً مثل صبر أولي العزم. قوله: [فكلهم ذوو عزم] أي حزم وكمال وثبات وصبر على الشدائد، وقوله: [وقيل] هي للتبعيض في كلامه، إشارة لقولين في تفسير أولي العزم، من جملة أقوال شتى، وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام ثمانية عشر: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكرياء ويحيى وعيسى والياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط. وقيل: هم اثنا عشر نبياً، أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم، فأوحى الله إلى الأنبياء: إني مرسل عذابي إلى عصاة بني إسرائيل، فشق ذلك على المرسلين، فأوحى الله إليهم: اختاروا لأنفسكم، إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم أنجيتكم وأنزلت العذاب ببني إسرائيل، فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب، وينجي الله بني إسرائيل، فأنجى الله بني إسرائيل، وأنزل العذاب بأولئك الرسل، وذلك أنه سلط عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر بالمناشير، ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم من صلب على الخشب حتى مات، ومنهم من أحرق بالنار. وقيل: أولوا العزم أربعة: إبراهيم صبر على فقد نفسه وذبح ولده. وموسى صبر على أذى قومه، ووثق بربه حين قال له قومه: إنا لمدركون، فقال: كلا إن معي ربي سيهدين. وداود صبر على البكاء من أجل خطيئته، حتى نبت من دموعه الشجر، فقعد تحت ظله. وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها. فكأن الله تعالى يقول لنبيه: كن صادقاً واثقاً بربك، مهتماً بما سلف منك، زاهداً في الدنيا، وقيل: أولوا العزم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وهو المعتمد، لأنهم أصحاب الشرائع. قوله: [ولم نجد له عزماً] أي تاماً، لأن إرادتنا أكله من الشجرة، غلبت إرادته عدم الأكل منها؛ وإلا فكل نبي صاحب عزم؛ غير أنهم يتفاوتون فيه على حسب مراتبهم، قال تعالى ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾.

قوله: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أي لأجلهم، والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله: [نزول العذاب]. قوله: [قيل كأنه ضجر] الخ، المناسب حذف كان كما في عبارة غيره. قوله: [فإنه نازل بهم] أي ولو في الآخرة. قوله: ﴿يوم يرون﴾ ظرف لقوله: ﴿لم يلبثوا﴾ الخ. قوله: [لطوله] تعليل لقوله: ﴿لم يلبثوا﴾ مقدم عليه. قوله: ﴿إلا ساعة من

﴿بَلَاغٌ﴾: تبليغ من اللهِ إليكم ﴿فَهَلْ﴾: أي لا ﴿يُهْلَكُ﴾: عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾[٣٥]: أي الكافرون.

نهار﴾ أي لأن مَا مَضى عليهم من الزمانِ، كأنهم لم يروه لانقضائه. قوله: [هذا القرآن] ﴿بلاغ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بلاغ﴾ خبر لمحذوف. قوله: [تبليغ من الله إليكم] أي بلغكم إياه فآمنوا به، أو المعنى موصل مَن عَمِل به وآمن إلى الدرجات العلى لما ورد: يقال له: اقرأ وارق ويؤنسه في قبره، وموصل مَنْ لم يعمل به إلى الدركات السفلى.

قوله: ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ أي لا يكون الهلاك والدمار إلا للكافرين. وأما مَنْ مات على الإيمان ولو عاصياً فهو فائز، ولا يقال له هالك، وهذه الآية أرجى آية في القرآن، إذ فيها تطميع في سعة فضل الله ورحمته.

ـ فائدة ـ نقل القرطبي عن ابن عباس، أن المرأة إذا تعسر وضعها، تكتب هاتان الآيتان والكلمتان في صحفة، ثم تغسل وتسقى منها، فإنها تلد سريعاً، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم، سبحان الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ اهـ.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤٧] ـ سورة القتال (محمد)

[مَدَنية إلاّ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ الآية أو مكية وهي ثمان أو تسع وثلاثون آيةً]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾: غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾: أحبط ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾[١]: كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سُوَرَة القتال مدنية

إلا ﴿وكأين من قرية﴾ الآية . أو مكية . وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية

وتسمى سورة محمد ﷺ لذكر هذا الاسم فيها، وسورة الذين كفروا لبدئها بهذا اللفظ. قوله: [مدنية] الخ هذا القول منقول عن ابن عباس، وقوله: [إلا وكأين] الخ؛ أي فإنها نزلت بعد حجة الوداع، حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهو يبكي حزناً على فراقه، وهذا مبني على أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، وهو ضعيف، والصحيح أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها ولو بأرض مكة، ورُدّ أيضاً بأنه في حجة الوداع خرج منها مختاراً، ولم يكن عنده حزن، لكونها صارت دار إسلام، وحينئذ فلا يظهر الوعيد الذي في الآية، وقيل: إنها نزلت لما خرج من مكة إلى الغار مهاجراً، وعليه فكونها مكية ظاهر وهو الصحيح، وسيأتي إيضاحه في تفسيرها. قوله: [أو مكية] هذا القول بالنظر لغالبها، وهو ضعيف. قوله: [وثمان أو تسع] الخ، وقيل أربعون آية، والخلاف في قوله ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ وقوله ﴿لذة للشاربين﴾ هل كل آية مستقلة؟ أو من تتمة ما قبلها.

قوله: ﴿الذين كفروا﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿أضل أعمالهم﴾ خبره، ومناسبة هذه الآية لآخر الأحقاف ظاهرة، وذلك كأن قائلاً قال: كيف يهلك القوم الفاسقون، ولهم أعمال صالحة، كإطعام الطعام ونحوه، والله لا يضيع أجر المحسنين؟ فأجاب: بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، أضل أعمالهم وأبطلها. قوله: [فلا يرون لها في الآخرة ثواباً] أي كقوله تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾. قوله: [يجزون بها في الدنيا] أي بأن يوسع لهم في المال، ويزاد لهم في الولد والعافية، وغير ذلك، حيث لم يقصدوا بها فخراً ولا رياء.

---

[١] اسباب نزول الآية ١: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ قال: هم أهل مكة نزلت فيهم، ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال: هم الأنصار.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾: أي القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾: غفر لهم ﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [٢]: أي حالهم فلا يعصونه ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أنّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾: الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾: القرآن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [٣]: يبيّن أحوالهم، أي فالكافر يحبط عمله، والمؤمن يغفر زلله ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾: مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم، وعبّر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّوا﴾: أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدّوا ﴿الْوَثَاقَ﴾: ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾: مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾: أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين ﴿حَتَّىٰ

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ أي صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم. قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾ العطف يقتضي المغايرة، فاستفيد منه أن العمل الصالح ليس داخلاً في حقيقة الإيمان، بل هو شرط كمال، كما هو مختار الأشاعرة. قوله: ﴿وآمنوا بما نزل﴾ الخ، عطف خاص على عام، والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأنه، إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونه، ولذا أكده بقوله: ﴿وهو الحق﴾ أي الثابت الذي ينسخ غيره، وهو لا ينسخ. قوله: ﴿وهو الحق من ربهم﴾ جملة معترضة سيقت لبيان المنزل. قوله: [غفر لهم] ﴿سيئاتهم﴾ أي محاها من صحف الملائكة. قوله: ﴿وأصلح بالهم﴾ البال يطلق على الحال والشأن والأمر، وكلها بمعنى واحد، والمعنى: أصلح أحوالهم الدنيوية، بتوفيقهم للأعمال الصالحة والأخروية، بنجاتهم من النار، وإدخالهم الجنة. قوله: [فلا يعصونه] أي لا يصرون على معصيته، أعم من أن لا تقع منهم أصلاً أو تقع، ولكن لا يصرون عليها.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿بأن الذين﴾ الخ خبر. قوله: [الشيطان] وقيل ﴿الباطل﴾ الكفر. قوله: ﴿الحق﴾ [القرآن] وقيل: ﴿الحق﴾ الإيمان. قوله: ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ المثل في الأصل القول السائر المشبه مضربه بمورده كقولهم: الصيف ضيعت اللبن، والكلام على البقر، وليس مراداً هنا، بل المراد الأمور العجيبة، تشبيهاً لها بالمثل في الغرابة المؤدية إلى التعجب، واسم الإشارة عائد على ما بين في أحوال المؤمنين والكافرين.

قوله: ﴿فإذا لقيتم﴾ الخ، الفاء للفصيحة، لكونها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذ علمتم أحوال المؤمنين، وأنهم أحباب الله، وأحوال الكافرين، وأنهم أعداء الله، فالواجب على أحباب الله أن يقاتلوا أعداء الله. قوله: [بدل من اللفظ بفعله] أي فهو نائب عن الفعل في المعنى والعمل على الصحيح، وقيل في المعنى دون العمل والأصل: فاضربوا الرقاب ضرباً، حذف الفعل، وأتي بالمصدر محله، وأضيف إلى مفعول الفعل وهو الرقاب، وهو عامل في الظرف أيضاً. قوله: [أي اقتلوهم] أي فأراد بضرب الرقاب مطلق القتل على أي حالة كانت، لا خصوص ضرب الرقاب.

قوله: ﴿حتى إذا أثخنتموهم﴾ ﴿حتى﴾ ابتدائية، والمعنى: فإذا عجزتموهم بأي وجه من الوجوه، إما بكثرة القتل فيهم وهو الغالب، أو بقطع الماء عنهم، أو بأخذ أسلحتهم، أو غير ذلك فأسروهم. قوله: [أي فأمسكوا] أشار بذلك إلى أن في الكلام تقدير جملتين: الإمساك عن القتل والأسر. قوله: [بدل من اللفظ بفعله] أي وجيء به لتفصيل جملة، فوجب إضمار عامله، والتقدير: فإما أن تمنوا منّاً، وإما أن تفدوا فداء. قوله: ﴿بعد﴾ أي بعد أسرهم وشد وثاقهم،

تَضَعَ ٱلْحَرْبُ﴾: أي أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾: أثقالها من السلاح وغيره، بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَٰلِكَ﴾: خبر مبتدأ مقدر، أي الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾: أمركم به ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾: وفي قراءة قاتلوا، الآية نزلت يوم أحد، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾: يحبط ﴿أَعْمَٰلَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ﴾: في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يقتل، وأدرجوا في قتلوا تغليباً ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾: بينها ﴿لَهُمْ﴾: فيهتدون إلى مساكنهم منها

والمعنى: أن المسلمين بعد القدرة على الكفار، يخيرون فيهم بين أمور أربعة: القتل والمن والفداء والاسترقاق، وهذا في الرجال المقاتلين، وأما النساء والصبيان، فليس فيهم إلا المن والفداء والاسترقاق، وهذا التفصيل للإمام الشافعي، وعند مالك يزاد في حق الرجال الجزية، وعند أبي حنيفة ليس إلا القتل أو الاسترقاق، وأما المن والفداء فمنسوخان بعد بدر. قوله: [أو أسارى] بالضم والفتح، أو بفتح فسكون فراء مفتوحة. قوله: [أي أهلها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [بأن يسلم الكفار] أي فالمراد بوضع آلة القتال، ترك القتال لانفضاض شوكة الكفر، ففي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه ترك القتال بوضع آلته، واشتق من الوضع تضع بمعنى تترك. قوله: [وهذه غاية للقتل] أي المذكور في قوله: [فضرب الرقاب] وقوله: [والأسر] أي المذكور في قوله: ﴿فشدوا الوثاق﴾. قوله: [ما ذكر] أي من القتل والأسر وما بعدهما. قوله: [بغير قتال] أي كالخسف. قوله: ﴿ليبلو بعضكم ببعض﴾ أي ليظهر لعباده حال الصادق في الإيمان من غيره، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾.

قوله: ﴿والذين قتلوا﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ خبره. قوله: [وفي قراءة قاتلوا] أي وهي سبعية أيضاً مفسرة للقراءة الأولى، وحينئذ فليس المراد قتلوا بالفعل، بل المراد قاتلوا قتلوا أو لا. قوله: [وقد فشا] الخ، الجملة حالية، وقوله: [القتل] ورد أنهم سبعون، وقوله: [والجراحات] أي الكثير، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعد الحسن لكل من قاتل في سبيل الله لنصر دينه إلى يوم القيامة، قتل أو جرح أو سلم. قوله: ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ أي سواء نشأت منهم أو تسببوا فيها. قوله: [إلى ما ينفعهم] أي فالذي ينفعهم في الدنيا العمل الصالح والإخلاص فيه، والذي ينفعهم في الآخرة الجنة وما فيها، وحينئذ فلا يقع منهم ما يخالف أمر الله، لحفظ الله إياهم من المخالفات، ومنه حديث: «اطلع الله على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» وليس فيه توهم إباحة المعاصي لأهل بدر، بل المعنى: كما أفنيتم نفوسكم في محبتي، وخرجتم عن شهواتكم في رضاي، جازيتكم بالحفظ مما يوجب سخطي، فاشتريت نفوسكم، فصارت لي راضية مرضية، قال تعالى: ﴿اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ الآيات، ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله:

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

قوله: [وما في الدنيا] أي من الهداية وإصلاح الحال، وقوله: [إن لم يقتل] جواب عما يقال: كيف قال سيهديهم ويصلح بالهم، يعني في الدنيا، مع أن الفرض أنهم قتلوا بالفعل؟ وأجيب: بأن ذلك يحصل في الدنيا إن لم يقتل، وعبر

---

* أسباب نزول الآية ٤: وأخرج عن قتادة في قوله ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ قال؛ ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون يومئذ: أعل هبل، ونادى المسلمون: الله أعلى وأجل، فقال المشركون: ان لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا ٱللَّهَ﴾: أي دينه ورسوله ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾: على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ٧ يثبتكم في المعترك ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه ﴿فَتَعْساً لَهُمْ﴾: أي هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٨: عطف على تعسوا ﴿ذَلِكَ﴾: أي التعس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾: من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٩ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ ١٠: أي أمثال عاقبة من قبلهم ﴿ذَلِكَ﴾: أي نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى﴾: ولي وناصر

بالذين قتلوا تغليباً لهم، أو لأنهم قتلوا حكماً بالنية. وأجيب أيضاً: بأن المراد بالذين قتلوا، الذين وقع منهم القتال، أعم من أن يقتلوا بالفعل أو لا، بدليل القراءة الأخرى. قوله: [فيهتدون إلى مساكنهم] الخ أي إذا دخلوها يتفرقون إلى منازلهم، فهم أعرف بها من أهل الجمعة، إذا انصرفوا إلى منازلهم ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة، من منزله الذي كان في الدنيا» وما ورد: أن العبد المؤمن، لا يخرج من الدنيا، حتى يشاهد مسكنه في الجنة، وما أعده الله له من النعيم، ويفتح له طاقة في قبره، يشاهد ذلك ما دام في البرزخ، وأن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر في الجنة، وأرواح الأنبياء في قناديل من ذهب معلقة في العرش، تسرح وتأوي إليها. وقيل: معنى عرفها لهم، طيبها من العرف، وهو طيب الرائحة. قوله: [يثبتكم] أشار بذلك إلى أن المراد بالأقدام الذوات بتمامها، وعبر عنها بالأقدام، لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها. قوله: [خبره تعسوا] الخ، أشار بذلك إلى أن الفاء في قوله: ﴿فتعساً﴾ داخلة على محذوف هو الخبر، و﴿تعساً﴾ مفعول مطلق لذلك المحذوف، وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقدر الخبر بعد الفاء. قوله: [أي هلاكاً وخيبة لهم] هذان قولان من عشرة أقوال في معنى التعس، وقيل حزناً لهم، وقيل شقاء لهم، وقيل شتماً لهم من الله، وقيل قبحاً لهم، وقيل رغماً لهم، وقيل شراً لهم، وقيل شقوة لهم، وقيل التعس الانحطاط والعثار، وكلها معان متقاربة، وهو في الأصل أن يخر لوجهه، والنكس أن لا يستقل بعد سقطته، حتى يسقط هو ثانية، وهو أشد من الأولى، وضده الانتعاش، وهو قيام من سقط.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده، ويصح أن يكون اسم الإشارة خبر مبتدأ محذوف، أي الأمر ذلك. قوله: [المشتمل على التكاليف] أي فهذا وجه كراهتهم له، وذلك لأن في التكاليف ترك الملاذ والشهوات، والنفوس الخبيثة تكره ذلك، وتحب إرخاء العنان لها في الشهوات، فمن تبع نفسه من كل وجه كفر، فعلى الإنسان أن يجاهد نفسه، حتى تصير معتادة ما يرضاه الله تعالى، ففي الحديث: «لا يكمل إيمان أحدكم، حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به» فالأصل في النفوس الخسة، لا تجر لصاحبها خيراً، ولا تسعى إلا فيما يغضب الله، فإذا شمر الإنسان عن ساعد الجد والاجتهاد، وخالف هوى نفسه، سكن وهجها واضمحلت شهوتها، فإذا دام ذلك، حسن حالها، وصارت جميلة الأخلاق مطمئنة بخالقها، نسأل الله أن يملكنا نفوسنا، ولا يسلطها علينا.

قوله: ﴿أفلم يسيروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أجبنوا وتركوا السير فلم يسيروا. قوله: ﴿دمر الله عليهم﴾ المفعول محذوف قدره المفسر بقوله: [أنفسهم] الخ. قوله: ﴿وللكافرين﴾ أي السائرين على قدم من قبلهم من الكفار، وقوله: ﴿أمثالها﴾ مقابلة الجمع تقتضي القسمة على الآحاد، أي إن لكل واحد من هؤلاء الكفار، عاقبة كعاقبة من تقدمه من الكفار أو أشد، وذلك لأن النبي ﷺ أفضل من جميع الأنبياء، وشرعه جامع لجميع الشرائع، فالكفر به وبشرعه كفر بجميع الشرائع، فيسبب ذلك عظم عذاب الكافر به. قوله: ﴿وأن

﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾١١ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾: في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ﴾: أي ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾١٢: أي منزل ومقام ومصير ﴿وَكَأَيِّن﴾: وكم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾: مكة أي أهلها ﴿ٱلَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾: روعي لفظ قرية ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: روعي معنى قرية الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾١٣: من إهلاكنا ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾: وهم المؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾: فرآه حسناً وهم كفار مكة ﴿وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾١٤: في عبادة الأوثان، أي لا مماثلة بينهما ﴿مَّثَلُ﴾: أي صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ

الكافرين لا مولى لهم﴾ أي لا ناصر لهم ولا معين ولا مغيث، وأما قوله تعالى ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ فالمراد بالمولى المالك، فلم يحصل تناف.

قوله: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾ الخ، بيان لثمرة ولايته تعالى للمؤمنين في الآخرة. قوله: ﴿كما تأكل الأنعام﴾ الكاف في محل نصب، إما نعت لمصدر محذوف، أي أكلاً مثل أكل الأنعام، أو حال، أي أكلاً حال كونه مثل أكل الأنعام. قوله: ﴿والنار مثوى لهم﴾ مبتدأ أو خبر.

قوله: ﴿وكأين من قرية﴾ الخ، ﴿كأين﴾ مركبة من الكاف، وأين بمعنى كم الخبرية، وهي في محل رفع مبتدأ، و﴿من قرية﴾ تمييز لها، وقوله: ﴿هي أشد﴾ صفة القرية، وقوله: ﴿التي أخرجتك﴾ صفة ﴿قريتك﴾ وقوله: ﴿أهلكناهم﴾ خبر المبتدأ، وسبب نزول هذه الآية أنه لما خرج ﷺ من مكة إلى الغار، التفت إلى مكة وقال: «أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إليّ، ولو أن المشركين لم يخرجوني، لم أخرج منك» فنزلت هذه الآية تسلية له ﷺ، والمعنى: لا تحزن على خروجك من بلدك، فإن الله يعزك ويذلهم، فليس خروجك من مكة، إلا كخروج آدم من الجنة، من حيث إنه حصل له العز العظيم، وحصل لإبليس الذي تسبب في إخراجه الخزي العظيم. قوله: [أريد أهلها] أي فهو مجاز في الظرف، حيث أطلق المحل، وأريد الحال فيه، لا مجاز بالحذف. قوله: ﴿التي أخرجتك﴾ هذا الوصف للاحتراز عن قريته التي تكون وطنه فيما يستقبل وهي المدينة. قوله: ﴿أهلكناهم﴾ أي فكذلك نفعل بأهل قريتك، فاصبر كما صبر رسل أهل تلك القرى. قوله: ﴿فلا ناصر لهم﴾ تفريع على قوله: ﴿أهلكناهم﴾.

قوله: ﴿أفمن كان على بينة﴾ الخ، شروع في بيان أحوال المؤمنين والكافرين، والهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أليس الأمر كما ذكر فمن كان على بينة، الخ، والتعبير بعلى إشارة إلى تمكنهم من الحجج والبراهين، تمكن المستعلي من المستعلى عليه. قوله: ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ فيه مراعاة معنى من، كما روعي لفظها فيما سبق.

قوله: ﴿مثل الجنة﴾ تفصيل لبيان محاسن الجنة، وكيفية أنهارها المتقدمة في قوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾. قوله: [أي صفة] ﴿الجنة﴾ أشار بذلك إلى أن المراد بالمثل الصفة، فكأنه قال: وصف الجنة كذا وكذا، فليس في الكلام مشبه ومشبه به. قوله: ﴿التي وعد المتقون﴾ المراد من لم يحكم الشرع بكفره، فيشمل عصاة المؤمنين، وأهل الفترة، وأولاد الكفار، الذين ماتوا قبل البلوغ. قوله: [المشتركة بين داخليها] أي فهو بيان لمطلق نعيم

---

* أسباب نزول الآية ١٣: وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر الى مكة فقال: أنت أحب بلاد الله إليّ ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج منك، فأنزل الله ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك﴾ الآية.

آسِنٍ﴾: بالمدّ والقصْر كضارب وحذِر، أي غير متغير، بخلاف ماء الدّنيا فيتغير بعارض ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾: بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ﴾: لذيذة ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾: بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾: بخلاف عسل الدّنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾: أصناف ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد في الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطاً عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾: خبر مبتدأ مقدّر، أي أمن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً﴾: أي شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾: أي مصَارينهم فخرجت من أدبارهم، وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان ﴿وَمِنْهُمْ﴾: أي الكفار ﴿مَنْ

الجنة، المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم، وأما تفصيل ما لكل فريق فسيأتي في سورة الواقعة. قوله: [خبره] ﴿فيها أنهار﴾ الخ، فيه أن الخبر جملة خالية من رابط يعود على المبتدأ. وأجيب: بأن الخبر عين المبتدأ في المعنى، وحينئذ فلا يحتاج لرابط، وهذا أسهل الأعاريب، وقيل: إن ﴿مثل الجنة﴾ مبتدأ، خبره ﴿كمن هو خالد في النار﴾ وفي الكلام حذف مضاف وهمزة الإنكار، والتقدير: أمثل أهل الجنة، كمن هو خالد في النار، وقوله: ﴿فيها أنهار﴾ إما حال من ﴿الجنة﴾، أو خبر لمبتدإ محذوف، أي هي ﴿فيها أنهار﴾ وقيل غير ذلك. قوله: ﴿غير آسن﴾ [بالمد والقصر] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [كضارب] أي ففعله أسَن يأسِن، كضرب يضرب، وقوله: ﴿وحذر﴾ أي ففعله أسِن يأسَن، كحذِر يحذَر.

قوله: ﴿لم يتغير طعمه﴾ أي فلا يعود حامضاً، ولا مكروه الطعم. قوله: ﴿لذة للشاربين﴾ أي ليس فيها حموضة ولا مرارة، ولم تدنسها الأرجل بالدوس، ولا الأيدي بالعصر، وليس في شربها ذهاب عقل، بل هي لمجرد الالتذاذ. إن قلت: لم لم يقل في جانب اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين، وفي العسل مصفى للناظرين؟ أجيب: بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص، فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر، فلذا قال ﴿لذة للشاربين﴾ بأسرهم، ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال ﴿لذة﴾ أي ليس في خمر الآخرة كراهة طعم، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس، فلم يكن للتصريح بالتعميم مزيد فائدة. قوله: [لذيذة] أشار بذلك لدفع ما قيل إن ﴿لذة﴾ مصدر بمعنى الالتذاذ، فلا يصح وصف الخمر به، لكونها اسم عين. فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد: زيد عدل. قوله: ﴿من عسل مصفى﴾ يجوز في العسل التذكير والتأنيث، والقرآن جاء على التذكير. قوله: [يخالطه الشمع وغيره] أي كفضلات النحل.

قوله: ﴿ولهم﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿فيها﴾ متعلق بما تعلق به الخبر، والمبتدأ محذوف قدره بقوله: [أصناف] وقوله: ﴿من كل الثمرات﴾ نعت للمبتدإ المحذوف، والمعنى: لهم في الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات، فالتفاح أنواع، والرمان أنواع، وهكذا. قوله: [فهو راض عنهم] الخ، دفع بذلك ما يقال: إن المغفرة تكون قبل دخول الجنة، والآية تقتضي أنها فيها. فأجاب المفسر: بأن المراد بالمغفرة الرضا، وهو يكون في الجنة، وإيضاحه أنه يرفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ويشربونه، بخلاف الدنيا، فإن مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب، ونعيم الجنة لا حساب عليه، ولا عقاب فيه. قوله: [خبر مبتدإ مقدر] أي أن قوله: ﴿كمن هو خالد في النار﴾ خبر لمحذوف، والاستفهام للإنكار، أي لا يستوي من هو في هذا النعيم المقيم، بمن هو خالد في النار.

قوله: ﴿وسقوا﴾ معطوف على ﴿خالد﴾ عطف صلة فعلية على صلة اسمية. قوله: [في خطبه الجمعة] أي فهذه

﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: في خطبة الجمعة وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾: بالمد والقصر، أي الساعة، أي لا نرجع إليه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: بالكفر ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ١٦ في النفاق ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾: وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾: الله ﴿هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ١٧: ألهمهم ما يتقون به النار ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرون أي كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾: بدل اشتمال من الساعة، أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾: علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾: الساعة ﴿ذِكْرَاهُمْ﴾ ١٨: تذكرهم أي لا ينفعهم ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: أي دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة ﴿وَاسْتَغْفِرْ

الآيات مدنيات، وحينئذ فتكون مستثنيات من القول بأن السورة مكية. قوله: [وهم المنافقون] تفسير لمن. قوله: [استهزاء] علة لقالوا، فالاستفهام إنكاري، والمعنى: لم يقل شيئاً يعتد به فلا عبرة بقوله. قوله: ﴿آنفاً﴾ حال، والمعنى: ماذا قال مؤتنفاً؟ أي مبتدئاً ومخترعاً. قوله: [بالمد والقصر] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي الساعة] أي فآنفاً ظرف حالي بمعنى الآن، وهو أحد استعماليه فيه، والثاني اسم فاعل بمعنى مؤتنفاً كما تقدم. قوله: [أي لا نرجع إليه] أي إلى قوله الذي قاله آنفاً، أي لا نعمل به. قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿الذين طبع الله﴾ الخ، خبره.

قوله: ﴿والذين اهتدوا﴾ الخ، لما بين الله حال المنافقين، وأنهم لا ينتفعون بما يسمعون بين حال المؤمنين، وأنهم ينتفعون بما يسمعون. قوله: [ألهمهم ما يتقون به النار] أي خلق فيهم التقوى والخاصة، وهي ترك متابعة الهوى، والتنزه عما سوى الله تعالى؛ وصرف القلب إلى ما يرضي الله. قوله: ﴿فهل ينظرون﴾ أي ينتظرون جزاء أعمالهم، فالمراد انتظار الجزاء لا انتظار الموت، فإنه يأتيهم قبل مجيئها. قوله: [أن تأتيهم] ﴿بغتة﴾ أي فقد قرب قيامها.

قوله: ﴿فقد جاء أشراطها﴾ كالعلة لقوله: ﴿فهل ينظرون﴾ الخ، لأن ظهور أشراط الشيء موجب لانتظاره، ورد عن حذيفة والبراء بن عازب: «كنا نتذاكر الساعة، إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: ما تتذاكرون؟ قلنا نتذاكر الساعة، قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، وناراً تخرج من عدن» انتهى. قوله: [منها بعثة النبي] الخ، أي من علاماتها الصغرى بعثة النبي ﷺ وقد حصل بالفعل، وأما العلامات الكبرى فستأتي، وإنما عبر عن الجميع بالماضي لتحقق الوقوع، على حد: ﴿أتى أمر الله﴾. قوله: ﴿فأنى لهم﴾ خبر مقدم، و﴿ذكراهم﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿إذا﴾ وما بعدها معترض، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله، والمعنى: كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون؟

قوله: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ مرتب على ما قبله، كأنه قال: إذا علمت أنه لا ينفع التذكر إذا حضرت الساعة، فدم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية، فإنه النافع يوم القيامة، وعبر بالعلم إشارة إلى أن غيره لا يكفي في التوحيد، كالظن والشك والوهم؛ واعلم أن العلم مراتب: الأولى: العلم بالدليل ولو جملياً، ويسمى علم يقين، وهذا هو

---

* أسباب نزول الآية ١٦: وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون الى النبي ﷺ فيسمع المؤمنون منه ما يقول ويعونه، ويسمعه المنافقون فلا يعونه فاذا خرجوا سألوا المؤمنين: ماذا قال آنفا، فنزلت ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ الآية.

﴿لِذَنْبِكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: متصرفكم لأشغالكم بالنهار ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ ١٩: مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفي عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلباً للجهاد ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها

المطلوب في التوحيد الذي يخرج به المكلف من ورطة التقليد، وهو الجزم من غير دليل وفيه خلاف. الثانية: العلم مع مراقبة الله، ويسمى عين يقين. الثالثة: العلم مع المشاهدة، ويسمى حق يقين؛ وفي هذه المراتب فليتنافس المتنافسون. قوله: [أي دم يا محمد] الخ، أي فالخطاب له ﷺ، بل ولكل مؤمن. قوله: [على علمك بذلك] أي بأن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله. قوله: [النافع في القيامة] أي لما ورد: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة». قوله: [لتستن به أمته] أي تقتدي به، وهذا أحد أوجه في تأويل الآية وهو أحسنها، وقيل معناه: أسأل الله العصمة من الذنوب، ومن المعلوم أن دعاءه مستجاب، ففي استغفاره تحدث بنعمة الله عليه، وهي عصمته من الذنوب، وتعليم للأمة أن يقتدوا به، وقيل المراد بذنبه خلاف الأولى، مثل ما وقع منه في أسارى بدر، وفي إذنه للمنافقين بالتخلف عن الجهاد، فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته، وقيل المراد بذنبه ذنب أهل بيته ففي هذه الآية بشرى للأمة حيث أمر ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم. قوله: [وقد فعله] أي الاستغفار لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات، ورد في الحديث: «إنه ليغان على قلبي، حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة». وفي رواية: «توبوا إلى ربكم، فوالله إني لأتوب إلى ربي عز وجل في اليوم مائة مرة». وفي رواية: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة». وفي رواية أكثر من ذلك، وقوله في الحديث: «إنه ليغان على قلبي» الغين التغطية والستر، ويسمى به الغيم الرقيق الذي يغشى السماء، والمراد به أنوار تغشى قلبه ﷺ، وسبب استغفاره منها، أنه ﷺ دائماً يترقى في الكمالات، فكلما ارتقى إلى مقام، رأى أن الذي فيه بالنسبة للذي ارتقى إليه ذنباً، فيستغفر الله منه.

قوله: ﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ أشار المفسر إلى أن معنى ﴿متقلبكم﴾ متصرفكم لاشتغالكم بالنهار، ومعنى ﴿مثواكم﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، وهو أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل ﴿متقلبكم﴾ من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن، و﴿مثواكم﴾ في الدنيا وفي القبور، وقيل ﴿متقلبكم﴾ في الدنيا، ﴿ومثواكم﴾ مصيركم في الآخرة إلى الجنة والنار. قوله: [والخطاب للمؤمنين وغيرهم] أي ولكن خطاب المؤمنين إرشاد لهم إلى مقام المراقبة لله تعالى، وهي أن يشاهد الإنسان، أن الله مطلع عليه في كل لمحة وطرفة وحركة وسكون، وهذا سر، وهو معكم أينما كنتم، وهو مطلب العارفين، وكنز الراسخين، قال العارف ابن الفارض:

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي … إليها قلوب الأولياء تسارع

وقال العارف الدسوقي:

قد كان في القلب أهواء مفرقة … فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

تركت للناس دنياهم ودينهم … شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي

وفيه فليتنافس المتنافسون، وخطاب غيرهم تخويف وتحذير. قوله: ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ الخ، أي حين اشتد كرب المسلمين من أذى المشركين، تمنوا الأمر بالجهاد، ووافقهم في الظاهر على هذا التمني المنافقون، فهذه الآيات من هنا إلى آخر السورة مدنيات قطعاً، ولو على القول بأن السورة مكية، لأن القتال لم يشرع إلا بها، وكذا النفاق لم

ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾: أي لم ينسخ منها شيء ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾: أي طلبه ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أي شك وهم المنافقون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: خوفاً منه وكراهية له أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ٢٠: مبتدأ خبره ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: أي حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: أي فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ ٢١: وجملة لو جواب إذا ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾: بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب أي لعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن الإيمان ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ٢٢: أي تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال ﴿أُولَٰئِكَ﴾: أي المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾: عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ ٢٣: عن طريق الهدى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾: بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾: لهم ﴿أَقْفَالُهَا﴾ ٢٤: فلا يفهمونه ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا﴾: بالنفاق ﴿عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾: أي زين ﴿لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: بضم أوله وبفتحه واللام والمملي الشيطان بإرادته تعالى فهو المضل لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ

يظهر إلا بها. قوله: [أي طلبه] أي ذكر فيها الأمر به والحث عليه. قوله: [أي شك] وقيل ضعف في الدين. قوله: ﴿نظر المغشي عليه﴾ أي نظراً مثل نظر المغشي عليه، والمعنى: تشخص أبصارهم كالشخص الذي حضره الموت. قوله: [خوفاً منه] أي الموت.

قوله: ﴿فأولى لهم﴾ أي الحق والواجب لهم، أي عليهم الطاعة الخ، هذا ما مشى عليه المفسر، وهو أوضح ما قيل في هذا المقام. قوله: [أي حسن] تفسير لمعروف، وقوله: [لك] متعلق بكل من قوله: ﴿طاعة وقول معروف﴾ والمعنى: الواجب عليهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن. قوله: [وجملة لو] أي مع جوابها. قوله: [بكسر السين وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [وفيه التفات] أي لتأكيد التوبيخ. قوله: [أي لعلكم] الخ تفسير لعسى، ولم يذكر تفسير الإستفهام وهو التقرير، والمعنى: قروا بأنه يتوقع منكم إن توليتم الخ، والتوقع في الآية جار على لسان من يشاهد حرصهم على الدنيا وتفريطهم في الدين، لا لله لأنه هو الخالق لهم، العالم بأحوالهم. قوله: [أعرضتم عن الإيمان] تفسير للتولي، وقيل معناه تأمرتم وتوليتم أمر الأمة. قوله: ﴿أن تفسدوا﴾ خبر عسى، والشرط معترض بينهما، وجوابه محذوف لدلالة ﴿فهل عسيتم﴾ عليه.

قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين لعنهم الله﴾. قوله: ﴿فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ أي فلا يهتدون إلى سبيل الرشاد. قوله: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ أي يتفكرون في معانيه فيهتدون؛ وهذه الآية لتقرير ما قبلها كأنه قال: أولئك الذين لعنهم الله، أي أبعدهم عنه، فجعلهم لا يسمعون النصيحة، ولا يبصرون طريقة الإسلام، فتسبب عن ذلك كونهم لا يتدبرون القرآن. قوله: ﴿أم على قلوب﴾ الخ ﴿أم﴾ منقطعة بمعنى بل، وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر إلى توبيخهم، بكون قلوبهم مقفلة، لا تقبل التدبر والتفكر. قوله: [لهم] صفة لقلوب.

قوله: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ أي رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، وهم المنافقون الموصوفون بما تقدم، دل عليه قوله: [بالنفاق] وقيل هم اليهود، وقيل أهل الكتابين، داموا على الكفر به عليه السلام، بعد ما وجدوا نعته في كتابهم. قوله: ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ أي الطريق القويم بالأدلة والحجج الظاهرة. قوله: [بضم أوله] أي وكسر ثالثه وفتح الياء، والجار والمجرور نائب الفاعل، وقوله: [وبفتحه واللام] أي مبنياً للفاعل، والفاعل ضمير يعود على ﴿الشيطان﴾ وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [والمملي الشيطان] الخ، جواب عن سؤال مقدر تقديره الإملاء،

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ﴾: أي للمشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾: أي المعاونة على عداوة النبي ﷺ وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سراً فأظهره الله تعالى ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ٢٦: بفتح الهمزة جمع سِرّ وبكسرها مصدر. ﴿فَكَيْفَ﴾: حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾: حال من الملائكة ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٢٧: ظهورهم بمقامع من حديد. ﴿ذَلِكَ﴾: أي التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾: أي العمل بما يرضيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٢٨ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ ٢٩: يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾: عرفناكهم وكررت اللام في ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾: الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: أي معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ٣٠ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نختبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾: علم ظهور ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾: في الجهاد وغيره ﴿وَنَبْلُوَ﴾: نظهر ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ ٣١: من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الأفعال الثلاثة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

معناه الإمهال، وهو لا يكون إلا من الله لأنه الفاعل المختار، فكيف ينسب للشيطان؟ فأجاب: بأن المملي حقيقة هو الله، وأسند للشيطان باعتبار أنه جار على يديه لأنه يوسوس لهم سعة الأجل. قوله: [أي للمشركين] أي والقائل هم اليهود أو المنافقون، كما حكى الله عنهم ذلك في سورة الحشر بقوله ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ الآيات.

قوله: ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي في بعض ما تأمروننا به كالقعود عن الجهاد، وتثبيط المسلمين عنه، ونحو ذلك، لا في كله لأنهم لا يوافقونهم في إظهار الكفر. قوله: [وبكسرها] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿فكيف﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله [حالهم] قوله: ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ أي فملائكة العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من حديد، يضربون بها وجوههم وأدبارهم. قوله: [على الحالة المذكورة] أي وهي التوفي مع ضرب الوجوه والأدبار. قوله: ﴿بأنهم اتبعوا﴾ الخ، راجع لضرب الوجوه، وقوله: ﴿وكرهوا رضوانه﴾ راجع لضرب الأدبار. قوله: ﴿ما أسخط الله﴾ أي من الكفر وغيره. قوله: [بما يرضيه] أي من الإيمان وغيره من الطاعات.

قوله: ﴿أم حسب الذين﴾ الخ، أي وهم المنافقون المتقدم ذكرهم. قوله: [أحقادهم] جمع حقد وهو الإنطواء على العداوة والبغضاء. قوله: [عرفناكهم] أي فالإرادة علمية لا بصرية. قوله: [وكررت اللام] أي في قوله: ﴿فلعرفتهم﴾ للتأكيد، والمعنى: لو أردنا لدللناك على المنافقين فعرفتهم بسيماهم، ورد عن ابن مسعود قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن منكم منافقين، فمن سميته فليقم، ثم قال: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى ستة وثلاثين. قوله: ﴿في لحن القول﴾ اللحن يقال على معنيين: أحدهما صرف الكلام عن الإعراب إلى الخطإ، والثاني الكناية بالكلام، بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن، فيكون ظاهره تعظيماً، وباطنه تحقيراً، وهو المراد هنا، ومعنى الآية: وإنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول، الذي ظاهره إيمان وإسلام، وباطنه كفر وسب. قوله: [بما فيه تهجين أمر المسلمين] التهجين التقبيح والتعييب، فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول، ظاهرها حسن، ويعنون بها القبيح، كقولهم: راعنا، وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة.

قوله: ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ أي فيجازيكم بحسب قصدكم ففيه وعد ووعيد. قوله: [بالجهاد وغيره] أي من سائر المشاق كما قال تعالى ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ الآية. قوله: [علم ظهور] أي علماً يشاهده خلقنا، مطابقاً لما هو في علمنا الأزلي، أي فتظهر سرائرهم بين عبادنا. قوله: [في ثلاثتها] وفي نسخة [في الأفعال

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طريق الحق ﴿وَشَاقُّوا ٱلرَّسُولَ﴾: خالفوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾: هو معنى سبيل الله ﴿لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٣٢: يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثواباً نزلت في المطعمين من أصحاب بدر أو في قريظة والنضير. ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ ٣٣: بالمعاصي مثلاً. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طريقه وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ

الثلاثة] وهي لنبلونكم ونعلم ونبلو، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: **[طريق الحق]** أي وهو دين الإسلام. قوله: **[خالفوه]** أي خرجوا عن طاعته.

قوله: **﴿لن يضروا الله شيئاً﴾** هذه الجملة خبر **﴿إن﴾** والكلام إما على ظاهره والمعنى: إن كفرهم لا يضر إلا أنفسهم، وتعالى الله عن أن يصل له من خلقه ضر أو نفع لما في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم لن تقدروا على ضري فتضروني» إلى آخره، أو على حذف مضاف، أي لن يضروا رسول الله لعصمته منهم. قوله: **[المطعمين من أصحاب بدر]** أي في المطعمين الطعام للكفار يوم بدر، وذلك أن أغنياء الكفار كانوا يعينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه، كأبي جهل وأضرابه، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: **﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها﴾** الآية، وسبب ذلك أن قريشاً خرجت لغزوة بدر بأجمعها، وكان العام عام قحط وجدب، وكان أغنياؤهم يطعمون الجيش، فأول من نحر لهم حين خروجهم من مكة أبو جهل، نحر لهم عشر جزر، ثم صفوان تسعاً بعسفان، ثم سهل عشراً بقديد، ومالوا منه إلى نحو البحر فضلوا، فأقاموا يوماً، فنحر لهم شيبة تسعاً، ثم أصبحوا بالأبواء، فنحر مقيس الجمحي تسعاً، ونحر العباس عشراً، ونحر الحرث تسعاً، ونحر أبو البختري على ماء بدر عشراً، ونحر مقيس عليه تسعاً، ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم. قوله: **[أو في قريظة والنضير]** أي فكانوا ينفقون على قريش، ليستعينوا بهم على عداوة رسول الله ﷺ؛ فآل أمرهم إلى أن أخرج بني النضير من ديارهم، وغزا قريظة، فقتل كبارهم وأسر نساءهم وذراريهم، ولم تنفعهم قريش بشيء.

قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** الخ، لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله، أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله؛ وبالجملة فهذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسن ترتيب. قوله: **[بالمعاصي مثلاً]** أي كالردة فإنها تبطل جميع الأعمال الصالحة من أصلها، والعجب والرياء، فإنهما يبطلان ثواب الأعمال، والمن والأذى فإنهما يبطلان ثواب الصدقات، والمن مذموم إلا من الله على عباده، والرسول على أمته، والشيخ على تلميذه، والوالد على ولده، فليس بمذموم، وأما باقي المعاصي فلا تبطل ثواب الأعمال الصالحة، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن الكبائر تحبط الأعمال كالردة، ورد كلامهم بقوله تعالى: **﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** وأخذ بعض الأئمة من هذه الآية، أنه يحرم على الشخص قطع الأعمال الصالحة ولو نفلاً، كالصلاة والصوم. والحاصل: أن الأصل في النوافل، أنها لا تلزم بالشروع عند جميع الأئمة، واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعاً منها تلزم بالشروع نظمها ابن عرفة من المالكية بقوله:

صلاة وصوم ثم حج وعمرة ... طواف عكوف والتمام تحتما
وفي غيرها كالوقف والطهر خير ... فمن شاء فليقطع ومن شاء تمما

---

* أسباب نزول الآية ٣٣: وأخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

كفار ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ ٣٤: نزلت في أصحاب القليب. ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾: تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾: بفتح السين وكسرها: أي الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: حذف منه واو لام الفعل الأعلون القاهرون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾: بالعون والنصر ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾: ينقصكم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾ ٣٥: أي ثوابها ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: أي الاشتغال فيها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾: الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ ٣٦: جميعاً بل الزكاة المفروضة فيها. ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: يبالغ في طلبها ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ﴾: البخل ﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾ ٣٧: لدين الإسلام ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾: يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ما فرض عليكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: يقال بخل عليه وعنه ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ﴾: عن نفقتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾: إليه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾: عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا

ولابن كمال باشا من الحنفية:

من النوافل سبع تلزم الشارع ... أخذا لذلك مما قاله الشارع
صوم صلاة عكوف حجة الرابع ... طوافه عمرة إحرامه السابع

قوله: ﴿وهم كفار﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ خبر ﴿إن﴾. قوله: [في أصحاب القليب] هو بئر في بدر، ألقيت فيه القتلى من الكفار، لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره. قوله: ﴿فلا تهنوا﴾ الفاء فصيحة وقعت في جواب شرط مقدر، أي إذا تبين لكم بالأدلة القطعية عز الإسلام، وذل الكفر في الدنيا والآخرة ﴿فلا تهنوا﴾.

قوله: [بفتح السين وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان، وهذه الآية قيل ناسخة لآية ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ لأن الله منع من الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إليه، وقيل إنهما نزلتا في وقتين مختلفين فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج إليه، ولا يجوز عند القدرة والاستعداد، فهذه الآية مخصصة للآية المتقدمة. قوله: ﴿وأنتم الأعلون﴾ الجملة حالية، وكذا قوله: ﴿والله معكم﴾. قوله: [لام الفعل] أي وأصله الأعلوون بواوين، الأولى لام الفعل، والثانية واو الجمع، تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فالتقى ساكنان فحذفت الألف. قوله: [بالعون والنصر] أي فالمراد معية معنوية. قوله: [ينقصكم] أي أو يفردكم عنها لأن الترة تطلق بالمعنيين، يقال: وتره حقه يتره وتراً نقصه، وأوتره أفرده.

قوله: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ اللعب ما يشغل الإنسان، وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل، واللهو ما يشغل الإنسان عن مهمات نفسه. قوله: ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ أي لا يأمركم بإخراج جميع أموالكم في الزكاة، بل يأمركم بإخراج بعضها. قوله: ﴿فيحفكم﴾ عطف على الشرط و﴿تبخلوا﴾ جوابه. قوله: [يبالغ في طلبها] أي حتى يستأصلها. قوله: ﴿ويخرج أضغانكم﴾ [لدين الإسلام] أي أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام، وذلك لأن الإنسان جبل على محبة الأموال، ومن نوزع في حبيبه ظهرت سرائره، فمن رحمته على عباده، عدم التشديد عليهم في التكاليف.

قوله: ﴿ها أنتم﴾ ﴿ها﴾ للتنبيه، و﴿أنتم﴾ مبتدأ، و﴿هؤلاء﴾ منادى، وحرف النداء محذوف قدره المفسر، و﴿تدعون﴾ خبره، وجملة النداء معترضة بين المبتدأ والخبر.

قوله: ﴿فمنكم من يبخل﴾ أي ومنكم من يجود، وحذف هذا المقابل لأن المراد الاستدلال على البخل. قوله: [يقال بخل عليه وعنه] أي فيتعدى بعلى إذا ضمن معنى شح، وبعن إذا ضمن معنى أمسك. قوله: ﴿وأنتم الفقراء﴾

أمثالكم﴾ ٣٨: في التولي عن طاعته بل مطيعين له عز وجل.

[إليه] أي وفي جميع الأحوال. قوله: ﴿وإن تتولوا﴾ إما خطاب للصحابة، والمقصود منه التخويف، لأنه لم يصل أحد من بعدهم لرتبتهم، والشرطية لا تقتضي الوقوع، أو خطاب للمنافقين، والتبديل حاصل بالفعل، واختلف في القوم المستبدلين، فروي عن أبي هريرة قال: «تلا رسول الله هذه الآية ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ قالوا: ومن يستبدل بنا؟ وكان سلمان جنب رسول الله ﷺ قال: فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان فقال: هذا وأصحابه، والذي نفس محمد بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس» وقيل هم العجم، وقيل هم فارس والروم، وقيل الأنصار، وقيل الملائكة، وقيل التابعون، وقيل من شاء من سائر الناس، وورد أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله ﷺ وقال: «هي أحب إلي من الدنيا».

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

[٤٨] ـ سورة الفتح

[مدنية وهي تسع وعشرون آية]

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾: قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة بجهادك ﴿فَتْحاً مُبِيناً﴾ [١]: بيّناً ظاهراً ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون آية

سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ خرج في السنة السادسة، بألف وأربعمائة من أصحابه، قاصدين مكة للاعتمار، فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة، وساق ﷺ سبعين بدنة هدياً للحرم، وساق القوم سبعمائة، فلما وصلوا للحديبية، وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة، أرسل عثمان إلى مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله يريد زيارة بيت الله الحرام، ولم يكن قاصداً حرباً، فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم، فأشاع إبليس في الصحابة أن عثمان قتل، فبايع رسول الله ﷺ أصحابه على أنهم يدخلون مكة حرباً، فلما بلغ المشركين ذلك، أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان، وطلبوا الصلح من رسول الله ﷺ على أن يأتي في العام القابل ويدخلها، ويقيم فيها ثلاثة أيام، فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق، وذبح ما ساقوه من الهدي، ثم رجعوا يعلوهم الحزن والكآبة، فأراد الله تسليتهم وإذهاب الحزن عنهم، فأنزل الله عليه وهو سائر ليلاً في رجوعه، وهو بكراع الغميم، وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ إلى آخر السورة، فقال ﷺ: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ فقال المسلمون: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، لقد بين الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ حتى بلغ ﴿فوزاً عظيماً﴾. قوله: [مدنية] أي لكونها نزلت بعد الهجرة.

قوله: ﴿إنا فتحنا لك﴾ الخ. الفتح هو الظفر بالبلاد عنوة أو صلحاً، فشبه الظفر بالبلاد، بفتح الباب المغلق بجامع التمكن في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الفتح فتحنا بمعنى ظفرنا، أي مكناك من البلاد، وحذف المعمول ليؤذن بالعموم، وأسند إلى نون العظمة اعتناء بشأن الفتح، وإشارة إلى أن هذا الأمر لا يتيسر إلا بإرادة الله وتوفيقه. قوله: [قضينا بفتح مكة وغيرها] أي كخيبر وحنين والطائف ونحوها، وهو جواب عما يقال: إن الآية نزلت

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها الى آخرها.

﴿ٱللَّهُ﴾: بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: منه لترغب أمتك في الجهاد وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع من الذنوب واللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب ﴿وَيُتِمَّ﴾: بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾: إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾: به ﴿صِرَٰطًا﴾: طريقاً ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾[٢]: يثبتك عليه وهو دين الإسلام ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾: به ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾[٣]: ذا عز لا ذل معه ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾: الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ

في رجوعه من الحديبية عام ست، ومكة لم تفتح إلا في السنة الثامنة، فكيف عبر بالماضي؟ فأجاب: بأن التعبير بالماضي بالنسبة للقضاء الأزلي، والمعنى: حكمنا لك في الأزل بالفتح المبين، وحينئذ فالتعبير بالماضي حقيقة. وأجيب أيضاً: بأن التعبير بالماضي مجاز لتحقق الوقوع، نظير ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾. وأجيب: أيضاً: بأن الفتح على حقيقته، وأن المراد به صلح الحديبية لأنه أصاب فيه ما لم يصب في غيره، قال الزهري: لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح، وذلك أن النبي ﷺ جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح، مشى الناس بعضهم على بعض، وعلموا وسمعوا من الله، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان، إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف، وقال الشعبي في قوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ هو فتح الحديبية، لقد أصاب فيها ما لم يصب في غزوة غيرها، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبويع بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس اهـ. قوله: [عنوة] هذا مذهب مالك وأبي حنيفة، نظراً لكون النبي وأصحابه دخلوها قهراً، ووقوع القتال من بعض الصحابة لخالد بن الوليد وأصحابه في جهة وأسفلها، ومذهب الشافعي أنها فتحت صلحاً نظراً للظاهر، وهو عدم حصول القتال من النبي، وتأمينه أبا سفيان، وهذا الخلاف يكاد أن يكون لفظياً. قوله: [بجهادك] متعلق بقوله: [بفتح مكة] وهو جواب عما يقال: إن الفتح ناشىء من الله، والمغفرة تكون للشخص فكيف تترتب عليه، وإنما الشأن أن تترتب على ما يكون من الشخص؟ فأجاب: بأن الفتح وإن كان من الله، لكنه ترتب على فعل النبي وهو الجهاد، فصح أنه يترتب على الفتح المغفرة بهذا الاعتبار. قوله: [لترغب أمتك] علة لترتب الغفران على الفتح. قوله: [وهو مؤول] أي أن إسناد الذنب له ﷺ مؤول، إما بأن المراد ذنوب أمتك، أو هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو بأن المراد بالغفران الإحالة بينه وبين الذنوب، فلا تصدر منه لأن الغفر هو الستر، والستر إما بين العبد والذنب، أو بين الذنب وعذابه، فاللائق بالأنبياء الأول، وبالأمم الثاني، إن قلت: إن عصمة النبي عليه السلام من الذنوب، حاصلة بالفعل قبل النبوة وبعدها، فكيف تكون مرتبة على جهاده؟ أجيب: بأن المرتب إظهارها للخلق لا هي نفسها. قوله: [من الذنوب] أي صغيرها وكبيرها، عمدها وسهوها، قبل النبوة وبعدها. قوله: [للعلة الغائية] أي وهي المترتبة على آخر الفعل، وليست العلة باعثة لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام. قوله: [لا سبب] أي لأن السبب ما يضاف إليه الحكم، كالزوال لوجوب الظهر، والمغفرة ليست كذلك. قوله: [بالفتح المذكور] أي وهو فتح مكة وغيرها بجهادك. قوله: [يثبتك عليه] أي يديمك ويقويك عليه، أو المراد يزيدك في الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين. قوله: [ذا عز] جواب عما يقال: إن العزيز وصف للمنصور لا للنصر، وتوضيح جوابه أن فعيلاً صيغة نسبة، أي نصراً منسوباً للعز. قوله: [لا ذل معه] أي لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأما مطلق النصر فيكون حتى لبعض الكفار في الدنيا.

---

* أسباب نزول الآية ٢: وأخرج الشيخان والترمذي والحاكم عن أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ مرجعه من الحديبية فقال النبي ﷺ: لقد نزلت عليَّ آية أحب إليَّ مما على الأرض ثم قرأها عليهم فقالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات﴾ حتى بلغ ﴿فوزاً عظيماً﴾.

ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾: بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها منها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً﴾: بخلقه ﴿حَكِيماً﴾ ٤: في صنعه أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿لِيُدْخِلَ﴾: متعلق بمحذوف أي أمر بالجهاد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلظَّانِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر

قوله: ﴿في قلوب المؤمنين﴾ أي وهم أهل الحديبية، حين بايعوا رسول الله ﷺ على مناجزة الحرب مع أهل مكة، بعد أن حصل لهم ما شأنه أن يزعج النفوس ويزيغ القلوب، من صد الكفار، ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان، بعد أن هاج الناس وزلزلوا، حتى عمر بن الخطاب لما روي أنه قال: «أتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعط الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى أنا أخبرتك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، فقلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، فقلت: فلم نعط الدنية في ديننا؟ إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بأمره ولا تخالفه، فوالله إنه على الحق، قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه فتطوف به». قال العلماء: لم يكن سؤال عمر شكاً، بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار، وظهور الإسلام، كما هو معروف من شدته وصلابته في الدين، وأما جواب أبي بكر المطابق لجواب النبي ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله، وبارع علمه، وزيادة عرفانه ورسوخه، رضي الله عنهما وعنا بهما. قوله: [بشرائع الدين] متعلق بـ ﴿إيماناً﴾، وقوله: ﴿مع إيمانهم﴾ متعلق بمحذوف، أي بالله ورسوله.

قوله: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ اختلف في المراد بجنود السماوات والأرض، فقيل: هم ملائكة السماوات والأرض، وقيل: إن جنود السماوات الملائكة، وجنود الأرض الحيوانات، وقيل: إن جنود السماوات مثل الصواعق والصيحة والحجارة، وجنود الأرض مثل الزلازل والخسف والغرق، ونحو ذلك، وكل صحيح. قوله: [لفعل] أي لكنه لم يفعل، بل أنزل السكينة على المؤمنين، ليكون إهلاك الأعداء بأيديهم، ليحصل لهم الشرف والعز دنيا وأخرى. قوله: [متعلق بمحذوف] أي لا بفتحنا، أي لئلا يلزم عليه عمل الفعل في حرفي جر متحدي اللفظ، والمعنى من غير عطف ولا بدل ولا توكيد. قوله: ﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ أي يمحوها، وهو معطوف على قوله: ﴿ليدخل المؤمنين﴾ الخ، عطف سبب على مسبب، فدخول الجنة مسبب عن تكفير السيئات، وقدم الإدخال في الذكر على التكفير، مسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى. قوله: ﴿وكان ذلك﴾ أي المذكور من الإدخال والتكفير. قوله: ﴿عند الله﴾ حال من ﴿فوزاً﴾ لأنه صفة له في الأصل، فلما قدم عليه صار حالاً، أي كائناً عند الله، أي في علمه وقضائه.

قوله: ﴿ويعذب المنافقين﴾ قدمهم على المشركين، لأنهم أشد ضرراً من الكفار المتجاهرين، وذلك لأن المؤمن كان يتوقى المجاهر، ويخالط المنافق لظنه إيمانه. قوله: ﴿ظن السوء﴾ إما من إضافة الموصوف لصفته على مذهب الكوفيين، أو أن ﴿السوء﴾ صفة لموصوف محذوف، أي ظن الأمر السوء، فحذف المضاف إليه، وأقيمت صفته مقامه. قوله: [بفتح السين وضمها] أي فالفتح الذم، والضم العذاب، والهزيمة والشر. قوله: [في المواضع الثلاثة]

محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: بالذل والعذاب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾: أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾٦: أي مرجعاً ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً﴾: في ملكه ﴿حَكِيماً﴾٧: في صنعه أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً﴾: على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّراً﴾: لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيراً﴾٨: منذراً مخوفاً فيها من عمل سوءاً بالنار ﴿لِّيُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَيُعَزِّرُوهُ﴾: ينصروه وقرئ بزاءين مع الفوقانية ﴿وَيُوَقِّرُوهُ﴾: يعظموه وضميرهما لله أو لرسوله ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾: أي الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾٩: بالغداة والعشي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: بيعة الرضوان بالحديبية ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: هو نحو ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: التي بايعوا بها النبي أي هو تعالى

أي هذين والثالث قوله فيما يأتي ﴿وظننتم ظن السوء﴾ وهي سبق قلم، والصواب أن يقول: في الموضع الثاني، وأما الأول والثالث فليس فيهما إلا الفتح باتفاق السبعة.

قوله: ﴿عليهم دائرة السوء﴾ إما اخبار عن وقوعه بهم أو دعاء عليهم، كأن الله يقول: سلوني بقلوبكم ﴿عليهم دائرة السوء﴾ والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز، ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه، والجامع الإحاطة في كل. قوله: ﴿وغضب الله عليهم﴾ عطف على قوله: ﴿عليهم دائرة السوء﴾. قوله: ﴿ولله جنود الأرض والسموات﴾ الخ ذكر هذه الآية أولاً في معرض الخلق والتدبير، فذيلها بقوله ﴿عليماً حكيماً﴾ وذكرها ثانياً في معرض الانتقام فذيلها بقوله: ﴿عزيزاً حكيماً﴾ فلا تكرار. قوله: [أي لم يزل] الخ أشار بذلك إلى أن ﴿كان﴾ في أوصاف الله معناها الاستمرار.

قوله: ﴿إنا أرسلناك﴾ الخ امتنان منه تعالى عليه ﷺ حيث شرفه بالرسالة، وبعثه إلى كافة الخلق، شاهداً على أعمال أمته. قوله: ﴿شاهداً﴾ [على أمتك] أي بالطاعة والعصيان. قوله: ﴿ليؤمنوا بالله﴾ متعلق بـ ﴿أرسلناك﴾. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً. قوله: [وضميرهما لله] الخ أي فهما احتمالان، أي فإذا أردت الجري على وتيرة واحدة، جعلتها كأنها عائدة على الله تعالى، وأما قوله: ﴿وتسبحوه﴾ فهو عائد على الله قولاً واحداً، ويؤخذ من هذه الآية، أن من اقتصر على تعظيم الله وحده، أو على تعظيم الرسول وحده، فليس بمؤمن، بل المؤمن من جمع بين تعظيم الله تعالى، وتعظيم رسوله، ولكن التعظيم في كل بحسبه، فتعظيم الله تنزيهه عن صفات الحوادث، ووصفه بالكمالات، وتعظيم رسوله اعتقاد أنه رسول الله حقاً وصدقاً لكافة الخلق، بشيراً ونذيراً، إلى غير ذلك من أوصافه السنية وشمائله المرضية.

قوله: ﴿إن الذين يبايعونك﴾ الخ لما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسله بشيراً ونذيراً، بين أن متابعته متابعة له، وطاعته طاعة له، وذلك يشعر بعظيم منزلته وقدرة عند ربه، والبيعة في الأصل العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه، من بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزمه له، والمراد بها هنا، بيعة الرضوان بالحديبية، وهي قرية ليست كبيرة، بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة، سميت ببئر هناك، واختلف فيها، فقيل من الحرم، وقيل بعضها من الحل، يجوز فيها التخفيف والتشديد.

قوله: ﴿إنما يبايعون الله﴾ اعلم أن في هذا المقام، استعارة تصريحية تبعية ومكنية وتخييلية ومشاكلة، فالتبعية في الفعل هو ﴿يبايعون﴾ وذلك لأن المبايعة معناها مبادلة المال بالمال، فشبه المعاهدة على دفع الأنفس في سبيل الله،

مُطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾: يرجع وبال نقضه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ﴾: بالياء والنون ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ١٠ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: حول المدينة أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفاً من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾: عن الخروج معك ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: الله من ترك الخروج معك قال تعالى مكذباً لهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾: أي من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَن﴾: استفهام بمعنى النفي أي لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾: بفتح الضاد وضمها ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ ١١: أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿بَلْ﴾: في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أي أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: هذا وغيره ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ ١٢:

طلباً لمرضاة الله بدفع السلع في نظير الأموال، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البيع ﴿يبايعون﴾ بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم في سبيل الله والمكنية في لفظ الجلالة، وذلك لأن المتعاهدين إذا كان هناك ثالث، يضع يده فوق يديهما ليحفظهما، فشبه اطلاع الله ومجازاته على فعلهم، بملك وضع يده على يد أميره ورعيته، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو اليد، فإثباتها تخييل، والمشاكلة لذكر الأيدي بعده. قوله: [هو نحو من يطع الرسول] الخ أي من حيث إنه في المعنى يرجع له، وفيه إشارة إلى أنه تعالى منزه عن الجوارح. قوله: [يرجع وبال نقضه] أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضافين. قوله: [بالياء والنون] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿أجراً عظيماً﴾ أي وهو الجنة، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، فيشمل مبايعة الإمام على الطاعة والوفاء بالعهد، ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله، والتزام شروطه وآدابه، ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد.

قوله: ﴿سيقول لك المخلفون﴾ الخ، أي وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً، طلب من الأعراب وأهل البوادي حول المدينة، أن يخرجوا معه، حذراً من قريش أن يتعرضوا له بحرب، ويصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة، وساق الهدي، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، وتخلفوا عنه وقالوا: يذهب إلى قوم قد غزوه في قعر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه. قوله: [حول المدينة] حال من الأعراب أو صفة لهم. قوله: [إذا رجعت منها] ظرف ليقول. قوله: ﴿وأهلونا﴾ أي النساء والصبيان، فإنا لو تركناهم لضاعوا، لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم، وأنت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط في العيال. قوله: [فهم كاذبون في اعتذارهم] أي وطلب الاستغفار.

قوله: ﴿قل فمن يملك لكم﴾ الخ، أي فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه؟ قوله: ﴿إن أراد بكم ضراً﴾ أي كقتل وهزيمة ونحوهما. قوله: [بفتح الضاد وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾ ترق في الرد عليهم. قوله: [للانتقال من غرض إلى آخر] أي فأضرب عن تكذيبهم في اعتذارهم، إلى إيعادهم بجزاء أعمالهم، من التخلف والاعتذار الباطل، ثم أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم، إلى بيان ما حملهم على التخلف، وهذا على سبيل الترقي في الرد عليهم. قوله: ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول﴾ أي لا يرجع إلى المدينة، وسبب

جمع بائر أي هالكين عند الله بهذا الظن ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [13]: ناراً شديدة ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [14]: أي لم يزل متصفاً بما ذكر ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾: المذكورون ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾: هي مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾: اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾: لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾: بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾: وفي قراءة كلم الله بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾: أي قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾: من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [15]: منهم

ظنهم ذلك، اعتقادهم عظمة المشركين، وحقارة المؤمنين، حتى قالوا: ما هم في قريش إلا أكلة رجل. قوله: [جمع بائر] أي كحائل وحول، وقيل: البور مصدر بمعنى الهلاك.

قوله: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ لما بيّن حال المتخلفين عن رسول الله، وبيّن حال ظنهم الفاسد، وأنه يفضي بصاحبه إلى الكفر، حرضهم على الإيمان والتوبة على سبيل العموم، و﴿من﴾ إما شرطية أو موصولة، والاسم الظاهر قائم مقام العائد، وقوله: ﴿فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ دليل الجواب أو الخبر. قوله: [ناراً شديدة] أي فالمراد جميع طبقات النار، لا الطبقة المسماة بذلك. قوله: ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ أي يتصرف فيهما كيف يشاء. قوله: ﴿يغفر لمن يشاء﴾ هذا قطع لطمعهم في استغفاره ﷺ لهم، كأن الله يقول لهم: لا يستحق أحد عندي شيئاً، وإنما أغفر لمن أريد، وأعذب من أريد، وقد سبقت حكمتي، أن المغفرة للمؤمنين، والتعذيب للكافرين، فلا تطمعوا في المغفرة ما دمتم كفاراً.

قوله: ﴿سيقول المخلفون﴾ الخ، هذا من جملة الإخبار عما يحصل منهم. قوله: ﴿إذا انطلقتم﴾ ظرف لما قبله، والمعنى يقولون عند انطلاقكم الخ. قوله: [هي مغانم خيبر] أي وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال، ولم يصيبوا من المغانم شيئاً، وعدهم الله عز وجل فتح خيبر، وجعل مغانمها لمن شهد الحديبية خاصة، عوضاً عن غنائم أهل مكة، حيث انصرفوا عنهم، ولم يصيبوا منهم شيئاً، وكان المتولي للقسمة بخيبر، جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة، وزيد بن ثابت من بني النجار، كانا حاسبين قاسمين، وأمر ﷺ بالقسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب، ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله، فقسم له ﷺ كسهم من حضر. قوله: ﴿ذرونا﴾ أي دعونا، وهذا الفعل هجر مصدره وماضيه واسم فاعله استغناء بمادة ترك، وأصل مادته: وذر يذر وذراً، فهو واذر، والأمر منه ذر، وهذه الجملة مقول القول.

قوله: ﴿يريدون﴾ إما مستأنف أو حال من ﴿المخلفون﴾. قوله: ﴿أن يبدلوا كلام الله﴾ أي يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية به، من جعل غنائم خيبر لهم، عوضاً عن فتح مكة في ذلك العام. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿قل لن تتبعونا﴾ نفي في معنى النهي للمبالغة. قوله: ﴿كذلكم﴾ أي مثل هذا القول وهو لن تتبعونا. قوله: ﴿قال الله﴾ أي حكم بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، ليس لغيرهم فيها نصيب. قوله: ﴿فسيقولون﴾ أي عند سماعهم النهي. قوله: ﴿بل تحسدوننا﴾ أي فليس هذا النهي حكماً من الله تعالى، بل هو حسد منكم لنا على مشاركتكم في الغنائم. قوله: [من الدين] أشار بذلك إلى أن الإضراب الأول معناه رد منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد، والثاني إضراب عن وصفهم، بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أهم، وهو الجهل وقلة الفهم.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾: المذكورين اختباراً ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي﴾: أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة وقيل فارس والروم ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ﴾: حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾: هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾: فلا تقاتلون ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾: إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ١٦: مؤلماً ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: في ترك الجهاد ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾: بالياء والنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾: بالياء والنون ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ١٧ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾: بالحديبية ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾: هي سمرة

قوله: ﴿قل للمخلفين﴾ كرر وصفهم بهذا الاسم، إشعاراً بشناعته، ومبالغة في ذمهم. قوله: [قيل هم بنو حنيفة] أي وهم جماعة مسيلمة الكذاب، والداعي للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ. قوله: [أصحاب اليمامة] اسم لبلاد في اليمن، ولامرأة كانت بها ويقال لها زرقاء، كانت تبصر الركب من مسيرة ثلاثة أيام. قوله: [وقيل فارس والروم] أي والداعي لهم عمر بن الخطاب، وقيل: إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين، والداعي لهم رسول الله، إن قلت: إن الله تعالى أمر رسوله أن لا يدعو المخلفين إلى الجهاد في قوله ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ وحينئذ فيبعد أن ذلك في غزوة حنين، والداعي لهم رسول الله ﷺ. وأجيب: بأنه لا بعد إذ قوله: ﴿لن تخرجوا معي أبداً﴾ الخ إنما نزلت بعد الفتح في غزوة تبوك، فتحصل أن الأقوال ثلاثة، وكل صحيح. قوله: ﴿أو هم يسلمون﴾ أشار بذلك إلى أن الجملة مستأنفة، وليست أو بمعنى إلى، أو إلا، وإلا لنصب الفعل بحذف النون، ومعنى ﴿يسلمون﴾ ينقادون ولو بعقد الجزية، فإن الروم نصارى، وفارس مجوس، وكل منهما يقر بالجزية، وأما بالنسبة لبني حنيفة، فمعناه يسلمون بالفعل، لأنهم كانوا مرتدين، والمرتد لا يقر بالجزية، بل إما السيف أو الإسلام. قوله: ﴿كما توليتم من قبل﴾ أي في الحديبية.

قوله: ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ نزلت لما قال أهل الزمانة والعاهة والآفة: كيف بنا يا رسول الله؟ حين سمعوا قوله تعالى ﴿وإن تتولوا﴾ الخ. قوله: [في ترك الجهاد] أي في التخلف عن الجهاد، وهذه أعذار ظاهرة، وذلك لأن الأعمى لا يمكنه الكر ولا الفر، وكذلك الأعرج والمريض، ومثل هذه الأعذار الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يقضي مصالحه وأشغاله التي تعوق عن الجهاد، وكل هذا ما لم يفجأ العدو، وإلا وجب على كل بما يمكنه. قوله: [بالياء والنون] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ أي فعل بهم فعل الراضي من الثواب والفتح المبين، وفي ذلك تلميح إلى أن الكافرين غير راض عنهم، فلهم الخذلان في الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم، أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على جمله ليبلغ أشرافهم أنه ﷺ جاء معتمراً، ولم يجيء محارباً، فعقروا جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله، فمنعتهم الأحابيش فخلوا سبيله، فأتى لرسول الله فأخبره، فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال: يا رسول الله إني أخاف على نفسي قريشاً، وليس في مكة من بني عدي بن كعب أحد، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أقرب بها مني، لوجود عشيرته فيها، وهو عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان،

---

* أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: يا أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس، فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ الآية.

وهم ألف وثلثمائة أو أكثر ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشاً وأن لا يفروا من الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ١٨ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾: من خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ١٩: أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾: غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾: في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلِتَكُونَ﴾: أي المعجلة عطف على مقدر أي

فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، معظماً لحرمته، وكتب له كتاباً بعثه معه، وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريباً، وأن الله سيظهر دينه، فخرج عثمان وتوجه إلى مكة، فوجد قريشاً قد اتفقوا على منعه ﷺ من دخول مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاصي حين دخل مكة، وقبل أن يدخلها، فنزل عن فرسه وحمله بين يديه، ثم أردفه وأجاره، حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ وقرأ عليهم الكتاب واحداً واحداً، فصمموا على أنه لا يدخلها هذا العام، وقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، وقد كان المسلمون قالوا: هنيئاً لعثمان خلص إلى البيت وطاف به دوننا، فقال ﷺ: إن ظني به أن لا يطوف حتى يطوف معنا، وبشر عثمان المستضعفين، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل، فقال رسول الله ﷺ: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، وضع النبي ﷺ شماله في يمينه وقال: هذه عن عثمان، وهذا يشعر بأن النبي قد علم بنور النبوة، أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لما بايع الناس: «اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك» فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يده لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم، ولما سمع المشركون بهذه البيعة، خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة، دخلوا مكة بإذنه ﷺ.

قوله: ﴿إذ يبايعونك﴾ ظرف لرضي، وعبر بصيغة المضارع استحضاراً لصورة المبايعة. قوله: ﴿تحت الشجرة﴾ معمول ليبايعونك. قوله: [هي سمرة] بضم الميم من شجر الطلح وهو الموز، كما عليه جمهور المفسرين في قوله تعالى ﴿وطلح منضود﴾ وهذه الشجرة قد أخفيت، لئلا يحصل الافتتان بها، وروي أن عمر بلغه أن قوماً يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقطعت. قوله: [أو أكثر] وقيل أربعمائة وهو الصحيح، وقيل خمسمائة. قوله: [أن يناجزوا قريشاً] أي يقاتلوهم. قوله: ﴿ما في قلوبهم﴾ معطوف على ﴿يبايعونك﴾. قوله: [بعد انصرافهم من الحديبية] أي في ذي الحجة، فأقام ﷺ بالمدينة بقيته وبعض المحرم، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع. قوله: ﴿ومغانم﴾ معطوف على ﴿فتحاً﴾ و﴿يأخذونها﴾ صفة لمغانم أو حال منها.

قوله: ﴿وعدكم الله﴾ الالتفات إلى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان، وهو لأهل الحديبية. قوله: [من الفتوحات] أي غير خيبر، مما استقبلهم بعد، كفتح مكة وهوازن وبلاد كسرى والروم. قوله: [غنيمة خيبر] مقتضى ما تقدم، من أن السورة نزلت كلها في رجوعه من الحديبية أن يكون قوله: ﴿فعجل لكم هذه﴾ من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه من الإخبار بالغيب. قوله: [في عيالكم] أي عن عيالكم، والجار والمجرور بدل من قوله: ﴿عنكم﴾ والمراد بالناس، أهل خيبر وحلفاؤهم من بني أسد وغطفان. قوله: [لما خرجتم] أي للحديبية، وقوله: [وهمت بهم اليهود] أي يهود خيبر، هموا بأخذ عيال النبي والصحابة من المدينة، في غيبة النبي للحديبية، وكان هو السبب في أخذ خيبر. قوله: [عطف على مقدر] هذا أحد قولين، والآخر أنها زائدة، وعليه فيكون تعليلاً لقوله:

تشكروه ﴿آيةً للمُؤمِنِينَ﴾: في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾ ٢٠: أي طريقَ التوكّل عليه وتفويض الأمر إليه

﴿كفّ﴾. قوله: ﴿آية للمؤمنين﴾ أي أمارة يعرفون بها صدق الرسول ﷺ في وعده إياهم، عند الرجوع من الحديبية بتلك الغنائم. قوله: [أي طريق التوكل عليه] فسّر الصراط المستقيم بما ذكر، لأن الحاصل من الكف ليس إلا ذلك، ولأن أصل الهدى حاصل قبله.

- تنبيه - ملخص غزوة خيبر: أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرّم، ثم خرج إلى خيبر في بقية المحرّم سنة سبع، وكان إذا غزا قوماً ينتظر الصباح، فإن سمع أذاناً كفّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم، فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب عليهم، فخرجوا بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا محمدٌ والخميس أي الجيش، فلما رآهم النبي ﷺ قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين، وعن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تاللهِ لولا اللهُ ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا ... فثبّت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا؟ قال: أنا عامر، قال: غفر لك ربك، قال: وما استغفر رسول ﷺ لإنسان يخصّه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبيّ الله، لولا متعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خيبر، قدم ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهّب

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أنّي عامر ... شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا بضربتيهما، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه رضي الله عنه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله، بطل عمل عمي عامر، قال رسول الله ﷺ: من قال ذلك؟ قلت: ناس من أصحابك، قال: كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين، ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله؛ قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرىء وأعطاه الراية، فخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أنّي مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهّب

فقال علي رضي الله عنه:

أنا الذي سمّتني أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

تعالى ﴿وَأُخْرَىٰ﴾: صفة مغانم مقدراً مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾: هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ٢١: أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالحديبية ﴿لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾: يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ٢٢: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين أي سن الله ذلك سنة ﴿ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ

قال: فضرب مرحباً فقتله، ثم كان الفتح على يده، أخرجه مسلم بهذا اللفظ، وفي رواية أخرى: أنه خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله، ثم التقيا فقتله الزبير، ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون، ويقتل المقاتلة، ويسبي الذرية، ويحوز الأموال، فجمع السبي فجاء دحية فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، ولا تصلح إلا لك، قال: ادعوه فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فلما دخل بها، رأى في عينها أثر خضرة، فسألها عن سببها فقالت: إني رأيت في المنام وأنا عروس بكنانة بن الربيع، أن قمراً وقع في حجري، فقصصت رؤياي على زوجي فقال: ما هذا إلا أنك تمنيت ملك الحجاز محمداً، ثم لطم وجهي لطمة اخضرت منها عيني، فلما ظهر رسول الله على خيبر، أراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله ﷺ أن يقرهم بها، على أن يكفوهم العمل ولهم نصف الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: نقركم بها على ذلك ما شئنا، فقروا بها حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحاء. قال محمد بن إسحاق: لما سمع أهل فدك بما فعل رسول الله ﷺ بخيبر، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم، ويخلوا له الأموال، ففعل بهم، ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم على النصف كأهل خيبر ففعل، فكانت خيبر للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب، فلما اطمأن رسول الله، أهدت له زينب بنت الحرث، امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية ـ يعني مشوية ـ وسألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله، تناول الذراع، فأخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، فأخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، يعني ابتلعها، وأما رسول الله فلفظها ثم قال: إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك، فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت: إن كان ملكاً استرحنا منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه، فقال: يا أم بشر، ما زالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني، فهذا أوان قطع أبهري؛ فكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوة. قوله: [مبتدأ] أي وخبره قوله: ﴿قد أحاط الله بها﴾ وقوله: ﴿لم تقدروا عليها﴾ صفة لمغانم المقدر، وسوغ الابتداء بالنكرة الوصف، وهذا أسهل الأعاريب، ولذا اختاره المفسر. قوله: [هي فارس والروم] أي وباقي الأقطار. قوله: ﴿قد أحاط الله بها﴾ أي أعدها لكم في قضائه وقدره، فهي محصورة لا تفوتكم. قوله: [أي لم يزل متصفاً] أشار بذلك إلى أن المراد من ﴿كان﴾ الاستمرار.

قوله: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ أي وهم أهل مكة ومن وافقهم، وقد كانوا اجتمعوا وجمعوا الجيوش، وقدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم، ولم يكن أسلم حينئذ، فما شعر بهم خالد، حتى إذا هم بقترة الجيش، أي بغبار أثرهم، فانطلق يركض نذيراً لقريش. قوله: ﴿لولوا الأدبار﴾ أي مضوا منهزمين. قوله: [من هزيمة الكافرين] [من]

﴿تَبْدِيلاً﴾٢٣: منه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾: بالحديبية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتي بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾٢٤: بالياء والتاء أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي عن الوصول إليه ﴿وَٱلْهَدْيَ﴾: معطوف على كم ﴿مَعْكُوفًا﴾: محبوساً حال ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾: أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾: موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: بصفة الإيمان ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾: أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من هم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾: أي إثم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور وجواب لولا محذوف أي لأذن لكم في الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾: تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: من أهل

بيانية. قوله: ﴿التي قد خلت﴾ أي مضت. وقوله: ﴿من قبل﴾ أي فيمن مضى من الأمم. قوله: ﴿تبديلاً﴾ [منه] أي من الله تعالى، والمعنى: أن الله لا يبدل ولا يغير سنته وطريقته، من نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين. قوله: [بالحديبية] بيان لبطن مكة، والمراد بمكة الحرم، والحديبية تقدم فيها الخلاف، هل هي منه أو بعضها؟ فعلى الأول التعبير بالبطن ظاهر، وعلى الثاني فالمراد بالبطن الملاصق والمجاور.

قوله: ﴿من بعد أن أظفركم﴾ أي أظهركم فتعديته بعلى ظاهرة. قوله: [فكان ذلك] أي العفو عنهم وتخلية سبيلهم. قوله: [سبب الصلح] أي لعلمهم أن هذا الأمر لا يقع إلا من قادر على قتالهم، غير مكترث بهم. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [معطوف على كم] أي الضمير المنصوب في صدوكم، وهو أحسن الأعاريب. قوله: [محبوساً] أي فالعكوف الاحتباس، ومنه الاعتكاف المشهور، وهو حبس النفس على ما تكره، مع ملازمة المسجد. قوله: [أي مكانه] أي المعهود، وهو منى للمحرم بالحج، والمروة للمحرم بالعمرة، وهو الأفضل، وإلا فالحرم كله محل النحر. قوله: [بدل اشتمال] أي من الهدي، والمعنى: صدوا بلوغ الهدي محله، ويصح أن يكون على إسقاط الخافض، أي عن أن يبلغ الهدي محله، والجار والمجرور إما متعلق بصدوكم، أو بمعكوفاً. قوله: [موجودون] هو خبر المبتدأ. قوله: [بدل اشتمال من هم] أي والمعنى: لم تعلموا وطأهم، ويصح أن يكون بدلاً من رجال ونساء، والمعنى: ولولا وطء رجال ونساء. قوله: [إثم] أي مكروه كالتأسف عليهم، أو المراد بالإثم حقيقته بسبب ترك التحفظ. قوله: ﴿بغير علم﴾ [منكم به] أي بالقتل. قوله: [وجواب لولا محذوف] أي والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين أظهر الكفار، حال كونكم جاهلين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه، لما كف أيديكم عنهم. قوله: [حينئذ] أي عام الحديبية.

قوله: ﴿ليدخل الله﴾ الخ، علة لما قدره المفسر بقوله: [لكن لم يؤذن]. قوله: [كالمؤمنين المذكورين] أي

---

* أسباب نزول الآية ٢٤: وأخرج مسلم والترمذي والنسائي عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلا في السلاح من جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فأخذوا فأعتقهم فأنزل الله ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾ الآية، وأخرج مسلم نحوه من حديث سلمة بن الأكوع وأحمد والنسائي نحوه من حديث عبد الله بن مغفل المزني وابن اسحاق نحوه من حديث ابن عباس.
* أسباب نزول الآية ٢٥: وأخرج الطبراني وأبو يعلي عن أبي جمعة جنيد بن سبع قال: قاتلت النبي ﷺ أول النهار كافراً وقاتلت معه آخر النهار مسلماً وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة وفينا نزلت ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾.

مكة حينئذٍ بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾ ٢٥: مؤلماً ﴿إِذْ جَعَلَ﴾: متعلق بعذبنا ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾: الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم

كالمشركين، لأنه آل أمر أهل مكة إلى الإسلام إلا ما قل. قوله: [تميزوا] أي تفرقوا وانفردوا، ولكن لم يتميزوا، بل اختلط المستضعفون بالمشركين، والأصول المشركون بالفروع المسلمين، كالذراري الذين علم الله إسلامهم، فلم يحصل العذاب. قوله: [الأنفة] بفتحتين أي الكبر. قوله: ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من الحمية قبلها، وهي فعلية مصدر يقال: حميت من كذا حمية، وحمية الجاهلية عدم الإذعان للحق ونصرة الباطل.

قوله: ﴿فأنزل الله سكينته﴾ معطوف على شيء مقدر، أي فضاقت صدور المسلمين، واشتد الكرب عليهم، ﴿فأنزل﴾ الخ، روي أن رسول الله ﷺ لما نزل الحديبية، بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف، على أن يعرضوا على النبي ﷺ أن يرجع من عامه ذلك، على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام، ففعل ذلك، وكتبوا بينهم كتاباً، فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: ما نعرف هذا، اكتب باسمك اللهم، ثم قال اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة، فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك، اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة، فقال ﷺ اكتب ما يريدون، فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم، فأنزل الله السكينة عليهم، فتوقروا وحلموا. قوله: [على أن يعودوا من قابل] أي وعلى وضع الحرب عشر سنين، قال البراء: صالحوهم على ثلاثة أشياء: على أن من أتاهم من المشركين مسلماً ردوه إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلى أن يدخلها من قابل، ويقيم فيها ثلاثة أيام، ولا يدخلها بسلاح، فكتب بذلك كتاباً، فلما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: قوموا وانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام منهم أحد، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، لما حصل لهم من الغم، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له: يا نبي الله، أخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج ففعل، فلما رأوا ذلك منه قاموا فنحروا، وجعل يحلق بعضهم بعضاً. وروى ثابت عن أنس، أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ واشترطوا أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاء منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أتكتب هذا؟ قال: نعم، إن من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً، روي أنه بعد عقد الصلح، جاء جندل بن سهل بن عمرو بقيوده قد انفلت، وخرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال له سهل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد، قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً، قال النبي ﷺ: فأجزه لي، قال: ما أنا بمجيره لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعل سهل يجره ليرده إلى قريش، فقال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا جندل احتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وعقداً، وإنا لا نغدر، فقام عمر وتكلم بكلام طويل منه ما تقدم لنا عند قوله: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه إلى المدينة، جاءه أبو بصير عتبة بن أسد من قريش مسلماً، فأرسلوا في طلبه رجلين، فسلمه النبي ﷺ، فقتل أحدهما، وفر عنه الآخر، فأتى أبو بصير سيف البحر وجلس هناك، فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين، فلحقوا به حتى تكاملوا نحواً من سبعين رجلاً، فما يسمعون

يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾: أي المؤمنين ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: لا إله إلا الله محمد رسول الله وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾: بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾: عطف تفسيري ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٢٦]: أي لم يزل متصفاً بذلك ومن معلومه تعالى أنهم أهلها ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾: رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت وقوله بالحق متعلق بصدق أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: للتبرك ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾: أي جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾: بعض شعورها وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُونَ﴾: أبداً ﴿فَعَلِمَ﴾: في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُواْ﴾: من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾: أي

بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا تعرضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم، بأنه لا يرسل إليهم من أتاه منهم مسلماً، وأبطلوا هذا الشرط، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما فأحضرهم المدينة. قوله: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أي اختار لهم، فهو إلزام إكرام وتشريف، والمراد تقوى الشرك. قوله: [لا إله إلا الله] هذه رواية أبي بن كعب، وقيل إنها: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وقيل إنها: بسم الله الرحمن الرحيم. قوله: ﴿وكانوا أحق بها﴾ أي في علم الله لأنه اختارهم لدينه. قوله: [تفسيري] أي لاحق بها، أو الضمير في ﴿بها﴾ لكلمة التوحيد، وفي أهلها للتقوى.

قوله: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ أي رؤياه صادقة محققة، لم يدخلها الشيطان؛ لأنه معصوم هو وجميع الأنبياء، وتأخيرها لا ينافي كونها حقاً وصدقاً، نظير رؤيا يوسف الصديق، أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدون له، فتأخرت الزمن الطويل، وبعد ذلك تحققت. قوله: [وراب بعض المنافقين] أي ارتاب، حيث قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث: والله ما حلقنا ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام. قوله: [أو حال من الرؤيا] أي فهو متعلق بمحذوف، والتقدير ملتبسة بالحق، ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف، والتقدير صدقاً ملتبساً بالحق، ويصح أن يكون ﴿بالحق﴾ قسماً وجوابه قوله: ﴿لتدخلن﴾ الخ، وعليه فالوقف على قوله: ﴿الحق﴾ وقوله: ﴿لتدخلن﴾ اللام موطئة لقسم محذوف. قوله: [للتبرك] أي مع تعليم العباد الأدب، وتفويض الأمر إليه، وهو جواب عما يقال: إن الله تعالى خالق للأشياء كلها، وهو عالم بها قبل وقوعها، فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة، مع أن التعليق إنما يكون من المخبر المتردد، أو الشاك في وقوع المعلق، والله منزه عن ذلك؟ فأجاب: بأن المقصود التبرك لا التعليق، ويجاب أيضاً: بأن المشيئة باعتبار جميع الجيش، فإن الذين حضروا عمرة القضاء كانوا سبعمائة، وأما باعتبار المجموع، فالقضاء مبرم لا تعليق فيه، ويجاب أيضاً: بأنه حكاية عن كلام الملك المبلغ للرسول كلام الله، أو حكاية عن كلام الرسول عليه السلام.

قوله: ﴿آمنين﴾ حال مقارنة للدخول، والجملة شرطية معترضة. قوله: [مقدرتان] دفع بذلك ما قد يقال: إن حال الدخول هو حال الإحرام، وهو لا يتأتى معه حلق ولا تقصير. قوله: ﴿لا تخافون﴾ [أبداً] أشار بذلك إلى أنه غير

---

* أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أري النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فلما نحر الهدي بالحديبية قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ الآية.

الدخول ﴿فَتْحاً قَرِيباً﴾ ٢٧ هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: أي دين الحق ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: على جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً﴾ ٢٨: أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره ﴿أَشِدَّآءُ﴾: غلاظ ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: لا يرحمونهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: خبر ثانٍ أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد ﴿تَرَىٰهُمْ﴾: تبصرهم ﴿رُكَّعاً سُجَّداً﴾ حالان ﴿يَبْتَغُونَ﴾: مستأنف يطلبون ﴿فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً سِيمَاهُمْ﴾: علامتهم مبتدأ ﴿فِي وُجُوهِهِم﴾ خبره وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: متعلق بما تعلق به الخبر أي كائنة وأعرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صفتهم ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: مبتدأ وخبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾: مبتدأ خبره ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾: بسكون الطاء وفتحها فراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: بالمد والقصر قواه وأعانه ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: غلظ

مكرر مع قوله: ﴿آمنين﴾ والمعنى: آمنون في حال الدخول، وحال المكث، وحال الخروج، وقد كان عند أهل مكة، أنه يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم، فأفاد أنه يبقى أمنهم بعد خروجهم من الإحرام. قوله: [من الصلاح] أي وهو حفظ دماء المسلمين المستضعفين. قوله: ﴿من دون ذلك﴾ أي قبله. قوله: [هو فتح خيبر] وقيل هو صلح الحديبية، وقيل هو فتح مكة.

قوله: ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ تأكيد لتصديق الله رؤياه، والمعنى: حيث جعله رسولاً، فلا يريه خلاف الحق. قوله: ﴿بالهدى﴾ أي القرآن أو المعجزات. قوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ أي ليعليه على جميع الأديان، فينسخ ما كان حقاً، ويظهر فساد ما كان باطلاً. قوله: [بما ذكر] أي ﴿بالهدى ودين الحق﴾. قوله: [كما قال] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿محمد رسول الله﴾ مؤكد لقوله: ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾. قوله: [لا يرحمونهم] أي لا يرأفون بهم، وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم، وقد بلغ من تشديدهم على الكفار، أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم. قوله: ﴿رحماء بينهم﴾ أي فكان الواحد منهم إذا رأى أخاه في الدين صافحه وعانقه.

قوله: ﴿تراهم ركعاً﴾ إما خبر آخر أو مستأنف، والمعنى: أنهم في النهار على الأعداء أسود، وفي الليل ركع سجود. قوله: [حالان] أي من مفعول ﴿تراهم﴾. قوله: [مستأنف] أي واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم؟ فقيل ﴿يبتغون﴾ الخ. قوله: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ اختلف في تلك السيما، فقيل: إن مواضع سجودهم يوم القيامة ترى كالقمر ليلة البدر، وقيل هو صفرة الوجوه من سهر الليل، وقيل: الخشوع الذي يظهر على الأعضاء، حتى يتراءى أنهم مرضى وليسوا بمرضى، وليس المراد به ما يصنعه بعض الجهلة المرائين من العلامة في الجبهة، فإنه من فعل الخوارج، وفي الحديث: «إني لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود». قوله: [من ضميره] أي من ضمير ما يتعلق به الخبر وهو كائنة. قوله: [المنتقل إلى الخبر] أي وهو الجار والمجرور. قوله: [أي الوصف المذكور] أي وهو كونهم ﴿أشداء﴾ ﴿رحماء﴾ ﴿تراهم ركعاً﴾ الخ، ﴿سيماهم في وجوههم﴾ الخ. قوله: ﴿مثلهم في التوراة﴾ أي وصفهم العجيب الجاري في الغرابة مجرى الأمثال. قوله: [مبتدأ وخبره] أي أن قوله: ﴿مثلهم﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿في التوراة﴾ والجملة خبر عن ذلك. قوله: ﴿ومثلهم في الإنجيل﴾ الخ، ويصح أن يكون مبتدأ خبره قوله: ﴿كزرع﴾ وحينئذ فيوقف على قوله: ﴿في التوراة﴾ ويكونان مثلين، وعليه مشى المفسر، ويصح أنه معطوف على ﴿مثلهم﴾ الأول، وحينئذ فيوقف على قوله: ﴿الإنجيل﴾ ويكونان مثلاً واحداً في

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: قوي واستقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: أصوله جمع ساق ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: أي زراعه لحسنه مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك لأنهم بدؤوا في قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أي شبهوا بذلك ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾: أي الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٢٩]: الجنة وهما لمن بعدهم أيضاً في آيات.

الكتابين، وقوله: ﴿كزرع﴾ خبر لمحذوف أي مثلهم كزرع الخ، وهو كلام مستأنف. قوله: [بسكون الطاء وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان، والشطء أفراخ النخل، والزرع أوراقه. قوله: [فراخه] بكسر الفاء جمع فرخ كفرع لفظاً ومعنى. قوله: [بالمد] أي وأصله أأزره بوزن أكرمه، قلبت الهمزة الثانية ألفاً للقاعدة المعلومة، وقوله: [والقصر] أي فهو من باب ضرب، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [غلظ] أي فهو من باب استحجر الطين. قوله: ﴿على سوقه﴾ متعلق باستوى. قوله: ﴿يعجب الزراع﴾ الجملة حالية، والمعنى حال كونه معجباً. قوله: [فكثروا] هو مأخوذ من قوله: ﴿أخرج شطأه﴾ وقوله: ﴿فآزره﴾ مأخوذ من قوله: ﴿فاستغلظ﴾ وقوله: [على أحسن الوجوه] مأخوذ من قوله: ﴿فاستوى على سوقه يعجب الزراع﴾. قوله: ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ تعليل لما دل عليه التشبيه كأنه قال: إنما قواهم وكثرهم ليغيظ الخ. قوله: [لبيان] أي لا للتبعيض كما زعمه بعضهم. قوله: [لمن بعدهم] أي كالتابعين وأتباعهم إلى يوم القيامة. قوله: [في آيات] متعلق بما تعلق به قوله: [لمن بعدهم] والمعنى: وهما ثابتان لمن بعد الصحابة في آيات كقوله تعالى ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم ـ إلى قوله ـ أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله﴾.

ـ خاتمة ـ قد جمعت هذه الآية، وهي قوله: ﴿محمد رسول الله﴾ إلى آخر السورة، جميع حروف المعجم، وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية، باجتماع أمرهم، وعلو نصرهم رضي الله عنهم، وحشرنا معهم، نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه. وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول، وقد ختم كما ترى بسورتين هما في الحقيقة للنبي ﷺ، وحاصلهما: الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهراً، كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما نصره له ﷺ بالحال على من قصده بالضر باطناً، ومن أجل ذلك اتخذ العارفون هذه الآية، ورداً وحصناً منيعاً.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٤٩] - سورة الحجرات

[مدنية وهي ثماني عشرة آية]

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا﴾ :من قدَّم بمعنى تقدَّم أي لا تتقدموا بقولٍ ولا فعلٍ ﴿بَيْنَ يَدَي الله وَرَسُولِهِ﴾ :

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الحجرات مدنية

وهي ثمان عشرة آية

أي بالإجماع، وهذه أوائل السور المسماة بالمفصّل، واختلف في تسميته بذلك، فقيل: لكثرة الفصل فيه بين السُّوَر، وقيل لكون جميعه محكماً لا نسخ فيه. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ذكر هذه اللفظة في هذه السورة خمس مرّات، اعتناء بشأن المؤمنين في الأوامر والنواهي، نظير خطابات لقمان لابنه في قوله: ﴿يا بني﴾ ولئلا يتوهم أن المخاطب ثانياً غير المخاطب أولاً، وذكر ﴿يا أيها الناس﴾ مرة خطاباً لما يعم المؤمن والكافر، لمناسبة ما يترتب عليه من قوله تعالى ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ وهذه السورة جمعت آداباً ظاهرية وباطنية، وأوامر ونواهي ظاهرية وباطنية، عامة وخاصة، فهي متضمنة طريقة الصوفية التي من تمسك بها وصل. قوله: [من قدم بمعنى تقدم] العامة على ضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة، وفيها وجهان أحدهما: أنه متعد حذف مفعوله اقتصاراً كقولهم: هو يعطي ويمنع، وكلوا واشربوا، والأصل لا تقدموا ما لا يصلح. والثاني: أنه لازم نحو وجه وتوجه، ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك ﴿لا تقدموا﴾ بالفتح في الثلاثة، والأصل لا تتقدموا، فحذفت إحدى التاءين، وفي الآية استعارة تمثيلية، حيث شبه تجري الصحابة على الحكم، في أمر من أمور الدين، بغير إذن من الله ورسوله، بحالة من تقدم بين يدي

---

* أسباب نزول الآية ١: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا﴾ الآيتين. أخرج البخاري وغيره من طريق ابن جريج عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر؛ أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ الى قوله ﴿ولو أنهم صبروا﴾ وأخرج ابن المنذر عن الحسن: أن أناساً ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر فأمرهم أن يعيدوا ذبحاً، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾.
وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأضاحي بلفظ: ذبح رجل قبل الصلاة فنزلت، وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة: أن ناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي ﷺ، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن ناساً كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، فأنزل الله ﴿لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾.

المبلغ عنه أي بغير إذنهما ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾[١]: بفعلكم نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾: إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾: إذا نطق ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ﴾: إذا ناجيتموه ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: بل دون ذلك إجلالاً له ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٢]: أي

متبوعه إذا سار في طريقه من غير إذن، فإنه في العادة مستهجن، ثم استعمل في جانب المشبه ما كان في جانب المشبه به من الألفاظ، والغرض التنفير من التجري بغير إذن الله ورسوله، ومثله قوله تعالى في حق الملائكة ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ أصله لا يسبق قولهم قوله، فمدحهم بنفي السبق؛ تنبيهاً على استهجان السبق، أو المراد بين يدي رسول الله، وذكر لفظ الله تعظيماً للرسول، وإشعاراً بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله، وعلى هذا فلا استعارة. قوله: [بقول أو فعل] مثال القول ما ذكره المفسر في سبب النزول، ومثال الفعل ما قيل في سبب النزول أيضاً، من أنهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله، فأمرهم أن يعيدوا الذبح. وقال: من ذبح قبل الصلاة، فإنما هو لحم عجله لأهله، ليس من النسك في شيء، وما ورد عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك، أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم، وقال الضحاك: وهو عام في القتال وشرائع الدين، أي لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله، وهو الأولى.

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي في التقدم الذي نهاكم عنه. قوله: [على النبي] الأولى أن يقول عند النبي، ففي الحديث، أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ وطلبوا أن يؤمر عليهم واحداً منهم، فقال أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا أي تخاصما، حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت تلك الآيات الخمس إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ ومعنى قول عمر: ما أردت خلافك، أي ما أردت مخالفتك تعنتاً، وإنما أردت أن تولية الأقرع أصلح بهم، ولم يظهر لك ذلك. قوله: [ونزل فيمن رفع صوته] الخ، كأبي بكر وعمر في القصة المذكورة، كما أن قوله: [ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي] أي كأبي بكر وعمر، حين بلغهما النهي عن رفع الصوت، فصارا يخفضان صوتهما عند النبي، كما أن قوله: [ونزل في] الخ، هم بنو تميم الذين تكلم في شأنهم أبو بكر وعمر، فتلخص أنه لما اختلف أبو بكر وعمر في تأمير الأمير على الوفد المذكور، ولم يصبرا حتى يكون رسول الله هو الذي يشير بذلك، نزل قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ الآية، ولما رفعا أصواتهما في تلك القضية، نزل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية، ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ الآية، ولما نادى الركب المذكور النبي ﷺ من وراء الحجرات نزل ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ الآيتين. قوله: [إذا نطقتم] أي تكلمتم، وقوله: [إذا نطق] أي تكلم.

قوله: ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ لما كانت هذه الجملة كالمكررة مع ما قبلها، مع أن العطف يأباه، أشار المفسر إلى أن المراد بالأولى، إذا نطق ونطقتم، فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم حداً يبلغه صوته، بل يكون كلامكم دون كلامه، والمراد بالثاني أنكم إذا كلمتموه وهو صامت، فلا ترفعوا أصواتكم، كما ترفعونها فيما بينكم. قوله: [ناجيتموه] أي كلمتموه وهو صامت. قوله: [بل دون ذلك] راجع لكل من النهيين، أي بل اجعلوا أصواتكم دون صوته، ودون جهر بعضكم لبعض، وقوله: [إجلالاً له] تعليل لما تضمنه قوله: [بل دون ذلك].

---

* أسباب نزول الآية ٢: وأخرج عنه قال: كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم فأنزل الله ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية.

خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين. ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ﴾: اختبر ﴿ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أي لتظهر منهم ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾*: الجنة. ونزلت في قوم جاؤوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في

قوله: ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ أي يبطل ثوابها، وقوله: ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ أي بحبوطها. قوله: [أي خشية ذلك] أشار به إلى ﴿أن تحبط﴾ على حذف مضاف، أي خشية الحبوط، والخشية منهم وقد تنازعه: لا ترفعوا ولا تجهروا، فيكون مفعولاً لأجله، والعامل فيه الثاني أو الأول. قوله: [بالرفع والجهر] الباء سببية متعلقة باسم الإشارة، لأنه واقع على الحبوط، فكأنه قال: أي خشية الحبوط بسبب الرفع والجهر، لأن في الرفع والجهر استخفافاً بجانبه، فيؤدي إلى الكفر المحبط، وذلك إذا انضم له قصد الإهانة وعدم المبالاة. روي أنه لما نزلت هذه الآية، قعد ثابت في الطريق يبكي، فمر به ابن عدي فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في، وأنا رفيع الصوت على النبي ﷺ، أخاف أن يحبط عملي، وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتاً البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها: إذا دخلت بيت فرشي، فسدي علي الضبة بمسمار، فضربته بمسمار، فأتى عاصم رسول الله ﷺ فأخبره خبره قال: اذهب فادعه لي، فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فيه فلم يجده، فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرش فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضبة، فأتيا رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقال: أنا صيت، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أبداً، فأنزل الله ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ الآية، قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة، رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار، وانهزمت طائفة منهم، قال: أف لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا، واستشهد ثابت وعليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلاناً رجل من المسلمين، نزع درعي فذهب بها، وهي في ناحية من العسكر، عند فرس يستن في طيله، وقد وضع على درعي برمة، فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي، وائت أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ قل له: إن علي ديناً حتى يقضي عني، وفلان من رقيقي عتيق، فأخبر الرجل خالداً، فوجد الدرع والفرس على ما وصفه، فاسترد الدرع، وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وصيته، قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه. قوله: [فيمن كان يخفض صوته] أي مخافة من مخالفة النهي السابق، وإجلالاً وتعظيماً. قوله: [كأبي بكر وعمر] الخ، أي فكان الجميع يخفضون أصواتهم عند رسول الله، إجلالاً له وتعظيماً.

قوله: ﴿أولئك الذين﴾ الخ اسم الإشارة مبتدأ، والموصول بعد خبره، والجملة خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ مستأنفة لبيان ما أعد لهم. قوله: ﴿امتحن الله قلوبهم﴾ الامتحان افتعال، من محنت الأديم محناً أو سعته، ومعنى ﴿امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ وسعها. قوله: [أي لتظهر منهم] أي فإنها لا تظهر، إلا بالاصطبار على

* اسباب نزول الاية ٣: وأخرج أيضاً عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي بن العجلان فقال: ما يبكيك؟ قال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك الى رسول الله ﷺ فدعا به فقال: أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟ قال: رضيت ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ الآية.

منزله فنادوه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ﴾: حجرات نسائه ﷺ جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموه في أي حجرة مناداة الأعراب بغلظة وجفاء ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾٤: فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل لفعل مقدر أي ثبت ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾٥: لمن تاب منهم ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقاً فخافهم لترة كانت بينه وبينهم في

أنواع المحن والتكاليف الشاقة، فالاختبار سبب لظهور التقوى، لا سبب للتقوى نفسها، فهو من إطلاق السبب على المسبب، أي فالاختبار يظهر ما كان كامناً في النفس من التقوى، كما أن سماع الألحان يظهر ما كان كامناً في النفس من الحب فتدبر. قوله: [ونزل في قوم] أي وهم وفد بني تميم.

قوله: ﴿من وراء الحجرات﴾ أي من خارجها، خلفها أو قدامها لأن ﴿وراء﴾ من الأضداد تكون بمعنى خلف، وبمعنى قدام، قال مجاهد وغيره: نزلت في أعراب بني تميم، قدم وفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ونادوا النبي ﷺ من وراء الحجرات، أن أخرج إلينا، فإن مدحنا زين، وذمنا شين، وكانوا سبعين رجلاً قدموا الفداء ذراري لهم، وكان النبي ﷺ نائماً للقائلة، وسئل ﷺ فقال: هم جفاة بني تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال، لدعوت الله عليهم أن يهلكهم، وقيل: كانوا تجاوزوا شفعاء في أسارى بني عنبر، فأعتق رسول الله ﷺ نصفهم، وفادى نصفهم، ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء. قوله: [وهي ما يحجر عليه] أي يحوط عليه للمنع من الدخول. قوله: [كأن كل واحد منهم] الخ أتى بصيغة لا جزم فيها، لأن المقام مقام احتمال، وذلك لأن مناداتهم، يحتمل أن تكون كما قال المفسر، أو الكل وقفوا على كل حجرة ونادوه منها. قوله: [مناداة الأعراب] معمول لينادونك.

قوله: ﴿أكثرهم لا يعقلون﴾ المراد بالأكثر الكل، لأن العرب قد تعبر بالأكثر وتريد الكل. قوله: [محلك الرفيع] معمول ليعقلون، وفي نسخة بمحلك، فيكون معمولاً لفعلوه، فالمحل على الأول المكانة والرتبة، وعلى الثاني الدار المحسوسة، ومعنى الرفيع على الأول العلي القدر، وعلى الثاني المحفوظ من إساءة الأدب لحلولك فيه، فإن الظرف يعظم بالمظروف، قال الشاعر:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

قوله: [أنهم في محل رفع بالابتداء] هو قول سيبويه، ولا يحتاج إلى خبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه، وقيل: الخبر محذوف وجوباً لوقوعه بعد ﴿لو﴾. قوله: [أي ثبت] بيان للفعل المقدر، والمعنى ثبت صبرهم وانتظارهم، وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين، ورجح بأن فيه إبقاء له على الاختصاص بالفعل. قوله: ﴿لكان خيراً لهم﴾ أي لكان الصبر خيراً لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول، الموجبين للثناء والثواب، قال العارفون: الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى، وسعادة الدنيا والآخرة. قوله: [ونزل في الوليد بن

** أسباب نزول الآية ٤: قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك﴾ الآيتين، أخرج الطبراني وأبو يعلي بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: جاء ناس من العرب الى حجر النبي ﷺ فجعلوا ينادون: يا محمد يا محمد، فأنزل الله ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ الآية، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن مدحي زين وإن شتمي شين، فقال النبي ﷺ: ذاك هو الله، فنزلت ﴿إن الذين ينادونك﴾ الآية، مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذي بدون نزول الآية، وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن، وأخرج أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فلم يجبه فقال: يا محمد إن حمدي لزين وإن ذمي لشين، فقال: ذلكم الله.

الجاهلية فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهمّ النبي ﷺ بغزوهم فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾: خبر ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: صدقه من كذبه وفي قراءة فتثبتوا من الثبات ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا﴾: مفعول له أي خشية ذلك ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: حال من الفاعل أي جاهلين ﴿فَتُصْبِحُوا﴾: تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾: من الخطأ بالقوم ﴿نَادِمِينَ﴾ ٦: وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾: فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي

عقبة] بن أبي معيط، أخو عثمان بن عفان لأمه، وذلك أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني المصطلق بعد الوقعة معهم، والياً يجبي الزكاة، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إنهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه، ونؤدي إليها ما قبلنا من حق الله، فبدا له الرجوع، فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك، لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله، وبعث خالد بن الوليد في عسكره خفية، وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال: انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم، فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك، فافعل فيهم ما تفعل في الكفار، ففعل ذلك خالد، ووافاهم عند الغروب، فسمع منهم أذان صلاة المغرب والعشاء، ووجدهم مجتهدين في امتثال أمر الله، فأخذ منهم صدقات أموالهم، ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، وانصرف إلى رسول الله وأخبره الخبر، فنزلت الآية، واستشكل بأن الوليد صحابي جليل، ولا يليق إطلاق لفظ الفاسق عليه، فإن المراد به الكافر، قال تعالى ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾ إلى غير ذلك. وأجيب: بأن الذي وقع من الوليد توهم وظن، فترتب عليه الخطأ، وإنما سماه الله فسقاً، تنفيراً عن هذا الفعل، وزجراً عليه، ويؤخذ من الآية حرمة النميمة، وتعظيم كيفية ردها على صاحبها. قوله: [مصدقاً] بتخفيف الصاد، أي يأخذ الصدقات.

قوله: [لترة] بكسر التاء وفتح الراء، أي عداوة.

قوله: ﴿إن جاءكم فاسق﴾ المقصود من الآية أي نمام، فإن النمام فاسق، وليس المقصود عين الوليد، فإنه ليس بفاسق، بل هو صحابي جليل، وإن كان سبب النزول واقعته. قوله: ﴿أن تصيبوا قوماً﴾ أي بالقتل والسبي. قوله: ﴿نادمين﴾ أي مغتمين لما وقع منكم. قوله: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ أي فلا تكذبوا عليه، فإن الله يعلمه

---

* أسباب نزول الآية ٦: وأخرج ابن جرير وغيره عن الأقرع أيضاً أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخرج الينا فنزلت قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق﴾ أخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني الى الإسلام فأقررت به ودخلت فيه ودعاني الى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع الى قومي فأدعوهم الى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فترسل إلي لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة وبلغ الإبان احتبس الرسول فلم يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة فدعا سروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان قد وقت وقتاً يرسل إلي رسوله ليقبض ما عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أدري حبس رسوله إلا من سخطه فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ما كان عنده فلما أن سار الوليد فرق فرجع فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث الى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث فقال لهم: الى أين بعثتم؟ قالوا: اليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتاني فلما دخل على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي، قال: لا والذي بعثك بالحق فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ الى قوله ﴿والله عليم حكيم﴾ رجال اسناده ثقات. وروى الطبراني نحوه من حديث جابر بن عبد الله وعلقمة بن ناجية وأم سلمة وابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس ومن طرق أخرى مرسلة.

كَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾: الذي تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنِتُّمْ﴾: لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾: حسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾: استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حبب إليه الإيمان الخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾: فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ ٧: الثابتون على دينهم ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل ﴿وَنِعْمَةً﴾: منه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ ٨: في إنعامه عليهم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الآية نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حماراً ومر على ابن أبي فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه

ببواطنكم فتفتضحوا. قوله: ﴿لو يطيعكم﴾ الخ، حال من الضمير المجرور في ﴿فيكم﴾ والمعنى: أنه فيكم كائناً على حالة منكم يجب تغييرها، وهي أنكم تودون أن يتبعكم في كثير من الحوادث، ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهل، لكن عصمة الله رحمة بكم. قوله: [لأثمتم دونه] أي فلا يأثم لعذره، وقوله: [إثم التسبب] أي لا إثم الفعل لأنكم لم تفعلوا، وقوله: [إلى المرتب] أي الذي يرتبه النبي ﷺ على أخباركم ويفعله، كقتال بني المصطلق.

قوله: ﴿حبب إليكم الإيمان﴾ أي الكامل، وهو التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وإذا حبب إليهم الإيمان، الجامع للخصال الثلاث، لزم كراهتهم لأضدادها، فلذلك قال: ﴿وكره إليكم الكفر﴾ الذي هو مقابله التصديق بالجنان، والفسوق الذي هو مقابله الإقرار باللسان، والعصيان الذي هو مقابلة العمل بالأركان. قوله: [استدراك من حيث المعنى] الخ أشار بذلك لدفع ما قيل إن، لكن يشترط أن يكون ما بعدها مخالفاً لما قبلها نفياً وإثباتاً، وتوضيح الجواب: أن الذين حبب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم، فإن ما قيل: لكن يوهم أنهم على غير استقامة مع الله ومع رسوله، فهو استدراك بحسب المعنى. قوله: [مصدر منصوب] الخ فيه مسامحة، إذ هو اسم مصدر، والمصدر إفضال، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله عامله حبب، وما بينهما اعتراض، وفي هذه الآية تنبيه على أن السعادة العظمى، محبة الله ورسوله، وكراهة أهل الكفر والفسوق. قوله: [هي أن النبي ﷺ ركب حماراً] الخ ذكر القصة مختصرة ورواها الشيخان بطولها وحاصلها: أنه روي عن أسامة بن زيد، أنه ﷺ ركب على حمار عليه إكاف، تحته قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: فسار النبي ﷺ حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن

---

* أسباب نزول الآية ٩: قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان﴾. أخرج الشيخان عن أنس أن النبي ﷺ ركب حماراً وانطلق الى عبد الله بن أبي فقال: إليك عني فقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحماره أطيب ريحاً منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فنزلت فيهم ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾. وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي مالك قال: تلاحى رجلان من المسلمين فغضب قوم هذا لهذا، وهذا لهذا، فاقتتلوا بالأيدي والنعال، وأنزل الله ﴿وإن طائفتان﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحبه امرأة يقال لها أم زيد وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له وإن المرأة بعثت الى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم وفاؤوا الى أمر الله. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين فيدعون الى الحكم فيأبون أن يجيبوا، فأنزل الله ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ الآية. وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر: لآخذن عنوة لكثرة عشيرته، وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي ﷺ فأبى فلم يزل الأمر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف.

فقال ابن رواحة والله لبول حمارة أطيب ريحاً من مسكك فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف ﴿اقْتَتَلُوا﴾: جمع نظراً إلى المعنى لأن كل طائفة جماعة وقرىء اقتتلتا ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾: ثني نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِنْ بَغَتْ﴾: تعدت ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ﴾: ترجع ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: الحق ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾: بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُوا﴾: اعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا وقرىء إخوتكم بالفوقانية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ﴾: الآية نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب والسخرية الازدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾: أي رجال منكم ﴿مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾: عند الله ﴿وَلَا نِسَاءٌ﴾: منكم

أبيّ، وإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبيّ أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلّم رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبيّ بن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، أي لا شيء أحسن منه إن كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاء فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فما لبث المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتحاربون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكتوا. اهـ. قوله: [ومر على ابن أبيّ] أي وكان من الخزرج، وقوله: [فقال ابن رواحة] أي وكان من الأوس. قوله: [وسد ابن أبيّ أنفه] أي وقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك. قوله: [فكان بين قوميهما] أي وهما الأوس والخزرج. قوله: [والسعف] أي وهو جريد النخل، إذا كان عليه الخوص، فإن جرد منه قيل له عسيب. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً.

قوله: ﴿فإن بغت إحداهما﴾ أي أبت النصيحة والإجابة إلى حكم الله. قوله: ﴿حتى تفيء﴾ ﴿حتى﴾ هنا للغاية، والنصب بأن المضمرة بعدها، أي إلى أن ترجع الخ. قوله: ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ أي بالنصح والدعاء إلى حكم الله. قوله: [بالإنصاف] أي فلا تجوروا على إحدى الطائفتين، بل احكموا بينهما بالإنصاف. قوله: [اعدلوا] أشار به إلى أن أقسط معناه عدل، فهمزته للسلب، بخلاف قسط فمعناه جار، قال تعالى ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾. قوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ كالتعليل لما قبله. قوله: ﴿إخوة﴾ [في الدين] أي من حيث إنهم ينتسبون الى أصل واحد وهو الإيمان.

قوله: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ خص الاثنين بالذكر، لأنهما أقل من يقع بينهما النزاع، فإذا ألزمت المصالحة بين الأقل، كانت بين الأكثر أولى. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً، وهذه القراءة تدل على أن قراءة التثنية معناها الجماعة. قوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي على تقواكم، وفي هذا الترجي إطماع من الكريم الرحيم.

قوله: ﴿لا يسخر قوم﴾ الخ، يقال: سخر منه سخراً، من باب تعب، والاسم السخرية بضم السين وكسرها، والسخرة بوزن غرفة، ما سخرته من خادم أو دابة بلا أجرة أو ثمن. قوله: [حين سخروا من فقراء المسلمين] أي لما رأوا من رثاثة حالهم وتقشفهم، وهذا كان من أول إسلامهم قبل تمكنهم منه، وإلا فقد صاروا بعد ذلك إخواناً متحابين في الله. قوله: [كعمار] الخ أي وهم أهل الصفة، الذين قال الله فيهم ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ الآية. قوله: [أي رجال منكم] أشار بذلك الى أن القوم اسم جمع، بمعنى الرجال خاصة، واحده في المعنى رجل، وقيل:

﴿مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لا تعيبوا فتعابوا أي لا يعب بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: لا يدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه ومنه يا فاسق يا كافر ﴿بِئْسَ الْإِسْمُ﴾: أي المذكور من السخرية

جمع لا واحد له، من لفظه يدل على تخصيصه بالرجال، مقابلته بقوله: ﴿ولا نساء من نساء﴾ وهذا هو الموافق لأصل اللغة، قال الشاعر:

وما أدري ولست إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

وأما قوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ ونحوه فالمراد ما يشمل النساء، لكن بطريق التبع لأن قوم كل نبي رجال ونساء، وسمي الرجال قوماً لأنهم قوامون على النساء. قوله: [منكم] قيد به قوم المرفوع، وتركه في المجرور، ويصح تقييده بكل، ويقال نظيره في قوله: ﴿ولا نساء﴾ الخ. قوله: ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ الجملة مستأنفة لبيان العلة الموجبة للنهي، ولا خبر لعسى لأنه يغني عنه فاعلها، والمعنى: لا يحتقر أحد أحداً، فلعل من يحتقر، يكون عند الله أعلى وأجل ممن احتقره، وبالجملة فينبغي للإنسان أن لا يسخر بأخيه في الدين، بل ولا بأحد من خلق الله، فلعله يكون أخلص ضميراً، وأتقى قلباً ممن سخر به، ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الأمر، حتى قال بعضهم: لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه، لخشيت أن أصنع مثل ما صنع، وقال عبد الله بن مسعود: البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب، لخشيت أن أحول كلباً. قوله: ﴿ولا نساء من نساء﴾ قال أنس: نزلت في صفية بنت حيي، بلغها أن حفصة قالت: بنت يهودي فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وعمك نبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفتخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة. وذكر النساء لمزيد الإيضاح والتبيين، ولدفع توهم أن هذا النهي خاص بالرجال. قوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ اللمز في الأصل الإشارة بالعين ونحوها. قوله: [ولا تعيبوا فتعابوا] أشار بذلك الى توجيه قوله: ﴿أنفسكم﴾ وذلك لأن الإنسان إذا عاب غيره، عابه ذلك الغير، فقد عاب الشخص نفسه بتسببه. قوله: [أي لا يعب بعضكم بعضاً] هذا توجيه آخر، فكان الأولى للمفسر أن يأتي بأو، والمعنى: أن المؤمنين كشخص واحد، فمن عاب غيره، كأنه عاب نفسه، ومن هذا المعنى قول العارف:

إذا شئت أن تحيا سعيداً من الردى ... وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايباً ... فدعها وقل يا عين للناس أعين
فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي أحسن

قوله: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ النبز بفتح الباء اللقب مطلقاً، حسناً أو قبيحاً، ثم صار مخصوصاً بما يكرهه الشخص، وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الأنصاري: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله، إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزل الله

---

* أسباب نزول الآية ١١: قوله تعالى: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾. أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبي جبير بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الإسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكرهه فنزلت ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ قال الترمذي: حسن، وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضاً قال: كانت الألقاب في الجاهلية فدعا النبي ﷺ رجلا منهم بلقبه فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه فأنزل الله ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾، ولفظ أحمد عنه قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾، قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت.

واللمز والتنابز ﴿الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾: بدلٌ من الاسم لإفادة أنه فسق لتكرره عادة ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾: من ذلك ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ۱۱ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾: أي مؤثم وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾:

هذه الآية، ومن ذلك الشتم كقولك لأخيك: يا كلب يا حمار ونحو ذلك، والمراد بهذه الألقاب ما يكرهه المخاطب، وأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها، كالأعمش والأعرج، وما أشبه ذلك، فلا بأس بها، إذا لم يكرهه المدعو بها، وأما الألقاب التي تشعر بالمدح فلا تكره، كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: فاروق، ولعثمان: ذو النورين، ولعلي: أبو تراب، ولخالد: سيف الله، ونحو ذلك. قوله: ﴿بئس الاسم﴾ ﴿بئس﴾ فعل ماض، والاسم فاعل، وقوله: ﴿الفسوق﴾ بدل من الاسم كما قال المفسر، وعليه فالمخصوص بالذم محذوف تقديره هو، والأوضح إعرابه مخصوصاً بالذم، والمراد بالاسم الذكر المرتفع. قوله: ﴿الفسوق بعد الإيمان﴾ أي الاتصاف بالفسوق، بعد الاتصاف بالايمان، والمراد بالفسوق: الخروج عن الطاعة. قوله: [لإفادة أنه] أي ما ذكر من السخرية، الخ. قوله: [لتكرره عادة] أي إنه وإن كان المذكور صغيرة لا يفسق بها، لكنه في العادة يتكرر، فيصير كبيرة يفسق بها. قوله: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ أي الضارون لأنفسهم بمعاصيهم ومخالفاتهم، ففي هذه الآيات وصف المؤمنين بالفسق والظلم، وإن كان في غالب الآيات إطلاق الفسق والظلم على أهل الكفر. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ قيل: نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين، يخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل، فيهيء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب، فضم سلمان الى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل، فغلبته عيناه فنام، ولم يهيء لهما شيئاً، فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئاً؟ قال: لا، غلبتني عيناي، قالا له: انطلق إلى رسول الله فاطلب لنا منه طعاماً، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ فسأله طعاماً، فقال رسول الله: انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له: إن كان عنده فضل طعام وإدام فليعطك، وكان أسامة خازن طعام رسول الله ﷺ وعلى رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا: كان عند أسامة ولكن بخل، فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة، فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع قالوا: لو بعثناك إلى بئر سمحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان، هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله، فلما جاءا إلى رسول الله قال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ قالا: والله يا رسول الله، ما تناولنا يومنا هذا لحماً، قال: ظلمتما تأكل لحم سلمان وأسامة، فنزلت الآية، والمعنى: أن الله تعالى نهى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شراً، كأن يسمع من أخيه المسلم كلاماً لا يريد به سوءاً، أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءاً، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءاً، لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحاً، وفي نفس الأمر لا يكون كذلك، لجواز أن يكون فاعله ساهياً، ويكون الرائي مخطئاً، فأما أهل السوء والفسق المتجاهرين بذلك، فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم.

قوله: ﴿كثيراً من الظن﴾ أبهم الكثير إشارة إلى أنه ينبغي الاحتياط والتأمل في كل ظن، خوف أن يقع في منهي عنه، قال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما إثم، وهو أن يظن ويتكلم به، والآخر ليس بإثم، وهو أن يظن ولا يتكلم به. قوله: [وهو] أي بعض الظن كثير، وقوله: [وهم] أي أهل الخير. قوله: [بخلافه بالفساق منهم] أي المؤمنين، وقوله: [في نحو ما يظهر منهم] أي نحو المعاصي التي تظهر منهم، بأن يتجاهروا بها.

قوله: ﴿ولا تجسسوا﴾ العامة على قراءته بالجيم، وقرئ شذوذاً بالحاء، واختلف فقيل معناهما واحد، وقيل التجسس بالجيم البحث عما يكتم عنك، والتحسس بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها، والمعنى: خذوا ما ظهر، ولا

حُذِف منه إحدى التاءَيْن لا تتبعوا عَوْرات المسلمين ومعايبهم بالبَحْث عنها ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾: لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾: بالتخفيفِ والتشديدِ أي لا يَحْسن به ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: أي فاغتيابه في حياته كأكل لَحْمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأوّل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي عِقابه في الاغتياب بأنْ تتوبوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾: قابل توبة التائبين ﴿رَحِيمٌ﴾ [١٢]: بهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾: آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً﴾: جمع شَعْب بفتح الشين هو أعلى

تتبعوا عَوْرات المسلمين، فإن مَنْ تتبّع عَوْراتهم تتبعَ الله عَوْرته حتى يفضحه ولو في جَوْف بيته. قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ اعلمْ أن الغيبة ثلاثة أوجه في كتاب الله تعالى: الغيبة والإفك والبهتان، فأما الغيبة فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان فهو أن تقول فيه ما ليس فيه، وقيل: إن كلاً يطلق على كل وهو المشهور.

ـ واعلمْ ـ أنّ هذه الأمور المُتقدِّم ذكرها كبائر تحتاج لتوبة، وهل تفتقر لاستحلال المغتاب ونحوه أو لا؟ فقال جَماعة: ليس عليه استحلال، بل يكفيه التوبة بينه وبين الله، لأن المظلمة ما تكون في النفس والمال، ولم يأخذ من ماله ولا أصاب من بَدَنه ما ينقصه، وقال جماعة: يجب عليه أن يستغفر لصاحبها؛ لما وَرد عن الحسن: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، وقال جماعة: عليه الاستحلال منها ولو إجمالاً، ويستثنى من الغيبة المحرّمة سبعة أمور نظمها بعضهم بقوله:

تظلم واستغث واستفت حذّر وعرّف بدعة فسق المجاهر

قوله: ﴿أيحب أحدكم﴾ الخ تمثيلٌ لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على أقبح وجه، وإنما مثله بهذا لأن أكل لحم الميت حرام في الدِّين، وقبيح في النفوس. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لا يحسن به] تفسير لميتاً. قوله: [لا] أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿فكرهتموه﴾ الضمير عائد على الأكل المفهوم من ﴿يأكل﴾. قوله: [أي فاغتيابه في حياته] الخ، في هذا التمثيل إشارة الى أن عِرْض الإنسان كلحمه ودمه، لأن الإنسان يتألم قلبه من قَرْض عِرْضه، كما يتألم جسمه من قطع لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الأنسان، لم يحسن منه قرض عرضه بالأولى. قوله: [قابل توبة التائبين] يشير به الى أن المبالغة في تواب، للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده، لأنه ما من ذنب إلا ويعفو الله عنه بالتوبة إذا استوفيت شروطها. واعلمْ أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ وقال هنا ﴿إن الله تواب رحيم﴾ لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ ذكر النفي الذي هو قريب من النهي، وفي الثانية كان الابتداء بالأمر في قوله: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ ذكر الاثبات الذي هو قريب من الأمر تأمل.

قوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ اختلف في سبب نزول هذه الآية، فقال ابن عباس: لما كان يوم

---

* أسباب نزول الآية ١٢: قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجل أكله ورقاده فنزلت.

* أسباب نزول الآية ١٣: قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقي بلال على ظهر الكعبة فأذن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره فأنزل الله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ الآية. وقال ابن عساكر في مبهماته: وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر بن أبي داود أخرج في تفسير له أنها نزلت في أبي هند، أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا. فنزلت الآية.

طبقات النسب ﴿وقبائل﴾: هي دون الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها مثاله خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر العين قصي بطن هاشم فخذ العباس فصيلة ﴿لتعارفوا﴾: حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضكم بعضاً لا لتفاخروا بعلو النسب وإنما الفخر بالتقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم﴾ بكم ﴿خبير﴾ ١٣: ببواطنكم ﴿قالت الأعراب﴾ نفر من بني أسد ﴿آمنا﴾: صدقنا بقلوبنا ﴿قل﴾: لهم

فتح مكة، أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذّن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي الفيض: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحرث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال سهل بن عمرو: وإن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: أنا لا أقول شيئاً أخاف أن يخبره رب السماوات، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، زجراً لهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء، وأن المدار على التقوى، لأن الجميع من آدم وحواء، وإنما الفضل بالتقوى، وقيل: نزلت في أبي هند، حين أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم، فقالوا لرسول الله: نزوج بناتنا موالينا؟ وقيل: نزلت في قيس بن ثابت حين قال له رجل: افسح لي، فقال: إن ابن فلانة يقول: افسح لي، كناية عن استخفافه به، فقال رسول الله ﷺ: من الذاكر فلانة؟ قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: انظر في وجوه القوم، فنظر فقال له النبي ﷺ: ما رأيت؟ قال ثابت: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى، ونزل فيه أيضاً قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ الآية. قوله: [آدم وحواء] لف ونشر مرتب. قوله: [هو أعلى طبقات النسب] أي فالشعوب رؤوس القبائل، وسمي شعباً لتشعب القبائل منه. قوله: [ثم الفصائل آخرها] أي فالمراتب ست، وزاد بعضهم سابعة وهي العشيرة، وكل واحدة تدخل فيما قبلها، فالقبائل تحت الشعوب، والعمائر تحت القبائل، والبطون تحت العمائر، والأفخاذ تحت البطون، والفصائل تحت الأفخاذ، والعشائر تحت الفصائل. قوله: [بكسر العين] أي وفتحها ففيها لغتان، لكن الأفصح الفتح. قوله: [ليعرف بعضكم بعضاً] أي فتصلوا أرحامكم وتنتسبوا لآبائكم. قوله: [وإنما الفخر بالتقوى] أي الافتخار المحمود، إنما يكون على أهل الكفر بترك الشرك والتمسك بالاسلام وشعائره.

قوله: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ أي أعزكم عند الله أكثركم تقوى، فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والآخرة، وانظر إلى قوله: ﴿أتقاكم﴾ ولم يقل أكثركم مالاً ولا جاهاً، ولا احسنكم صورة، ولا غير ذلك من الأمور التي تفنى. قوله: ﴿إن الله عليم﴾ أي يعلم ظواهركم خبير يعلم بواطنكم، فلا يخفى عليه شيء. قوله: [نفر من بني أسد] أشار بذلك إلى سبب نزول هذه الآية، وذلك أنهم قدموا على رسول الله ﷺ في سنة مجدبة فأظهروا الاسلام، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طريق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، ونحن جئناك بالأطفال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على رسول الله ﷺ ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا، فنزلت هذه الآية. قوله: [صدقنا بقلوبنا] جواب عما يقال: إن الإسلام والإيمان متلازمان، فأجاب: بأن المنفي هنا الايمان بالقلب، والمثبت الانقياد ظاهراً، فهما متغايران بهذا الاعتبار، وأما الإسلام والايمان الشرعيان المعتبران متحدان ما صدقا، وإن كان مفهومهما مختلفاً، إذ الايمان هو التصديق القلبي بشرط التعلق بالشهادتين، والاسلام الانقياد الظاهري الناشىء عن التصديق القلبي.

﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: أي انقدنا ظاهراً ﴿وَلَمَّا﴾: أي لم ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: إلى الآن لكنه يتوقع منكم ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾: بالهمز وتركه وبإبداله ألفاً لا ينقصكم ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾: أي من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ ١٤: بهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فجهادهم يظهر صدق إيمانهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ١٥: في إيمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: مضعف علم بمعنى شعر أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٦ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾: من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾:

قوله: ﴿قل لم تؤمنوا﴾ أي فلا تقولوا آمنا، قوله: ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أي فحصل منكم الاسلام ظاهراً، ففي الآية احتباك، حذف من كل نظير ما أثبت في الآخر. قوله: [إلى الآن] أخذه من لما، لأن نفيها مختص بالحال، قوله: [لكنه يتوقع منكم] أشار إلى أن منفي لما متوقع الحصول، ففيه بشارة لهم بأنهم سيؤمنون وقد حصل، وبهذا اندفع ما قد يتوهم من أن هذه الجملة مكررة مع قوله: ﴿لم تؤمنوا﴾ وإيضاح الجواب أن هذه الجملة أفادت معنى زائداً، وهو نفي الإيمان مع توقع حصوله، بخلاف الأولى فإنها أفادت نفيه فقط. قوله: [بالهمز] أي من ألت من بابي ضرب ونصر. قوله: [وتركه] أي من لات يليت كباع يبيع، فحذفت منه عين الكلمة وهي الياء، وقيل هو من ولت يلت، كوعد يعد، فحذفت منه فاء الكلمة وهي الواو. قوله: [وبإبداله ألفاً] أي فالقراءات ثلاث سبعيات.

قوله: ﴿إنما المؤمنون﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ قوله: ﴿ثم لم يرتابوا﴾ أتى بثم إشارة إلى أن نفي الريب لم يكن وقت حصول الإيمان، بل هو حاصل فيما يستقبل فكأنه قال: ثم داموا على ذلك. قوله: ﴿في سبيل الله﴾ أي طاعته. قوله: [فجهادهم يظهر صدق إيمانهم] أي أن الجهاد في سبيل الله دل على أنهم صادقون في الإيمان وليسوا منافقين، وهو جواب عن سؤال وهو أن العمل ليس من الإيمان، فكيف ذكر أنه منه في هذه الآية؟ وإيضاح الجواب عنه: أن المراد من الآية الإيمان الكامل. قوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ فيه تعريض بكذب الأعراب في ادعائهم الإيمان، فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله يحلفون أنهم مؤمنون صادقون، وعلم الله منهم غير ذلك، فأنزل الله ﴿قل أتعلمون الله﴾ الخ. قوله: [مضعف علم بمعنى شعر] أي وهو بهذا المعنى متعد لواحد فقط، وبواسطة التضعيف يتعدى لاثنين، أو لهما بنفسه، والثاني بحرف الجر. قوله: ﴿والله يعلم ما في السموات﴾ الخ، الجملة حالية.

قوله: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ أي يعطون إسلامهم منة عليك. قوله: [من غير قتال] أي لك ولأصحابك.

---

* أسباب نزول الآية ١٧: قوله تعالى: ﴿يمنون﴾ الآية، أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن أبي أوفى أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان فأنزل الله ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ الآية، وأخرج البزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن الحسن وأن ذلك لما فتحت مكة، وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع وفيهم طلحة بن خويلد، ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، انا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يا رسول الله ولم تبعث الينا بعثاً ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ الآية. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبي ﷺ فقالوا: جئناك ولم نقاتلك فأنزل الله ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ الآية.

منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أنْ في الموضعين ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٧ في قولكم آمنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي ما غاب فيهما ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ١٨: بالياء والتاء لا يخفى عليه شيء منه.

قوله: [ويقدر] أي الخافض الذي هو الباء. والحاصل أنه مقدر في ثلاثة مواضع: الأول منها قوله: ﴿أن أسلموا﴾. الثاني قوله: ﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم﴾. الثالث قوله: ﴿أن هداكم﴾ فموضعان فيهما ﴿أن﴾ وموضع خال عنها.

قوله: ﴿أن هداكم للإيمان﴾ أي على حسب زعمكم، كأنه قال: إن إيمانكم على فرض حصوله منة من الله عليكم.

قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿إن الله يعلم غيب السموات والأرض﴾ أي فلا يخفى عليه شيء فيهما. قوله: [بالياء] أي نظراً لقوله: ﴿يمنون﴾ وما بعده، وقوله: [والتاء] أي نظراً لقوله: ﴿لا تمنوا﴾ وهما قراءتان سبعيتان.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٥٠]- سورة ق

[مكية إلَّا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية فمدنية وهي خمس وأربعون آية]

﴿قٓ﴾: الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾[١]: الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم﴾

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة ق مكية

إلا ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض﴾ الآية فمدنية. وهي خمس وأربعون آية.

أي كلها على أحد القولين، وقوله: [إلا ولقد خلقنا] على القول الآخر، فكان المناسب للمفسر أن يقول [أو إلا ولقد خلقنا] ليكون مشيراً للقولين. قوله: ﴿ق﴾ العامة على قراءته بالسكون وقرئ شذوذاً بالبناء على الكسر والفتح والضم. قوله: [الله أعلم بمراده] تقدم غير مرة أن هذا القول أصح وأسلم، وقيل هو جبل محيط بالأرض، من زمردة خضراء اخضرت السماء منه، وعليه طرفا السماء، والسماء عليه مقبية، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل، وقال وهب: أشرف ذو القرنين على جبل ق، فرأى تحته جبالاً صغاراً فقال له: ما أنت؟ قال: أنا ق، قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وما مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك، فتزلزلت تلك الأرض. فقال له: يا ق أخبرني بشيء من عظمة الله، قال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام، في خمسمائة من جبال ثلج، بعضها يحطم بعضاً، لولا هي لاحترقت من حر جهنم، ثم قال: زدني، قال: إن جبريل عليه الصلاة والسلام واقف بين يدي الله ترتعد فرائصه، يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك، فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا إله إلا الله، وهو قوله تعالى ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ وقيل: معنى ﴿ق﴾ قضي الأمر، كما قيل في حم: حم الأمر، وقيل: هو اسم من أسمائه تعالى أقسم به، وقيل هو اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو افتتاح كل اسم من أسمائه تعالى في أوله ق، كقادر وقهار وقوي، ولعظم فضل تلك السورة، كان رسول الله ﷺ يقرأ في الأضحى والفطر بها، وباقتربت الساعة، وكان يقرؤها على المنبر يوم الجمعة إذا خطب الناس. قوله: [الكريم] أي فكل من طلب منه مقصوده وجده فيه. قوله: [ما آمن كفار مكة] الخ، قدره إشارة الى أن جواب القسم محذوف، وهو أسهل الأعاريب.

قوله: ﴿بل عجبوا﴾ اضراب عن جواب القسم المحذوف لبيان أحوالهم الشنيعة، والعجب استعظام أمر خفي

﴿مُنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث ﴿فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هَٰذَا﴾: الإنذار ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ٢ ﴿أَإِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾: نرجع ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ٣: في غاية البعد ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾: تأكل ﴿مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ ٤: هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾: في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ ٥: مضطرب قالوا مرة ساحر وسحر ومرة شاعر وشعر ومرة كاهن وكهانة ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾: بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَاءِ﴾: كائنة ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾: بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾: بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ ٦: شقوق تعيبها ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على موضع إلى السماء كيف ﴿مَدَدْنَاهَا﴾: دحوناها على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً تثبتها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ ٧: يبهج به لحسنه ﴿تَبْصِرَةً﴾: مفعول له أي فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: تذكيراً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ ٨: رجاع إلى طاعتنا ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾: كثير البركة ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَحَبَّ﴾: الزرع ﴿ٱلْحَصِيدِ﴾ ٩:

شنيه، وهذا بالنسبة لعقولهم القاصرة حيث قالوا (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم). قوله: ﴿فقال الكافرون﴾ حكاية لبعض تعجبهم وأقاويلهم الباطلة. قوله: ﴿هذا شيء عجيب﴾ أي يتعجب منه لأنه خارج عن طور عقولنا. قوله: ﴿أئذامتنا﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [نرجع]. قوله: [وإدخال ألف بينهما] أي وتركه فالقراءات أربع سبعيات لا اثنتان كما توهمه عبارته. قوله: ﴿بعيد﴾ أي عن العادة.

قوله: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ رد لاستبعادهم وتعجبهم. قوله: ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ الجملة حالية، والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الأشياء، بعلم من عنده كتاب حاو محفوظ يطلع عليه. قوله: [هو اللوح المحفوظ] أي وهو من درة بيضاء، مستقرة على الهواء فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب. قوله: [فيه جميع الأشياء] يحتمل أن الجار والمجرور متعلق بالمحفوظ و[جميع] نائب فاعل متعلق به، ويحتمل أنه خبر مقدم و[جميع] مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿بل كذبوا بالحق﴾ انتقال من شناعتهم إلى ما هو أشنع، وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة. قوله: ﴿مريج﴾ [مضطرب] أي مختلط يقال: مرج الأمر، ومرج الدين اختلط.

قوله: ﴿أفلم ينظروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أغفلوا وعموا فلم ينظروا الى السماء، الخ. قوله: [كائنة] ﴿فوقهم﴾ أشار به إلى أن ﴿فوقهم﴾ حال من ﴿السماء﴾. قوله: ﴿كيف بنيناها﴾ ﴿كيف﴾ مفعول مقدم، وجملة ﴿بنيناها﴾ بدل من ﴿السماء﴾. قوله: ﴿وما لها من فروج﴾ الجملة حالية. قوله: [معطوف على موضع إلى السماء] أي المنصوب بينظروا. قوله: [يبهج به] أي يسر، وفيه إشارة إلى أن فعيل بمعنى فاعل، أي يحصل السرور به. قوله: [مفعول له] أي لأجله، ويصح أن يكونا منصوبين على المصدرية، والتقدير: بصرناهم تبصرة، وذكرناهم تذكرة. قوله: [تبصيراً منا] أي تعليماً وتفهيماً، والتبصرة والتذكرة إما عائدان على كل من ﴿السماء﴾ و﴿الأرض﴾ والمعنى خلقنا السماوات تبصرة وذكرى، والأرض تبصرة وذكرى، ويحتمل أنه لف ونشر مرتب، فالسماء تبصرة، والأرض تذكرة، والفرق بينهما أن التبصرة تكون فيما آياته مستمرة، والتذكرة فيما آياته متجددة. قوله: [رجاع إلى طاعتنا] أي ذا رجوع وإقبال عليه، فالصيغة للنسبة لا للمبالغة.

قوله: ﴿وحب الحصيد﴾ قدر المفسر الزرع إشارة إلى أنه حذف الموصوف، وأقيمت صفته مقامه. قوله:

المحصود ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾: طوالاً حال مقدرة ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ ١٠: متراكب بعضه فوق بعض ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾: مفعول له ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل هذا الإحياء ﴿ٱلْخُرُوجُ﴾ ١١: من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: تأنيث الفعل بمعنى قوم ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾: هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره ﴿وَثَمُودُ﴾: قوم صالح ﴿وَعَادٌ﴾: قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ ١٣ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: أي الغيضة قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾: هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه ﴿كُلٌّ﴾: من المذكورين ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾: كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ ١٤: وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾: أي لم نعي به فلا نعيا بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي

[المحصود] أي الذي شأنه أن يحصد كالبر والشعير، وفيه مجاز الأول، أي الزرع الذي يؤول إلى كونه محصوداً. قوله: ﴿والنخل باسقات﴾ يقال: بسقت النخلة بسوقاً من باب قعد طالت، فهي باسقة، والجمع باسقات وبواسق، وبسق الرجل بهر في علمه. قوله: [حال مقدرة] أي لأنها وقت الإنبات لم تكن طوالاً، وأفردها بالذكر لكثرة منافعها وزيادة ارتفاعها. قوله: ﴿لها طلع نضيد﴾ الجملة حال من النخل مترادفة، أو من الضمير في ﴿باسقات﴾. قوله: ﴿رزقاً للعباد﴾ منصوب على الحال، ولم يقيد العباد هنا بالانابة، وقيد به في قوله: ﴿تبصرة وذكرى﴾ لأن التذكرة لا تكون إلا لمنيب، والرزق يعم كل أحد.

قوله: ﴿وأحيينا به﴾ أي بذلك الماء، وقوله: ﴿بلدة ميتاً﴾ أي أرضاً جدبة يابسة، فاهتزت وربت بذلك الماء، وأنبتت من كل زوج بهيج. قوله: [يستوي فيه المذكر والمؤنث] جواب عن سؤال مقدر تقديره الأرض مؤنثة، فكيف وصفها بالمذكر؟ وفي هذا الجواب نظر، لأن استواء المذكر والمؤنث في فعيل وليس هنا، والصواب أن التذكير باعتبار كونه مكاناً. قوله: ﴿كذلك الخروج﴾ جملة قدم فيها الخبر لقصد الحصر، والمعنى خروجهم من قبورهم، مثل ما تقدم من عجائب خلق السماء وما بعدها. قوله: [والاستفهام للتقرير] الخ، الأولى أن يقول للإنكار والتوبيخ، وقوله: [والمعنى] الخ، غير صحيح، إذ لو نظروا وعلموا لآمنوا.

قوله: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ الخ، كلام مستأنف قصد به تقرير حقيقة البعث والوعيد لقريش، والتسلية لرسول الله. قوله: [لمعنى قوم] أي لأنه بمعنى أمة. قوله: [هي بئر] أي فخسفت تلك البئر مع ما حولها، فذهبت بهم وبأموالهم. قوله: [وقيل غيره] هو شعيب أو نبي آخر أرسل بعد صالح لبقية من ثمود. قوله: ﴿وثمود﴾ ذكرهم بعد أصحاب الرس، لأن الرجفة التي أخذتهم مبدأ الخسف لأصحاب الرس، وأتبع ثمود بعاد، لأن الريح التي أهلكتهم أثره صيحة ثمود. قوله: ﴿وإخوان لوط﴾ تقدم أنه ابن أخي إبراهيم، وأنه هاجر معه من العراق إلى الشام، فنزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسذوم، وأرسله الله إلى أهلها وهو أجنبي منهم، فكيف يقال إخوانه! أجيب: بأنه تزوج فصار صهراً لهم، فالأخوة من حيث ذلك. قوله: ﴿وأصحاب الأيكة﴾ تقدم الكلام عليهم في الشعراء. قوله: [أي الغيضة] أي وهي الشجر الملتف، وهي هنا بأل المعرفة، وفي ص والشعراء بأل ودونها قراءتان سبعيتان. قوله: [هو ملك كان باليمن] وقيل نبي وهو تبع الحميري، واسمه أسعد، وكنيته أبو قرن. قوله: ﴿كل﴾ التنوين عوض عن المضاف، أي كل أمة، والمراد بالكل الكل المجموعي. قوله: ﴿كذب الرسل﴾ أي ولو بالواسطة كتبع. قوله: ﴿فحق وعيد﴾ مضاف لياء المتكلم، حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلاً عليها. قوله: [فلا يضيق صدرك] أي لما تقدم أنه تسلية لرسول الله وتهديد لهم.

لبس﴾: شك ﴿من خلق جديد﴾ ١٥: وهو البعث ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم﴾: حال بتقدير نحن ﴿ما﴾: مصدرية ﴿توسوس﴾: تحدث ﴿به﴾: الباء زائدة أو للتعدية والضمير للإنسان ﴿نفسه ونحن أقرب إليه﴾: بالعلم ﴿من حبل الوريد﴾ ١٦: الإضافة للبيان والوريدان عرقان بصفحتي العنق ﴿إذ﴾: ناصبه اذكر مقدراً ﴿يتلقى﴾: يأخذ ويثبت ﴿المتلقيان﴾: الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله ﴿عن اليمين وعن الشمال﴾: منه ﴿قعيد﴾ ١٧: أي قاعدان وهو مبتدأ خبره ما قبله ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب﴾: حافظ ﴿عتيد﴾ ١٨: حاضر وكل منهما بمعنى

قوله: ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والأصل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يحكموا بعجزنا عن الإعادة؟ وفيه إلزام لمنكري البعث، والعي العجز. قوله: ﴿بالخلق الأول﴾ الباء سببية أو بمعنى عن، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿بل هم في لبس﴾ عطف على مقدر يقتضيه السياق، كأنه قيل: هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول، بل هم في خلط وشبهة من خلق جديد، لما فيه من مخالفة العادة، وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات. قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ المراد به الجنس الصادق بآدم وأولاده. قوله: [حال بتقدير نحن] أي لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالاً لا تقترن بالواو، بل تحوي الضمير فقط، فإن اقترنت بالواو أعربت خبر المحذوف، وتكون الجملة الاسمية حالاً، قال ابن مالك:

وذات بدء بمضارع ثبت ... حوت ضميراً ومن الواو خلت
وذات واو بعدها انو مبتدا ... له المضارع اجعلن مسندا

قوله: [ما مصدرية] أي والتقدير: ونعلم وسوسة نفسه إياه، ويصح أن تكون موصولة والضمير عائد عليها، والتقدير: ونعلم الأمر الذي تحدث نفسه به. قوله: [الباء زائدة] أي فهو نظير صوت بكذا. وقوله: [أو للتعدية] أي فالنفس تجعل الإنسان قائماً به الوسوسة. قوله: [والضمير للإنسان] أي فجعل الإنسان مع نفسه شخصين، تجري بينهما مكالمة ومحادثة، تارة يحدثها وتارة تحدثه، وهذه الوسوسة لا يؤاخذ بها الإنسان خيراً أو شراً، ومثلها الخاطر والهاجس، وأما الهم فيكتب في الخير لا في الشر، وأما العزم فيكتب خيراً أو شراً، وقد تقدم ذلك. قوله: ﴿ونحن أقرب إليه﴾ أي لأن الله لا يحجبه شيء، بل هو القائم على كل نفس، لا تخفى عليه خافية، فقربه تعالى من عبده اتصال تصاريفه فيه، بحيث لا يغيب عنه طرفة عين، قال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾.

قوله: ﴿من حبل الوريد﴾ هذا مثل في شدة القرب، والحبل العرق. قوله: [والوريدان عرقان بصفحتي العنق] أي مكتنفان صفحتي العنق في مقدمهما يتصلان بالوتين وهو عرق متصل بالقلب، وبالأبهر وهو عرق في الظهر، وبالأكحل وهو عرق في الذراع، وبالنسا وهو عرق في الفخذ، وبالأسلم وهو عرق في الخنصر متى قطع من أي جهة مات صاحبه، قال القشيري: في هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم، وروح وأنس وسكون قلب لقوم، أي بحسب تجلي الله تعالى وشهوده، فإذا شهد الإنسان جلال الله وهيبته وشدة بطشه وسرعة انتقامه، مع شدة تمكنه منه واتصال تصاريفه به، ذاب من خشية الله، وإذا شهد جمال الله ورحمته وإحسانه أنس وفرح. قوله: [يأخذ ويثبت] أي يكتبان في صحيفتي الحسنات والسيئات، وقلمهما لسانه، ومدادهما ريقه، ومحلهما من الإنسان نواجذه. قوله: [ما يعمله] مفعول ﴿يتلقى﴾. قوله: [أي قاعدان] أشار بذلك إلى أن ﴿قعيد﴾ مفرد أقيم مقام المثنى لأن فعيلاً يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع. قوله: [وهو مبتدأ خبره ما قبله] أي والجملة في محل نصب على الحال من المتلقيان.

قوله: ﴿ما يلفظ من قول﴾ الخ ﴿ما﴾ نافية و﴿من﴾ زائدة في المفعول. وقوله: ﴿لديه﴾ خبر مقدم، و﴿رقيب﴾

المثنى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: غمرته وشدته ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عياناً وهو نفس الشدة ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ١٩: تهرب وتفزع ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: للبعث ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي يوم النفخ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ ٢٠: للكفار بالعذاب ﴿وَجَاءَتْ﴾: فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾: إلى المحشر ﴿مَّعَهَا سَائِقٌ﴾: ملك يسوقها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ ٢١: يشهد عليها بعملها وهو الأيدي والأرجل وغيرها ويقال للكافر ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾: في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾: أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ٢٢: حاد تدرك به ما أنكرته في الدنيا ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾: الملك الموكل به ﴿هَٰذَا مَا﴾: أي الذي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ ٢٣: حاضر فيقال للملك ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾: أي ألق ألق أو ألقين وبه قرأ الحسن فأبدلت النون ألفاً ﴿كُلَّ

مبتدأ مؤخر، والجملة حالية. قوله: [وكل منهما بمعنى المثنى] أي فالمعنى إلا لديه ملكان موصوفان بأنهما رقيبان وعتيدان، فكل منهما موصوف بأنه رقيب وعتيد، وقوله: [حاضر] أي فلا يفارقه إلا في مواضع ثلاثة: في الخلاء، وعند الجماع، وفي حالة الجنابة، فإذا فعل العبد في تلك الحالات حسنة أو سيئة، عرفاها برائحتها وكتباها. قوله: ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ أي حضرت إما بالموت فرادى وهو ظاهر واقع، أو دفعة عند النفخة الأولى، وإنما عبر عنها بالماضي لتحقق وقوعها، وإشارة الى أنها في غاية القرب. قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للتعدية، أي أتت بالأمر الحق أي أظهرته، والمراد به ما بعد الموت من أهوال الآخرة، ومعنى كونه حقاً أنه واقع لا محالة. قوله: [وهو نفس الشدة] المناسب حذف هذه العبارة للاستغناء بما قبلها عنها، إلا أن يقال إن الضمير في [هو] عائد على أمر الآخرة، والمراد بالشدة الامر الشديد، وهو أهوال الآخرة. قوله: [تهرب] بضم الراء من باب طلب.

قوله: ﴿ونفخ في الصور﴾ عطف على قوله: ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ و﴿الصور﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل، لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وقد التقمه اسرافيل من حيث بعث رسول الله ﷺ منتظراً للاذن بالنفخ. قوله: [الى يوم النفخ] أي فالاشارة الى الزمان المفهوم من قوله: ﴿نفخ﴾ لأن الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان. قوله: ﴿معها سائق وشهيد﴾ اختلف في معنى السائق والشهيد على أقوال: أشهرها ما قاله المفسر، وقيل السائق كاتب السيئات، والشهيد كاتب الحسنات، وقيل السائق نفسه أو قرينه، والشهيد جوارحه أو أعماله، وقيل غير ذلك. قوله: [ويقال للكافر] هذا أحد قولين، وقيل إن القول يقع للمسلم أيضاً، لكن على سبيل التهنئة، ومعنى ﴿كنت في غفلة﴾ كنت في حجاب لم تشاهده بالبصر، إذ ليس راء كمن سمع، فكشفنا عنك غطاءك، فاهنأ بما رأيت، وتمل بما أعطيت من النعيم المقيم.

قوله: ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ أي حجابك، وهو الغفلة والانهماك في الشهوات. قوله: [حاد] أي نافذ لزوال المانع للإبصار. قوله: [الملك الموكل به] أي في الدنيا لكتابة أعماله، وهو الرقيب العتيد المتقدم ذكره، والمعنى أن الملك يقول: هذا عمله المكتوب عندي حاضر لدي، وقيل: المراد بقرينه الشيطان المقيض له، واسم الاشارة عائد على ذات الشخص الكافر، والمعنى يقول الشيطان: هذا الشخص الذي عندي حاضر معد ومهيأ للنار.

قوله: ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ يصح أن تكون ﴿ما﴾ نكرة موصوفة، و﴿عتيد﴾ صفتها، و﴿لدي﴾ متعلق بعتيد، أي هذا شيء حاضر عندي، ويصح أن تكون ﴿ما﴾ موصولة بمعنى الذي و﴿لدي﴾ صلتها، و﴿عتيد﴾ خبر الموصول، والموصول وصلته خبر اسم الاشارة. قوله: [أي ألق ألق] الخ، لما جعل المفسر الخطاب للواحد، احتاج للجواب عن التثنية في قوله: ﴿ألقيا﴾ فأجاب بجوابين، الأول: أنه تثنية بحسب الصورة، والأصل أن الفعل مكرر للتوحيد، فحذف

كفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ٢٤ . معاند للحق ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ : كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ : ظالم ﴿مُرِيبٍ﴾ ٢٥ : شاك في دينه ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ٢٦ : تفسيره مثل ما تقدم ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ : الشيطان ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ : أضللته ﴿وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ٢٧ : فدعوته فاستجاب لي وقال هو أطغاني بدعائه لي ﴿قَالَ﴾ : تعالى ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ : أي ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ ٢٨ : بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بد منه ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ : يغير ﴿الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ : في ذلك ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ٢٩ : فأعذبهم بغير جرم وظلام بمعنى ذي ظلم لقوله لا ظلم اليوم ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه ظلام ﴿نَقُولُ﴾ : بالنون والياء ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ استفهام تحقيق لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ : بصورة الاستفهام كالسؤال ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ٣٠ : أي لا أسع غير ما امتلأت به أي قد امتلأت ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ : قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ : مكاناً ﴿غَيْرَ

الثاني وعبّر عنهما بضمير التثنية، فعلى هذا يُعرب بحذف النون، والألف فاعل. الثاني: أن الألف ليست للتثنية، بل هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة، وأجرى الوصل هنا مجرى الوقف. قوله: [وبه قرأ الحسن] أي وهي قراءة شاذة.

قوله: [معاند] أي معرض عن الحق مخالف له. قوله: [مبتدأ ضمن معنى الشرط] المناسب أن يقول: مبتدأ يشبه الشرط. قوله: [تفسيره] أي تخريجه مثل ما تقدم، من حيث الاعتذار عن التثنية.

قوله: ﴿قال قرينه﴾ الخ أي جواباً عما ادعاه الكافر عليه بقوله: هو أطغاني، فالكافر أولاً يقول: الشيطان أطغاني. فيجيبه الشيطان بقوله: ﴿ربنا ما أطغيته﴾ وكان الأولى للمفسر أن يقدم قوله: [هو أطغاني] بأن يقول: وقال قرينه، جواباً لقوله: [هو أطغاني] ﴿ربنا﴾ الخ. قوله: ﴿لا تختصموا﴾ خطاب للكافرين وقرنائهم. قوله: [أي ما ينفع الخصام هنا] أي في موقف الحساب. قوله: ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ ظاهره أن الجملة حال من قوله: ﴿لا تختصموا﴾ وهو مشكل بأن التقديم بالوعيد في الدنيا، والاختصام في الآخرة. وأجيب: بأن الكلام على حذف، والأصل وقد ثبت الآن أني قد تقدمت إليكم الخ. قوله: [ولا بد] أي لا تطمعوا أني أبدل وعيدي، فإن وعيدي للكافرين محتم كوعدي للمؤمنين.

قوله: ﴿ما يبدل القول﴾ المراد بالقول الوعيد بتخليد الكافر في النار. قوله: [في ذلك] أي في ذلك اليوم، فاسم الاشارة عائد على يوم الحساب. قوله: [لا ظلم اليوم] أي وإذا انتفى الظلم عنه في هذا اليوم فنفي الظلم عنه في غيره أحرى، سبحان من تنزه عن الظلم عقلاً ونقلاً. قوله: [ناصبه ظلام] أي والمعنى: ما أنا بظلام يوم قولي لجهنم الخ. قوله: [استفهام تحقيق لوعده بملئها] خاطب الله سبحانه وتعالى جهنم خطاب العقلاء، وأجابته جواب العقلاء، ولا مانع من ذلك عقلاً ولا شرعاً كما ورد: تحاجت الجنة والنار، واشتكت النار إلى ربها، فلا حاجة إلى تكلف المجاز، مع التمكن من الحقيقة في هذا ونظائره مما ورد في السنة من نطق الجمادات، والمراد باستفهام التحقق التقرير، فالله تعالى يقررها بأنها قد امتلأت.

قوله: ﴿وتقول﴾ [بصورة الاستفهام كالسؤال] أي أجابته جواباً صورته استفهام، ومعناه الخبر، كما أشار له المفسر بقوله: [أي امتلأت] وإنما أجابته بصورة الاستفهام، ليكون طبق السؤال، لكن استفهام السؤال تقريري، واستفهام جوابها إنكاري، هذا ما مشى عليه المفسر، وقيل: إن الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى زدني، ويدل عليه ما جاء في الحديث من قوله ﷺ «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط وعزتك، فينزوي بعضها على بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل، حتى ينشىء الله لها

﴿بَعِيدٍ﴾³¹: منهم فيرونها ويقال لهم ﴿هَٰذَا﴾: المرئي ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾: بالتاء والياء في الدنيا ويبدل من ألمتقين قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رجّاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾³²: حافظ لحدوده ﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خافه ولم يره ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾³³: مقبل على طاعته ويقال للمتقين أيضاً ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾: أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلّموا وادخلوا ﴿ذَٰلِكَ﴾: اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾³⁴: الدوام في الجنة ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾³⁵: زيادة على ما عملوا وطلبوا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: أي أهلكنا قبل كفار

خلقاً فيسكنهم فضل الجنة» وفي رواية «فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله عليها رجله، يقول لها: قط قط، فهنالك تمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقاً» اهـ. ولفظ القدم والرجل في الحديث من المتشابه، يأتي فيه مذهب السلف والخلف، فالسلف ينزهونه عن الجارحة، ويفوضون علمه إلى الله تعالى، والخلف لهم فيه تأويل منها: أن المراد بالقدم والرجل قوم من أهل النار في علم الله، لأن القدم والرجل يطلقان في اللغة على العدد الكثير من الناس، فكأنه قال: حتى يضع رب العزة فيها العدد الكثير من الناس الموعودين بها، ويؤيده ما ورد عن ابن مسعود، أن ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت، إلا وعليه اسم صاحبه، فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته؛ فإذا استوفى ما أمر به وما ينتظره، ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة: قط قط، حسبنا حسبنا، اكتفينا اكتفينا، وحينئذ فتنزوي جهنم على من فيها وتنطق، إذ لم يبق أحد ينتظر. ومنها أن وضع القدم والرجل كناية عن تجلي الجلال عليها، فتتصاغر وتضيق وتنزوي فتقول: قط قط، وهذا هو الأقرب.

قوله: ﴿للمتقين﴾ المراد بهم من ماتوا على التوحيد. قوله: [مكاناً] قدره المفسر إشارة إلى أن قوله: ﴿غير بعيد﴾ صفة لموصوف محذوف، فهو منصوب على الظرفية لقيامه مقام الظرف، ولم يقل غير بعيدة، إما لأنه صفة لمذكر محذوف، أو لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأتى بهذه الجملة عقب قوله: ﴿وأزلفت﴾ للتأكيد، كقولهم: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل، إن قلت: إن الجنة مكان، والشأن انتقال الشخص للمكان، لا انتقال المكان للشخص. أجيب: بأنه أضاف القرب لها إكراماً للمؤمنين، كأن الإكرام ينقل لهم، وهو كناية عن سهولة وصولهم إليها. قوله: [ويبدل من المتقين] أي بإعادة الجار، وجملة ﴿هذا ما توعدون﴾ معترضة بين البدل والمبدل منه. قوله: [حافظ لحدوده] أي فحفيظ بمعنى حافظ لا بمعنى محفوظ.

قوله: ﴿من خشي الرحمن﴾ إما بدل من كل، أو مستأنف خبر لمحذوف. قوله: [خافه ولم يره] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بالغيب﴾ حال من المفعول، والمعنى خشيه، والحال أن الله غائب عنه، أي متحجب بصفة جلاله وكبريائه، ويصح أن يكون حالاً من الفاعل، والمعنى خشي الرحمن، والحال أن الشخص غائب عن الله أي محجوب عنه. قوله: [أي سالمين من كل مخوف] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بسلام﴾ حال من فاعل ﴿ادخلوها﴾ وهي حال مقارنة. قوله: [أو مع سلام] أي إن دخولهم مصحوب بالسلام من بعضهم على بعض، أو من الله وملائكته عليهم، وحينئذ فالمعنى ادخلوها مسلَّماً عليكم. قوله: ﴿ذلك﴾ [اليوم الذي حصل فيه الدخول] الخ فائدة هذا القول بشرى للمؤمنين وطمأنينة قلوبهم. قوله: ﴿لهم ما يشاؤون﴾ أي ما يشتهونه ويريدونه يحصل لهم عاجلاً، وقوله: ﴿فيها﴾ إما متعلق بـ﴿يشاؤون﴾ أو حال من ﴿ما﴾. قوله: [زيادة على ما عملوا وطلبوا] أي وهو النظر إلى وجه الله الكريم، لما قيل: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل ليلة جمعة في دار كرامته، فهذا هو المزيد، وقيل: إن السحابة تمر بأهل الجنة، فتمطرهم الحور فيقلن: نحن المزيد الذي قال الله فيه ﴿ولدينا مزيد﴾.

قريش قروناً كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾: فتشوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾٣٦: لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: لعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾٣٧: حاضر بالقلب ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾٣٨: تعب نزل رداً على اليهود في قولهم إن الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره إنما أمره إذا أراد

قوله: ﴿وكم أهلكنا﴾ الخ، ﴿كم﴾ خبرية معمولة لأهلكنا، و﴿من قرن﴾ تمييز لكم، وقوله: ﴿هم أشد منهم﴾ مبتدأ، وخبر الجملة صفة إما لكم أو لقرن، و﴿بطشاً﴾ تمييز، والمعنى: أنا أهلكنا قروناً كثيرة أشد بأساً وبطشاً من قريش، ففتشوا في البلاد عند نزول العذاب بهم، فلم يجدوا مخلصاً. قوله: ﴿فنقبوا في البلاد﴾ أي ساروا فيها طالبين الهرب. قوله: [لهم أو لغيرهم] هذا يقتضي أن جملة ﴿هل من محيص﴾ استئنائية من كلامه تعالى، وحينئذ فالوقف على قوله: ﴿في البلاد﴾ ويكون في الكلام حذف، والتقدير: ففتشوا في البلاد هاربين، فلم يجدوا مخلصاً، فهل من قرار لهم أو لغيرهم؟ وقيل: أنها من كلامهم، والتقدير: قائلين هل من محيص لنا.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ [المذكور] أي من أول السورة إلى هنا. قوله: ﴿أو ألقى السمع﴾ ﴿أو﴾ مانعة خلو تجوز الجمع وهو المطلوب، فإن الموعظة لا تفيد ولا ينتفع بها صاحبها، إلا إذا كان ذا عقل، وأصغى بسمعه وأحضر قلبه، فإن لم يكن كذلك فلا ينتفع بها. قوله: [استمع الوعظ] أي بكليته حتى كأنه يلقي شيئاً من علو إلى أسفل. قوله: ﴿وهو شهيد﴾ الجملة حالية أي ألقى السمع، والحال أنه حاضر القلب، غير مشتغل بشيء غير ما هو فيه، وحضور القلب على مراتب، مرتبة العامة أن يشهد الأوامر والنواهي من القارىء، ومرتبة الخاصة أن يشاهد الشخص منهم أنه في حضرة الله تعالى يأمره وينهاه، ومرتبة خاصة الخاصة أن يفنوا عن حسّهم ويشاهدوا أن القارىء هو الله تعالى، وإنما لسانه ترجمان عن الله تعالى.

قوله: ﴿في ستة أيام﴾ أي تعليماً لعباده التمهل والتأني في الأمور، وإلا فلو شاء لخلق الكل في أقل من لمح البصر. قوله: ﴿من لغوب﴾ ﴿من﴾ زائدة في الفاعل، واللغوب مصدر لغب من باب دخل وتعب الإعياء والتعب، والعامة على ضم اللام وقرىء شذوذاً بفتحها، والجملة إما حالية أو مستأنفة. قوله: [نزل رداً على اليهود] الخ أي فقالوا: خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه، فنزلت هذه الآية رداً عليهم وتكذيباً لهم في قولهم: استراح يوم السبت بقوله: ﴿وما مسنا من لغوب﴾. قوله: [ولعدم المماسة بينه وبين غيره] أي من الموجودات التي يوجدها، والتعب والإعياء إنما

---

* أسباب نزول الآية ٣٨: أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة الآجال حتى يموت من مات. وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فنزل ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون﴾.
وأخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ ثم أخرج عن عمر مرسلاً مثله.

شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿فَاصْبِرْ﴾: خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: أي اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: صلِّ حامداً ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: أي صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ٣٩: أي صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: أي صلِّ العشاءين ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ ٤٠: بفتح الهمزة جمع دبر وبكسرها مصدر أدبر أي صلِّ النوافل المسنونة عقب الفرائض وقيل المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابساً للحمد ﴿وَاسْتَمِعْ﴾: يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾: هو إسرافيل ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ٤١: من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿يَوْمَ﴾ بدل من يوم قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾: أي الخلق كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾: بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ﴿ذَلِكَ﴾: أي يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ ٤٢: من القبور وناصب يوم ينادي مقدراً أي يعلمون عاقبة تكذيبهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ ٤٣ ﴿يَوْمَ﴾: بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾: بتخفيف

يحصل من العلاج ومماسة الفاعل لمفعوله، كالنجار والحداد وغير ذلك، وهذا إنما يكون في أفعال المخلوقين. قوله: [إنما أمره] أي شأنه. قوله: [إذا أراد شيئاً] أي إيجاد شيء أو إعدامه. قوله: [أن يقول له كن فيكون] أي من غير فعل ولا معالجة عمل، وهذا على حسب التقريب للعقول، وإلا ففي الحقيقة، لا قول ولا كاف ولا نون. قوله: [من التشبيه] أي تشبيه الله بغيره، إذ نسبوا له الإعياء والاستراحة وغير ذلك من كفرياتهم.

قوله: ﴿وسبح بحمد ربك﴾ الخ، أي حيث لم يهتدوا ولم يتبعوك، فاشتغل بعبادة ربك، ولا تتركها حزناً على عدم إيمانهم، وذلك أن الله تعالى أمره بشيئين: هداية الخلق وعبادة ربه، فحيث فاته هدايتهم فلا يترك العبادة، لأنه ليس مأموراً بجهادهم حينئذ. قوله: [صلِّ حامداً] أشار بذلك إلى أن ﴿سبح﴾ معناه صلِّ، إما مجاز من إطلاق الجزء على الكل أو حقيقة لأن من جملة معاني الصلاة التسبيح، لما ورد عن عائشة: كنت أصلي سبحة الضحى الخ. قوله: [بفتح الهمزة جمع دبر] أي أعقاب الصلاة، من أدبرت الصلاة إذا انقضت. قوله: [وبكسرها مصدر أدبر] أي والمعنى وقت إدبار الصلاة، أي انقضائها وتمامها، والقراءتان سبعيتان. قوله: [وقيل المراد حقيقة التسبيح] أي لما ورد: من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر ثلاثاً وثلاثين، فذلك تسعة وتسعون، وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر. قوله: [مقول] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿استمع﴾ محذوف، أي استمع ما أقول لك في شأن أحوال يوم القيامة، وقوله: ﴿يوم ينادي﴾ كلام مستأنف مبين للمفعول المحذوف.

قوله: ﴿يوم يناد﴾ الوقف عليها إما بالياء أو بدونها قراءتان سبعيتان، والمناد إما بالياء وصلاً ووقفاً، أو بإثباتها وصلاً لا وقفاً، أو بحذفها وصلاً ووقفاً، ثلاث قراءات. قوله: [هو إسرافيل] هذا أحد قولين، وقيل: المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل. قوله: [أقرب موضع من الأرض إلى السماء] أي باثني عشر ميلاً. قوله: [والأوصال] أي العروق. قوله: ﴿بالحق﴾ حال من الواو، أي يسمعون ملتبسين بالحق، أو من الصيحة أي ملتبسة بالحق، وعبارة المفسر تقتضي أن الباء للتعدية. قوله: [ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده] هذا يقتضي أنها غير النداء المذكور، ومع أن النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة، فهذا الصنيع غير مستقيم، إلا على القول بأن المنادي جبريل والنافخ إسرافيل. قوله: [أي يعلمون عاقبة تكذيبهم] بيان للناصب المقدر، ولو قدره بلصقه لكان أولى.

الشين وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً﴾: جمع سريع حال من مقدّر أي فيخرجون مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ ٤٤: فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضرّ وذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: أي كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾: تجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ٤٥: وهم المؤمنون.

قوله: ﴿إنا نحن نحيي﴾ أي في الدنيا، وقوله: ﴿وإلينا المصير﴾ أي في الآخرة. قوله: [وما بينهما] أي وهو قوله: ﴿إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير﴾. قوله: [بتخفيف الشين] الخ، أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [حال من مقدر] أي ويصح أن يكون حالاً من ضمير عنهم. قوله: [للاختصاص] أي الحصر، والمعنى لا يتيسر ذلك إلا على الله وحده. قوله: ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ. قوله: ﴿بجبار﴾ صيغة مبالغة من جبر الثلاثي، ويقال أيضاً: أجبر رباعياً، فهما لغتان فيه. قوله: [وهذا قبل الأمر بالجهاد] أي فهو منسوخ. قوله: ﴿من يخاف وعيد﴾ يرسم بدون ياء، وفي اللفظ يقرأ بإثباتها وصلاً لا وقفاً، وبحذفها وصلاً ووقفاً، قراءتان سبعيتان. قوله: [وهم المؤمنون] خصهم لأنهم المنتفعون به، ويؤخذ من الآية أنه ينبغي للشخص أن لا يعظ إلا من يسمع وعظه ويقبله.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٥١] - سورة الذاريات

[مكية وهي ستون آية]

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾: الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذَرْوًا﴾[١]: مصدر ويقال تذريه ذرياً تهب به ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾: السحب تحمل الماء ﴿وِقْرًا﴾[٢]: ثقلاً مفعول الحاملات ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾: السفن تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا﴾[٣]: بسهولة مصدر في موضع الحال أي ميسرة ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[٤]: الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: ما مصدرية أي أن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾[٥]: لوعد صادق ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾: الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾[٦]: لا محالة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[٧] جمع حبيكة كطريقة وطرق أي

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الذاريات مكية

وهي ستون آية

وفي بعض النسخ والذاريات بالواو. قوله: ﴿والذاريات﴾ الواو للقسم، و﴿الذاريات﴾ مقسم به، و﴿الحاملات﴾ عطف عليه، و﴿الجاريات﴾ عطف على ﴿الحاملات﴾ و﴿المقسمات﴾ عطف على ﴿الجاريات﴾ والمقسم عليه هو قوله: ﴿إنما توعدون لصادق﴾ وإنما أقسم بهذه الأشياء تعظيماً لها، ولكونها دلائل على باهر قدرة الله، ويصح أن يكون الكلام على حذف مضاف، أي ورب هذه الأشياء، فالقسم بالله لا بتلك الأشياء. قوله: [وتذرو التراب] أي ففعله واوي من باب غدا، وأشار به إلى أن مفعول ﴿الذاريات﴾ محذوف. قوله: [مصدر] أي مؤكد وناصبه اسم الفاعل. قوله: [ويقال تذريه] أي ففعله يائي من باب رمى. قوله: [تهب به] راجع لكل من الواوي واليائي. قوله: ﴿وقراً﴾ الوقر والثقل والحمل كلها ألفاظ متحدة الوزن والمعنى. قوله: [مفعول الحاملات] أي مفعول به للحاملات. قوله: ﴿أمراً﴾ إما مفعول به أو حال أي مأمورة، وعليه فيحتاج إلى حذف مفعول ﴿المقسمات﴾. قوله: [الملائكة تقسم الأرزاق] الخ أي ورؤساء الملائكة أربعة، جبريل وهو صاحب الوحي إلى الأنبياء، وميكائيل صاحب الرزق، وإسرافيل صاحب الصور، وعزرائيل صاحب قبض الأرواح، وما مشى عليه المفسر في تفسير هذه الأشياء هو المشهور، وقيل: هذه الأوصاف الأربعة للرياح، لأنها تثير السحاب ثم تحمله وتنقله، ثم تجري به جرياً سهلاً، ثم تقسم الأمطار بتصريف السحاب. قوله: [أي إن وعدهم] صوابه بكاف الخطاب. قوله: ﴿لواقع﴾ أي حاصل.

قوله: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ بضمتين في قراءة العامة، وقرئ بوزن إبل وسلك وجبل ونعم وبرق. قوله: [في

صاحبة الطُرَق في الخلقة كالطُرَق في الرَمل ﴿إِنَّكُمْ﴾: يا أهلَ مكة في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ ٨: قيل شاعر ساحر كاهن شعرٌ سحرٌ كهانة ﴿يُؤْفَكُ﴾: يُصرف ﴿عَنْهُ﴾: عن النبي ﷺ والقرآنِ أي عن الإيمانِ به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ ٩: صُرف عن الهداية في علم اللهِ تعالى ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ ١٠: لُعِنَ الكذّابون أصحاب القولِ المختلف ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: جهلٍ يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ ١١: غافلون عن أمر الآخرة ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾: النبي استفهام استهزاءٍ ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ ١٢: أي متى مجيئه وجوابهم يجيء ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ١٣: أي يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾: تعذيبكم ﴿هَٰذَا﴾: التعذيب ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ١٤: في الدنيا استهزاء ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ١٥: تجري فيها ﴿ءَاخِذِينَ﴾: حال من الضمير في خبر إن ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾: من الثواب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: أي دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ ١٦: في الدنيا ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ١٧: ينامون وما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلاً ظرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ١٨: يقولون: اللهم اغفر لنا ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ

الخلقة] أشار به إلى أن المراد بها الطرق المحسوسة التي هي مسيرة الكواكب، ويصح أن المراد بها الطُرق المعنوية للناظرين الذين يستدلون بها على توحيد الله تعالى. قوله: ﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ جواب القسم. قوله: [قيل شاعر] الخ المناسب أن يقول قلتم. قوله: [عن النبي والقرآن] أي فالضمير عائد على أحدهما، وفيه تسلية للنبي ﷺ، أي فما من عبد كفر بك إلا لسابق كفره أزلاً، ويصح أن يكون الضمير عائداً على القول المذكور، والمعنى يصرف عن هذا القول المختلق من صرف عنه، وهو من أراد الله هدايته كالمؤمنين. قوله: ﴿قتل الخراصون﴾ هذا التركيب في الأصل، مستعمل في القتل حقيقة، ثم استعمل في اللعن على سبيل الاستعارة، حيث شبه من فاتته السعادة بالمقتول الذي فاتته الحياة، وطوي ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو القتل، فإثباته تخييل.

قوله: ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ ﴿أيان﴾ خبر مقدم، و﴿يوم الدين﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: [أي متى مجيئه] جواب عن سؤال مقدر تقديره: إن الزمان لا يخبر به عن الزمانِ، وإنما يخبر به عن الحدث. فأجاب: بأن الكلام على حذف مضاف. قوله: [وجوابهم] أي جواب سؤالهم، وإنما أجيبوا بما لا تعيين فيه، لأنهم مستهزئون لا متعلمون. قوله: ﴿على النار يفتنون﴾ عداه بعلى لتضمنه معنى يعرضون. قوله: ﴿هذا﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿الذي كنتم﴾ الخ خبره.

قوله: ﴿إن المتقين﴾ الخ، لما بين حال الكفار، وما أعد لهم في الآخرة، أخذ يبين أحوال المتقين، وما أعد لهم. قوله: [تجري فيها] جواب عما يقال: إن المتقين لم يكونوا في العيون، فكيف قال في جنات وعيون؟ فأجاب: بأن المراد أن العيون تجري في الجنة، وتكون في جهاتهم وأمكنتهم. قوله: [حال من الضمير في خبر إن] أي كائنون في جنات وعيون، حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم، أي راضين به. قوله: [من الثواب] بيان لما. قوله: ﴿كانوا قليلاً﴾ الخ تفسير للاحسان. قوله: ﴿وبالأسحار﴾ متعلق بـ﴿يستغفرون﴾ المعطوف على [يهجعون] والباء بمعنى في و﴿الأسحار﴾ جمع سحر وهو سدس الليل الأخير. قوله: [يقولون اللهم اغفر لنا] أي تقصيرنا في حقك، فإنه لا يقدرك أحد حق قدرك.

قوله: ﴿وفي أموالهم حق﴾ أي بمقتضى كرمهم، جعلوه كالواجب عليهم، كصلة الأرحام ومواساة الفقراء

---

* أسباب نزول الآية ١٩: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعد ما فرغوا فنزلت ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾.

﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ ١٩: الذي لا يسأل لتعففه ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾: من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾: دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾: آيات أيضاً من مبدأ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢١: ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾: أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ٢٢: من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾: أي ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ ٢٣ برفع مثل صفة وما مزيدة وبفتح اللام مركبة مع ما المعنى مثل نطقكم في حقيته أي معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾: خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ٢٤: وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل ﴿إِذْ﴾: ظرف لحديث ضيف ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾: أي هذا اللفظ ﴿قَالَ

والمساكين، والمعنى: أنهم بذلوا نفوسهم وأموالهم في طاعة ربهم. قوله: [لتعففه] أي فيظن غنياً فيحرم الصدقة، وهذا على حد تفسير القانع والمعتر. قوله: ﴿وفي الأرض آيات﴾ الخ الجار والمجرور خبر مقدم، و﴿آيات﴾ مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿وفي أنفسكم﴾ خبر حذف مبتدؤه لدلالة ما قبله عليه، وهو كلام مستأنف قصد به الاستدلال على قدرته تعالى ووحدانيته، وقد اشتمل على دليلين: الأرض والأنفس. قوله: [من الجبال] الخ، بيان للأرض فالمراد بها ما قابل السماء. قوله: [دلالات على قدرة الله تعالى] الخ أي وجميع صفاته الكمالية. قوله: [من مبدأ خلقكم إلى منتهاه] أي كالأطوار المذكورة في قوله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ الخ. قوله: [وما في تركيب خلقكم] الخ أي كحسن القامة وحسن الشكل ونحو ذلك. قوله: ﴿أفلا تبصرون﴾ جملة مستأنفة قصد بها الحث على النظر والتأمل.

قوله: ﴿وفي السماء رزقكم﴾ كلام آخر قصد به الامتنان والوعد والوعيد. قوله: [أي المطر المسبب عنه النبات] أي فالكلام على حذف مضاف، والتقدير وفي السماء سبب رزقكم. قوله: ﴿وما توعدون﴾ عطف عام على خاص. قوله: [أي مكتوب ذلك] أي ﴿ما توعدون﴾ فهو تفسير لظرفية ما توعدون في السماء، وأما ظرفية الرزق فيها فظاهرة إذ المطر فيها حقيقة، والمعنى: أن جميع ما توعدون به من خير وشر، مكتوب في السماء، تنزل به الملائكة الموكلون بتدبير العالم على طبق ما أمروا به.

قوله: ﴿فورب السماء والأرض﴾ الخ هذا قسم من الله تعالى، على ما ذكره من الرزق وغيره، وأنه مثل النطق في كونه حقاً لا يفارق الشخص في حال من أحواله. قوله: [أي ما توعدون] أي ورزقكم أيضاً. قوله: [برفع مثل صفة] أي لحق. قوله: [وبفتح اللام] أي والقراءتان سبعيتان. قوله: [مركبة مع ما] أي حال كونها مركبة مع ﴿ما﴾ تركيب مزج ككلما وطالما، فيقال في إعرابها ﴿مثل ما﴾ صفة ﴿لحق﴾ مبني على السكون في محل رفع، و﴿مثل ما﴾ مضاف، وجملة ﴿أنكم تنطقون﴾ مضاف إليه في محل جر. قوله: [المعنى] أي معنى القراءتين. قوله: [مثل نطقكم في حقيته] أي فكما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون، ينبغي لكم ألا تشكوا في حقيقته. حكي أن رجلاً جاع في مكان، وليس فيه شيء، فقال: اللهم رزقك الذي وعدتني فأتني به، فشبع وروي من غير طعام ولا شراب.

قوله: ﴿هل أتاك﴾ الخ استفهام تشويق وتفخيم لشأن تلك القصة، وقيل: إن ﴿هل﴾ بمعنى قد، كما في قوله تعالى ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾. قوله: ﴿ضيف إبراهيم﴾ الضيف في الأصل مصدر مضاف، ولذلك يطلق على الواحد والجماعة. قوله: ﴿المكرمين﴾ أي المعظمين. قوله: [منهم جبريل] أي على جميع الأقوال. قوله:

سلام﴾: أي هذا اللفظ ﴿قوم منكرون﴾ ٢٥: لا نعرفهم قال ذلك في نفسه وهو خبر مبتدأ مقدر أي هؤلاء ﴿فراغ﴾: مال ﴿إلى أهله﴾: سراً ﴿فجاء بعجل سمين﴾ ٢٦: وفي سورة هود بعجل حنيذ أي مشوي ﴿فقربه إليهم قال: ألا تأكلون﴾ ٢٧: عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا ﴿فأوجس﴾: أضمر في نفسه ﴿منهم خيفة قالوا لا تخف﴾: إنا رسل ربك ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ ٢٨: ذي علم كثير وهو إسحاق كما ذكر في هود ﴿فأقبلت امرأته﴾: سارة ﴿في صرة﴾: صيحة حال أي جاءت صائحة ﴿فصكت وجهها﴾: لطمته ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ ٢٩: لم تلد قط وعمرها تسعة وتسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة ﴿قالوا كذلك﴾: أي مثل قولنا في البشارة ﴿قال ربك إنه هو الحكيم﴾: في صنعه ﴿العليم﴾ ٣٠: بخلقه ﴿قال فما خطبكم﴾: شأنكم ﴿أيها

[ظرف لحديث ضيف] هذا أحد أوجه في عامل الظرف، الثاني: أنه منصوب بما في ﴿ضيف﴾ من معنى الفعل لكونه في الأصل مصدراً، الثالث: أنه منصوب بالمكرمين، الرابع: منصوب بفعل محذوف تقديره أذكر، ولا يصح نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين.

قوله: ﴿فقالوا سلاماً﴾ أي نسلم عليكم سلاماً، وقوله: ﴿قال سلام﴾ أي عليكم سلام، وعدل إلى الرفع قصداً للاثبات، فتحيته أحسن من تحيتهم. قوله: ﴿قوم منكرون﴾ أي لا نعرف من أي بلدة قدموا، وفي هود ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ فمقتضاه أن إنكارهم إنما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل، وامتناعهم من الأكل، ومقتضى ما هنا أنه قبل ذلك، وحاصل الجمع بين الموضعين، أن الإنكار هنا غيره فيما تقدم، فما هنا محمول على عدم العلم بأنهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر.

قوله: ﴿فراغ إلى أهله﴾ أي خدمه، وكان عامة ماله البقر. قوله: [سراً] أي في خفية من ضيفه، فإن من دأب رب المنزل الكريم، أن يبادر بالقرى في خفية، حذراً من أن يمنعه الضيف. قوله: ﴿فقربه إليهم﴾ عطف على محذوف، والتقدير فشواه. قوله: [عرض عليهم الأكل] أشار بذلك إلى أن ﴿ألا﴾ للعرض، وهو الطلب بلين ورفق، كما قال الشاعر:

يـا ابن الكـرام ألا تـدنـو فتبصـر مـا ... قـد حـدثـوك فمـا راء كمـن سـمـعـا

قوله: ﴿فأوجس﴾ عطف على ما قدره المفسر. قوله: ﴿خيفة﴾ أي من عدم اكلهم، فإن الضيف إذا لم يأكل من طعام رب المنزل يخاف منه. قوله: ﴿قالوا لا تخف﴾ أي لما ظهر لهم أمارات خوفه. قوله: [إنا رسل ربك] أي إلى قوم لوط، وقيل: مسح جبريل العجل بجناحه، فقام يمشي حتى لحق بأمه، فعرفهم وأمن منهم. قوله: ﴿فأقبلت امرأته﴾ أي لما سمعت البشارة المذكورة، وكانت في زاوية من زوايا البيت، فجاءت وقالت ما ذكر. قوله: [سارة] بالتخفيف والتشديد لغتان. قوله: [صيحة] تفسير لصرة، وتقدم في هود أنها ضحكت أي حاضت، فلم يكن بين البشارة والولادة إلا سنة. قوله: ﴿فصكت وجهها﴾ أي ضربته بيدها مبسوطة أو بأطراف اصابعها مثل المتعجب، وهي عادة النساء إذا انكرن شيئاً. قوله: ﴿وقالت عجوز﴾ أي أنا عجوز.

قوله: ﴿قالوا كذلك﴾ منصوب على المصدر بقال الثانية، أي مثل ذلك القول الذي أخبرناك به ﴿قال ربك﴾ أي قضى وحكم في الأزل، فلا تعجبي منه. قوله: ﴿قال فما خطبكم﴾ أي لما رأى من حالهم، وأن اجتماعهم لم يكن لهذه

ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ٣١ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ٣٢: كافرين أي قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ ٣٣: مطبوخ بالنار ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ٣٤: بإتيانهم الذكور مع كفرهم ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾: أي قرى قوم لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٥ لإهلاك الكافرين ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ٣٦: وهم لوط وابنتاه وصفوا بالإيمان والإسلام أي هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾: بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾: علامة على إهلاكهم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ٣٧: فلا يفعلون مثل فعلهم ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾: معطوف على فيها، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: ملتبساً ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ٣٨: بحجة واضحة ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾: مع جنوده لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾: لموسى هو ﴿سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: طرحناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: البحر فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾: أي فرعون ﴿مُلِيمٌ﴾ ٤٠: آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية ﴿وَفِى﴾: إهلاك ﴿عَادٍ﴾: آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ ٤١: هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا

البشارة. قوله: ﴿لنرسل عليهم حجارة﴾ استدل به على أن اللائط يرجم بالأحجار، وكان في تلك المدائن ستمائة ألف، فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلعها ورفعها، حتى سمع أهل السماء أصواتهم، ثم قلبها، ثم أرسل الحجارة على من كان منهم خارجاً عنها. قوله: ﴿مسومة﴾ إما حال من ﴿حجارة﴾ أو صفة ثانية لها.

قوله: ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ الخ، حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الإجمال، بعد حكاية ما جرى بين الملائكة مع إبراهيم. قوله: [أي قرى قوم لوط] أي وهي وإن لم تذكر، دل عليها السياق. قوله: ﴿غير بيت﴾ أي غير أهل بيت. قوله: [وهم لوط وابنتاه] أي وقيل: كانوا ثلاثة عشر منهم ابنتاه. قوله: [وصفوا بالإيمان والإسلام] أي لأن المسلم قد يكون مؤمناً وقد لا يكون. قوله: ﴿وتركنا﴾ أي ابقينا في القرى. قوله: [علامة] أي وهي تلك الأحجار والصخر المتراكم والماء الأسود المنتن، يشاهدها من يمر بأرضهم. قوله: [معطوف على فيها] أي على الضمير المجرور بفي. قوله: [المعنى وجعلنا] الخ، أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمفعول محذوف.

قوله: ﴿إذ أرسلناه﴾ الظرف متعلق بآية المحذوف، والمعنى: تركنا في قصة موسى علامة في وقت إرسالنا إياه. قوله: [ملتبساً] ﴿بسلطان﴾ الخ، أشار بذلك الى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، والباء للملابسة. قوله: [بحجة واضحة] أي وهي الآيات التسع. قوله: [كالركن] أي كركن البيت الذي يعتمد عليه، فسمى الجنود ركناً لأنه يحصل بهم التقوي والاعتماد، كما يعتمد على الركن. قوله: ﴿وقال﴾ [لموسى] أي في شأن موسى. قوله: ﴿ساحر أو مجنون﴾ يحتمل أن ﴿أو﴾ على بابها من الإبهام على السامع او للشك، نزل نفسه منزلة الشك تمويهاً على قومه، ويحتمل أنها بمعنى الواو وهو الأحسن لأنه قالهما، قال تعالى ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ وقال في موضع آخر ﴿إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون﴾. قوله: ﴿وجنوده﴾ معطوف على مفعول ﴿أخذناه﴾. قوله: ﴿وهو مليم﴾ الجملة حالية من مفعول ﴿أخذناه﴾. قوله: [آت بما يلام عليه] أشار بذلك إلى أن إسناد الإيلام مجاز عقلي على حد عيشة راضية. قوله: [من تكذيب الرسول] الخ، أشار بذلك إلى أن الفعل الذي يحصل اللوم عليه مختلف باعتبار من وصف به، فاندفع بذلك ما يقال: كيف وصف فرعون بما وصف به ذو النون.

قوله: ﴿وفي﴾ [إهلاك] ﴿عاد﴾ الخ، أي فما تقدم من تقدير المضاف، والمفعول يأتي هنا. قوله: [التي لا خير

تلقح الشجر وهي الدبور ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ﴾: نفس أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ ٤٢: كالبالي المتفتت ﴿وَفِي﴾: إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾: آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾: بعد عقر الناقة ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ٤٣: أي إلى انقضاء آجالكم كما في آية ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ ﴿فَعَتَوْا﴾: تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: أي عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: بعد مضي الثلاثة أيام أي الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ ٤٤: أي بالنهار ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾: أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ ٤٥: على من أهلكهم ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: بالجر عطف على ثمود أي وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية وبالنصب أي وأهلكنا قوم نوح ﴿مِّن قَبْلُ﴾: أي قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٤٦ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ٤٧: قادرون يقال آد الرجل يئيد قوي وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: مهدناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ ٤٨: نحن ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: صنفين كالذكر والأنثى

فيها] أي فالعقم في الأصل وصف للمرأة التي لا تلد، وصفت به الريح من حيث إنها لا تأتي بخير. قوله: [وهي الدبور] وقيل هي الجنوب، وقيل هي النكباء، وهي كل ريح هبت بين ريحين، والأظهر ما قاله المفسر لما في الحديث: «نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور». قوله: ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ هذه الجملة في محل المفعول الثاني لتذر، كأنه قال: ما تترك شيئاً إلا مجعولاً كالرميم. قوله: [البالي المتفتت] وقيل الرميم الرماد، وقيل التراب المدقوق، والمعاني متقاربة.

قوله: ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ هذا الترتيب في الذكر فقط، وإلا فقول الله لهم ﴿تمتعوا﴾ متأخر عن العتو. قوله: ﴿عن أمر ربهم﴾ أي المذكور في سورة هود بقوله ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ الخ. قوله: [أي الصيحة المهلكة] أي فصاح عليهم جبريل فهلكوا جميعاً، والصاعقة تطلق على النار تنزل من السماء، وعلى الصيحة وهو المراد هنا. قوله: [أي بالنهار] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وهم ينظرون﴾ من النظر، وقيل هو من الانتظار، والمعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب. قوله: [على من أهلكهم] المناسب أن يقول: وما كانوا دافعين عن أنفسهم العذاب، إذ لا يتوهم انتصارهم على الله، وإنما يتوهم الفرار منه. قوله: [بالجر عطف على ثمود] هذا أحد أوجه وهو أقربها. قوله: [وبالنصب] أي على أنه معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [وأهلكنا] وفيه أوجه أخر، وهذا أحسنها، وقيل منصوب باذكر مقدراً، والقراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بالرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف أي اهلكناهم.

قوله: ﴿والسماء بنيناها﴾ قرأ العامة بنصب السماء على الاشتغال. وكذا قوله: ﴿والأرض فرشناها﴾ وقرئ شذوذاً برفعهما على الابتداء، والخبر ما بعدهما، والأفصح في النحو قراءة العامة لعطف الفعلية على الفعلية. قوله: ﴿بأيد﴾ حال من فاعل ﴿بنيناها﴾ والمعنى بنيناها حال كوننا ملتبسين بقوة وبطش، لا بواسطة شيء، بل بقول كن. قوله: [قادرون] فسر الإيساع بالقادرية، إشارة الى أن قوله: ﴿إنا لموسعون﴾ حال مؤكدة، وهو من أوسع اللازم، كأورق الشجر إذا صار ذا ورق، ويستعمل متعدياً، والمفعول محذوف أي لموسعون السماء، أي جاعلوها واسعة، وعليه فتكون حالاً مؤسسة، إذا علمت ذلك، تعلم أن النسخ التي فيها لفظة لها بعد موسعون غير صحيحة، لأنها لا تناسب إلا استعماله متعدياً، والمفسر استعمله لازماً حيث قال [وأوسع الرجل] الخ. قوله: [يقال آد الرجل] أي اشتد وقوي كما في المختار، وبابه باع. قوله: [مهدناها] أي فالفرش كناية عن البسط والتسوية. قوله: [نحن] أي فالمخصوص بالذم محذوف. قوله: [متعلق بقوله] ﴿خلقنا﴾ ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال من ﴿زوجين﴾ لأنه نعت نكرة قدم

والسماء والأرض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩: بحذف إحدى التاءين من الأصل فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾: أي إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٥٠ بين الإنذار ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٥١: يقدر قبل ففروا قل لهم: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾: هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ٥٢: أي مثل تكذيبهم لك بقولهم: إنك ساحر أو مجنون تكذيب الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك ﴿أَتَوَاصَوْا﴾: كلهم ﴿بِهِ﴾: استفهام بمعنى النفي ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ٥٣: جمعهم على هذا القول طغيانهم ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ ٥٤: لأنك بلغتهم الرسالة ﴿وَذَكِّرْ﴾: عظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ

عليها. قوله: [صنفين] أي أمرين متقابلين. قوله: [كالذكر والأنثى] أشار بتعداد الأمثلة إلى ما نشاهده، فلا يرد العرش والكرسي واللوح والقلم، فإنه لم يخلق من كل إلا واحد. قوله: [بحذف إحدى التاءين] أي وهذه إحدى القراءتين السبعيتين، والأخرى إدغام التاء الثانية في الذال.

قوله: ﴿ففروا إلى الله﴾ مفرع على ما علم من توحيد الله، والمعنى: حيث علمتم أن الله واحد لا شريك له، وأنه الضار النافع، المعطي المانع، فالجأوا إليه واهرعوا إلى طاعته، والفرار مراتب، ففرار العامة من الكفر والمعاصي إلى الإيمان والطاعة، وفرار الخاصة من كل شاغل عن الله، كالمال والولد، إلى شهود الله والانهماك في طاعته، فلا يصرف جزءاً من اجزائه لغير الله، فكما أن الله في خلق العبد واحد، فليكن العبد في إقباله على ربه واحداً، بحيث لا يجعل في قلبه غير حب ربه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. قوله: [أي إلى ثوابه من عقابه] الخ حمله على الفرار العام، لأن أوامر القرآن ونواهيه لعامة الخلق التي من امتثلها فقد زحزح عن النار وأدخل الجنة. قوله: ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ تعليل لما قبله، والضمير في ﴿منه﴾ عائد على الله، والمعنى فروا إليه لأني مخوف لكم منه.

قوله: ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ الخ أشار بذلك إلى أن الطاعة لا تنفع مع الإشراك، ولذا كرر قوله: ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ فالفائز من جمع بين الطاعة والتوحيد، والمعنى لا تنسبوا وصف الألوهية لغير الله، فإنه لا يستحقه غيره. قوله: [يقدر قبل ففروا قل لهم] أي فهو مقول لقول محذوف وليس بمتعين، إذ يصح أن تكون الفاء فصيحة، والتقدير: إذا علمتم ما تقدم من صفات الله الكمالية ﴿ففروا إلى الله﴾ كما تقدم. قوله: ﴿كذلك﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿ما أتى﴾ الخ، مبتدأ مؤخر، والمعنى تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم كائن كذلك، أي كتكذيب أمتك لك كما أفاده المفسر. قوله: ﴿إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ تقدم أن ﴿أو﴾ بمعنى الواو، وحكمة جمعهم بين الوصفين، أن خروجه عن عوائدهم وعما عليه آباؤهم، وعدم مبالاته بالجم الغفير، اقتضى تسميته مجنوناً، وإتيانه بالمعجزات التي بهرت عقولهم، اقتضت تسميته ساحراً.

قوله: ﴿أتواصوا به﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة واجتمعوا عليها. قوله: [استفهام بمعنى النفي] أي فهو إنكار تعجبي، والمعنى ما وقع منهم تواص بذلك لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد. قوله: ﴿بل هم قوم طاغون﴾ إضراب عن الاستفهام المتقدم، وبيان لحقيقة الباعث لهم على تلك المقالة.

قوله: ﴿فتول عنهم﴾ أي اعرض عن خطابهم وجدالهم. قوله: ﴿فما أنت بملوم﴾ أي لا لوم عليك في الإعراض

---

* أسباب نزول الآية ٥٤ و٥٥: وأخرج أيضاً ابن منيع وابن راهوية والهيثم بن كليب في مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال: لما نزلت ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة اذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنا فنزلت ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فطابت =

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٥: من علم الله تعالى أنه يؤمن ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦: ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريت هذا القلم لأكتب به فإنك قد لا تكتب به ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾: لي ولأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ ٥٧: ولا أنفسهم ولا غيرهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ٥٨: الشديد ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم ﴿ذَنُوبًا﴾: نصيباً من العذاب

عنهم، فإنك قد بلغت الغاية في النصح وبذل الجهد، ولما نزلت هذه الآية، حزن رسول الله، واشتد الأمر على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم، وجرت عادة الله في الأمم السابقة، متى أمر رسولهم بالإعراض عنهم، حل بهم العذاب فأنزل الله ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فسروا بذلك، ولذلك قيل إنها ناسخة لما قبلها، ولكن الحق أن ما قبلها منسوخ بآية السيف. قوله: ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ تعليل لقوله: ﴿ذكر﴾ والمعنى لا تترك التذكير، فربما انتفع به من علم الله إيمانه، ويؤخذ من الآية أن البلاء لا ينزل بقوم وفيهم المتذكرون لما ورد: إن الله يطلع على عمار المساجد، فيرفع العذاب عن مستحقيه.

قوله: ﴿إلا ليعبدون﴾ أي لا لطلب الدنيا والإنهماك فيها. قوله: [ولا ينافي ذلك] أي الحصر المذكور، وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الله تعالى حصر الجن والإنس في العبادة، فمقتضاه أنه لا يخرج أحد عنها، مع أنه شوهد كثير من الخلق كفر وترك العبادة، فأجاب المفسر، بأن اللام للغاية والعاقبة لا للعلة الباعثة، لأن الله لا يبعثه شيء على شيء، وقوله: [فإنك قد لا تكتب به] اعترض بأن هذا مسلم في أفعال المخلوقين لجهلهم بعواقب الأمور، وأما في حق الله تعالى، فلا يصح التخلف في فعله، بل مقتضاه أنه عالم بأنهم سيعبدونه ولا بد، ولا يمكن تخلفه في البعض، فالجواب الصحيح أن يقال: إن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم مهيئين صالحين للعبادة، بأن ركب فيهم عقلاً وحواس، وجعلهم قابلين للعبادة والطاعة، وبعد ذلك اختار لعبادته وطاعته من أحب منهم، فلا يلزم من الصلاحية للعبادة وقوعها منهم بالفعل، وقيل: معنى ليعبدون لآمرهم وأكلفهم بعبادتي، لا ليهتموا بالرزق وينهمكوا في خدمة الدنيا، وهذا على حد ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ وقيل: معناه إلا ليوحدون، فالمؤمن يوحده طوعاً، والكافر يوحده كرهاً، وقيل: إنه عام أريد به الخصوص، والمعنى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ بدليل القراءة الشاذة: وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين. قوله: ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ [لي ولا لأنفسهم] دفع المفسر بقوله: [لي] ما يتوهم من عادة سادات العبيد في احتياجهم لمكاسب عبيدهم، فالمعنى: أن عادة الله سبحانه وتعالى، ليست كعادة السادات مع عبيدهم، فإنهم يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم. قوله: ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ إن قلت: إن هذا يغني عنه ما قبله. أجيب: بأنه أتى به لدفع توهم ما عليه سادات العبيد الأغنياء، من احتياجهم للاستعانة بهم في صنع الطعام مثلاً وتهيئته، ونحو ذلك، فكأنه قال: إن ربنا ليس كشأن السادات مع عبيدهم، فليس محتاجاً لعبيده في تحصيل رزق ولا في صنعه، لا له، ولا لغيره، وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول، وإلا فيستحيل على الله عقلاً تلك الأوصاف، ولا ينفي في نفس الأمر إلا ما جوزه العقل. قوله: ﴿إن الله هو الرزاق﴾ أتى بالاسم الظاهر للتفخيم والتعظيم، وأكد الجملة بإن، والضمير المنفصل لقطع أوهام الخلق في أمور الرزق، وليقوى اعتمادهم عليه. قوله: ﴿المتين﴾ العامة على رفعه، وهو إما نعت للرزاق، أو لذو، أو خبر بعد خبر، وقرئ شذوذاً بالجر. قوله: [الشديد] أي الذي لا يطرأ عليه ضعف ولا عجز. قوله: ﴿فإن الذين ظلموا﴾ الخ،

= أنفسنا، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما نزلت ﴿فتول عنهم﴾ الآية: اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾.

﴿مِثْلَ ذَنُوبِ﴾: نصيب ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾: الهالكين قبلهم ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٥٩: بالعذاب إنْ أخرتهم إلى يوم القيامة ﴿فَوَيْلٌ﴾: شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾: في ﴿يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ٦٠: أي يوم القيامة.

أي فلا تحزن على كفر قومك، وتسل عنهم، فلا بد لهم من العذاب. قوله: ﴿ذنوباً﴾ هو في الأصل الدلو العظيم، شبه به النصيب من العذاب إشارة إلى أنه يصب عليهم كما يصب الذنوب، قال تعالى ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾. قوله: ﴿أصحابهم﴾ أي نظائرهم من الأمم السابقة. قوله: ﴿فويل للذين كفروا﴾ وضع الموصول موضع ضميره، تسجيلا عليهم بالكفر، واشعاراً بعلة الحكم. قوله: [شدة عذاب] وقيل واد في جهنم. قوله: ﴿الذي يوعدون﴾ هو مرتبط بقوله تعالى فيما تقدم ﴿إنما توعدون لصادق﴾ الخ.

ـ فائدة ـ قد تلقينا عن الصالحين فوائد في استعمال هذه السورة العظيمة، كلها مجربة، منها: استعمالها إحدى وأربعين مرة على وضوء في مجلس واحد، لتفريج السجن، وقضاء الدين، وتيسير الرزق، والانتصار على الخصم، والأمن من كل هول دنيا وأخرى. واستعمالها ستين مرة عد آياتها أبلغ في تلك المطالب.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٥٢] - سورة والطور

[مكية وهي تسع وأربعون آية]

﴿وَٱلطُّورِ﴾[١]: أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾[٢] ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[٣]: أي التوراة أو القرآن ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾[٤]: هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبداً ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾[٥]: أي السماء ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾[٦]: أي

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الطور مكية

وهي تسع وأربعون آية

وفي نسخة والطور. قوله: ﴿والطور﴾ الخ أقسم الله سبحانه وتعالى بخمسة أقسام تعظيماً للمقسم عليه، وهو قوله: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ وتعظيماً به أيضاً، فإن تلك الأشياء الخمسة عظيمة، والواو في كل إما للقسم أو للعطف، فيما عدا الأول. قوله: [أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى] أي والمراد به طور سيناء، وهو أحد جبال الجنة، وأقسم الله به تشريفاً له وتكريماً. قوله: ﴿وكتاب مسطور﴾ أي متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مترتبة جامعة لكلمات متفقة. قوله: ﴿في رق منشور﴾ الرق الجلد الرقيق الذي يكتب فيه، وقيل: ما يكتب فيه جلداً كان أو غيره، وهو بفتح الراء في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بكسرها، ومعنى المنشور المبسوط، أي أنه غير مطوي وغير محجور عليه. قوله: [أي التوراة أو القرآن] هذان قولان من جملة أقوال كثيرة في تفسير الكتاب المسطور، وقيل: هو صحائف الأعمال، قال تعالى ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ وقيل: سائر الكتب المنزلة على الأنبياء، وقيل غير ذلك. قوله: [هو في السماء الثالثة] وقيل هو في الأولى، وقيل هو في الرابعة، وقيل هو تحت العرش فوق السابعة، وقيل هو الكعبة نفسها، وعمارتها بالحجاج والزائرين لها، لما ورد: أن الله يعمره كل سنة بستمائة ألف، فإن عجز الناس عن ذلك، أتمه الله بالملائكة. قوله: [بحيال الكعبة] أي مقابلاً لها بإزائها على كل قول. قوله: [يزوره] الخ، بيان لتسميته معموراً. قوله: [أي السماء] أي لأنها كالسقف للأرض، وقيل هو العرش، وهو سقف الجنة. قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ أي وهو البحر المحيط، ومعنى المسجور: الممتلىء ماء، وقيل البحر المسجور هو الممتلىء ناراً لما ورد: أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها نار جهنم، وقيل هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سماوات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان، يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحاً،

المملوء ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾٧: لنازل بمستحقه ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾٨: عنه ﴿يَوْمَ﴾: معمول لواقع ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾٩: تتحرك وتدور ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾١٠: تصير هباء منثوراً وذلك في يوم القيامة ﴿فَوَيْلٌ﴾: شدة عذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾١١: الرسل ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾: باطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾١٢: أي يتشاغلون بكفرهم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾١٣: يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ويقال لهم تبكيتاً ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾١٤ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾: العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي هذا سحر ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾١٥ ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا﴾: عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾: صبركم وجزعكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾: لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾١٦: أي جزاءه ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾١٧ ﴿فَاكِهِينَ﴾: متلذذين ﴿بِمَا﴾: مصدرية

فينبتون من قبورهم. قوله: [معمول لواقع] أي والجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله. قوله: [تتحرك وتدور] أي كدوران الرحى، وتذهب ويدخل بعضها في بعض، وتختلف أجزاؤها، وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قوله: [تصير هباء منثوراً] ليس تفسيراً لتسير كما توهمه عبارته، بل معناه أنها تنتقل عن مكانها، وتطير في الهواء، ثم تقع على الأرض مفتتة كالرمل، ثم تصير كالعهن، أي الصوف المندوف، ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثوراً، والحكمة في مور السماء وسير الجبال، الإعلام بأنه لا رجوع ولا عود إلى الدنيا، وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما، إنما خلقت لعمارة الدنيا، وانتفاع بني آدم بذلك، فلما لم يبق لهم عود إليها، أزالها الله لخراب الدنيا وعمارة الآخرة، فيحصل للمؤمنين مزيد السرور وطمأنينته، وللكافرين غاية الحزن والكرب. قوله: ﴿فويل يومئذ﴾ أي يوم تمور السماء موراً، وتسير الجبال سيراً، وهو يوم القيامة. قوله: ﴿في خوض﴾ هو في الأصل الدخول في كل شيء، ثم غلب على الدخول في الباطل، فلذا فسره به. قوله: ﴿يدعون﴾ العامة على فتح الدال وتشديد العين من دعّه، دفعه في صدره بعنف وشدة، وقرئ شذوذاً بسكون الدال وتخفيف العين المفتوحة من الدعاء، أي يقال لهم: هلموا فادخلوا النار. قوله: [يدفعون بعنف] أي وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم، وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم، فيدفعون إلى النار. قوله: [كما كنتم تقولون في الوحي] أي القرآن الجائي بالعذاب. قوله: ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ يصح أن تكون ﴿أم﴾ متصلة معادلة للهمزة. والمعنى: هل في أمرنا سحر؟ أم هل في بصركم خلل؟ والاستفهام إنكاري وتهكم، أي ليس واحد منهما ثابتاً، ويصح أن تكون ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، والمعنى: أبل أنتم عمي عن العذاب المخبر، كما كنتم عمياً عن الخبر.

قوله: ﴿اصلوها﴾ أي ذوقوا حرارتها. قوله: [صبركم وجزعكم] ﴿سواء﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿سواء﴾ خبر لمحذوف، ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف، والتقدير سواء الصبر والجزع، والأول أولى لأن جعل النكرة خبراً أولى من جعلها مبتدأ. قوله: [لأن صبركم لا ينفعكم] أي لا ينزعكم من ديوان الرحمة، بخلاف الدنيا، فإن الصبر فيها على المكاره، من أعظم موجبات الرحمة. قوله: ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ تعليل لاستواء الصبر وعدمه. قوله: [أي جزاءه] إشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿إن المتقين في جنات﴾ الخ، مقابل قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ إنما أتى بأوصاف المتقين عقب أوصاف المكذبين، ليحصل الترغيب والترهيب، كما هو عادته سبحانه وتعالى. قوله: ﴿ونعيم﴾ أي تنعم بتلك الجنات، إذ لا يلزم من كونه في جنات أنه يتنعم بها، فأفاد أنهم مع كونهم في جنات يتنعمون ويتفكهون بها. قوله: ﴿فاكهين﴾ العامة على قراءته بالألف، أي ذوي فاكهة كثيرة، كما يقال لابن وتامر، أي ذو لبن وذو تمر، وقرئ شذوذاً فكهين بغير ألف، أي متنعمين متلذذين، إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر تفسيره بذوي فاكهة لا بمتلذذين. قوله:

﴿آتَاهُمْ﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ١٨: عطفاً على آتاهم أي بإتيانهم ووقايتهم ويقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً﴾: حال أي مهنئين ﴿بِمَا﴾: الباء سببية ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٩ ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: حال من الضمير المستكن في قوله تعالى في جنات ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾: بعضها إلى جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾: عطف على في جنات أي قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ ٢٠: عظام الأعين حسانهن ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: مبتدأ ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ﴾: معطوف على آمنوا ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: الصغار والكبار و﴿بِإِيمَانٍ﴾: من الكبار ومن الآباء في الصغار والخبر ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: المذكورين في الجنة فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾: بفتح اللام وكسرها نقصناهم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ﴾: يزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾: من عمل خير أو شر ﴿رَهِينٌ﴾ ٢١: مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾:

[أي بإتيانهم ووقايتهم] إنما جعلها مصدرية في المعطوف والمعطوف عليه، لما يلزم عليه من خلو الصلة في المعطوف عن العائد لو جعلت موصولة، والأحسن أن تجعل موصولة، ويجعل قوله: ﴿ووقاهم﴾ معطوفاً على قوله: ﴿في جنات﴾.

قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ ما مصدرية والباء سببية. والمعنى: أن الملائكة تقول لأهل الجنة: كلوا واشربوا متهنئين بسبب عملكم، وهذا من مزيد السرور والتكرمة، على حسب عادة الكرام في منازلهم، وإلا فذلك من فضل الله وإحسانه. قوله: ﴿على سرر﴾ جمع سرير. قال ابن عباس: هي سرر من ذهب، مكللة بالدر والزبرجد والياقوت، والسرير كما بين مكة وأيلة، وورد أن ارتفاع السرر خمسمائة عام، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها قربت منه، فإذا جلس عليها عادت إلى حالها، وفي الكلام حذف تقديره على نمارق على سرر. قوله: [أي قرناهم] أي جعلناهم مقارنين لهن، وفي ذلك إشارة إلى جواب سؤال مقدر تقديره: إن الحور العين في الجنات مملوكات بملك اليمين لا بعقد النكاح، فأجاب: بأن التزويج ليس بمعنى عقد النكاح، بل بمعنى المقارنة. قوله: [عظام الأعين] تفسير لعين جمع عيناء، وأما الحور فهو من الحور، وهو شدة البياض.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ والذرية تطلق على الأصول والفروع، قال تعالى ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ والمعنى: أن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل ابناً أو أباً، ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة، فإن حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق باللحوق كالتلامذة، فإنهم يلحقون بأشياخهم، وأشياخ الأشياخ يلحقون بالأشياخ، إن كانوا دونهم في العمل، والأصل في ذلك عموم قوله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال: إنهم لم يدركوا ما أدركت، فيقول: يا رب إني عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به». قوله: [بفتح اللام وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالأولى من باب علم، والثانية من باب ضرب. قوله: ﴿من﴾ [زائدة] أي في المفعول الثاني. قوله: [يزاد في عمل الأولاد] أي لم نأخذ من عمل الآباء شيئاً نجعله للأولاد، فيستحقون به هذا الإكرام، بل عمل الآباء باق لهم بتمامه، وإلحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم.

قوله: ﴿رهين﴾ أي مرهون عند الله تعالى، كأن نفس العبد مرهونة عند الله بعمله الذي هو مطالب به، فإن عمل صالحاً فكها من الرهن وإلا أهلكها، كما يرهن الرجل رقبة عبده بدين عليه، فإن وفى ما عليه، خلص رقبته من الرهن،

زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾٢٢: وإن لم يصرحوا بطلبه ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾: يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾: أي الجنة ﴿كَأْساً﴾: خمراً ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾: أي بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾٢٣: به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: للخدمة ﴿غِلْمَانٌ﴾: أرقاء ﴿لَهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾: حسناً ولطافة ﴿لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾٢٤: مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منه في غيرها ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾٢٥: يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذاً واعترافاً بالنعمة ﴿قَالُوا﴾: إيماء إلى علة الوصول ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾: في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾٢٦: خائفين من عذاب الله ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾: بالمغفرة ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾٢٧: أي النار لدخولها في المسام وقالوا إيماء أيضاً ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾: أي في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾: أي نعبده موحدين ﴿إِنَّهُ﴾: بالكسر استئنافاً وإن كان تعليلاً معنى وبالفتح تعليلاً لفظ ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾: المحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾٢٨: العظيم الرحمة ﴿فَذَكِّرْ﴾: دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك كاهن مجنون

وإلا استمر مرهوناً. قوله: [في وقت بعد وقت] أخذه من لفظ الإمداد. قوله: [وإن لم يصرحوا بطلبه] أي بل بمجرد ما يخطر ببالهم يقدم إليهم، لما ورد: أن الرجل يشتهي الطير في الجنة، فيخر مثل البختي حتى يقع على خوانه، لم يصبه دخان، ولم تمسه نار، فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير. قوله: [يتعاطون بينهم] أي يتجاذب بعضهم الكأس من بعض، ويناول بعضهم بعضاً تلذذاً وتأنساً، وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة.

قوله: ﴿كأساً﴾ الكأس هو إناء الخمر، وكل كأس مملوء بشراب أو غيره، فإذا فرغ لم يسم كأساً. قوله: ﴿غلمان﴾ [أرقاء] ﴿لهم﴾ أي كالأرقاء في الحيازة والاستيلاء، وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله في الجنة كالحور، وقيل: هم الأولاد من أطفالهم الذين سبقوهم، فأقر الله تعالى أعينهم بهم، وقيل: هم أولاد المشركين، وليس في الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة، بل هو من مزيد التنعم، قال عبد الله بن عمر: ما من أحد من أهل الجنة، إلا يسعى عليه ألف غلام، وكل غلام على عمل غير ما عليه صاحبه، وروي أن رسول الله ﷺ لما تلا هذه الآية قالوا: يا رسول الله، الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم؟ قال: فضل المخدوم على الخادم، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وروي أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه، فيجيبه ألف ببابه: لبيك لبيك، وطواف الغلمان عليهم بالفواكه والتحف والشراب، قال تعالى: ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾ ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾. قوله: [مصون في الصدف] جمع صدفة وهي غشاء الدر. قوله: [عما كانوا عليه] أي في الدنيا. قوله: [وما وصلوا إليه] أي من نعيم الجنة. قوله: ﴿قالوا﴾ أي قال المسؤول للسائل. قوله: [إيماء] أي اشارة. قوله: [إلى علة الوصول] أي محطها. قوله: ﴿فمن الله علينا﴾.

قوله: ﴿إنا كنا قبل في أهلنا﴾ الخ، أي وشأن من كان في أهله وعزوته أن يكون آمناً، فخوفهم من الله في تلك الحالة، دليل على خوفهم في غيرها بالأولى، فهم دائماً خائفون، ويحتمل أن قوله: ﴿مشفقين﴾ من الشفقة وهي الرفق، أي نرفق بأهلنا وغيرهم. قوله: [لدخولها في المسام] هذا بيان لوجه تسميتها سموماً، فالسموم من أسماء جهنم، وهي في الأصل الريح الحارة التي تتخلل المسام. قوله: [وقالوا إيماء أيضاً] أي إلى علة وصولهم إلى النعيم، ومحط العلة قوله: ﴿إنه هو البر الرحيم﴾. قوله: [أي نعبده] أي أو نسأله الوقاية من النار، ودخول دار القرار. قوله: [وبالفتح تعليلاً لفظاً] أي والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بنعمة ربك﴾ الباء سببية مرتبطة بالنفي المستفاد من ما،

﴿فما أنت بنعمت ربك﴾: أي بإنعامه عليك ﴿بكاهن﴾: خبر ما ﴿ولا مجنون﴾٢٩: معطوف عليه ﴿أم﴾: بل ﴿يقولون﴾: هو ﴿شاعر نتربص به ريب المنون﴾٣٠: حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء ﴿قل تربصوا﴾: هلاكي ﴿فإني معكم من المتربصين﴾٣١: هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر والتربص الانتظار ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾: عقولهم ﴿بهذا﴾: أي قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون أي لا تأمرهم بذلك ﴿أم﴾: بل ﴿هم قوم طاغون﴾٣٢: بعنادهم ﴿أم يقولون تقوله﴾: اختلق القرآن لم يختلقه ﴿بل لا يؤمنون﴾٣٣ استكباراً فإن قالوا اختلقه ﴿فليأتوا بحديث﴾: مختلق ﴿مثله إن كانوا صادقين﴾٣٤: في قولهم ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾: أي خالق ﴿أم هم الخالقون﴾٣٥: أنفسهم ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه ﴿أم خلقوا السموات والأرض﴾: ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلم لا يعبدونه ﴿بل لا يوقنون﴾٣٦: به وإلا لآمنوا بنبيه ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾: من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا

والمعنى: انتفى كونك كاهناً أو مجنوناً، بسبب إنعام الله عليك، بكمال العقل وعلو الهمة والعصمة. قوله: ﴿بكاهن﴾ أي مخبر بالأمور المغيبة من غير وحي. قوله: [خبر ما] أي فهي حجازية، والباء زائدة في خبرها.

قوله: ﴿أم يقولون شاعر﴾ أعلم أن ﴿أم﴾ ذكرت في هذه الآيات خمس عشرة مرة، وكلها تقدر ببل والهمزة، فهي للاستفهام الإنكاري التوبيخي، إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقدرها في الجميع ببل والهمزة. قوله: [حوادث الدهر] في الكلام استعارة تصريحية، حيث شبهت حوادث الدهر بالريب الذي هو الشك بجامع التحير، وعدم البقاء على حالة واحدة في كل، وقيل: المنون المنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد.

قوله: ﴿قل تربصوا﴾ أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم. قوله: ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ جمع حلم، يطلق على الأناة، وعلى العقل، وهو المراد هنا. قوله: [أي قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون] أي وهذا تناقض، فان شأن الكاهن أن يكون ذا فطنة ورأي، وشأن الشاعر والساحر كذلك، ونسبتهم الجنون له بعد ذلك مناقضة. قوله: [أي لا تأمرهم] أشار بذلك إلى أن الاستفهام المستفاد من ﴿أم﴾ إنكاري، وفيه توبيخ أيضاً.

قوله: ﴿أم﴾ [بل] ﴿هم قوم طاغون﴾ المناسب للمفسر أن يقدر ﴿أم﴾ ببل والهمزة، ليوافق قوله فيما يأتي، والاستفهام بأم في مواضعها الخ، والمعنى: لا ينبغي منهم هذا الطغيان. قوله: [لم يختلقه] أشار به إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله: [فإن قالوا اختلقه] والأمر للتعجيز. [ولا معدوم يخلق] راجع لقوله: ﴿أم هم الخالقون﴾ والمعنى: أنهم لو كانوا هم الخالقين لأنفسهم، وأنفسهم كانت معدومة أولاً، لزم أن يكونوا في حالة العدم، وجدوا أنفسهم أو أخرجوها من العدم، فيكون المعدوم خالقاً، وهذا لا يعقل. قوله: [وإلا لآمنوا بنبيه] أي فحيث لم يترتب على إيقانهم بالله، إقبال على توحيد وتصديق نبيه، جعل إيقانهم كالعدم، وفيه تسلية له ﷺ.

قوله: ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ لم يبين أن الاستفهام إنكاري، مع أنه كذلك. والمعنى: ليس عندهم خزائن ربك، والمراد بخزائنه مقدوراته، شبهت بها لأن خزانة الملوك بيت مهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر التي يحتاج

* أسباب نزول الآية ٣٠: أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾.

مَنْ شاؤوا بما شاؤوا ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾[٣٧]: المتسلطون الجبّارون وفعله سيطر ومثله بيطر وبيقر ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم أن ادعوا ذلك ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾: أي مدعي الاستماع عليه ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[٣٨]: بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ﴾: أي بزعمكم ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[٣٩]: تعالى الله عما زعموه ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: على ما جئتهم به من الدين ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: غرم ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴾[٤٠]: فلا يسلمون ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾: أي علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[٤١]: ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: بك ليهلكوك في دار الندوة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾[٤٢]: المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤٣]: به من الآلهة والاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾: بعضاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾: عليهم كما قالوا نأسقط علينا كسفاً من السماء أي تعذيباً لهم ﴿يَقُولُوا۟﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾[٤٤]: متراكب نروى به ولا يؤمنوا

إليها. قوله: ﴿أم هم المسيطرون﴾ اعلم أنه لم يأتِ على وزن مفيعل إلا خمسة ألفاظ أربعة صفة اسم فاعل: مهيمن ومبيقر ومبيطر ومسيطر، وواحد اسم جبل وهو محيمر. قوله: [المتسلطون] أي الغالبون على الأشياء، يدبرونها كيف شاؤوا. قوله: [ومثله بيطر] أي عالج الدواب ومنه البيطار، وقوله: [وبيقر] أي أفسد وأهلك، فالحاصل أن معنى المهيمن الرقيب والمبيقر المفسد، والمسيطر المتسلط الجبار، والمبيطر المعالج للدواب. قوله: [أي عليه كلام الملائكة] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يستمعون﴾ محذوف، وفي بمعنى على. قوله: [بزعمهم] متعلق بقوله: ﴿يستمعون فيه﴾. قوله: [إن ادعوا ذلك] أي الاستماع من الملائكة، والمعنى: إن فرض أنهم ادعوه فليأت مستمعهم الخ. قوله: [ولشبه هذا الزعم] الخ أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين الآيتين، ووجه الشبه بين الزعمين، أن كلاً منهما فاسد، وإن كان الزعم الأول فرضياً، والثاني تحقيقياً لوقوعه منهم. قوله: [أي بزعمكم] أي دعواكم واعتقادكم.

قوله: ﴿ولكم البنون﴾ أي لتكونوا أقوى منه، فإذا كذبتم رسله تكونون آمنين لقوتكم بالبنين، وزعمكم ضعفه بالبنات. قوله: [تعالى الله عما زعموه] أشار بذلك الى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿مثقلون﴾ أي متعبون ومغتمون، لأن العادة أن من غرم شخصاً مالاً يكون المأخوذ منه كارهاً للآخذ ومغتماً منه. قوله: ﴿أم عندهم الغيب﴾ جواب لقولهم ﴿نتربص به ريب المنون﴾ والمعنى: أعندهم علم الغيب بأن الرسول يموت قبلهم؟ فهم يكتبون ذلك.

قوله: ﴿أم يريدون كيداً﴾ أي مكراً وتحيلاً في هلاكك. قوله: [في دار الندوة] إن قلت: السورة مكية، والاجتماع بدار الندوة كان ليلة الهجرة، فالتقييد بها مشكل، فالأوضح حذف قوله في دار الندوة لأن إرادة الكيد حاصلة منهم من يوم بعثته ﷺ. قوله: ﴿فالذين كفروا﴾ أوقع الظاهر موقع المضمر، تشنيعاً وتقبيحاً عليهم بصفة الكفر. قوله: [ثم أهلكهم ببدر] أي أهلك رؤساءهم وهم سبعون. قوله: ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ أي تنزه الله عما ينسبونه له من الشركة في الألوهية. قوله: [والاستفهام بأم] أي المقدرة ببل والهمزة وحدها، وقوله: [في مواضعها] أي وهي خمسة عشر. قوله: [للتقبيح والتوبيخ] أي والإنكار.

قوله: ﴿وإن يروا كسفاً﴾ أي على فرض حصوله، فإنه لم يحصل لقوله تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ والمعنى: لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم، لم ينتهوا ولم يرجعوا، ويقولون في هذا النازل عناداً واستهزاء وإغاظة لمحمد إنه سحاب مركوم. قوله: [فأسقط علينا كسفاً] هذه الآية إنما وردت في قوم شعيب، كما ذكر في سورة

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ٤٥ : يموتون ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ : بدل من يومهم ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٤٦ : يمنعون من العذاب في الآخرة ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : بكفرهم ﴿عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ﴾ : أي في الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٧ : إن العذاب ينزل بهم ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ : بإمهالهم ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ : بمرأى منا نراك ونحفظك ﴿وَسَبِّحْ﴾ : متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ : أي قل سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ ٤٨ : من منامك أو من مجلسك ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ : حقيقة أيضاً ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ ٤٩ : مصدر أي عقب غروبها سبحه أيضاً أو صلِّ في الأول العشاءين وفي الثاني الفجر وقيل الصبح.

الشعراء، فكان الأولى للمفسر أن يستدل بما نزل في قريش في سورة الإسراء وهو قوله ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾. قوله: ﴿فذرهم﴾ جواب شرط مقدر، والمعنى إذا بلغوا في العناد إلى هذا الحد، وتبين أنهم لا يرجعون عن الكفر، فدعهم ولا تلتفت لهم. قوله: ﴿يصعقون﴾ هكذا ببنائه للفاعل والمفعول قراءتان سبعيتان. قوله: [ويموتون] أي بانقضاء آجالهم في بدر أو غيرها، هذا هو الأحسن. قوله: [من العذاب في الآخرة] المراد به العذاب الذي يأتي بعد الموت. قوله: ﴿دون ذلك﴾ أي قبل العذاب الذي يأتيهم بعد الموت، وذلك صادق كما قال المفسر: بالجوع والقحط والقتل يوم بدر.

قوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي لتزيين الشيطان لهم ما هم عليه، والمراد بالأكثر من سبق في علم الله شقاؤه. قوله: [بمرأى منا] أي فأطلقت الأعين وأريد لازمها، وهو إبصار الشيء والإحاطة به علماً وقرباً، فيلزم منه مزيد الحفظ للمرئي الذي هو المراد، وعبر هنا بالجمع لمناسبة نون العظمة، بخلاف ما ذكر في سورة طه في قوله ﴿ولتصنع على عيني﴾. قوله: [من منامك] أي فقد ورد عن عائشة قالت: كان إذا قام أي استيقظ من منامه كبر عشراً، وحمد الله عشراً، وسبح عشراً، وهلل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني، وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة، وفي رواية كان ﷺ إذا استيقظ من منامه قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران. قوله: [أو من مجلسك] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كان كفارة لما بينهما»، وفي رواية: كان كفارة له. قوله: [أي عقب غروبها] المراد بغروبها ذهاب ضوئها لغلبة ضوء الصبح عليه، وإن كانت باقية في السماء، وذلك بطلوع الفجر. قوله: [أو صل في الأول] أي الليل، فهذا راجع لقوله: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ وأما ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ فالمراد به حقيقة التسبيح على كل حال. قوله: [وفي الثاني الفجر] أي الركعتين اللتين هما سنة الصبح. قوله: [وقيل الصبح] أي فريضة صلاة الصبح.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٥٣] ـ سورة النجم

[مكية وهي اثنتان وستون آية]

﴿وَالنَّجْمِ﴾: الثريا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾[1]: غابَ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾[2]: ما لابس الغي وهو جهل من اعتقادٍ فاسدٍ ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾: بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾[3]:

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة النجم مكية

وهي اثنتان وستون آية

أي كلها، وقيل: إلّا قوله تعالى ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ الآية، وقيل: كلها مدني، ورد بما رُوي أنها أول سورة أعلن بها رسول الله ﷺ بمكة، وسجد فيها وسجد معه المسلمون والمشركون زعماً منهم أنه يمدح آلهتهم، واعلم أن بين أول هذه السورة وآخر ما قبلها مناسبة، فإن تعالى قال في آخر تلك ﴿وإدبار النجوم﴾ وقال في أول هذه ﴿والنجم إذا هوى﴾ قوله: ﴿والنجم إذا هوى﴾ اختلف تفسير ﴿النجم﴾ فمشى المفسر على أنه الثريا، وهي عدة نجوم، بعضها ظاهر، وبعضها خفي، وكان ﷺ يراها أحد عشر نجماً، ومعنى هويه غيبوبته عند طلوع الفجر، وقيل: المراد به أي نجم، وقيل: المراد به جميع النجوم، وقيل: هو الزهرة، وقيل: الشعرى، وقيل: القرآن، ومعنى ﴿هوى﴾ نزل، لأنه نزل منجماً على ثلاث وعشرين سنة، وقيل: هو محمد، ومعنى ﴿هوى﴾ نزل من المعراج، وقيل: جبريل، ومعنى ﴿هوى﴾ نزل بالوحي، واختلف في عامل الظرف فقيل: معمول لمحذوف تقديره أقسم بالنجم وقت هويه، واستشكل بأن فعل القسم إنشاء، والإنشاء حال، و﴿إذا﴾ لما يستقبل من الزمان، فكيف يعمل الإنشاء في المستقبل؟ وأجيب: بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها، أو قصد منها مجرد الظرفية، الصادق بالماضي والحال والاستقبال لأنها قد تأتي للحال والماضي، وقيل: عامله حال من النجم محذوفة، والتقدير: أقسم بالنجم حال كونه مستقراً في زمان هويه، ويأتي فيه الإشكال والجواب المتقدمان، ويجاب أيضاً: بأن تجعل الحال مقدرة.

قوله: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ هذا هو جواب القسم، وعبّر بلفظ الصحبة تبكيتاً لهم، واشعاراً بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فلا يليق منهم نسبته للنقص. قوله: [عن طريق الهدى] أشار بذلك إلى أن الضلال مخالف للغي، فالضلال فعل المعاصي، والغي هو الجهل المركب، وقيل: الضلال في العلم، والغي في الأفعال، وقيل: هما مترادفان. قوله: [من اعتقاد فاسد] أي ناشىء وحاصل. قوله: ﴿عن الهوى﴾ متعلق بينطق، والمعنى ما يصدر نطقه عن

هوى نفسه ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾٤: إليه ﴿عَلَّمَهُۥ﴾: إياه ملك ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾٥ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: قوة وشدة أو منظر حسن أي جبريل عليه السلام ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾٦: استقر ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾٧: أفق الشمس أي عند مطلعها على صورته التي خلق عليها فرآه النبي ﷺ وكان بحراء قد سد الأفق إلى المغرب فخر مغشياً عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل له في صورة الآدميين ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: قرب منه ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾٨: زاد في القرب ﴿فَكَانَ﴾: منه ﴿قَابَ﴾: قدر ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾٩: من ذلك حتى أفاق وسكن روعه

هوى نفسه، ومثله الفعل بل جميع أحواله، وهو مفرع على ما قبله؛ لأنه إذا علم تنزهه عن الضلال والغواية، تفرع عليه أنه لا ينطق عن هواه قرآنه أو غيره.

قوله: ﴿إن هو﴾ الضمير عائد على النطق المأخوذ من ينطق، والمعنى ما يتكلم به من القرآن وغيره، ومثل النطق الفعل وجميع أحواله، فهو ﷺ لا ينطق ولا يفعل إلا بوحي من الله تعالى، لا عن هوى نفسه. قوله: ﴿يوحى﴾ الجملة صفة لوحي، أتى بها لرفع توهم المجاز، كأنه قال: هو وحي حقيقة، لا مجرد تسمية. قوله: ﴿علمه﴾ [إياه] الضمير المذكور هو المفعول الأول عائد على النبي، والثاني الذي قدره المفسر عائد على الوحي. قوله: ﴿شديد القوى﴾ صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: [ملك] وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، ومن شدة قوته اقتلاعه مدائن قوم لوط، ورفعها إلى السماء وقلبها، وصياحه على قوم ثمود، ونتقه الجبل على بني إسرائيل، وهذه الشدة حاصلة فيه، ولو تشكل بصورة الآدميين؛ لأنها لا تحكم عليهم الصورة، وهذا قول الجمهور، وقيل: المراد به الرب سبحانه وتعالى، والمراد بالقوى في حقه تعالى، صفات الاقتدار كالكبرياء والعظمة. قوله: ﴿ذو مرة﴾ أي قوة باطنية وعزم وسرعة وحركة، فغاير ما قبله، فجبريل أعطاه الله قوة ظاهرية وقوة باطنية، وقيل: المرة وفور العلم، وقيل: الجمال. قوله: ﴿فاستوى﴾ عطف على قوله: ﴿علمه شديد القوى﴾.

قوله: ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ الجملة حالية. قوله: [وكان] أي النبي ﷺ. قوله: [وكان قد سأله] الخ تعليل لقوله: ﴿فاستوى﴾ وذلك أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين، كما يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبي ﷺ أن يريه نفسه التي جعله الله عليها، فأراه نفسه مرتين، مرة بالأرض ومرة بالسماء، ولم يره أحد من الأنبياء على صورته التي خلق عليها إلا نبينا ﷺ. قوله: [فنزل جبريل] عطف على قوله: [فخر مغشياً عليه]. قوله: [زاد في القرب] أي فالكلام باق على ظاهره، وقيل: في الكلام قلب، والأصل فتدلى ثم دنا، ومعنى تدلى رجع لصورته الأصلية.

قوله: ﴿فكان قاب قوسين﴾ في الكلام حذف، والأصل فكان مقدار مسافة قربه منه، مثل مقدار مسافة قاب قوسين، والقاب القدر، وقيل: هو ما بين المقبض والطرف، ولكل قوس قابان، فأصل الكلام فكان قابي قوسين، فحصل في الكلام قلب. قوله: ﴿أو أدنى﴾ أو بمعنى بل، نظير قوله تعالى: ﴿أو يزيدون﴾ أو على بابها، والشك بالنسبة للرائي، والمعنى: إذا نظرت إليه وهو في تلك الحالة تتردد في المقدارين. قوله: [حتى أفاق] غاية لمحذوف أو ضمه إليه حتى أفاق، روي أنه لما أفاق قال: يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحداً على مثل هذه الصورة، فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي، وإن لي ستمائة جناح، سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب، فقال ﷺ: إن هذا لعظيم، فقال جبريل: وما أنا في جنب خلق الله إلا يسيراً، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح، كل جناح منها قدر جميع أجنحتي، وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى، حتى يكون بقدر الوضع، أي العصفور الصغير، وهذا على كلام الجمهور، وأما على أن المراد به الرب سبحانه وتعالى، فمعنى الاستواء: الاستعلاء والقهر، ومعنى الدنو والتدلي: تجليه بصفة الجمال والمحبة لعبده، على حد ما قيل في ينزل ربنا كل ليلة.

﴿فَأَوْحَىٰ﴾: تعالى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾: جبريل ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ ١٠: جبريل إلى النبي ﷺ ولم يذكر الموحي تفخيماً لشأنه ﴿مَا كَذَبَ﴾: بالتخفيف والتشديد أنكر ﴿الْفُؤَادُ﴾: فؤاد النبي ﴿مَا رَأَىٰ﴾ ١١: ببصره من صورة جبريل ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾: تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ١٢: خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: على صورته ﴿نَزْلَةً﴾: مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ ١٣ ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ ١٤: لما أسري به في السموات وهي شجرة نبق

قوله: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ هذا مفرع على قوله: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ ومشى المفسر على أن الضمير في ﴿أوحى﴾ الثاني عائد على جبريل، وهو احتمال من ثمانية، أفادها العلامة الأجهوري وحاصلها أن يقال: الضمير في أوحى الأول، إما عائد على الله أو جبريل، والثاني كذلك، فهذه أربع، وفي كل منها إما أن يراد بالعبد جبريل أو محمد، فهذه ثمان اثنان منها فاسدان وهما أن يجعل الضمير في أوحى الأول عائداً على جبريل، ويراد بالعبد جبريل، سواء جعل الضمير في أوحى الثاني عائداً على الله أو جبريل وباقيها صحيح، والأنسب بمقام المدح أن يعود الضمير في أوحى الأول والثاني على الله، والمراد بالعبد محمد عليه الصلاة والسلام، والمعنى: أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحاه الله إليه، من العلوم والأسرار والمعارف التي لا يحصيها إلا معطيها، بواسطة جبريل وبغير واسطته، حين فارقه عند الرفرف. قوله: [ولم يذكر الموحي به تفخيماً لشأنه] أي وإشارة إلى عمومه، واختلف في هذا الموحى به، فقيل مبهم لا نطلع عليه، وإنما يجب علينا الإيمان به اجمالاً، وقيل هو معلوم، وفي تفسيره خلاف، فقيل أوحى الله إليه: ألم أجدك يتيماً فآويتك؟ ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك؟ وقيل: أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. فالمعنى على التشديد أن ما رآه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره، والتخفيف قيل كذلك، وقيل هو على إسقاط الخافض، والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رآه. قوله: [من صورة جبريل] بيان لما رأى؛ وهذا أحد قولين، وقيل هو الله عز وجل، وعليه فقد رأى ربه مرتين، مرة في مبادىء البعثة، ومرة ليلة الإسراء، واختلف في تلك الرؤية فقيل: رآه بعينه حقيقة، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين منهم ابن عباس، وأنس بن مالك، والحسن وغيرهم، وعليه قول العارف البرعي:

وإن قابلت لفظة لن تراني ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خر مغشياً عليه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

وقيل: لم يره بعينه، وهو قول عائشة رضي الله عنها، والصحيح الأول لأن المثبت مقدم على النافي، أو لأن عائشة لم يبلغها حديث الرؤية، لكونها كانت حديثة السن. قوله: ﴿أفتمارونه﴾ بضم التاء وبالألف بعد الميم من ماراه جادله وغالبه، أو بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف من مريته حقه إذا علمته وجحدته إياه، قراءتان سبعيتان. قوله ﴿على ما يرى﴾ أي على ما رآه وهو جبريل على كلام المفسر، وذات الله تعالى على كلام غيره، وعبر بالمضارع استحضاراً للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين.

قوله: ﴿ولقد رآه﴾ اللام للقسم. وقوله: [مرة] أشار بذلك إلى أن ﴿نزلة﴾ منصوب على الظرفية. قوله: ﴿عند سدرة المنتهى﴾ سميت بذلك، إما لأنه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها، أو لأنه ينتهي علم الأنبياء إليها، ويعزب علمهم عما وراءها، أو لأن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها، أو لانتهاء الملائكة إليها ووقوفهم عندها، أو لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء، أو لأنه ينتهي إليها أرواح المؤمنين، أو لأنه ينتهي إليها من كان على سنة رسول الله وأقوال، وإضافة سدرة للمنتهي، إما من إضافة الشيء إلى مكانه، والتقدير عند سدرة عندها منتهى العلوم، أو من أضافة

عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾١٥: تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين ﴿إِذْ﴾: حين ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾١٦: من طير وغيره وإذ معمولة لرآه ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾: من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾١٧: أي ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾: فيها ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾١٨: أي العظام أي بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفاً أخضر سد أفق السماء وجبريل له

المَلَك إلى الملك، على حذف الجار والمجرور، أي سدرة المنتهى إليه، وهو الله عز وجل، قال تعالى ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾. قوله: [لما أسري به] أي وكان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر، وقيل: كان قبلها بثلاث سنين، والرؤية الأولى كانت في بدء البعثة، فبين الرؤيتين نحو عشر سنين. قوله: [وهي شجرة نبق] أي وفيها الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان، لو وضعت ورقة منها في الأرض لأضاءت لأهلها، قيل: هي شجرة طوبى، والصحيح أنها غيرها، والنبق بكسر الباء وسكونها، واختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر، لما قيل: إن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعام لذيذ، ورائحة ذكية، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية، فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره. قيل: إن سدرة المنتهى قالت للنبي ﷺ: استوص بإخواني في الأرض خيراً، فقال ﷺ: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» واستشكل هذا الحديث بأنه يقتضي أن قطع السدر حرام لحاجة ولغير حاجة، مع أنه خلاف المنصوص، وأجيب بأنه سئل أبو داود عن هذا الحديث فقال: هو مختصر وحاصله: «من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار» وبعد ذلك فهذا لا يخص السدر.

قوله: ﴿عندها جنة المأوى﴾ حال من ﴿سدرة المنتهى﴾. قوله: [تأوي إليها الملائكة] الخ، وقيل هي الجنة التي أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن أخرج منها، وقيل: لأن جبريل وميكائيل يأويان إليها، فهذا وجه تسميتها جنة المأوى، أو لأن أهل السعادة يأوون إليها. قوله: ﴿ما يغشى﴾ أبهم الموصول وصلته إشارة إلى أن ما غشيها لا يحيط به إلا الله تعالى. قوله: [من طير وغيره] ورد عنه ﷺ أنه قال: «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله تعالى» وورد أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ذهب بي جبريل إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كقلال هجر، فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها، فأوحى إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة» وقيل: يغشاها أنوار التجلي وقت مشاهدة النبي ﷺ لربه، كما تجلى على الجبل عند مكالمة موسى، لكن السدرة أقوى من الجبل، فالجبل صار دكاً، وخر موسى صعقاً، ولم تتحرك السدرة، ولم يتزلزل محمد ﷺ.

قوله: ﴿ما زاغ البصر﴾ أي ما يلتفت إلى ما غشي السدرة من العجائب المتقدمة، لأن الزيغ هو الالتفات لغير الجهة التي تعنيه. قوله: ﴿وما طغى﴾ الطغيان مجاوزة الحد اللائق كما أفاده المفسر، فوصف ﷺ بكمال الثبات والأدب، مع غرابة ما هو فيه إذ ذاك، وسبق تنزيه علمه عن الضلال، وعمله عن الغواية، ونطقه عن الهوى، وفؤاده عن التكذيب، وهنا تنزه بصره عن الزيغ والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالأقسام، وناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله

قوله: ﴿لقد رأى﴾ اللام في جواب قسم محذوف. قوله: ﴿الكبرى﴾ أفاد المفسر أن من للتبعيض، وهو مفعول لرأى، والكبرى صفة للآيات، ووصفه بوصف المؤنثة الواحدة لجوازه وحسنه مراعاة الفاصلة، وفسر الكبرى بالعظام، إشارة إلى أنه ليس المعنى على التفضيل لعدم حصر تلك الآيات، ووصف العظم مقول بالتشكيك فيها، فيذهب السامع

ستمائة جناح ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ اللتين قبلها ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ٢٠: صفة ذم للثالثة وهي أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ومفعول رأيت الأول اللات وما عطف عليه والثاني محذوف والمعنى أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره ولما زعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ ٢٢: جائرة من ضازه يضيزه إذا ظلمه وجار عليه ﴿إِنْ هِيَ﴾: أي ما المذكورات ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: أي سميتم بها ﴿أَنتُمْ

فيها كل مذهب فتدبر. قوله: [رفرفاً] قيل: هو في الأصل ما تدلى على الأسرة من عالي الثياب ومن أعالي الفسطاط، روي أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى، جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى العرش، حتى وقف بين يدي ربه، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به، حتى أداه إلى جبريل صلوات الله عليهما، وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد، فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى، له خواص الامور في محل الدنو والقرب، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء، مخصوصة بذلك في الأرض.

قوله: ﴿أفرأيتم﴾ استفهام إنكاري، قصد به توبيخ المشركين على عبادتهم الأوثان، بعد بيان تلك البراهين القاطعة الدالة على انفراده تعالى بالألوهية والعظمة، وأن ما سواه تعالى، وإن جلت مرتبته وعظم مقامه، حقير في جانب جلال الله عز وجل. قوله: ﴿اللات﴾ اسم صنم كان في جوف الكعبة، وقيل: كان لثقيف بالطائف، وقيل: اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج، وكان يجلس عند حجر، فلما مات سمي الحجر باسمه، وعبد من دون الله، وأل في اللات زائدة زيادة لازمة كما قال ابن مالك: وقد تزاد لازماً كاللات وتاؤه قيل: أصلية وعليه فأصله ليت، وقيل: زائدة وعليه فأصله لوى يلوي، كأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها، ويلتوون أي يعتكفون عليها، ويترتب على القولين الوقف عليها، فبعض القراء يقف عليها بالهاء على القول بزيادتها، وبعضهم بالتاء على القول بعدم زيادتها. قوله: ﴿والعزى﴾ تأنيث الأعز كالفضلى والأفضل وهو اسم صنم، وقيل: شجرة سمر لغطفان كانوا يعبدونها، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها.

قوله: ﴿ومناة﴾ إما بالهمزة بعد الألف أو بالألف وحدها، قراءتان سبعيتان، إما مشتقة من النوء وهو المطر، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء، أو من منى يمني أي صب، لأن دماء النسك كانت تصب عندها. قوله: [اللتين قبلها] أي إما صفة بالنظر للفظ، أو بالنظر للرتبة، والمعنى أن رتبتها عندهم منحطة عن اللتين قبلها. قوله: [صفة ذم للثالثة] أي لأنها بمعنى المتأخرة الوضيعة المقدار. قوله: [وهي أصنام من حجارة] أي أن الثلاثة أصنام من حجارة، كانت في جوف الكعبة، وقيل: اللات لثقيف بالطائف، والعزى شجرة لغطفان، ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف، وقيل: إن اللات أخذه المشركون من لفظ الله، والعزى من العزيز، ومناة من منى الله الشيء قدره. قوله: [والثاني محذوف] أي وهو جملة استفهامية استفهاماً إنكارياً ذكرها بقوله: [ألهذه الأصنام] الخ، والمعنى أفرأيتموها قادرة على شيء. قوله: [ولما زعموا أيضاً] أي كما زعموا، أن الأصنام الثلاثة تشفع لهم عند الله تعالى.

قوله: ﴿تلك إذاً﴾ أي إذا جعلتم البنات له والبنين لكم. قوله: ﴿ضيزى﴾ بكسر الضاد بعدها همزة أو ياء مكانها، قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بفتح الضاد وسكون الياء. قوله: [وجار عليه] عطف تفسير، وهذا المعنى لكل من القراءات الثلاث. قوله: [ما المذكورات] أي الأصنام المذكورات من حيث وصفها بالألوهية، والمعنى ليس لها من وصف الألوهية التي أثبتموها لها إلا لفظها، وأما معناها فهي خلية عنه، لأنها من أحقر المخلوقات وأذلها. قوله: [أي سميتم بها] دفع بذلك ما يقال: إن الأسماء لا تسمى، وإنما يسمى بها، فكيف قال سميتموها؟ فأجاب: بأن الكلام من

﴿وَآبَاؤُكُم﴾: أصناماً تعبدونها ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾: أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾: حجة وبرهان ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: في عبادتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾: مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[٢٣]: على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾: أي لكل إنسان منهم ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾[٢٤]: من أن الأصنام تشفع لهم ليس الأمر كذلك ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾[٢٥]: أي الدنيا فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾: أي وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾: لهم فيها ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾: من عباده ﴿وَيَرْضَىٰ﴾[٢٦]: عنه لقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾[٢٧]: حيث قالوا: هم

باب الحذف والايصال، والمفعول الأول محذوف قدّره بقوله أصنام. قوله: ﴿أنتم﴾ ضمير فصل أتي به توصلاً لعطف ﴿وآباؤكم﴾ على الضمير المتصل في سميتموها على حد قول ابن مالك:

وإنْ على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

قوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ التفت من خطابهم إلى الغيبة، اشعاراً بأن كثرة قبائحهم، اقتضت الاعراض عنهم. قوله: [مما زين لهم] بيان لما. قوله: ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يتبعون﴾ والمعنى: يتبعون الظن وهوى النفس في حالة تنافي ذلك، هو مجيء الهدى من عند ربهم. قوله: [بالبرهان] حال من الهدى والباء للملابسة، والمراد بالبرهان المعجزات. قوله: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، والاستفهام إنكاري، والمعنى: ليس للإنسان ما يتمنى، بل يعامل بضده، حيث تتبع هواه وخرج عن حدود الشرع، فالمراد بالانسان الكافر، وهذه الآية تجر بذيلها على من يلتجىء لغير الله طلباً للفاني، ويتبع نفسه في ما تطلبه، فليس له ما يتمنى، قال العارف:

لا تتبع النفس في هواها ... إن اتباع الهوى هوان

وأما أهل الصدق مع ربهم، فلهم ما يتمنون وفوق ذلك، لوعد الله الذي لا يتخلف. قوله: ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ كالدليل لما قبله، والمعنى: أنه تعالى لا يعطي ما فيهما، إلا لمن اتبع هداه وترك هواه، لأنه مالك الدنيا والآخرة. قوله: ﴿وكم من ملك﴾ الخ، هذا تقنيط للكفار من تعلق آمالهم بشفاعة معبوداتهم لهم. قوله: [أي وكثيراً من الملائكة] الخ، أشار بذلك إلى أن ﴿كم﴾ خبرية بمعنى كثيراً. قوله: [وما أكرمهم عند الله] جملة تعجبية، جيء بها للدلالة على تشريف الملائكة وزيادة تعظيمهم، ومع ذلك فلا تغني شفاعتهم عنهم شيئاً. قوله: ﴿لمن يشاء﴾ أي فيمن يشاء. قوله: [ومعلوم أنها لا توجد منهم] راجع لقوله: [ولا يشفعون] والقصد من ذلك التوفيق بين الآيتين، في توقف الشفاعة على الإذن.

قوله: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي وهم مشركو العرب، إن قلت: كيف يقال إنهم غير مؤمنين بالآخرة، مع أنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله؟ أجيب: بأنهم غير جازمين بالآخرة، بدليل قوله تعالى حكاية عنهم ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ وإنما اتخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال. وأجيب أيضاً، بأنهم لا يأمنون بالآخرة على الوجه الذي بينته الرسل. قوله: ﴿تسمية الأنثى﴾ أي تسمية الإناث، وذلك أنهم

بنات الله ﴿وَمَا لَهُم بِهِ﴾: بهذا المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: فيه ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: الذي تخيلوه ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا﴾ ٢٨: أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾: أي القرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ٢٩: وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي طلب الدنيا ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أي نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ ٣٠: أي عالم بهما فيجازيهما ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي هو مالك لذلك ومنه الضال والمهتدي يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾: من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾: بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ ٣١: أي الجنة وبين المحسنين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا

رأوا في الملائكة تاء التأنيث، وصح عندهم أن يقال: سجدت الملائكة، فقالوا: الملائكة إناث، وجعلوهم بنات الله لكونهم لا أب لهم ولا أم. قوله: [بهذا المقول] أي هم بنات الله.

قوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي لأنهم لم يشاهدوا خلقهم، ولم يسمعوا ما قالوه من رسول، ولم يروه في كتاب، بل عولوا على مجرد ظنهم الفاسد، ولو أذعنوا للقرآن وللنبي لأفادهم صحة التوحيد ونفعه. قوله: [أي عن العلم] أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن، والحق بمعنى العلم. قوله: [فيما المطلوب فيه العلم] أي في الأمر الذي يطلب فيه العلم وهو الإعتقاديات، بخلاف العمليات، فالظن فيها كاف لاختلاف الأئمة في الفروع الفقهية، فتحصل أن الأمور الاعتقادية، كمعرفة الله تعالى، ومعرفة الرسل وما أتوا به لا بد فيها من الجزم المطابق للحق عن دليل، ولا يكفي فيها الظن، وأما الأمور العملية كفروع الدين فيكفي فيها غلبة الظن.

قوله: ﴿فأعرض عمن تولى﴾ أي أترك دعوته والاهتمام بشأنه، فإنه لا تفيد دعوته إلا عناداً وإصراراً على الباطل.

قوله: [وهذا قبل الأمر بالجهاد] أي فهو منسوخ بآية القتال، وقد تبع المفسر في ذلك أكثر المفسرين، وقال الرازي: إنها ليست منسوخة بآية القتال، بل هي موافقة لها، وذلك لأن النبي ﷺ في الأول كان مأموراً بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فلما عارضوا أمر بإزالة شبههم، والجواب عنها فقيل له: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له: أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان، فإنهم لا ينتفعون به وقاتلهم، فثمرة الإعراض القتال، وقد يقال: إن الخلاف لفظي، فمن أراد بالأعراض الكف عن مجادلتهم ومعاملتهم بالتي هي أحسن قال بالنسخ، ومن أراد بالإعراض عنهم ترك جدالهم ومعاملتهم بالسيف قال بعدمه. قوله: ﴿مبلغهم من العلم﴾ تسميته علماً تهكم بهم.

قوله: ﴿إن ربك هو أعلم﴾ الخ تعليل للأمر بالإعراض، والمعنى: أن الله عالم بالضال فيجازيه على ضلاله، وبالمهتدي فيجازيه على هداه، ومن هنا خاف العارفون من سوء الخاتمة لعدم اعتمادهم على أعمالهم. قوله: [ومنه الضال والمهتدي] دفع بذلك ما يقال: كيف يجعل الجزاء علة لملك ما في السماوات والأرض، مع أنه ثابت لله تعالى بالذات، فأجاب: بأنه علة لمحذوف، دل عليه قوله ملك السماوات والأرض.

قوله: ﴿ليجزي الذين أساؤوا﴾ الخ أشار بذلك إلى أن اللام متعلقة بمحذوف قدره بقوله: [يضل من يشاء الخ، ويصح أن تكون اللام للعاقبة والصيرورة، والمعنى: أن عاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم المحسن والمسيء، فيجازي المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة. قوله: [وبين المحسنين] الخ، أي فالذين يجتنبون بدل أو عطف بيان أو نعت للذين أحسنوا، أو مفعول لمحذوف تقديره أعني، أو خبر لمحذوف تقديره هم الذين الخ. قوله: ﴿كبائر الإثم﴾ جمع كبيرة، وهي ما ورد فيها وعيد أو حد. قوله: ﴿والفواحش﴾ إما عطف مرادف إن أريد بها الكبائر، أو خاص إن أريد

﴿اللَّمَمَ﴾: هو صغار الذنوب والنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع والمعنى لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾: بذلك وبقبول التوبة ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾: أي عالم ﴿بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: أي خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾: جمع جنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾: لا تمدحوها أي على سبيل الإعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾: أي عالم ﴿بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ ٣٢ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ ٣٣: عن الإيمان أي ارتد لما عير به وقال: إني خشيت عقاب الله فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾: من المال المسمى ﴿وَأَكْدَىٰ﴾ ٣٤: منع الباقي مأخوذ من الكدية وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل

بها ما ترتب عليه عظيم مفسدة، كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك. قوله: ﴿إلا اللمم﴾ هو في الأصل أن يلم بالشيء ولم يرتكبه، والمراد به فعل الصغائر. قوله: [كالنظرة] أي وكالكذب الذي لا حد فيه، ولم يترتب عليه إفساد بين الناس، وهجر المسلم فوق ثلاث، والتبختر في المشي ونحو ذلك.

قوله: ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ تعليل لقوله: ﴿إلا اللمم﴾ والمعنى أن عدم المؤاخذة على الصغائر لا لكونها ليست ذنباً، بل لسعة مغفرة الله. قوله: [بذلك] أي باجتناب الكبائر. قوله: [أي عالم] أشار بذلك إلى أنه ليس المراد صيغة التفضيل. قوله: ﴿إذ أنشأكم من الأرض﴾ أي فهو عالم بتفاصيل أموركم، حين ابتدأ خلق أبيكم آدم من التراب، وحين صوركم في الأرحام. قوله: [جمع جنين] سمي بذلك لاستتاره في بطن أمه. قوله: [لا تمدحوها] أي لا تثنوا عليها، ولا تشهدوا لها بالكمال والتقي، فإن النفس خسيسة، إذا مدحت اغترت وتكبرت، فالذي ينبغي للشخص، هضم النفس وذلها واستخفافها. قوله: [أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن] أي ولذا قيل: المسرة بالطاعة طاعة، وذكرها شكر، قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾.

قوله: ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أي بمن أخلص في طاعته وتقواه، فينتفع بها ويثاب عليها، وأما المرائي فلا ينتفع بطاعته، بل يعاقب عليها، لأن الرياء يحبط العمل. قوله: [أي ارتد] أي بعد أن أسلم بالفعل، وهذا أحد قولين، وقيل: قارب الإسلام ولم يسلم بالفعل. قوله: [وأعطاه من ماله] الضمير المستتر في أعطى عائد على الذي تولى، والبارز عائد على الذي ضمن له عذاب الله، فتحصل أن الضامن جعل على المتولي شيئين: الرجوع إلى الشرك، وأن يدفع له عدداً معيناً من ماله، وجعل على نفسه هو شيئاً واحداً، وهو ضمان عذاب الله. قوله: ﴿وأكدى﴾ هو في الأصل من أكدى

---

* أسباب نزول الآية ٣٢: أخرج الواحدي والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: كذبت اليهود ما من نسمة يخلقه الله في بطن أمه إلا ويعلم أنه شقي أو سعيد فأنزل الله عند ذلك هذه الآية ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ٣٣ - ٤١: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة أن النبي ﷺ خرج في غزوة فجاء رجل يريد أن يحمل فلم يجد ما يخرج عليه فلقي صديقاً له فقال: أعطني شيئاً فقال: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل ذنوبي فقال له: نعم، فأنزل الله ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ الآيات. وأخرج عن دراج أبي السمح قال: خرجت سرية غازية فسأل رجل رسول الله ﷺ أن يحمله فقال: لا أجد ما أحملك عليه فانصرف حزيناً فمر برجل رحاله منيحة بين يديه فشكا إليه فقال الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك فقال: نعم فركب فنزلت ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ إلى ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: إن رجلاً أسلم فلقيه بعض من يعيره فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله، قال: أعطني شيئاً وأنا أحمل كل عذاب كان عليك فأعطاه شيئاً فقال: زدني، فتعاسرا حتى أعطاه شيئاً وكتب كتاباً وأشهد له، ففيه نزلت هذه الآية ﴿أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى﴾.

إليها من الحفر ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ ٣٥: يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة لا وهو الوليد بن المغيرة أو غيره وجملة أعنده المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني ﴿أَمْ﴾: بل ﴿لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ ٣٦: أسفار التوراة أو صحف قبلها ﴿وَ﴾: صحف ﴿إِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ ٣٧: تمم ما أمر به نحو: ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ وبيان ما ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ٣٨: الخ وأن مخففة من الثقيلة أي أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها ﴿وَأَن﴾: أي أنه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ٣٩: من خير فليس له من سعي غيره الخير

الحافر إذا أصاب كدية منعته من الحفر، ومثله أجبل، أي صادف جبلاً منعه من الحفر، ثم استعمل في كل من طلب منه شيء فلم يعطه.

قوله: ﴿أعنده علم الغيب﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي، أي ليس عنده علم الغيب. قوله: ﴿فهو يرى﴾ عطف على قوله: ﴿أعنده علم الغيب﴾ فهي داخلة في حيز الاستفهام. قوله: [وهو الوليد ابن المغيرة] أي وهو قول مقاتل وعليه الأكثر. قوله: [أو غيره] أي فقيل: هو العاص بن وائل السهمي، وقيل: هو أبو جهل، وهذا الخلاف في بيان الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى، وأما الذي غره وضمن أن يحمل عنه العذاب، فلم يذكروا تعيينه. قوله: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ ﴿أم﴾ منقطعة، والمعنى أبل لم يخبر بالذي في صحف موسى الخ، حتى يغتر بما قيل له، وقدم موسى لقرب عهده منهم، وخص هذين الرسولين لأنهم كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره، فكان الرجل إذا قتل، وظفر أهل المقتول بأبي القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه، حتى جاءهم إبراهيم، فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾. قوله: [تمم ما أمر به] أي من تبليغ الرسالة، وقيامه بالضيفان، وخدمته إياهم بنفسه، فكان يخرج يلتقي الضيفان من مسافة فرسخ، فإن وجد الضيفان أكرمهم وأكل معهم، وإلا نوى الصوم، وصبره على النار، وذبح ولده، وقيل: المراد ﴿وفى﴾ سهام الإسلام وهي ثلاثون: عشرة في التوبة ﴿التائبون العابدون﴾ وعشرة في الأحزاب ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾، وعشرة في المؤمنون ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وقيل: المراد ﴿وفى﴾ بكلمات كان يقولهن إذا أصبح وإذا أمسى ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ إلى ﴿تظهرون﴾ والمعنى أنه ما أمره الله تعالى بشيء إلا وفى به. قوله: [وبيان ما] أي فقوله ﴿أن لا تزر﴾ في محل جر بدل من ما في قوله: ﴿بما في صحف موسى﴾ ويصح رفعه على أنه خبر لمحذوف، أي هو ﴿أن لا تزر﴾ ونصبه على أنه مفعول لمحذوف. قوله: ﴿وازرة﴾ صفة لموصوف محذوف، أي نفس وازرة، أي مكلفة بالوزر، وليس المراد وازرة بالفعل. قوله: ﴿وزر أخرى﴾ أي وزر نفس أخرى. قوله: [الخ] المراد به قوله: ﴿فبأي آلاء ربك تتمارى﴾، وهذا على فتح همزة ﴿أن﴾ في قوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ وما بعده وهي ثمانية تضم لثلاث قبلها، فتكون الجملة أحد عشر شيئاً، وأما على قراءة الكسر في هذه الثمانية، فيكون المراد بقوله إلى آخره ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ فيكون البيان بالثلاثة الأول فقط. قوله: [وأن مخففة من الثقيلة] أي واسمها محذوف هو ضمير الشأن و﴿لا تزر﴾ هو الخبر.

قوله: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ استشكل هذا الحصر بأمور: منها أن الدال على الخير كفاعله، ومنها واتبعتهم ذريتهم بإيمان، ومنها إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، إلى قوله أو ولد صالح يدعو له، ومنها غير ذلك. قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله، فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة، أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير. ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها. ثالثها: لأهل الكبائر في الخروج من النار. رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض. خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته، وهذا

شيء ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ ٤٠: أي يبصر في الآخرة ﴿ثُمَّ يُجْزَيٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ ٤١: الأكمل يقال جزيته سعيه وبسعيه ﴿وَأَنَّ﴾: بالفتح عطفاً وقرىء بالكسر استئنافاً وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ ٤٢: المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾: من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ ٤٣: من شاء أحزنه ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾: في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ ٤٤: للبعث ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾: الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ ٤٥ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: مني ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ٤٦: تصب في الرحم ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ﴾: بالمد والقصر ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ ٤٧: الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾: الناس بالكفاية بالأموال

انتفاع بغير عملهم. سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم. سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾. ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والإجماع. تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة. عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير. حادي عشرها: المديون قد امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي ﷺ وهو من عمل الغير، إلى آخر ما قال. وأجيب بأجوبة منها: أن الآية منسوخة، ورد بأنها خبر، والأخبار لا تنسخ. ومنها: أن المراد بالإنسان الكافر. ومنها: أن هذا حكاية عما في صحف موسى وإبراهيم فليس في شرعنا. قوله: [أي يبصر في الآخرة] أي لأن العمل يصور بصورة جميلة إن كان صالحاً، وقبيحة إن كان سيئاً، ليكون سروراً للمؤمن، وحزناً للكافر.

قوله: ﴿ثم يجزاه﴾ الضمير المرفوع عائد على الإنسان، والمنصوب عائد على السعي. قوله: ﴿الجزاء الأوفى﴾ مصدر مبين للنوع. قوله: [يقال جزيته سعيه] الخ، أشار بذلك إلى أن الجزاء يتعدي للمفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر. قوله: [بالفتح عطفاً] أي على قوله: ﴿أن لا تزر وازرة﴾ الخ، وعليه فيكون بدلاً من جملة ﴿ما في صحف موسى وإبراهيم﴾. قوله: [وقرىء بالكسر استئنافاً] أي وعليه فيكون زائداً على ما في صحف موسى وإبراهيم، لأن القرآن فيه ما في الصحف وزيادة. قوله: [وكذا ما بعدها] أي من قوله: ﴿وأنه أضحك وأبكى﴾ إلى قوله: ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ والكسر شاذ.

قوله: ﴿إلى ربك المنتهى﴾ أي منتهى أمر الخلق ومرجعهم إليه تعالى، وهذا كالدليل لقوله: ﴿ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ وكأنه قال: الله يجزي الإنسان على أعماله الجزاء الأوفى، لأنه إليه المنتهى في الأمور كلها، وإذا كان كذلك، فينبغي للإنسان أن يرجع إلى ربه في أموره كلها، ولا يعول على شيء من الأشياء لأنه الآخذ بالنواصي، واختلف في المخاطب بقوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ فقيل كل عاقل، وقيل محمد ﷺ، وهذا على قراءة الكسر، وأما على قراءة الفتح فقيل كل عاقل؛ وقيل موسى وإبراهيم على سبيل التوزيع لأنه محكي عن صحفهما. قوله: [أفرحه] أشار بذلك إلى أن الضحك مستعمل في حقيقته، وكذا البكاء، وأن مفعول كل من الفعلين محذوف.

قوله: ﴿وأنه خلق الزوجين﴾ الخ، الحكمة في إسقاط ضمير الفصل في هذا، وإثباته في قوله: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى﴾ الإشارة لدفع توهم أن للمخلوق مدخلاً في الإضحاك والإبكاء، والإماتة والإحياء، فأكده بالفصل، ولما لم يحصل في خلق الذكر والأنثى وما بعده توهم أن للغير مدخلاً لم يؤكده بضمير الفصل. قوله: ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ أي بحكم الوعد الكائن في قوله: ﴿إنا نحن نحيي ونميت﴾ إذ لا يجب

﴿وَأَقْنَى﴾ ٤٨: أعطى المال المتخذ قنية ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ ٤٩ هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ ٥٠: وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضمها وبلا همزة هي قوم عاد والأخرى قوم صالح ﴿وَثَمُودَا﴾: بالصرف اسم للأب وبلا صرف للقبيلة وهو معطوف على عاداً ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ ٥١: منهم أحداً ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾: أي قبل عاد وثمود أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ ٥٢: من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾: وهي قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ ٥٣: أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك ﴿فَغَشَّاهَا﴾: من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَّى﴾ ٥٤: أبهم تهويلاً وفي هود فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ﴾: أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَى﴾ ٥٥: تتشكك أيها الإنسان أو تكذب ﴿هَذَا﴾:

عليه تعالى فعل شيء ولا تركه. قوله: [بالمد والقصر] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أعطى المال المتخذ قنية] أي الذي يدوم عند صاحبه.

قوله: ﴿رب الشعرى﴾ اعلم أن الشعرى في لسان العرب كوكبان: أحدهما الشعرى العبور، وتسمى الشعرى اليمانية تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر، كانت تعبدها خزاعة من العرب، وأول من سن عبادتها رجل من ساداتهم يقال له أبو كبشة، وهي المرادة في الآية، والثاني الشعرى الغميصاء، بضم الغين وفتح الميم من الغمص بفتحتين وهو سيلان دمع العين. قوله: [بإدغام التنوين] أي بعد قلبه لاماً، وقوله: [في اللام] أي لام التعريف. قوله: [وضمها] أي بنقل حركة همزة أولى إليها، وقوله: [بلا همز] أي للواو التي بعد اللام المدغم فيها التنوين، وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضاً، وهي هذه القراءة بعينها، إلا أن الواو المذكورة تقلب همزة ساكنة. قوله: [هي قوم هود] أي وسميت أولى لتقدمها في الزمان على عاد الثانية التي هي قوم صالح وهم ثمود، فأهلكت الأولى بالريح الصرصر، والثانية بصيحة جبريل؛ وتسمى كل من القبيلتين عاداً لأن جدهم واحد، وهو عاد بن أرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام. قوله: [وهو معطوف على عاداً] أي ويصح نصبه بفعل محذوف تقديره وأهلك ثموداً، وليس منصوباً بأبقى لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها. قوله: [أهلكناهم] صوابه أهلكهم، وأشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وقوم نوح﴾ منصوب بفعل محذوف ويصح عطفه على ما قبله.

قوله: ﴿إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ الضمير عائد على قوم نوح خاصة، وعليه مشى المفسر، ويصح عوده على الفرق الثلاث. والمعنى: أظلم وأطغى من غيرهم. قوله: [يؤذونه ويضربونه] أي حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. قوله: ﴿والمؤتفكة﴾ منصوب بأهوى، قدم رعاية للفاصلة. ومعنى المؤتفكة المنقلبة، لأن الائتفاك الانقلاب. قوله: [مقلوبة] حال من ضمير [أسقطها]. قوله: ﴿فغشاها﴾ ألبسها وكساها، والفاعل ضمير عائد على الله تعالى، وقوله: ﴿ما غشى﴾ مفعول به. قوله: [تهويلاً] أي تفخيماً وتعظيماً. والمعنى: غشاها أمراً عظيماً من الحجارة وغيرها، مما لا يسع العقول وصفه. قوله: [وفي هود فجعلنا] الخ، الصواب أن يقول، وفي هود ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾ الخ، أو يقول: وفي الحجر ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ ﴿وأمطرنا عليهم﴾ بدل قوله عليها. قوله: ﴿فبأي﴾ الباء ظرفية متعلقة بتتمارى، والمعنى: في أي آلاء ربك تتشكك. قوله: [أيها الإنسان] أي مطلقاً، وقيل: المراد به الوليد بن المغيرة، وقيل: الخطاب للنبي، والمراد غيره.

محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ﴾٥٦: من جنسهم أي رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾٥٧: قربت القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: نفس ﴿كَاشِفَةٌ﴾٥٨: أي لا يكشفها ويظهرها إلا هو كقوله: ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: أي القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾٥٩: تكذيباً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾: استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾٦٠ لسماع وعده ووعيده ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾٦١: لاهون غافلون عما يطلب منكم ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: الذي خلقكم ﴿وَٱعْبُدُوا﴾٦٢: ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

قوله: ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ النذير بمعنى المنذر، والتنوين للتفخيم. قوله: ﴿أزفت الآزفة﴾ أزف من باب تعب دنا وقرب. قوله: [قربت القيامة] أي الموصوفة بالقرب، فهي في نفسها قريبة من يوم خلق الله الدنيا، لأن كل آت قريب، وقد زادت قرباً ببعثة رسول الله ﷺ، لأنه من امارات الساعة كما هو معلوم. قوله: [نفس] ﴿كاشفة﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿كاشفة﴾ صفة لموصوف محذوف. قوله: [أي لا يكشفها ويظهرها إلا هو] أي فهو من كشف الشيء عرف حقيقته، ويصح أن يكون من كشف الضر أزاله. والمعنى ليس لها مزيل غيره تعالى، لكنه لم يفعل ذلك لأنه سبق في علمه وقوعها.

قوله: ﴿أفمن هذا الحديث﴾ متعلق بتعجبون. قوله: [تكذيباً] قيد به لأن التعجب قد يكون استحساناً، وكذا يقال في قوله: [استهزاء]. قوله: ﴿وأنتم سامدون﴾ إما مستأنف أو حال. قوله: [لاهون غافلون] أي فالسمود اللهو والغفلة، وقيل: الإعراض والاستكبار. قوله: ﴿فاسجدوا لله﴾ يحتمل أن المراد به سجود الصلاة، وهو ما عليه مالك، ويحتمل أن المراد سجود التلاوة، وبه أخذ الشافعي وأبو حنيفة، ويؤيده ما روي أن النبي ﷺ سجد في النجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والأنس، إلا أبي بن خلف، رفع كفاً من تراب على جبهته وقال: يكفي هذا. قوله: ﴿واعبدوا﴾ عطف عام على خاص. وقوله: [ولا تسجدوا للأصنام] الخ أخذه من لام الاختصاص ومن السياق.

* * *

---

* أسباب نزول الآية ٦١: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين، فنزلت ﴿وأنتم سامدون﴾.

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

[٥٤]- سورة القمر

[مكية إلّا ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ الآية وهي خمس وخمسون آية]

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: قربت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[١]: انفلق فلقتين على أبي قبيس وقعيقعان آية له ﷺ وقد سئلها فقال «اشهدوا» رواه الشيخان ﴿وَإِن يَرَوْا﴾: أي كفار قريش ﴿آيَةً﴾: معجزة له ﷺ ﴿يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾: هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[٢]: قوي من المرّة القوة أو دائم ﴿وَكَذَّبُوا﴾: النبي ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: في الباطل ﴿وَكُلُّ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة القمر مكية

إلا ﴿سيهزم الجمع﴾ الآية. وهي خمس وخمسون آية

جميع فواصل آياتها على الراء الساكنة. قوله: [الآية] أي وآخرها ﴿ويولون الدبر﴾. قوله: [وقربت القيامة] أشار بذلك إلى أن الفعل المزيد بمعنى المجرد، وإنما أتى بالمزيد مبالغة، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، والمراد بالقيام خروج الناس من القبور، وله أسماء كثيرة: الحاقة، والواقعة، ويوم الدين، ويوم الجزاء، وغير ذلك. قوله: ﴿وانشق القمر﴾ اعلم أنه يسمى قمراً بعد ثلاث من الشهر، وقبلها هلالاً إلى أربع عشرة، وليلتها يسمى بدراً. قوله: [فلقتين] تثنية فلقة بالكسر كقطعة وزناً ومعنى، والانشقاق كان قبل الهجرة بخمس سنين، وهل كان ليلة أربع عشرة من الشهر أو لا؟ لم يثبت، وأما قول البوصيري:

شقّ عن صدره وشقّ له البد ... ر ومن شرط كلّ شرطٍ جزاء

فإن كان عن نقل صحيح فهو مقبول لأنه حجة، وإلا فتسميته بدراً مجاز، وما ذكره المفسر من أنه انفلق بالفعل هو المشهور، وقيل: المعنى سينشق القمر إذا قامت القيامة لأن السماء تنشق حينئذ بما فيها، وقيل: إن المعنى ظهر الأمر واتضح. قوله: [وقعيقعان] هو جبل مقابل أبي قبيس. قوله: [وقد سئلها] الجملة حالية، والمسؤول إما مطلق آية، أو خصوص انشقاق القمر، روايتان. قوله: [فقال اشهدوا] أي بأني رسول الله، ولست بساحر كما ترعمون. قوله: ﴿يعرضوا﴾ أي عن الإيمان بها. قوله: [هذا] ﴿سحر﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿سحر﴾ خبر لمحذوف. قوله: [قوي أو

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ فقالوا: سحر القمر، فنزلت ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، وأخرج الترمذي عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ إلى قوله ﴿سحر مستمر﴾.

أَمْرٍ﴾: من الخير والشر ﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ [٣]: بأهله في الجنة أو النار ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾: أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [٤]: لهم اسم مصدر أو اسم مكان والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة ﴿حِكْمَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر ﴿بَالِغَةٌ﴾: تامة ﴿فَمَا تُغْنِي﴾: تنفع فيهم ﴿النُّذُرُ﴾ [٥]: جمع نذير بمعنى منذر أي الأمور المنذرة لهم وما للنفي أو للاستفهام الإنكاري وهي على الثاني مفعول مقدم ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: هو فائدة ما قبله وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾: هو إسرافيل وناصب يوم يخرجون بعد ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ [٦]: بضم الكاف وسكونها أي منكر تنكره النفوس لشدته وهو الحساب ﴿خَاشِعًا﴾: ذليلا وفي قراءة: خشعاً بضم الخاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: حال من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾: أي الناس ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [٧]: لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة

دائم] هذان قولان من أربعة أقوال، والثالث أن معناه ذاهب، لا يبقى مأخوذ من المرور، والرابع أن معناه مر بشع لا نقدر أن نسيغه كما لا نسيغ المر.

قوله: ﴿وكذبوا واتبعوا﴾ عبر بالماضي إشارة إلى أن التكذيب واتباع الهوى من عاداتهم ودأبهم. قوله: ﴿وكل أمر مستقر﴾ جملة مستأنفة مركبة من مبتدإ وخبر، قاطعة لأطماعهم الكاذبة، والمعنى: كل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: ﴿مستقر﴾ [بأهله] الباء بمعنى اللام، والمعنى: ثابت لأهله ما ينشأ عنه من ثواب وعقاب. قوله: [أو اسم مكان] أي على أن فيه تجريداً، والمعنى أنه موضع ازدجار. قوله: [بدل من تاء الافتعال] أي لأن الزاي حرف مجهور، والتاء حرف مهموس، فأبدلوها إلى حرف مجهور قريب من التاء وهو الدال، وكما تقلب تاء الافتعال دالاً بعد الزاي، كذلك تقلب دالاً بعد الدال والذال، قال ابن مالك: في ادان وازدد وادكر دالاً بقي. قوله: [وما موصولة أو موصوفة] أي وهي فاعل بجاء، و﴿من الأنباء﴾ حال منها. قوله: [أو بدل من ما] أي بدل كل من كل، أو بدل اشتمال. قوله: ﴿بالغة﴾ [تامة] أي لا خلل فيها.

قوله: ﴿فما تغن النذر﴾ حذفت الياء لفظاً لالتقاء الساكنين، وتحذف في الخط اتباعاً للفظ ولرسم المصحف. قوله: [أي الأمور المنذرة لهم] أي كما وقع للأمم السابقة من العذاب. قوله: [مفعول مقدم] أي مفعول به، والمعنى: فأي شيء من الأشياء النافعة تغني النذر أو مفعول مطلق، والمعنى فأي إغناء تغني النذر. قوله: ﴿فتول عنهم﴾ قيل: منسوخة بآية السيف، وقيل: غير منسوخة بل معناها: فتول عنهم ولا تكلمهم بل قاتلهم. قوله: [هو فائدة ما قبله] أي نتيجته وثمرته.

قوله: ﴿يوم يدع الداع﴾ حذفت الواو من يدع لفظاً لالتقاء الساكنين، وخطاً تبعاً لرسم المصحف وللفظ، وحذفت الياء من الداع خطاً لأنها من ياءات الزوائد، وأما في اللفظ فقرىء في السبع بإثباتها وحذفها، وكذا يقال في الداع الآتي. قوله: [هو إسرافيل] هذا أحد قولين، وقيل: هو جبريل يقول في ندائه: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتفرقة، والشعور المتمزقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. قوله: [وناصب يخرجون بعده] أي أو محذوف تقديره اذكر. قوله: [بضم الكاف] الخ، أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [تنكره النفوس] أي جميعها أو نفوس الكفار، لأن المؤمنين حينئذ يكونون آمنين. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [حال] أي قوله: ﴿خاشعاً﴾ و﴿أبصارهم﴾ فاعل به، وأسند الخشوع للأبصار لأنه يظهر فيها أكثر من بقية البدن. قوله: [أي الناس] أي مؤمنهم وكافرهم.

حال من فاعل يخرجون وكذا قوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾: أي مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَافِرُونَ﴾: منهم ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[٨]: أي صعب على الكافرين كما في المدثر يوم عسير على الكافرين ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾: نوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾[٩]: أي انتهروه بالسب وغيره ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾: بالفتح بأني ﴿مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[١٠] ﴿فَفَتَحْنَا﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾[١١]: منصب انصباباً شديداً ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾: تنبع ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَاءُ﴾: ماء السماء والأرض ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ﴾: حال ﴿قَدْ قُدِرَ﴾[١٢]: قضى به في الأزل وهو هلاكهم غرقاً ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾: أي نوحاً ﴿عَلَىٰ﴾: سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[١٣]: وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها واحدها دسار ككتاب ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾:

قوله: ﴿من الأجداث﴾ جمع جدث بفتحتين، كفرس وأفراس. قوله: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ أي في الكثرة والانتشار في الأمكنة. قوله: [لا يدرون أين يذهبون] الخ. اعلم أن الناس حين الخروج من القبور، شبهوا في هذه الآية بالجراد المنتشر، وفي الآية الأخرى بالفراش المبثوت، فمن حيث تحيرهم وتداخل بعضهم في بعض، شبهوا بالفراش المبثوت، ومن حيث انتشارهم وقصدهم الجهة التي يجتمعون فيها، شبهوا بالجراد المنتشر، إذا علمت ذلك، فما قاله المفسر لا يناسب تشبيههم بالجراد بل الفراش، هكذا قالوا فتدبر. قوله: [مادين أعناقهم] الخ أي فمعنى ﴿مهطعين﴾ مادين الأعناق مع سرعة المشي. قوله: ﴿يقول الكافرون﴾ الخ استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وشدائدها، كأنه قيل: فما يقول الكافر حينئذ؟ قوله: [كما في المدثر] أي ففي المدثر ما يفيد أن الصعوبة والشدة لخصوص الكافر.

قوله: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تفصيل لما أجمل أولاً في قوله: ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾. قوله: [لمعنى قوم] أي وهو الأمة. قوله: ﴿فكذبوا عبدنا﴾ تفصيل لقوله: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ فالمكذِّب والمكذَّب في الموضعين واحد. قوله: ﴿وازدجر﴾ عطف على ﴿قالوا﴾ والمعنى قالوا مجنون وانتهروه. قوله: [وغيره] أي كالضرب والخنق، فكانوا يضربونه ويخنقونه حتى يغشى عليه فيتركونه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قوله: ﴿فدعا ربه﴾ أي بعد صبره عليهم الزمن الطويل، فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يعالجهم فلم يفد فيهم شيئاً. قوله: ﴿أني مغلوب﴾ بفتح الهمزة في قراءة العامة على حكاية المعنى، ولو حكى اللفظ لقال إنه مغلوب، وقرىء شذوذاً بكسر الهمزة على إضمار القول. والمعنى: فدعا ربه قائلاً ﴿إني مغلوب﴾. قوله: ﴿فانتصر﴾ أي انتقم لي منهم، وذلك بعد يأسه من إيمانهم، حيث أوحى الله إليه، إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، ودعا عليهم أيضاً بقوله ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ وبقوله ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين﴾.

قوله: ﴿ففتحنا﴾ عطف على محذوف تقديره فاستجبنا له. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿أبواب السماء﴾ أي جميعها ويؤخذ من ذلك أن السماء لها أبواب حقيقة وتغلق وهو كذلك. قوله: ﴿بماء﴾ الباء للتعدية مبالغة، حيث جعل الماء كالآلة التي يفتح بها. قوله: ﴿منهمر﴾ المنهمر الغزير النازل بقوة. قوله: ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾ تمييز محول عن المفعول، لأن أصله: وفجرنا عيون الأرض. قوله: [تنبع] أي تخرج من العين، ومكث الماء يصب من السماء وينبع من الأرض أربعين يوماً، قيل: كان ماء السماء بارداً مثل الثلج، وماء الأرض حاراً مثل الحميم، وهل كان ماء السماء أكثر أو ماء الأرض أو مستويين أقوال. قوله: ﴿فالتقى الماء﴾ أي جنسه الصادق بماء السماء والأرض. قوله: [وغيرها] أي كالصفائح والخشب الذي يسمر فيه الألواح والخيوط ونحوها. قوله: [جمع دسار] وقيل: جمع دسر بسكون السين كسقف وسقف.

بمرأى منا أي محفوظة ﴿جَزَاءً﴾: منصوب بفعل مقدر أي أغرقوا انتصاراً ﴿لِمَن كَانَ كُفِرَ﴾ ١٤: وهو نوح ﷺ وقرىء كفر بناء للفاعل أي أغرقوا عقاباً لهم ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا﴾: أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾: لمن يعتبر بها أي شاع خبرها واستمر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ١٥: معتبر ومتعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالاً مهملة وكذا المعجمة ادغمت فيها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ١٦: أي إنذاري استفهام تقرير وكيف خبر كان وهي للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ١٧: متعظ به وحافظ له والاستفهام بمعنى الأمر أي احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: نبيهم هوداً فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ١٨: أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وقد بينه بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: أي شديدة الصوت ﴿فِي

قوله: ﴿تجري﴾ صفة ثانية للموصوف المحذوف. قوله: ﴿بأعيننا﴾ حال من ضمير ﴿تجري﴾. قوله: [منصوب بفعل مقدر] أي مفعول لأجله. قوله: [وهو نوح] أي لأنه نعمة كفروها، إذ كل نبي نعمة على أمته. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً. قوله: [هذه الفعلة] أي وهي الغرق على هذا الوجه، وقيل هي السفينة بناء على أنها بقيت على الجودي زماناً مديداً، حتى رآها أوائل هذه الأمة. قوله: [معتبر متعظ بها] أي يعتبر بما صنع الله بقوم نوح، فيترك المعصية، ويفعل الطاعة. قوله: [وكذا المعجمة] أي الذال التي قبل التاء أبدلت دالاً مهملة، وقوله: [وأدغمت] أي الدال المهملة المنقلبة عن المعجمة، وقوله: [فيها] أي في الدال المنقلبة عن التاء.

قوله: ﴿ونذر﴾ بإثبات الياء لفظاً وحذفها قراءتان سبعيتان، وأما في الرسم فلا تثبت لأنها من ياءات الزوائد، وكذا يقال في المواضع الآتية. قوله: [وكيف خبر كان] أي فهي ناقصة و﴿عذابي﴾ اسمها. قوله: [وهي للسؤال عن الحال] أي فإذا أردت أن تختبر حال شخص تقول له: كيف أنت؟ أصحيح أم سقيم مثلاً؟ قوله: [بوقوع عذابه تعالى] الخ أي أنه في غاية العدل، فلا ظلم فيه ولا جور. قوله: [سهلناه للحفظ] أي أعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيعان عليه، وليس من كتاب يقرأ عن ظهر قلب إلا القرآن، ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرؤون التوراة إلا نظراً، غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت، ومن هذا المعنى قوله تعالى في الحديث القدسي: وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم. قوله: [أو هيأناه للتذكر] أي بأن أودعنا فيه أنواع المواعظ والعبر، وبالجملة فقد جعل الله القرآن مهيأ ومسهلاً لمن يريد حفظ اللفظ، أو حفظ المعنى، أو الاتعاظ به، فهو رأس سعادة الدنيا والآخرة. قوله: [والاستفهام بمعنى الأمر] أي فهو للتحضيض. قوله: [أي احفظوه واتعظوا به] أي ليكمل لكم الاصطفاء، فإن من آتاه الله القرآن حفظاً أو اتعاظاً، فقد جعله الله من أهله، ومن جمع بين الأمرين، فهو على أكمل الأحوال.

قوله: ﴿كذبت عاد﴾ الخ، هذا أيضاً من جملة تفصيل قوله ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾ وذكر قصة عاد عقب قصة نوح لأنهم ذرية نوح، لأن عاداً هو ابن إرم بن سام بن نوح. قوله: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ مرتب على محذوف قدره بقوله: [فعذبوا]. قوله: [أي وقع موقعه] أي فتعذيبه لهم عدل منه تعالى لأنه أنذرهم أولاً على لسان نبيهم فلم يؤمنوا، وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى، أنه لا يؤاخذ عبده بغير جرم تنزلاً منه تعالى، وإلا فلو أخذ عباده بغير جرم لا يسمى ظالماً لأنه تصرف في ملكه، والظلم التصرف في ملك الغير بغير إذنه. قوله: [وقد بينه بقوله] الخ،

﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾: شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ ١٩: دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الأربعاء آخر الشهر ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: وحالهم ما ذكر ﴿أَعْجَازُ﴾: أصول ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ ٢٠: منقلع ساقط على الأرض وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنث في الحاقة نخل خاوية مراعاة للفواصل في الموضعين ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ٢١: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ٢٢ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ ٢٣: جمع نذير بمعنى منذر أي بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا﴾: منصوب على الاشتغال ﴿مِّنَّا وَٰحِدًا﴾: صفتان لبشراً ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾: مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفي المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك أي لا نتبعه ﴿إِنَّآ إِذًا﴾: أي إن اتبعناه ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾: ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ ٢٤: جنون ﴿أَءُلْقِىَ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿ٱلذِّكْرُ﴾: الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾: أي لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ

أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿إنا أرسلنا﴾ الخ، تفصيل لما أجمل أولاً. قوله: [شؤم] أي غير مبارك. قوله: [دائم الشؤم] أي إلى الأبد عليهم، وهو يوم مبارك على هود ومن تبعه، فهو يوم نحس على الكافرين، ويوم مبارك على المؤمنين. قوله: [أو قوية] أي فهو مأخوذ من المرة وهي القوة، وفي الحقيقة هو دائم الشؤم قويه. قوله: [آخر الشهر] أي شهر شوال لثمان بقين منه؛ واستمر إلى غروب الشمس من يوم الأربعاء آخره، والمعنى أنه أتاهم العذاب يوم الأربعاء، والباقي من شوال ثمانية أيام، فاستمر عليهم لآخره، قال تعالى في سورة الحاقة ﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾ إذا علمت ذلك، فليس المراد بقول المفسر [آخر الشهر] أن يوم نزول العذاب كان آخر الشهر، بل هو منتهاه.

قوله: ﴿تنزع الناس﴾ أظهر في مقام الإضمار، ليكون صريحاً في عموم الذكور، وإلا فمقتضى الظاهر تنزعهم. قوله: [المندسين فيها] أي فقد روي أنهم دخلوا في الشعاب والحفر، وتمسك بعضهم ببعض، فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى. قوله: [وحالهم ما ذكر] الجملة حالية من ضمير كأنهم، وفيه إشارة إلى أن قوله: ﴿كأنهم﴾ حال من الناس مقدرة، وذلك لأنهم حين إخراجهم من الحفر، لم يكونوا كأعجاز النخل، بل كانوا كذلك بعد ما حصل لهم ما ذكر. قوله: [أصول] ﴿نخل﴾ المراد بها النخل بتمامها من أولها لآخرها ما عدا الفروع والمعنى كأنهم نخل قد قطعت رؤوسه. قوله: [منقلع] تفسير لمنقعر، وفيه إشارة إلى قوتهم وثبات أجسامهم في الأرض، فكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم، يقصدون مقاومة الريح فلم يستطيعوا، لأنها لشدتها تقلعهم، كما تقلع النخل من الأرض. قوله: [وذكر هنا] أي حيث قال منقعر، ولم يقل منقعرة، وقوله: [وأنث في الحاقة] أي حيث قال خاوية ولم يقل خاو. قوله: [في الموضعين] أي فهنا الفاصلة على الراء وهناك على الهاء.

قوله: ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ كرره للتهويل والتعجيب من أمرهم. قوله: [أي الأمور التي أنذرهم بها] هذا أحد وجهين في تفسير النذر، والثاني أنه جمع نذير، بمعنى الرسل المنذرين لهم، وجمعهم لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل. قوله: [منصوب على الاشتغال] أي وهو الفصيح الراجح لتقدم أداة هي بالفعل أولى. قوله: [والاستفهام بمعنى النفي] أي فهو إنكاري. قوله: [جنون] أي فسعر مفرد، ويصح أن يكون جمع سعير وهو النار. قوله: [وإدخال ألف بينهما] الخ، أي فالقراءات أربع سبعيات. قوله: ﴿من بيننا﴾ حال من الهاء في ﴿عليه﴾ والمعنى: اخص بالرسالة منفرداً من بيننا، وفينا من هو أكثر منه مالاً أحسن حالاً. قوله: [أي لم يوح إليه] أشار بذلك إلى أن الاستفهام

كَذَّابٌ﴾: في قوله أنه أُوحِيَ إليه ما ذُكر ﴿أَشِرٌ﴾ ٢٥: متكبر بطر قال تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾: في الآخرة ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ ٢٦: وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾: مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا ﴿فِتْنَةً﴾: محنة ﴿لَهُمْ﴾: لنختبرهم ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾: يا صالح أي انتظر ما هم صانعون وما يُصنع بهم ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ ٢٧: الطاء بدل من تاء الافتعال أي اصبر على أذاهم ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾: مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾: وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾: نصيب من الماء ﴿مُحْتَضَرٌ﴾ ٢٨: يحضره القوم يومهم والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾: قُداراً ليقتلها ﴿فَتَعَاطَى﴾: تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴾ ٢٩: به الناقة أي قتلها موافقة لهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ٣٠: أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وبيّنه بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ ٣١: هو الذي يجعل لغنمه

إنكاري. قوله: [قال تعالى] أي وعيداً لهم ووعداً له. قوله: [أي في الآخرة] هذا أحد قولين في تفسير الغد، وقيل: المراد به يوم نزول العذاب الذي حل بهم في الدنيا. قوله: ﴿من الكذاب﴾ مبتدأ وخبر، والجملة سدت مسد المفعولين، والمعنى: سيعلمون غداً أي فريق هو الكذاب الأشر، أهو هم أو صالح عليه السلام.

قوله: ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود به من العذاب، وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى، أنه إذا أراد تعذيب قوم، اقترحوا آية ولم يؤمنوا بها، وذلك أنهم قالوا لصالح عليه الصلاة والسلام: نريد أن نعرف المحق منا، بأن ندعو آلهتنا وتدعو إلهك، فمن أجابه إلهه علمنا أنه المحق، فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا: ادع أنت فقال: فما تريدون؟ قالوا: تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان، فوعدوه بذلك وأكدوا، فكذبوه ثانياً بعد ما كذبوه أولاً في أن آلهتهم تجيبهم. قوله: [من الهضبة] بفتح الهاء وسكون الضاد، وهو الجبل المنبسط على الأرض، ويجمع على هضب وهضاب. قوله: ﴿فتنة لهم﴾ مفعول لأجله. قوله: [بدل من تاء الافتعال] أي لوقوعها إثر حرف من حروف الإطباق وهو الصاد. قوله: ﴿ونبئهم﴾ أي أخبرهم. قوله: ﴿أن الماء﴾ أي وهو ماء بئرهم الذي كانوا يشربون منه. قوله: ﴿قسمة بينهم﴾ [وبين الناقة] ظاهره أن الضمير في بينهم واقع عليهم فقط، وأن في الكلام حذف الواو مع ما عطفت، والأسهل أن الضمير واقع عليهم وعلى الناقة، على سبيل التغليب. قوله: [ويوم لها] أي فكانت لا تبقي شيئاً في البئر، ويومها يكتفون بلبنها.

قوله: ﴿فنادوا صاحبهم﴾ مرتب على محذوف قدره بقوله: [فتمادوا على ذلك] الخ، والمعنى: أنهم بقوا على ذلك مدة، ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم، فأجمعوا على قتلها، فقال بعضهم لبعض: نكمن للناقة حيث تمر إذا صدرت عن الماء، فاجتمعوا وكمن لها قدار ابن سالف في أصل شجرة في طريقها التي تمر بها، فرماها فقطع عضلة ساقها، فوقعت وأحدثت ورغت رغاءة واحدة ثم نحرها. قوله: [موافقة لهم] قصد بذلك الجمع بين ما هنا وما في الشعراء حيث قال: ﴿فعقروها﴾ فتحصل أن مباشرة القتل كان منه، لكن بإجماعهم عليه.

قوله: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة﴾ أي صاح بهم جبريل في اليوم الرابع من عقر الناقة، وذلك أن عقرها يوم الثلاثاء، فتوعدهم صالح بالعذاب، وأخبرهم بأنهم يصبحون يوم الأربعاء صفر الوجوه، ويوم الخميس حمر الوجوه، ويوم الجمعة سود الوجوه، وفي السبت ينزل بهم العذاب، وكان الأمر كما ذكر. قوله: ﴿كهشيم المحتظر﴾ تشبيه

حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ٣٢ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ ٣٣: أي بالأمور المنذرة لهم على لسانه ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: ريحاً ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾: وهم ابنتاه معه ﴿نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ ٣٤: من الأسحار أي وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولاً؟ قولان: وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تسمحاً ﴿نِّعْمَةً﴾: مصدر أي إنعاماً ﴿مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ ٣٥: أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسوله وأطاعهما ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾: خوفهم لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾: أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾: تجادلوا وكذبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ ٣٦: بإنذاره ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾: أي أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾: أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه

لإهلاكهم، والحظيرة زريبة الغنم ونحوها، والمحتظر بكسر الظاء اسم فاعل، وهو الذي يتخذ حظيرة من الحطب وغيره، لتكون وقاية لمواشيه من الحر والبرد والسباع.

قوله: ﴿كذبت قوم لوط﴾ أي وهم الجماعة الذين سكن عندهم وأرسل لهم، وذلك أن لوطاً هو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، خرج مع عمه من العراق، فنزل إبراهيم بفلسطين، ولوط بسدوم وقراها، فأرسله الله لهم فكذبوا، فحل بهم العذاب. قوله: [المنذرة] أي المخوفة. قوله: [ريحاً ترميهم بالحصباء] أشار بذلك إلى أن حاصباً اسم فاعل صفة لموصوف محذوف، وفيه دليل على أن إمطار الحجارة وإرسالها عليهم كان بواسطة إرسال الريح لها. قوله: [من يوم غير معين] أي غير مقصود تعيينه للمخاطبين، فلا ينافي تعيينه في الواقع ولمن حضر. قوله: [أي وقت الصبح] هذا تفسير مراد يدل عليه قوله في الآية الأخرى ﴿إن موعدهم الصبح﴾ وإلا فحقيقة السحر ما كان آخر الليل، والباء بمعنى في. قوله: [لأن حقه أن يستعمل في المعرفة] أي في إرادة التعريف. قوله: [تسمحاً] أي تساهلاً في العبارة، وأشار بذلك إلى أن وجه كون الاستثناء منقطعاً بعيد لأن أهل لوط من جنس القوم على كل حال، سواء قلنا بنزول الحاصب على الجميع، أو غير أهل لوط، فتحصل أن الاستثناء متصل على كل حال لكون المستثنى من جنس المستثنى منه، وجعله منقطعاً بعيد. قوله: [مصدر] أي مؤكد لعامله في المعنى وهو ﴿نجيناهم﴾ إذ الإنجاء نعمة أو مفعول لمحذوف من لفظه، أي أنعمنا عليهم نعمة. قوله: [أي مثل ذلك الجزاء] أي الذي هو الإنجاء.

قوله: ﴿نجزي من شكر﴾ أي فلا خصوصية لآل لوط، بل هو عام لكل من شكر نعمة تعالى، قال تعالى ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ الآية. قوله: [وهو مؤمن] الجملة حالية. وقوله: [أو من آمن] عطف على ﴿من شكر﴾ عطف تفسير، وفي ذلك إشارة إلى تفسيرين للموصول، فقيل: إن المراد من شكر النعمة مع أصل الإيمان، وقيل: هو من ضم إلى الإيمان عمل الطاعات. قوله: [تجادلوا وكذبوا] أشار بذلك إلى أنه ضمن تماروا معنى التكذيب، فتعدى تعديته. قوله: [بإنذاره] أي بالأمور التي خوفهم بها لوط.

قوله: ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ أي أرادوا منه تمكينه ممن أتاه من الملائكة في صورة الأضياف للفاحشة، والمراودة الطلب المتكرر. قوله: [ليخبثوا بهم] الخبث الزنا، والمراد به ما يشمل اللواط، وهو المراد هنا، وهو من باب قتل. قوله: [عميناها] صوابه أعميناها بالهمز، لأن عمي ثلاثي لازم، والمتعدي إنما هو الرباعي. قوله: [وجعلناها بلا

﴿فَذُوقُوا﴾: فقلنا لهم ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾٣٧: أي إنذاري وتخويفي أي ثمرته وفائدته ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾: وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾٣٨: دائم متصل بعذاب الآخرة ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾٣٩ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾٤٠ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾: قومه معه ﴿النُّذُرُ﴾٤١: الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾: أي التسع التي أوتيها موسى ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾: بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: قوي ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾٤٢: قادر لا يعجزه شيء ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾: يا قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾: المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا ﴿أَمْ لَكُم﴾: يا كفار قريش ﴿بَرَاءَةٌ﴾: من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾٤٣: الكتب والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي أي ليس الأمر كذلك ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: أي كفار قريش ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾: أي جمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾٤٤: على محمد ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾٤٥: فهزموا ببدر ونصر رسول الله ﷺ عليهم ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾: أي عذابها ﴿أَدْهَىٰ﴾: أعظم بلية

شق] هذا أحد قولين، وقيل: بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم. قوله: [فقلنا لهم] أي على ألسنة الملائكة. قوله: [من يوم غير معين] أي لم يرد الله تعيينه لنا، وإلا فهو معين في علم الله، وعلم من بقي من المؤمنين. قوله: ﴿عذاب مستقر﴾ أي فقلع جبريل بلادهم فرفعها وقلبها، وأمطر الله عليها حجارة من سجيل. قوله: [دائم متصل بعذاب الآخرة] أي فلا يزول عنهم حتى يصلوا إلى النار.

قوله: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ الخ حكمة تكرار ذلك في كل قصة، التنبيه على الاتعاظ والتدبر، إشارة إلى أن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب، كما كرر قوله ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ تقريراً للنعم المختلفة المعدودة، فكلما ذكر نعمة وبخ التكذيب بها. قوله: [الانذار] أي فهو مصدر، ويصح جعله جمع نذير، باعتبار الآيات التسع. قوله: ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره: ماذا فعلوا حينئذ؟ فقيل: ﴿كذبوا﴾ الخ. قوله: [أي التسع] أي وهي: العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. قوله: ﴿أخذ عزيز﴾ من إضافة المصدر لفاعله. قوله: ﴿خير من أولئكم﴾ أي في القوة والشدة. قوله: [من قوم نوح إلى فرعون] أي وهم خمس فرق: قوم نوح، وعاد وثمود، وقوم لوط، وفرعون وقومه. قوله: [فلم يعذبوا] مسبب عن النفي، والمعنى أتزعمون أن كفاركم خير ممن كفر من الأمم قبلكم، فيتسبب عن ذلك عدم تعذيبكم؟

قوله: ﴿أم لكم براءة في الزبر﴾ إضراب انتقالي إلى وجه آخر من التبكيت. قوله: [بمعنى النفي] أي فهو إنكاري. قوله: ﴿منتصر﴾ أي فنحن يد واحدة على من خالفنا، منتصر على من عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي. قوله: [نزل] أي يوم بدر، أي أو كرر نزولها لما روي أنها لما نزلت قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لم أعلم ما هي، أي الواقعة التي يكون فيها ذلك، فلما كان يوم بدر، ورأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته، أي علمت المراد من هذه الآية. قوله: ﴿ويولون الدبر﴾ هو اسم جنس، لأن كل واحد يولي دبره، وأتى به مفرداً لموافقة رؤوس الآي. قوله: ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي فليس ما وقع لهم في الدنيا تمام عقوبتهم، بل هو مقدماته. قوله: ﴿والساعة أدهى﴾ أفعل تفضيل من الداهية، وهي الأمر الفظيع الذي لا يهتدي إلى الخلاص منه، والإظهار في مقام الإضمار للتهويل. قوله: [نار مسعرة] أي شديدة.

---

* أسباب نزول الآية ٤٥: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا يوم بدر: نحن جميع منتصر فنزلت ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

﴿وَأَمَرُّ﴾ ٤٦: أشد مرارة من عذاب الدنيا ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ﴾: هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ ٤٧: نار مسعرة بالتشديد أي مهيجة في الآخرة ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: أي في الآخرة ويقال لهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ٤٨: إصابة جهنم لكم ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾: منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ ٤٩: بتقدير حال من كل أي مقدراً وقرىء كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾: لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾: مرة ﴿وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ ٥٠: في السرعة وهي قول كن فيوجد إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ٥١: استفهام بمعنى الأمر أي اذكروا واتعظوا ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾: أي العباد مكتوب ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ ٥٢: كتب الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الذنب أو العمل ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ ٥٣: مكتتب في اللوح ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾ ٥٤: أريد به الجنس وقرىء بضم النون والهاء جميعاً كأسد وأسد المعنى إنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾:

قوله: ﴿يوم يسحبون﴾ ظرف لقول محذوف تقديره ويقال لهم، أو ظرف لسعر. قوله: [إصابة جهنم] أشار بذلك إلى أن المس مجاز، أطلق وأريد منه الإصابة، و﴿وسقر﴾ علم لجهنم، مشتقة من سقرته الشمس أو النار لوحته أي غيرته. قوله: [منصوب بفعل] الخ، هذه قراءة العامة وهي أرجح، لأن الرفع يوهم عقيدة فاسدة على جعل كل مبتدأ، و﴿خلقناه﴾ صفة لشيء و﴿بقدر﴾ خبره، لأنه يكون مفهومه أن هناك شيئاً ليس مخلوقاً لله وليس بقدر، ومع أن مختار أهل السنة كل شيء مخلوق لله تعالى. والمعنى: كل شيء خلقناه بقضاء وحكم، وتدبير محكم وقوة بالغة، واختلف في تعريف القدر، فقالت الأشاعرة هو إيجاد الله الأشياء، على طبق ما سبق في علمه وإرادته، وعليه فهو صفة فعل وهي حادثة، وقالت الماتريدية: هو تحديده تعالى كل مخلوق أزلاً، بحده الذي يوجد به من حسن وقبح وغير ذلك، فهو تعلق العلم والإرادة، وعليه فهو قديم، والقضاء عند الأشاعرة، إرادة الله المتعلقة بالأشياء أزلاً فهو قديم، وعند الماتريدية: هو الفعل مع زيادة أحكام فهو حادث، وقيل هما شيء واحد، وهو ايجاد الله الأشياء على طبق تعلق العلم والقدرة، واقتصر على القدر، إما لأن بينهما تلازماً، أو لترادفهما، وفي هذه الآية رد على القدرية القائلين: بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، والقائلين بأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، تعالى الله عن قولهم، وهذه الفرقة قد انقرضت قبل زمن الإمام الشافعي. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً. قوله: [خبره خلقناه] أي وقوله: ﴿بقدر﴾ إما خبر ثان، أو حال من ضمير الخبر.

قوله: ﴿وما أمرنا﴾ أي شأننا في إيجاد شيء أو اعدامه. قوله: ﴿إلا﴾ [أمرة] ﴿واحدة﴾ أي مرة من الأمر، وفي الحقيقة ليس هناك قول ولا أمر، وإنما هو كناية عن سرعة الإيجاد. قوله: ﴿كلمح بالبصر﴾ حال من متعلق الأمر، والمعنى: حال كونه يوجد سريعاً بالمرة من الأمر ولا يتراخى عنها، واللمح النظر بسرعة، فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه، فكذلك الأفعال كلها عند الله. قوله: [وهي كن] بيان للأمرة الواحدة. وقوله: [إنما أمره] الخ تعليل لهذه الآية. قوله: [أشباهكم في الكفر] أي الذين يشبهونكم فيه. قوله: ﴿فهل من مدكر﴾ أي بما وقع لهم، فيرتدع وينزجر. قوله: ﴿في الزبر﴾ جمع زبور وهو الكتاب. قوله: [أريد به الجنس] أي لمناسبة جمع الجنات، وأفرد موافقة لرؤوس الآي. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً. قوله: ﴿في مقعد صدق﴾ من أضافة الموصوف لصفته. قوله: [وقرىء مقاعد] أي

** أسباب نزول الآية ٤٧: وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ إلى قوله ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم أريد به الجنس وقرىء مقاعد المعنى أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبراً ثانياً وبدلاً وهو صادق ببدل البعض وغيره ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾: مثال مبالغة أي عزيز الملك واسعة ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ ٥٥: قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى وعند إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى.

شذوذاً. قوله: [ببذل البعض] أي لأن المقعد بعض الجنات، وقوله: [وغيره] أي وهو بدل الاشتمال لأن الجنات مشتملة على المقعد. قوله: ﴿عند مليك﴾ خبر ثان إن جعل في مقعد صدق بدلاً، أو ثالث إن جعل خبراً ثانياً. قوله: [وعند إشارة للرتبة] أي فهي عندية مكانية، وقوله: [والقربة] أي التقرب، فهما متحدان.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٥٥] ـ سورة الرحمٰن

[مكية أو إلّا ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية فمدنية وهي ست أو ثمان وسبعون آية]

﴿الرَّحْمٰنُ¹ عَلَّمَ﴾: من شاء ﴿القُرْآنَ² خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾³: أي الجنس ﴿عَلَّمَهُ ٱلبَيَانَ﴾⁴: النطق ﴿الشَّمْسُ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الرحمن مكية

أو إلا ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ الآية فمدنية. وهي ست أو ثمان وسبعون آية

وتسمى عروس القرآن لما ورد: لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن. قوله: [مكية] أي كلها، وقوله: [أو إلا يسأله] الخ، حكاية لقول آخر، وبقي قول ثالث وهو كلها مدني. قوله: [الآية] الأوضح أن يقول: الآيتين، لأن المدني على هذا القول ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ وقوله عقبها ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ولا شك أنهما آيتان. قوله: ﴿الرحمن﴾ إما خبر مبتدأ محذوف أي الله الرحمن، أو مبتدأ خبره محذوف، أي الرحمن ربنا، وهذان الوجهان على القول بأن ﴿الرحمن﴾ آية مستقلة، وأما على أنه ليس آية مستقلة، فالرحمن مبتدأ، خبره ﴿علم القرآن﴾ وسبب نزولها: أنه لما نزل ﴿اسجدوا للرحمن﴾ قال كفار مكة: وما الرحمن؟ فأنكروه وقالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، فنزلت رداً عليهم، وفيها رد عليهم أيضاً حيث قالوا ﴿إنما يعلمه بشر﴾ فأفاد أن الذي يعلمه هو الرحمن لا غيره، وافتتح هذه السورة بلفظ ﴿الرحمن﴾ إشارة إلى أنها مشتملة على نعم عظيمة، وذلك لأن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم كماً وكيفاً، ولذا ذكر قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أحدى وثلاثين مرة فيها. قوله: ﴿علم القرآن﴾ إما من التعليم وهو التفهيم أي عرّفه، فالقرآن مفعول ثان، والأول محذوف قدره المفسر بقوله: [من شاء] أي من عباده إنساً وجناً وملكاً، وقدره بعضهم محمداً أو جبريل، رداً على المشركين في قولهم ﴿إنما يعلمه بشر﴾ والأول أولى لعمومه أو من العلامة، والمعنى: جعله علامة وآية يعجز بها المعارضين، وقدم تعليم القرآن على خلق الإنسان، مع أنه متأخر عنه في الوجود، لأن التعليم هو السبب في إيجاده وخلقه.

قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ هذه الجملة والتي بعدها خبران عن الرحمن أو حالان، وترك العاطف منهما لشدة الاتصال. قوله: [أي الجنس] أي الصادق بآدم وأولاده، وحينئذ فالمراد بالبيان النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان، وهذا أحد أقوال في تفسير الإنسان، وقيل: هو محمد ﷺ لأنه الإنسان الكامل، والمراد بالبيان علم ما كان وما يكون وما

﴿وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ ٥ يجريان ﴿وَٱلنَّجْمُ﴾: ما لا ساق له من النبات ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ ٦: يخضعان بما يراد منهما ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ ٧: أثبت العدل ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾: أي لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي ٱلْمِيزَانِ﴾ ٨: ما يوزن به ﴿وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ﴾ ٩: تنقصوا الموزون ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾: أثبتها ﴿لِلْأَنَامِ﴾ ١٠: للخلق الإنس والجن وغيرهم ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ﴾: المعهود ﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ ١١: أوعية طلعها ﴿وَٱلْحَبُّ﴾: كالحنطة والشعير ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: التبن ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ ١٢: الورق أو المشموم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾: نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾: أيها الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ ١٣: ذكرت إحدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: ما لي أراكم

هو كائن، وقيل: هو آدم عليه الصلاة والسلام، والمراد بالبيان أسماء كل شيء، ما وجد وما لم يوجد بجميع اللغات، فكان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية. قوله: ﴿بحسبان﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ الذي هو ﴿الشمس والقمر﴾ تقديره [يجريان]. قوله: [بحساب] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بحسبان﴾ مصدر مفرد بمعنى الحساب، كالغفران والكفران، ويصح أن يكون جمع حساب، كشهاب وشهبان، ورغيف ورغفان، والمعنى أن الشمس والقمر يجريان في بروجهما ومنازلهما بمقدار واحد، لا يتعديانه لمنافع العباد، على حسب الفصول والشهور القمرية والقبطية، من مبدإ الدنيا لمنتهاها. قوله: [ما لا ساق له] أي وهو المفروش على الأرض، كالقثاء والبطيخ ونحوهما. قوله: [ما له ساق] أي وهو المرتفع كالنخل والنبق ونحوهما. قوله: [يخضعان] أي ينقادان لما يراد منهما طوعاً، فلا تخالف ما أمرت به، فلو أراد منها الإثمار أو عدمه لم تخالف، بل تأتي على طبق ما أراده. قوله: [أثبت العدل] أي في جميع الأمور، والمعنى أن الله تعالى شرع العدل وأمر به في كل شيء، لا سيما في الكيل والوزن. قوله: [أي لأجل أن لا تجوروا] أشار بذلك إلى ﴿أن﴾ ناصبة و﴿لا﴾ نافية و﴿تطغوا﴾ منصوب بأن، وقبلها لام العلة مقدرة.

قوله: ﴿وأقيموا الوزن﴾ إيضاح لقوله: ﴿أن لا تطغوا في الميزان﴾ وذلك لأن الطغيان في الميزان أخذ الزائد، والإخسار إعطاء الناقص، والقسط التوسط بين الطرفين. قوله: [أثبتها] أي دحاها وخفضها. قوله: ﴿للأنام﴾ أي لانتفاعهم بها من أكل وشرب ونوم ونحو ذلك. قوله: [وغيرهم] أي كباقي البهائم. قوله: ﴿فيها فاكهة﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿ذات الأكمام﴾ جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع وغطاء النور، ويجمع أيضاً على أكمة، وأما بالضم فهو للقميص. قوله: ﴿والحب ذو العصف﴾ الخ، برفع الثلاثة أو نصبها، أو رفع الأولين وجر الثالث، ثلاث قراءات سبعيات، فرفع الجميع عطف على ﴿فاكهة﴾ ونصبها بفعل محذوف أي خلق، ورفع الأولين عطف على ﴿فاكهة﴾ وجر الثالث عطف على ﴿العصف﴾.

قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما﴾ أي بأي فرد من أفراد تلك النعم المذكورة تكذبان؟ أي تنكرانها وتكابران فيها، وذلك شأن الكفار، أو لا تشكران ربكما عليها، وذلك شأن العصاة، و﴿آلاء﴾ جمع ألى أو إلى كمعى وحصى، وإلى كحمل، وألى كأصل. قوله: [أيها الإنس والجن] أي فالخطاب للثقلين، كما يشعر به قوله فيما يأتي ﴿أيها الثقلان﴾. قوله: [ذكرت إحدى وثلاثين مرة] ثمانية منها عقب آيات تعداد النعم، ثم سبعة عقب ذكر النار وشدائدها على عدة أبوابها، لأن التخلص منها نعمة، ثم ثمانية عقب وصف الجنتين الأوليين كعدة أبوابها، ثم ثمانية عقب وصف الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين. قوله: [والاستفهام للتقرير] ويصح أن يكون للتوبيخ على ما فصل من فنون النعم الموجبة للشكر والإيمان. قوله: [ثم قال ما لي أراكم سكوتا] الخ، يؤخذ من ذلك أنه ينبغي لسامع هذه السورة أن يجيب بهذا الجواب.

سكوتاً للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فبأيّ آلاء ربكما تكذبان﴾ إلّا قالوا ولا بشيء
من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ﴾: آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: طين يابس يُسمع له صلصلة أي
صوت إذا نقر ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ ١٤: وهو ما طبخ من الطين ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ﴾: أبا الجن وهو إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن
نَّارٍ﴾ ١٥: هو لهبها الخالص من الدخان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ١٦ ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: مشرق الشتاء ومشرق
الصيف ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ ١٧: كذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ١٨ ﴿مَرَجَ﴾: أرسل ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: العذب والملح
﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ ١٩: في رأي العين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجز من قدرته تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ ٢٠: لا يبغي واحد منهما على

قوله: [كانوا أحسن منكم رداً] أي في الجواب، فلا ينافي أن الانس أحسن منهم فهذه مزية. قوله: [فبأي آلاء] الخ، بدل من هذه الآية. قوله: [إلا قالوا ولا بشيء من نعمك] الخ، ظاهرة أن جميع ما في هذه السورة نعم، مع أن فيها ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس﴾ الخ، ﴿وكل من عليها فان﴾ و﴿هذه جهنم﴾ ونحو ذلك. وأجيب: بأن رفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة، والتسوية في الموت بين الشريف وغيره من جملة النعم، فحسن جواب الجن عقب كل واحدة. قوله: [آدم] أشار بذلك إلى أن أل في الإنسان للعهد بخلاف الإنسان المتقدم ففيه احتمالات ثلاثة. قوله: [إذا نقر] أي ليختبر هل فيه عيب أو لا.

قوله: ﴿كالفخار﴾ أي في أن كلا منهما يسمع له صوت إذا نقر، وأعلم أنه تعالى أفاد في هذه السورة أن خلق آدم ﴿من صلصال كالفخار﴾، وفي سورة الحجر ﴿من صلصال من حمإ مسنون﴾ أي من طين أسود متغير، وفي الصافات ﴿من طين لازب﴾ أي يلصق باليد، وفي آل عمران ﴿كمثل آدم خلقه من تراب﴾ ولا تنافي بينها، وذلك لأنه تعالى أخذه من تراب الأرض، فعجنه بالماء فصار طيناً لازباً، ثم تركه حتى صار حمأ مسنوناً، ثم صوره كما تصور الأواني، ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة كالفخار إذا نقر صوت، فالمذكور هنا آخر أطواره، وفي غير الموضع، تارة مبدؤه وتارة أثناؤه، فالأرض أمه، والماء أبوه، ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذي هو من فيح جهنم، فهو من العناصر الأربع، لكن الغالب في جبلته التراب، كما أن الجان خلق من العناصر الأربع، لكن الغالب في جبلته النار، ولذا نسب إليها. قوله: [وهو ما طبخ من الطين] أي فكان مجوفاً كالأواني وليس كالآجر. قوله: [وهو إبليس] هذا أحد قولين وهو الصحيح، وقيل أبو الجن غير إبليس.

قوله: ﴿من مارج من نار﴾ من الأولى لابتداء الغاية، والثانية يصح أن تكون للبيان وللتبعيض. قوله: [هو لهبها الخالص من الدخان] هذا أحد أقوال في تفسير المارج، وقيل: هو ما اختلط من احمر واخضر واصفر، وهو مشاهد في النار، ترى الألوان الثلاثة مختلطاً بعضها ببعض، وقيل: هو الأحمر الكائن في طرف النار، وقيل: اللهب المختلط بسواد. قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي بأي نعم ربكما الناشئة عنه تكفران؟ قوله: ﴿رب المشرقين﴾ بالرفع في قراءة العامة على أنه خبر لمحذوف أي هو رب المشرقين، وقرىء شذوذاً بالجر على أنه بدل أو بيان لربكما. قوله: [كذلك] أي مغرب الشتاء ومغرب الصيف، وأما آية ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه. قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي بأي نعمة من هذه النعم العظيمة تكفران بها؟.

قوله: ﴿مرج البحرين﴾ المرج بفتحتين في الأصل الاهمال والترك أو الارسال، وبسكون الراء الأرض ذات النبات والمرعى، يقال: مرج الدابة أي أرسلها ترعى في المرج. قوله: ﴿يلتقيان﴾ حال من البحرين، أي يتماسان على وجه الأرض، بلا فصل بينهما في رؤية العين. قوله: ﴿بينهما برزخ﴾ جملة مستأنفة أو حالية من البحرين. قوله: ﴿لا

الآخر فيختلط به ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٢١ ﴿يُخْرَجُ﴾: بالبناء للمفعول والفاعل ﴿مِنْهُمَا﴾: من مجموعهما
الصادق بأحدهما وهو الملح ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ٢٢: خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٢٣ ﴿وَلَهُ
الْجَوَارِ﴾: السفن ﴿الْمُنْشَآتُ﴾: المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ٢٤: كالجبال عظماً وارتفاعاً ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٢٥ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾: أي الأرض من الحيوان ﴿فَانٍ﴾ ٢٦: هالك وعبّر بمن تغليباً للعقلاء ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ
رَبِّكَ﴾: ذاته ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾: العظمة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ ٢٧: للمؤمنين بأنعمه عليهم ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٢٨
﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي بنطق أو حال ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير

يبغيان﴾ أي لا يتجاوز كل واحد منهما ما حدّه له خالقه، فالماء العذب الداخل في الملح باقٍ على حاله لم يمتزج بالملح، فمتى حفرت في جنبي الملح في بعض الأماكن، وجدت الماء العذب، بل كلما قربت الحفرة من الملح، كان الماء الخارج منها أحلى، فخلطهما الله في رأي العين، وحجزهما بقدرته تعالى، وإذا كان هذا حال جماد، لا إدراك له ولا عقل، فكيف يبغي العقلاء بعضهم على بعض. قوله: [بالبناء للمفعول والفاعل] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [الصادق بأحدهما] هذا غير ظاهر، لأن المجموع لا يصدق على البعض، إلا إذا كان متعدداً كقوله: كل رجل يحمل الصخرة العظيمة، فالأولى أن يجعل الكلام على حذف مضاف أي من أحدهما، وقيل لا تقدير في الآية، بل يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب، وهو مشاهد عند الغواصين، وقيل: العذب كالرجل، والملح كالمرأة، واللؤلؤ والمرجان يخرجان منهما، كما يخرج الولد من الرجل والمرأة، وقال ابن عباس: تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر، والصدف تفتح أفواهها للمطر.

قوله: ﴿وله الجوار﴾ جمع جارية وهي السفينة، صفة جرت مجرى الأسماء، سميت بذلك لأن شأنها الجري.

قوله: ﴿المنشآت﴾ بفتح الشين اسم مفعول، أي أنشأها الناس بسبب تعليم الله لهم، وكسرها اسم فاعل أي تنشىء الريح بجريها، أو تنشىء السير إقبالاً وإدباراً، ونسبة الانشاء لها مجاز، وهما قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بتشديد الشين مع فتحها مبالغة. قوله: [أي الأرض] أي وعلى هذا التفسير فلا يستثنى شيء، بخلاف قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فيستثنى الجنة والنار والحور العين والولدان والعرش والأرواح. قوله: [هالك] أي بالفعل. قوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ الخطاب إما لرسول الله ﷺ اعتناء بشأنه، وإما لأي سامع، ليعلم كل أحد أن غير الله فانٍ. قوله: ﴿ذو الجلال والأكرام﴾ فيه وعد ووعيد، فبوصف الجلال إفناء الخلق وتعذيب الكفار، وبوصف الإكرام إحياؤهم وإثابة المؤمنين، و﴿ذو﴾ بالرفع في قراءة العامة نعت للوجه، وقرىء شذوذاً بالجر صفة للرب، وأما في آخر السورة فالقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾ أي لأنهم مفتقرون إليه تعالى في جميع لحظاتهم، قال ابن عباس: أهل السماوات يسألون المغفرة ولا يسألون الرزق، وأهل الأرض يسألونهما جميعاً، وقال ابن جريج: تسأله الملائكة الرزق لأهل الأرض، فسؤال خير الدنيا والآخرة صادر من كل من أهل السماوات والأرض، وفي الحديث: «إن من الملائكة ملكاً له أربعة أوجه: وجه كوجه الإنسان، يسأل الله تعالى الرزق لبني آدم، ووجه كوجه الأسد، يسأل الله تعالى الرزق للسباع، ووجه كوجه الثور، يسأل الله تعالى الرزق للبهائم، ووجه كوجه النسر، يسأل الله تعالى الرزق للطير». قوله: [بنطق] أي بلسان المقال، وقوله: [أو حال] أي بلسان الحال وهو الذل والاحتياج.

ذلك ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾: وقت ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٢٩: أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٣٠ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: سنقصد لحسابكم ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ٣١: الإنس والجن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٣٢ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا﴾: تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾: نواحي ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا﴾: أمر تعجيز ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٣٣: بقوة ولا قوة لكم على ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٣٤ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾: هو لهبها الخالص من الدخان أو

قوله: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ ﴿كل﴾ ظرف منصوب بالمحذوف الذي تعلق به الجار والمجرور بعده، والمراد باليوم اللحظة من الزمن، وبالشأن التصريف في خلقه، لما ورد: إن الإنسان يخرج منه في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس، في كل نفس تحمل مائة ألف، ويولد مائة ألف، ويعز مائة ألف، ويذل مائة ألف، ويفرج عن مائة ألف، وفي رواية: في كل واحدة ستمائة ألف، وحكي أن ابن الشجري كان يقرر في درسه هذه الآية، فجاءه الخضر وقال له: ما شأن ربك اليوم؟ فأطرق برأسه وقام متحيراً، فنام فرأى النبي ﷺ في منامه، فعرض عليه السؤال فقال له: السائل لك الخضر، فإن أتاك وسألك فقل له: شؤون يبديها ولا يبتديها، يرفع أقواماً ويضع آخرين، فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بذلك، فقال له: صل على من علمك. قوله: [أمر يظهره] الخ أي فالشأن صفة فعل. قوله: [من إحياء] الخ بيان له، فالتغير راجع للمصنوعات، وأما ذاته تعالى وصفاته، فيستحيل عليها التغير، فهو يغير ولا يتغير.

قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي بأي نعمة من تلك النعم التي أنشأها خالقكما ومدبركما تكفران بها؟ قوله: [سنقصد لحسابكم] جواب عما يقال: إن الله لا يشغله شأن عن شأن، فكيف قال ﴿سنفرغ لكم﴾ فأجاب بما ذكر، وإيضاحه أن تقول: الفراغ من الشيء، يطلق على التفرغ من الشواغل، وهو بهذا المعنى مستحيل عليه تعالى، ويطلق على القصد للشيء والإقبال عليه، وهو المراد هنا، والمراد بالقصد في كلام المفسر الإرادة، وحينئذ فيكون معناه سأريد حسابكم، وهذا لا يظهر إلا على القول، بأن للإرادة تعلقاً تنجيزياً حادثاً، وأما على القول بنفيه فلا يظهر، فكان المناسب له أن يقول: سأحاسبكم، وفي الآية وعد للطائعين ووعيد للعاصين. قوله: ﴿أيه الثقلان﴾ تثنية ثقل بفتحتين، سميا بذلك لأنهما أثقلا الأرض، أو حصل لهما الثقل والتعب بالتكاليف. قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي التي من جملتها: إثابة أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصي.

قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾ الخ هذا إلزام وتعجيز، لمن لم يرض بقضاء الله وقدره، وهو إشارة لمعنى حديث قدسي «من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي، فليخرج من تحت سمائي، ويتخذ رباً سوائي». وعلى هذا فالخطاب يقال لهما في الدنيا، وقيل: يقال لهما هذا يوم القيامة لما ورد: إذا كان يوم القيامة، أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها، فتكون الملائكة على حافاتها، حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض، فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزلون فيكونون صفاً خلف ذلك الصف، ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة، فتنزل ملائكة الرفيق الأعلى، فلا يأتون قطراً من أقطارها، إلا وجدوا صفوفاً من الملائكة، فذلك قوله تعالى ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم﴾ الآية، والحكمة في تقديم الجن هنا على الإنس، وتأخيرهم عنهم في قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ أن الجن أقوى من الإنس، فقدموا فيما يتعلق بالهروب، والإنس أفصح من الجن، فقدموا فيما يتعلق بالمعارضة بالقرآن، فقدم في كل موضع ما يناسبه. قوله: [قوة] هذا أحد قولين في تفسير السلطان، وقيل: هو البينة والحجج الواضحة. قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما﴾ أي من التنبيه والتحذير والعفو، مع كمال القدرة على العقوبة.

معه ﴿وَنُحَاسٌ﴾: أي دُخان لا لهَب فيه ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ ٣٥: تمتنعان من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٣٦ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: انفرجت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾: أي مثلها محمرة ﴿كَالدِّهَانِ﴾ ٣٧: كالأديم الأحمر على خلاف العهد بها وجواب إذا فما أعظم الهول ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٣٨ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ٣٩: عن ذنبه ويسئلون في وقت آخر فوربك لنسألنهم أجمعين والجان هنا وفيما سيأتي بمعنى الجن والإنس فيهما بمعنى الإنسي ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٤٠ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾: أي سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ٤١ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٤٢: أي تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ويلقى في النار ويقال لهم ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٤٣

قوله: ﴿يرسل عليكما﴾ إمّا جملة مستأنفة قصد بها بيان أهوال يوم القيامة، وهذا على القول بأن الخطاب المتقدم في الدنيا، وأما على القول بأنه في الآخرة، فالكلام مرتبط بعضه ببعض وليس مستأنفاً. قوله: ﴿شواظ﴾ بكسر الشين وضمها، قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد. قوله: [وهو لهبها الخالص من الدخان] هذان قولان من أربعة، وقيل هو اللهب الأحمر، وقيل هو الدخان الخارج من اللهب. قوله: ﴿ونحاس﴾ إما بالرفع عطف على ﴿شواظ﴾ أو الجر عطف على ﴿نار﴾ قراءتان سبعيتان، لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين ﴿شواظ﴾ أو إمالة ﴿نار﴾ فمن قرأ بجر ﴿نحاس﴾ بدون أحد الأمرين، فقد وقع في التلفيق. قوله: [أي دخان] الخ، هذا التفسير إنما يناسب قراءة الرفع لا الجر، وإلا فيصير المعنى: يرسل عليكما شواظ، أي لهب من نحاس، أي دخان لا لهب فيه، وهو لا يصح إلا أن يقال الشواظ يطلق بالاشتراك على اللهب الخالص والدخان.

قوله: ﴿فلا تنتصران﴾ أي لا تجدان لكما ناصراً، واعلم أن هذا الأمر، وهو سوق الجن والانس بالنار إلى المحشر وازدحامهم، حتى يكون على القدم ألف قدم، ليس لعموم الجن والانس، بل ورد في أناس أنهم يخرجون من قبورهم لقصورهم، لا يحزنهم الفزع الأكبر، وكل واحد ممن حضر الموقف على قدر عمله، فمنهم من يظل في ظل العرش، ومنهم من يلجمه العرق، ومنهم من يراه قصيراً، ومنهم من يراه طويلاً، هذا هو التحقيق. قوله: [من ذلك] أي المذكور من الشواظ والنحاس. قوله: [بل يسوقكم] أي المذكور منهما. قوله: [لنزول الملائكة] أي لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض. قوله: ﴿كالدهان﴾ إما خبر ثان أو نعت لوردة، والدهان إمّا جمع دهن كرماح ورمح، ويكون بمعنى قوله ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ أي كدردي الزيت أو مفرد كحزام وإدام وهو الأديم الأحمر أي الجلد، وقد مشى على الثاني المفسر. قوله: [على خلاف العهد بها] أي على خلاف لونها الذي نراه ونعهده وهو الزرقة فإنها عارضة، قيل: بسبب جبل ق المحيط بها، وأما لونها الأصلي فهو الحمرة.

قوله: ﴿فيومئذ﴾ التنوين عوض عن جملة أي فيوم إذا انشقت السماء. قوله: ﴿ولا جان﴾ [عن ذنبه] أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور محذوف من الثاني، لدلالة الأول عليه. قوله: [ويسألون في وقت آخر] أشار بذلك لوجه الجمع بين ما هنا وبين الآية التي ذكرها، وإيضاح الجمع أن يقال: إنهم حين يخرجون من القبور لا يسألون، ويسألون حين يحشرون ويجتمعون في الموقف. قوله: [والجان هنا] الخ، قد يقال: لا حاجة له لأن الجان والانس كل منهما اسم جنس، يفرق بينه وبين واحده بالياء، كزنج وزنجي. قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما﴾ أي نعمه العظيمة التي من جملتها الزجر عما يؤدي للعذاب. قوله: [أي سواد الوجوه وزرقة العيون] أي وأخذ الصحف من وراء الظهر باليسرى. قوله: ﴿بالنواصي﴾ جمع ناصية وهو نائب الفاعل. قوله: [من خلف] أي فحينئذ يكسر ظهره كما يكسر الحطب، قال

﴿يَطُوفُونَ﴾: يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾: ماء حار ﴿ءَانٍ﴾ ٤٤: شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاض ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٤٥ ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾: أي لكل منهم أو لمجموعهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾: قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾ ٤٦ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٤٧ ﴿ذَوَاتَا﴾: تثنية ذوات على الأصل ولامها ياء

الضحاك: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره. قوله: [ويقال لهم] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿هذه جهنم﴾ مفعول لقول محذوف.

قوله: ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ أي يترددون بينهما، فحين يستغيثون من النار، يسعى بهم إلى الحميم، فيسقون منه ويصب فوق رؤوسهم، فإذا استغاثوا منه يسعى بهم إلى النار، وهكذا. قوله: [يسقونه] الخ، أي ويغمسون فيه لما ورد عن كعب: إن وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار، فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها، وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار، فذلك قوله تعالى ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾. قوله: [وهو منقوص كقاض] أي فيقال: أنى يأني، كقضى يقضي، فهو آن كقاض، وأصله آني، استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقاء الساكنين.

قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ أي لكل شخص خائف، سواء كان من الانس أو من الجن، فالجن كالانس في النعيم، وهو ما عليه الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: إن من مات من الجن مسلماً، يصير تراباً كالبهائم، ولا حظ له في النعيم. قوله: [أي لكل منهم] أي لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان، واختلف في المراد بالجنتين اللتين يعطاهما كل خائف، فقيل جنة لعقيدته وجنة لعمله، وقيل جنة لطاعته، وقيل جنة لترك المعاصي، وقيل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه، وقيل إحدى الجنتين منزله، والأخرى منزل أزواجه، كعادة الأكابر في الدنيا، وقيل إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه، وقيل إحدى الجنتين خلقت له، والأخرى جنة ورثها من الكفار، وعلى كل من الأقوال تسمى إحداهما جنة عدن، والأخرى جنة النعيم، وروي عن ابن عباس في وصف الجنتين أنه قال: الجنتان بستانان في عرض الجنة، كل بستان مسيرة مائة عام، في وسط كل بستان دار من نور، وليس منهما شيء إلا يهتز نعمة وخضرة، قرارها ثابت، وشجرها نابت، وقيل: المراد بالجنتين جنة واحدة، وإنما ثنى رعاية للفواصل. قوله: [أو لمجموعهم] أي إن الكلام على سبيل التوزيع، فإحدى الجنتين للخائف الانسي، والأخرى للخائف الجني، فكل خائف ليس له إلا جنة واحدة، والأول هو المعتمد. قوله: [قيامه بين يديه] الخ أشار بذلك إلى أن المقام مصدر ميمي بمعنى القيام، وهو أحد احتمالات ثلاث في تفسير المقام، والثاني أنه اسم مكان، أي خاف مكان وقوفه للحساب، والثالث أنه مصدر ميمي بمعنى قيام الله عز وجل على الخلائق، أي إشرافه واطلاعه عليهم ومناقشته لهم في الحساب. قوله: [فترك معصيته] أي فتسبب عن خوفه تركه المعاصي، وأعلم أن الخوف مرتبتان: مرتبة العامة وهي خوف تعذيب الله إياهم، ومرتبة الخاصة وهي خوف جلال الله وهيبته، وفيها فليتنافس المتنافسون، وللعارفين تفسير آخر وهو أن المراد بالخوف خوف الاجلال والتعظيم والهيبة، والمراد بالجنتين: جنة الشهود في الدنيا بالقلب وفي الآخرة بالأبصار، وجنة الثواب في الآخرة لا غير. قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما﴾ أي نعمه ﴿تكذبان﴾، أبتلك النعم التي من جملتها الجنة وتعيمها أم بغيرها؟ قوله: ﴿ذواتا أفنان﴾ إما صفة الجنتان أو خبر لمحذوف أي هما. قوله: [تثنية ذوات] أي الذي هو مفرد. قوله: [على

---

* أسباب نزول الآية ٤٦: أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء: أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم القيامة والموازين والجنة والنار فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضر تأتي علي بهيمة تأكلني وأني لم أخلق، فنزلت ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق.

﴿أَفْنَانٍ﴾٤٨: أغصان جمع فنن كطلل ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ٥٠ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ٥١ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: في الدنيا أو كل ما يتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾٥٢: نوعان رطب ويابس والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ٥٣ مُتَّكِئِينَ﴾: حال عامله محذوف أي يتنعمون ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ من الديباج وخشن والظهائر من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾: ثمران ﴿دَانٍ﴾٥٤: قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ٥٥ فِيهِنَّ﴾: في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: العين على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: يفتضهن وهن من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ٥٦ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ٥٧ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾: صفاء

الأصل] أي وذلك لأن أصلها ذوي، تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فصار ذوى كفتى، فهذه الألف لام الكلمة، وإنما قلبت الياء ألفاً دون الواو، مع أن كلا منهما متحرك، وما قبله مفتوح لأنها طرف، والطرف في محل تغيير، ولم ترد هذه الألف في التثنية إلى الياء، وما في الآية هو الفصيح في تثنيتها، وقد تثنى على لفظها فيقال ذاتان. قوله: [أغصان] أي وهي فروع الشجر التي تشتمل على الورق والثمار. قوله: [جمع فنن] هذا أحد قولين؛ وقيل جمع فن أي نوع وشكل. قوله: ﴿فيهما﴾ أي في كل واحدة منهما. قوله: ﴿عينان تجريان﴾ أي بالماء الزلال، إحداهما تسمى التسنيم، والأخرى السلسبيل، وقيل إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين. قوله: [في الدنيا] أي ما هو فاكهة في الدنيا، فلا تشتمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل. قوله: [أو ما يتفكه به] أي في الآخرة، ولو كان في الدنيا غير فاكهة كالحنظل. وقوله: [والمر منها] الخ، مبني على القول الثاني. قوله: ﴿متكئين﴾ أي مضطجعين أو متربعين، فالتوكؤ الاضطجاع أو التربع لما في الحديث: «أما أنا فلا آكل متكئاً» أي جالساً جلوس المتربع، ونحوه من الهيئات التي تستدعي كثرة الأكل، فالتوكؤ في الدنيا مذموم، وفي الآخرة غير مذموم لارتفاع التكليف. قوله: [أي يتنعمون] الضمير عائد على من في قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾. قوله: ﴿بطائنها من استبرق﴾ هذه الجملة صفة لفرش. قوله: [من السندس] أي وهو ما رق من الديباج. قوله: ﴿وجنى الجنتين دان﴾ ﴿جنى﴾ مبتدأ بمعنى مجني خبره ﴿دان﴾ وأصله دانو كغاز وقاض. قوله: [يناله القائم] الخ قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله، إن شاء قاعداً، وإن شاء قائماً، وإن شاء مضطجعاً، وقال الرازي: جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه: أحدها أن الثمرة على رؤوس الشجر، في الدنيا بعيدة عن الإنسان المتكىء والثمرة تتدلى إليه، وثانيها أن الانسان في الدنيا يسعى إلى الثمرة ويتحرك إليها، وفي الآخرة تدنو منه وتدور عليه، وثالثها أن الإنسان في الدنيا، إذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها، وثمار الجنة كلها تدنو إليه في وقت واحد ومكان واحد. قوله: [في الجنتين] الخ جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف أتى بضمير الجمع، مع أن المرجع مثنى. قوله: ﴿قاصرات الطرف﴾ أي محبوسات على أزواجهن، لا يبغين بغيرهم بدلاً، لما روي أنها تقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجتك. قوله: ﴿لم يطمثهن﴾ الطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر، ثم أطلق على كل جماع، فالمعنى لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد. قوله: [من الحور] أي فيكن قسمين: إنسيات للإنس، وجنيات للجن. قوله: [أو من نساء الدنيا المنشآت] أي المخلوقات من غير واسطة ولادة. قوله: ﴿إنس قبلهم ولا جان﴾ أي أن كل واحد من أفراد النوعين، يجد زوجاته في الجنة اللاتي كن في الدنيا أبكاراً، وإن كن في الدنيا ثيبات لم يمسها غيره. قوله: ﴿كأنهن الياقوت﴾ هذه الجملة نعت لقاصرات أو حال منه. قوله: [صفاء] أي فالتشبيه بالياقوت

﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ ٥٨: أي اللؤلؤ بياضاً ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٩ هَلْ﴾: ما ﴿جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ﴾: بالطاعة ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ﴾ ٦٠: بالنعيم ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦١ وَمِن دُونِهِمَا﴾: أي الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾ ٦٢: أيضاً لمَن خاف مقام ربه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٣ مُدْهَامَّتَانِ﴾ ٦٤: سوداوان من شدة خضرتهما ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٥ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ ٦٦: فوارتان بالماء لا ينقطعان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٧ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ٦٨: هما منها وقيل من غيرها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٩ فِيهِنَّ﴾: أي الجنتين وما فيهما ﴿خَيْرَاتٌ﴾: أخلاقاً ﴿حِسَانٌ﴾ ٧٠: وجوهاً ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٌ﴾: شديدات سواد العيون وبياضها

من حيث الصفاء لا من حيث الحُمْرة، فلا يقال مقتضاه أن لون أهل الجنة البياض المشرب بالحمرة. قوله: **[أي اللؤلؤ بياضاً]** أي فالمرجان يطلق على الأحمر والأبيض، والمراد به هنا الأبيض، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المرأة من نساءِ أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها».

قوله: **﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾** أعلم أن ﴿هل﴾ ترد لأربعة أوجه: تكون بمعنى قدْ كقوله تعالى ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ وبمعنى الاستفهام كقوله ﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً﴾ وبمعنى الأمر كقوله ﴿فهل أنتم منتهون﴾ وبمعنى النفي كقوله ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ وكما هنا فهي هنا للنفي، والمعنى: لا جزاء الاحسان أي الطاعات وترك المعاصي إلا الاحسان أي الثواب الجزيل. ﴿ومن دونهما﴾ قيل معناه أدنى منهما، وأصحاب هاتين الجنتين أهل اليمين، وهم دون الخائفين مقام ربهم في المنزلة، وهذا على حد ما يأتي في سورة الواقعة، أن أهل اليمين أقل من السابقين، وقيل الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه، ومعنى قوله: ﴿ومن دونهما﴾ أقرب وأدنى منهما للعرش، ويؤيده ما ورد أن الأولين من ذهب وفضة، والأخريين من ياقوت، وتقدم أن الأوليين جنة عدن وجنة النعيم، وهاتان جنة الفردوس وجنة المأوى، وهو ما مشى عليه المفسر.

قوله: **﴿مدهامتان﴾** من الدهمة وهي السواد. قوله: **[من شدة خضرتهما]** أي لكثرة بساتينهما. قوله: **[فوارتان]** أي وليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجري، وهذا بناء على أن هاتين أقل من الأوليين، وأما على القول بأنهما أعلى منهما، فمعنى نضاختان كما قال ابن عباس وابن مسعود، أنهما ينضخان على أولياء الله، بالمسك والعنبر والكافور في دار أهل الجنة، كما ينضخ رش المطر، أو أن المراد فوارتان مع الجري، ولا شك أنهما أعلى من الجاريتين فقط. قوله: **[هما منها]** أي من الفاكهة، وهو ظاهر، وقوله: **[وقيل من غيرها]** أي وذلك لأن النخل كان عامة قوتهم، والرمان كالشراب، فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم الثمار التي يعجبون بها، روي أن نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، وكرمها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حللهم، وثمارها مثل القلال أو الدلاء، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس لها عجم، روي أن الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب، وروي أن نخل أهل الجنة نضيد، وثمرها كالقلال، كلما نزعت منها واحدة، عادت مكانها أخرى، العنقود منها اثنا عشر ذراعاً. قوله: **[أي الجنتين وما فيهما]** الخ، جواب عما يقال: كيف جمع الضمير مع أنه راجع للمثنى.

قوله: **﴿خيرات﴾** إما جمع خيْرة بوزن فعْلة بفتح الفاء وسكون العين، أو جمع خيرة مخفف خيّرة بالتشديد، وفي الحديث: «إن الحور العين، يأخذ بعضهن بأيدي بعض، ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها، نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام». روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن الحور العين

﴿مَقْصُورَاتٌ﴾: مستورات ﴿فِي ٱلْخِيَامِ﴾ ٧٢: من در مجوف مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٧٣ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾: قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ ٧٤ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٧٥ ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: أي أزواجهم وإعرابه كما تقدم ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: جمع رفرفة أي بسط أو وسائد ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ٧٦: جمع عبقرية أي طنافس ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ٧٧ ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ ٧٨: تقدم ولفظ اسم زائد.

إذا قلن هذه المقالة، أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن. قالت عائشة رضي الله عنها: فغلبنهن والله، واختلف هل الحور العين أكثر حسناً وأبهى جمالاً، أو نساء الدنيا؟ والصحيح أن نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف. قوله: [من در مجوف] قال ابن عباس: الخيمة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وروي أن سحابة مطرت من العرش، فخلقت الحور من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطىء الأنهار، سعتها أربعون ميلاً، وليس لها باب، حتى إذا حل ولي الله الجنة، انصدعت الخيمة عن باب، ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدام لم تأخذها، فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين. قوله: [مضافة إلى القصور] أي أنها في داخلها، فالخيمة في داخل القصر. قوله: [بالخدور] جمع خدر وهو الستر الذي يتخذ في البيوت كالناموسية. قوله: [وإعرابه كما تقدم] أي أنه حال عامله محذوف أي يتنعمون. قوله: [جمع رفرفة] أي واحدة رفرفة، والرفرف اسم جنس جمعي أو اسم جمع. قوله: [أي بسط أو وسائد] هذان قولان في معنى الرفرف، وقيل: هو شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح، يميناً وشمالاً، ورفعاً وخفضاً، يتلذذ به مع أنيسته.

قوله: ﴿وعبقري﴾ منسوب إلى عبقر قرية بناحية اليمن، ينسج فيها بسط منقوشة، فقرب الله لنا فراش تلك الجنتين به، وقيل: إن الياء ليست للنسب، بل هي كياء الكرسي والبختي، فهو اسم للفراش المنقوش البالغ الغاية في الحسن. قوله: [أي طنافس] جمع طنفسة بكسرتين أو فتحتين بساط له خمل رقيق. ﴿ذي الجلال﴾ بالياء والواو قراءتان سبعيتان. قوله: [ولفظ اسم زائد] أي لأن أوصاف التنزيه والتعظيم في الحقيقة للمسمى، وقد يقال: أسماء الله وصفاته يسند لها التنزيه والتعظيم حقيقة، فعدم زيادته أبلغ في التعظيم والتنزيه.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٥٦] - سورة الواقعة

[مكية إلا ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الآية وهي ست أو سبع أو تسع وتسعون آية]

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾١: قامت القيامة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾٢: نفس تكذب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾٣: أي هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ولرفع آخرين بدخولهم الجنة ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الواقعة مكية

إلا ﴿أفبهذا الحديث﴾ الآية. و ﴿ثلة من الأولين﴾ الآية.

وهي ست أو سبع أو تسع وتسعون آية

قال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة. وحكي أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات منه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبسته عني في حياتي، وتدفعه لي عند مماتي، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي؟ إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة، لم تصبه فاقة أبداً». قوله: [إلا ﴿أفبهذا الحديث﴾] الخ، هذا قول الكلبي، وقول المفسر: [الآية] أولاً وثانياً مراده الجنس الصادق بالآيتين، فالمدني على هذا القول أربع آيات ﴿أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ وقوله تعالى ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ وقيل: مكية كلها، وقيل: مكية إلا آية منها وهي قوله ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾.

قوله: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ ﴿إذا﴾ إما ظرف ليس فيه معنى الشرط، وعامله ليس لوقعتها كاذبة من حيث إنها تضمنت معنى النفي كأنه قيل: انتفى التكذيب وقت وقوعها، أو شرطية وجوابها محذوف تقديره يحصل كذا وكذا وهو العامل فيها. قوله: [قامت القيامة] أي فالواقعة من جملة أسماء القيامة. قوله: ﴿ليس لوقعتها﴾ اللام بمعنى في على حذف مضاف، والمعنى ليس نفس كاذبة توجد في وقت وقوعها. قوله: ﴿خافضة رافعة﴾ خبر مبتدإ محذوف كما أفاده المفسر بقوله: [أي هي] الخ. قوله: [لخفض أقوام] الخ، أي حساً ومعنى: فأهل الجنة ترفعهم حساً ومعنى، وأهل النار تخفضهم كذلك، ونسبة الخفض والرفع إليها مجاز من إسناد الفعل لمحله وزمانه.

﴿رَجًّا﴾[٤]: حركت حركة شديدة ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾[٥]: فتتت ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾: غباراً ﴿مُّنۢبَثًّا﴾[٦]: منتشراً وإذا الثانية بدل من الأولى ﴿وَكُنتُمْ﴾: في القيامة ﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً﴾[٧] ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[٨]: تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: أي الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[٩]: تحقير لشأنهم بدخولهم النار ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾: إلى الخير وهم الأنبياء مبتدأ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[١٠]: تأكيد لتعظيم شأنهم والخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[١١] ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[١٢] ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[١٣]: مبتدأ أي جماعة من الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾[١٤]: من أمة محمد ﷺ وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة والخبر ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾[١٥]: منسوجة بقضبان الذهب والجواهر

قوله: ﴿إذا رجت الأرض﴾ إمّا بدل من ﴿إذا﴾ الأولى، وعليه مشى المفسّر، أو تأكيد لها أو شرط وعاملها مقدّر. قوله: [حركت حركة شديدة] أي فترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى يتهدم ما عليها، ويتكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها، والرجة الاضطراب. قوله: [منتشراً] أي متفرقاً بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه، فهو كالذي يرى شعاع الشمس إذا دخل من كوة. قوله: ﴿وكنتم﴾ الخطاب لجميع الخلق المكلفين، والمعنى قسمتم باعتبار طبائعكم وأخلاقكم في الدنيا أصنافاً ثلاثة. قوله: ﴿فأصحاب الميمنة﴾ شروع في ذكر أحوال الأزواج الثلاثة على سبيل الإجمال، وسيأتي تفصيلهم بعد ذلك. قوله: [مبتدأ خبره] ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ الخ، أي فأصحاب الأول مبتدأ، و﴿ما﴾ استفهامية مبتدأ ثان، وما بعده خبره، والجملة خبر الأول وتكرير المبتدأ بلفظه مغن عن الرابط. قوله: [تعظيم لشأنهم] أي أن في هذا الاستفهام تعظيم شأنهم كأنه قيل: فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال، وأصحاب المشامة في نهاية سوء الحال. قوله: [بأن يؤتى كتابه بشماله] ما ذكره المفسر في الفريقين أحد أقوال، وقيل: أهل الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأهل المشامة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وقيل: أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية، وأصحاب المشامة أصحاب المنزلة الدنية.

قوله: ﴿والسابقون﴾ الخ أخرهم مع كونهم أعلى الأقسام الثلاثة، لئلا يعجبوا بأعمالهم، وقدم أهل اليمين، لئلا يقنطوا من رحمة الله. قوله: [وهم الأنبياء] هذا أحد أقوال في تفسير السابقين، وقيل: هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق، وقيل: هم المسارعون إلى الخيرات، وقيل: هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل. قوله: ﴿أولئك المقربون﴾ أي الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم، واصطفاهم الله لرؤيته في الجنة بكرة وعشياً، فحيث تسابقوا لخدمته وطاعته، فكان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء زيادة على كونهم في الجنة. قوله: ﴿في جنات النعيم﴾ خبر ثان أو حال من الضمير في ﴿المقربون﴾.

قوله: ﴿ثلة من الأولين﴾ الثلة بالضم في قراءة العامة الجماعة من الناس، وأما بالكسر فمعناها الهلكة. قوله: [وهم السابقون] الخ، أي إلى الإيمان بالأنبياء عياناً واجتمعوا عليهم، وذلك لأن المؤمنين الذين اجتمعوا على الأنبياء

---

* أسباب نزول الآية ١٣ و ٣٩: أخرج أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم بسند فيه من لا يعرف عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ شق ذلك على المسلمين فنزلت ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ وذكر فيها ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ قال عمر: يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا؟ فأمسك آخر السورة سنة ثم نزلت ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ فقال رسول الله ﷺ: يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلاً.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ ١٦: حالان من الضمير في الخبر ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: للخدمة ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ ١٧: على شكل الأولاد لا يهرمون ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: أقداح لا عرى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾: لها عرى وخراطيم ﴿وَكَأْسٍ﴾: إناء شرب الخمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ ١٨: أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ ١٩: بفتح الزاي وكسرها من نزف الشارب وأنزف أي لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ٢١ ﴿وَ﴾: لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾: نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عِينٌ﴾ ٢٢: ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء ومفرده عيناء كحمراء وفي

جماعة كثيرة، والمؤمنين الذين اجتمعوا على رسول الله ﷺ جماعة قليلة بالنسبة لمجموع الأمم، وهذا لا ينافي كون هذه الامة المحمدية ثلثي أهل الجنة، لأن ما هنا فيمن اجتمع بالأنبياء مشافهة، إذا علمت ذلك، فتفسير المفسر السابقين المتقدم ذكرهم بالأنبياء غير واضح، فالمناسب أن يقول: والسابقون إلى الخير من أمة كل نبي، وبعض المفسرين جعل الخطاب في قوله: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ لهذه الأمة، وحينئذ فالمراد بالسابقين خيارهم، وأهل اليمين عوامهم، وأهل المشأمة كفارهم، وقوله: ﴿ثلة من الأولين﴾ يعني جماعة كثيرة من أوائل هذه الأمة، وقوله: ﴿وقليل من الآخرين﴾ يعني أن من أتى بعد أوائل هذه الأمة من الخيار قليل بالنسبة لأوائلها، وإن كان كثيراً في نفسه، ولعل هذا التفسير أقرب.

قوله: ﴿على سرر﴾ جمع سرير، وهو ما يوضع للشخص من المقاعد العالية كرامة وإجلالاً، قال الكلبي: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليه تواضع وانخفض له، فإذا جلس عليه ارتفع. قوله: ﴿متكئين عليها﴾ أي على السرر. قوله: ﴿متقابلين﴾ أي فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، بل إذا أراد أحدهم الانصراف دار به سريره. قوله: ﴿يطوف عليهم﴾ هذه الجملة إما حال أو استئناف. قوله: ﴿ولدان﴾ بكسر الواو باتفاق القراء، جمع وليد بمعنى مولود. قوله: [على شكل الأولاد] أي فهم مخلوقون في الجنة ابتداء كالحور العين، ليسوا من أولاد الدنيا، وإنما سموا أولاداً لكونهم على شكل الأولاد كما أفاده المفسر، وهذا هو الصحيح، وقيل: هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغاراً، ورد بأن الله أخبر عنهم، أنهم يلحقون بآبائهم في السيادة والخلقة، وقيل هم صغار أولاد الكفار، وقيل غير ذلك. قوله: [لا يهرمون] تفسير لقوله: ﴿مخلدون﴾ والمعنى: لا يتغيرون عن حالة الولدان من الطراوة والنعومة، بخلاف أولاد الدنيا في الدنيا، فإنهم يتغيرون بالشيخوخة.

قوله: ﴿وأباريق﴾ جمع إبريق مشتق من البريق لصفاء لونه. قوله: [لها عرى] أي ما يمسك بها المسماة بالآذان. قوله: [وخراطيم] هي المسماة بالبزابيز. قوله: ﴿لا يصدعون عنها﴾ أي لا يحصل لهم صداع من أجلها، والصداع معروف يلحق الإنسان في رأسه. قوله: [أي لا يحصل لهم] الخ لف ونشر مرتب. قوله: ﴿مما يتخيرون﴾ أي يختارون.

قوله: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ ورد أن في الجنة طيراً مثل أعناق البخت، تعطف على يد ولي الله، فيقول أحدها: يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش، وشربت من عيون التسنيم، فكل مني، فلا يزلن يفتخرن بين يديه، حتى يخطر على قلبه أكل أحدها، فيخر بين يديه على ألوان مختلفة، فيأكل منها ما أراد، فإذا شبع، تجمع عظام الطير فطار يرعى في الجنة حيث شاء، فقال عمر: يا رسول الله إنها لناعمة؟ قال: آكلها أنعم منها. وقال ابن عباس رضي الله عنه: يخطر على قلبه لحم الطير، فيصير بين يديه على ما يشتهي، أو يقع على الصحفة فيأكل منها ما يشتهي ثم يطير.

قوله: ﴿وحور عين﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله: [لهم]. قوله: [شديدات سواد العيون] هذا من جملة

قراءة بجر حور عين ﴿كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ ٢٣: المصون ﴿جَزَاءً﴾: مفعول له أو مصدر والعامل مقدر أي جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٤ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنة ﴿لَغْوًا﴾: فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ ٢٥: ما يؤثم ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿قِيلًا﴾: قولاً ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ ٢٦: بدل من قيلاً فإنهم يسمعونه ﴿وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ﴾ ٢٧ ﴿فِي سِدْرٍ﴾: شجر النبق ﴿مَخْضُودٍ﴾ ٢٨: لا شوك فيه ﴿وَطَلْحٍ﴾: شجر الموز ﴿مَنْضُودٍ﴾ ٢٩: بالحمل من أسفله إلى أعلاه ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ ٣٠: دائم ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ ٣١: جار دائماً ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ ٣٢ ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾: في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ ٣٣: بثمن ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ ٣٤: على سرر ﴿إِنَّا

تفسير العين، فلو أخره بعده لكان أوضح، فالعين شديدات سواد العيون مع سعتها، وأما الحور فقيل: هو بياض أجسادهن، وقيل: هو شدة بياض العين في شدة سوادها. قوله: [بدل ضمها] أي الذي هو حقها لأن أصلها عين بضم العين وسكون الياء، كسرت العين لتصح الياء. قوله: [وفي قراءة بجر حور عين] أي وهي سبعية أيضاً، عطف على ﴿جنات النعيم﴾ كأنه قيل: هم في جنات النعيم، وفاكهة ولحم وحور عين.

قوله: ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ أي المستور في الصدف، لم تمسه الأيدي ولا الشمس والهواء، روي أنه يسطع نور في الجنة فيقولون: ما هذا؟ فيقال: ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها، وروي أن الحوراء إذا مشت، يسمع تقديس الخلاخيل من ساقها، وتمجيد الأسورة من ساعديها، وعقد الياقوت في نحرها، وفي رجليها نعلان من ذهب، شراكهما من لؤلؤ يصيحان بالتسبيح. قوله: ﴿بما كانوا يعملون﴾ الباء سببية؛ وما مصدرية أو موصولة. قوله: [لكن] ﴿قيلاً﴾ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وذلك لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم. قوله: [بدل من قيلاً] أي أو نعت له أو منصوب بقيلاً، أي إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً. قوله: [فإنهم يسمعونه] أي من الله والملائكة، وبعضهم بعضاً.

قوله: ﴿وأصحاب اليمين﴾ شروع في تفصيل ما أجمل من أوصافهم إثر تفصيل أوصاف السابقين ﴿في سدر﴾ خبر ثان عن قوله: ﴿وأصحاب اليمين﴾. قوله: ﴿مخضود﴾ من خضد الشجر قطع شوكه، من باب ضرب، روي أن اعرابياً أقبل يوماً فقال: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: وما هي؟ قال: السدر فإن له شوكاً مؤذياً، فقال رسول الله ﷺ: أو ليس يقول ﴿في سدر مخضود﴾؟ خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها تنبت ثمراً على أثنين وسبعين لوناً من الطعام، ما فيها لون يشبه الآخر، وليس ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا، بل كله مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه. قوله: [دائم] أي لا تنسخه الشمس. قوله: [جار دائماً] أي على وجه الأرض ليس في حفر. قوله: ﴿ولا ممنوعة﴾ [بثمن] الأولى أن يقول بشيء، ليشمل الحائط والباب والشوك ونحو ذلك، والمعنى لا تمنع عن متناولها بوجه من الوجوه، بل إذا اشتهاها العبد، دنت منه حتى يأخذها بلا تعب.

قوله: ﴿وفرش مرفوعة﴾ [على السرر] وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض كما ورد: أن ارتفاعها كما بين السماء

---

* أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في البعث عن عطاء ومجاهد قالا: لما سأل أهل الطائف الوادي يحمى لهم وفيه عسل ففعل، وهو واد معجب، فسمعوا الناس يقولون: إن في الجنة كذا وكذا، قالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فأنزل الله ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود﴾ الآيات.

** أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج البيهقي من وجه آخر عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بوج ـ واد في الطائف ـ ظلاله وطلحه وسدره فأنزل الله ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود﴾.

﴿أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ ٣٥: أي الحور العين من غير ولادة ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ ٣٦: عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع ﴿عُرُباً﴾: بضم الراء وسكونها جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَتْرَاباً﴾ ٣٧: جمع ترب أي مستويات في السن ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ٣٨: صلة أنشأناهن أو جعلناهن وهم ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١ فِي سَمُومٍ﴾: ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ٤٢: ماء شديد الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ ٤٣: دخان شديد السواد ﴿لَا بَارِدٍ﴾: كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ ٤٤: حسن المنظر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾: في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ ٤٥: منعمين لا يتعبون في الطاعة ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ﴾: الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ ٤٦: أي الشرك ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً

والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام. قوله: [أي الحور العين من غير ولادة] أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿أنشأناهن﴾ عائد على الحور العين المفهومان مما سبق، وهذا أحد قولين، وقيل هو عائد على نساء الدنيا، ومعنى ﴿أنشأناهن﴾ أعدنا إنشاءهن، ويؤيده ما ورد أن أم سلمة سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ فقال: يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً، جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً، فلما سمعت عائشة رسول الله يقول ذلك قالت: واوجعاه، فقال رسول الله ﷺ: ليس هناك وجع، ويصح عود الضمير على ما هو أعم من الحور العين ونساء الدنيا، وهو الأنسب بالأدلة. قوله: [بضم الراء وسكونها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي مستويات في السن] أي وهو ثلاث وثلاثون سنة لما في الحديث: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً مكحولين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين، على خلق آدم عليه الصلاة والسلام ستون ذراعاً في سبعة أذرع». وروي أيضاً أنه ﷺ قال: «من دخل الجنة من صغير أو كبير يرد إلى ثلاثين سنة في الجنة، لا يزاد عليها أبداً، وكذلك أهل النار». قوله: [صلة أنشأناهن] أي متعلقة به، والمعنى أنشأناهن لأجل أصحاب اليمين، ويصح تعلقها بأتراباً، والمعنى جعلناهن أتراباً، أي مساويات لأصحاب اليمين في الطول والعرض والجمال، فلا تتخير امرأة عن رجل في الجنة.

قوله: ﴿ثلة من الأولين﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: [وهم] واختلف في المراد بالأولين والآخرين، فقيل بأوائل هذه الأمة كالصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وأواخرهم من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، وقيل: المراد بالأولين الأمم السابقة، وبالآخرين هذه الأمة، فالخلاف هنا نظير ما تقدم، وقال فيما سبق ﴿وقليل من الآخرين﴾ وقال هنا ﴿وثلة من الآخرين﴾ لأن ما تقدم في ذكر السابقين، وهم في الآخرة قليل، وهنا في أصحاب اليمين، وهم كثيرون في الأولين والآخرين.

قوله: ﴿وأصحاب الشمال﴾ الخ شروع في ذكر بعض صفات أصحاب المشأمة المتقدم ذكرهم. قوله: ﴿ما أصحاب الشمال﴾ خبر أول وأبهمه لعظمه. قوله: ﴿في سموم﴾ خبر ثان. قوله: [تنفذ في المسام] أي تدخل في أعماق أبدانهم. قوله: ﴿وحميم﴾ أي يطلبونه عند اشتعال السموم في أبدانهم فيزيد عطشهم، فيسقون من ماء الحميم، فتتقطع عند ذلك أمعاؤهم. قوله: ﴿من يحموم﴾ صفة أولى لظل، وقوله: ﴿لا بارد ولا كريم﴾ صفة ثانية وثالثة له. قوله: ﴿إنهم كانوا﴾ الخ، تعليل لاستحقاقهم تلك العقوبة، ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب استحقاقهم الثواب، إشارة إلى أن الثواب حاصل من فضله تعالى لا وجوب عليه، فعدم ذكر سببه لا يوهم نقصاً، وأما العقاب فمن عدله تعالى، فلو لم يذكر سببه لربما توهم الجور في حقه تعالى. قوله: [لا يتعبون في الطاعة] أي تركوا الطاعات

وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ٤٧ في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ ٤٨: بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد وفي قراءة بسكون الواو عطفاً بأو والمعطوف عليه محل أنّ واسمها ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ﴾: لوقت ﴿يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ ٥٠: أي يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ٥١ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾ ٥٢: بيان للشجر ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا﴾: من الشجر ﴿الْبُطُونَ ٥٣ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾: أي الزقوم المأكول ﴿مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤ فَشَارِبُونَ شُرْبَ﴾: بفتح الشين وضمها مصدر ﴿الْهِيمِ﴾ ٥٥: الإبل العطاش جمع هيمان للذكر وهيمي للأنثى كعطشان وعطشى ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾: ما أعدّ لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٥٦: يوم القيامة ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾: أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾: هلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ ٥٧: بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ٥٨: تريقون المني في أرحام النساء ﴿أَأَنْتُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾: أي المني بشراً ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾: بالتشديد والتخفيف

واشتغلوا بالملاذ المحرّمة، وأما فعل الطاعات مع التنعم بالملاذ الحلال فلا ضرر فيه، قال تعالى ﴿قل من حرم زينة الله﴾ الآية. قوله: [وإدخال ألف بينهما على الوجهين] المناسب أن يقول: وتركه ليكون منبهاً على أربع قراءات وكلها سبعية، وهي التحقيق والتسهيل مع الألف ودونها. قوله: [وهو في ذلك] أي الاستفهام في هذا الموضع وهو قوله: ﴿أو آباؤنا﴾ وقوله: [وفيما قبله] أي وهو قوله: [أئذا متنا] ﴿أئنا لمبعوثون﴾ قوله: [وفي قراءة] اي وهي سبعية أيضاً. قوله: [والمعطوف عليه] أي على كل من القراءتين.

قوله: ﴿إن الأولين﴾ الخ رد لإنكارهم واستبعادهم. قوله: [لوقت] ﴿يوم﴾ أي فيه وضمن الجمع معنى السوق فعداه بإلى، وإلا فمقتضي الظاهر تعديته بفي. قوله: ﴿ثم إنكم﴾ عطف على ﴿إن الأولين﴾ والخطاب لأهل مكة وأضرابهم. قوله: ﴿من زقوم﴾ هو أخبث الشجر ينبت في الدنيا بتهامة، وفي الآخرة في الجحيم. قوله: [بيان للشجر] أي فمن بيانية، وأما من الأولى فهي لابتداء الغاية أو زائدة. قوله: [من الشجر] أي وإنما أعاد الضمير عليه مؤنثاً، لكون الشجر اسم جنس، يجوز تذكيره وتأنيثه. قوله: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ تفسير للشرب الأول، وفي الآية تنبيه على كثرة شربهم من الحميم، وأنه لا ينفعهم، بل يزدادون به عذاباً. قوله: [بفتح الشين وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [جمع هيمان] الخ هذا سبق قلم، والصواب أن يقول جمع أهيم وهيماء، لأن هيم أصله هيم بضم الهاء بوزن حمر، قلبت الضمة كسرة لتصح الياء، وحمر جمع لأحمر وحمراء، والمعنى يكونون في شرابهم الحميم كالجمل أو الناقة التي أصابها الهيام، وهو داء معطش تشرب منه الإبل الى أن تموت أو تمرض مرضاً شديداً.

قوله: ﴿هذا نزلهم﴾ أي ما ذكر من مأكولهم ومشروبهم، والنزل في الأصل ما يهيأ للضيف أول قدومه من التحف والكرامة، فتسميته نزلاً تهكم بهم. قوله: [بالبعث] أي الإحياء بعد الموت. قوله: ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ الخ، احتجاجات على الكافرين المنكرين للبعث، والمعنى أخبروني، فمفعولها الأول ﴿ما تمنون﴾ والثاني الجملة الاستفهامية. قوله: ﴿ما تمنون﴾ بضم التاء في قراءة العامة من أمنى يمني، وقرىء شذوذاً بفتحها من منى يمنى بمعنى صب، والمعنى أخبروني الماء الذي تقذفونه وتصبونه في الرحم ﴿أأنتم تخلقونه﴾ الخ. قوله: [بتحقيق الهمزتين] في كلامه تنبيه على أربع قراءات سبعيات، مع أنها خمس، وذلك لأن التحقيق، إما مع إدخال ألف بينهما ممدودة مداً طبيعياً، أو بدونها والتسهيل كذلك، وابدال الثانية ألفاً ممدودة مداً لازماً، وقوله: [في المواضع الأربعة] أي هذا وقوله

﴿بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٦٠ : بعاجزين ﴿عَلَىٰٓ﴾ : عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾ : أي نجعل ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ : مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ : نخلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦١ : من الصور كالقردة والخنازير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ : وفي قراءة بسكون الشين ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ : فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ٦٣ : تثيرون الأرض وتلقون البذر فيها ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ : تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ ٦٤ ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ : نباتاً يابساً لا حب فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾ : أصله ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفاً أي أقمتم نهاراً ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ ٦٥ : حذفت منه إحدى التاءين في الأصل تعجبون من ذلك وتقولون ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ ٦٦ : نفقة زرعنا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ٦٧ : ممنوعون رزقنا ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ ٦٨ ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ : السحاب جمع مزنة ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ ٦٩ ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ : ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ : فهلا ﴿تَشْكُرُونَ﴾ ٧٠ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى

بعد ﴿أأنتم تزرعونه﴾ ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾. قوله: ﴿أم نحن الخالقون﴾ يحتمل أن ﴿أم﴾ منقطعة لأن ما بعدها جملة، والمتصلة إنما تعطف المفردات، وحينئذٍ فيكون الكلام مشتملاً على استفهامين: الأول ﴿أأنتم تخلقونه﴾ وهو إنكاري وجوابه لا؛ والثاني مأخوذ من ﴿أم﴾ إن قدرت ببل والهمزة، أو بالهمزة وحدها، ويكون تقريرياً، ويحتمل أن تكون متصلة، وذلك لأنها عطفت المفرد وهو ﴿نحن﴾ والإتيان بالخبر زيادة تأكيد.

قوله: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ أي حكمنا به وقضيناه على كل مخلوق، فلا يستطيع أحد تغيير ما قدرنا. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ يصح تعلقه بمسبوقين، أي لم يعجزنا أحد على تبديلنا أمثالكم أو يقدرنا، والمعنى: قدرنا بينكم الموت، على أن نميت طائفة ونجعل مكانها أخرى، و﴿أمثالكم﴾ إما جمع مِثل بكسر فسكون. والمعنى نحن قادرون على أن نعدمكم ونخلق قوماً آخرين أمثالكم، أو جمع مَثل بفتحتين بمعنى الصفة. والمعنى نحن قادرون على أن نغير صفاتكم، وننشئكم في صفات أخرى غيرها. قوله: ﴿في ما لا تعلمون﴾ ﴿ما﴾ موصولة، وحينئذ فتكتب مفصولة من حرف الجر. والمعنى: نخلقكم في صور لا علم لكم بها.

قوله: ﴿النشأة الأولى﴾ أي الترابية لأبيكم آدم، واللحمية لأمكم حواء، والنطفية لكم، ولا شك أن كلا منها تحويل من شيء إلى غيره. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [تثيرون الأرض] الخ إنما فسر الحرث بمجموع الأمرين مراعاة لمعناه اللغوي، ولأن الشأن أن البذر يكون معه إثارة أرض، والمناسب هنا تفسيره بالبذر، والمعنى أفرأيتم البذر الذي تلقونه في الطين أأنتم تنبتونه الخ. قوله: [نباتاً يابساً لا حب فيه] أي وقيل هشيماً لا ينتفع به في مطعم آدمي ولا غيره. قوله: ﴿تفكهون﴾ هو في الأصل من التفكه، وهو إلقاء الفاكهة من اليد، وهو لا يكون من الشخص إلا عند إصابة الأمر المكروه، فقوله: [تعجبون] أي من غرابة ما نزل بكم تفسير باللازم. قوله: [وتقولون] ﴿إنا لمغرمون﴾ أشار بذلك الى أن قوله: ﴿إنا لمغرمون﴾ مقول لقول محذوف حال تقديره ﴿فظلتم تفكهون﴾ قائلين ﴿إنا لمغرمون﴾ أي لملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون بسبب هلاك رزقنا.

قوله: ﴿من المزن﴾ هو بالضم السحاب مطلقاً كما قال المفسر، أو المراد به أبيضه، أو المحتوي على الماء.
قوله: ﴿جعلناه أجاجاً﴾ حذفت اللام هنا لعدم الاحتياج الى التأكيد، إذ لا يتوهم ملك السحاب وما فيه من الماء، بخلاف الزرع والأرض، ففي ذلك شائبة ملك، فأتى في جانبه بالمؤكد وهو اللام. قوله: [لا يمكن شربه] أي ولا انتفاع

﴿تُورُونَ﴾ ٧١: تخرجون من الشجر الأخضر ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾: كالمرخ والعفار والكلخ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ ٧٢ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾: لنار جهنم ﴿وَمَتَاعاً﴾: بلغة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ ٧٣: للمسافرين من أقوى القوم أي صاروا بالقوا بالقصر والمد أي القفر وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء ﴿فَسَبِّحْ﴾: نزه ﴿بِاسْمِ﴾ زائد ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٧٤: أي الله ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ٧٥: بمساقطها لغروبها ﴿وَإِنَّهُ﴾: أي القسم بها

الزرع به. قوله: ﴿التي تورون﴾ من أوريت الزند، قدحته لتستخرج ناره، وأصله توريون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما وقلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو. قوله: [من الشجر الأخضر] أي أو من غيره، وإنما اقتصر على الشجر الأخضر لكونه أعظم وأبهر في الدلالة على عظمة الله وباهر قدرته. قوله: [كالمرخ والعفار] تقدم الكلام على ذلك في سورة يس، وأما [الكلخ] فهو معروف في بعض بلاد المغرب والشام، يؤخذ منه قطعتان وتضرب إحداهما فتخرج النار، وعن ابن عباس أنه قال: ما من شجرة ولا عود إلا وفيه النار سوى العناب. قوله: [المسافرين] أي وخصوا بالذكر، لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين، فإنهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع، ويهتدي الضال، ونحو ذلك من المنافع. قوله: [من أقوى القوم] أشار بذلك إلى أن المراد بالمقوين المسافرون، وأنه مأخوذ من أقوى القوم إذا صاروا بالقوى، وهي الأرض الخالية من السكان، وقيل: المراد بهم ما هو أعم لأن المقوي من الأضداد، يقال للفقير مقو لخلوه من المال، وللغني لقوته على ما يريد، والمعنى: جعلناها متاعاً ومنفعة للأغنياء والفقراء المسافرين والحاضرين، فلا غنى لأحد عنها. قوله: [بالقصر والمد] أي مع كسر القاف فيهما.

قوله: ﴿فسبح باسم ربك﴾ مفرع على ما تقدم، والمعنى ادع الخلق إلى توحيد الله وطاعته، ووضح لهم الأمر بما تقدم، فإن لم يهتدوا فارجع إلى ربك وسبحه ولا تلتفت لغيره، والمراد نزهه عما لا يليق به، سواء كان بخصوص سبحان الله، أو بغيره من بقية الأذكار. قوله: [زائد] أي لفظ اسم زائد، والمعنى سبح ربك، وسبح يتعدى بنفسه وبالباء، وما مشى عليه المفسر، من زيادة لفظ اسم أحد قولين، والآخر أنه ليس زائداً، بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهها عن النقائص، كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص، ولذا قال الفقهاء: من وجد اسم الله تعالى مكتوباً في ورقة موضوعاً في قذر وتركه فقد كفر، وذلك لأن التهاون بأسماء الله كالتهاون بذاته لأن الاسم دال على المسمى، وهذا هو الأتم.

ـ فائدة ـ أثبتوا في الخط ألف اسم هنا، وحذفوها من البسملة لكثرة دوران البسملة في الكلام دون ما هنا.

قوله: [لا زائدة] أي للتأكيد لأن المقصود القسم، وهذا أحد أقوال فيها، وقيل: هي لام الابتداء، دخلت على مبتدأ محذوف تقديره أنا أقسم، حذف المبتدأ فاتصلت بخبره، وقيل: هي نافية ومنفيها محذوف تقديره فلا يصح قول المشركين فيك وفي قرآنك، وقوله: ﴿أقسم﴾ الخ جملة مستأنفة تسلية له ﷺ. قوله: [بمساقطها لغروبها] هذا قول قتادة، وقيل هو منازلها، وقيل المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوماً، فإن الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ، من السماء العليا إلى السفرة، الكاتبين جملة واحدة، فنجمه السفرة على جبريل وهو على محمد في عشرين سنة.

---

* أسباب نزول الآية ٧٥: وأخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، فنزلت هذه الآيات ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ حتى بلغ ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي حزرة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، نزلوا الحجر فأمرهمك رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً، ثم ارتحل ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقام فصلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها. فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك أما ترى ما دعا النبي ﷺ فأمطر الله علينا السماء فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا.

﴿لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾٧٦: أي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم ﴿إِنَّهُ﴾: أي المتلو عليكم ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾٧٧ ﴿فِي كِتَابٍ﴾: مكتوب ﴿مَكْنُونٍ﴾٧٨: مصون وهو المصحف ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾٧٩: أي الذين طهروا أنفسهم من الأحداث ﴿تَنْزِيلٌ﴾: منزل ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾٨٠ ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾٨١: متهاونون مكذبون ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾: من المطر أي شكره ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾٨٢: بسقيا الله حيث قلتم مطرنا بنوء كذا ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾: الروح وقت النزع ﴿الْحُلْقُومَ﴾٨٣: هو مجرى الطعام ﴿وَأَنْتُمْ﴾: يا حاضري الميت ﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾٨٤: إليه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾: بالعلم ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾٨٥: من البصيرة أي لا تعلمون ذلك ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ

قوله: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه في أثنائها جملة معترضة بين الصفة والموصوف وهي قوله: ﴿لو تعلمون﴾ وليس هذا من باب الاعتراض بأكثر من جملة، لأن الجملتين في حكم جملة واحدة. قوله: [أي لو كنتم] الخ، أشار بذلك إلى أن جواب ﴿لو﴾ محذوف، وإلى أن الفعل منزل منزلة اللازم. قوله: [لعلمتم عظم هذا القسم] أي لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة، ولأن آخر الليل الذي هو وقت تساقط النجوم محل الرحمات والعطايا الربانية، قال تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾.

قوله: ﴿لقرآن كريم﴾ أي كثير النفع، وصف بالكرم لاشتماله على خير الدين والدنيا والآخرة، ففيه مزيد البيان والنور والاهتداء، فكل عالم يطلب أصل علمه منه من معقول ومنقول. قوله: [مصون] أي من التغيير والتبديل، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. قوله: [وهو المصحف] أي وقيل هو اللوح المحفوظ، وعليه فمعنى ﴿لا يمسه﴾ لا يطلع عليه إلا الملائكة المطهرون من الأقذار المعنوية، ولا يكون في الآية دليل لنهي المحدث عن مس المصحف. قوله: [خبر بمعنى النهي] أي فأطلق الخبر وأريد النهي، وإلا فلو أبقي على خبريته للزم عليه الخلف في خبره تعالى، لأنه كثيراً ما يمس بدون طهارة، والخلف في خبره تعالى محال، وما مشى عليه المفسر أحد وجهين، والآخر أن لا ناهية، والفعل مجزوم بسكون مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام، وإنما حرك بالضم إتباعاً لحركة الهاء. ان قلت: إنه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبية، فإن قوله: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ صفة رابعة لقرآن. وأجيب: بأنه لا يتعين أن يكون صفة لجواز جعله خبر لمبتدإ محذوف أي وهو تنزيل. قوله: [منزل] أشار بذلك إلى أن المصدر بمعنى اسم المفعول.

قوله: ﴿أفبهذا الحديث﴾ الخ، الاستفهام توبيخي، والمعنى لا يليق منكم ذلك. قوله: ﴿مدهنون﴾ الإدهان في الأصل جعل الشيء مدهوناً بالدهن ليلين ويحسن، أطلق وأريد اللين الظاهري الذي هو النفاق، ولذا سميت المداراة والملاينة فيما يغضب الله مداهنة، فالدهن هو الذي ظاهره يخالف باطنه، والمراد هنا الكفر مطلقاً كما أفاده المفسر. قوله: [بسقيا الله] مصدر مضاف لفاعله. قوله: [حيث قلتم مطرنا] الخ، أي وقائل ذلك كافر إن أعتقد تأثير الكواكب في المطر، وعاص إن لم يعتقده.

قوله: ﴿فلولا إذا بلغت﴾ الخ، الظرف متعلق بترجعونها مقدم عليه، وقوله: ﴿وأنتم حينئذ﴾ الخ، جملة حالية من فاعل ﴿بلغت﴾ وكذا قوله: ﴿ونحن أقرب إليه﴾. قوله: [من البصيرة] أي أو من البصر، والمعنى وأنتم لا تبصرون أعوان ملك الموت، ورد أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق، ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً، حتى ينتهوا بها إلى

﴿مَدِينِينَ﴾[٨٦]: مجزيين بأنْ تبعثوا أي غير مبعوثين بزعمكم ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: تردون الرّوح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٨٧]: فيما زعمتم فلولا الثانية تأكيد للأولى وإذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان والمعنى هلا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ﴾: الميت ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٨٨] ﴿فَرَوْحٌ﴾: أي فله استراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[٨٩]: وهل الجواب لأمّا أو لإنْ أو لهما أقوال ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩٠] ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾: أي له السلامة من العذاب ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩١]: من جهة أنه منهم ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾[٩٢] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾[٩٣] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[٩٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾[٩٥]: من إضافة الموصوف إلى صفته ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٩٦]: تقدم.

الحلقوم، فيتوفاها مَلَك الموت. قوله: [مجزيين] أي فمدينين من الدين بمعنى الجزاء، وقوله: [غير مبعوثين] تفسير للمراد هنا. قوله: [فلولا الثانية] أي التي في قوله: ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾. قوله: [تأكيد] أي لفظي، وقوله: [للأولى] أي التي في قوله: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾. قوله: [المتعلق به الشرطان] أي وهما ﴿إن كنتم غير مدينين﴾، ﴿إن كنتم صادقين﴾، ومعنى تعلقهما به أنه جزاء لكل منهما. قوله: [والمعنى هلا] الخ، أي فهي للطلب، والمعنى ارجعوها. قوله: [إن نفيتم البعث] هذا هو الشرط الأول، وقوله: [صادقين في نفيه] هو الشرط الثاني. قوله: [لينتفي] الخ، علة للجزاء، وقوله: [عن محلها] أي الذي هو الجسد، والمعنى: إن صدقتم في نفي البعث، فردوا روح المحتضر إلى جسده، لينتفي عنه الموت، فينتفي البعث الذي تنكرونه لترتبه على الموت.

قوله: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ الخ، شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات، إثر بيان حاله عنده. قوله: ﴿من المقربين﴾ أي وهم المعبّر عنهم فيما سبق بالسابقين. قوله: ﴿فروح﴾ بفتح الراء في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بضمها، ومعناها الرحمة. قوله: [أي فله] أشار بذلك إلى أن روح مبتدأ خبره محذوف. قوله: ﴿وجنت نعيم﴾ ترسم هنا بالتاء المجرورة، والوقف عليها إما بالهاء أو التاء، وفي ذكر الجنة عقب الروح والريحان، إشعار بأن محل ذلك يكون للمقربين في البرزخ قبل الجنة، كما هو مشهور في السنة. قوله: [وهل الجواب لأما] أي وجواب ﴿إن﴾ محذوف لدلالة المذكور عليه، وهذا هو الراجح، لأنه عهد حذف جواب ﴿إن﴾ كثيراً. قوله: ﴿فسلام لك﴾ أي يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تعظيماً لصاحب اليمين. قوله: [أي له السلامة] أشار بهذا إلى أن السلام بمعنى السلامة، وهو خلاف ما قلنا، فهما تفسيران. قوله: [من جهة أنه منهم] أشار به إلى أن ﴿من﴾ تعليلية، أي من أجل أنه منهم.

قوله: ﴿وأما إن كان من المكذبين﴾ لم يقل وأما إن كان من أصحاب الشمال الخ، تبكيتاً عليهم وإشعاراً بالأفعال التي أوجبت لهم هذا العذاب. قوله: ﴿فنزل﴾ مبتدأ خبره محذوف، أي له نزل من حميم، والمعنى أنه يشربه بعد أكل الزقوم، وسمي نزلاً تهكماً بهم. قوله: ﴿وتصلية جحيم﴾ أي احتراق بها. قوله: ﴿إن هذا﴾ أي ما ذكر من قصة المحتضرين، أو ما قصصناه عليك في هذه السورة. قوله: [تقدم] الذي تقدم في كلامه أن سبح نزه، وأن لفظ اسم زائد، وتقدم لنا القول بعدم زيادته ووجهه وأنه الأولى، والعظيم يصح أن يكون صفة للاسم، وأن يكون صفة لربك، لأن كلا منهما مجرور، وفي ذكر لفظ التسبيح في آخر هذه السورة، شدة مناسبة لما بعدها من التسابيح، كأن الله تعالى يقول: سبح باسم ربك، لأنه سبح له ما في السماوات والأرض، والله أعلم بأسرار كتابه.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٥٧] ـ سورة الحديد

[مكية أو مدنية وهي تسع وعشرون آية]

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليباً للأكثر

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الحديد مكية أو مدنية

وهي تسع وعشرون آية

سميت بذلك لذكر الحديد فيها، من باب تسمية الكل باسم بعضه، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه. قوله: [مكية] أي لما قيل: إن سبب اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه دخل على أخته، وكانت أسلمت قبله، فوجد أوائل هذه السورة الى قوله ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مكتوباً في صحيفة فأسلم. قوله: [أو مدنية] وهو لابن عباس وعليه الجمهور، وقال القرطبي: إنها مدنية في قول الجميع، وإسلام عمر كان بأوائل طه، وعلى القول بأنه كان بأوائل هذه السورة، فتستثنى هذه الآيات من القول بأنها مدنية.

قوله: ﴿سبح لله﴾ عبر هنا وفي الحشر والصف بالماضي، وفي الجمعة والتغابن بالمضارع، وفي الأعلى بالأمر، وفي الإسراء بالمصدر، اشعاراً بأن التسبيح مطلوب من الإنسان في كل حال، وصدر بالمصدر تنبيهاً على أن تنزيهه تعالى مطلق، لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا بفاعل معين، كما أن المصدر مطلق عن الفاعل والزمان ثم بالماضي لتقدم زمنه، ثم بالمضارع لشموله للحال والاستقبال، ثم بالأمر لتأكيد الحث على طلبه من الشخص، فكأنه قال: حيث علمت أيها الشخص، أن ربك منزه تنزيهاً مطلقاً، وسبحه من تقدم من المخلوقات، واستمروا على تسبيحه، فعليك بالاشتغال به، والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما لا يليق به قولاً وفعلاً واعتقاداً من سبح في الأرض والماء ذهب وأبعد فيهما، إن قلت: إن ﴿سبح﴾ متعد بنفسه فما وجه الإتيان باللام له؟ أجيب: بأن اللام زائدة للتأكيد، كما في نصحت له وشكرت له، وعليه اقتصر المفسر، أو للتعليل، والمعنى فعل التسبيح لأجل رضا الله تعالى وخالصاً لوجهه، لا لغرض آخر. قوله: [فاللام مزيدة] أي للتأكيد، وهو مفرع على قوله: [أي نزهه] أو أصلية للتعليل كما علمت. قوله: [تغليباً للأكثر] أي وهو غير العاقل، فالمراد بالسماوات والأرض جهة العلو والسفل، فيشمل نفس السماوات والأرض، وأعلم أن تسبيح العقلاء بلسان المقال اتفاقاً. واختلف في تسبيح غيرهم، فقيل بالحال أي إن ذاتها دالة على تنزيه صانعها عن كل نقص، وقيل بلسان المقال أيضاً، ولكن لا يطلع على تسبيحها، إلا من خصه الله بذلك.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾: في صنعه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾: بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾: بعده ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ﴾: قبل كل شيء بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾: بعد كل شيء بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾: بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾: عن إدراك الحواس ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: الكرسي استواء يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: كالمطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيهَا﴾: كالأعمال الصالحة والسيئة

قوله: ﴿وهو العزيز﴾ [في ملكه] أي الغالب على أمره لا يغلبه شيء. قوله: ﴿الحكيم﴾ [في صنعه] أي يضع الشيء في محله، فلا حرج عليه، ولا معقب لحكمه. قوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها، كأنه قيل: ﴿هو العزيز الحكيم﴾ لأن له ملك السماوات والأرض، يتصرف فيه على ما يريد. قوله: [بالإنشاء] أي من العدم، وفيه رد على من يزعم، أن الإحياء يكون بترك الحي من غير قتل مثلاً كالنمروذ حيث قال في محاجة إبراهيم عليه السلام: أنا أحيي وأميت، وأتى برجلين فأطلق أحدهما وقتل الآخر. قوله: ﴿ويميت﴾ [بعده] أي بعد الإحياء الحاصل بالإنشاء، وأما الإحياء الثاني فلا موت بعده، قال تعالى ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾.

قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ بضم الهاء وسكونها، قراءتان سبعيتان في جميع القرآن. قوله: ﴿هو الأول﴾ [قبل كل شيء] أي السابق على جميع الموجودات. وقوله: [بلا بداية] أي فلا افتتاح لوجوده. قوله: ﴿والآخر﴾ [بعد كل شيء] أي الباقي بذاته بعد استحقاق كل ما سواه الفناء، وبهذا اندفع ما يقال: إن الجنة والنار وما فيهما لا يطرأ عليهما الفناء، لأن كل موجود بعد عدم قابل للفناء، وبقاء ما ذكر ببقاء الله تعالى لا ذاتي له، قال العارف:

من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال

قوله: [بالأدلة عليه] أي وهي آثاره وتصاريفه في خلقه:

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

قوله: [عن إدراك الحواس] أي الظاهرية والباطنية، فلا تحيط به في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما رؤيته وسماع كلامه في الآخرة، من غير كيف ولا انحصار ولا احاطة، فكل مخلوق عاجز عن الاحاطة به، بل كلما عظم قرب العبد منه ازداد خشية وهيبة وعجزاً، ولذا ورد في الحديث: «سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته». وروي أنه ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم أن ينام، فليضطجع على شقه الأيمن ويقول: اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل شيء، أنت آخذ بناصيته. وفي رواية: من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر» اهـ. وأتى بالواو الأولى والثالثة، للجمع بين الوصفين الأولين والأخيرين، والثالثة للجمع بين مجموع الأصناف الأربعة، فهو تعالى متصف بالأولية وضدها، والظاهرية وضدها، وتلك الصفات الأربع مجموعة فيه تعالى، فالواو الأولى والثالثة عطفت مفرداً على مفرد، والثانية عطفت مجموع أمرين على مجموع أمرين. قوله: [الكرسي] تقدم غير مرة أن المناسب إبقاء العرش على ظاهره. قوله: [استواء يليق به] تقدم أن هذا تفسير السلف، وأما الخلف فيؤولونه بالقهر والغلبة. قوله: [والسيئة] المناسب حذفه، لأن الذي يرفع إنما هو الأعمال الصالحة، قال تعالى ﴿إليه يصعد

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾: بعلمه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٥﴾: الموجودات جميعاً ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾: يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾: فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٦﴾: بما فيها من الأسرار والمعتقدات ﴿آمِنُوا﴾: دوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا﴾: في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾: إشارة إلى عثمان رضي الله عنه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾: خطاب للكفار أي لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾: بضم الهمزة وكسر الخاء، وبفتحهما، ونصب ما بعدهما ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾: عليه أي

الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾. قوله: [بعلمه] أي وقدرته وإرادته، فالمراد بالمعية تصاريفه في خلقه.

قوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ ذكره ثانياً مع الإعادة، كما ذكره أولاً مع ابتداء الخلق، فلا تكرار. قوله: ﴿ترجع الأمور﴾ بفتح التاء وكسر الجيم مبنياً للفاعل، وبضم التاء وفتح الجيم مبنياً للمفعول، قراءتان سبعيتان في جميع القرآن. قوله: [يدخله] ﴿في النهار﴾ [فيزيد] أي النهار بسبب دخول الليل فيه، وكذا يقال في النهار. قوله: [بما فيها من الأسرار والمعتقدات] أي من خير وشر.

قوله: ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ لما ذكر أنواعاً من الدلائل الدالة على التوحيد، شرع يأمر عباده بالإيمان، وبترك الدنيا والإعراض عنها، والنفقة في وجوه البر. قوله: [دوموا على الإيمان] جواب عما يقال: إن الخطاب للمؤمنين، وحينئذ ففيه تحصيل الحاصل، وهذا نتيجة ما قبله، لأنه لما ذكر أدلة التوحيد ولا شك أن التفكر فيها يزيد في الإيمان ويوجب الدوام عليه نتج منه الأمر بالدوام على الإيمان. قوله: [من مال من تقدمكم] الخ، أي فأنتم خلفاء عمن تقدمكم، ويصح أن المعنى من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها، فهي في الحقيقة له لا لكم، واعلم أن الأموال في الحقيقة لله تعالى، فخلف فيها آدم يتصرف فيها، وأولاده خلف عنه، وحينئذ فالخلافة إما عمن له التصرف الحقيقي وهو الله تعالى، أو عمن تصرف فيها قبله، ممن كانت في أيديهم وانتقلت لهم، وفي هذا حث على الإنفاق، وتهوين له على النفس، فلا ينبغي البخل بمال الغير، بل ينفقه في الوجوه التي تنفعه في المعاد. قوله: [وسيخلفكم فيه من بعدكم] أي من المال الذي هو بأيديكم، سواء كان من مال من تقدمكم، أو من مال اكتسبتموه بأنفسكم. قوله: [وهي غزوة تبوك] بالصرف نظراً للبقعة، ومنعه للعلمية والتأنيث، وهو مكان على طرف الشام، بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، وكانت تلك الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه ﷺ من الطائف، وهي آخر غزواته، ولم يقع فيها قتال، بل لما وصلوا إلى تبوك، وأقاموا بها عشرين ليلة، وقع الصلح على دفع الجزية، فرجع ﷺ بالعز والنصر العظيم، وتقدم تفصيلها في سورة براءة. قوله: [إشارة إلى عثمان] أي فإنه جهز في تلك الغزوة ثلاثمائة بعير، بأقتابها وأحلاسها وأحمالها، وجاء بألف دينار ووضعها بين يدي رسول الله ﷺ، وفي رواية: حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً، وقال في حقه رسول الله ﷺ: «ما على عثمان ما فعل بعد هذه» وفي رواية: «غفر الله لك يا عثمان، ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها» ولا خصوصية لعثمان بهذه الإشارة، بل غيره بذل فيها جهده. قوله: ﴿لهم أجر كبير﴾ أي عظيم.

قوله: ﴿وما لكم لا تؤمنون﴾ جملة من مبتدإ وخبر وحال، والمعنى أي شيء ثبت لكم حال كونكم غير مؤمنين. قوله: [أي لا مانع لكم من الإيمان] أشار بذلك الى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿والرسول يدعوكم﴾

أخذه الله في عالم الذر حين أشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا: بلى ﴿إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٨: أي مريدين الإيمان به فبادروا إليه ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: آيات القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ﴾: في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٩ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾: بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾: فيه إدغام نون أنْ في لام لا ﴿تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: بما فيهما فيصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾: لمكة ﴿وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا﴾: من الفريقين وفي قراءة بالرفع مبتدأ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ١٠: فيجازيكم به ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾: بإنفاق ماله

الجملة حالية من الواو في تؤمنون، والمعنى لا مانع لكم من الإيمان، والحال أن الرسول يدعوكم إليه بالمعجزات الظاهرة والحجج الباهرة. قوله: ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ الجملة حالية أيضاً من الكاف في ﴿يدعوكم﴾. قوله: [بضم الهمزة وكسر الخاء] أي ورفع ﴿ميثاقكم﴾ وتركه لوضوحه. قوله: [وبفتحهما] قراءتان سبعيتان. قوله: [أي أخذه الله] الخ تفسير للقراءتين. قوله: [أي مريدين الإيمان به] جواب عما يقال: كيف قال؟ ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾ ثم قال ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ ويجاب أيضاً: بأن المعنى إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى، فإن شريعتهما مقتضية للإيمان بمحمد ﷺ. قوله: [فبادروا إليه] أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: ﴿على عبده﴾ أي وهو محمد ﷺ.

قوله: ﴿وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾ أي حيث طلبكم للإيمان، وأقام لكم الحجج على ألسنة الرسل وأمهلكم.

قوله: ﴿ألا تنفقوا﴾ توبيخ لهم على ترك الإنفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الإيمان. قوله: ﴿في سبيل الله﴾ أي طاعته جهاداً أو غيره. قوله: ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ الجملة حالية، والمعنى أي شيء يمنعكم من الانفاق في سبيل الله، والحال أن ميراث السماوات والأرض له، فالدنيا لها ابتداء وانتهاء، وإنما جعلكم خلفاء لكم أجر الانفاق، وعليكم وزر الامساك.

قوله: ﴿لا يستوي منكم﴾ الخ، أي لأن الذين أنفقوا من قبل، وقاتلوا من قبل، فعلوا ذلك لعزة الإسلام وعزة أهله، فنصروا الدين بأنفسهم وأموالهم، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» بخلاف من أنفق وقاتل بعد الفتح فسعيه وإن كان مشكوراً لا يصل لتلك المزية. قوله: ﴿من أنفق﴾ هو فاعل ﴿لا يستوي﴾ والاستواء لا يكون إلا بين شيئين، فحذف المقابل لوضوحه، والتقدير: ومن أنفق بعد الفتح وهو صادق بكل من آمن وأنفق من بعد الفتح الى يوم القيامة. قوله: [لمكة] وقيل هو صلح الحديبية. قوله: ﴿وكلا﴾ بالنصب مفعول مقدم، وقرأ ابن عامر بالرفع مبتدأ، والجملة بعده خبر، والعائد محذوف أي وعده الله، والمعنى أن كلا ممن آمن وأنفق قبل الفتح، ومن آمن وأنفق بعده ومات على الإيمان، وعده الله الحسنى أي الجنة، وإن كانت درجات الأوائل أعلى من درجات الأواخر.

قوله: ﴿من ذا الذي﴾ يحتمل أن ﴿من﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿ذا﴾ خبره، و﴿الذي﴾ بدل منه، ويحتمل أن ﴿من ذا﴾ مبتدأ، والموصول خبره. قوله: ﴿يقرض الله﴾ الخ صلة الموصول على كلا الاحتمالين، وهذا تنزل منه سبحانه وتعالى، حيث ملك عباده الأموال من عنده، وسمى رجوعها إليه قرضاً، مع أن العبد وما ملكت يداه لسيده، قال صاحب الحكم: ومن مزيد فضله عليك، أن خلق ونسب إليك. قوله: [في سبيل الله] أي طاعته جهاداً أو غيره.

في سبيل الله ﴿قَرْضاً حَسَناً﴾: بأنْ ينفقه لله ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾: وفي قراءة فيضعّفه بالتشديد ﴿لَهُ﴾: من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾: مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ١١: مقترن به رضاً وإقبال اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أمامهم ﴿وَ﴾: يكون ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾: ويقال لهم ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾: أي ادخلوها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٢ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾: أبصرونا وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ﴾: نأخذ القبس

قوله: ﴿قرضاً حسناً﴾ قال بعض العلماء: القرض لا يكون حسناً، حتى يجمع أوصافاً عشرة وهي: أن يكون المال من الحلال، وأن يكون من أجود المال، وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه، وأن تصرف صدقتك الى الأحوج إليها، وأن تكتم الصدقة بقدر ما أمكنك، وأن لا تتبعها بالمن والأذى، وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس، وأن تستحقر ما تعطي وإن كان كثيراً، وأن يكون من أحب أموالك إليك، وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير، فهذه عشر خصال، إذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضاً حسناً. قوله: [بأن ينفقه لله] أي خالصاً لوجهه، لا رياء ولا سمعة. قوله: [وفي قراءة فيضعفه] الخ أي وعلى كل من القراءتين، فالفعل إما مرفوع عطفاً على يقرض، أو مستأنفاً، أو منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: [وله مع المضاعفة] ﴿أجر كريم﴾ ظاهر المفسر أن العبد إذا عمل الحسنة، تضاعف له الى سبعمائة، ويعطى فوق ذلك أجراً كريماً، لا يعلم قدره إلا الله تعالى، ولكن الذي يظهر أن الأجر الكريم يحصل له في نظير العمل المضاعف، وذلك أن المضاعفة تكتب للعبد في الدنيا، وتوزن له يوم القيامة، ويستوفي أجرها الكريم في الجنة. قوله: [رضاً وإقبال] فاعل [مقترن] والمعنى أنه يعطى ثواب أعماله مع الرضا والإقبال عليه من الله تعالى كما قال ﴿ورضوان من الله أكبر﴾. قوله: [اذكر] ﴿يوم ترى﴾ أشار بذلك الى أن ﴿يوم﴾ ظرف لمحذوف وهو أحد أوجه، أو ظرف لأجر كريم، والمعنى لهم أجر كريم في ذلك اليوم، أو ظرف ليسعى، والمعنى يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم.

قوله: ﴿يسعى نورهم﴾ الخ الجملة حالية لأن الرؤية بصرية، وهذا إذا لم يجعل عاملاً في يوم. قوله: ﴿بين أيديهم﴾ أي على الصراط. قوله: ﴿و﴾ [يكون] ﴿بأيمانهم﴾ قدر [يكون] دفعاً لما قد يتوهم من تسليط يسعى عليه أنه يكون النور في جهاته بعيداً عنه، والمراد بالأيمان جميع الجهات، فعبر بالبعض عن الكل، قال عبد الله بن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه، فيطفأ مرة ويتقد أخرى، وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: «من المؤمنين من يضيء نوره الى عدن وصنعاء ودون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلى موضع قدميه». قوله: [ويقال لهم] أي تقول الملائكة الذين يتلقونهم ﴿بشراكم اليوم﴾ أي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم الى غير نهاية. قوله: [أي أدخلوها] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿جنات﴾ خبر ﴿بشراكم﴾ على حذف مضاف. قوله: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ أي الجنة وما فيها من النعيم المقيم.

قوله: ﴿يوم يقول المنافقون﴾ بدل من ﴿يوم ترى﴾. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، ثم يحتمل أن القراءة الأولى بمعنى هذه، لأنه يقال: نظره بمعنى انتظره، وذلك لأنه يسرع بالمؤمنين الخالصين الى الجنة على نجب، فيقول المنافقون: انتظرونا لأنا مشاة لا نستطيع لحوقكم، ويحتمل أن يكون من النظر وهو الأبصار كما قال المفسر، وذلك لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان. قوله: [أمهلونا] أي تمهلوا لنا لندرككم. قوله:

والإضاءة ﴿مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ﴾: لهم استهزاءً بهم ﴿ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُوراً﴾: فرجعوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ﴾: وبين المؤمنين ﴿بِسُوْرٍ﴾: قيل هو سور الأعراف ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾: من جهة المؤمنين ﴿وَظَاهِرُهُ﴾: من جهة المنافقين ﴿مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: على الطاعة ﴿قَالُوا بَلَى وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾: الأطماع ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: الموت ﴿وَغَرَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ١٤﴾: الشيطان ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾: بالياء والتاء ﴿مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾: أولى بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٥﴾ هي ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: يحن ﴿لِلَّذِينَ

﴿ارجعوا وراءكم﴾ أي إلى الموقف أو الدنيا، أو المعنى: ارجعوا خائبين لا سبيل لكم إلى نورنا، وهذا استهزاء بهم، وذلك لأنهم لا يستطيعون الرجوع الى الموقف ولا إلى الدنيا.

قوله: ﴿فضرب بينهم بسور﴾ الفعل مبني للمفعول، وبسور نائب فاعل والباء زائدة. قوله: [قيل هو سور الأعراف] وقيل: حائط يضرب بين الجنة والنار موصوف بما ذكر، وقيل هو كناية عن حجبهم عن النور الذي يعطاه المؤمنون. قوله: ﴿له باب﴾ الجملة صفة لسور، وقوله: ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ صفة ثانية له أيضاً، ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة لباب، وهو أولى لقربه. قوله: ﴿ينادونهم﴾ جملة مستأنفة، والمعنى ينادي المنافقون المؤمنين: ألم نكن معكم نصلي كما تصلون، ونطيع كما تطيعون؟ قوله: ﴿قالوا بلى﴾ أي كنتم معنا في الظاهر. قوله: ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ أي أهلكتموها. قوله: [بالنفاق] أي والمعاصي والشهوات. قوله: [الدوائر] أي الحوادث.

قوله: ﴿حتى جاء أمر الله﴾ قرىء في السبع بإسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر؛ وتسهيل الثانية مع تحقيق الأولى، وبتحقيقهما، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: ﴿الغرور﴾ بفتح الغين هو الشيطان كما قال المفسر، وقرىء بالضم شذوذاً، وهو مصدر بمعنى الاغترار بالباطل. قوله: ﴿فاليوم﴾ الظرف متعلق بيؤخذ. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما سبعيتان. قوله: ﴿ولا من الذين كفروا﴾ عطف الكافرين على المنافقين لتغايرهم في الظاهر. قوله: ﴿هي مولاكم﴾ يجوز أن يكون مصدراً، أي ولايتكم أي ذات ولايتكم، وأن يكون مكاناً، أي مكان ولايتكم، وأن يكون بمعنى أولى، أي هي أولى بكم، وهو الذي اقتصر عليه المفسر، ويصح أن يكون بمعنى ناصركم، أي لا ناصر لكم إلا النار؛ وهو تهكم بهم.

قوله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾ الخ العامة على سكون الهمزة وكسر النون، مضارع أنى يأني، كرمى يرمي، مجزوم بحذف حرف العلة، والمعنى: ألم يأن أوان الخشوع والخضوع لقلوب الذين آمنوا؟ وحينئذ فالذي ينبغي لهم الأقبال على شأنهم وتركهم ما لا يعنيهم، وقرىء شذوذاً بكسر الهمزة وسكون النون مضارع آن كباع، فلما جزم سكن، وحذفت عينه لالتقاء الساكنين، إذا علمت ذلك، فقول المفسر يحن حل معنى لا حل إعراب، وإلا فهو يناسب القراءة

---

* أسباب نزول الآية ١٦: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن أبي رواد: أن أصحاب النبي ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال: كان أصحاب النبي ﷺ قد أخذوا في شيء من المزاح، فأنزل الله ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الآية.

وأخرج عن السدي عن القاسم قال: مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ ثم ملوا ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الآية. وأخرج ابن المبارك في الزهد: أنبأنا سفيان عن الأعمش قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه، فنزلت ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم﴾ الآية.

آمَنُوا﴾: نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللهِ وَمَا نَزَّلَ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾: معطوف على تخشع ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾: هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾: الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: لم تلن لذكر الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ١٦ ﴿ٱعْلَمُوا﴾: خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ ٱللهَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم بردها إلى الخشوع ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَاتِ﴾: الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ١٧ ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾: من التصدق أدغمت التاء في الصاد أي الذين تصدقوا ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ﴾: اللاتي تصدقن وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق الإيمان ﴿وَأَقْرَضُوا ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾: راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة أل لأنه فيها حل محل الفعل وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له ﴿يُضَاعَفُ﴾: وفي قراءة يضعف بالتشديد أي قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ١٨ ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ

الشاذة لأنه من حان يحين كباع يبيع، فهو مجزوم بالسكون، ومعنى حان قرب وقته. قوله: [لما أكثروا المزاح] أي بسبب لين العيش الذي أصابوه في المدينة، وذلك لأنهم لما قدموا المدينة، أصابوا من لين العيش ورفاهيته، ففتروا عن بعض ما كانوا عليه، فعوتبوا على ذلك، وهذا محمول على فرقة قليلة فرحوا بمظاهر الدنيا، فحصل منهم المزاح والهزل فعوتبوا عليه، وأما غالبهم كأبي بكر وأضرابه فمقامهم يجل عن ذلك.

قوله: ﴿أن تخشع قلوبهم﴾ ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل بأن، أي ألم يقرب خشوع قلوبهم. قوله: [بالتخفيف] أي وضمير ﴿نزل﴾ عائد على القرآن، وقوله: [والتشديد] أي والضمير عائد على الله تعالى، والعائد محذوف تقديره نزله، والقراءتان سبعيتان، وقوله: ﴿من الحق﴾ بيان لما. قوله: [معطوف على تخشع] أي ﴿ولا﴾ نافية، ويصح أن تكون ﴿لا﴾ ناهية، فيكون انتقالاً إلى نهيهم عن التشبه بمن تقدمهم، فإن الدوام على المزاح ربما أدى لذلك. قوله: ﴿الكتاب﴾ أل فيه للجنس الصادق بالتوراة والانجيل. قوله: ﴿فطال عليهم الأمد﴾ قرأ العامة بتخفيف دال ﴿الأمد﴾ ومعناه الزمن، وقرأ غيرهم بتشديدها، وهو الزمن الطويل. قوله: [لم تلن لذكر الله] أي لم تخضع ولم تذل.

قوله: ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أي خارجون عن طاعة الله وطاعة نبيهم، والقليل متمسك بشرع نبيه، وهذا الاخبار عنهم قبل ظهوره ﷺ، وأما بعد ظهوره، فكل من لم يؤمن به فهو فاسق خارج عن طاعة الله تعالى. قوله: [خطاب للمؤمنين المذكورين] أي الذين عوتبوا في شأن المزاح، كأن الله تعالى يقول لهم: يا عبادي لا تقنطوا من رحمتي، فإن شأني إحياء الأرض الميتة بالنبات، فكذلك إذا حصل منكم الانابة والرجوع، أحييت قلوبكم بالذكر والفكر، فأنبتت العلوم والمعارف. قوله: [بهذا] أي كونه يحيي الأرض بعد موتها، وقوله: [وغيره] أي من الأمور العجيبة الدالة على باهر قدرته تعالى. قوله: [أدغمت التاء في الصاد] أي بعد قلبها صاداً. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [راجع إلى الذكور والأناث] أي فهو معطوف على مجموع الفعلين لا على الأول فقط، لما يلزم عليه من العطف على الصلة قبل تمامها. قوله: [في صلة أل] الجملة نعت للاسم، أي الاسم الكائن [في صلة أل] وقوله: [فيها] متعلق بحل، وهذا من قبيل قول ابن مالك: واعطف على اسم شبه فعل فعلاً الخ. قوله: [وذكر القرض] الخ جواب عما يقال: إن قوله: ﴿المصدقين﴾ على قراءة التشديد يغني عنه، لأن المراد بالقرض الصدقة. فأجاب: بأنه ذكره توطئة لوصفه بالحسن، فقوله: [تقييد له] أي للتصدق بوصف القرض وهو الحسن. قوله: ﴿يضاعف لهم﴾ أي يكتب لهم في

﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾: المبالغون في التصديق ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الدالة على وحدانيتنا ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٩﴾: النار ﴿ٱعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾: تزيين ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ﴾: أي الاشتغال فيها وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾: أي هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿غَيْثٍ﴾: مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾: الزراع ﴿نَبَاتُهُ﴾: الناشىء عنه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾: فتاتاً يضمحل

صحائفهم الحسنة بعشرة إلى سبعمائة إلى غير ذلك. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿ولهم أجر كريم﴾ أي في نظير عملهم المضاعف.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ مبتدأ أول، و﴿أولئك﴾ مبتدأ ثان، و﴿هم﴾ إمّا ضمير فصل أو مبتدأ ثالث، و﴿الصديقون﴾ خبر الثالث، هو وخبره خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول. قوله: ﴿أولئك هم الصديقون﴾ أي الموصوفون بالإيمان بالله ورسله، والمراد الإيمان الكامل، وإلا فمجرد الإيمان لا يسمى الشخص به صدّيقاً، لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة. قوله: ﴿والشهداء﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على ما قبله، فالوقف تام على قوله: ﴿والشهداء﴾ ويكون أخبر عن الذين آمنوا، بأنهم صديقون شهداء، وقوله: ﴿عند ربهم﴾ ظرف متعلق بقوله بعد: ﴿لهم أجرهم﴾ ويحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره إما الظرف بعده أو جملة ﴿لهم أجرهم﴾ قوله: [النار] أي فمراده بالجحيم دار العذاب لا خصوص الطبقة المسماة بالجحيم.

قوله: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب﴾ الخ، لما ذكر الآخرة وأحوال الخلق فيها، شرع يزهدهم في الدنيا، لأنها قليلة النفع سريعة الزوال. قوله: ﴿لعب﴾ أي يتعب الناس فيها أنفسهم جداً، كإتعاب الصبيان أنفسهم في اللعب من غير فائدة. قوله: ﴿ولهو﴾ أي شغل عن الآخرة. قوله: ﴿وزينة﴾ أي ما يتزين به من اللباس والحلي ونحوهما. قوله: ﴿وتفاخر بينكم﴾ أي مفاخرة حاصلة فيما بينكم، والعامة على تنوين تفاخر، وقرىء شذوذاً بإضافته إلى الظرف بعده. قوله: [أي الاشتغال فيها] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أنما الحياة الدنيا﴾ مبتدأ على حذف مضاف، والتقدير إنما الاشتغال بالحياة الدنيا لعب الخ، فالشغل بها دائر بين هذه الأمور الخمسة، قال علي كرم الله وجهه لعمار بن ياسر: لا تحزن على الدنيا، فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء، وهو يستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة، وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة؛ وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال، وأما المنكوح فهو النساء وهن مبال في مبال.

قوله: ﴿كمثل غيث﴾ يحتمل أن يكون خبراً سادساً لأن، ويحتمل أن يكون خبر المحذوف وعليه اقتصر المفسر، والمثل بمعنى الصفة، والمعنى صفتها كصفة غيث الخ. قوله: [مطر] أي حصل بعد جدب ويأس. قوله: [الزراع] إنما سموا كفاراً؛ لأنهم يسترون الأرض بالزرع بسبب الحرث والبذر، كما سمي من ستر الإيمان بالطغيان والجحد كافراً؛ ويصح أن يبقى الكفار على حقيقته، وذلك لأن الكفار يفتخرون ويعجبون في السراء، ويسخرون في الضراء، فإذا كانوا زراعاً؛ افتخروا بالزرع إذا ظهر، وسخطوا إذا ضاع، فصفة الدنيا كصفة كفار زراع، تعبوا في الأرض وحرثوها وبذروها، فظهر زرعها ففرحوا به فرح بطر وخيلاء، ثم يجف بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً، وعبارة المفسر محتملة للمعنيين، لأن قوله: [الزراع] يحتمل أن يكون تفسيراً للكفار، أو صفة لهم. قوله: [ييبس] تفسير البهيج، والحامل له على ذلك تفريع قوله: ﴿مصفراً﴾ عليه، وإلا فيهيج معناه في اللغة يطول جداً.

بالرياح ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لمن آثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾: لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا﴾: ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ﴾ ٢٠ ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لو وصلت إحداهما بالأخرى والعرض السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٢١ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالجدب ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: كالمرض وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: يعني اللوح المحفوظ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: نخلقها ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٢٢ ﴿لِكَيْلَا﴾: كي ناصبة للفعل بمعنى أن أي أخبر تعالى بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا

قوله: ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ لما ذكر أحوال الدنيا الزائلة، ذكر ما يكون عقب زوالها، وقسمه إلى قسمين: عذاب شديد، ومغفرة ورضوان، وفي الآية إشارة عظيمة حيث قابل العذاب بشيئين: المغفرة والرضوان، فهو من باب: لن يغلب عسر يسرين. قوله: [ما التمتع فيها] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وما الحياة الدنيا﴾ مبتدأ على حذف مضاف. قوله: ﴿إلا متاع الغرور﴾ هو بالضم ما اغتر به الشخص من متاع الدنيا. قوله: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ أي سارعوا مسارعة المتسابقين إلى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب، وإلى ما يوجب الجنة وهو فعل الطاعات.

قوله: ﴿كعرض السماء والأرض﴾ أي أن السماوات السبع والأرضين السبع لو جعلت صفائح، وألزق بعضها إلى بعض؛ لكان عرض الجنة في عرض جميعها، قال ابن عباس: يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة، وقيل: إن ذلك تمثيل للعباد بما يعقلونه ويعرفونه، وأكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السماوات والأرض، فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس، روي أن جماعة من اليهود، سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا له: إذا كانت الجنة عرضها ذلك، فأين النار؟ فقال لهم: أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: إن مثلها في التوراة. قوله: [والعرض السعة] جواب عما يقال: إنه ذكر العرض ولم يذكر الطول. فأجاب المفسر بأنه لم يرد بالعرض ما قابل الطول، بل أراد به السعة. وأجيب أيضاً: بأنه ترك ذكر الطول تعظيماً لشأنها، لأنه إذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم، لأن العرض أقل من الطول.

قوله: ﴿ذلك فضل الله﴾ أي الموعود به من المغفرة والجنة. قوله: ﴿من مصيبة﴾ ﴿من﴾ زائدة في فاعل ﴿أصاب﴾ وعهد زيادتها حيث وقعت في جملة منفية، ومجرورها نكرة. قوله: ﴿في الأرض﴾ يصح أن يكون متعلقاً بأصاب، أو بمحذوف صفة لمصيبة، أو بنفس مصيبة. قوله: [بالجدب] أي وغيره كالعاهة والزلزلة. قوله: ﴿إلا في كتاب﴾ حال من ﴿مصيبة﴾ لتخصصها بالوصف. والمعنى إلا مكتوبة في كتاب. قوله: ﴿من قبل أن نبرأها﴾ الضمير عائد على المصيبة. قوله: [ويقال في النعمة كذلك] أي ما حصل للخلق نعمة في الأرض كالمطر؛ ولا في أنفسكم كالصحة والولد، إلا مكتوبة في اللوح المحفوظ، من قبل أن يخلقها الله، أشار المفسر بهذه العبارة، إلى أن في الآية حذف الواو مع ما عطفت، بدليل التعليل الآتي في قوله: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ ويصح أن يراد بالمصيبة جميع الحوادث من خير وشر، وعلى ما مشى عليه المفسر، من أن المراد بالمصيبة الشر، فخصها بالذكر لأنها أهم على البشر.

قوله: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي سهل لا مشقة فيه ولا تعب، بل هو بقول كن. قوله: [كي ناصبة للفعل] أي بنفسها لدخول اللام عليها، ولذا قال بمعنى أن. قوله: [أي أخبر تعالى] أشار بذلك إلى أن اللام حرف جر متعلقة بمحذوف. قوله: ﴿تأسوا﴾ مضارع منصوب بحذف النون، والواو فاعل، وأصله تأسيون تحركت الياء وانفتح ما قبلها،

فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾: فرح بطر بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَآ آتَاكُمْ﴾: بالمد أعطاكم وبالقصر جاءكم منه ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ ٢٣: به على الناس ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾: به لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾: ضمير فصل وفي قراءة بسقوطه ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾: عن غيره ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ ٢٤: لأوليائه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾: الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِٱلْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج القواطع ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾: بمعنى الكتب ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: العدل ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾: أخرجناه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: يقاتل به ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾: علم مشاهدة معطوف

قلبت ألفاً فصار تأساون، فالتقى ساكنان الألف والواو التي هي الفاعل؛ حذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار وزنه تفعون، ومصدره أسًى، وفعله أسى كجوى جوى، فقول بعض النحاة والتقدير لأجل عدم اساءتكم صوابه أساكم؛ لأن مصدره أسى لا إساءة. قوله: [تحزنوا] أي حزناً يوجب القنوط، وإلا فالحزن الطبيعي لا ينفك عنه الإنسان كالفرح الطبيعي. قوله: [بل فرح شكر على النعمة] أي فالمنهي عنه الحزن الموجب للجزع والقنوط، والفرح الموجب للبطر والأشر وعدم شكر النعمة، وأما الفرح والحزن الطبيعيان فلا محيص للشخص عنهما، ولكن يسلم أمره لله، ويرجع في جميع أموره لمالكه وسيده، فالمقصود من هذه الآية بيان أن الخير والشر بيد الله، مقدر كل منهما في الأزل يجب الرضا به. قوله: ﴿بما آتاكم﴾ أي لأنه مقدر لكم. قوله: [وبالقصر] هما قراءتان سبعيتان. قوله: [جاءكم منه] أي من الله. قوله: ﴿كل مختال﴾ أي معجب بنعم الله عليه. قوله: [بما أوتي] أي من النعم. قوله: ﴿فخور﴾ [به على الناس] أي كثير الفخر بما أعطيه من النعم على الناس.

قوله: ﴿الذين يبخلون﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: [لهم وعيد شديد] ويصح أن يكون خبر لمحذوف تقديره هم الذين يبخلون، أو بدل من قوله: ﴿كل مختال فخور﴾. قوله: [بما يجب عليهم] أي من المال، كزكاة وكفارة، ومن تعليم العلم ونشره، ومن بيان صفة النبي ﷺ التي هي في الكتب القديمة. قوله: ﴿ويأمرون الناس﴾ أي من يعرفونه. قوله: ﴿ومن يتول﴾ أي يعرض، و﴿من﴾ شرطية وجوابها محذوف تقديره فالوبال عليه. قوله: [وفي قراءة بسقوطه] أي وهي سبعية أيضاً، وهي تعين أنه ضمير فصل؛ إذ لو صح أن يجعل ضميراً منفصلاً لما حسن إسقاطه من غير دليل؛ لأنه عمدة. قوله: ﴿الغني﴾ أي المستغني عما سواه. قوله: ﴿الحميد﴾ [لأوليائه] أي المثني عليهم بالإحسان، المنعم عليهم بجزيل الإنعام.

قوله: ﴿لقد أرسلنا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد أرسلنا الخ. قوله: [الملائكة إلى الأنبياء] تبع في ذلك الزمخشري، ولم يسبقه إليه أحد، والحامل له على ذلك التفسير تصحيح المعية في قوله: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ لأن الكتب إنما تنزل مع الملائكة، والمناسب أن يفسر الرسل بالبشر، كما عليه الجمهور؛ لأنه لم ينزل بالكتب والأحكام على الرسل إلا جبريل فقط، وحينئذ فقوله: ﴿معهم﴾ ظرف متعلق بمحذوف حال منتظرة، والتقدير: وأنزلنا الكتاب حال كونه آيلاً وصائراً لأن يكون معهم إذا وصل إليهم، أو مع بمعنى إلى. قوله: [العدل] أي فليس المراد بالميزان حقيقته فقط بل ما يشمله وغيره، والمراد بالعدل التوسط في الأمور، فلا يحصل منهم تفريط ولا إفراط.

قوله: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ علة لإرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان. قوله: [أخرجناه من المعادن] هذا أحد قولين في تفسير الإنزال، والآخر إبقاؤه على حقيقته؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد، وروي من آلة الحدادين: السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة، وروي ومعه

على ليقوم الناس ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾: بأنْ ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾: حال من هاء ينصره أي غائباً عنهم في الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٢٥: لا حاجة له إلى النصرة لكنها تنفع من يأتي بها ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: يعني الكتب الأربعة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ٢٦ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾: هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: من قبل أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾: ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾: لكن فعلوها

المبرد والمسحاة، وروي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء: الحديد والنار والماء والملح». وعن ابن عباس أيضاً قال: أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم: الحجر الأسود، وعصا موسى والحديد اهـ والسندان بكسر السين وفتحها، والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى، والميقعة المبرد. قوله: ﴿فيه بأس شديد﴾ الجملة حالية من ﴿الحديد﴾ قوله: [يقاتل به] أي فمنه الترس ومنه السلاح ونحو ذلك.

قوله: ﴿ومنافع للناس﴾ أي فما من صنعة إلا والحديد له دخل في آلتها. قوله: [علم مشاهدة] أي للخلق، والمعنى ليظهر متعلق علمه لعباده، فاندفع ما يقال: إن هذا التعليل يوهم حدوث العلم مع أنه قديم. قوله: [معطوف على ليقوم] أي لكن المعطوف عليه علة للإرسال والإنزال، والمعطوف علة لأنزال الحديد، وفي الحقيقة قوله ليعلم علة للثلاثة. قوله: [بآلات الحرب] الخ، إنما خص النصر بذلك لكون المقام والسياق يقتضيه. قوله: [من هاء ينصره] أي الواقعة على الله تعالى. قوله: [غائباً عنهم] أي متحجباً بجلاله وعظمته. قوله: [ولا يبصرونه] أي في الدنيا، فإن رؤيته تعالى في الدنيا لم تثبت إلا لرسول الله ﷺ. قوله: [لا حاجة له إلى النصرة] أي وإنما هو سعادة لمن يحصل النصر على يديه، وشقاوة لمن لم يحصل. قوله: [لكنها تنفع من يأتي بها] أي فنفع التكاليف عائد على ذوات المكلفين، قال تعالى ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ الخ معطوف على قوله: ﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ وكرر القسم إظهاراً لمزيد الاعتناء والتعظيم، وخص هذين الرسولين بالذكر، لأن جميع الأنبياء من ذريتهما، وذلك لأن نوحاً هو الأب الثاني لجميع البشر، وإبراهيم أبو العرب والروم وبني إسرائيل. قوله: [يعني الكتب الأربعة] أشار بذلك إلى أن أل في الكتاب للجنس، وخص هذه الأربعة لأنها أصول الكتب. قوله: [والفرقان] في نسخة القرآن. قوله: ﴿فمنهم مهتد﴾ أي من الذرية، أو من المرسل إليهم. قوله: ﴿فاسقون﴾ أي كافرون بدليل مقابلته بالمهتد. قوله: ﴿ثم قفينا على آثارهم﴾ الضمير عائد على نوح وإبراهيم، ومن عاصرهما من الرسل، وليس عائداً على الذرية، فإن الرسل المقفى بهم من جملة الذرية، والمعنى: ثم أتبعنا رسولاً بعد رسول، حتى انتهينا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام. قوله: ﴿وقفينا بعيسى﴾ أي جعلناه تابعاً لهم ومتأخراً عنهم في الزمان، وخصه بالذكر للرد على اليهود المنكرين لنبوته ورسالته. قوله: ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه﴾ أي من الحواريين وغيرهم. قوله: ﴿رأفة ورحمة﴾ أي شدة لين وشفقة. قوله: ﴿ورهبانية﴾ يصح أن يكون بالنصب عطفاً على ﴿رأفة﴾ وجملة ﴿ابتدعوها﴾ صفة لرهبانية، وجعل إما بمعنى خلق أو صير، وذلك لأن الرأفة والرحمة أمر غريزي، لا تكسب للإنسان فيه، بخلاف الرهبانية فإنها من أفعال البدن، وللإنسان فيها تكسب، ويصح أن تكون منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر، فهو من باب الاشتغال. قوله: [هي رفض النساء] الخ، أي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس، والتقشف في المأكل والملبس والمشرب مع التقليل من ذلك، روي عن ابن عباس قال: كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم جماعة

﴿ٱبْتِغَاءَ رِضْوَانِ﴾: مرضاة ﴿ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ٢٧ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بعيسى ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ﴾: محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾:

مؤمنين، يقرأون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله، فقيل لملوكهم: لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم، أو دخلوا فيما نحن فيه، فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل، أو يتركون قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون منا إلا ذلك، دعونا نحن نكفيكم أنفسنا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا اسطوانة، ثم ارفعونا فيها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم، طائفة قالت: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول، ولا نرد عليكم، ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم، قال: ففعلوا ذلك، فمضى أولئك على منهاج عيسى، وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب، فجعل الرجل يقول: نكون في مكان فلان نتعبد فيه كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان؛ وهم على شركهم، لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله تعالى ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ أي ابتدعها الصالحون، فما رعوها حق رعايتها، يعني الآخرين الذين جاؤوا من بعدهم ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ يعني الذين ابتدعوها، ابتغاء رضوان الله ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ هم الذين جاؤوا من بعدهم، فلمّا بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب دير من ديره، فآمنوا به وصدقوه، فقال تعالى فيهم ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ الخ، انتهى. قوله: ﴿إلا﴾ [لكن] أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع وإلى هذا ذهب جماعة، وقيل: إن الاستثناء من عموم الأحوال، والمعنى ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء، إلا لابتغاء مرضاة الله، ويكون كتب بمعنى قضى. قوله: ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي ما قاموا بها حق القيام، بل غلوا في دينهم غير الحق، وقالوا بالتثليث، وكفروا بدين عيسى من قبل ظهور محمد. قوله: ﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ [به] بنبينا، وقوله: ﴿وكثير منهم﴾ أي من هؤلاء الذين ابتدعوها وضيعوها. قوله: ﴿فاسقون﴾ أي لم يؤمنوا بنبينا، بل داموا على الكفر، والقول بالتثليث، واقتدى بهم أمة من بعد أمة، إلى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فيمحوه، وما مشى عليه المفسر خلاف ما تفيده رواية ابن عباس المتقدمة، فإن مقتضاها حمل قوله: ﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ على من آمن بعيسى، وقوله: ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ على من غير وبدل قبل بعثة نبينا، وهم الذين لم يرعوها حق رعايتها فتدبر.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ، لما قدم أن أمة عيسى بعد رفعه إلى السماء افترقوا، فمنهم من تمسك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها، إلى أن ظهر محمد ﷺ، ومنهم من غير وبدل، شرع يبين المطلوب منهم بعد ظهوره ﷺ.

---

* أسباب نزول الآية ٢٨: وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أحداً فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين، فأنزل الله فيهم ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ الآيات فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: لما نزلت ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ الآية. فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لنا أجران ولكم أجر فاشتد ذلك على الصحابة فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ الآية، فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب.

نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بالنبيين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾: على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٢٨ ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾: أي أعلمكم بذلك ليعلم ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَلَّا﴾: مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والمعنى أنهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾: يعطيه ﴿مَن يَشَآءُ﴾: فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٢٩.

قوله: ﴿آمنوا﴾ [بعيسى] هذا أحد قولين للمفسر؛ ويشهد له سياق الكلام، والثاني أن الخطاب عام لكل من آمن بالرسل المتقدمين، فيشمل المؤمنين بعيسى وبمن قبله من الرسل. إن قلت: إن هذا ظاهر فيمن كانت ملتهم صحيحة، فنسخت بملة محمد ﷺ، أما فيمن نسخت ملته بملة عيسى كاليهود؛ فلا تظهر إثابتهم على التمسك بها. أجيب: بأن إثابتهم على تلك الملة المنسوخة من خصائص دخولهم في ملة الاسلام، ولذا كان الإسلام يصحح أنكحتهم الفاسدة. قوله: ﴿اتقوا الله﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿يؤتكم﴾ أي يثبكم على اتباعه. قوله: ﴿كفلين﴾ تثنية كفل، وهو في الأصل كساء يعقد على ظهر البعير، فيلقى مقدمه على الكاهل، ومؤخره على العجز، يحفظ الراكب ويمنعه من السقوط، والمراد هنا نصيبان عظيمان من الرحمة، يمنعان الشخص من العذاب، كما يمنع الكفل الراكب من السقوط، وهذان الكفلان لا يختصان من ذكر، بل ورد في الحديث: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك الذي أدى حق مواليه وحق الله، ورجل كانت عنده أمة يطؤها، فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران». قوله: [لإيمانكم بالنبيين] أي فاستحقاقهم الكفلين ظاهر، لأنهم آمنوا بعيسى، واستمروا على دينه إلى أن بعث نبينا عليه الصلاة والسلام فآمنوا به، فكفل لإيمانهم بعيسى، وكفل لإيمانهم بنبينا. قوله: ﴿ويجعل لكم نوراً﴾ قيل: هو القرآن، وقيل: هو الهدى والسبيل الواضح في الدين. قوله: ﴿ويغفر لكم﴾ أي ما سبق من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد ﷺ. قوله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ سبب نزولها: أنه لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب هذه الآية، وقوله تعالى ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ قالوا للمسلمين: أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابنا وكتابكم، ومن لم يؤمن منا بكتابكم، فله أجر كأجركم، فبأي شيء فضلتم علينا؟ فنزلت هذه الآية رداً عليهم. قوله: [أي أعلمكم بذلك] الخ أشار بذلك إلى أن لا زائدة، واللام متعلقة بمحذوف، والمعنى إن تتقوا وتؤمنوا برسله يؤتكم كفلين، ليعلم أهل الكتاب عدم قدرتهم على شيء من فضل الله، وأن الفضل بيد الله. قوله: [والمعنى أنهم] ﴿لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ أي لا يملكونه ولا يتصرفون فيه، بحيث يجعلونه لأنفسهم، ويمنعونه من غيرهم، ومن جملة فضل الله الكفلان والمغفرة والنور. قوله: [خلاف] بالرفع خبر لمحذوف، أي وعدم قدرتهم خلاف، أي مخالف لما في زعمهم. قوله: ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ معطوف على قوله: ﴿لا يقدرون﴾. قوله: ﴿يؤتيه من يشاء﴾ جملة مستأنفة أو خبر ثان.

* * *

---

* أسباب نزول الآية ٢٩: أخرج ابن جرير عن قتادة قال: بلغنا أنه لما نزلت ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ الآية. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ الآية، يعني بالفضل والنبوة.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
[٥٨] - سورة المجادلة

[مدنية وهي اثنتان وعشرون آية]

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ تراجعك أيها النبي ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها وكان قال لها أنتِ عليّ كظهر أمي وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك فأجابها بأنها حرمت عليه على ما هو المعهود عندهم من أن الظهار

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة المجادلة مدنية

وهي اثنتان وعشرون آية

هي في الأصل المحاورة في الكلام والمبالغة فيه بحق أو باطل، والمراد هنا المحاورة في الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله، فإن تلك المرأة أصابها من ألم الفراق، ما حملها على إكثار الكلام مع رسول الله، وترديد الكلام معه. قوله: [مدنية] أي كلها، وهو قول الجمهور، وقيل: مدنية إلا قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ نزلت بمكة، وقيل غير ذلك، وهذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد سوره، وأول عشرة الأخير باعتبار أجزائه، وليس فيها آية إلا فيها ذكر الجلالة، مرة أو مرتين أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون، ومن فوائدها أن تكتب حجاباً للقرينة ويجعل ما فيها من الجلالات سطراً وسطاً، كهيئة النقطة الحمراء التي تجعل وسط القصيد، ويكون حملها قبل نفخ الروح في الجنين، وبعد الولادة تنقل إليه. قوله: ﴿قد سمع الله﴾ الخ ﴿قد﴾ للتحقيق والمراد بسماع قولها إجابة مطلوبها، بأن أنزل حكم الظهار على ما يوافق مرادها. قوله: ﴿في زوجها﴾ أي شأنه. قوله: [وكان قال لها أنت علي كظهر أمي] شروع في سبب نزول هذه الآيات، وأجمل المفسر في القصة وحاصلها تفصيلاً: أنه روي أنها كانت حسنة الجسم، فدخل عليها زوجها مرة، فرآها ساجدة في الصلاة، فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها، فلما انصرفت من الصلاة طلب وقاعها فأبت، فغضب عليها وكان به لمم، فأصابه بعض لممه فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فقال: ما أظنك إلا

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكوا إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ وهو أوس بن الصامت.

موجبة فرقة مؤبدة وهي خولة بنت ثعلبة وهو أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ﴾: وحدتها وفاقتها وصبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾: تراجعكما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[١]:

قد حرمت علي، فقالت: والله ما ذكر طلاق، فأتت رسول الله ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس ابن الصامت تزوجني، وأنا شابة غنية ذات أهل ومال، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وتفرق أهلي، وكبر سني، ظاهر مني وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به؟ فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك ما ذكر الطلاق، وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي، فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، قد طالت له صحبتي، ونفضت له بطني، فقال رسول الله ﷺ: ألا ما أراك إلا قد حرمت عليه، ولم أومر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ: حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي، وإن لي صبية صغاراً، إن ضممتهم إلي جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا، وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول: اللهم أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي، فكان هذا أول ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر، فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداك يا رسول الله، فقالت عائشة: اقصري حديثك ومجادلتك، أما رأيت وجه رسول الله ﷺ؟ كان إذا نزل الوحي أخذه مثل السبات أي النوم، فلما قضي الوحي قال: ادعي لي زوجك، فدعته فتلا عليه رسول الله ﷺ ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ الآيات الى قوله: ﴿وللكافرين عذاب أليم﴾. وروى الشيخان عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته، وأنا في جانب البيت، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله﴾ الآيات، فقال ﷺ لزوجها: هل تستطيع العتق؟ فقال: لا والله، فقال: هل تستطيع الصوم؟ فقال: لا والله، إني إن أخطأني الأكل في اليوم مرة أو مرتين، كل بصري، وظننت أني أموت قال: فأطعم ستين مسكيناً، قال: ما أجد إلا أن تعينني منك بمعونة وصلة، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، فتصدق بها على ستين مسكيناً. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بها في زمن خلافته، وهو على حمار والناس حوله، فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك يا عمر، ثم قيل لك يا أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتقف لهذه العجوز هذا الموقف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار الى آخره، لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة، سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟ قوله: [عن ذلك] أي عن حكمه، هل هو فراق أو لا؟ قوله: [فأجابها بأنها حرمت عليه] أي وجوابه بالتحريم دال على استمرار الحرمة التي كانت في الجاهلية، لأنه لا ينطق عن الهوى. قوله: [وهي خولة بنت ثعلبة] أي ابن مالك الخزرجية. قوله: [وهو أوس بن الصامت] أي أخو عبادة بن الصامت. قوله: ﴿وتشتكي الى الله﴾ أي تتضرع الى الله. قوله: [وفاقتها] أي فقرها، وقوله: [وصبية] الجمع لما فوق الواحد لأنهما كانا ولدين.

قوله: [ضاعوا] أي من عدم تعهد الخدمة، وقوله: [جاعوا] أي من عدم النفقة لفقرها، ولعل نفقة الأولاد لم تكن إذ ذاك واجبة على أبيهم. قوله: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله. قوله: [تراجعكما] أي فالمحاورة المراجعة في الكلام. قوله: ﴿إن الله سميع بصير﴾ تعليل لما قبله.

عالم ﴿ٱلَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ﴾: أصله يتظهرون أدغمت التاء في الظاء وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة وفي أخرى كيقاتلون والموضع الثاني كذلك ﴿مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى﴾: بهمزة وياء وبلا ياء ﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ﴾: بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾: كذبا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٢]: للمظاهر بالكفارة ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾: أي فيه بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: أي إعتاقها عليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾: بالوطء ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٣] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾: أي الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾: عليه أي من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد لكل مسكين مد من غالب قوت البلد ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ

قوله: ﴿الذين يظهرون منكم﴾ شروع في بيان حكم الظهار، وهو الحرمة بالإجماع، ومن استحله فقد كفر، وحقيقة الظهار، تشبيه ظهر حلال بظهر محرم، فمن قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، فهو ظهار بإجماع الفقهاء، وقاس مالك وأبو حنيفة غير الأم من ذوات المحارم عليها، واختلف القول عن الشافعي، فروي عنه مثل مالك، وروي عنه: إن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها. قوله: [وفي قراءة بألف] الخ في كلامه التنبيه على ثلاث قراءات سبعيات. قوله: [الخفيفة] نعت للهاء، وأما الظاء فمشددة. قوله: ﴿ما هن أمهاتهم﴾ أي حقيقة. قوله: [وبلا ياء] فالقراءات سبعيات، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً وهما: تسهيل الهمزة وقلبها ياء ساكنة. قوله: ﴿منكراً﴾ أي فظيعاً من القول لا يعرف في الشرع. قوله: [بالكفارة] أي فالمغفرة سببها الكفارة، وفيه إشارة إلى أن الحدود جوابر.

قوله: ﴿والذين يظهرون من نسائهم﴾ تفصيل للحكم المترتب على الظهار، إثر بيان التوبيخ عليه. قوله: ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ أي لقولهم، فما مصدرية، والعود عند مالك بالعزم على الوطء، وعند الشافعي يحصل بإمساكها زمناً يمكنه مفارقتها فيه، وعند أبي حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها. قوله: [مقصود الظهار] الكلام إما على حذف مضاف أي ذي الظهار، أو المعنى المقصود بالظهار. قوله: ﴿فتحرير رقبة﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره بقوله: [عليه] والجملة خبر المبتدإ الذي هو الموصول. قوله: [بالوطء] هذا قول للشافعي قديم، وفي الجديد إنه الاستمتاع بما بين السرة والركبة، وعند مالك بالوطء ومقدماته.

قوله: ﴿ذلكم﴾ إشارة الى الحكم المذكور، وهو مبتدأ خبره ﴿توعظون به﴾ أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور. قوله: ﴿فمن لم يجد﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿فصيام﴾ مبتدأ ثان خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: [عليه] والجملة خبر الأول. قوله: ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ أي فإن أفطر فيهما ولو لعذر، انقطع التتابع ووجب استئنافهما. قوله: [عليه] أي على من لم يستطع، ومن لم يجد، وهو خبر عن كل من قوله: ﴿فصيام﴾ وقوله: ﴿فإطعام﴾. قوله: [حملاً للمطلق] أي الذي هو وجوب الإطعام، أطلق في الآية عن التقييد، بكونه من قبل أن يتماسا على المقيد الذي هو وجوب الصيام ووجوب الرقبة، قيد كلا بكونه من قبل أن يتماسا، والحمل معناه تقييد المطلق بالقيد الذي هو في المقيد. قوله: [لكل مسكين مد] ظاهره أنه مد النبي ﷺ وعليه الشافعي، وقال مالك: إنه مد هشام بن عبد الملك، وكان يزيد على مد النبي ﷺ ثلثاً تشديداً على المظاهر، بخلاف باقي الكفارات، فالمراد به مد النبي ﷺ، وقدر الجميع تقريباً عند الشافعي في زماننا ثلاثون قدحاً بالمصري، لكل مسكين نصف قدح، وعند مالك أربعون قدحاً، لكل مسكين ثلثا قدح فتدبر. قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها، وقوله: ﴿لتؤمنوا﴾

وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ﴾: أي الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾: بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٤: مؤلم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾: يخالفون ﴿ٱللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾: أذلوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: في مخالفتهم رسلهم ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: بالآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ٥: ذو إهانة ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ ٱللهُ وَنَسُوهُ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٦ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٧ ﴿أَلَمْ

الخ، أي تستمروا على الإيمان وتعملوا بشرائعه، وترفضوا ما كان عليه الجاهلية. قوله: ﴿وللكافرين﴾ أي المنكرين لتلك الأحكام.

قوله: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ هذه الآية نزلت في أهل مكة عام الأحزاب، حين أرادوا التحزب على رسول الله وأصحابه، وكان في السنة الرابعة، وقيل في الخامسة، والمقصود منها تسلية رسول الله ﷺ وبشارته، بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم، يكبتون ويذلون ويفرق جمعهم، فلا تخشوا بأسهم. قوله: [يخالفون] ﴿الله﴾ أي يعادونه ورسوله، فسمي المحادة مخالفة، لأن المحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك، وهو كناية عن المعاداة. قوله: ﴿كبتوا﴾ أي يكبتوا، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع، لأن هذه الآية نزلت قبل قدومهم. قوله: [أذلوا] وقيل معناه أهلكوا، وقيل أخذوا، وقيل عذبوا، وقيل لعنوا، وقيل أغيظوا، وكلها متقاربة في المعنى. قوله: [في مخالفتهم] أي بسببها. قوله: ﴿وقد أنزلنا﴾ الخ، الجملة حالية من الواو في ﴿كبتوا﴾.

قوله: ﴿يوم يبعثهم﴾ ظرف لمهين أو لعذاب، أو لمحذوف تقديره أذكر. قوله: ﴿جميعاً﴾ أي بحيث لا يبقى أحد غير مبعوث، أو المعنى مجتمعين في حالة واحدة. قوله: ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ أي من القبائح، إما ببيان صدورها منهم، أو بتصويرها بصورة قبيحة هائلة على رؤوس الأشهاد، تخجيلاً لهم وتشهيراً لحالهم. قوله: ﴿أحصاه الله﴾ أي لم يفته شيء، بل أحاط بجميع ما صدر من خلقه. قوله: ﴿ونسوه﴾ حال من مفعول أحصى، والمعنى: ذهلوا عنه لكثرته، أو تهاونهم به واعتقادهم أن لا حساب عليه.

قوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ استئناف مسوق لبيان أن علمه وسع كل شيء، ويكون تامة، و﴿من نجوى﴾ فاعلها بزيادة ﴿من﴾ و﴿نجوى﴾ مصدر معناه التحدث سراً، وإضافتها الى ثلاثة، من إضافة المصدر الى فاعله. قوله: ﴿إلا هو رابعهم﴾ الإستثناء في هذا وما بعده مفرغ واقع في موضع نصب على الحال، والمعنى ما يوجد شيء من هذه الأشياء، إلا في حال من هذه الأحوال، وخص الثلاثة والخمسة بالذكر، إما لأن الله وتر يحب الوتر، فالعدد المفرد أشرف من الزوج، أو لأن قوماً من المنافقين كانوا يتحلقون للتناجي، وكانوا بهذا العدد زيادة في الاختفاء، فنزلت الآية بصفة حالهم. قوله: [بعلمه] أي وسمعه وبصره، ومتعلق بهم قدرته وإرادته، ولأهل الله المقربين في سر المعية، مشاهدات وتجليات ومقامات، يذوقها من شرب من مشاربهم. قوله: ﴿ولا أدنى من ذلك﴾ أي من العدد المذكور، فالأدنى من الخمسة الأربعة، والأدنى من الثلاثة الاثنان، والواحد في خاصة نفسه. قوله: ﴿ولا أكثر﴾ بالجر في قراءة العامة، عطف على لفظ ﴿نجوى﴾ وقرىء شذوذاً بالرفع معطوف على محل ﴿نجوى﴾. قوله: ﴿أينما كانوا﴾ أي من الأماكن، فإن علمه تعالى بالأشياء لا يتفاوت بقرب الأمكنة ولا بعدها.

تر﴾: تنظر ﴿إلى ٱلَّذِينَ نُهُوا عَنِ ٱلنَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾: هم اليهود نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم أي تحدثهم سراً ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ﴾: أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾: وهو قولهم السام عليك أي الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾: هلا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: من التحية وإنه ليس بنبي إن كان نبياً ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾٨: هي ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٩ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَى﴾: بالإثم ونحوه ﴿مِنَ

قوله: ﴿ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى﴾ نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ، ثم عادوا لمثل فعلهم. قوله: ﴿ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ التعبير بالمضارع استحضاراً للصورة العجيبة، ويقال في قوله: ﴿ويتناجون﴾ مثله. قوله: ﴿والعدوان﴾ أي عداوة الرسول والمؤمنين. قوله: ﴿ومعصيت الرسول﴾ رسمت هنا وفيما يأتي بالتاء المجرورة، وإذا وقف عليها فبعض القراء يقفون بالهاء وبعضهم بالتاء، وأما في الوصل فاتفقوا على التاء. قوله: [ليوقعوا في قلوبهم الريبة] أي فيوهموهم أنهم قد بلغهم خبر إخوانهم الذين خرجوا في السرايا، وأنهم قتلوا أو ماتوا أو هزموا، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم.

قوله: ﴿حيوك﴾ أي خاطبوك بشيء لم يحيك به الله، أي لم يشرعه ولم يأذن فيه أن يقولوه لك. قوله: [وهو قولهم السام عليك] أي وكان يرد فيقول عليكم، في البخاري أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: عليكم السام، ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال عليه الصلاة والسلام: مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في، واختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة، فقال مالك: إن تحقق نطقهم بالسلام وجب الرد عليهم، وإلا فلا يجب، وعند الشافعي يجب الرد بأن يقول وعليك. قوله: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ أي فيما بينهم. قوله: [إن كان نبياً] مرتبط بقولهم ﴿لولا يعذبنا الله﴾ والمعنى: لو كان نبياً لعجل الله لنا العذاب بسبب قولنا.

قوله: ﴿حسبهم جهنم﴾ أي كافيهم في العذاب، وقوله: ﴿يصلونها﴾ حال، وأما إمهالهم في الدنيا فمن كراماته على ربه لكونه بعث رحمة. قوله: [هي] قدرها إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم﴾ يحتمل أن يكون الخطاب للمؤمنين الصادقين، قصد به الزجر والتنفير من فعل اليهود، ويحتمل أن الخطاب للمؤمنين ظاهراً وهم المنافقون. قوله: ﴿إنما النجوى﴾ [بالإثم ونحوه] أي كالغيبة والتكلم في أعراض المؤمنين سببها الشيطان، ليدخل بها الحزن على المؤمنين المتكلم في عرضهم، وليس بضاره في الواقع، وإنما الوبال على المتناجين بذلك، قال العارفون: من أسباب سوء الخاتمة عند الموت، الخوض في أعراض

---

* أسباب نزول الآية ٨: وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتنجاون بقتله أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾ الآية، وأخرج أحمد والبزار والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية ﴿وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ وفي الباب عن أنس وعائشة.

* أسباب نزول الآية ١٠: وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان المنافقون يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ الآية.

﴿الشَّيْطَانِ﴾ : بغروره ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ﴾ : هو ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : أي إرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ : توسعوا ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ : مجلس النبي ﷺ أو الذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: المجالس ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ : في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ :

المؤمنين، وتشمل الآية بعمومها ما روي عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه». وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه». فبين في الحديث غاية المنع، قال العلماء: ولا مفهوم لتناجي اثنين دون ثالث، بل المراد على ترك واحد، كان المتناجي اثنين أو أكثر. قوله: ﴿من الشيطان﴾ نسبت إليه لكونه المزين لها والحامل عليها.

قوله: ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه، أو بفتح الياء وضم الزاي من حزن، فهما قراءتان سبعيتان، والموصول على الأولى مفعول، وعلى الثانية فاعل. قوله: ﴿وليس﴾ [هو] أي الشيطان. قوله: ﴿إلا بإذن الله﴾ أي فيحصل منه الضرر لإرادة الله إياه، ففي الحقيقة الخير وضده من الله، وهذه الآية مخوفة لأهل الغيبة والنميمة من المؤمنين في كل زمن.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا﴾ الخ، لما نهى الله تعالى المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض والتنافر، وهو التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، أمرهم الآن بما يكون سبباً لزيادة المحبة والمودة. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم﴾ الخ، وسبب نزولها: أن رسول الله ﷺ كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس منهم يوماً وقد سبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ فسلموا عليه، فرد عليهم السلام، ثم سلموا على القوم، فردوا عليهم السلام، ثم سلموا على النبي ﷺ فرد عليهم، ثم سلموا على القوم، فردوا عليهم، ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا، وشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال لمن حوله من غير أهل بدر: قم يا فلان وأنت يا فلان، فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ الكراهة في وجوههم، فأنزل الله هذه الآية. وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وذلك أنه دخل المسجد، وقد أخذ القوم مجالسهم، وكان يريد القرب من رسول الله ﷺ للصمم الذي كان في أذنيه، فوسعوا له حتى قرب من رسول الله ﷺ، ثم ضايقه بعضهم، وجرى بينه وبينهم كلام، فنزلت. وعلى كل حال، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيتناول أي مجلس كان، سواء كان مجلس علم أو ذكر أو صلاة أو قتال أو غير ذلك، لما ورد: «لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا، ولا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة، ولكن ليقل: افسحوا» وقوله في الحديث «لا يقيمن أحدكم» الخ، استفيد منه أن القادم لا يقيم الجالس، وأما قيام الجالس من نفسه له، تواضعاً وأدباً، أو كبير المجلس يقيم أحداً من الجالسين لمصلحة، فلا بأس بذلك. قوله: [مجلس النبي] أي فإنهم كانوا يتضامنون فيه، حرصاً على القرب منه واستماع كلامه. قوله: [وفي قراءة المجالس] أي والجمع باعتبار أن لكل واحد مجلساً، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿يفسح الله لكم﴾ مجزوم في جواب الأمر الواقع جواباً للشرط. قوله: [في الجنة] أي والدنيا والقبر

---

* أسباب نزول الآية ١١: وأخرج أيضاً عنه قال: كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت يوم الجمعة وقد جاء ناس من أهل بدر وفي المكان ضيق فلم يفسح لهم فقاموا على أرجلهم فأقام ﷺ نفراً بعدتهم وأجلسهم مكانهم فكره أولئك النفر ذلك فنزلت.

قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَانْشُزُوا﴾: وفي قراءة بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾: بالطاعة في ذلك ﴿وَ﴾: يرفع ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾: في الجنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾: أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾: قبلها ﴿صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾: ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لمناجاتكم ﴿رَّحِيمٌ﴾: بكم يعني فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة ثم نسخ ذلك بقوله ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً

والقيامة. قوله: [وغيرها] أي كالجهاد وكل خير، وقيل: معنى انشزوا ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم، قيل: كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة إذا نودي لها، فنزلت هذه الآية، والمقصود العموم في كل ما يطلب فيه النهوض والإسراع، ففيه حث على التشمير عن ساعد الجد والاجتهاد في الطاعات وترك التكاسل. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وكلاهما لغتان فصيحتان، من بابي ضرب ونصر. قوله: [في ذلك] أي القيام إلى الصلاة ونحوها. قوله: ﴿والذين أوتوا العلم﴾ معطوف على ﴿الذين آمنوا﴾ عطف خاص على عام، لأن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين، لكن لما جمع العلماء بين العلم والعمل استحقوا رفع الدرجات والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا﴾ الخ، الحكمة في هذا الأمر تعظيم رسول الله ﷺ، وانتفاع الفقراء، والنهي عن الافراط في السؤال، والتمييز بين المخلص والمنافق، ومحب الدنيا ومحب الآخرة، واختلف في هذا الأمر، فقيل للندب، وقيل للوجوب، روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته بعشرة دراهم، وناجيت رسول الله ﷺ عشر مرات أتصدق في كل مرة بدرهم، وكان يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي آية المناجاة. وروي عنه أيضاً قال: لما نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ فقال لي النبي ﷺ ما ترى ديناراً؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: شعيرة، قال: إنك لزهيد، أي قليل المال، ففي هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب، وليس فيها ذم لغيره من الصحابة، وذلك لأنه لم يتسع الوقت ليعملوا بهذه الآية، ولو اتسع الوقت، لم يتخلفوا عن العمل بها، وعلى القول باتساعه، فلعل الأغنياء كانوا غائبين، والفقراء لم يكن بأيديهم شيء. قوله: [أردتم مناجاته] أشار بذلك إلى أن الماضي ليس على حقيقته أخذاً من قوله: ﴿فقدموا بين يدي نجواكم﴾.

قوله: ﴿ذلك خير لكم﴾ أي التقديم خير لما فيه من طاعة الله ورسوله. قوله: [يعني فلا عليكم] أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ تعليل للمحذوف ودليل عليه. قوله: [ثم نسخ ذلك] أي الأمر بتقديم الصدقة بعد أن استمر زمناً، قيل هو ساعة، وقيل يوم، وقيل عشرة أيام، واختلفوا في الناسخ للأمر، فقيل هو الآية بعده وعليه المفسر تبعاً للجمهور، وقيل هو آية الزكاة. قوله: [بقوله] ﴿أأشفقتم﴾ الخ مراده الآية بتمامها.

---

* أسباب نزول الآية ١٢ و ١٣: وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل ﴿إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم﴾ الآية، فلما نزلت صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك ﴿أأشفقتم﴾ الآية، وأخرج الترمذي وحسنه وغيره عن علي قال: لما نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ قال لي النبي ﷺ: ما ترى دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقونه، قال فكم؟ قلت: شعيرة، قال: إنك لزهيد فنزلت ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ الآية، فبي خفف الله عن هذه الأمة، قال الترمذي: حسن.

ونسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي خفتم من ﴿أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾: لفقر ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: الصدقة ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: رجع بكم عنها ﴿فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي دوموا على ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٣ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾: هم المنافقون ﴿قَوْماً﴾: هم اليهود ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾: أي المنافقون ﴿مِنْكُمْ﴾: من المؤمنين ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾: من اليهود بل هم مذبذبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾: أي قولهم إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤: أنهم كاذبون فيه ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٥: من المعاصي ﴿ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾: ستراً على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدُّوا﴾: بها المؤمنين ﴿عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ١٦: ذو إهانة ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه ﴿شَيْئاً﴾: من

قوله: [بتحقيق الهمزتين] الخ، أشار بذلك لأربع قراءات سبعيات، وبقي قراءة خامسة سبعية، وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف أو بدونه. قوله: [الفقر] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿أأشفقتم﴾ محذوف، والمعنى أخفتم من تقديم الصدقة الاحتياج؟.

قوله: ﴿فإذ لم تفعلوا﴾ يحتمل أن إذ باقية على بابها من المضي، والمعنى: إن تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه بإقامة الصلاة الخ، ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية. قوله: ﴿وتاب الله عليكم﴾ الجملة حالية أو مستأنفة معترضة بين الشرط وجوابه. قوله: [رجع بكم عنها] أي عن وجوبها، فنسخها تخفيفاً عليكم. قوله: [أي دوموا على ذلك] أي المذكور من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً﴾ الخ، المقصود من هذه الآية، التعجب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء، ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين. وسبب نزولها أن عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم اليوم رجل قلبه قلب جبار، وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل، وكان أزرق العين، فقال له النبي ﷺ: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل، وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت هذه الآية. قوله: ﴿ما هم منكم ولا منهم﴾ إخبار عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخلص، ولا من الكافرين الخلص، لا ينتسبون إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وهذه الجملة إما مستأنفة أو حال من فاعل ﴿تولوا﴾. قوله: [بل هم مذبذبون] أي مترددون بين الإيمان الخالص والكفر الخالص، لأن فيهم طرفاً من الإيمان بحسب ظاهرهم، وطرفاً من الكفر بحسب باطنهم.

قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يحلفون﴾ والمعنى: يحلفون كاذبين، والحال أنهم يعلمون ذلك، فيمينهم غموس لا عذر لهم فيها، وهذه اليمين توجب لصاحبها الغمس في النار، إن كان مؤمناً خالصاً، فما بالك إن كان كافراً؟ وفائدة الأخبار عنهم بذلك، بيان ذمهم عليه. قوله: ﴿أيمانهم جنة﴾ مفعولان لاتخذوا، والمعنى جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لأنفسهم وأموالهم، فلولا ذلك لقوتلوا وأخذ مالهم. قوله: ﴿فلهم عذاب مهين﴾ أي في الآخرة، والعذاب الأول في الدنيا أو القبر. قوله: [من عذابه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿شيئاً﴾ مفعول مطلق كما أشار له بقوله: [من الإغناء].

** أسباب نزول الآية ١٤: وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً﴾ الآية، قال بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل.

الإغناء ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١٧: اذكرْ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾: أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ١٨ ﴿اسْتَحْوَذَ﴾: استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: أتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ١٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾: يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ٢٠: المغلوبين ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾: في اللوح المحفوظ أو قضى ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾: بالحجة أو السيف ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٢١ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾: يصادقون ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا﴾: أي المحادون ﴿آبَاءَهُمْ﴾: أي المؤمنين ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم

قوله: ﴿كما يحلفون لكم﴾ أي في الدنيا. قوله: ﴿ويحسبون﴾ حال من فاعل ﴿يحلفون﴾ والمعنى يحلفون، والحال أنهم يظنون أن حلفهم في الآخرة ينفعهم وينجيهم من عذابها، كما نفعهم في الدنيا بدفع القتال عنهم. قوله: ﴿استحوذ﴾ هذا الفعل مما جاء على الأصل وخولف فيه القياس، إذ قياسه استحاذ بقلب الواو ألفاً، كاستعاذ واستقام.

قوله: ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ أي فلا يذكرونه بألسنتهم ولا بقلوبهم، وما يقع منهم من صورة الذكر باللسان فهو كذب.

قوله: ﴿هم الخاسرون﴾ أي لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم الدائم، وعرضوها للعذاب المقيم. قوله: ﴿أولئك في الأذلين﴾ أي مع الأذلين، أو معدودون في جملتهم. قوله: [المغلوبين] أي وهم الكفار والمنافقون.

قوله: ﴿كتب الله﴾ ضمنه معنى أقسم، ولذا يجاب بما يجاب به القسم وهو قوله: ﴿لأغلبن﴾ ويصح أن يبقى على ظاهره أو بمعنى قضى، وعليهما اقتصر المفسر، ويكون قوله: ﴿لأغلبن﴾ جواباً لقسم محذوف. قوله: [بالحجة أو السيف] أو مانعة خلو تجوز الجمع، فالرسول يغلب تارة بالسيف، وتارة بالبراهين والدلائل، وتارة بهما معاً. قوله: ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ أي إيماناً صحيحاً، فالمؤمن الموصوف بهذه الصفة، لا يمكن أن يصادق الكفار ويحبهم بقلبه، لأنه إن فعل ذلك، لم يكن صادقاً في إيمانه، بل يكون منافقاً كما قال الشاعر:

إذا وافى صديقك من تعادي ... فقد عاداك وانفصل الكلام

وأما البشاشة في وجوه الكفار ظاهراً لأجل الضرورات، فلا بأس بها لما في الحديث: «إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم». قوله: ﴿يوادون﴾ مفعول ثان لتجد إن كان بمعنى تعلم، وإن كان بمعنى تلقى فالجملة حال من ﴿قوماً﴾ أو صفة ثانية له، وقدم أولاً الآباء لأنهم تجب طاعتهم، ثم الأبناء لأنهم أعلق بالقلب، ثم الأخوان لأنهم

---

* أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كان الظل أن يتقلص، فقال: إنه سيأتيكم انسان فينظر إليكم بعيني شيطان فإذا جاءكم فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور فدعاه رسول الله ﷺ فقال له حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني آتك بهم فانطلق فدعاهم فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا فأنزل الله ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ٢٢: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله﴾ الآية. وأخرجه الطبراني والحاكم في المستدرك بلفظ: جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنهن، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبو بكر صكة فسقط، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: أفعلت يا أبا بكر؟ فقال: والله لو كان السيف قريباً مني لضربته به فنزلت ﴿لا تجد قوماً﴾ الآية.

على الإيمان كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ﴿أُولَٰئِكَ﴾: الذين لا يوادونهم ﴿كَتَبَ﴾: أثبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ﴾: بنور ﴿مِّنْهُ﴾: تعالى ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾: بثوابه ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾: يتبعون أمره ويجتنبون نهيه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ٢٢: الفائزون.

الناصرون للشخص، بمنزلة العضد من الذراع ثم العشيرة، لأن بها يستغاث وعليها يعتمد. قوله: [كما وقع لجماعة من الصحابة] روي عن عبد الله ابن مسعود في هذه الآية قالوا ﴿ولو كانوا آباءهم﴾ يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح أو أبناءهم يعني أبا بكر الصديق، دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال: يا رسول الله دعني أكن في الرغلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أو إخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، أو عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بني عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر. وروي أيضاً: أن عبد الله بن عبد الله بن أبي، هم بقتل أبيه، فمنعه رسول الله، ووقع لأبي بكر الصديق أنه صك أباه أبا قحافة، حيث سمعه يسب رسول الله ﷺ. قوله: ﴿بروح﴾ [بنور] وقيل الروح النصر، وقيل القرآن والحجج، وقيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيهم عند الموت فيطرد الفتانات عنهم. قوله: [رضي الله عنهم] أي عاملهم معاملة الراضي، بأن وفقهم للطاعات، وقبلها منهم، وأثابهم عليها. قوله: [الفائزون] أي بخير الدنيا والآخرة.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٥٩] سورة الحشر

[مدنية وهي أربع وعشرون آية]

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي نزّهه فاللام مزيدة وفي الإتيان بما تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الحشر مدنية

وهي أربع وعشرون آية

وتسمى سورة النضير. قوله: [مدنية] أي في قول الجميع، روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة الحشر، لم يبق شيء من الجنة والنار، والعرش والكرسي، والسماوات والأرض، والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة، إلا صلوا عليه واستغفروا له، فإن مات في يومه أو ليلته مات شهيداً». وروى الترمذي عن معقل بن يسار قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات من يومه مات شهيداً، ومن قرأها حين يمسي فكذلك».

قوله: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ الخ، قال المفسرون: نزلت في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ حين دخل المدينة في مبادىء الهجرة، صالحه بنو النضير على ألا يكونوا عليه ولا معه، فلما غزا بدراً وظهر على المشركين قالوا: هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا أحداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ونقضوا العهد، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود، فأتوا قريشاً فحالفوهم وعاقدوهم على أن يكونوا معهم على حرب رسول الله ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين، واجتمع مع كعب عند الكعبة، وأخذ بعضهم على بعض الميثاق، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة، فأخبر الله النبي بذلك، وأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف، فدخل عليه محمد بن مسلمة ومعه أربعة من الأوس، فقتلوه في حصنه غيلة، فألقى

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر وسورة الحشر نزلت في بني النضير. وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: كانت غزوة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة وهي السلاح فأنزل الله فيهم ﴿سبح الله ما في السماوات وما في الأرض﴾.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١): في ملكه وصنعه ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: هم بنو النضير من اليهود ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: مساكنهم بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: هو حشرهم إلى الشام وآخره أن جلاهم عمر في خلافته إلى خيبر ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾: أيها المؤمنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ﴾: خبر أنّ ﴿حُصُونُهُمْ﴾: فاعله به تمّ الخبر ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾: أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾: لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين

الله الرعب في قلوب بني النضير، وكان قتله في ربيع الأول من السنة الثالثة، وكانت غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة، وكانوا بقرية يقال لها زهرة، على ميلين من المدينة، فلما سار إليهم رسول الله، وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، فقالوا له: يا محمد درنا نبكي شجونا ثم ائتمر أمرك، فقال النبي ﷺ اخرجوا من المدينة، فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك، ثم تنادوا بالحرب، ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم، ألا يخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ؛ فأرسلوا إليه أن أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون، حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك، فيسمعون منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج ثلاثون حبراً منهم، حتى كانوا في براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كل يحب الموت قبله؟ ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون، أخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فيسمعون منك، فإن آمنوا بك آمنا، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأخبره الله بذلك، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغد، غزا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأيسوا من نصر المنافقين الذين عاهدوهم، فقالوا لرسول الله ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به، فقبلوا ذلك، فصالحهم على الجلاء، وعلى أن كل أهل بيت يحمل على بعير ما شاؤوا من متاعهم ما عدا السلاح، ففعلوا ذلك، وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وإريحاء، إلا أهل بيتين من آل الحقيق وآل حيي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة بالحيرة، ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان، سفيان بن عمير وسعد بن وهب فأحرزا ما لهما. قوله: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجملة حال من لفظ الجلالة.

قوله: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا﴾ بيان لبعض آثار قدرته تعالى الباهرة وعزته الظاهرة. قوله: ﴿من أهل الكتاب﴾ حال من ﴿الذين كفروا﴾. قوله: [هم بنو النضير من اليهود] أي وهم من ذرية هارون عليه الصلاة والسلام، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل ينتظرون بعثة النبي ﷺ ليدخلوا في دينه. قوله: [بالمدينة] أي أرضها بالقرب منها، وذلك لأنهم كانوا بقرية بينها وبين المدينة ميلان. قوله: ﴿لأول الحشر﴾ متعلق بأخرج، وإضافة أول الحشر من إضافة الصفة للموصوف، أي للحشر الأول، واعلم أن الحشر أربع: فالأول إجلاء بني النضير، ثم بعده إجلاء أهل خيبر، ثم في آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس، ثم في يوم القيامة حشر جميع الخلق. قوله: [إلى خيبر] صوابه من خيبر كما صرح به غيره، وذلك أن عمر أجلى اليهود من خيبر وجميع جزيرة العرب، الى أذرعات وأريحاء من الشام.

قوله: ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ أي لما كان لهم من القوة وشدة البأس وكثرة أعوانهم من قريظة وقريش، وبكم من الضعف وقلة العدد. قوله: [به تم الخبر] أي بالفاعل تم خبر ﴿أن﴾ ومحصله أن الضمير اسم ﴿أن﴾ و﴿مانعتهم﴾ خبرها، و﴿حصونهم﴾ فاعله، ويصح أن ﴿مانعتهم﴾ خبر مقدم، و﴿حصونهم﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ﴿أن﴾. قوله: [أمره وعذابه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، وبه أندفع ما أوهمه ظاهر الآية، من أن الله تعالى

﴿وَقَذَفَ﴾: ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: بسكون العين وضمها الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ﴾: بالتشديد والتخفيف من أخرب ﴿بُيُوتَهُم﴾: لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ[٢] وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾: قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: بالقتل والسبي كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ[٣] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾: خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤]: له ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾: يا مسلمون ﴿مِنْ لِينَةٍ﴾: نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي خيركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾: بالإذن في القطع

يوصف بالإتيان، فأفاد بأن الآية من قبيل المتشابه، وأوله بتقدير مضاف نظير ﴿وجاء ربك﴾. قوله: [لم يخطر ببالهم] تفسير لقوله: ﴿لم يحتسبوا﴾. قوله: [من جهة المؤمنين] إضافة جهة لما بعده بيانية. والمعنى: جاءهم عذاب الله من جهة لا تخطر ببالهم وهم المؤمنون، لأنهم مستضعفون بالنسبة لهم، فلا يخطر ببالهم أنهم يقدرون عليهم.

قوله: ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ أي أنزله فيها بشدة. قوله: [بسكون العين وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بقتل سيدهم] أي وكان قتله في ربيع الأول من السنة الثالثة كما تقدم. قوله: ﴿يخربون بيوتهم﴾ مستأنف أتى به للإخبار عنهم بذلك. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما سبعيتان. قوله: [من أخرب] راجع للتخفيف، وأما التشديد فهو من خرّب. قوله: [من خشب] بفتحتين وضمتين وضم وسكون جمع خشبة. قوله: ﴿بأيديهم﴾ أي من داخل الحصون، وقوله: ﴿وأيدي المؤمنين﴾ أي من خارجها ليدخلوها، وعطفها على أيديهم من حيث إنهم تسبب في ذلك، لأن بني النضير لما نقضوا العهد، كأنهم سلطوا المؤمنين على تخريب دورهم. قوله: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ أي اتعظوا بحالهم ولا تغتروا ولا تعتمدوا على غير الله، فالاعتبار النظر في حقائق الأشياء، ليستدل بها على شيء آخر.

قوله: ﴿ولولا أن كتب الله﴾ الخ، ﴿أن﴾ مصدرية، وهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً، والتقدير لولا الكتب موجود. قوله: ﴿الجلاء﴾ بالفتح والمد، يطلق على الخروج من الوطن والإخراج منه، وهو المراد هنا، ويطلق على الأمر الجلي الواضح. قوله: ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ كلام مستأنف مبين لعاقبتهم كأنه قال: إن نجوا في الدنيا من القتل، لم ينجوا في الآخرة من العذاب الدائم، فهو ثابت لهم على كل حال. قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور من العذابين بسبب أنهم الخ. قوله: ﴿ومن يشاق الله﴾ ﴿من﴾ شرطية، وقوله: ﴿فإن الله﴾ الخ إما نفس الجزاء وحذف منه العائد، وقد قدره المفسر بقوله: [له] أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه، وعلى كل فالشرط وجوابه تتميم لما قبله، وتقدير لمضمونه وتحقيق لسببه.

قوله: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ الخ ﴿ما﴾ شرطية و﴿من لينة﴾ بيان لما، و﴿بإذن الله﴾ خبر لمبتدإ محذوف أي فقطعها، والجملة جواب الشرط، واللينة قيل هي النخلة مطلقاً، وقيل هي النخلة الكريمة، وقيل غير ذلك، روي أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فخرج أعداء الله عند ذلك فقالوا:

---

* أسباب نزول الآية ٥: وأخرج البخاري وغيره عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع وادي البويرة فأنزل الله ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها﴾ الآية، وأخرج أبو يعلى بسند ضعيف عن جابر قال: رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل علينا إثم فيما قطعناه أو تركناه؟ فأنزل الله ﴿وما قطعتم من لينة أو تركتموها﴾ الآية، وأخرج ابن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير تحصنوا منه في الحصون فأمر بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت. وأخرج ابن جرير عن قتادة ومجاهد مثله.

﴿ٱلْفَاسِقِينَ﴾٥: اليهود في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾: رد ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾: أسرعتم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾: زائدة ﴿خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: إبل أي لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾٦: فلا حق لكم فيه ويختص به النبي ﷺ ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقرهم ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾: كالصفراء ووادي القرى وينبع ﴿فَلِلَّهِ﴾: يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي﴾: صاحب ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قرابة النبي من بني هاشم وبني

يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح، أمن الصلاح قطع الشجر وقطع النخل؟ فهل وجدت فيما زعمت، أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فوجد المسلمون في أنفسهم شيئاً مما قالوا، وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلفوا في القطع وتركه، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعه، فأنزل الله هذه الآية. قوله: ﴿فبإذن الله﴾ أي رضاه. قوله: [أي خيركم في ذلك] أي القطع والترك.

قوله: ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ الخ لما بين حال بني النضير وما وقع لذواتهم، أخذ يبين ما وقع في أموالهم. قوله: [رد] ﴿الله على رسوله﴾ أشار بذلك إلى أن الأموال التي كانت بأيدي بني النضير، ليست لهم بالأصالة، بل هي لمن أطاع الله تعالى، وتلذذهم بها إنما هو صورة تعد منهم، وذلك لأن الله تعالى خلق الناس لعبادته، وخلق لهم ما في الأرض جميعاً، ليستعينوا بها على طاعته، فالكفار حيث عصوا ربهم، فليس لهم استحقاق في تلك النعم.

قوله: ﴿فما أوجفتم﴾ الخ خبر ما الموصولة، و﴿أفاء﴾ صلته. قوله: [أسرعتم] الخ، أي فالإيجاف اسراع المشي. قوله: [يا مسلمين] هكذا بالياء هنا وفيما تقدم، وهو سبق قلم، وصوابه بالواو، ولأن المنادى يبني على ما يرفع به ولا شك أن جمع المذكر السالم يرفع بالواو، فيبني المنادى عليها. قوله: ﴿من﴾ [زائدة] أي في المفعول. قوله: ﴿ولا ركاب﴾ هي ما يركب من الإبل، غلب ذلك عليها من بين المركوبات، فالعرب يطلقون لفظ الراكب على راكب البعير، والفارس على راكب الفرس. قوله: [أي لم تقاسوا فيه مشقة] أي لم تقطعوا إليها مسافة، ولم يحصل منكم حرب، وذلك لكون قريتهم قريبة، ولم يركبوا إليها خيلاً ولا إبلاً إلا النبي ﷺ، فإنه كان راكباً جملاً، وقيل: حماراً مخطوماً بليف، فافتتحها صلحاً، فكان الأمر في تلك الأموال مفوضاً له ﷺ يضعه حيث يشاء.

قوله: ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ أي فعادته تعالى جارية، بأن الرسل ليسوا كآحاد الأمة، بل يسلطهم الله على من يشاء، من غير أن يقتحموا المشقات ويقاسوا الشدائد، فتحصل أن مال الكفار إذا حصل من غير قتال، فهو فيء يوضع تحت يد رسول الله ﷺ على ما سيأتي بيانه، ومثله المال الذي جهلت أربابه، ومال من مات ولا وارث له، والجزية، وأعشار أهل الذمة، وخراج الأرض على ما هو مبين في الفروع، ويقوم مقام رسول الله بعده الخليفة. قوله: [فأعطى منه المهاجرين] أي لا على أنه غنيمة، بل بوصف الفقر، ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار، لأنهم كانوا قد قاسموهم في الأموال والديار. قوله: [وثلاثة من الأنصار] أي وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة، وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وكان لهذا السيف ذكر وشأن عندهم.

قوله: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ بيان لمصرف الفيء إثر بيان رده على رسول الله، وحذف الواو من هذه الجملة، لأنها بيان للأولى، فهي غير أجنبية منها. قوله: [كالصفراء] الخ، أي وأرض قريظة والنضير وهما بالمدينة، وفدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة، وقرى عرينة وينبع. قوله: ﴿فلله وللرسول﴾ اختلف في قسم الفيء، فقيل: يسدس

المطلب ﴿وَٱلْيَتَامَىٰ﴾: أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلْمَسَاكِينِ﴾: ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي ﴿كَيْ لَا﴾: كي بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها ﴿يَكُونَ﴾: الفيء علة لقسمه كذلك ﴿دُولَةً﴾: متداولاً ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمْ﴾: أعطاكم ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: من الفيء

ظاهر الآية، ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد، وقيل: يخمس للخمسة المذكورين، وذكر الله للتعظيم. وحكى القرطبي وقال قوم منهم الشافعي: إن معنى الآيتين أن ما هنا والانفال واحد، أي ما حصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم: أربعة منها لرسول الله ﷺ، وسهم لذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم منعوا الصدقة، فجعل لهم حق في الفيء، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل، وأما بعد وفاة رسول الله ﷺ فالذي كان من الفيء لرسول الله ﷺ يصرف عند الشافعي في قول إلى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لأنهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي قول آخر له: يصرف إلى مصالح المسلمين، من سد الثغور، وحفر الأنهار، وبناء القناطر، يقدم الأهم فالأهم، وهذا في أربعة أخماس الفيء، فأما السهم الذي كان من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته ﷺ بلا خلاف، كما قال عليه الصلاة والسلام: «ليس لي من غنائمكم إلا الخمس، والخمس مردود فيكم» اهـ. وقالت المالكية: لا خلاف في أن الغنيمة تخمس، وأما ما انجلى عنه أهله دون قتال فلا يخمس، ويصرف في مصالح المسلمين باجتهاد الإمام، ومثله جميع ما كان محله بيت المال، وليس معنى الآيتين واحداً، بل آية الأنفال فيما أوجف عليه، وما هنا فيما لم يوجف عليه، وقوله: ﴿فلله وللرسول﴾ الخ ليس المقصود منه التخميس، وإنما المقصود التعميم باجتهاد الإمام فتدبر. قوله: [من بني هاشم وبني المطلب] هذا مذهب الشافعي، وعند مالك لآل بني هاشم فقط.

قوله: ﴿والمساكين﴾ المراد بهم ما يشمل الفقراء. قوله: [المنقطع في سفره] أي والمحتاج ولو غنياً ببلده. قوله: [أي يستحقه النبي] الخ إنما لم يقل الله، والنبي إشارة إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق، وظاهر الآية أن الفيء يخمس خمسة أخماس، وأن للنبي خمسه وليس مراداً، بل التخميس إنما هو للخمس لا للمال من أصله، فالاشتراك المذكور إنما هو في الخمس، وتقدم أن ذلك مذهب الشافعي، وأما عند مالك فلا تخميس، وإنما النظر فيه للإمام.

قوله: ﴿كي لا يكون﴾ الخ ﴿كي﴾ ترسم هنا مفصولة من ﴿لا﴾. قوله: [بمعنى اللام] أي لام التعليل، والمعلل ما يستفاد مما سبق، أي جعل الله الفيء لمن ذكر لأجل ألا يكون لو ترك على عادة الجاهلية دولة أي يتداوله الأغنياء، كل من غلب منهم أخذه واستأثر به، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، ثم يصطفي بعد أخذ الربع منها ما شاء، فنسخ هذا الأمر، وجعله الله يصرف في مصالح المسلمين على الوجه المتقدم. قوله: [وأن مقدرة بعدها] أي فالنصب بأن لا بها. قوله: ﴿يكون﴾ أي الفيء فيكون ناقصة اسمها ضمير يعود على الفيء، و﴿دولة﴾ خبرها، وعلى هذه القراءة يكون بالتحتية لا غير، وقرئ أيضاً برفع ﴿دولة﴾ على أن كان تامة مع التحتية والفوقية من يكون، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: ﴿دولة﴾ التداول حصول الشيء في يد هذا تارة وهذا أخرى، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها، وجمع المفتوح دول كقصعة وقصع، وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف، ومعناهما واحد، وقيل الدولة بالضم في المال، وبالفتح في الحرب.

قوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ الخ أي ما أعطاكم من مال الغنيمة، وما نهاكم عنه من الأخذ والقول

وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٧ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: متعلق بمحذوف أي أعجبوا ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ٨: في إيمانهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾: أي المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾: أي ألفوه وهم الأنصار ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ

فانتهوا، وقيل في تفسيرها: من آتاكم من طاعتي فافعلوه، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه، فالآية محمولة على العموم في جميع أوامره ونواهيه؛ لأنه لا يأمر إلا بالإصلاح، ولا ينهى إلا عن فساد، فنتج من هذه الآية، أن كل ما أمر به النبي ﷺ أمر من الله، وأن كل ما نهى عنه النبي نهي من الله، فقد جمعت أمور الدين كما هو معلوم. قوله: [متعلق بمحذوف] الخ، أي القصد منه التعجب والمدح للمهاجرين الذين اتصفوا بتلك الصفات. قوله: [أي أعجبوا] أي تعجبوا من حال المهاجرين، حيث تنزهوا عن الديار والأموال، وتركوا ذلك ابتغاء وجه الله تعالى.

قوله: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ أي أخرجهم كفار مكة. قوله: ﴿وأموالهم﴾ عطف على ﴿ديارهم﴾ وعبّر فيه بالخروج، لأن المال لما كان يستر صاحبه كأنه ظرف له. قوله: ﴿يبتغون فضلاً﴾ الخ، الجملة حالية، والمعنى: طالبين الرزق من الله لإعراضهم عن أملاكهم الدنيوية، ومرضاة الله تعالى في الآخرة. قوله: ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ عطف على قوله: ﴿يبتغون﴾ فهو حال أيضاً لكنها مقدرة، أي ناوين النصرة، إذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل. قوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾ أي الخالصون في إيمانهم، حيث اختاروا الإسلام. وخرجوا عن الديار والأموال والعشائر، حتى روي: أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه، ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء، ما له دثار غيرها، وفي الحديث: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً».

قوله: ﴿والذين تبوؤا الدار﴾ الخ، شروع في الثناء على الأنصار، إثر بيان الثناء على المهاجرين، والموصول إما معطوف على الفقراء فيكون من عطف المفردات، وقوله: ﴿ويحبون﴾ الخ، حال أو مبتدأ، وجملة ﴿يحبون﴾ خبره. قوله: [أي المدينة] أي اتخذوا منزلاً بإسلامهم من قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين، فعصموها وحفظوها بالإسلام، فكأنهم استحدثوا بناءها. قوله: [أي ألفوه] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿والإيمان﴾ معمول لمحذوف ويكون من عطف الجمل، إذ لا معنى لتبوؤا الإيمان، وهذا أحد الوجوه الجارية في قوله: علفتها تبناً وماء بارداً، أو ضمن ﴿تبوؤا﴾ معنى لزموا. والمعنى: لزموا الدار والإيمان، أو شبه تمكنهم في الإيمان باتخاذه منزلاً، ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز.

---

* أسباب نزول الآية ٩: وأخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا: يا رسول الله اقسم بيننا وبين اخواننا المهاجرين الأرض نصفين قال: لا ولكن تكفونهم المؤنة وتقاسمونهم الثمرة، والأرض أرضكم قالوا: رضينا، فأنزل الله ﴿والذين تبوؤا الدار﴾ الآية، وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال: ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

وأخرج مسدد في مسنده وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي: أن رجلاً من المسلمين فذكر نحوه وفيه أن الرجل الذي أضاف ثابت بن قيس بن شماس، فنزلت فيه الآية، وأخرج الواحدي من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الآية.

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: حسداً ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾: أي آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: حرصها على المال ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾: من بعد المهاجرين

قوله: ﴿ولا يجدون في صدورهم﴾ أيْ نفوسهم. قوله: [حسداً] أيْ ولا غيظاً ولا حزازة، فالمراد بالحاجة هذه المعاني، رُوي أن المهاجرين كانوا في دور الأنصار، فلما غنم ﷺ أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين، من إنزالهم إياهم منازلهم، وإشراكهم إياهم في الأموال، ثم قال ﷺ: إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليَّ من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم، فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل تقسمه بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا، فقال ﷺ: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا الثلاثة المتقدم ذكرهم. قوله: [أي آتى النبي] بيان للفاعل المحذوف، وقوله: [المهاجرين] بيان للمفعول القائم مقام الفاعل، وقوله: [من أموال بني النضير] بيان لما.

قوله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ أيْ في كل شيء من أسباب المعاش، حتى إن من كان عنده امرأتان، كان ينزل عن أحداهما، ويزوجها واحداً من المهاجرين، والإيثار تقديم الغير على النفس، وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وغاية المحبة والصبر على المشقة. قوله: ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أيْ يقدمون غيرهم في الأموال مع احتياجهم إليها، وهذا الوصف لا يخص الأنصار، فقد روي عن ابن عمر أنه قال: أهدي لرجل من أصحاب النبي ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعثه إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى تداولها سبعة أبيات، ثم عادت إلى الأول، فنزلت هذه الآية. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صرة ثم قال للغلام: إذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم امكث عنده في البيت حتى تنظر ما يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه وقال له: يقول لك أمير المؤمنين أجعل هذه في بعض حاجاتك، فقال: وصله الله ورحمه ثم قال: تعالي يا جارية أذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى فقدها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، ووجده قد ربط مثلها إلى معاذ بن جبل، فقال: أذهب بها إليه، وامكث في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه وقال له: يقول لك أمير المؤمنين، أجعل هذه في بعض حاجاتك، فقال: رحمه الله ووصله، وقال: يا جارية أذهبي إلى بيت فلان بكذا، وإلى بيت فلان بكذا، فجاءت امرأة معاذ وقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فرمى بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض، ونحوه عن عائشة وغيرها.

قوله: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ ﴿من﴾ شرطية و﴿يوق﴾ فعل الشرط، وقوله: ﴿فأولئك﴾ الخ جزاؤه، وهو كلام عام قصد به التنبيه على ذم الشح، وفي قوله: ﴿يوق﴾ إشارة إلى أن الشح أمر غريزي في الإنسان، لا ينجو منه الشخص إلا بمعونة الله تعالى، مع مجاهدة النفس ومكابدتها. قوله: [حرصها على المال] فيه إشارة إلى الفرق بين البخل والشح، فالبخل منع الأموال، والشح صفة راسخة يصعب معها على الرجل تأتي المعروف وتعاطي مكارم الأخلاق، قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً». وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له. وقال بعضهم: من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عن أخذه، ولم يمنع شيئاً أمر الله بإعطائه، فقد وقاه الله شح نفسه.

والأنصار إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: حقداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٠ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ﴾: وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر ﴿لَئِنْ﴾: لام قسم في الأربعة ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾: من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾: في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾: حذفت منه اللام الموطئة ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ١١ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾: أي جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ﴾: واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ ١٢: أي اليهود ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾: خوفاً ﴿فِي صُدُورِهِم﴾: أي المنافقين ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: لتأخير عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

قوله: ﴿والذين جاؤوا﴾ إما معطوف على الفقراء، وقوله: ﴿يقولون﴾ حال أو مبتدأ، وجملة ﴿يقولون﴾ خبره. قوله: [من بعد المهاجرين والأنصار] أي من بعد هجرة المهاجرين وإيمان الأنصار. قوله: [إلى يوم القيامة] أي فالبعدية تشمل التابعين وأتباعهم إلى آخر الزمان. قوله: ﴿الذين سبقونا بالإيمان﴾ أي بالموت عليه، فينبغي لكل واحد من القائلين لهذا القول، أن يقصد بمن سبقه من انتقل قبله، من زمنه إلى عصر النبي ﷺ، فيدخل جميع من تقدمه من المسلمين، لا خصوص المهاجرين والأنصار. قوله: [حقداً] هو الانطواء على العداوة والبغضاء. قوله: ﴿رؤوف﴾ بقصر الهمزة ومدها بحيث يتولد منها، وقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ الخ، لما ذكر الثناء على المهاجرين والأنصار وأتباعهم، أتبعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقوا مع بني النضير، وهم عبد الله بن أبي وأصحابه، والخطاب إما لرسول الله ﷺ، أو لكل من يتأتى منه الخطاب. قوله: ﴿لإخوانهم﴾ اللام للتبليغ، والمعنى مبلغين إخوانهم. قوله: [لام القسم] أي موطئة لقسم محذوف أي والله. قوله: [في الأربعة مواضع] أي ﴿لئن أخرجتم﴾، ﴿لئن أخرجوا﴾، ﴿ولئن قوتلوا﴾، ﴿ولئن نصروهم﴾، بل في الخمسة هذه الأربعة، وقوله: ﴿وإن قوتلتم﴾ لأن اللام مقدرة معه. قوله: ﴿أخرجتم﴾ [من المدينة] أي أخرجكم النبي وأصحابه. قوله: ﴿ولا نطيع فيكم﴾ عطف على قوله: ﴿لئن أخرجتم﴾ وكذا قوله: ﴿وإن قوتلتم﴾ فمقولهم ثلاث جمل، والقسم الواقع منهم اثنان، ثم كذبهم الله اجمالاً وتفصيلاً بعد. قوله: [في خذلانكم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿أحداً﴾ أي من النبي والمؤمنين، وقوله: ﴿أبداً﴾ ظرف للنفي. قوله: [حذفت منه اللام] أي وحذفها قليل في لسان العرب، والكثير أثباتها. قوله: ﴿لكاذبون﴾ أي فيما قالوه.

قوله: ﴿لئن أخرجوا﴾ تفصيل لكذبهم وهو تكذيب لقولهم ﴿لئن أخرجتم﴾ وقوله: ﴿ولئن قوتلوا﴾ الخ، تكذيب لقولهم ﴿وإن قوتلتم﴾ الخ، وقوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ من تمام تكذيبهم في المقالة الثالثة. قوله: [جاؤوا لنصرهم] جواب عما يقال: إن قوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ مناف لقوله: ﴿لا ينصرونهم﴾ فأجاب: بأن المعنى خرجوا لقصد نصرهم، وحينئذ فلا يلزم منه نصرهم بالفعل، وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿ولئن نصروهم﴾ أي على سبيل الفرض والتقدير. قوله: [واستغنى بجواب القسم] الخ، أي للقاعدة المعروفة في قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

قوله: [أي اليهود] هذا أحد أقوال في مرجع الضمير، وقيل: عائد على المنافقين، وقيل: عائد على مجموع

---

* أسباب نزول الآية ١١: وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: أسلم ناس من أهل قريظة وكان فيهم منافقون وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، فنزلت هذه الآية فيهم ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم﴾.

لَّا يَفْقَهُونَ ١٣ ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾: أي اليهود ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾: سور وفي قراءة: جدر ﴿بَأْسُهُم﴾: حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: متفرقة خلاف الحسبان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ١٤: مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾: بزمن قريب وهم أهل بدر من المشركين ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٥: مؤلم في الآخرة مثلهم أيضاً في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦: كذباً منه ورياء ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾: أي

اليهود والمنافقين وهو الأقرب. قوله: ﴿لأنتم أشد رهبة﴾ الخ، أي خوفهم منكم في السر أشد من خوفهم من الله الذي يظهرونه لكم، وهذه الجملة كالتعليل لقوله: ﴿ليولن الأدبار﴾ كأنه قال: إنهم لا يقدرون على مقابلتكم، لأنكم أشد رهبة. قوله: ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من كون خوفهم من المخلوق، أشد من خوفهم من الخالق. قوله: [مجتمعين] أشار بذلك إلى أن جميعاً حال. قوله: [وفي قراءة جدر] أي وهي سبعية أيضاً، غير أن من قرأ جدار بالألف يلتزم الأمالة في جدار، وأما الصلة في بينهم بحيث يتولد منها واو، فمن قرأ جداراً بدون أحد هذين الوجهين، فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد.

قوله: ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ راجع لقوله: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ الخ، أي فعجزهم عن قتالكم ليس لضعف فيهم، بل هم في غاية القوة من العدد والعدة، وإنما يضعفون في حربكم للرعب الذي في قلوبهم منكم. قوله: [متفرقة] أي لعظم الخوف، فقلوبهم لا توافق الأجسام، بل فيها حيرة ودهشة. قوله: [خلاف الحسبان] حال أي خلاف ظنكم فيهم بمقتضي جميع الصور. قوله: ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ إنما خص الأول بلا يفقهون، والثاني بلا يعقلون، لأن الأول متصل بقوله: ﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ وهو دليل على جهلهم بالله فناسبهم عدم الفقه، والثاني متصل بقوله: ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾ وهو دليل على عدم عقلهم، إذ لو عقلوا لما تشتتت قلوبهم وتحيرت وامتلأت رعباً.

قوله: ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ خبر مبتدإ محذوف قدره بقوله: [مثلهم] أي صفة بني النضير العجيبة التي تقع لهم من الأجلاء والذل، كصفة أهل مكة فيما وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والأسر والقتل، فكل حصل له خزي الدنيا وعذاب الآخرة. قوله: [بزمن قريب] أي بين وقعة بدر ووقعة بني النضير، وهو سنة ونصف، لما تقدم أن غزوة بني النضير كانت في ربيع الأول من السنة الرابعة، وغزوة بدر كانت في رمضان من الثانية. قوله: [مثلهم أيضاً] أي صفة بني النضير، وقوله: [في سماعهم] بيان للمثل، وقوله: [وتخلفهم] أي تخلف المنافقين عنهم، وقوله: ﴿كمثل الشيطان﴾ المراد به حقيقته لا شيطان الأنس، وقوله: ﴿إذ قال للإنسان أكفر﴾ بيان لمثل الشيطان، وبالجملة فقد ضرب الله لهم مثلين: الأول بكفار مكة الذين اغتروا بعددهم وعددهم وحضروا بدراً فكانت الدائرة عليهم، والثاني من حيث اغترارهم بكلام المنافقين لهم ومخالفتهم لهم، بإغراء الشيطان لإنسان معين على الكفر، حتى أوقعه فيه ومات عليه ثم تبرأ منه.

قوله: ﴿إذ قال للإنسان﴾ المراد به برصيصا العابد، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الإنسان الذي قال له الشيطان راهب، نزلت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها، فزين له الشيطان ووطئها فحملت ثم قتلها خوفاً من أن يفتضح، فدل الشيطان قومها على موضعها، فجاؤوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه، فجاءه الشيطان فوعده إن سجد له أن ينجيه منه، فسجد له فتبرأ منه» وقصته مبسوطة في الشبرخيتي على الأربعين، في شرح الحديث الرابع، فانظرها إن

الغاوي والمغوي وقرىء بالرفع اسم كانَ ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ﴾ ١٧ : الكافرين ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٨ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ﴾ : تركوا طاعته ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ : أن يقدموا لها خيراً ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ ١٩ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾ ٢٠ ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ : وجعل فيه تمييز كالإنسانِ ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً﴾ : متشققاً ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ﴾ : المذكورة ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

قوله: [كذباً منه ورياء] أي قوله هذا كذب منه ورياء، لأنه لا يخاف الله أبداً. قوله: [أي الغاوي] اسم فاعل من غوى يغوي كرمى يرمي، والمراد به الإنسان الذي غره الشيطان وقوله: [والمغوي] اسم فاعل أيضاً من أغواه يغويه وهو الشيطان. قوله: [وقرىء بالرفع] أي شاذاً.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ الخ لما ذكر صفات كل من المنافقين واليهود، وما آل إليه أمرهم، وعظ المؤمنين بموعظة حسنة، تحذيراً من أن يكونوا مثل من تقدم ذكرهم، وذلك أوقع في النفس. قوله: ﴿ولتنظر نفس﴾ اللام لام الأمر، والحكمة في التنكير الإشارة إلى أن الأنفس الناظرة لمعادها المعتبرة بغيرها قليلة جداً عديمة المثيل. قوله: ﴿ما قدمت لغد﴾ ﴿ما﴾ اسم موصول، و﴿قدمت﴾ صلته، والمعنى ولتبحث وتحصل نفس العمل الذي قدمته لغد، وذلك لأن جميع ما تعمله في الدنيا ترى جزاءه في القيامة، فليختر العاقل أي الجزاءين، لما ورد في الحديث: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني». قوله: [ليوم القيامة] سمي غداً لقرب مجيئه. قال تعالى ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ فكأنه لقربه شبيه بما ليس بينه وبينه إلا ليلة واحدة، والتنكير في غد للتعظيم والإبهام، كأنه قيل: لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله.

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ كرره للتأكيد، أو الأول إشارة للأمر بأصل التقوى، والثاني للأمر بالدوام عليها. قوله: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ الخبير المطلع على خفيات الأشياء؛ القادر على الأخبار بما عجزت عنه المخلوقات، وقوله: ﴿بما تعملون﴾ أي من خير وشر. قوله: [تركوا طاعته] أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك، وليس المراد به عدم الحفظ والذكر. قوله: [أن يقدموا بها خيراً] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير فأنساهم تقديم خير لأنفسهم، كثمرة نسيانهم الله نسيان أنفسهم، أي فترك حقوق الله خسرانهم، وهو نظير قوله تعالى ﴿وإن أسأتم فلها﴾، ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾، ﴿ومن كفر فعليه كفره﴾ لأنه المستغني عن كل ما سواه.

قوله: ﴿لا يستوي أصحاب النار﴾ أي الذين نسوا الله، فاستحقوا الخلود في النار. قوله: ﴿وأصحاب الجنة﴾ أي الذين اتقوا الله، فاستحقوا الخلود في الجنة. قوله: ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ هذا كالتذييل لقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ الخ، وذلك لأن الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى والنظر في العواقب والعمل النافع، ونهاهم عن الغفلة والتشبه بمن نسي طاعة الله، ذيله بما يرغبهم في طاعة الله ويقربهم إليه زلفى. قوله: [وجعل فيه تمييز كالإنسان] المقصود من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب الكفار وغلظ طبائعهم، وفيه رمز لمن قل خشوعه عند تلاوة القرآن، وأعرض عن تدبره، ولم يأتمر بأوامره، ولم ينته بنواهيه، فالواجب التدبر في القرآن، والخشوع عند قراءته، فإنه لا عذر في ترك ذلك، إذ لو خوطب بهذا القرآن الجبال، مع تركيب العقل فيها، لانقادت لمواعظه، ولرأيتها خاشعة مشفقة من خشية الله. قوله: [المذكورة] أي في هذه السورة أو في سائر القرآن.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢١ : فيؤمنون ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ : السِّرّ والعَلانية ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ٢٢ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ : الطاهر عما لا يليق به ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ : ذو السلامة من النقائص ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ : المصدِّق رسله بخلق المعجزة لهم ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ : من هيمن يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء أي الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ : القوي ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ : جبر خلقه على ما أراد ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ : عما لا يليق به ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ : نزّه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٢٣ : به ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ : المنشىء من العدم ﴿ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ : التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ٢٤ : تقدم أولها

قوله: ﴿هو الله الذي﴾ الخ لما وصف الله تعالى كلامه بالعظم، ومن المعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف، أتبع ذلك بوصف عظمه تعالى فقال: ﴿هو﴾ أي الذات المتصفة بالكمالات أزلاً وأبداً الواجبة الوجود، وقوله: ﴿الله﴾ خبر عن ﴿هو﴾ وقوله بعد ذلك: ﴿الذي لا إله إلا هو﴾ إما خبر ثان أو صفة للفظ الجلالة، وذكر لفظ الجلالة بعد الهوية، لأن الهوية هي الذات، والجلالة اسم الذات ومظهرها. قوله: ﴿الملك﴾ أي المتصرف في خلقه بالإيجاد والأعدام. قوله: ﴿القدوس﴾ أي المنزه عن صفات الحوادث، وأتى به عقب الملك، لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك.

قوله: ﴿السلام﴾ أي الذي يسلم على عباده المؤمنين في الجنة، وعلى الأنبياء في الدنيا، أو السالم من كل نقص، أو المؤمن من المخاوف والمهالك. قوله: [المصدق رسله بخلق المعجزة لهم] أي وأوليائه بالكرامات، وعباده المؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم، لأنه لا يطلع على الإخلاص إلا هو. قوله: [أي الشهيد على عباده] وقيل معناه المطلع على خطرات القلوب. قوله: [القوي] أي فهو من عز بمعنى غلب وقهر، فيكون من صفات الجلال، ويصح أن يكون من عز بمعنى قل، فلم يوجد له نظير، فهو من صفات السلوب. قوله: [جبر خلقه على ما أراد] أي من إسلام وكفر وطاعة ومعصية، فإذا أراد أمراً فعله، لا يحجزه عنه حاجز، فهو من صفات الجلال، ويصح أنه مأخوذ من الجبر بمعنى الإصلاح، كقولهم: جبر الطبيب الكسر أي أصلحه، فيكون من صفات الجمال. قوله: ﴿المتكبر﴾ من الكبرياء وهي التعالي في العظمة، وهي مختصة به تعالى لما في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدة منهما قصمته ثم قذفته في النار». قوله: [عما لا يليق به] أي من صفات الحدوث.

قوله: ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ أتى بالتسبيح عقب قوله: ﴿المتكبر﴾ إشارة إلى أن هذا الوصف مختص به، وينزه سبحانه عن مشاركة الغير له. قوله: ﴿هو الله﴾ كرر الهوية لأنها حقيقة الذات المتصفة بالكمالات، فما يذكر بعدها من الصفات فهو كشف لها. قوله: ﴿الخالق﴾ أي الموجد للمخلوقات من العدم. قوله: [المنشىء] أي المبدع للأعيان المبرز لها. قوله: ﴿المصور أي المبدع للأشكال على حسب إرادته، فأعطى كل شيء من المخلوقات، صورة خاصة وهيئة منفردة، يتميز بها على اختلافها وكثرتها. قوله: [مؤنث الأحسن] أي الذي هو أفعل تفضيل لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء، ووصفت بالحسنى لأنها تدل على معان حسنة، من تحميد وتقديس وغير ذلك، ووصف الجمع الذي لا يعقل بما توصف به الواحدة وهو فصيح، ولو جاء على المطابقة لقال الحسن بوزن آخر، ويصح أن يراد من الحسنى المصدر، ويقال فيه ما قيل في زيد عدل، ووصف الجمع به ظاهر لأنه لا يثنى ولا يجمع. قوله: ﴿يسبح له ما في السموات والأرض﴾ الخ، ختمها بالتسبيح كما ابتدأها به، إشارة إلى أنه المقصود الأعظم والمبدأ والنهاية، وأن غاية المعرفة بالله تنزيهه عما صورته العقول.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٦٠] ـ سورة الممتحنة

[مَدنية وهي ثلاث عشرة آية]

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾: أي كفار مكة ﴿أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ﴾: توصلون ﴿إِلَيْهِمْ﴾: قصد النبي ﷺ غزوهم الذي أسره إليكم وورى بحنين ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: بينكم وبينهم كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الممتحنة مدنيّة

وهي ثلاث عشرة آية

بكسر الحاءِ وفتحها، لأنه نزل فيها أمرُ المؤمنين، بامتحان المرأة التي هاجرت، فالكسر من حيث أمر المؤمنين بالامتحان، والفتح من حيث المرأة، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، امرأة عبد الرحمن بن عوف، والدة إبراهيم بن عبد الرحمن. قوله: [مدنية] أي بإجماع. قوله: ﴿عدوي وعدوكم﴾ أضاف العَدوّ لنفسه تعالى تشريفاً للمؤمنين، أي أن عدوّكم بمنزلة عدوي أنتقم منه، وإلا فالعدوّ بمعنى الموَصِل للضرّ، والضرّ على الله محال، كما أن الحبيبَ الموصِل للنفع، وهو على الله محال. قوله: [أي كفار مكة] تفسير للعدو، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فحكم الآية باقٍ مع سائر الكُفارِ إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿تلقون إليهم﴾ هذه الجملة إمّا مفسِّرة لموالاتهم إيّاهم، أو استئنافية، فلا محل لها من الإعراب على هذين، أو حالٌ من فاعل تتخذوا أو صفة لأولياء. قوله: [قصد النبي] الخ أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿تلقون﴾ محذوف، والباءُ في قوله: ﴿بالمودة﴾ سببية. قوله: [وورّى بحنين] أي بغزوة حنين، والمعنى أظهر لعامة الناس أنه

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الشيخان عن علي قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فأتوني به، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال: ما هذا يا حاطب؟ قال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر، فقال النبي ﷺ: صدق، وفيه أنزلت هذه السورة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾.

كتاباً بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين فاسترده النبي ﷺ ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك وقبل عذر حاطب فيه ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾: أي دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾:

يريد غزوة حنين على عادته، من أنه كان إذا خرج لغزوة يوري بغيرها، كأن يسأل عن طريق غيرها ستراً عن المنافقين، لئلا يرسلوا إلى الكفار فيتنبهوا فيفوت تدبير الحرب، والتورية مأخوذة من وراء الإنسان، كأنه يجعل ما أراده خلفه ووراءه، وفي بعض النسخ: وورى بخيبر وهو تحريف، لأن غزوة خيبر كانت في المحرم سنة سبع، وفتح مكة كان في رمضان من السنة الثامنة، وحنين كانت بعد الفتح في شوال من سنة الفتح، فورى بها على عادته في غزواته، والسورة نزلت في غزوة الفتح. قوله: [كتب حاطب بن أبي بلتعة] الخ، أي وكان ممن هاجر مع النبي ﷺ، وهو في الأصل من اليمن، وكان في مكة حليف بني أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام، وهذا بيان لسبب نزول قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآيتين، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: ائتوا روضة خاخ بالصرف وتركه موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلاً، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تهادى خيلنا أي تسرعها، فإذا نحن بامرأة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ فقال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش - قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها - وكان ممن معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، وأن الله ناصرك عليهم، فقال النبي ﷺ: صدق، فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال له رسول الله ﷺ: إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ قيل: اسم المرأة سارة من موالي قريش، روي أن رسول الله ﷺ أمن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة هي أحداهم، وقيل إنها عاشت إلى خلافة عمر، وأسلمت وحسن إسلامها، وكان في الكتاب: أما بعد، فإن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده لأظفره الله بكم، ولا يخذله موعده فيكم، فإن الله وليه وناصره. وروي أن سارة المذكورة حين قدمت المدينة، فقال لها رسول الله ﷺ: أمهاجرة جئت يا سارة؟ فقالت: لا، فقال: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأهل والموالي، والأصل والعشيرة، وقد ذهب بعض الموالي يعني قتلوا يوم بدر، وقد احتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني، فقال عليه السلام: فأين أنت من شباب أهل مكة؟ وكانت مغنية، قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب على إعطائها، فكسوها وحملوها وأعطوها، فخرجت إلى مكة، وأتاها حاطب فقال: أعطيك عشرة دنانير وبرداً، على أن تلقي هذا الكتاب إلى أهل مكة، وكتب فيه أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم، فخرجت سارة سائرة إلى مكة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، فبعث لها علياً إلى آخر ما تقدم. قوله: [فاسترده النبي] أي طلب رده بإرسال علي ومن معه. قوله: [ممن أرسله] أي وهي سارة، والضمير المستتر في أرسل عائد على حاطب، والبارز عائد على الكتاب. قوله: [بإعلام الله له] متعلق باسترده والباء سببية. قوله: [وقبل عذر حاطب] أي لأنه مؤمن بدري شهد الله له بالإيمان حيث قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ.

من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾: أي لأجل أنْ آمنتم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً﴾ للجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾: وجواب الشرط دل عليه ما قبله أي فلا تتخذوهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَاْ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾: أي أسرار خبر النبي إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[١]: أخطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: بالسبّ والشتم ﴿وَوَدُّوا﴾: تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[٢] ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾: قراباتكم ﴿وَلَآ أَوْلَادُكُمْ﴾: المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَفْصِلُ﴾: بالبناء للمفعول والفاعل ﴿بَيْنَكُمْ﴾: وبينكم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾: بكسر الهمزة وضمها في الموضعين قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: أي به قولاً وفعلاً

قوله: ﴿يخرجون الرسول﴾ إمّا مستأنف أو تفسير لكفرهم أو حالٌ من فاعل ﴿كفروا﴾. قوله: ﴿وإياكم﴾ عُطف على ﴿الرسول﴾ وقدّم عليهم لأنه المقصود، فلذلك عدل عن اتصال الضمير إلى انفصاله لأنه لو قال: يخرجونكم والرسول لفات هذا المعنى. قوله: [أي لأجل أن آمنتم] الخ أشار بذلك إلى أن ﴿تؤمنوا﴾ في محل نصب مفعول له. والمعنى: يخرجونكم من أجل أيمانكم بالله. قوله: ﴿إن كنتم خرجتم﴾ أي من مكة. قوله: [للجهاد] أشار به إلى أن جهاداً وما بعده منصوب على المفعول له. قوله: ﴿تسرون إليهم﴾ بدلٌ من تلقون، بدل بعض من كل أو مستأنف، ومفعول ﴿تسرون﴾ محذوف قدره بقوله: [إسرار خبر النبي] والباء في ﴿بالمودة﴾ للسببية نظير ما تقدم. قوله: ﴿وأنا أعلم﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تلقون﴾ و﴿تسرون﴾. قوله: [طريق الهدى] أشار بذلك إلى أن ﴿سواء السبيل﴾ مفعول ﴿ضل﴾.

قوله: ﴿إن يثقفوكم﴾ الخ كلام مستأنف مبين لوجه العداوة. قوله: ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ أي يظهروا العداوة لكم. قوله: ﴿وودوا لو تكفرون﴾ عُطف على جملة الشرط، والجزاء فقد أخبر عنهم بخبرين: عداوتهم ومودتهم كفر المؤمنين. قوله: ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ هذا تخطئة لحاطب في رأيه كأنه قال: لا تحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وترك مناصحتهم، ونقل أخبارهم، وموالاة أعدائهم، فإنه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لأجلهم. قوله: [من العذاب] متعلق بقوله: ﴿لن تنفعكم﴾. قوله: ﴿يوم القيامة﴾ إما متعلق بما قبله فيوقف عليه ويبتدأ بيفصل بينكم، أو متعلق بما بعده فيوقف على أولادكم ويبتدأ بيوم القيامة. قوله: [بالبناء للمفعول] أي مع التخفيف والتشديد، وقوله: [والفاعل] أي معهما أيضاً، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: [وبينهم] أي الأرحام والأولاد. قوله: [فتكون في الجنة] أي فلا ينبغي موالاة الكفار، لأنه لا اجتماع بينكم وبينهم في الآخرة.

قوله: ﴿قد كانت لكم أسورة حسنة﴾ لما بين سبحانه وتعالى حال من جعل الكفار أولياء في أول السورة، ذكر منافصة إبراهيم وقومه، وأن طريقه التبرؤ من أهل الكفر، وألزم أمة محمد بالاقتداء به في ذلك، وفيه توبيخ لحاطب ومن والى الكفار. قوله: [بكسر الهمزة وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. وقوله: [في الموضعين] أي هو وقوله الآتي ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة﴾ ومعناها عليهما الاتباع والاقتداء كما قال المفسر.

قوله: ﴿في إبراهيم﴾ جار ومجرور متعلق بأسوة، ورُدّ بأنه لا يجوز عمل المصدر الموصوف، وأجيب بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها، ويصح أنه متعلق بحسنة، بتعلق الظرف بالعامل، ويصح أنه نعت ثان

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ : من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا﴾ : جمع بريء كظريف ﴿مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ : أنكرناكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ : بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واواً ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ : مستثنى من أسوة أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار وقوله: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ﴾ : أي من عذابه وثوابه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ : كني به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه قل فمن يملك لكم من الله شيئاً واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ

لأسوة، وإنما خص التأسي بإبراهيم، لأنه صبر على أذى عدو الله النمرود، ولم يكن معه أحد يعينه عليه، مع تفرده بملك الأرض مشرقاً ومغرباً. قوله: [قولاً وفعلاً] تمييز مبين لجهة الاقتداء، أي اقتدوا به في القول والفعل، فإنه لم يبال بالكفار، ولا بشدتهم وضعفه. قوله: ﴿والذين معه﴾ [من المؤمنين] يحتمل أن المراد بالمعية وهو في أرض بابل، وحينئذ لم يكن معه إلا لوط ولد أخيه، وسارة زوجته، أو المراد بعد مجيئه إلى الشام، وحينما كثر المؤمنون به.

قوله: ﴿إذ قالوا﴾ هذا بدل اشتمال من ﴿إبراهيم والذين معه﴾ والمراد بقومهم النمرود وجماعته، أي فبارزوهم بالعداوة ولم يبالوا بهم، مع شدة بأسهم وضعف المؤمنين. قوله: ﴿إنا برآء منكم﴾ أي من دينكم وآلهتكم. قوله: ﴿وبدا﴾ أي ظهر بيننا وبينكم العداوة على ممر الأزمان، بدليل ذكر الأبد، والعداوة المباينة ظاهراً، والبغضاء المباينة بالقلوب، وفي الحقيقة هما متلازمان. قوله: [بتحقيق الهمزتين] الخ، أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [مستثنى من أسوة حسنة] أي وساغ ذلك لأن القول من جملة الأسوة، فكأنه قيل لكم فيه أسوة في أفعاله وأقواله، إلا قوله كذا. قوله: [أي فليس لكم التأسي به] أي لأن استغفاره له لرجائه إسلامه، فلما ظهر أنه عدو لله تبرأ منه.

قوله: ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ هذه الآية باعتبار معناها الوضعي، تكون من جملة ما يقتدى به فيه، لأن محصله أنه لا يملك له ثواباً ولا عقاباً، على حد ليس لك من الأمر شيء، وهذا ثابت لإبراهيم وغيره، وليس مراداً هنا، بل المراد معناها الكنائي، وهو أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو غير مقتدى به فيه، وحينئذ فقوله: ﴿وما أملك﴾ معطوف على ﴿لأستغفرن لك﴾ وأشار المفسر لذلك بقوله: [كني به] الخ. قوله: [فهو مبني عليه] أي معطوف على ﴿لأستغفرن﴾ ومرتبط به ساقه اعتذاراً. قوله: [مستثنى من حيث المراد منه] أي وهو المعنى الكنائي. قوله: [وإن كان من حيث] الخ، مبالغة على أنه ليس مراداً، وإن كان معناه الوضعي. قوله: [فمن يملك] هذا دليل للمعنى الوضعي الغير المراد. قوله: [واستغفاره] هذا بيان لعذر إبراهيم في استغفاره لأبيه، وذلك أنه لم يستغفر له إلا لرجاء إيمانه، ولما مات على الكفر رجع عن ذلك، كما قال تعالى ﴿وما كان استغفار إبراهيم﴾ الخ. والحاصل أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار في سورة مريم بقوله ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً﴾ واستغفر له بالقول في سورة الشعراء في قوله تعالى ﴿واغفر لأبي﴾ ثم رجع عن ذلك كما بينه الله في سورة براءة. قوله: [من قول الخليل] الخ، أي الذي يقتدى به فيه، فهو في المعنى مقدم على جملة الاستثناء. قوله: [أي قالوا] أي فهو مقول القول السابق في ﴿قالوا إنا برآء منكم﴾ أي قالوا ذلك وقالوا ﴿ربنا﴾ الخ، ويصح أن يكون أمراً من الله للمؤمنين، تتميماً لما أمرهم به من ترك موالاة الكفار، أي أظهروا لهم العداوة، ولا يهولكم أمرهم، وقالوا ﴿ربنا﴾ الخ، ومعنى

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾[٤]: مِن مقول الخليل ومن معه أي قالوا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا أي تذهب عقولهم بنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٥]: في ملكك وصنعك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾: يا أمة محمد جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾: بدل اشتمال من كم بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾: أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾: عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾[٦]: لأهل طاعته ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾: من كفار مكة طاعة لله تعالى ﴿مَّوَدَّةً﴾: بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾: على ذلك وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: لهم ما سلف ﴿رَّحِيمٌ﴾[٧]: بهم ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾: من الكفار ﴿فِي

﴿توكلنا﴾ فوضنا أمرنا، وقوله: ﴿وإليك أنبنا﴾ أي رجعنا بالتوبة عن كل ما تكره منا، وقوله: ﴿إليك المصير﴾ المرجع في الآخرة. قوله: [أي لا تظهرهم] أي تجعلهم غالبين علينا، وقوله: [فيظنوا أنهم على الحق] يعني إن ظفروا بنا، وقوله: [فيفتنوا] أي يزدادوا كفراً ويدوموا عليه، لأن الاستدراج يوجب زيادة الكفر. قوله: ﴿واغفر لنا﴾ أي عما مضى من الذنوب.

قوله: ﴿لقد كان لكم فيهم﴾ هذه الجملة تأكيد لقوله سابقاً ﴿قد كانت لكم أسوة﴾ الخ، أتي بها للمبالغة في التحريض على الأتباع لإبراهيم وأمته. قوله: [أو يظن الثواب والعقاب] تفسير ثان لمعنى الرجاء والمراد بظن الثواب الخ الإيقان بذلك. قوله: ﴿ومن يتول﴾ أي يعرض عن الاقتداء بإبراهيم، وجواب الشرط محذوف تقديره فوباله على نفسه، وقوله: ﴿فإن الله﴾ الخ، تعليل للجواب.

قوله: ﴿عسى الله﴾ الخ، هذا تسلية للمؤمنين، في عدم موالاة الكفار الذين أمروا به في أول السورة، فشدد المسلمون على أنفسهم في هجر الكفار، فوعد الله المسلمين بإسلام أقاربهم الكفار، فيوالونهم موالاة جائزة مطلوبة، ويجمع الله الشمل بعد التفرق. قوله: ﴿منهم﴾ أي من الكفار، فهو حال من ﴿الذين﴾ أي حال كون الذين عاديتموهم من جملة الكفار، وقوله: [طاعة الله] مفعول لأجله، أي حصلت المعاداة لأجل طاعة الله. قوله: ﴿والله قدير﴾ أي فلا يستبعد عليه ذلك الجعل المذكور. قوله: [وقد فعله] أي بأن أسلم غالب كفار مكة، فصاروا أحباباً وإخواناً. قوله: ﴿والله غفور﴾ [لهم] أي للذين عاديتموهم، بأن محا عنهم ما سلف بسبب الإيمان.

قوله: ﴿لا ينهاكم﴾ نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أول السورة، لأن الآية الأولى عامة في سائر الكفار مطلقاً، ولو كانوا مصالحين، ثم بين هنا، أن من كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلح ومهادنة، تجوز مودتهم، ولم يكن النهي شاملاً لهم كخزاعة وبني الحرث، وعلى هذا تكون الآية محكمة، فيجوز الآن للمسلمين موادة الكفار الذين تحت الذمة والصلح، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿لم يقاتلوكم﴾ أي لم يبتدئوكم بالقتال، ولو لم يكن بينكم وبينهم صلح، وهذا كان في أول الأمر بالجهاد، ثم نسخ بالأمر بالقتال عموماً بقوله تعالى ﴿فاقتلوا

---

* أسباب نزول الآية ٨: وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي راغبة، فسألت النبي ﷺ أأصلها؟ قال: نعم، فأنزل الله فيها ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾، وأخرج أحمد والبزار والحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر، وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، فقدمت على بنتها بهدايا فأبت أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها فأنزل الله ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ الآية.

﴿الَّذِينَ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾: بدل اشتمال من الذين ﴿وَتُقْسِطُوا﴾: تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾: بالقسط أي بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^٨: العادلين ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾: عاونوا ﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتمال من الذين أي تتخذوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾: بألسنتهن ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾: من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾: بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضاً لأزواجهن الكفار ولا عشقاً لرجال من المسلمين كذا كان ﷺ يحلفهن ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾: ظننتموهن بالحلف ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾: تردوهن ﴿إِلَى

المشركين حيث وجدتموهم﴾. قوله: ﴿في الدين﴾ أي لأجل دينكم. قوله: [بدل اشتمال] أي فالمعنى: لا ينهاكم الله عن أن تبروهم، والبر هو الإحسان. قوله: [تفضوا] إنما فسر ﴿تقسطوا﴾ بمعنى [تفضوا] ليصح تعديته بإلى. قوله: [أي بالعدل] هذا لا يخص هؤلاء فقط، بل العدل واجب مع كل أحد ولو قاتل، فالأولى تفسيره بالإعطاء، أي تعطوهم قسطاً من أموالكم، فعطف القسط على البر، من عطف الخاص على العام. قوله: [وهذا قبل الأمر بجهادهم] يشير بذلك إلى أن الآية منسوخة وقد علمت ما فيه. قوله: [العادلين] أي على تفسير القسط بالعدل، وعلى تفسير القسط بالإعطاء، فالمراد بالمقسطين المحسنون. قوله: ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ أي وهم أهل مكة. قوله: [بدل اشتمال] أي إنما ينهاكم الله عن أن تتوالوهم. قوله: ﴿الظالمون﴾ فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ لما أمر الله المسلمين بهجر الكفار، اقتضى ذلك عدم مساكنتهم والهجرة إلى المسلمين، خوفاً من الموالاة المنهي عنها، وكان التناكح من أقرب أسباب الموالاة بين أحكام الزوجين في هذه الآية، وسبب نزولها: أن النبي ﷺ لما عقد الصلح مع الكفار عام الحديبية، على شرط أن من أتى النبي من أهل مكة يرده إليهم وإن كان مسلماً، جاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مهاجرة للنبي، فجاء زوجها صيفي بن الراهب، وقيل المسافر المخزومي، وكان كافراً فقال: يا محمد اردد علي امرأتي، فأنت شرطت ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت، فأعطى زوجها ما أنفق، وتزوجها عمر بن الخطاب. قوله: [بألسنتهن] أي ناطقات بالشهادتين بألسنتهن. قوله: [من الكفار] أي حال كونهن من جملة الكفار، أو متعلق بجاءكم. قوله: [بعد الصلح] متعلق بمهاجرات أو بجاءكم. قوله: [على أن من جاء منهم] أي مؤمناً.

قوله: ﴿فامتحنوهن﴾ [بالحلف] أي حلفوهن هل هن مسلمات حقيقة أم لا؟ وسبب الامتحان، أنه كان من أرادت من الكفار إضرار زوجها قالت: سأهاجر إلى رسول الله، فلذلك أمر بالامتحان. قوله: ﴿الله أعلم بإيمانهن﴾

* أسباب نزول الآية ١٠: وأخرج الشيخان عن المسور ومروان بن الحكم: أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ إلى قوله ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾. وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهدنة فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله ﷺ وكلماه في أم كلثوم أن يردها إليهم فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء ومنع أن يرددن إلى المشركين، فأنزل الله آية الإمتحان.

وأخرجك ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه أنها نزلت في أميمة بنت بشر امرأة أبي حسان الدحداحة، وأخرج عن مقاتل أن امرأة تسمى سعيدة كانت تحت صيفي بن الراهب وهو مشرك من أهل مكة جاءت زمن الهدنة فقالوا ردها علينا فنزلت، وأخرج ابن جرير عن الزهري أنها نزلت عليه وهو بأسفل الحديبية وكان صالحهم أنه من أتاه رد إليهم فلما جاءهه النساء نزلت هذه الآية. وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب فتأخرت امرأته في المشركين فأنزل الله ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾.

﴿ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم﴾: أي أعطوا الكفار أزواجهن ﴿مَّا أَنفَقُوا﴾: عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: بشرطه ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾: زوجاتكم لقطع إسلامكم لها بشرطه أو اللاحقات بالمشركين مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَاسْأَلُوا﴾: اطلبوا ﴿مَا أَنفَقْتُمْ﴾: عليهن من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجهن من الكفار ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا﴾: على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: به ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾: أي واحدة فأكثر منهن أو شيء من مهورهن بالذهاب ﴿إِلَى

أي بصدقه. قوله: ﴿فلا ترجعوهن﴾ أن لا يحل لكم أن تردوهن إلى الكفار، قال تعالى ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾. قوله: ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ أي ما دفعوا لهن من المهور، كما فعل النبي ﷺ ذلك مع زوج سبيعة. قوله: [بشرطه] أي وهو انقضاء عدتها في الإسلام، إن كان مدخولاً بها، والولي والشاهدان وبقية شروط الصحة في المدخول بها وغيرها. قوله: [وبالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿بعصم الكوافر﴾ جمع عصمة وهي هنا عقد النكاح، والكوافر جمع كافرة، كضوارب جمع ضاربة، وقوله: [زوجاتكم] أي المتأصلات في الكفر اللاتي أسلمتم عنهن، وهذا النعت المقدر هو المعطوف عليه قوله: [واللاحقات] الخ، وصورة المسألة أن الزوج أسلم عن زوجته الكافرة، فهذا نهي للمؤمنين عن بقائهم على عصم المشركات الباقيات على الكفر، بخلاف إسلامهم عن الكتابيات فلا ينفسخ نكاحهم، فإن النكاح بهن يجوز للمسلم ابتداء، فلا يمنع من البقاء عليهن بعد الإسلام. قوله: [لقطع إسلامكم لها بشروطه] أي شرط القطع، وهو أن لا يجمعهما الإسلام في العدة، فإن أسلم وأسلمت بعده بشهر ونحوه، وأسلمت قبله وأسلم بعدها في العدة، والموضوع أنه مدخول بها، أقر عليها في الصورتين. قوله: [أو اللاحقات] معطوف على النعت المقدر بعد [زوجاتكم] وصورتها: مسلمات أصالة تحت أزواج مسلمين، فوقعت منهن الردة والتحقن بالمشركين في ذلك. قوله: [بشرطه] أي وهو دوام الردة إلى وفاء العدة، فإن رجعت للإسلام قبل وفاء العدة، ترجع له من غير عقد، هكذا مذهب الإمام الشافعي في المدخول بها، وأما غيرها فتبين بمجرد الردة، وأما مذهب مالك فلا ترجع له إلا بعقد مطلقاً، سواء رجعت قبل العدة أو بعدها، فكلام المفسر على قاعدة مذهب الإمام الشافعي.

قوله: ﴿واسئلوا ما أنفقتم﴾ الخ، قال المفسرون: كان من ذهب من المسلمات مرتداً إلى الكفار المعاهدين، يقال للكفار هاتوا مهرها، ويقال للمسلمين إذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا إلى الكفار مهرها، وكان ذلك نصفاً وعدلاً بين الحالتين، ثم نسخ ذلك الأمر، فمن ارتدت لا تقر، ومن جاءتنا منهم مسلمة مهاجرة لا يأخذون لها مهراً. قوله: ﴿ذلكم حكم الله﴾ أي المذكور في هذه الآية، وقوله: ﴿يحكم بينكم﴾ استئناف أو حال بتقدير الرابط، وقد جرى عليه المفسر. قوله: ﴿فاتكم﴾ الخ هذه الآية أيضاً من تتمة قوله: ﴿واسئلوا ما أنفقتم﴾ فهو بمعناه ومحصله: أنه إن فر شيء أي امرأة أو أكثر إلى الكفار فغنمتم، فأعطوا الذين فرت أزواجهم من الغنيمة قبل قسمها قدر مهرها، فكأنه دين على الكفار، قال ابن عباس: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة مرتدات، فأعطى

---

* أسباب نزول الآية ١١: وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم﴾ الآية. قال: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقفي ولم ترتد امرأة من قريش غيرها.

﴿ٱلْكُفَّارِ﴾: مرتدات ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: فغزوتم وغنمتم ﴿فَآتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾: من الغنيمة ﴿مِثْلَ مَآ أَنْفَقُوا﴾: لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنْتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ ١١ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾: كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: أي بولد ملقوط ينسبنه إلى الزوج ووصف بصفة الولد الحقيقي فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي﴾: فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾: هو ما وافق طاعة الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيب وخمش الوجه ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾: فعل ذلك ﷺ بالقول ولم يصافح واحدة منهن

رسول الله ﷺ أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة. قوله: [مرتدات] حال من أزواج. قوله: [فغزوتم] فسر العقوبة بالغزو لحصولها به.

قوله: ﴿فآتوا﴾ بمد الهمزة أي أعطوا، روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا﴾ أدى المؤمنون مهور المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن المشركين، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور المرتدات إلى أزواجهن المسلمين، فأنزل الله ﴿وإن فاتكم﴾ الخ. قوله: [ثم ارتفع هذا الحكم] أي نسخ حكمه فصار الآن إذا ارتدت امرأة ولحقت بالمشركين، لا نأخذ لها مهراً بل ننتظرها، فمتى قدرنا عليها استتبناها، فإن تابت وإلا قتلت، كما أن من فرت من الكفار مسلمة، لا ندفع لها مهراً.

قوله: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات﴾ الخ، أي من أهل المدينة أو مكة أو غيرهن، ولكن الآية نزلت في فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من مبايعة الرجال. قوله: ﴿يبايعنك﴾ أي يعاهدنك، وسماه مبايعة لأنه مقابلة شيء بشيء، وهو الإيمان وتوابعه، في مقابلة الجنة والرضوان، ويبايعن مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، والكاف مفعول. قوله: ﴿على أن لا يشركن﴾ نهاهم في هذه المبايعة عن ستة أشياء، ولم يقابلها بأوامر لأن النهي عن هذه يستلزم الأمر بضدها.

قوله: ﴿ولا يسرقن﴾ روي أنه لما قال النبي لهن ذلك، قالت هند امرأة أبي سفيان: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل علي حرج إذا أخذت ما يكفيني وولدي؟ قال: لا، إلا بالمعروف، فخشيت هند أن تقتصر على ما يعطيها فتضيع، أو تأخذ فتكون ناقضة للبيعة، فلذلك أمرها بالمعروف في الأخذ، ومحل جواز الأخذ بغير إذن إذا كان غير محجور، وأما إذا حجره بقفل ونحوه فيحرم الأخذ، وإن أخذت تعد سارقة وتقطع يدها، فلما قال رسول الله ﴿ولا يزنين﴾ قالت هند: أو تزني الحرة؟! فلما قال ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ قالت: ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً، وعرضت بولدها حنظلة فإنه قتل يوم بدر، فضحك عمر، وتبسم رسول الله ﷺ، فلما قال ﴿ولا يأتين ببهتان﴾ قالت: والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، وكانت هذه البيعة في مكة عند الصفا، فاجتمع له من النسوة أربعمائة وسبع وخمسون امرأة فآمن. قوله: [من وأد البنات] أي دفنهن أحياء. قوله: [أي بولد ملقوط] أي فكانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لعدم الحمل، التقطت ولداً ونسبته له ليبقيها عنده، فأشار المفسر بقوله: [أي بولد] إلى أنه المراد بالبهتان المفترى، وليس المراد الزنا، لتقدمه في النهي صريحاً. قوله: [كترك النياحة] أي فالمراد بالمعروف، هو ما عرف حسنه في الشرع، وهو اسم جامع لكل خير.

قوله: ﴿فبايعهن﴾ جواب ﴿إذا جاءك المؤمنات﴾ أي التزم لهن الثواب إذا التزمن ذلك. قوله: [بالقول] هذا هو

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٢ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾: أي من ثوابها مع إيقانهم بها لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾: الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَابِ ٱلْقُبُورِ﴾ ١٣: أي المقبورين من خير الآخرة إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

الصحيح، وقيل: إنه صافحهن بحائل لما روي: أنه بايع النساء وبين يديه وأيديهن ثوب، وقالت أم عطية: لما قدم المدينة، جمع نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب على الباب، فسلم فرددن عليه السلام، فقال: أنا رسول رسول الله إليكن أن لا تشركن بالله شيئاً الآية، فقلن: نعم، فمد يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: اللهم أشهد. قوله: ﴿واستغفر لهن الله﴾ أي مما سلف منهن.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ ختم للسورة بمثل ما افتتحها به، وهو النهي عن موالاة الكفار، وهذا من البلاغة، ويقال له: رد العجز على الصدر. قوله: ﴿غضب الله عليهم﴾ نعت لقوماً، وقوله: ﴿قد يئسوا﴾ نعت ثان. قوله: [هم اليهود] أشار المفسر بذلك إلى سبب نزول الآية، وهو أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يوصلون اليهود بأخبار المسلمين، ليعطوهم من ثمارهم، فنزلت، وقيل: المراد بالمغضوب عليهم جميع الكفار. قوله: [لعنادهم] علة ليأسهم مع إيقانهم بها، فلا حظ لهم فيها ولا ثواب.

قوله: ﴿من أصحاب القبور﴾ مشى المفسر على أن قوله: ﴿من أصحاب القبور﴾ صفة للكفار، والميؤوس منه محذوف قدره بقوله: [من خير الآخرة] أي أن اليهود يئسوا من الآخرة، كيأس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة، وقيل: إن قوله: ﴿من أصحاب القبور﴾ هو الميؤوس منه، والمعنى: أن اليهود أيسوا من الآخرة، كيأسهم من أصحاب القبور، لأنهم ينكرون البعث، وقيل: كما يئس الكفار المقهورون من رجوعهم إلى الدنيا، احتمالات ثلاث. قوله: [إذ تعرض عليهم] أي وهم في القبور. قوله: [لو كانوا آمنوا] أي قبل الموت. قوله: [وما يصيرون إليه] معطوف على [مقاعدهم] أي ويعرض عليهم ما يصيرون إليه من النار.

* * *

• أسباب نزول الآية ١٣: وأخرج ابن المنذر من طريق ابن اسحاق عن محمد عن عكرمة وأبو سعيد عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجالاً من يهود، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ الآية.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة الصف

[مكية أو مدنية وهي أربع عشرة آية]

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي نزهه فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليباً للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾[١]: في صنعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ﴾: في طلب الجهاد ﴿مَا لَا

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الصف مكية أو مدنية

وهيَ أربع عشرة آيَة

أي في قول عكرمة وقتادة والحسن، وبه جزم في الكشاف. قوله: [أو مدنية] أي وهو قول الجمهور. قوله: [فاللام مزيدة] أي للتأكيد، وقيل للتعليل، أي سبحوا لأجل الله ابتغاء وجهه، لا طلباً لثواب، ولا خوفاً من عقاب، وهذا أعلى مراتب العمل، وقد تقدم نظير ذلك، وأعاد ما الموصولة في قوله: ﴿وما في الأرض﴾ هنا، وفي الحشر والجمعة والتغابن لأنه الأصل، وتركه في الحديد مشاكلة لقوله فيها بعد ﴿ما ملك السموات والأرض﴾ وقوله ﴿هو الذي خلق السموات والأرض﴾. قوله: ﴿لم تقولون﴾ استفهام إنكاري، جيء به للتوبيخ لمن يدعي ما ليس فيه، فإن وقع ذلك إخباراً عن أمر في الماضي فهو كذب، وإن وقع في المستقبل يكون خلفاً للوعد، وكلاهما مذموم، ولام الجر داخلة على ما الاستفهامية، وحذفت ألفها لذلك قال ابن مالك:

وما في الاستفهام إن جرت حذف ألفها وأولها الها إن تقف

قوله: [في طلب الجهاد] سبب نزول هذه الآية: أنه لما سمع أصحاب رسول الله، مدح الجهاد ومدح أهل بدر، قالوا: لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد، فنزلت هذه الآية توبيخاً لهم، وهذا خارج مخرج التخويف والزجر، وقيل: نزلت في المنافقين، كانوا يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: إن خرجتم وقاتلتم، خرجنا معكم وقاتلنا، فلما خرج النبي وأصحابه، نكصوا على عقبهم وتخلفوا، وحينئذ فتسميتهم مؤمنين بحسب الظاهر، والذم على حقيقته.

---

(١) أسباب نزول الآية ١ و٢: أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه. فأنزل الله ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

تفعلون﴾ ٢: إذا انهزمتم بأحد ﴿كبر﴾: عظم ﴿مقتاً﴾: تمييز ﴿عند الله أن تقولوا﴾: فاعل كبر ﴿ما لا تفعلون﴾ ٣ إن الله يحب﴾: ينصر ويكرم ﴿الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾: حال أي صافين ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ ٤: ملزق بعضه إلى بعض ثابت ﴿و﴾: اذكر ﴿إذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني﴾: قالوا: إنه آدر أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه ﴿وقد﴾: للتحقيق ﴿تعلمون أني رسول الله إليكم﴾: الجملة حال والرسول يحترم ﴿فلما زاغوا﴾: عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾: أمالها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٥: الكافرين في علمه ﴿و﴾: اذكر ﴿إذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل﴾: لم يقل يا قوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة ﴿إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي﴾: قبلي ﴿من التوراة ومبشراً برسول يأتي من

قوله: [إذ انهزمتم بأحد] تعليل لقوله: ﴿ما لا تفعلون﴾. قوله: [تمييز] أي محول عن الفاعل، والأصل كبر مقت قولهم، والمقت أشد البغض، وهو من أمثلة التعجب في مقام الذم. قوله: [ينصر ويكرم] هذا معنى المحبة في حق الله لأن حقيقتها وهو ميل القلب مستحيل على الله، ومن لازم الميل الإكرام والنصر، فأطلق على الله باعتبار هذا الكلام. قوله: [حال] أي من الواو في ﴿يقاتلون﴾ وقوله: [أي صافين] فسره بمشتق لصحة الحالية، ومفعوله محذوف أي أنفسهم. قوله: [ملزق بعضه إلى بعض] أي كأنه بني بالرصاص، أو معنى المرصوص: الملتئم الأجزاء، المستويها، المحكمها، ومن كان كذلك لا يهزم ولا يقاوم.

قوله: ﴿وإذ قال موسى﴾ ذكر قصة موسى وعيسى إجمالاً، تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام، ليصبر على أذى قومه، وتذكيراً لتفاصيلها المتقدمة، وابتدأ بقصة بموسى لأسبقيته في الزمن. قوله: [قالوا إنه آدر] بسبب تهمتهم له بذلك، ستره للعورة من صغره فلم يروه فعيبوه بذلك، وتقدم ذلك عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ الآية. قوله: [وكذبوه] معطوف على [قالوا] أي عيبوه في جسمه، وأنكروا ما جاء به وكذبوه. قوله: ﴿وقد﴾ [للتحقيق] أي تحقق علمهم برسالته، وذلك يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه.

قوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ مقتضى هذا التركيب، أن زيغهم سبب لإزاغة الله قلوبهم، مع أن الأمر بالعكس لأن العبد لا يزيغ، إلا إن أزاغه الله وصرفه عن الهدى. وأجيب: أنهم لما فعلوا سبب الزيغ، وهو إيذاء موسى، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وقت إيذائهم، على وفق ما أراده أزلاً، وقد أشار لذلك المفسر، ويشهد لذلك قضية إبليس، فإنه كان مطيعاً، فلما خالف مولاه وعاند زاغ، فأزاغ الله قلبه وطرده، موافقة لما نجزه بإرادته أزلاً، فزيغ العبد سبب لإزاغة الله له، باعتبار إظهاره القدرة لذلك الآن، على وفق ما أراده الله ونجزه أزلاً فليحفظ. قوله: [الكافرين في علمه] هذا جواب عما يقال: إن الله هدى كثيراً من الكفار بأن وفقهم للإسلام. وحاصل الجواب: أن من أسلم وهداه الله، لم يكن في الأزل مكتوباً كافراً، وأما من علم الله كفره في الأزل لا يهديه، ولا بد من موته على الكفر، ولو عاش طول عمره مسلماً.

قوله: ﴿وإذ قال عيسى﴾ معمول لمحذوف تقديره [اذكر] وإنما كررت قصة موسى وعيسى، بل وقصة غيرهما، لأن المقصود الاتعاظ ودوامه، فإذا ذكر الشيء أولاً وثانياً، كان المقصود منه دوام تذكره والاعتبار به، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل. قوله: [لأنه لم يكن له فيهم قرابة] أي لأنه لا أب له فيهم، وإن كانت أمه من أشرافهم. إن قلت: هو منهم باعتبار أمه. قلت: النسب إنما هو من جهة الأب. قوله: ﴿مصدقاً﴾ حال من الضمير المستتر في رسول لتاويله

﴿بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم﴾: جاء أحمد الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الآيات والعلامات ﴿قَالُوا هَذَا﴾: أي المجيء به ﴿سِحْرٌ﴾: وفي قراءة ساحر أي الجائي به ﴿مُّبِينٌ﴾ ٦: بيّن ﴿وَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾: أشدّ ظلماً ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: بنسبة الشريك والولد إليه ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٧: الكافرين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾: منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة ﴿نُورَ اللَّهِ﴾: شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بأقوالهم إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ﴾: مظهر ﴿نُورِهِ﴾: وفي قراءة بالإضافة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ٨: ذلك ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾: يعليه ﴿عَلَى الدِّينِ

بمرسل، وكذا قوله: ﴿ومبشراً﴾ قوله: ﴿من التوراة﴾ خصها لأنها أشهر الكتب عندهم. قوله: ﴿يأتي من بعدي﴾ الجملة صفة لرسول، وكذا قوله: ﴿اسمه أحمد﴾ والياء في ﴿بعدي﴾ إما مفتوحة أو ساكنة، قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿اسمه احمد﴾ يحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبني للفاعل، والمعنى أكثر حامدية لله تعالى من غيره، ويحتمل أن يكون من المبني للمفعول، أي أكثر محمودية من غيره، أي كون الخلق يحمدونه أكثر، من كونهم يحمدون غيره، وخص أحمد بالذكر دون محمد، مع أنه أشرف أسمائه ﷺ لوجوه: الأول: كونه مذكوراً في الإنجيل بهذا الاسم. الثاني: كونه مسمى في السماء به، الثالث: لأن حمده لله سابق على حمد الخلق له في الدنيا ويوم القيامة، فحمده قبل شفاعته لأمته، وحمد الخلق له بعدها، وقال بعضهم: إنه ﷺ له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى، كرؤوف ورحيم. قوله: [جاء أحمد للكفار] هذا أحد قولين للمفسرين في مرجع الضمير في جاءهم، والثاني أنه عائد على عيسى. قوله: [أي المجيء به] اسم مفعول من جاء، وأصله مجيوء بوزن مضروب، نقلت ضمة الياء للساكن قبلها وهو الجيم، فالتقى ساكنان الواو والياء، فحذفت الواو وكسرت الجيم. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك الى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [ووصف آياته] بالجر عطف على نسبة.

قوله: ﴿وهو يدعى إلى الإسلام﴾ الجملة حالية، أي يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله. قوله: [منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة] أي في مفعول ﴿يريدون﴾ للتوكيد، ويصح أن تكون للتعليل، والمفعول محذوف، والتقدير يريدون إبطال القرآن ليطفئوا، وهناك طريقة لبعض النحويين، أن اللام بمعنى أن الناصبة، فيكون الفعل منصوباً بها. قوله: [شرعه وبراهينه] هذا أحد أقوال في تفسير النور، وقيل هو القرآن، وقيل الإسلام، وقيل محمد ﷺ. وقيل إنه مثل مضروب بمن أراد إطفاء الشمس بفيه، فكما أنه لا يفيد ذلك من أراد إبطال الحق فلا يفيده، وفي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه الأبطال بالأطفاء، واستعار اسم المشبه به للمشبه، اشتق من الاطفاء بمعنى يبطلون، وسبب نزول هذه الآية: أن رسول الله ﷺ أبطأ عليه الوحي اربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، واتصل الوحي بعدها.

قوله: ﴿والله متم نوره﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يريدون﴾ وقوله: [مظهر] ﴿نوره﴾ هذا جواب عما يقال: إن الاتمام لا يكون إلا بعد النقصان، فأجاب: بأن المراد بالاتمام اظهاره في المشارق والمغارب. قوله: [وفي قراءة بالاضافة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿ولو كره الكافرون﴾ بدل من قوله: ﴿والله متم نوره﴾. قوله: ﴿بالهدى﴾ أي

﴿كُلِّهِ﴾: جميع الأديان المخالفة له **﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾**٩: ذلك **﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم﴾**: بالتخفيف والتشديد **﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**١٠: مؤلم فكأنهم قالوا نعم فقال: **﴿تُؤْمِنُونَ﴾**: تدومون على الإيمان **﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**١١: إنه خير لكم فافعلوه **﴿يَغْفِرْ﴾**: جواب شرط مقدر إن تفعلوه يغفر **﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾**: إقامة **﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾**١٢ **﴿وَ﴾**: يؤتكم نعمة **﴿أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ﴾**

البيان الشافي، والمراد به القرآن والمعجزات الظاهرة. قوله: **﴿ولو كره المشركون﴾** إنما عبر أولاً بالكافرون، وثانياً بالمشركون، لأن الرسول في ابتداء أمره يأتي بالتوحيد ويأمر به، فيخالفه المشركون، فإذا ظهر أمره واشتهر، حسده جميع الكفار، وأرادوا أبطال ما جاء به من المعجزات والبراهين، فعبر في كل بما يناسبه.

قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم﴾** الخ سبب نزول هذه الآية، قول الصحابة لرسول الله: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به، وقيل: نزلت في عثمان بن مظعون، وذلك أنه قال لرسول الله ﷺ: لو اذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبداً، ولا أفطر النهار أبداً، فقال ﷺ «إن من سنتي النكاح، ولا رهبانية في الإسلام، وإنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله، وخصاء أمتي الصوم، ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم، فمن رغب عن سنتي فليس مني» فقال عثمان: وددت يا نبي الله أن أعلم أي التجارات أحب إلى الله فأتجر فيها؟ فنزلت، والاستفهام إخبار في المعنى، وذكر بلفظ الاستفهام تشويقاً، لكونه أوقع في النفس، وتسمية الجهاد تجارة لقوله تعالى **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾** الآية. قوله: **[بالتخفيف والتشديد]** سبعيتان.

قوله: **﴿تؤمنون﴾** في محل رفع خبر مبتدأ مقدر، أي وهي تؤمنون، أو جملة مستأنفة لا محل لها من الأعراب، واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ما هي؟ فأجاب بما ذكر. قوله: **﴿ذلكم﴾** أي المذكور من الإيمان والجهاد. قوله: **﴿خير لكم﴾** أي من كل شيء. قوله: **﴿إن كنتم تعلمون﴾** أشار المفسر الى أن الجواب مقدر، والى أن **﴿تعلمون﴾** متعد حذف مفعوله. قوله: **﴿من تحتها﴾** أي من تحت أشجارها وغرفها. قوله: **﴿ومساكن طيبة﴾** الخ، روي عن الحسن قال: سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى **﴿ومساكن طيبة﴾** فقال: على الخبير سقطت، سألت رسول الله ﷺ عنها فقال: «قصر من لؤلؤة في الجنة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، في كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفاً أو وصيفة، فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة، ما يأتي على ذلك كله».

قوله: **﴿ذلك﴾** أي المذكور من غفران الذنوب وادخال الجنان. قوله: **[ويؤتكم نعمة]** **﴿أخرى﴾** أشار المفسر

---

* أسباب نزول الآية ١٠: وأخرج عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة﴾ الآية، فكرموا الجهاد، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس نحوه. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس وابن جرير عن الضحاك قال: أنزلت ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل، وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في توليهم يوم أحد.
* أسباب نزول الآية ١١: وأخرجك عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين فنزلت ﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾.

﴿قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٣]: بالنصر والفتح ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ ٱللَّهِ﴾: لدينه وفي قراءة بالإضافة ﴿كَمَا قَالَ﴾: الخ المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي من الأنصار الذين يكونون معي متوجهاً إلى نصرة الله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللَّهِ﴾: والحواريون أصفياء عيسى وهم أول من آمن به وكانوا إثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: بعيسى وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾: لقولهم إنه ابن الله رفعه إليه فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قوينا ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾: الطائفة الكافرة ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[١٤]: غالبين.

بتقدير هذا العامل الى أن ﴿أخرى﴾ صفة لمحذوف مفعول لفعل مقدر، وهذا المقدر معطوف على المذكور قبله، والمراد يؤتكم في الدنيا، فهو إخبار عن نعمة الدنيا، بعد الاخبار عن نعمة الآخرة. قوله: ﴿نصر من الله﴾ خبر مبتدإ مضمر، أي تلك النعمة الأخرى نصر من الله، وقوله: ﴿وفتح قريب﴾ أي معجل، وهو فتح مكة، أو فارس والروم ﴿وبشر المؤمنين﴾ معطوف على محذوف أي ﴿قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم﴾ الخ، ﴿وبشر المؤمنين﴾ والمعنى: أخبر عامة المؤمنين، بأن هذا الفضل العظيم عام، لكل من اتصف بما تقدم من الإيمان وما بعده. قوله: [وفي قراءة بالاضافة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [كما كان الحواريون كذلك] أي أنصار الله، والمعنى: كونوا أنصار الله معي، كما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله: ﴿من أنصاري الى الله﴾؟ قوله: ﴿نحن أنصار الله﴾ من إضافة الوصف إلى مفعوله، أي نحن الذين ينصر الله، أي ننصر دينه كما تقدم. قوله: [وقيل كانوا قصارين] فعلى هذا الحور قائم بالثياب، وعلى الأول قائم بذواتهم.

قوله: ﴿فآمنت طائفة﴾ مرتبط بمحذوف تقديره: فلما رفع عيسى إلى السماء، افترق الناس فيه فرقتين ﴿فآمنت طائفة﴾ الخ، وروي عن ابن عباس: لما رفع عيسى تفرق قومه ثلاث فرق، فرقة قالت: كان الله فارتفع، وفرقة قالت: كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالت: كان عبد الله ورسوله فرفعه، وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا، وظهرت الفرقتان الكافرتان، حتى بعث الله محمداً ﷺ، فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرتين، فذلك قوله تعالى ﴿فأيدنا الذين آمنوا﴾ الآية. قوله: [فاقتتلت الطائفتان] أي وظهرت الكافرة، حتى بعث الله محمداً، ظهرت المؤمنة على الكافرة. روى المغيرة عن إبراهيم قال: وأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة، بتصديق محمد ﷺ أن عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله.

* * *

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم
سورة الجمعة

[مدنية وهي إحدى عشر آية]

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: ينزهه فاللام زائدة ﴿مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: في ذكر ما تغليب للأكثر ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾: المنزه عما لا يليق به ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[1]: في ملكه وصنعه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾: العرب والأمي من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: هو محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام ﴿وَإِنْ﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وإنهم ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾: قبل مجيئه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2]: بين ﴿وَآخَرِينَ﴾: عطف على الأميين أي الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾: والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾: لم ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾: في السابقة والفضل ﴿وَهُوَ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الجمعة مدنية

وهي إحدى عشرة آية

أي بالاجماع، وقوله: [إحدى عشرة آية] أي بلا خلاف. قوله: [فاللام زائدة] أو للتعليل، والمعنى: يسبح ما في السماوات وما في الأرض لأجل وجهه تعالى، لا يقصدون غرضاً من الأغراض، ففيه إشارة إلى أنه ينبغي للمكلفين أن يكونوا كذلك، وقد تقدم نظيره. قوله: ﴿الملك﴾ أي المتصرف في خلقه، بالايجاد والاعدام وغيرهما. قوله: [المنزه عما لا يليق به] أي من صفات الحوادث، وذكر ﴿القدوس﴾ عقبه دفعاً لما يتوهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك. قوله: ﴿في الأميين﴾ أي إليها، وكذا قوله: ﴿وآخرين منهم﴾ فهو على حد قوله ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ والحكمة في اقتصاره على الأميين، مع أنه رسول إلى كافة الخلق، تشريف العرب حيث أضيف إليهم. قوله: ﴿رسولاً منهم﴾ أي من جملتهم ومن نسبتهم، فما من حي من العرب إلا وله فيهم قرابة، ولهم عليه ولادة، إلا بني تغلب، فإن الله طهره منهم لنصرانيتهم كما قاله ابن اسحاق، والحكمة في كونه ﷺ أمياً مثلهم، لكونه في كتب الأنبياء منعوتاً بذلك، وأيضاً لدفع توهم الاستعانة بالكتابة، على ما أتى به من الوحي، ليكون حاله مماثلة لحال أمته الذين بعث فيهم، فيكون أقرب إلى صدقه، وأبعد من التهم، لكن وصف الأمية كمال في حقه، نقص في حق غيره.

قوله: ﴿يتلو عليهم آياته﴾ حال من قوله: ﴿رسولاً﴾. قوله: [يطهرهم من الشرك] أي يزيل عنهم الشبه وفساد العقيدة حتى يصيروا أزكياء. قوله: [مخففة من الثقيلة] أي بدليل وقوع اللام في خبرها. قوله: [عطف على الأميين] أي

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾٣: في ملكه وصنعه وهم التابعون والاقتصار عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير ممن يليه **﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾**: النبي ومن ذكر معه **﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَاةَ﴾**: كلفوا العمل بها **﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾**: لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يؤمنوا به **﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾**: أي كتباً في عدم انتفاعه بها **﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ﴾**: المصدقة للنبي ﷺ والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل **﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾٥**: الكافرين **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾٦**: تعلق بتمنوا الشرطان على أن

فهو مجرور، والمعنى: بعث إلى المؤمنين الموجودين، وإلى الآتين منهم بعدهم، فليست رسالته خاصة بمن كان موجوداً في زمنه، بل هي عامة لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة، وما تقدم في الأميين من قوله: **﴿يتلو عليهم آياته﴾** الخ، يجري في قوله: **﴿وآخرين﴾** لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان في زمنه، وبالواسطة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة. قوله: **[أي الموجودين منهم]** تفسير للأميين المعطوف عليه. قوله: **[والآتين]** تفسير لآخرين، وفي نسخة والآتين وهي مشاكلة لآخرين في عدم التعريف.

قوله: **﴿لما يلحقوا بهم﴾** أي في السبق إلى الإسلام والشرف، وهذا النافي مستمر دائماً، لأن الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في فضلهم أحد ممن بعدهم، ولذا فسر لمّا بلم، وذلك لأن منفي **[لم]** أعم من كونه متوقع الحصول أو لا، بخلاف **﴿لمّا﴾** فمنفيها متوقع الحصول وليس مراداً. قوله: **[والاقتصار عليهم]** أي على التابعين في تفسير الآخرين، وهو جواب عما يقال: ما حكمة الاقتصار على التابعين الذين هم أفضل ممن بعدهم، لزم منه تفضيلهم على جميع الناس إلى يوم القيامة، لأن كل قرن خير مما يليه. قوله: **[ممن بعث إليهم]** بيان لقوله: **[من عداهم]** وقوله: **[من جميع]** الخ بيان لقوله: **[ممن بعث إليهم]**. قوله: **[لأن كل قرن]** تعليل لقوله: **[كاف]**. قوله: **﴿ذلك﴾** أي ما ذكر من تفضيل الرسول وقومه. قوله: **[النبي]** تفسير لمن يشاء، وقوله: **[ومن ذكر معه]** هم الأميون والآخرون.

قوله: **﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾** هذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً **﴿حَمَلوا﴾** مخففاً مبنياً للفاعل. قوله: **[كلفوا بها]** أي القيام بها، فليس هو من الحمل على الظهر، بل هو من الحمالة وهي الكفالة. قوله: **﴿كمثل الحمار﴾** خص بالذكر لكونه أبلد الحيوانات. قوله: **﴿يحمل﴾** بفتح الياء وكسر الميم مخففة، وهي قراءة العامة، وقرئ شذوذاً **﴿يُحمَّل﴾** بضم الياء وفتح الميم مشددة، والجملة إما حال أو صفة، لأن القاعدة أن الجمل بعدما يحتمل التعريف والتنكير، تكون محتملة للوصفية والحالية، فالحالية نظراً لصورة التعريف، والوصفية نظراً لجريان الحمار مجرى النكرة، لأن المراد به الجنس. قوله: **[أي كتباً]** أي كباراً جمع سفر وهو الكتاب الكبير. قوله: **[في عدم انتفاعه بها]** بيان لوجه الشبه. قوله: **﴿مثل القوم﴾** فاعل **﴿بئس﴾** وقوله: **﴿الذين كذبوا﴾** صفة للقوم. قوله: **﴿بآيات الله﴾** أي دلائل وحدانيته وعظمته. قوله: **[الكافرين]** أي الذين سبق في علمه كفرهم، وهذا المثل يضرب لكل من تحمل القرآن ولم يعمل به.

قوله: **﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾** أي تمسكوا باليهودية وهي ملة موسى عليه السلام، وسبب نزولها: أن اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وادعوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فأمر النبي ﷺ أن يظهر كذبهم بتلك الآية.

الأول قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء الله والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ : من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ ٧ : الكافرين ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه﴾ : الفاء زائدة ﴿ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ : السر والعلانية ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ٨ : فيجازيكم به ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة من﴾ : بمعنى في ﴿يوم الجمعة فاسعوا﴾ : فامضوا ﴿إلى ذكر الله﴾ : أي الصلاة ﴿وذروا البيع﴾ : أي اتركوا عقده ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ٩ : أنه خير فافعلوه ﴿فإذا قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض﴾ : أمر إباحة ﴿وابتغوا﴾ : اطلبوا

قوله: ﴿أنكم أولياء﴾ هذه الجملة سدت مسد مفعولي زعم و﴿لله﴾ متعلق بأولياء وكذا قوله: ﴿من دون الناس﴾. قوله: [تعلق بتمنوا الشرطان] أي وهما ﴿إن زعمتم﴾ ﴿إن كنتم صادقين﴾. قوله: [على أن الأول قيد في الثاني] أي شرط فيه، وهذا إشارة لقاعدة، وهي أنه إذا اجتمع شرطان، وتوسط الجواب بينهما كان الأول قيداً في الثاني، وأما إن تأخر الجواب عنهما معاً، أو تقدم عليهما معاً، فإن الثاني يكون قيداً في الأول نحو: إن دخلت دار زيد، إن كلمت زوجته، فأنت طالق، فلا تطلق إلا بكلام الزوجة الكائن بعد دخول الدار، وأما دخول الدار وحده، أو الكلام خارج الدار، فلا تطلق به. قوله: [ومبدؤها] أي طريقها.

قوله: ﴿ولا يتمنونه﴾ عبر هنا بلا، وفي البقرة بلن، حيث قال: ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ إشارة إلى أنه نفى عنهم التمني، على كل حال مؤكداً كما في البقرة، وغير مؤكد كما هنا. قوله: ﴿بما قدمت إيديهم﴾ الباء سببية متعلقة بالنفي. قوله: [من كفرهم] بيان لما. قوله: ﴿الذي تفرون منه﴾ أي تخافون من تمنيه، مخافة أن ينزل بكم فتؤخذوا بأعمالكم. قوله: [الفاء زائدة] هذا أحد الوجهين، والثاني أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط، وحكم الموصوف بالموصول كحكم الموصول. قوله: [السر والعلانية] لف ونشر مرتب. قوله: ﴿إذا نودي للصلاة﴾ المراد به الأذان عند جلوس الخطيب على المنبر، وذلك لأنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء سواه، فكان له مؤذن واحد إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد، فإذا نزل أقام الصلاة، ثم كان أبو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك، حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل، زاد أذاناً آخر، فأمر بالتأذين أولاً على داره التي تسمى الزوراء، فإذا سمعوا أقبلوا، حتى إذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانياً، ولم يخالفه أحد في ذلك الوقت لقوله ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي». قوله: [بمعنى في] هذا أحد وجهين، والثاني أنها بيان لإذا نودي وتفسير لها.

قوله: ﴿يوم الجمعة﴾ بضمتين وهي قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بسكون الميم وفتحها، سميت بذلك لاجتماع الناس فيها للصلاة، وكانت العرب تسميه العروبة، واعلم أن أفضل الليالي: ليلة المولد، ثم ليلة القدر، ثم ليلة الإسراء، فعرفة، فالجمعة، فنصف شعبان، فالعيد، وأفضل الأيام يوم عرفة، ثم يوم نصف شعبان، ثم الجمعة، والليل أفضل من النهار. قوله: [فامضوا] أشار بذلك إلى أنه ليس من السعي الإسراع في المشي، إذ ليس بمطلوب ولو خاف فواتها، بل المراد به التوجه، والمشي عند الذهاب أفضل من الركوب إن لم يكن عذر، وبعد انقضاء الصلاة لا بأس به. قوله: [أي اتركوا عقده] أي فالمراد بالبيع العقد بتمامه، فهو خطاب لكل من البائع والمشتري، ومثل البيع والشراء الإجارة والشفعة والتولية والإقالة، فإن وقعت حرمت وفسخت عند مالك، وعند الشافعي تحرم ولا تفسخ. قوله: ﴿ذلكم﴾ أي المذكور من السعي، وترك الاشتغال بالدنيا. قوله: [أنه خير] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تعلمون﴾ محذوف، وقوله: [فافعلوه] جواب الشرط.

الرِّزق ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ﴾: ذكراً ﴿كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ *: تفوزون كان ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزل ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنفَضُّوا إِلَيْهَا﴾: أي التجارة لأنها مطلوبهم دون اللهو ﴿وَتَرَكُوكَ﴾: في الخطبة ﴿قَائِماً قُلْ مَا عِندَ

قوله: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي أديت وفرغ منها. قوله: ﴿فانتشروا في الأرض﴾ أي للتجارة والتصرف في حوائجكم. قوله: [أمر إباحة] أي فالمعنى يباح لكم الانتشار في الأرض، فلا حرج عليكم في فعله ولا تركه. قوله: ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ أتى به ثانية، إعلاماً بأن ذكر الله مأمور به في سائر الأحوال لا في خصوص الصلاة. قوله: [تفوزون] أي تظفرون بسعادتكم. قوله: [كان ﷺ] الخ شروع في بيان سبب نزول قوله تعالى ﴿وإذا رأوا تجارة﴾ الخ. قوله: [يخطب يوم الجمعة] أي بعد الصلاة كالعيدين. قوله: [فقدمت عير] أي من الشام قدم بها دحية بن خليفة الكلبي، وكان الوقت وقت غلاء في المدينة، وكان في تلك القافلة جميع ما يحتاج إليه الناس، من بر ودقيق وزيت وغيرها، فنزل بها عند أحجار الزيت، موضع بسوق المدينة، وضرب الطبل ليعلم الناس بقدومه فيبتاع منه، وقيل: الضارب للطبل أهل المدينة على العادة في أنهم كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق، وقيل: أهل القادم بها، قال قتادة: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات، كل مرة تقدم العير من الشام، ويوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة. قوله: [غير اثني عشر رجلاً] وفي رواية: أن الذين بقوا معه أربعون رجلاً، وفي أخرى أنهم ثمانية، وفي أخرى أنهم أحد عشر، وفي أخرى أنهم ثلاثة عشر، وفي أخرى أنهم أربعة عشر، وهذا منشأ الخلاف بين الأئمة في العدد الذي تنعقد به الجمعة، فصح عند مالك أنهم اثنا عشر، وصح عند الشافعي أنهم أربعون، وورد في الحديث أنه ﷺ قال «لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد، لسال بكم الوادي ناراً». قوله: ﴿انفضوا إليها﴾ أي والذي سوغ لهم الخروج، وترك رسول الله يخطب، أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة، لأنه كان يقدم الصلاة على الخطبة كالعيدين، فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية، قدم الخطبة وأخر الصلاة. قوله: [لأنها مطلوبهم] جواب عما يقال: لم أفرد الضمير مع أن المتقدم شيئان؟ ويجاب أيضاً: بأنه أفرد لأن العطف بأو، وخص ضمير المؤنث لما قاله المفسر.

قوله: ﴿وتركوك قائماً﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿انفضوا﴾ وفي قوله: ﴿قائماً﴾ إشارة إلى أن الخطبة تكون من قيام لا من جلوس، قال علقمة: سئل ابن مسعود، كان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ فقال: أما تقرأ ﴿وتركوك قائماً﴾ قال جمهور العلماء: الخطبة فريضة في صلاة الجمعة، وقال داود الظاهري: هي مستحبة، ويجب أن يخطب الإمام قائماً خطبتين يفصل بينهما بجلوس، وقال أبو حنيفة وأحمد: لا يشترط القيام ولا القعود، ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين، وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ، ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن، ويدعو للمؤمنين في الثانية، ولو ترك واحدة من هذه الخمسة، لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه، وذهب مالك إلى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة، وهو كلام مسجع مشتمل على تحذير وتبشير.

---

* أسباب نزول الآية ١١: أخرج الشيخان عن جابر قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير قد قدمت فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ وأخرج ابن جرير عن جابر أيضاً قال: كان الجواري إذا نكحوا يمرون بالكبر والمزامير ويتركون النبي ﷺ قائماً على المنبر وينفضون إليها فنزلت وكأنها نزلت في الأمرين معاً، ثم رأيت ابن المنذر أخرجه عن جابر لقصة النكاح وقدوم العير معاً من طريق واحد وأنها نزلت في الأمرين فلله الحمد.

ﷲ﴾: من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾: للذين آمنوا ﴿مِنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ﴾[١١]: يقال كل إنسان يرزق عائلته أي من رزق الله تعالى.

قوله: ﴿قل ما عند الله﴾ الخ، أي قل لهم تأديباً وزجراً لهم عن العود لمثل هذا الفعل. قوله: [من الثواب] بيان لما، والمراد به الثبات مع رسول الله ﷺ. قوله: ﴿خير﴾ اسم التفضيل باعتبار أن في اللهو والتجارة لذة دنيوية. قوله: [يقال كل إنسان] الخ أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل على بابه، فالرازقون متعددون لكن على سبيل المجاز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله وحده. قوله: [عائلته] أي عياله. قوله: [أي من رزق الله] تصحيح لهذا القول المذكور، والمعنى ليس المراد به أن كل إنسان يرزق عائلته بالاستقلال وبحوله وقوته، بل من رزق الله تعالى يجري على يديه.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة المنافقون

[مدنية وهي إحدى عشرة آية]

﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ : بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ : يعلم ﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [١] : فيما أضمروه مخالفاً لما قالوه ﴿ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ :

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة المنافقون مدنية

وهي إحدى عشرة آية

هكذا بالواو على الحكاية، وفي بعض النسخ بالياء. قوله: [مدنية] أي بالإجماع، وكذا قوله: [إحدى عشرة آية]. قوله: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ أي حضروا عندك كعبد الله بن أبي وأصحابه، وجواب الشرط قوله: ﴿قالوا﴾ وهو الأظهر، وقيل: جوابه محذوف، أي فلا تقبل منهم، وقيل: الجواب قوله: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ وهو بعيد، وسبب نزول هذه السورة أنه ﷺ لما غزا بني المصطلق، وازدحم الناس على الماء، اقتتل رجلان، أحدهما من المهاجرين جهجاه بن أسيد، وكان أجيراً لعمر، يقود له فرسه، والثاني من الأنصار اسمه سنان الجهني، كان حليفاً لعبد الله بن أبي اقتتلا، صاح جهجاه بالمهاجرين، وسنان بالأنصار، فأعان جهجاهاً رجل من فقراء المهاجرين ولطم سناناً، فقال عبد الله بن أبي: ما صحبنا محمداً إلا لنلطم وجوهنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم قال لقومه: ما فعلتم بأنفسكم، قد أنزلتموهم بلادكم، وقاسمتموهم في أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لتحولوا من عندكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، فسمع ذلك زيد بن أرقم فبلغه لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ لعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك؟ فحلف أنه ما قال شيئاً وأنكر، فهو قوله: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ الخ، فنزلت السورة.

قوله: ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ يحتمل أن الشهادة على بابها نفياً للنفاق عن أنفسهم، ويحتمل أن ﴿نشهد﴾ بمعنى نحلف. قوله: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ جملة معترضة بين قولهم ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ وبين قوله: ﴿والله يشهد﴾ الخ، وحكمة الاعتراض، أنه لو اتصل التكذيب بقولهم، لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب، فأتى بالاعتراض لدفع الإيهام. قوله: [فيما أضمروه] أي من أنك غير رسول، وسماه كذباً باعتبار هذا الذي أضمروه، هذا ما أفاده المفسر، وقيل: كذبهم هو قولهم ﴿نشهد﴾ لأن صدقها كونها من صميم القلب، وقولهم خلاف ما في القلب.

سترة على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا﴾: بها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي عن الجهاد فيهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢] ﴿ذَلِكَ﴾: أي سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾: باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾: بالقلب أي استمروا على كفرهم به ﴿فَطُبِعَ﴾: ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٣]: الإيمان ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: لجمالها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾: لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾: من عظم أجسامهم في ترك التفهم ﴿خُشُبٌ﴾: بسكون الشين وضمها ﴿مُسَنَّدَةٌ﴾: ممالة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾: تصاح كنداء في العسكر وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾: لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾: فإنهم يفشون سرك للكفار ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: أهلكهم ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٤]: كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾:

قوله: ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ بفتح الهمزة في قراءة العامة جمع يمين، وقرىء شذوذاً بكسرها بمعنى دعواهم إلى الإيمان والتصديق بما جاء به محمد. قوله: ﴿جنة﴾ بضم الجيم أي وقاية. قوله: ﴿ساء ما كانوا يعملون﴾ ﴿ساء﴾ كبئس في إفادة الذم، وفيها معنى التعجيب.

قوله: ﴿بأنهم آمنوا﴾ [باللسان] الخ، جواب عما يقال: إن المنافقين لم يحصل منهم إيمان أصلاً، بل هم ثابتون على الكفر، وإيضاحه أن ثم للترتيب الأخباري، ومعناه أنهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم. قوله: [لجمالها] قال ابن عباس: كان ابن أبي جسيماً صحيحاً فصيحاً طلق اللسان، وكان قوم من المنافقين مثله، وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس النبي ﷺ، ويستندون فيه إلى الجدر، وكان النبي ومن حضر يعجبون بهياكلهم. قوله: ﴿وإن يقولوا﴾ أي يتكلموا في مجلسك. قوله: ﴿تسمع﴾ أي تسمع بمعنى تصغي. قوله: ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ الجملة حالية من الضمير في قولهم أو مستأنفة. قوله: [في ترك التفهم] هذا بيان لوجه الشبه، والمعنى أنهم يشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط، في كونهم أشباحاً خالية عن العلم والنظر. قوله: [بسكون الشين وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أي إنهم من سوء ظنهم ورعب قلوبهم، يظنون كل نداء في العسكر، من إنشاد ضالة، أو مناداة صاعقة عليهم، وأنهم يرادون بذلك، فمقتضى كلام المفسر أن ﴿عليهم﴾ مفعول ثان ليحسبون. وقوله: ﴿هم العدو﴾ جملة مستأنفة. قوله: [لما في قلوبهم من الرعب] متعلق بيحسبون. قوله: [أن ينزل فيهم] متعلق بالرعب. والمعنى لما في قلوبهم من الرعب من أن ينزل فيهم قرآن، يكون سبباً لإباحة دمائهم. قوله: ﴿فاحذرهم﴾ مرتب على قوله: ﴿هم العدو﴾. قوله: ﴿قاتلهم الله﴾ إخبار بهلاكهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك. قوله: [أهلكهم] وقيل: معناه لعنهم وأبعدهم عن رحمته. قوله: [بعد قيام البرهان] أي على حقيقة الإيمان.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا﴾ الخ، روي أنه لما نزل القرآن بفضيحتهم وكذبهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا: ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم، فائتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق، واسألوه أن يستغفر لكم، فلووا رؤوسهم، أي حركوها إعراضاً وإباء، وروي أن ابن أبي لوى رأسه وقال لهم: قد أشرتم علي بالإيمان فآمنت، وبإعطاء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد، فنزل ﴿وإذا قيل لهم تعالوا﴾ الخ، فلم يلبث ابن أبي إلا

---

* أسباب نزول الآية ٥: أخرج ابن جركير عن قتادة قال: قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه فنزلت فيه ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ الآية، وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا﴾: بالتشديد والتخفيف عطفوا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يعرضون عن ذلك ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾: استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ ٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: لأصحابهم من الأنصار ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾: يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾: أي من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾: عنوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾: عنوا به المؤمنين ﴿وَلِلَّهِ

أياماً قلائل، حتى اشتكى ومات منافقاً. قوله: [بالتخفيف والتشديد] قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ورأيتهم يصدون﴾ رأى بصرية، وجملة ﴿يصدون﴾ حال من الهاء، وقوله: ﴿وهم مستكبرون﴾ حال من الواو في ﴿يصدون﴾. قوله: ﴿سواء عليهم﴾ الخ، هذا تيئيس من إيمانهم، أي إن استغفارك وعدمه سواء، فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم. قوله: [استغنى] أي في التوصل للنطق بالساكن قوله: [بهمزة الاستفهام] أشار بذلك إلى أن قراءة العامة بفتح الهمزة من غير مد، وهي في الأصل همزة الاستفهام، والآن همزة التسوية. قوله: ﴿الفاسقين﴾ أي الكافرين الذين سبق في علم الله كفرهم.

قوله: ﴿هم الذين يقولون﴾ الخ، استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم. قوله: [من الأنصار] أي المخلصين في الإيمان، وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال. قوله: ﴿على من عند رسول الله﴾ الظاهر أنه حكاية ما قالوه بعينه، لأنهم منافقون يقرون برسالته ظاهراً، ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة، فغيرها الله إجلالاً لنبيه ﷺ. قوله: ﴿حتى ينفضوا﴾ أي لأجل أن يتفرقوا، بأن يذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله بالمعاش. قوله: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ الجملة حالية، أي قالوا ما ذكر، والحال أن الرزق بيده تعالى لا بأيديهم، فالمعطي المانع هو الله تعالى، وإذا سد باب يفتح الله عشرة. قوله: ﴿لا يفقهون﴾ أي لا يفهمون أن لله خزائن السماوات والأرض.

قوله: ﴿يقولون لئن رجعنا﴾ الخ، حكاية لبعض قبائحهم التي قالوها. قوله: [من غزوة بني المصطلق] وكانت في السنة الرابعة، وقيل في الثالثة، وسببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحرث بن أبي ضرار، وهو أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل فوقع القتال، فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم، وكان سبيهم سبعمائة، فلما أخذ النبي جويرية من السبي لنفسه أعتقها وتزوجها، فقال المسلمون: صار بنو المصطلق أصهار رسول الله، فأطلقوا ما بأيديهم من السبي إكراماً لرسول الله، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: ما

---

* أسباب نزول الآية ٦: وأخرجك عن عروة قال: لما نزلت ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ قال النبي ﷺ: لأزيدن على السبعين فأنزل الله ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾ الآية، وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله. وأخرجه عن طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت آية براءة قال النبي ﷺ، وأنا أسمع: إني قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم فنزلت.

* أسباب نزول الآية ٧ و٨: أخرجك البخاري عن زيد بن أرقم قال: سمعت عبد الله بن أبي يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكر ذلك لعمي، فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ فدعاني النبي ﷺ فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فكذبني وصدقه فأصابني شيء لم يصبني قط مثله، فجلست في البيت فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: إن الله قد صدقك، له طرق كثيرة عن زيد، وفي بعضها أن ذلك في غزوة تبوك وأن نزول السورة ليلاً.

﴿ٱلْعِزَّةُ﴾: الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٨: ذلك ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾: تشغلكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: الصلوات الخمس ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ ٩ ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾: بمعنى هلاّ أو لا زائدة ولو للتمني ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾: بإدغام التاء في الأصل في الصاد أتصدق بالزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ ١٠: بأن أحج. قال ابن عباس رضي الله عنهما ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١١: بالتاء والياء.

أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية، ولقد اعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بني المصطلق.

قوله: ﴿ولله العزة﴾ الجملة حالية، أي قالوا ما ذكر، والحال أن العزة لله الخ، وعزة الله قهره وغلبته لأعدائه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم. قوله: ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ ختم هذه الآية بلا يعلمون، وما قبلها بلا يفقهون لأن الأول متصل بقوله: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ وفي معرفتها غموض يحتاج إلى فقه، فناسب نفي الفقه، وهذا متصل بقوله: ﴿ولله العزة﴾ الخ، وفي معرفة غموض زائد يحتاج إلى علم، فناسب نفي العلم عنهم.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الخ، نهي للمؤمنين عن التشبه بالمنافقين، في الاغترار بالأموال والأولاد. قوله: [الصلوات الخمس] هذا قول الضحاك، وقال الحسن: عن جميع الفرائض، وقيل عن الحج والزكاة، وقيل عن قراءة القرآن، وقيل عن سائر الأذكار وهو الأتم. قوله: ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أي لإيثارهم الفاني على الباقي، قال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً». قوله: ﴿مما رزقناكم﴾ من تبعيضية، وفي التبعيض بإسناد الرزق منه تعالى إلى نفسه، زيادة ترغيب في الامتثال، حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة، ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه. قوله: ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ أي أماراته ومقدماته.

قوله: ﴿فيقول رب﴾ معطوف على ﴿أن يأتي﴾ مسبب عنه. قوله: [بمعنى هلا] أي التي معناها التحضيض، ويخص بما لفظه ماض، وهو في تأويل المضارع كما هنا، واللائق هنا أن تكون بمعنى العرض الذي هو الطلب بلين ورفق، لاستحالة معنى التحضيض هنا الطلب بحث وإزعاج. قوله: [ولو للتمني] أي والتقدير على هذا ليتك أخرتني إلى أجل قريب. قوله: ﴿إلى أجل قريب﴾ أي زمن قليل، فأستدرك فيه ما فاتني. قوله: [بالزكاة] أي وبكل حق واجب، كالديون وحقوق العباد. قوله: ﴿وأكن من الصالحين﴾ يرسم بدون واو كما في خط المصحف، وأما في اللفظ ففيه قراءتان سبعيتان إثبات الواو والنصب بالعطف على ﴿فأصدق﴾ المنصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب العرض، أو التمني وحذف الواو والجزم بالعطف على ﴿فأصدق﴾ لملاحظة جزمها في جواب الطلب، أي إن أخرتني أصدق وأكن. قوله: [عند الموت] أي رؤية أمارته كما تقدم. قوله: ﴿ولن يؤخر الله نفساً﴾ جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدر تقديره هل يؤخر هذا المتمني؟ فقال ﴿ولن يؤخر الله نفساً﴾ الخ، وهو نكرة في سياق النفي تعم. قوله: [بالياء والتاء] أي فالياء لمناسبة قوله: ﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ والتاء المثناة فوق لمناسبة قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم﴾.

- تتمة - استنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبي ﷺ، لأن السورة تمام ثلاث وستين، وعقبت بالتغابن الذي هو ظهور الغبن بوفاته ﷺ وهو من المعاني الإشارية.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة التغابن

[مكية أو مدنية وهي ثماني عشرة آية]

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي ينزهه فاللام زائدة وأتى بما دون من تغليباً للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾: في أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ۝٢ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ۝٣ يعلمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة التغابن مكية أو مدنية

وهي ثمان عشرة آية

أي إلّا لقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم﴾ إلى آخر السورة، لأنها نزلت بالمدينة باتفاق المفسّرين، وهذا قول ابن عباس وغيره. قوله: [أو مدنية] وهو قول الأكثر. قوله: [فاللام زائدة] أي أو للتعليل كما تقدم. قوله: ﴿له الملك وله الحمد﴾ قدم الجار والمجرور فيهما لأفادة حصر المُلك والحمد فيه سبحانه وتعالى حقيقة، وأما نسبة المُلك والحمد لغيره تعالى فبطريق المَجاز. قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ كالدليل لما قبله.

قوله: ﴿هو الذي خلقكم﴾ أي تعلقت إرادته بخلقكم أزلاً، وقوله: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ أي بحسب تعلق قدرته وإرادته، فما قدّر أزلاً من كفر وإيمان، لا بد وأن يموت الشخص عليه، لما في الحديث: «إن أحدكم ليَعمل بعَمَل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلّا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمَل بعَمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليَعمل بعَمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلّا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». واعلم أن القسمة رباعية: شخص كُتب سعيداً في الأزل، ويظهر مؤمناً ويموت عليه. وشخص كتب شقياً في الأزل، فيعيش كافراً ويموت كذلك، وشخص كتب سعيداً في الأزل، فيعيش كافراً ويُختم له بالإيمان، وهذه الثلاثة كثيرة الوقوع، وشخص يعيش مؤمناً، ويُختم له بالكفر، وذلك أندر من الكبريت الأحمر. وبالجملة فالخاتمة تظهر السابقة، لأن ما قدر في الأزل، لا يغير ولا يبدل. قوله: [ثم يميتهم ويعيدهم] فيه التفات من الخطاب للغيبة، وإلّا فمقتضى الظاهر أن يقول: ثم يميتكم ويعيدكم. قوله: ﴿بالحق﴾ أي الحكمة البالغة لا عبثاً. قوله: [إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال] أي فجعل رأسه لأعلى، ورجليه لأسفل، وذراعيه في جنبيه، وجعله منتصب القامة. إن قلت: قد

تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾٤: بما فيها من الأسرار والمعتقدات ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: يا كفار مكة ﴿نَبَؤُا﴾: خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عقوبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾٥: مؤلم ﴿ذَلِكَ﴾: أي عذاب الدنيا ﴿بِأَنَّهُ﴾: ضمير الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ﴾: أريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾: عن الإيمان ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾: عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾٦: محمود في أفعاله ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن﴾: مخففة واسمها محذوف أي أنهم ﴿لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾٧ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ﴾: القرآن ﴿الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾٨: اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾: يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ

يوجد كثير من الناس مشوّه الخَلْق. أجيب: بأن التشويه بالنسبة لأبناء جنسه، لا بالنسبة لصور البهائم مثلاً، إذ لو قابلت بين الصورة المشوّهة، وبين صورة الغزال، لرأيت صورة البشر المشوهة أحسن.

قوله: ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ الخ، الحكمة في عدم تكرير الموصول هنا، وقد كرره في قوله: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ وفي قوله: ﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ أن تسبيح ما في السماوات مغاير لتسبيح ما في الأرض، وكذا ما يسرونه مغاير لما يعلنونه لأن المقصود منه تخويف المكلفين، لا ثبوت إحاطة العلم، فكرر الموصول لذلك، ولما كان المقصود من قوله: ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ ثبوت إحاطة العلم بذلك لم يكرر الموصول. قوله: ﴿ألم يأتكم﴾ استفهام توبيخ أو تقرير. قوله: ﴿فذاقوا﴾ عطف على ﴿كفروا﴾ عطف مسبب على سبب. قوله: [أي عذاب الدنيا] أي والآخرة، فاسم الإشارة عائد على ما ذكر.

قوله: ﴿فقالوا أبشر﴾ عطف على ﴿كانت﴾ والمعنى قال كل فريق من المذكورين، في حق رسولهم الذي أتاهم: أبشر يهدينا؟ وبهذا المعنى صح الجمع في قوله: ﴿أبشر يهدوننا﴾ وإلا فمقتضى الظاهر أن يقول يهدينا. قوله: ﴿فكفروا﴾ الفاء سببية، والمعنى كفروا بسبب هذا القول. قوله: ﴿واستغنى الله﴾ أي ظهر غناه عن إيمانهم لأنه لا ينفعه، كما أن كفرهم لا يضره، فكل من الكفر والإيمان واقع بإرادة الله تعالى، وهو المستغني عن كل ما سواه، فلا يسأل عما يفعل.

قوله: ﴿زعم الذين كفروا﴾ الخ، الزعم ادعاء العلم كذباً، وهو يتعدى إلى مفعولين، فجملة ﴿أن لن يبعثوا﴾ سدّت مسدهما، والمراد بهم أهل مكة. قوله: [مخففة] أي لا ناصبة، لئلا يتوالى ناصبان. قوله: ﴿قال بلى﴾ أي تبعثون، لأن ﴿بلى﴾ يجاب بها النفي فيصير إثباتاً، فهي متضمنة للجواب، وإنما أعاده توصلاً لتوكيده بالقسم، وعطف ما بعده عليه. قوله: ﴿وذلك﴾ أي المذكور من البعث والحساب. قوله: ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ خطاب لكفار مكة، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر، أي إذا كان الأمر كذلك فآمنوا الخ. قوله: [القرآن] أي لأنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره. قوله: ﴿ليوم الجمع﴾ سمي بذلك لأن الله يجمع فيه بين الأولين والآخرين، من الإنس والجن وجميع أهل السماء والأرض. قوله: [يغبن المؤمنون] الخ، أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابه، فإن الكفار إذا أخذوا منازل المؤمنين في النار، لو ماتوا كفاراً، ليس بغبن للمؤمنين، بل هو سرور لهم، وما قاله المفسر مأخوذ من حديث: «ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، وما من عبد يدخل النار إلا رأى مقعده من الجنة لو حسن، ليزداد حسرة». قوله: [لو آمنوا] بيان للإضافة في قوله: [منازلهم وأهليهم]. قوله: ﴿ومن يؤمن بالله﴾ الخ،

وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾: وفي قراءة بالنون في الفعلين ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٠﴾ هي ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بقضائه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾: في قوله أن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾: للصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ١٢﴾: البين ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾: أن تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِنْ تَعْفُوا﴾: عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصْفَحُوا

بيان لوجه التغابن وتفصيل له، لأن في ذلك ذكر منازل السعداء والأشقياء. قوله: [بالنون في الفعلين] أي نكفر وندخل، وعلى هذه القراءة ففيه التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور من تكفير السيئات وإدخاله الجنات.

قوله: ﴿ما أصاب﴾ مفعول محذوف أي أحداً، و﴿من مصيبة﴾ فاعل بزيادة ﴿من﴾. قوله: ﴿ومن يؤمن بالله﴾ أي إيماناً خاصاً، وهو التصديق بأن كل شيء بقضاء وقدر. قوله: [في قوله] أي في قول القائل: إن المصيبة بقضاء الله، والمعنى يكن قلبه مطمئناً مصدقاً بهذا القول، لا مجرد قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون باللسان، فلا يعطى به فضيلة الصبر على المصيبة. قوله: ﴿يهد قلبه﴾ أي للثبات والاسترجاع عند نزولها. قوله: ﴿وأطيعوا الله﴾ أي في جميع الأوقات، ولا تشغلكم المصائب عن الطاعة. قوله: ﴿فإن توليتم﴾ شرط حذف جوابه تقديره فلا ضرر ولا بأس على رسولنا، وقوله: ﴿فإنما على رسولنا﴾ الخ تعليل لذلك المحذوف.

قوله: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ مبتدأ وخبر. وقوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ تحريض وحث للنبي على التوكل على الله والالتجاء إليه، وفيه تعليم للأمة ذلك. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ الخ أي بعضهم، والمراد بالأزواج ما يشمل الذكور، فكما أن الرجل تكون زوجته عدواً له، كذلك المرأة يكون زوجها عدواً لها. قوله: ﴿عدواً لكم﴾ أي يشغلكم عن طاعة الله. قوله: [أن تطيعوهم] أشار بذلك إلى تقدير مضاف، أي فاحذروا طاعتهم. قوله: [فإن سبب نزول الآية] الخ، علة لقوله: [كالجهاد والهجرة] أي فسبب نزول الآية، أن رجالاً أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يهاجروا إلى النبي، فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا: صبرنا على إسلامكم، فلا صبر لنا على فراقكم، فأطاعوهم وتركوا الهجرة، وقيل نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، فأراد أن يغزو، فبكوا إليه ووقفوه وقالوا له: إلى من تدعنا؟ فرق عليهم وأقام عن الغزو، وهذا معنى قول المفسر: كالجهاد والهجرة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيدخل في ذلك جميع أنواع الطاعات، فلا يطيع الأزواج ولا الأولاد في التكاسل عن أي طاعة كانت، بل حقوق الله مقدمة على كل حق.

قوله: ﴿وإن تعفوا﴾ الخ أي تتركوا عقابهم بترك الإنفاق عليهم، وذلك أنه من تخلف عن الهجرة والجهاد، بسبب منع أهله وأولاده قد تنبه بعد ذلك، فرأى غيره من الصحابة قد سبقه للخير، فندم وعزم على عقاب أهله وأولاده

---

* أسباب نزول الآية ١٤: أخرج الترمذي والحاكم وصححاه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ في قوم من أهل مكة أسلموا فأبى أزواجهم أن يدعوهم يأتوا المدينة فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا فهموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله ﴿وإن تعفوا وتصفحوا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ووقفوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم فنزلت هذه الآية وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ١٥: فلا تفوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: ناسخة لقوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ ﴿وَٱسْمَعُوا﴾: ما أمرتم به سماع قبول ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا﴾: في الطاعة ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ خبر يكن مقدرة جواب الأمر ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ١٦: الفائزون ﴿إِن تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: بأن تتصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾: وفي قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشراً إلى سبعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: ما يشاء ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾: مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ ١٧: في العقاب على المعصية ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: السر ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: العلانية ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ١٨: في صنعه.

بترك الإنفاق عليهم، فانزل ﴿وإن تعفوا﴾ الخ. قوله: [في تثبيطهم] أي شغلهم إياكم وتكسيلهم لكم. قوله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي ابتلاء واختبار من الله لكم، وهو أعلم بما في نفوسكم منكم، لكن ليظهر في عالم الشهادة من يشغله ذلك عن الحق، فيكون عليه نقمة ممن لا يشغله، فيكون عليه نعمة، وقدم المال لأن فتنته أشد، ويكفي في فتنته قصة ثعلبة بن حاطب النازل فيه قوله تعالى ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ الآية، قال الحسن: أدخل ﴿من﴾ التي للتبعيض في قوله: ﴿إن من أزواجكم﴾ الخ لأنهم كلهم ليسوا بأعداء بل البعض منهم، ولم يدخلها في قوله: ﴿إنما أموالكم﴾ الخ لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما، فمن رجع إلى الله تعالى، ولم يلتفت إلى ماله، وولده وجاهد نفسه فقد فاز، ومن تتبع الشغل بالمال والولد وافتتن بهما فقد هلك.

قوله: ﴿أجر عظيم﴾ وهو الجنة. قوله: [ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته] أي ومعناها: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، ولذلك لما نزلت الآية قالت الصحابة: ومن يعرف قدر الله فيتقيه حق تقاته، وضايق بعضهم نفسه في العبادة، حتى تورمت قدماه من طول القيام، فخفف الله عنهم فنزلت ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ وما قاله المفسر أحد قولين، وقيل إنها ليست ناسخة بل مبينة لها، فآية ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ مجملة، وآية ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ مفصلة لها، غير أن الاستطاعة مختلفة باختلاف الأشخاص، فكل يبذل وسعه وطاقته في طاعة ربه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، فليست الاستطاعة في الناس سواء، وبالجملة فالتكليف بهذه الآية لا بآية ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ سواء قلنا إنها منسوخة أو محكمة. قوله: [خبر يكن] أو مفعول لفعل محذوف تقديره يؤتكم خيراً وهو الأولى، لأن حذف كان واسمها مع بقاء الخبر إنما يكثر بعد إن ولو. قوله: [جواب الأمر] أي وهو قوله: ﴿وأنفقوا﴾. قوله: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ الشح كراهة فعل الخير والمعروف، وينشأ عنه البخل وهو الإمساك.

قوله: ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ سماه قرضاً ترغيباً في الصدقة، حيث جعلها قرضاً لله، مع أن العبد إنما يقرض نفسه لأن النفع عائد عليه، وفيه تنزل من الله تعالى لعباده، حيث أعطاهم المال، وأمرهم بالإنفاق منه، وسمى إنفاقهم قرضاً له، فمن إحسانه عليك خلق ونسب إليك، وهذا الخطاب يعم الأغنياء والفقراء، فالأغنياء مخاطبون بالإقراض في بذل أموالهم وأنفسهم، والفقراء مخاطبون بالإقراض في بذل أنفسهم، فهو تعليم لهم الأخلاص في أعمالهم. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [مجاز على الطاعة] أي بالكثير على القليل. قوله: ﴿حليم﴾ [في العقاب على المعصية] أي فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه. قوله: [السر] أي ما في القلوب، وقوله: [والعلانية] أي ما أظهره الإنسان. قوله: ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره. قوله: ﴿الحكيم﴾ [في صنعه] أي الذي يضع الشيء في محله.

---

* أسباب نزول الآيه ١٦: وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم. فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الطلاق

[مدنية وهي ثلاث عشرة آية]

﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ : المراد أمته بقرينة ما بعده أو قل لهم : ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ : أي أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الطلاق مدنية

وهي ثلاث عشرة آية

قوله : **[ثلاث عشرة آية]** هذا أحد أقوال في عدد آياتها، وقيل : اثنتا عشرة، وقيل : إحدى عشرة قوله : **[المراد وأمته]** أشار بذلك إلى أن في الكلام حذ الواو مع ما عطفت على حد (سرابيل تقيكم الحر) وإنما اقتصر على خطاب النبي، لأنه الرئيس للكامل، وفي بعض النسخ المراد أمته، أي إن لفظ النبي أطلق وأريد به أمته مجازاً قوله : **[بقرينة ما بعده]** أي وهو الجمع في قوله : ﴿طلقتم﴾ وفي قوله : ﴿فطلقوهن﴾ قوله : **[أو قل لهم]** هذا احتمال ثان في توجه الخطاب، ومحصله أن المخاطب حقيقة هو النبي وحده، ولكن حذف منه الأمر كأنه قال : يا أيها النبي قل لأمتك الخ، وفي الحقيقة، يؤخذ من المفسر ثلاث احتمالات على اختلاف النسخ، وبقي احتمال رابع، وأن الخطاب هو للنبي ﷺ أولاً وآخراً بلفظ الجمع تعظيماً وتفخيماً، وسبب نزولها : أن رسول الله ﷺ طلق حفصة رضي الله عنها، فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى عليه ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ وقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك في الجنة، وورد : تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه العرش. وورد : لا تطلقوا النساء إلا من ريبة، إن الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات. وورد : ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق قوله : **[أردتم الطلاق]** دفع بذلك ما يقال : إن قوله : ﴿فطلقوهن﴾ تحصيل للحاصل، والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الأقراء، أما غير

---

* أسباب نزول الآية ١ : أخرج الحاكم عن ابن عباس قال : طلق عبد يزيد أبو ركانة أم ركانة، ثم نكح امرأة من مزينة فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ما عني ما عني إلا عن هذه الشقرة فنزلت ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ وقال الذهبي : الإسناد واه والخبر خطأ فإن عبد يزيد لم يدرك الإسلام، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ فقيل له : راجعها فإنها صوامة قوامة، وأخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلاً وابن منذر عن ابن سرين مرسلاً. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ الآية، قيل : بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن عمرو بن العاص وطفيل بن الحارث وعمرو بن سعيد بن العاص.

﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾: لأولها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: احفظوها لتراجعوا قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: منها حتى تنقضي عدتهم ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾: زنا ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾: بفتح الياء وكسرها أي بينت أو بينة فيخرجن لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلْكَ﴾: المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الطلاق ﴿أَمْرًا﴾[1]: مراجعة فيما إذا كان واحدة أو ثنتين ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قاربن انقضاء

المدخول بهن، فلا عدة عليهن بالكلية، وأما ذوات الأشهر والحوامل فسيأتين. قوله: ﴿لعدتهن﴾ اللام للتوقيت كهي في قوله: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ والمعنى طلقوهن في وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن، وهو ما أشار له بقوله: [بأن يكون] الخ. قوله: [في طهر] أي وأما في الحيض فهو حرام، بدليل أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده وهو واقع، لأن النهي إذا كان لأمر خارج لا يستلزم الفساد، وهنا كذلك، لأن علة النهي تطويل العدة عليها. قوله: [لم تمس فيه] أي لم توطأ، وهذا القيد لمنع الريبة، فإنه ربما يحصل من ذلك الوطء حمل، فتنتقل من الحيض لوضع الحمل، وربما حاضت الحامل فحصل اللبس، وحكم الطلاق في الطهر الذي مس فيه الكراهة عند مالك، والحرمة عند الشافعي، ولكن تحتسب به من العدة، ولا يجبر على الرجعة فيه. قوله: [رواه الشيخان] فقد رويا عن ابن عمر، إنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ: مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾. قوله: [احفظوها] أي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق، والخطاب للأزواج، ويدخل الزوجات فيه أيضاً، لأن الزوج يحصي العدة ليراجع وينفق ويتزوج بأخت المطلقة ونحو ذلك، وهي لتحل للأزواج ونحو ذلك. قوله: [لتراجعوا] أي وتنفقوا وتسكنوا.

قوله: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ الخ، المراد المساكن التي وقع الفراق فيها، وهي بيوت الأزواج، وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى، وجمع بين النهيين إشارة إلى أن الزوج لو أذن لها في الخروج لا يجوز لها الخروج، لأن العدة حق لله تعالى، فلا يسقط بتراضيهما. قوله: ﴿إلا أن يأتين﴾ الخ، الجملة حالية من فاعل ﴿لا يخرجن﴾ ومفعول ﴿لا تخرجوهن﴾ والمعنى: لا يخرجن ولا تخرجوهن في حال من الحالات، إلا في حال كونهن آتيات بفاحشة مبينة. قوله: [زنا] وقيل: الفاحشة أن تبذو على أهل زوجها، فيحل إخراجها لسوء خلقها. قوله: [بفتح الياء وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي بينت أو هي بينة] لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿وتلك﴾ [المذكورات] أي من قوله: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ الخ. قوله: ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي عرضها للعقاب، وقيل: المراد بظلم نفسه، الضرر الدنيوي الذي يلحقه بسبب تعديه، ولا يمكنه تداركه بدليل قوله: ﴿لا تدري لعل الله﴾ الخ، وإرادة العموم أولى. قوله: ﴿لا تدري لعل الله﴾ الخ، استئناف مسوق لتعليل ما تضمنته الجملة الشرطية، والمراد بالأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه عما فعله، بأن يرغب في الرجعة ويندم على الطلاق، والمقصود منه التحريض على طلاق واحدة أو اثنتين، وعدم ضرر الزوجة بالفراق، ليكون في فسحة إذا غير الله الأحوال. قوله: [مراجعة] أي بأن يقلب قلبه من بغضها إلى حبها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن محبة الطلاق إلى الندم عليه، وبالجملة الذي ينبغي للعاقل إذا أراد الفراق أن يكون بالمعروف، لأنه لا يدري ما يخلقه الله في قلبه بعد ذلك، فإذا كان فراقه بالمعروف وحول الله الحال، سهل له بعد ذلك الرجوع.

قوله: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي المطلقات طلاقاً رجعياً المدخول بهن. قوله: [قاربن انقضاء عدتهن] أي

عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: بأنّ تراجعونهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: من غير ضرار ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾: لا للمشهود عليه أو له ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[٢]: من كرب الدنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: يخطر بباله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: في أموره ﴿فَهُوَ

فالكلام على سبيل المجاز. قوله: ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ أي بحسن عشرة وانفاق وتحمل أذى وغير ذلك. قوله: [بأن تراجعون] تصوير للأمساك. قوله: [ولا تضاروهن بالمراجعة] بيان للمعروف في الامساك، والمعنى أنه إذا أراد امساكها راجعها، لقصد بقاء الزوجية لا لقصد ضررها، والأوضح أن يقول: فلا تضاروهن عند الفراق بأن تتكلموا في حقهن ونحو ذلك، وأما مضارتهن بالأمساك، فقد علم نفيها من قوله تعالى ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾. قوله: ﴿وأشهدوا ذوي عدل﴾ أي صاحبي عدالة. قوله: [على الرجعة] أي لتظهر ثمرتها بعد ذلك في الارث إذا مات أو ماتت، وفيما إذا ادعى الرجعة بعد انقضاء العدة وأنكرت. قوله: [أو الفراق] أي الطلاق لتظهر ثمرة الإشهاد بعد ذلك، إذا ادعت عليه الطلاق وأنكر، وهذا الاشهاد مندوب عند مالك وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه، والآخر أنه واجب عند الرجعة، مندوب عند الفراق.

قوله: ﴿واقيموا الشهادة لله﴾ أي لوجهه ولا تراعوا المشهود له ولا المشهود عليه، وإنما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود، لأنه ربما يؤدي إلى أن يترك الشاهد مهماته، ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده ربما بعد مكانه، وكان للشاهد عوائق. قوله: ﴿ذلكم﴾ أي المذكور من أول السورة إلى هنا. قوله: ﴿يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ أي وأما من لم يكن متصفاً بذلك، فهو لقساوة قلبه لا يوعظ، لأنه لم ينتفع به. قوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ الخ، هذه الجملة اعتراضية في أثناء الأحكام المتعلقة بالنساء، إشارة إلى أنه لا يصبر على تلك الأحكام ولا يعمل بها إلا أهل التقوى، والأحسن أن يراد من هذه العموم لا خصوص التقوى في أمر النساء، قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الأشجعي، أسر المشركون ابناً له يسمى سالماً، فأتى عوف إلى رسول الله ﷺ يشتكي إليه الفاقة وقال: إن العدو اسر ابني وجزعت الأم فما تأمرني؟ فقال رسول الله ﷺ: اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقالت: نعم ما أمرنا به، فجعلا يقولان، فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وهي أربعة آلاف شاة، واستاق من إبلهم خمسين بعيراً كما في رواية، فجاء بها إلى المدينة، فقال أبوه للنبي ﷺ: أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني؟ فقال: نعم ونزلت الآية.

قوله: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي من فوض أمره إليه كفاه ما أوهمه، والأخذ في الأسباب لا ينافي

---

* أسباب نزول الآية ٢: وأخرج الحاكم عن جابر قال: نزلت هذه الآية ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ في رجل من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد كثير العيال فأتى رسول الله ﷺ فسأله، فقال له: اتق الله واصبر فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء ابن له بغنم وكان العدو أصابوه فأتى رسول الله ﷺ فأخبره خبرها فقال: كلها، فنزلت، قال الذهبي: حديث منكر له شاهد، وأخرج ابن جرير مثله عن سالم بن أبي الجعد، والسدي وسمى الرجل عوفا الأشجعي، وأخرج الحاكم أيضاً من حديث ابن مسعود وسماه كذلك.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي، فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني؟ قال: آمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت المرأة: نعم ما أمرك، فجعلا يكثران منها، فغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه، فنزلت ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ الآية. وأخرجه الخطيب في تاريخه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وأخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف، وابن أبي حاتم من وجه آخر مرسلا.

﴿حَسْبُهُ﴾: كافيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِۦ﴾: مراده وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾ ٣: ميقاتاً ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾: بهمزة وياء وبلا ياء في الموضعين ﴿يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾: بمعنى الحيض ﴿مِن

التوكل، لأنه مأمور به، لكن لا يعتمد على تلك الأسباب. قوله: ﴿إن الله بالغ أمره﴾ فلا بد من انفاذ مراده، حصل من الشخص توكل أم لا، لكن من توكل يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً. قوله: [وفي قراءة بالاضافة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ أي تقديراً لا يتعداه، ولو اجتمعت جميع الخلائق على أن يتعدوه لا يقدرون، وهذه الآية تستعمل لدفع كرب الدنيا والآخرة، كما ورد في الحديث: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾» فما زال يقرؤها ويعيدها. وورد أيضاً: من انقطع إلى الله، كفاه الله كل مؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها، ومعنى انقطع إلى الله أنه إذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله، فإنه يفتح الله عليه إن كان ذا ضيق، ويرزقه من حيث لا يحتسب. وورد أيضاً: من أكثر من الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

ـ لطيفة ـ ذكر الأجهوري في فضائل رمضان حكاية مناسبة للمقام، وهي أن قوماً ركبوا البحر، فسمعوا هاتفاً يقول: من يعطني عشرة آلاف دينار، حتى أعلمه كلمة إذا اصابه غم أو اشرف على هلاك فقالها، انكشف ذلك عنه فقام من أهل المركب رجل معه عشرة آلاف دينار فصاح: أيها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وعلمني، فقال: ارم بالمال في البحر فرمى به، فسمع الهاتف يقول: إذا أصابك هم أو اشرفت على الهلاك فاقرأ ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ إلى آخر الآية، فقال جميع من في المركب للرجل: لقد ضيعت مالك، فقال: كلا إن هذه لفظة ما أشك في نفعها، قال: فلما كان بعد أيام، كسر بهم المركب، فلم ينج منهم غير ذلك الرجل، فإنه وقع على لوح وطرحه البحر على جزيرة، قال: فصعدت أمشي فيها، فإذا بقصر مني فدخلته فإذا فيه كل ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها، وإذا بامرأة لم أر قط أحسن منها، فقلت لها: من أنت؟ وأي شيء تعلمين ههنا؟ قالت: أنا بنت فلان التاجر بالبصرة، وكان أبي عظيم التجارة، وكان لا يصبر عني ساعة، فسافر بي معه في البحر، فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت في هذه الجزيرة، فخرج إلي شيطان من البحر، فتلاعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني، إلا أنه يلامسني ويؤذيني ويتلاعب بي، ثم ينظر إلي ثم ينزل في البحر سبعة أيام، وهذا يوم موافاته، فاتق الله في نفسك واخرج قبل موافاته، وإلا أتى عليك، فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة فقالت: قد والله جاء وسيهلكك، فلما قرب مني وكاد يغشاني قرأت الآية، فإذا هو خر كقطعة جبل، إلا أنه رماد محترق، فقالت المرأة: هلك والله وكفيت أمره، ومن أنت يا هذا الذي من الله علي بك؟ فقمت أنا وهي، فانتخبنا ذلك الجواهر، حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر، لزمنا الساحل نهارنا، فإذا كان الليل رجعنا إلى القصر، قال: وكان فيه كل ما يؤكل فقلت لها: من أين لك هذا؟ قالت: وجدته ههنا، فلما كان بعد أيام، رأينا مركباً بعيداً، فلوحنا إليه فدخل فحملنا، فسرنا يسيراً إلى البصرة، فوصفت لي منزل أهلها فأتيتهم فقالوا: من هذا؟ فقلت: رسول فلانة بنت فلان، فارتفعت الناعية فقالوا: يا هذا لقد جددت علينا مصابنا، فقلت: اخرجوا فخرجوا، فأخذتهم حتى أتيت بهم إلى ابنتهم، فكادوا يموتون فرحاً، وسألوها عن خبرها، فقصته عليهم وسألتهم أن يزوجوني بها ففعلوا، وجعلنا ذلك الجواهر رأس مال بيني وبينها، وأنا اليوم أيسر أهل البصرة، وهؤلاء أولادي منها، انتهى.

قوله: ﴿واللائي يئسن﴾ الخ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾

---

* اسباب نزول الآية ٤: وأخرج ابن جرير وإسحاق بن راهويه والحاكم وغيرهم عن أبي بن كعب قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في =

﴿نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: شككتم في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾: لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر والمسئلتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن أما هن فعدتهن ما في آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾: انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ٤: في الدنيا والآخرة ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: حكمه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ

قال خلاد بن النعمان: يا رسول الله، فما عدة التي لم تحض، وعدة التي انقطع حيضها، وعدة الحبلى؟ فنزلت. واللاء اسم موصول مبتدأ، و﴿يئسن﴾ صلته، وقوله: ﴿من نسائكم﴾ حال من الضمير في ﴿يئسن﴾ والشرط وجوابه خبره، أو قوله: ﴿فعدتهن﴾ خبره، وجواب الشرط محذوف تقديره: فاعلموا أنها ثلاثة أشهر، والشرط وجوابه مقدر معترض بين المبتدأ وخبره، والأول أحسن. قوله: ﴿يئسن﴾ أي وأول سن اليأس ستون سنة، وما بين الخمسين والستين يسأل النساء، فإن جزمن بأنه حيض أو شككن فحيض، وإلا فليس بحيض، وما قبل الخمسين حيض قطعاً. قوله: [شككتم في عدتهن] أي جهلتم قدرها، والقيد لبيان الواقع فلا مفهوم له، بل عدتها ما ذكر، سواء علموا أو جهلوا، لكن الواقع في نفس الأمر أن السائلين كانوا جاهلين بقدرها.

قوله: ﴿واللائي لم يحضن﴾ [لصغرهن] أي عدم بلوغهن أوان الحيض كبنت تسع، ومثل الصغيرة من لم تر الحيض أصلاً، وتسميها النساء البغلة، وأما معتادة الحيض وتأخر حيضها بلا سبب أو بسبب مرض، أو استحيضت ولم تميز، فإنها تمكث عند مالك سنة بيضاء وتحل للأزواج، ثم إن احتاجت لعدة بعد ذلك كانت كالآيسة والصغيرة، وأما من تأخر حيضها لرضاع، أو استحيضت وميزت، أو كان حيضها يأتي بعد سنة أو سنتين إلى خمس، فلا تعتد إلا بالحيض، فإن زادت عادتها عن خمس، فالذي لأبي الحسن على المدونة أنها تعتد بسنة بيضاء من أول الأمر، وقيل بثلاثة اشهر كالآيسة والصغيرة، فليحفظ هذا المقام. قوله: [فعدتهن ثلاثة] أشار بذلك إلى أن قوله واللاء مبتدأ، وجملة ﴿لم يحضن﴾ صلته، والخبر محذوف قدره المفسر جملة، والأولى تقديره مفرداً بأن يقول مثلهن أو كذلك. قوله: [والمسألتان] أي مسألة الآيسة ومسألة الصغيرة. قوله: [في غير المتوفى عنهن] أي فما هنا مخصوص بآية البقرة.

قوله: ﴿وأولات الأحمال﴾ مبتدأ و﴿أجلهن﴾ مبتدأ ثان، و﴿أن يضعن﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول و﴿الأحمال﴾ جمع حمل بفتح الحاء كصحب وأصحاب، اسم لما كان في البطن أو على رأس الشجر، وبالكسر اسم لما كان على ظهر أو رأس. قوله: [أو متوفى عنهن أزواجهن] أشار بذلك إلى بقاء عموم ﴿وأولات الأحمال﴾ فهو مخصص لآية ﴿يتربصن بأنفسهن﴾ أي ما لم يكن حوامل، وحاصل الفقه في هذا المقام أن النساء قسمان: مطلقات ومتوفى عنهن، وفي كل إما حرائر أو إماء، فعدة الحرة المدخول بها المطلقة ذات الحيض ثلاثة قروء، واليائسة والصغيرة ثلاث أشهر، والأمة المدخول بها المطلقة ذات الحيض قرءان، فإن كن حوامل فوضع الحمل حرة أو أمة، وعدة المتوفى عنها إن كانت حرة أربعة أشهر وعشر مطلقاً مدخولاً بها أو لا، والأمة شهران وخمس ليال، والحوامل وضع الحمل، وانظر تفاصيل ذلك في الفروع. قوله: [المذكور في العدة] أي في تفاصيلها. قوله: ﴿أنزله﴾ أي بينه ووضحه.

قوله: ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته﴾ الخ، كرر التقوى لعلمه سبحانه وتعالى بأن النساء ناقصات عقل ودين،

= عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن، الصغار والكبار وأولات الأحمال، فأنزلت ﴿واللائي يئسن من المحيض﴾ الآية، صحيح الإسناد. وأخرج مقاتل في تفسيره: أن خلاد بن عمرو ابن الجموح سأل النبي ﷺ عن عدة التي لا تحيض فنزلت.

عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۞ أَسْكِنُوهُنَّ﴾: أي المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾: أي بعض مساكنكم ﴿مِن وُجْدِكُمْ﴾: أي سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف أي أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾: المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أولادكم منهن ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم﴾: وبينهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بجميل في حق الأولاد بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: تضايقتم في الإرضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ﴾: للأب ﴿أُخْرَىٰ ۞﴾: ولا تكره الأم على إرضاعه ﴿لِيُنفِقْ﴾: على المطلقات والمرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ﴾: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ

فلا يصبر على أمورهن إلا أهل التقوى. قوله: ﴿أسكنوهن﴾ الخ هذا وما بعده بيان لما تتوقف عليه التقوى. قوله: [أي المطلقات] أخذ هذا التقييد من السياق، وإلا فكل مفارقة يجب لها السكنى، سواء كان فراقها بطلاق أو موت، وإنما التفصيل في النفقة. قوله: [أي بعض مساكنكم] أشار بذلك إلى أن ﴿من﴾ للتبعيض، وهو أحد وجهين، والثاني أنها لابتداء الغاية، والمعنى تسببوا إلى إسكانهن من الوجه الذي تسكنون أنفسكم فيه. قوله: ﴿من وجدكم﴾ بضم الواو باتفاق القراء، وإن كان يجوز فيه التثليث لغة يقال وجد في المال وجداً، بضم الواو وفتحها وكسرها، وجدة أيضاً بالكسر أي استغنى. قوله: [بإعادة الجار] ظاهره أنه راجع للبيان والبدل وليس مناسباً لأن عطف البيان لم يعهد فيه تكرار العامل، فالأولى رجوعه للبدلية. قوله: [لا ما دونها] أي لا المساكن التي دون أمكنة سعتكم لنفاستها وارتفاع سعرها، وإنما تكليفه باللائق بها على قدر سعته.

قوله: ﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ أي بأن تفعلوا معهن فعلاً يوجب خروجهن من المساكن. قوله: [فيفتدين] أي المطلقات حيث كن رجعيات، فيلجئهن الأمر إلى كونها تفتدي منه بطيبتها وتتخلص منه. قوله: ﴿وإن كن أولات حمل﴾ أي وإن كن المطلقات الرجعيات أو البائنات، وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا نفقة لهن لاستغنائهن بالميراث. قوله: ﴿فإن أرضعن لكم﴾ هذا الحكم مفروض في المطلقات كما هو مقتضاه، وأما الزوجة فعند مالك يلزمها الإرضاع بنفسها إن كان بها ألبان وكان شأنها ذلك، وأما مثل بنات الملوك فلا يلزمهن الإرضاع وعند الشافعي لا يلزم الزوجة الإرضاع مطلقاً.

قوله: ﴿وائتمروا﴾ أي ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف. قوله: [على أجر معلوم] أي اجرة معلومة على قدر وسعه وحالها. قوله: ﴿فسترضع له أخرى﴾ فيه معاتبة الأم على ترك الإرضاع والمعنى فإن امتنع الأب من دفع الأجرة للأم، وتركت الأم الولد من غير إرضاع بنفسها، فليطلب له الأب مرضعة أخرى، ويجبر على ذلك لئلا يضيع الولد، فقوله: ﴿فسترضع﴾ الخ خبر بمعنى الأمر، والضمير في ﴿له﴾ للأب بدليل ﴿فإن أرضعن لكم﴾ والمفعول محذوف للعلم به، أي فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى.

قوله: ﴿لينفق﴾ [على المطلقات] أي اللاتي لم يرضعن، وقوله: [والمرضعات] أي المطلقات وهذا التقييد أخذه من السياق، وإلا فالزوجة كذلك. وأعلم أن المطلقة طلاقاً رجعياً لها النفقة بإجماع المذاهب، وأما بائناً فلا نفقة لها عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة لها النفقة، وكل هذا ما لم تكن حاملاً، وإلا فلها النفقة باجماع، وللمرضع أجرة الرضاع بإجماع أيضاً، كما يقضي بالسكنى للجميع بإجماع. قوله: ﴿من سعته﴾ الكلام على حذف مضاف، و﴿من﴾ بمعنى على أي على قدر سعته، والمعنى أنه يجب على الأزواج النفقة على المطلقات والمرضعات

﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ﴾: أعطاه ﴿الله﴾: على قدره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٧]: وقد جعله بالفتوح ﴿وَكَأَيِّن﴾: هي كاف الجر دخلت على أي بمعنى كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: أي وكثير من القرى ﴿عَتَتْ﴾: عصت يعني أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا﴾: في الآخرة وإن لم تجئ لتحقق وقوعها ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾[٨]: بسكون الكاف وضمها فظيعاً وهو عذاب النار ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: عقوبته ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[٩]: خساراً وهلاكاً ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: تكرير الوعيد توكيد ﴿فَاتَّقُوا ٱللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾: نعت للمنادى أو بيان له ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾[١٠]: هو القرآن ﴿رَّسُولًا﴾: أي محمداً ﷺ منصوب بفعل مقدر أي وأرسل ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾: بفتح الياء وكسرها كما تقدم ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾: بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ﴾: الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾: وفي قراءة بالنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾[١١]: هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: يعني سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾: الوحي

والأزواج بقدر طاقته، فيلزم الزوج الموسر مدان، والمتوسط مد ونصف، والمعسر مد، هذا مذهب الشافعي، ومذهب مالك يفرض لها قوت وإدام وكسوة ومسكن بقدر وسعه وحالها. قوله: [على قدره] أي فلا يكلف فوق طاقته. قوله: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ في هذا بشارة للفقراء، أي فلا تقنطوا، بل عن قريب يحول الله حالكم إلى الغنى، وفي الحديث: «لن يغلب عسر يسرين». قوله: [وقد جعله بالفتوح] أي فقد صدق الله وعده، حيث فتح عليهم جزيرة العرب وفارس والروم، حتى صاروا أغنى الناس، ولا خصوصية للصحابة بذلك، بل العبرة بالعموم.

قوله: ﴿وكأين﴾ مبتدأ، و﴿من قرية﴾ تمييز لها، وقوله: ﴿عتت﴾ خبر. قوله: [بمعنى كم] أي فصار المجموع بمعنى كم. قوله: ﴿عتت﴾ ضمنه معنى أعرضت أو خرجت فعداه بعن. قوله: [يعني أهلها] أي فأطلق لفظ القرية، وأريد أهلها مجازاً، من باب تسمية الحال باسم المحل. قوله: [لتحقق وقوعها] جواب عما يقال: إن الحساب وما بعده إنما يحصل في الآخرة فما وجه التعبير بالماضي؟ فأجاب: بأنه عبر بالماضي لتحقق وقوعه. قوله: ﴿حساباً شديداً﴾ أي بالمناقشة والاستقصاء. قوله: [فظيعاً] أي شنيعاً قبيحاً. قوله: [تكرير الوعيد] أي المذكور في الجمل الأربع وهي قوله: ﴿فحاسبناها﴾ و﴿عذبناها﴾ ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾. قوله: [أو بيان له] أي عطف بيان. قوله: [منصوب بفعل مقدر] هذا أحسن احتمالات تسع ذكرها المفسرون، وقوله: [أي محمداً] هو أحد أقوال ثلاثة في تفسير الرسول وهو أحسنها، وقيل: هو جبريل، وقيل: هو القرآن نفسه.

قوله: ﴿يتلو عليكم﴾ نعت لرسولاً. قوله: ﴿مبينات﴾ حال من ﴿آيات﴾. قوله: [كما تقدم] أي في قوله: ﴿بفاحشة مبينة﴾ من أن المفتوح من المتعدي، والمكسور من اللازم، أي بينها الله، أو هي بينة في نفسها. قوله: ﴿ليخرج﴾ متعلق بيتلو، فالضمير راجع لمحمد ﷺ، أو متعلق بأنزل، فالضمير عائد على الله تعالى، وكل صحيح. قوله: [وفي قراءة بالنون] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة، أي مقدرين الخلود. قوله: ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ أي عظيماً عجيباً، والجملة حال ثانية، أو حال من الضمير في ﴿خالدين﴾ فتكون متداخلة.

قوله: ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ عامة القراء على نصب مثلهن، ووجهه أنه معطوف على ﴿سبع سموات﴾ أو مفعول

﴿بَيْنَهُنَّ﴾: بين السموات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِتَعْلَمُوا﴾: متعلق بمحذوف أي أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ١٢

لمحذوف تقديره: وخلق مثلهن من الأرض، وقرىء شذوذاً بالرفع على الابتداء، والجار والمجرور خبره مقدم عليه.

قوله: [يعني سبع أرضين] اعلم أن العلماء أجمعوا على أن السماوات سبع طباق، بعضها فوق بعض، وأما الأرضون فالجمهور على أنها سبع كالسماوات بعضها فوق بعض، وفي كل أرض سكان من خلق الله، وعليه فدعوة الاسلام مختصة بأهل الأرض العليا لأنه الثابت والمنقول، ولم يثبت أنه ﷺ، ولا أحد ممن قبله نزل إلى الأرض الثانية، ولا غيرها من باقي الأرضين، وبلغهم الدعوة، وهل جعل الله لما تحت الأرض العليا ضوءاً آخر غير الشمس والقمر، أو يستمدون الضوء منهما؟ قولان للعلماء، وقيل: إنها طباق ملزوقة بعضها ببعض، وقيل ليست طباقاً بل منبسطة تفرق بينها البحار، وتظل الجميع السماء، والأول هو الأصح. قوله: [ينزل به جبريل] أي بالوحي بمعنى التصريف، والمعنى: أن أمر الله وقضاءه يجري وينزل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة، فهو سبحانه وتعالى متصرف في كل ذرة منها، وأما إن أريد بالوحي وحي التكليف بالأحكام، فالمراد بقوله: ﴿بينهن﴾ أي بين السماوات والأراضي السبع، فيكون فوق الأرض وتحت السماوات. قوله: [متعلق بمحذوف] أي على أنه علة له، والمعنى: حكمة إعلامه لكم بهذا الخلق، صيرورتكم علماء بأن الله على كل شيء قدير، الخ.

قوله: ﴿على كل شيء﴾ أي من غير هذا العالم، بحيث يمكن أن يخلق خلقاً آخر أبدع من هذا العالم، وهذا كله بالنظر للإمكان العقلي، فلا يخالف ما نقل عن الغزالي من قوله: ليس في الإمكان أبدع مما كان، لأن معناه تعلق علم الله في الأزل، بأنه لا يخلق عالماً غير هذا العالم، فمن حيث تعلق العلم بعدمه، صار غير ممكن، لأنه لو وقع لانقلب العلم جهلاً، فهي استحالة عرضية، وهناك أجوبة أخر ذكرناها في كتاب الجوهرة.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة التحريم

[مدنية وهي اثنتا عشرة آية]

﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾: من أمتك مارية القبطية لما واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة التحريم مدنية

وهي اثنتا عشرة آية

وتسمى سورة النبي ﷺ. قوله: [مدنية] أي كما هو قول الجميع. قوله: ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ الخ. هذا الخطاب مشعر بأنه ﷺ على غاية من التفخيم والتعظيم، حيث عاتبه على اتعاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه، كأن الله تعالى يقول له: لا تتعب نفسك في مرضاة أزواجك، بل أرح نفسك ولا تتعبها، وأزواجك يسعون في مرضاتك، فإن سعين في مرضاتك سعدن، وإلا فلا. قوله: [من أمتك مارية القبطية] هذا قول أكثر المفسرين، ومحصله: أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة، استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبويها فأذن لها، فلما خرجت، أرسل إلى جاريته مارية القبطية، التي أهداها له المقوقس ملك مصر، فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب، فخرج النبي ووجهه يقطر عرقاً وحفصة تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل ذلك، أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها في يومي على فراشي، أما رأيت لي حرمة وحقاً؟ فقال: أليست هي جاريتي قد أحلها الله لي؟ وهي حرام ألتمس بذلك رضاك، ولا تخبري بهذا امرأة منهن، فلما خرجت قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمته مارية، وإن الله قد أراحنا منها، وأخبرتها بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ. وقيل: إن الذي حرمه على نفسه هو شرب العسل، وهو ما في الصحيحين لما روي عن عائشة أن النبي ﷺ كان يحب الحلواء والعسل، وكان إذا صلى العصر، دار على نسائه، فيدنو من كل واحدة منهن، فدخل على حفصة بنت عمر، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عند ذلك فقيل لي: أهدت إليها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت رسول الله ﷺ منه شربة، فقلت: والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة وقلت لها: إذا دخل عليك ودنا منك فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير، بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء، جمع مغفور بالضم كعصفور أي صمغاً حلواً له رائحة كريهة، ينضجه

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم والنسائي بسند صحيح عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به حفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ الآية.

فجاءت وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها حيث قلت هي حرام علي ﴿تَبْتَغِي﴾: بتحريمها ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾: أي رضاهن ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]: غفر لك هذا التحريم ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾: شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾: تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ومن الأيمان تحريم الأمة وهل كفر ﷺ؟ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية وقال الحسن: لم يكفر لأنه ﷺ مغفور له ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2]

شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون في الحجاز له رائحة كرائحة الخمر، فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: وما هذه الريح؟ وكان ﷺ يكره أن يوجد منه الريح الكريه، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: أكلت نحلة العرفط حتى صار فيه، أي العسل، ذلك الريح الكريه، وإذا دخل علي فسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، فلما دخل على سودة قالت له مثل ما علمتها عائشة، وأجابها بما تقدم، فلما دخل على صفية قالت له مثل ذلك، فلما دخل على عائشة قالت له مثل ذلك، فلما كان اليوم الآخر، دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة إلي به، قالت: إن سودة تقول: سبحان الله لقد حرمناه منه، فقال لها: اسكتي اهـ. قوله: [حيث قلت] ظرف لقوله: ﴿لم تحرم﴾ أو تعليل له.

قوله: ﴿تبتغي مرضات أزواجك﴾ حال من فاعل ﴿تحرم﴾ والمعنى: لا ينبغي لك أن تشتغل بما يرضي الخلق، بل اللائق أن أزواجك وسائر الخلق تسعى في مرضاتك. قوله: [أي رضاهن] مصدر مضاف لفاعله أو مفعوله. قوله: [شرع] أي فالمراد بالفرض الشرع، والمعنى بين وأظهر وجعل لكم تحلة أيمانكم، والضمير عائد عليه وعلى أمته. قوله: ﴿تحلة أيمانكم﴾ مصدر حلل ككرم تكرمة، فأصله تحللة فأدغم. قوله: [تحليلها بالكفارة] الخ أشار إلى أن التحلة تحليل اليمين، فكأنه عقد وتحلته بالكفارة. قوله: [ومن الأيمان تحريم الأمة] أي بقوله: أنت علي حرام، فتجب به كفارة يمين عند الشافعي، وعند مالك التحريم في غير الزوجة لغو، لا يلزم به شيء، ما لم يقصده به الأمة عتقها، وإلا فيلزمه عتقها، وأما التحريم في الزوجة، فعند الشافعي إن نوى به الطلاق وقع، وإلا فيلزمه كفارة يمين، وعند مالك يلزمه به الطلاق الثلاث إن كان مدخولاً بها، وواحدة في غير المدخول بها، وإن لم ينو به حل العصمة. قوله: [قال مقاتل] الخ أي وبه أخذ الشافعي. قوله: [وقال الحسن لم يكفر] الخ أي وبه أخذ مالك، والأصل عدم الخصوصية إلا بدليل.

---

* أسباب نزول الآية ٢: وأخرج الضياء في المختارة من حديث ابن عمر عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لحفصة: لا تخبري أحداً أن أم ابراهيم علي حرام، فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ وأخرج الطبراني بسند ضعيف من حديث أبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ بمارية سريته بيت حفصة، فجاءت فوجدتها معه فقالت: يا رسول الله في بيتي دون بيوت نسائك قال: فإنها علي حرام أن أمسها يا حفصة واكتمي هذا علي، فخرجت حتى أتت عائشة فأخبرتها، فأنزل الله ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ الآيات، وأخرج البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال: نزلت ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ الآية، في سريته وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب عند سودة العسل فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحاً، ثم دخل على حفصة فقالت مثل ذلك، فقال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فنزلت ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ وله شاهد في الصحيحين، قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً.

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن رافع قالت: سألت أم سلمة عن هذه الآية ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ قالت: كان عندي عكة من عسل أبيض، فكان النبي ﷺ يلعق منها وكان يحبه، فقالت له عائشة: نحلها يجرس عرفطاً فحرمها، فنزلت هذه الآية. وأخرج الحارث بن أسامة في مسنده عن عائشة قلت: لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح، أنزل الله ﴿وقد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ فأنفق عليه، غريب جداً في سبب نزولها وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، غريب أيضاً وسنده ضعيف.

و﴾: اذكر ﴿إِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِۦ﴾: هي حفصة ﴿حَدِيثًا﴾: هو تحريم مارية وقال لها لا تفشيه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾: عائشة ظناً منها أن لا حرج في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾: أطلعه ﴿عَلَيْهِ﴾: على المنبأ به ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: لحفصة ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾: تكرماً منه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٣]: أي الله ﴿إِن تَتُوبَآ﴾: أي حفصة وعائشة ﴿إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالت إلى تحريم مارية أي سركما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له وذلك ذنب وجواب الشرط محذوف أي تقبلا وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾: بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء وفي قراءة بدونها تتعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾: أي النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾: فصل ﴿مَوْلَىٰهُ﴾: ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معطوف على محل اسم أن فيكونون ناصريه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَهِيرٌ﴾[٤]: ظهراء أعوان له في نصره عليكما ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾: أي طلق النبي أزواجه ﴿أَن

قوله: ﴿والله مولاكم﴾ أي متولي أموركم. قوله: ﴿حديثاً﴾ أي ليس من الأحكام البلاغية. قوله: [وهو تحريم مارية] أي وأسر إليها أيضاً أن أباها عمر، وأبا عائشة أبا بكر، يكونان خليفتين على الأمة بعده. قوله: ﴿فلما نبأت به﴾ [عائشة] قدره إشارة إلى أنه يتعدى إلى مفعولين: الأول بنفسه، والثاني بحرف الجر، وقد يحذف الجار تخفيفاً، وقد يحذف المفعول الأول لدلالة عليه. قوله: [ظناً منها] أي فهو باجتهاد منها، فهي مأجورة فيه. قوله: [أطلعه] ﴿عليه﴾ أي على لسان جبريل، فأخبره بأن الخبر قد أفشي. قوله: [على المنبأ به] أي وهو تحريم مارية، والمناسب أن يقول: على أنها قد انبأت به.

قوله: ﴿عرف بعضه﴾ أي هو تحريم مارية أو العسل. قوله: ﴿وأعرض عن بعض﴾ أي وهو أن أباها وأبا بكر يكونان خليفتين بعده، وإنما أعرض عن ذلك البعض خوفاً من أن ينتشر في الناس، فربما أثاره بعض المنافقين حسداً. قوله: [تكرماً منه] أي وحياء وحسن عشرة. قوله: ﴿قالت من أنبأك هذا﴾ أي وقد ظنت أن عائشة هي التي أخبرته. قوله: [أي سر كما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له] أي ومحبة الأمر الذي يكرهه النبي ﷺ زيغ وميل عن الحق. قوله: [وجواب الشرط محذوف] أي فقوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ تعليل للشرط، والمعنى إن تتوبا إلى الله من أجل ميل قلوبكما تقبلا. قوله: [ولم يعبر به] أي فيقول قلباكما. قوله: [فيما هو كالكلمة الواحدة] أي لأن بين المضاف والمضاف إليه علقة وارتباطاً. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿فإن الله هو مولاه﴾ تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره: فلا يعدم ناصراً فإن الله الخ. قوله: [فصل] أي ضمير فصل لا محل له من الإعراب. قوله: ﴿وصلح المؤمنين﴾ اسم جنس لا جمع، ولذلك يكتب من غير واو بعد الحاء، ويصح أن يكون جمعاً بالواو والنون، حذفت النون للإضافة، وكتب بدون واو اعتباراً بلفظه لأن الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو (سندع الزبانية). قوله: [معطوف على محل اسم إن] أي قبل دخول الناسخ، وهذا على بعض المذاهب النحويين، ويجوز أن يكون ﴿جبريل﴾ مبتدأ، وما بعده عطف عليه، و﴿ظهير﴾ خبر الجميع. قوله: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ أخبر بالمفرد عن الجمع لأن فعيلاً يستوي فيه الواحد وغيره، إن قلت: إن نصرة الله هي الكفاية العظمى، وما الحكمة في ضم ما بعدها إليها؟ قلت: تطييباً لقلوب المؤمنين، وتوقيراً لجانب الرسول.

قوله: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ الخ، سبب نزولها: أنه ﷺ لما أشاعت حفصة ما أسرها به اغتم ﷺ وحلف أن

---

* أسباب نزول الآية ٥ قوله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ الآية، تقدم سبب نزولها وهو قول عمر ففي سورة البقرة.

﴿يُبْدِلَهُ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ﴾: خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾: مقرات بالإسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾: مخلصات ﴿قَانِتَاتٍ﴾: مطيعات ﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾: صائمات أو مهاجرات ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾: بالحمل على

لا يدخل عليهن شهراً مؤاخذة عليهن، ومكث الشهر في بيت مارية، فلما مضت تسع وعشرون ليلة، بدأ بعائشة فدخل عليها فقالت له: إنك أقسمت على شهر، وإنك دخلت في تسع وعشرين ليلة، فقال لها: هذا الشهر تسع وعشرون ليلة، ولما بلغ عمر أن النبي ﷺ اعتزل نساءه، وشاع عند الناس أنه طلقهن، أتاه فوجده في مشربة، قال عمر: فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله؟ قالت: لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة، فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت فسلمت عليه، فإذا هو متكىء على رمال حصير قد أثر في جنبه، فقلت: يا رسول أطلقت نساءك؟ فرفع رأسه إلي وقال: لا، فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة، وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فما زال يلاطفه بالكلام حتى تبسم، وقال له: يا رسول الله، لا يشق عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهن، فإن الله معك، وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، قال عمر: وقلما تكلمت بكلام، إلا رجوت الله يصدق قولي الذي أقوله، فنزلت هذه الآية وآية ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ الخ، فاستأذن عمر النبي ﷺ أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه، فأذن له، فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته: لم يطلق رسول الله نساءه، قالت عائشة: ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير، فبدأ بي فاخترته، ثم خيرهن فاخترنه، وآية التخيير هي قوله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ إلى قوله ﴿عظيماً﴾. قوله: ﴿إن طلقكن﴾ أي جميعاً، فلا ينافي أنه وقع منه طلاق لحفصة طلقة واحدة وأمر بمراجعتها، فطلاقه لها كالعدم، فالتعليق إنما هو على تطليق الجميع، مع عدم المراجعة والتبديل للكل لكونه مرتباً على تطليق الكل. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿خيراً منكن﴾ أي بأن يطردكن ويأتي له بنساء أخر خيراً منكن، إذ قدرة الله صالحة لرفع أقوام ووضع آخرين، فلا يقال كيف تكون المبدلات خيراً منهن، مع أنه لم يكن على وجه الأرض نساء خير منهن، لأننا نقول قدرة الله صالحة لذلك إن حصل المعلق عليه وهو لم يحصل. قوله: [خبر عسى] أي جملة ﴿أن يبدله﴾. قوله: [والجملة جواب الشرط] أي جملة عسى واسمها وخبرها، إن قلت: إن هذه الجملة فعلها جامد، والجملة إذا كانت كذلك، ووقعت جواب شرط، وجب اقترانها بالفاء، فالمناسب أن تجعل دليل جواب محذوف. قوله: [ولم يقع التبديل] جواب عما يقال: إن الترجي في كلام الله للتحقيق مع أنه لم يحصل هنا، فأجاب: بأنه معلق على شرط وهو التطليق للكل ولم يطلقهن، وأجيب بأن ﴿عسى﴾ هنا للتخويف.

قوله: ﴿تائبات﴾ أي راجعات عن الزلات والهفوات. قوله: ﴿عابدات﴾ أي خاضعات متذللات. قوله: [صائمات] هذا قول ابن عباس، وسمي الصائم سائحاً لأن السائح لا زاد معه، فلا يزال ممسكاً إلى أن يجد ما يطعمه، فكذلك الصائم يمسك إلى أن يجيء وقت إفطاره. قوله: [أو مهاجرات] هذا قول الحسن. قوله: ﴿ثيبات وأبكاراً﴾ أي بعضهن كذا، وبعضهن كذا، ودخلت الواو بين الوصفين لتغايرهما دون سائر الصفات، والثيب من ثاب يثوب أي رجع، سميت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها، أو إلى غيره إن فارقها، أو لأنها رجعت إلى بيت أبويها، والأبكار جمع بكر وهي العذراء، وسميت بكراً لأنها على أول حالتها التي خلقت بها، فمدح الثيبات من حيث إنها أكثر تجربة وعقلاً وأسرع حبلاً، والبكر من حيث إنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة.

طاعة الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾: الكفار ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾: كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾: خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر ﴿غِلَاظٌ﴾: من غليظ القلب ﴿شِدَادٌ﴾: في البطش ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾: بدل من الجلالة أي لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾٦: تأكيد والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾: يقال لهم ذلك عند دخولهم النار أي لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾٧: أي جزاءه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾: بفتح النون وضمها صادقة بأن لا يعاد إلى الذنب ولا

قوله: ﴿قوا أنفسكم﴾ أي اجعلوا لها وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي. وقوا أمر من الوقاية، فوزنه عوا، لأن فاءه حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة، والأمر محمول عليه، وحذفت اللام حملاً له على المجزوم، فأصله أوقيوا فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة حملاً على المضارع، وحذفت همزة الوصل استغناء عنها لزوال الساكن الذي جيء به لأجله، واستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الياء وضم ما قبل الواو لتصح. قوله: ﴿وأهليكم﴾ أي مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم، والمراد بالأهل النساء والأولاد وما ألحق بهما. قوله: ﴿وقودها﴾ أي ما توقد به. قوله: [كأصنامهم] مثال للحجارة التي توقد النار بها. قوله: [منها] حال من الأصنام والضمير للحجارة. قوله: ﴿عليها ملائكة﴾ أي يتولى أمرها وتعذيب أهلها. قوله: [من غلظ القلب] أي قسوته فلا يرحمون أحداً، لأنهم خلقوا من الغضب، وحبب إليهم عذاب الخلق، كما حبب لبني آدم الطعام والشراب، وقيل: غلاظ الأبدان لما روي ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب. قوله: ﴿شداد﴾ [في البطش] أي فقد روي أنه من جملة قوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع، فتدفع الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم. قوله: [بدل من لفظ الجلالة] أي بدل اشتمال كأنه قال لا يعصون أمره، وفيه إشارة إلى أن ﴿ما﴾ مصدرية.

قوله: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي به. قوله: [تأكيد] جواب عما يقال: إن الجملة الأولى هي عين الجملة الثانية فلم كررها؟ فأجاب: بأنه كررها للتأكيد. وأجيب أيضاً: بأن مفاد الجملة الأولى: أنهم لا يقع منهم عصيان لأمر الله ولا مخالفة، ومفاد الجملة الثانية: أن قضاء الله نافذ على أيديهم، لا يعوقهم عنه عائق، بخلاف أهل طاعة الله في الدنيا، قد يتخلف ما أمروا به لعجز أو نسيان مثلاً، فتغايرا بهذا الاعتبار. قوله: [والآية تخويف للمؤمنين] أي الخالصين، وهو جواب عما يقال: إن هذا خطاب للمشركين، فلأي شيء خوطب به المؤمنون؟ فأجاب: بأنه على سبيل التخويف للمؤمنين الخالصين، وللمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهراً. قوله: [يقال لهم ذلك] أي ﴿يا أيها الذين كفروا﴾ الخ. قوله: [أي لأنه لا ينفعكم] أي لأنه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار، إذ قد فات زمنه. قوله: [أي جزاءه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف في قوله: ﴿ما كنتم تعملون﴾.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي اتصفوا بالإيمان. قوله: [بفتح النون] أي على أنه صيغة مبالغة كالشكور صفة للتوبة، أي بلغت الغاية في الخلوص، وقوله: [وضمها] أي فهو مصدر يقال: نصح نصحاً ونصوحاً، كشكر شكراً وشكوراً، وصفت به التوبة مبالغة على حد: زيد عدل، والقراءتان سبعيتان. وقوله: [صادقة] راجع لكل من القراءتين. قوله: [بأن لا يعاد إلى الذنب] الخ هذا أحد ثلاثة وعشرين قولاً في تفسير التوبة النصوح، كلها ترجع إلى التي استجمعت الشروط، واعلم أن التوبة مما لا يتعلق بحق لآدمي لها شروط ثلاثة: أن يقلع عن المعصية في الحال، وأن يندم على ما فعله، وأن يعزم على أنه لا يعود وإن كانت متعلقة بحق آدمي، فيزاد على هذه الثلاثة رد المظالم إلى أهلها

يراد العود إليه ﴿عسى ربكم﴾: ترجية تقع ﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات﴾: بساتين ﴿تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله﴾: بإدخال النار ﴿النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم﴾: أمامهم ﴿و﴾: يكون ﴿بأيمانهم يقولون﴾: مستأنف ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾: إلى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم ﴿واغفر لنا﴾: ربنا ﴿إنك على كل شيء قدير﴾^٨ ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾: بالسيف ﴿والمنافقين﴾: باللسان والحجة ﴿واغلظ عليهم﴾: بالانتهار والمقت ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾^٩ هي ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾: في الدين إذ كفرتا وكانت امرأة نوح واسمها واهلة تقول لقومه إنه مجنون وامرأة لوط واسمها واعلة تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلا بإيقاد النار ونهاراً

إن أمكن، وإلا فيكفي استسماحهم، وهي واجبة من كل ذنب كان كبيرة أو صغيرة بإجماع لما ورد: يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة، وفي رواية إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة. وورد: أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في التوبة. قوله: [ترجية تقع] أشار بذلك إلى أن هذا الترجي واجب الوقوع على القاعدة المتقدمة، أن كل ترج من الله في القرآن فهو واقع لكونه بمنزلة التحقيق وترجية كتزكية.

قوله: ﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾ إما منصوب بيدخلكم أو باذكر مقدراً. قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ إما معطوف على ﴿النبي﴾ فالوقف على قوله: ﴿معه﴾ ويكون قوله: ﴿نورهم يسعى﴾ مستأنفاً أو حالاً، أو مبتدأ خبره جملة ﴿نورهم يسعى﴾. قوله: ﴿و﴾ [يكون] ﴿بأيمانهم﴾ قدره دفعاً لما يتوهم من تسليط يسعى على الأيمان أنه وإن كان في جهتها إلا أنه بعيد عنها، فأفاد أنه كما يكون في جهة الأيمان يكون قريباً منها، وتقدم ذلك في سورة الحديد. قوله: [والمنافقون يطفأ نورهم] عطف سبب، أي أن سبب قول المؤمنين ما ذكر، أنهم يرون المنافقين يتقد لهم نور في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد، فإذا مشوا طفيء، فيمشون في ظلمة فيقعون في النار، فإذا رأى المؤمنون هذه الحالة، سألوا الله دوامه حتى يوصلهم إلى الجنة، والجنة لا ظلام فيها. إن قلت: كيف يخافون من طفء نورهم مع أنهم آمنون، لا يحزنهم الفزع الأكبر؟ أجيب: بأن دعاءهم ليس من خوف ذلك، بل تلذذاً وطلباً لما هو حاصل لهم من الرحمة. قوله: ﴿والمنافقين﴾ [باللسان والحجة] إنما خصهم بذلك لأنه ﷺ لم يؤمر بقتالهم بالسيف لأنهم مسلمون ظاهراً، والإسلام يقي من قتال السيف، وإنما أمر بفضحهم وإخراجهم من مجلسه كما تقدم ذلك. قوله: ﴿واغلظ عليهم﴾ أي شدد عليهم في الخطاب، ولا تعاملهم باللين. قوله: [بالانتهار] أي الزجر، وقوله: [المقت] أي البغض والطرد.

قوله: ﴿ضرب الله مثلا﴾ لما كان لبعض الكفار قرابة بالمسلمين، فربما توهموا أنها تنفعهم، وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار، وربما توهموا أنها تضرهم فضرب الله لك مثلاً، وضرب بمعنى جعل، فمثلاً مفعول ثان مقدم. وقوله: ﴿امرأت نوح﴾ الخ، أي حالهما، مفعول أول أخر عنه ليتصل به ما هو تفسير وشرح لهما، والمعنى جعل الله حال هاتين المرأتين مشابهاً لحال هؤلاء الكفرة، فالكفار اتصلوا بالنبي والمؤمنين، ولم ينفعهم الاتصال بدون الإيمان، والمرأتان كذلك. قوله: ﴿امرأت نوح﴾ ترسم امرأت في هذه المواضع الثلاثة، وابنت بالتاء المجرورة، وفي الوقف عليها خلاف بين القراء، فبعضهم يقف بالتاء، وبعضهم بالهاء. قوله: ﴿كانتا تحت عبدين﴾ أظهر في مقام الإضمار لتشريفهما بهذه النسبة والوصف بالصلاح. قوله: ﴿فخانتاهما﴾ [في الدين] أي لا في الزنا، لما ورد عن ابن عباس: أنه ما زنت امرأة نبي قط. قوله: [إذ كفرتا] تعليل لقوله فخانتا. قوله: [واسمها واهلة] بتقديم الهاء على اللام، وقيل بالعكس، وقوله: [واعلة] بتقديم العين على اللام، وقيل بالعكس.

بالتدخين ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾: أي نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه ﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ﴾: لهما ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾ ١٠: من كفار قوم نوح وقوم لوط ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾: آمنت بموسى واسمها آسية فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحى عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾: في حال التعذيب ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾: فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾: وتعذيبه ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ ١١: أهل دينه فقبض الله روحها وقال ابن كيسان رفعت إلى الجنة حية فهي تأكل وتشرب ﴿وَمَرْيَمَ﴾: عطف على امرأة فرعون ﴿ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حفظته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾: أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها فحملت بعيسى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾: شرائعه ﴿وَكُتُبِهِ﴾: المنزلة

قوله: ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ أي لم يدفع نوح ولوط، مع كرامتهما عند الله عن زوجتيهما لما كفرتا من عذاب الله شيئاً، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة والامتثال، لا بمجرد الصحبة قوله: ﴿شيئاً﴾ أي من الإغناء فهو مفعول مطلق أو مفعول به. قوله: ﴿وقيل﴾ [لهما] التعبير بالماضي لتحقق الوقوع والقائل خزنة النار.

قوله: ﴿امرأت فرعون﴾ أي جعل حالها مثلاً بحال المؤمنين، في أن وصلة الكفرة لا تضر مع الإيمان. قوله: [آمنت بموسى] أي لما غلب السحرة، وتبين لها أنه على الحق، فأبدلها الله بسبب الإيمان. قوله: [آمنت بموسى] أي لما غلب السحرة، وتبين لها أنه على الحق، فأبدلها الله بسبب ذلك الإيمان، أن جعلها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد ﷺ، وكذا زوجه الله في الجنة مريم بنت عمران لما ورد أنه ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال لها: يا خديجة إذا لقيت ضراتك فأقرئيهن مني السلام، فقالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال: لا، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وكلثوم أخت موسى، فقالت: يا رسول الله بالرفاء والبنين. وفي الحديث: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون». قوله: [واسمها آسية] بالمد وكسر السين، قيل: إنها عمة موسى فتكون إسرائيلية، وقيل: ابنة عم فرعون، فتكون من العمالقة. قوله: [بأن أوتد يديها] الخ، أي دق لها أربع أوتاد في الأرض، وشبحها فيها كل عضو بحبل. قوله: [وألقى على صدرها رحى] الخ في القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها، فلما أتوها بالصخرة قالت ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ فأبصرت البيت من مرمرة بيضاء، وانتزعت روحها، فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، ولم تجد ألماً. قوله: [واستقبل بها الشمس] أي جعلها مواجهة للشمس، وهو معطوف على قوله: [أوتد يديها] وليس متأخراً عن إلقاء الرحى، لأن إلقاء الرحى كان في آخر الأمر لما أيس من رجوعها عن الإيمان، فالواو لا تقتضي ترتيباً.

قوله: ﴿ابن لي عندك﴾ أي قريباً من رحمتك، فالعندية عندية مكانة لا مكان. قوله: [وتعذيبه] عطف تفسير لعمله. قوله: [عطف على امرأة فرعون] أي فهي من جملة المثل الثاني، فمثل حال المؤمنين بامرأتين، كما مثل حال الكفار بامرأتين. قوله: [حفظته] أي عن الرجال، فلم يصل إليها أحد بنكاح ولا بزنا. قوله: [أي جبريل] تفسير لـ﴿روحنا﴾. قوله: [حيث نفخ] الخ، بين به أن الإسناد في نفخنا، من حيث إنه الخالق والموجد، والإسناد لجبريل من حيث المباشرة. قوله: [بخلق الله] بيان لحقيقة الإسناد. قوله: [فعله] أي فعل جبريل هو النفخ، وقوله: [الواصل إلى فرجها] أي بواسطة كونه في جيب القميص. قوله: [فحملت بعيسى] أي عقب النفخ، فالنفخ والحمل والوضع في

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ﴾١٢: من القوم المطيعين.

ساعة واحدة، كما تقدم في سورة مريم. قوله: ﴿وكتبه﴾ [المنزلة] أي في زمانها، كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم. قوله: ﴿وكانت من القانتين﴾ أي معدودة منهم، فيه إشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين. قوله: [أي من القوم المطيعين] أي وهم رهطها وعشيرتها، لأنها من أهل بيت صالحين، من أعقاب هارون أخي موسى عليهما السلام.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الملك

[مكية وهي ثلاثون آية]

﴿تبارك﴾: تنزه عن صفات المحدثين ﴿الذي بيده﴾: في تصرفه ﴿الملك﴾: السلطان والقدرة ﴿وهو على كل شيء قدير ۝ الذي خلق الموت﴾: في الدنيا ﴿والحياة﴾: في الآخرة أو هما في الدنيا فالنطفة تعرض لها الحياة

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الملك مكية

وهي ثلاثون آية

وتسمى أيضاً الواقية والمنجية والمانعة، لأنها تقي صاحبها وتنجيه من عذاب القبر والقيامة، وتسمى أيضاً المجادلة، لأنها تجادل عن صاحبها في القبر، وورد في فضلها أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «إن سورة من كتاب الله، ما هي إلا ثلاثون آية، شفعت لرجل يوم القيامة، فأخرجته من النار وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك». ومنها «إذا وضع الميت في قبره، يؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه: ليس لكم عليه سبيل، لأنه كان يقوم بسورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه: ليس لكم عليه سبيل، لأنه كان يقرأ بي سورة الملك، ثم قال: هي المانعة من عذاب الله، وهي في التوراة سورة الملك، من قرأ بها في ليلة فقد أكثر وأطنب» أي من الخير. ومنها «وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن». قوله: [تنزه عن صفات المحدثين] أي تعاظم بجلاله وجماله عن أوصاف المخلوقات أزلاً وأبداً. قوله: [السلطان] أي الاستيلاء والتمكن التام من سائر الموجودات فيتصرف فيها كيف شاء، والأوضح للمفسر أن يفسر اليد بالقدرة، والملك بالمملوكات، وإلا فإبقاء كلامه على ظاهره فيه ركة لا تخفى، إذ يصير المعنى: تبارك الذي بتصرفه التصرف، ولا معنى له. قوله: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ تذييل لما قبله، قصد به إفادة أن قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الأحوال، بل عامة التعلق بها، بإيجاد الأعيان المتصرف فيها، وتغييرها من حال إلى حال.

قوله: ﴿الذي خلق الموت﴾ الخ، شروع في تفاصيل بعض آثار القدرة، واعلم أنه اختلف في الموت والحياة، فحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان، فالموت في هيئة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء، وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم السلام يركبونها، خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء ولا يجد ريحها إلا حيي، وهي التي أخذ السامري من أثرها تراباً فألقاه على العجل فحيي، على هذا الحياة والموت أمران وجوديان، وتقابلهما من تقابل الضدين، وقيل

وهي ما به الإحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أطوع لله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في انتقامه ممن عصاه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾[٢]: لمن تاب إليه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾: بعضها فوق بعض من غير مماسة ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: لهن أو لغيرهن ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾: تباين وعدم تناسب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾: أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾: فيها ﴿مِن فُطُورٍ﴾[٣]:

الموت عدم الحياة، فتقابلهما من تقابل العدم والملكة. قوله: [في الدنيا] أي وهو القاطع للحياة الدنيوية، وقوله: ﴿والحياة﴾ [في الآخرة] أي وهي حياة البعث، ولكن هذا القول لا يناسب ترتب الابتلاء عليه في قوله: ﴿ليبلوكم﴾ لأن الابتلاء إنما يترتب على حياة الدنيا. قوله: [أو هما في الدنيا] أي فالمراد بالموت عدم الحياة السابق على الوجود، والمراد بالحياة الحياة الدنيوية. قوله: [وهي ما به الإحساس] تفسير للحياة على كل من القولين، وقوله: [ما به الإحساس] أي فتكون صفة وجودية يلزمها الحس والحركة. قوله: [أو عدمها] أي عدم الحياة أعم من أن يكون سابقاً عليها أو متأخراً عنها. قوله: [قولان] أي في تعريف الموت. قوله: [والخلق على الثاني] أي على القول الثاني في تعريف الموت وهو أنه عدم الحياة. قوله: [بمعنى التقدير] أي وهو متعلق بالموجودات والمعدومات، لأنه تعلق الإرادة والعلم الأزليان، وأما على الأول فيتعلق به الخلق حقيقة، لأنه أمر وجودي.

قوله: ﴿ليبلوكم﴾ أي يعاملكم معاملة المبتلي، والمختبر، فاندفع ما قد يتوهم من ظاهر الآية، أن علمه تعالى يتجدد بتجدد المعلومات. قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ ﴿أيكم﴾ مبتدأ، و﴿أحسن﴾ خبره، و﴿عملاً﴾ تمييز، والجملة في محل نصب مفعول ثان ﴿ليبلوكم﴾ وإنما علق يبلو عن المفعول الثاني لما فيه من معنى العلم فأجرى مجراه. قوله: [أطوع لله] هذا أحد تفاسير في قوله: ﴿أحسن عملاً﴾ وقيل: أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله، وقيل: ﴿أحسن عملاً﴾ أخلصه، وأصوبه، فالخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿الذي خلق سبع سموات﴾ أي فالأولى من موج مكفوف، والثانية من مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس أصفر، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، وبين السابعة والحجب صحارى من نور، وهذا على بعض الروايات. قوله: ﴿طباقاً﴾ إما جمع طبقة أو طبق أو مصدر طابق، فالوصف به على الأول ظاهر، وعلى الثاني مبالغة. قوله: [بعضها فوق بعض من غير مماسة] وكلها علوية لا غير، وهذا مذهب أهل السنة، وقال أهل الهيئة: إن الأرض كروية، والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب، والثانية محيطة بالجميع، وهكذا العرش محيط بالكل، والأرض بالنسبة لسماء الدنيا كحلقة ملقاة في فلاة، وسماء الدنيا بالنسبة للثانية كحلقة ملقاة في فلاة وهكذا، واعتقاد ما قاله أهل الهيئة لا يضر، وليس في الشرع ما يخالفه.

قوله: ﴿ما ترى في خلق الرحمن﴾ خطاب للنبي عليه السلام، أو لكل من يصلح للخطاب، وإضافة خلق للرحمن من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوف قدره بقوله: [لهن ولا لغيرهن]. قوله: ﴿من تفاوت﴾ بألف بين الفاء والواو، وبدونها مع تشديد الواو، قراءتان سبعيتان، ولغتان بمعنى واحد. قوله: [وعدم تناسب] أي اختلاف يخالف ما تعلقت به القدرة والإرادة، بل خلقه تعالى مستقيم متناسب على حسب تعلق قدرته وإرادته، بخلاف صنع العبد، فقد يأتي على خلاف ما يريده. قوله: ﴿فارجع البصر﴾ أي إن أردت العيان بعد الإخبار ﴿فارجع﴾ فهو مرتب على قوله: ﴿ما ترى﴾.

قوله: ﴿هل ترى من فطور﴾ بإدغام لام ﴿هل﴾ في التاء وإظهارها، قراءتان سبعيتان، هنا وفي الحاقة. قوله:

صدوع وشقوق ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ : كرة بعد كرة ﴿يَنْقَلِبْ﴾ : يرجع ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئاً﴾ : ذليلاً لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ٤ : منقطع عن رؤية خلل ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا﴾ : القربى إلى الأرض ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ : بنجوم ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً﴾ : مراجم ﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾ : إذا استرقوا السمع بأنْ ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله لا أنَّ الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ ٥ : النار الموقدة ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ٦ : هي ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً﴾ : صوتاً منكراً

[صدوع وشقوق] أي فلا يطرأ على السماء، ما دامت الدنيا صدوع، ولا شقوق لعدم تعلق إرادته بذلك، فليست كبنيان الخلائق، يتصدع ويتشقق بطول الزمان، مع كون صانعه لا يريد ذلك. قوله: [كرة بعد كرة] أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من قوله: ﴿كرتين﴾ حقيقة التثنية، بل التكثير بدليل قوله: ﴿ينقلب إليك البصر﴾ الخ، وانقلاب البصر ﴿خاسئاً﴾ حسيراً، لا يتأتى بنظرتين ولا ثلاث، فهو كقولهم: لبيك وسعديك. قوله: ﴿ينقلب﴾ العامة على جزمه في جواب الأمر، وقرئ برفعه إما على حال مقدرة أو مستأنف حذفت منه الفاء، والأصل فينقلب. قوله: [ذليلاً] أي خاضعاً صاغراً متباعداً. قوله: [منقطع] أي بلغ الغاية في الإعياء والتعب.

قوله: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ الخ، شروع في ذكر أدلة أخرى على توحيده سبحانه وتعالى، وتمام قدرته وإرادته. قوله: [القربى إلى الأرض] أي التي هي أقرب إلى الأرض من باقي السماوات فقربى صيغة تفضيل كما تقول: هند فضلى النساء، ولا يخالف ما تقدم، من أن الكواكب ثابتة في العرش أو الكرسي لأن السماء شفافة لا تحجب ما وراءها، فتزين السماء الدنيا بالكواكب، لا يقتضي أنها ثابتة فيها، وهذا في غير الكواكب السبعة التي أشار لها بعضهم بقوله:

زحـل شـرى مـريـخـه من شـمـسـه ... فـفـتـزاهـرت لـعـطـارد الأقـمـار

فإنها مفرقة على السماوات السبع، في كل سماء كوكب منها فزحل في السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في سماء الدنيا. قوله: [بنجوم] أشار بذلك إلى أنه أطلق المصابيح، وأراد النجوم فهو مجاز، وإلا فحقيقة المصباح السراج. قوله: ﴿رجوماً﴾ جمع رجم مصدر، أطلق على المرجوم به، ولذا قال المفسر [مراجم] أي أموراً يرجم بها. قوله: [إذا استرقوا السمع] أي أرادوا استراقه. قوله: [بأن ينفصل شهاب] الخ، جواب عما يقال: إن الله تعالى جعل الكواكب زينة للسماء، وذلك يقتضي ثبوتها وبقاءها فيها، وجعلها رجوماً يقتضي زوالها وانفصالها عنها، فكيف الجمع بين الحالتين؟ فأجاب: بأنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب، بل بما ينفصل منها من الشهب، وذلك كمثل القبس الذي يؤخذ من النار، وهي على حالها. قوله: [أو يخبله] من الخبل بسكون الباء، وهو الفساد في العقل أو في البدن. قوله: [لا أن الكوكب يزول عن مكانه] أي ففي الكلام حذف مضاف، والتقدير: وجعلنا شهبها رجوماً، الخ. قوله: ﴿وأعتدنا﴾ أي هيأنا وأحضرنا. قوله: ﴿لهم﴾ أي للشياطين. قوله: ﴿عذاب السعير﴾ أي في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

قوله: ﴿وللذين كفروا﴾ خبر مقدم ﴿وعذاب جهنم﴾ مبتدأ مؤخر. والمعنى: لمن كفر من الإنس والجن عذاب جهنم الخ. قوله: ﴿إذا ألقوا فيها﴾ معمول لسمعوا، والجملة مستأنفة، وقوله: ﴿لها﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿شهيقاً﴾ لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: [صوتاً منكراً] أي فتشهق جهنم عند إلقاء الكفار فيها، كشهقة البغل للشعير، وهذا ما عليه ابن عباس، وقيل الشهيق من الكفار عند إلقائهم فيها، وعليه فالكلام على حذف مضاف، أي

كصوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ ٧: تغلي ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾: وقرىء تتميز على الأصل تتقطع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾: غضباً على الكفار ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: سؤال توبيخ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ٨: رسول ينذركم عذاب الله تعالى ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ٩: يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب وأن يكون من كلام الكفار للنذر ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾: أي سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾: أي عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ١٠ ﴿فَٱعْتَرَفُوا﴾: حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنبِهِمْ﴾: وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحْقًا﴾: بسكون الحاء وضمها ﴿لِّأَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ١١: فبعداً لهم عن رحمة الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾: يخافونه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سراً فيكون علانية أولى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ١٢: أي الجنة ﴿وَأَسِرُّوا﴾: أيها الناس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ﴾: تعالى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ١٣: بما فيها فكيف بما نطقتم به وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا

سمعوا لأهلها. قوله: [وقرىء تتميز] أي شذوذاً. قوله: [غضباً على الكفار] أي من أجل غضب سيدها وخالقها، فتأتي يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به، وهي من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس، فتقطع الأزمة جميعها، وتحطم على أهل المحشر، فلا يردها عنهم إلا النبي ﷺ، يقابلها بنوره فترجع، مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر أن يقلع الأرض وما عليها من الجبال ويصعد بها في الجو لفعل من غير كلفة.

قوله: ﴿سألهم﴾ أي سأل الفوج، والجمع باعتبار معناه. قوله: ﴿ألم يأتكم نذير﴾ مفعول ثان لسأل. والمعنى: سألهم عن جواب هذا الاستفهام. قوله: ﴿قالوا بلى﴾ الخ، إنما جمعوا بين حرف الجواب والجملة المستفادة منه تأكيداً وتحسراً وندماً على تفريطهم. قوله: ﴿جاءنا نذير﴾ هذا من كلام الفوج، ومن المعلوم أن كل فوج له نذير يخصه. قوله: ﴿فكذبنا﴾ أي فتسبب عن مجيئه أننا كذبناه فيما جاء به من عند الله تعالى. قوله: ﴿إلا في ضلال كبير﴾ أي بعيد عن الحق. قوله: [يحتمل أن يكون] أي قوله: [من كلام الملائكة] أي وعليه فقوله: ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ أي في الدنيا. قوله: [وأن يكون من كلام الكفار] أي من تمام كلام الكفار للنذر، وهذا الاحتمال استظهره جمهور المفسرين.

قوله: ﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾ الخ، أي زيادة في توبيخ أنفسهم. قوله: ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾ أي في عدادهم وهم الشياطين. قوله: ﴿فسحقاً﴾ إما مفعول به، أي ألزمهم الله سحقاً، أو مصدر عامله محذوف تقديره سحقاً، فناب المصدر عن عامله، والسحق البعد، يقال: سحق الشيء بالضم بوزن بعد، فهو سحيق أي بعيد، وأسحقه الله أبعده. قوله: [بسكون الحاء وضمها] أي فهما سبعيتان. قوله: [في غيبتهم عن أعين الناس] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بالغيب﴾ حال من الواو في ﴿يخشون﴾ والباء بمعنى في، والمعنى يخشى الله في حال غيبته عن الناس بحيث يطيع ربه، ولم يطلع عليه أحد، وإذا كان ذلك في حال سره واختفائه عن الناس، فعلانيته أولى؛ لأن العادة أن الإنسان يستتر في المعصية عن أعين الناس وإن لم يخف الله.

قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم. قوله: ﴿وأجر كبير﴾ أي لا يعلم قدره غير الله تعالى. قوله: [بما فيها] أي من الخواطر التي لا يتكلم بها. قوله: [فكيف بما نطقتم به] هذا من تمام الاستدلال على تساوي السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى. قوله: [قال بعضهم لبعض] أي وذلك أنهم كانوا يتكلمون في شأن النبي بما لا يليق، فأخبره جبريل

قولكم لا يسمعكم إله محمد ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾: ما تسرون أي أينتفي علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ ١٤: فيه لا ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: سهلة للمشي فيها ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾: المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ١٥: من القبور للجزاء ﴿أَأَمِنْتُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها وبين الأخرى وتركه وإبدالها ألفاً ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾: سلطانه وقدرته ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾: بدل من مَنْ ﴿بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ١٦: تتحرك بكم وترتفع فوقكم ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ﴾: بدل من مَنْ ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحاً ترميكم بالحصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ

بذلك، فأخبرهم النبي به، فقال بعضهم لبعض ﴿أسروا قولكم﴾ الخ. قوله: [لايسمعكم] مجزوم في جواب الأمر. قوله: ﴿من خلق﴾ ﴿من﴾ فاعل ﴿يعلم﴾ وقوله: [ما تسرون] تنازعه كل من يعلم وخلق، والمعنى إذا كان خالقاً للسر الذي هو من جملة مخلوقاته، لزم أن يكون عالماً به، فكيف يدعون أنه لا علم له به. قوله: [أي أينتفي علمه] الخ، أشار به إلى أن همزة الاستفهام داخلة على لا نافية. قوله: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ الجملة حالية. قوله: [لا] أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري، فهو نفي للنفي، فالمقصود إثبات إحاطة علمه بجميع الأشياء ظاهرها وخافيها.

قوله: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض﴾ الخ، هذا من جملة أدلة توحيده وباهر قدرته وامتنانه على عباده. قوله: ﴿ذلولاً﴾ أي مذللة منقادة لما تريدون، منها من مشي عليها، وزرع، حبوب، وغرس أشجار، وغير ذلك. قوله: [سهلة للمشي فيها] أي بأن ثبتها بالجبال وجعلها من طين، إذ لو جعلها من حديد أو ذهب أو رصاص، لكانت تسخن جداً في الصيف، وتبرد جداً في الشتاء، فلا يستطاع المشي عليها. قوله: ﴿فامشوا﴾ أمر إباحة. قوله: [جوانبها] هذا أحد تفاسير للمناكب، وقيل المناكب الجبال، وقيل الأطراف، وقيل الفجاج.

ـ فائدة ـ حكى قتادة عن أبي الجلد، أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، للسودان اثنا عشر ألفاً، وللروم ثمانية آلاف، وللفرس ثلاثة آلاف، وللعرب ألف اهـ. والظاهر أن المراد بها الأرض المعمورة ببني آدم، غير يأجوج ومأجوج، مما تقدم لنا أن كورة الأرض خمسمائة عام.

قوله: [المخلوق لأجلكم] أي لانتفاعكم به، فحكمة خلق الأرزاق انتفاعهم بها. قوله: ﴿وإليه النشور﴾ أي الإخراج من القبور. قوله: [للجزاء] أي على أعمالكم. قوله: [وإدخال ألف بينها] أي بين الهمزة الثانية بقسميها، وهما التحقيق والتسهيل، ففي كلامه التنبيه على خمس قراءات سبعيات، اثنتان في التحقيق، ومثلها في التسهيل، والخامسة الإبدال. قوله: ﴿من في السماء﴾ [سلطانه] أشار بذلك لجواب ورد على ظاهر الآية. وحاصله أن الآية توهم أن الله تعالى في مكان وهو السماء. فأجاب رضي الله عنه: بأن الكلام على حذف مضاف للضمير المستكن في الظرف. والأصل من ثبت واستقر في السماء هو أي سلطانه وقدرته أي محل سلطانه وهو العالم العلوي، وخصه بالذكر وإن كان سلطانه في العالم السفلي أيضاً، لأنه أعجب وأغرب فالتخويف به أشد. قوله: ﴿أن يخسف﴾ الخ أي بعد أن جعلها ذلولاً، تمشون فيها وتأكلون من رزقه. قوله: [بدل من من] أي بدل اشتمال. قوله: [تتحرك بكم] أي فيقال مار تحرك وجاء وذهب.

قوله: ﴿أم أمنتم﴾ اضراب وانتقال من تهديد إلى آخر. قوله: ﴿من في السماء﴾ أي سلطانه وقدرته. قوله: [بدل من من] أي بدل اشتمال أيضاً. قوله: [ريحاً ترميكم] الخ، هذا أحد تفاسير للحاصب، وقيل هو الحجارة من السماء،

﴿نَذِيرِ﴾[١٧]: إنذاري بالعذاب أي أنه حق ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[١٨]: إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم أي أنه حق ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: ينظروا ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾: في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: باسطات أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أجنحتهن بعد البسط أي وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: بقدرته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾[١٩]: المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب ﴿أَمَّنْ﴾: مبتدأ ﴿هَٰذَا﴾: خبره ﴿ٱلَّذِي﴾: بدل من هذا ﴿هُوَ جُندٌ﴾: أعوان ﴿لَّكُمْ﴾: صلة الذي ﴿يَنصُرُكُم﴾: صفة جند ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: أي غيره يدفع عنكم عذابه أي لا ناصر لكم ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾[٢٠]: غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾: الرحمٰن ﴿رِزْقَهُۥ﴾: أي المطر عنكم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فمن يرزقكم أي لا رازق لكم غيره ﴿بَل لَّجُّوا﴾: تمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾: تكبر ﴿وَنُفُورٍ﴾[٢١]: تباعد عن الحق ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا﴾: واقعاً ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾: معتدلاً ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢٢]: وخبر

وقيل سحاب فيها حجارة. قوله: [عند معاينة العذاب] أي في الآخرة أو عند خروج أرواحهم. قوله: [أي إنه حق] أي الإنذار واقع ونافذ مقتضاه. قوله: ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ هذا تسلية له ﷺ، أي فلا تحزن على تكذيبهم لك، فقد سبقهم غيرهم بالتكذيب لأنبيائهم. قوله: [عند إهلاكهم] أي موتهم أو تعذيبهم في الآخرة.

قوله: ﴿أو لم يروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه. والمعنى: أغفلوا ولم يروا. قوله: ﴿إلى الطير﴾ يجمع على طيور وأطيار، ومفرد الطير طائر، فطيور وأطيار جمع الجمع. قوله: ﴿صافات﴾ حال ومفعوله محذوف قدر بقوله: [أجنحتهن] وكذا قوله: ﴿ويقبضن﴾. قوله: [أي وقابضات] أشار بذلك إلى أن الفعل مؤول باسم الفاعل معطوف على ﴿صافات﴾ والحكمة في تعبيره ثانياً بالفعل، ولم يقل وقابضات أن الأصل في الطيران صف الأجنحة، والقبض طارئ عليه، فعبر عن الأصل باسم الفاعل، وعن الطارئ بالفعل الذي شأنه الحدوث. قوله: ﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ عبر بالرحمن إشارة إلى أنه من جلائل النعم، وهذه الجملة مستأنفة. قوله: ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ أي فيعلم الأشياء الدقيقة الغريبة، فيدبرها على مقتضى ما يريد.

قوله: ﴿أمن هذا الذي﴾ الخ، سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن الكفار كانوا يمتنعون من الإيمان ويعاندون رسول الله معتمدين على شيئين: قوتهم بالأموال والعدد، واعتقادهم أن أصنامهم توصل إليهم الخيرات وتدفع عنهم المضرات، فأبطل الله الأول بقوله: ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم﴾ الخ، وأبطل الثاني بقوله: ﴿أمن هذا الذي يرزقكم﴾ الخ، وأم هنا منقطعة تفسر ببل وحدها لدخولها على من الاستفهامية، ولا يصح تفسيرها ببل والهمزة، لئلا يدخل الاستفهام على مثله. قوله: [أعوان] أشار بذلك إلى أن جنداً لفظه مفرد ومعناه جمع. قوله: [يدفع عنكم عذابه] تفسير لقوله: ﴿ينصركم﴾. قوله: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾ اعتراض مقرر لما قبله، والالتفات عن الخطاب للغيبة إيذان بالإعراض عنهم، والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر.

قوله: ﴿أمن هذا الذي يرزقكم﴾ تكتب أم موصولة بمن، فتكون ميماً واحدة متصلة بالنون، وكذا يقال فيما تقدم. قوله: ﴿إن أمسك رزقه﴾ أي أسباب رزقه التي ينشأ عنها. قوله: [أي المطر] أي والنبات وغير ذلك كباقي الأسباب. قوله: ﴿بل لجوا﴾ الخ، اضراب انتقالي مبني على مقدر يستدعيه المقام، كأنه قيل: إنهم لم يتأثروا بتلك المواعظ ولم يذعنوا. قوله: ﴿بل لجوا﴾ الخ. قوله: ﴿أفمن يمشي مكباً﴾ الخ، هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر،

من الثانية محذوف دلّ عليه خبر الأولى أي أهدى والمثل في المؤمن والكافر أي أيهما على هدى ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ﴾: القلوب ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ ٢٣: ما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جداً على هذه النعم ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٢٤: للحساب ﴿وَيَقُولُونَ﴾: للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: وعد الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ٢٥: فيه ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾: بمجيئه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٢٦: بيّن الإنذار ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾: أي العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾: قريباً ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: اسودت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ﴾: أي قال الخزنة لهم ﴿هَٰذَا﴾: أي العذاب ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ﴾: بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ﴾ ٢٧: أنكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتي عبر عنها بطريق المضي لتحقق

توضيحاً لحالهما، وتحقيقاً لشأنهما. قوله: ﴿مكباً﴾ اسم فاعل من أكبّ اللازم المطاوع لكبّ، فكبّ من غير همزة، متعدّ، يقال: كبه الله، وأما أكبّ فهو لازم، أكبّ أي سقط، وهذا على خلاف القاعدة المشهورة، من أن الهمزة إذا دخلت على اللازم تصيره متعدياً، وهنا دخلت على المتعدي فصيرته لازماً. قوله: [واقعاً] ﴿على وجهه﴾ أي لكونه أعمى ماشياً على غير طريق، فهو معرض للهلاك. قوله: ﴿أهدى﴾ أي متصف بالهدى، فأفعل التفصيل ليس على بابه، كما يشير له المفسر، بقوله: [أي أيهما على هدى]. قوله: [وخبر من الثانية] الخ لا حاجة له، بل من الثانية معطوفة على الأولى عطف مفردات، والخبر قوله: ﴿أهدى﴾ وأفرد لأن العطف بأم وهي لأحد الشيئين. قوله: [والمثل في المؤمن والكافر] أي فلا يستوي الأعمى الماشي على غير طريق، والبصير الماشي في الطريق المعتدلة، لأن الأول معرض للهلاك، والتلف، بخلاف الثاني، فتسوية الكفار لهما خساقة عقل وعدم تدبر، والمذكور في الآية هو المشبه به، والمشبه محذوف لدلالة السياق عليه.

قوله: ﴿هو الذي أنشأكم﴾ خطاب للنبي ﷺ بأن يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم، ليرجعوا إليه في أمورهم، ولا يعولوا على غيره. قوله: ﴿وجعل لكم السمع﴾ أي لتسمعوا آيات الله وتتعظوا بها. قوله: ﴿والأبصار﴾ أي لتنظروا بها إلى مصنوعاته الدالة على انفراده بالخلق والتدبير. قوله: ﴿والأفئدة﴾ لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتبصرونه من الآيات العظيمة. قوله: ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ ﴿قليلاً﴾ صفة مصدر محذوف، أي شكراً قليلاً، والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله، فصرف النعم في غير مصارفها كفر لها. قوله: [ما مزيدة] أي لتأكيد القلة، وهي على بابها بالنسبة للمؤمن، أو بمعنى العدم بالنسبة للكافر. قوله: ﴿قل هو الذي ذرأكم﴾ أي أنشاكم وبثكم ونشركم. قوله: ﴿وإليه تحشرون﴾ أي تجمعون وتضمون للحساب.

قوله: ﴿ويقولون﴾ أي استهزاء وتكذيباً. قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ قصدوا بهذا الخطاب النبي والمؤمنين لأنهم مشاركون له في الوعد وتلاوة الآيات، وجواب الشرط محذوف أي فبينوا وقته. قوله: [بمجيئه] أي بوقت إتيانه. قوله: [بيّن الإنذار] أي بسبب إقامة الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة. قوله: ﴿فلما رأوه زلفة﴾ مرتب على محذوف تقديره: وقد أتاهم الموعد به فرأوه، فلما رأوه الخ. قوله: [أي العذاب بعد الحشر] أي وهو العذاب في الآخرة، وهذا قول جمهور المفسرين في مرجع الضمير في ﴿رأوه﴾ وقيل هو عذاب بدر، وقيل هو عملهم السيىء. قوله: ﴿زلفة﴾ اسم مصدر لأزلف ومصدره الإزلاف. قوله: [قريباً] حال مفعول ﴿رأوه﴾ قوله: ﴿سيئت﴾ مبني للمفعول، والأصل ساء العذاب وجوههم، وأظهر في مقام الإضمار تقبيحاً وتسجيلاً بوصف الكفر. قوله: [أي قال الخزنة لهم] أي توبيخاً وتقريعاً. قوله: ﴿تدعون﴾ من الدعوى، ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: [أنكم لا تبعثون] والباء في ﴿به﴾

وقوعها ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾: من المؤمنين بعذابه كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾: فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ ٱلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢٨: أي لا مجير لهم منه ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾: بالتاء والياء عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٢٩: بين أنحن أم أنتم أم هم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غائراً في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ٣٠: جار تناله الأيدي والدلاء كمائكم أي لا يأتي به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم ويستحب أن يقول القارىء عقب معين الله رب العالمين كما ورد في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه وعمي نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

سببية، والمعنى: فلما رأوا عذاب الآخرة قريباً منهم، اسودت وجوههم وقال لهم الخزنة: هذا العذاب الذي كنتم بسبب انذاركم وتخويفكم به، ادعيتم عدم البعث، وانكرتم البعث. قوله: [وهذه حكاية حال] الخ اسم الإشارة عائد على قوله: ﴿فلما رأوه﴾.

قوله: ﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله﴾ الخ ﴿أرأيتم﴾ بمعنى أخبروني تنصب مفعولين، سدت الجملة الشرطية مسدهما، والمعنى: قل لهم يا محمد، وكانوا يتمنون موته ﷺ: إن أماتني الله ومن معي من المؤمنين بعذابه أو رحمنا، فلا فائدة لكم في ذلك، ولا نفع يعود عليكم، لأنه لا مجير لكم من عذاب الله تعالى. قوله: [كما تقصدون] يحذف منه إحدى التاءين، أي تتقصدون وتنتظرون، قال تعالى حكاية عنهم ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾. قوله: [أي لا مجير لهم منه] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالكفر.

قوله: ﴿قل هو الرحمن﴾ أي الذي أدعوكم إلى عبادته وطاعته. قوله: ﴿آمنا به وعليه توكلنا﴾ الحكمة في تأخير مفعول ﴿آمنا﴾ وتقديم مفعول ﴿توكلنا﴾ أن الأول وقع في معرض الرد على الكافرين فكأنه قال: آمنا ولم نكفر كما كفرتم، والثاني قدم مفعوله لإفادة الحصر كأنه قال: لا نتوكل على ما توكلتم عليه، من أموال ورجال وغير ذلك، بل نقصر توكلنا على خالقنا. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [عند معاينة العذاب] أي في الآخرة. قوله: [أنحن] أشار به إلى أن قوله: ﴿من﴾ استفهامية، و﴿هو﴾ ضمير فصل، وجملة الظرف خبر المبتدإ، والجملة بتمامها سدت مسد المفعولين، لعلم المعلقة عن العمل بالاستفهام. قوله: [أم أنتم] راجع لقراءة الخطاب، وقوله: [أم هم] راجع لقراءة الغيبة، فالكلام على التوزيع. قوله: ﴿إن أصبح ماؤكم﴾ أي الكائن في أيديكم، وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون. قوله: [غائراً] أشار بذلك إلى أن المصدر مؤول باسم الفاعل. قوله: ﴿معين﴾ أصله معيون بوزن مفعول كمبيع، نقلت ضمة الياء إلى العين قبلها، فالتقى ساكنان الياء والواو، حذفت الواو وكسرت العين لتصح الياء.

قوله: [لا يأتيكم به إلا الله] أي فلم تشركون به من لا يقدر على أن يأتيكم به. قوله: [أن يقول القارىء] أي ولو في الصلاة. قوله: [وعمي] عطف تفسير. قوله: [من الجراءة على الله] يقال: اجترأ على القول بالهمز، اسرع بالهجوم عليه من غير توقف، والاسم الجرأة بوزن غرفة، وجراءة بوزن كراهة، كما قال المفسر، ويؤخذ منه أن العبد يؤاخذ بالكفر، ولو على سبيل المزح.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة ن

[مكية وهي اثنتا وخمسون آية]

﴿نٓ﴾ أحدُ حروف الهجاءِ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾: الذي كُتِبَ به الكائنات في اللوح المحفوظ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة ن مكية

وهي اثنتان وخمسون آية

وتُسمّى سورة القلم. قوله: [مكية] أي في قول الجمهور، والقول الآخر، أن بعضها مكي وبعضها مدني. قوله: ﴿ن﴾ يقرأ بفك الإدغام من واو القسم وبإدغامه، وهما قراءتان سبعيتان، وهو بسكون النون عند السبعة، وقرئ شذوذاً بالفتح والكسر والضم. قوله: [أحد حروف الهجاء] غرضه بهذه العبارة الرد على المخالف، لأن منهم من قال: إنه إسم مقتطع من اسمه الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور، فهو كسائر حروف الهجاء التي افتتح بها كثير من السور فهو من المتشابه، وقيل: إنه الحوت الذي على ظهره الأرض، وعليه فحرف القسم مقدّر تقديره ونون القلم، قال أصحاب السير والأخبار: لما خلق الله الأرض وفتقها سبع أرضين، بعث من تحت العرش ملكاً، فهبط إلى الأرض حتى دخل الأرضين السبع حتى ضبطها، فلم يكن لقدمه موضع قرار، فأهبط الله تعالى من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن، وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدم الملك على سنامه، فلم تستقر قدمه، فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس، غلظها مسيرة خمسمائة سنة، فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه، فاستقر عليها قدما الملك، وقرون ذلك خارجة من أقطار الأرض، ومنخاراه في البحر، فهو يتنفس كل يوم نفساً فإذا تنفس مد البحر، وإذا رد نفسه جزر البحر، فلم يكن لقوائم الثور قرار، فخلق الله صخرة كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، فاستقرت قوائم الثور عليها، وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه: فتكن في صخرة، فلم يكن للصخرة مستقر، فخلق الله تعالى نوناً وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال، والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة، فقيل: كل الدنيا بما عليها حرفان، قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس: كوني فكانت. قوله: [الذي كتب به الكائنات] الخ، هذا أحد قولين، والآخر أن المراد به الجنس، وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والأرض، قال تعالى ﴿وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ لأن القلم نعمة كاللسان عن ابن عباس: أول ما خلق الله القلم ثم قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، من عمل أو أجل أو رزق، أو أثر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: ثم ختم فم القلم، فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة، وهو من نور طوله كما بين السماء

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١]: أي الملائكة من الخير والصلاح ﴿مَا أَنْتَ﴾: يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[٢]: أي انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها وهذا رد لقولهم أنه مجنون ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[٣]: مقطوع ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾: دين ﴿عَظِيمٍ﴾[٤] ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[٥] ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[٦]: مصدر كالمعقول أي الفتون بمعنى الجنون أي أبك أم بهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٧]: له وأعلم بمعنى عالم ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٨] ﴿وَدُّوا﴾: تمنوا ﴿لَوْ﴾: مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾: تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾[٩]: يلينون لك وهو

والأرض. قوله: [أي الملائكة] يصح أن يراد بهم الملائكة الذين ينسخون المقادير من اللوح المحفوظ، وأن يراد بهم الحفظة الذين يكتبون عمل الإنسان، فأقسم أولاً بالقلم، ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء: نفي الجنون عنه، وثبوت الأجر له، وكونه على خلق عظيم، فالمقسم به شيئان أو ثلاثة بزيادة نون، على أن المراد به الحوت. قوله: ﴿ما أنت بنعمة ربك﴾ الخ، جواب القسم، والباء في ﴿بنعمة ربك﴾ سببية وفي ﴿بمجنون﴾ زائدة، ومجنون خبر ﴿ما﴾. قوله: [وهذا رد لقولهم] أي كما حكاه الله عنهم في قوله ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾. قوله: ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ أي بل هو دائم جار مستمر لا ينقطع، فهو ﷺ دائماً يترقى في الكمالات، فمقامه بعد وفاته أعظم منه في حال حياته، ومقامه في الآخرة أعلى من مقامه في الدنيا.

قوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال ابن عباس: معناه على دين عظيم، لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام، وقال الحسن: هو آداب القرآن، بدليل أن عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، ولذا قال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أوامر الله، وينتهي عنه من نهي الله تعالى، والمعنى: إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن، وهذا أعظم مديح له ﷺ، ولذا قال العارف البوصيري رضي الله عنه:

فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم

قوله: ﴿فستبصر ويبصرون﴾ أي فستعلم ويعلمون في الدنيا، بظهور عاقبة أمرك، واستيلائك عليهم بالقتل والنهب، ويوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل. قوله: ﴿بأيكم المفتون﴾ ﴿بأيكم﴾ خبر مقدم، و﴿المفتون﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب تنازعها كل من تبصر ويبصرون، أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف لأنه فضلة، وليس قوله: ﴿بأيكم﴾ متعلقاً بيبصرون لأنه معلق بالاستفهام عن العمل. قوله: [مصدر كالمعقول] أي جاء على صيغة مفعول، كالمعقول والميسور. قوله: ﴿إن ربك﴾ الخ تعليل لما قبله، وتأكيد للوعد والوعيد. قوله: [له] أي للسبيل. قوله: [وأعلم بمعنى عالم] أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه، وإلا لاقتضى مشاركة الحادث للقديم وهو باطل.

قوله: ﴿فلا تطع المكذبين﴾ مرتب على ما تقدم من اهتدائه ﷺ وضلالهم، أو على جميع ما تقدم من أول السورة. قوله: [تلين لهم] أي بترك نهيهم عن الشرك، أو بأن توافقهم فيه أحياناً، وقوله: [يلينون لك] أي يتركون ما هم عليه من الطعن ويوافقونك. والمعنى: تمنوا لو تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم، فيفعلوا مثل ذلك،

---

* أسباب نزول الآية ٢: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ انه مجنون ثم شيطان. فنزلت ﴿ماأنت بنعمة ربك بمجنون﴾.

** أسباب نزول الآية ٤: وأخرج أبو نعيم في الدلائل والواحدي بسند رواه عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من إصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك فلذلك أنزل الله ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

معطوف على تدهن وإن جعل جواب التمني المفهوم من ودوا قدر قبله بعد الفاء هم ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ ١٠: حقير ﴿هَمَّازٍ﴾: عياب أي مغتاب ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ ١١: ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم ﴿أَثِيمٍ﴾ ١٢: آثم ﴿عُتُلٍّ﴾: غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ ١٣: دعي في قريش وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة قال ابن

ويتركوا بعض ما لا ترضى به، فتلين لهم ويلينون لك. قوله: [وهو معطوف] الخ، أي فهو من جملة المتمني، وحينئذ فيكون المتمني شيئين، ثانيهما مسبب عن الأول. قوله: [قدر قبله بعد الفاء هم] أي فيكون الجواب جملة اسمية لا محل لها من الإعراب، وهذا جواب عما يقال: حيث جعل قوله: ﴿فيدهنون﴾ جواب التمني والفاء سببية، فمقتضاه حذف النون للناصب، فأجاب: بأن الفاء داخلة على مبتدإ مقدر، وجملة يدهنون خبره، والجملة جواب التمني.

قوله: ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ الخ، هذه الأوصاف من هنا إلى قوله، ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة، وعليه جمهور المفسرين، واقتصر عليه المفسر، وقيل: في الأسود بن عبد يغوث، وقيل في الأخنس بن شريق، وقيل في أبي جهل بن هشام. قوله: [كثير الحلف بالباطل] تفسير مراد أخذاً له من قوله: ﴿المكذبين﴾ ومن سياق الذم، وإلا فالحلاف كثير الحلف بحق أو باطل. قوله: [حقير] أي في رأيه وتدبيره عند الله تعالى، فلا ينافي أنه كان معظماً في قومه. قوله: [عياب] أي كثير العيب للناس، بمعنى أنه يعيبهم في حضورهم وغيبتهم، وقوله: [أي المغتاب] المناسب كما في بعض النسخ أن يقول: أو مغتاب، فيكون تفسيراً ثانياً من الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكره، وقيل: الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم. قوله: ﴿بنميم﴾ متعلق بمشاء، والنميم مصدر كالنميمة أو اسم جنس للنميمة.

قوله: ﴿مناع للخير﴾ أي من نفسه وغيره. قوله: [عن الحقوق] أي الواجبة والمندوبة. قوله: [ظالم] أي بتعدي الحق. قوله: ﴿أثيم﴾ أي فاجر يتعاطى الإثم. قوله: [غليظ] أي في الطبع أو الجسم، قوله: [جاف] أي قاسي القلب، وقيل: العتل الذي يعتل الناس، أي يحملهم ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب، ومنه خذوه فاعتلوه. قوله: ﴿بعد ذلك﴾ أي ما ذكر من الأوصاف السابقة وهي ثمانية، و﴿بعد﴾ هنا كثم التي للتراخي في الرتبة. والمعنى: أن هذا الوصف هو ﴿زنيم﴾ متأخر في الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة، أي وهو أشنع منها وأقبح.

قوله: ﴿زنيم﴾ الزنمة في الأصل شيء يكون للمعز في أذنها كالقرط، فأطلق على المستلحق في قوم ليس منهم، فكأنه فيهم زنمة. قوله: [ادعاه أبوه] أي وهو المغيرة. والمعنى: كمعناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب. قوله: [بعد ثماني عشرة سنة] أي من ولادته، ولما نزلت الآية قال لأمه: إن محمداً وصفني بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها، فإن لم تصدقيني الخبر ضربت عنقك، فقالت له: إن أباك عنين، فخفت على المال، فمكنت الراعي من نفسي، فأنت منه، فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية، وإنما ذم بذلك، لأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد، لما ورد في الحديث: «لا يدخل الجنة ولد زنا، ولا ولده، ولا ولد ولده». ورد: «أن أولاد الزنا، يحشرون يوم القيامة في صور القردة والخنازير». وورد: «لا تزال أمتي بخير، ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا، أوشك أن

---

* أسباب نزول الآية ١٠ و١١ و١٣: وأخرجك ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ قال: نزلت في الأخنس بن شريق، وأخرج ابن المنذر عن الكلبي مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأسود بن عبد يغوث. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿ولا تطع كل حلاف مهين هماز ماء بنميم﴾ فلم نعرفه حتى نزل بعد ذلك ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة.

عباس لا نعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه به من العيوب فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً وتعلق بزنيم الظرف قبله ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ ١٤: أي لأن وهو متعلق بما دل عليه ﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾: القرآن ﴿قال﴾: هي ﴿أساطير الأولين﴾ ١٥: أي كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر وفي قراءة أأن بهمزتين مفتوحتين ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ ١٦: سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر ﴿إنا بلوناهم﴾: امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾: البستان ﴿إذ أقسموا ليصرمنها﴾: يقطعون ثمرتها ﴿مصبحين﴾ ١٧: وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها ﴿ولا يستثنون﴾ ١٨: في يمينهم بمشيئة الله تعالى والجملة مستأنفة أي وشأنهم ذلك ﴿فطاف عليها طائف من ربك﴾: نار أحرقتها ليلاً ﴿وهم

يعمهم الله بعذابه». وقال عكرمة: إذا كثر ولد الزنا قحط المطر. قوله: [من العيوب] بيان لما.

قوله: ﴿أن كان ذا مال﴾ الخ، سيأتي في المدثر الكلام على ماله وبنيه. قوله: [وهو متعلق بما دل] الخ، أي وقد بينه بقوله: [أي كذب بها] ولا يصح أن يكون معمولاً لفعل الشرط، لأن ﴿إذا﴾ تضاف للجملة بعدها، والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف، ولا يصح أن يكون معمولاً لجواب الشرط، لأن ما بعد أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها. قوله: ﴿قال أساطير﴾ جمع أسطورة كأكاذيب جمع أكذوبة، وزناً ومعنى. قوله: [بما ذكر] أي من المال والبنين. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية [أأن بهمزتين مفتوحتين] الأولى همزة الاستفهام التوبيخي، والثانية أن همزة المصدرية، واللام مقدرة، والمعنى أكذب بها لأن كان ذا مال وبنين، أي لا ينبغي ولا يليق ذلك منه، لأن المال والبنين من النعم، فكان ينبغي مقابلتهما بالشكر، وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف والتسهيل مع إدخال ألف بينهما وتركه. قوله: ﴿على الخرطوم﴾ عبر به استهزاء بهذا اللعين، لأن الخرطوم أنف السباع، وغالب ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير. قوله: [فخطم أنفه] أي جرح أنف هذا اللعين يوم بدر، فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره.

قوله: ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ هي بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين، وكان صاحبه ينادي الفقراء وقت الجذاذ، ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع أو ألقته الريح، أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت الثمر، وكان يجتمع لهم من ذلك شيء كثير، فلما مات ورثه بنوه وكانوا ثلاثة، وشحوا بذلك وقالوا: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذوو عيال، فحلفوا أن يجذوه قبل الشمس، حتى لا تأتي الفقراء إلا بعد فراغهم، وكانت قصتهم بعد عيسى ابن مريم بزمن يسير. قوله: [بالقحط] أي وهو احتباس المطر الذي دعا به ﷺ عليهم، حتى أكلوا الجيفة. قوله: ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ الكاف في موضع نصب لمصدر محذوف، وما مصدرية أو بمعنى الذي.

قوله: ﴿إذ أقسموا﴾ ﴿إذ﴾ تعليلية متعلقة ببلونا، والمراد معظمهم، وإلا فالأوسط نهاهم عن ذلك وقال لهم: اصنعوا من الإحسان ما كان يصنعه أبوكم. قوله: [يقطعون] أي فالصرم القطع، والانصرام الانقطاع. قوله: ﴿مصبحين﴾ حال من فاعل ﴿ليصرمنها﴾ وهو من أصبح التامة أي داخلين في الصباح. قوله: [فلا يعطونهم] معطوف على النفي، ولذا رفع ﴿لا﴾ على المنفي لفساد المعنى. قوله: [ما كان أبوهم] أي القدر الذي كان أبوهم الخ، وتقدم بيانه. قوله: [بمشيئة الله تعالى] أي لا يقولون في يمينهم إن شاء الله، وقيل: لا يستثنون شيئاً للمساكين. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج، أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذاً فاربطوهم في الحبال ولا تقتلوا منهم أحداً فنزلت ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ يقول في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة».

نائمون ١٩ فأصبحت كالصريم ﴾ ٢٠: كالليل الشديد الظلمة أي سوداء ﴿فتنادوا مصبحين ٢١ أن اغدوا على
حرثكم﴾: غلتكم تفسير لتنادوا أو أن مصدرية أي بأن ﴿إن كنتم صارمين﴾ ٢٢ مريدين القطع وجواب الشرط دل
عليه ما قبله ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ ٢٣ يتساررون ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ ٢٤ تفسير لما قبله أو
أن مصدرية أي بأن ﴿وغدوا على حرد﴾: منع للفقراء ﴿قادرين﴾ ٢٥: عليه في ظنهم ﴿فلما رأوها﴾: سوداء
محترقة ﴿قالوا إنا لضالون﴾ ٢٦: عنها أي ليست هذه ثم قالوا لما علموها ﴿بل نحن محرومون﴾ ٢٧: ثمرتها بمنعنا
الفقراء منها ﴿قال أوسطهم﴾: خيرهم ﴿ألم أقل لكم لولا﴾: هلا ﴿تسبحون﴾ ٢٨: الله تائبين ﴿قالوا سبحان ربنا
إنا كنا ظالمين﴾ ٢٩: بمنع الفقراء حقهم ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ٣٠ قالوا يا﴾: للتنبيه ﴿ويلنا﴾:
هلاكنا ﴿إنا كنا طاغين ٣١ عسى ربنا أن يبدلنا﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ ٣٢: ليقبل
توبتنا ويرد علينا خيراً من جنتنا روى أنهم أبدلوا خيراً منها ﴿كذلك﴾: أي مثل العذاب لهؤلاء ﴿العذاب﴾: لمن

[والجملة مستأنفة] أي وجوز بعضهم الحالية، وهي أظهر في المعنى، وإنما عدل المفسر عنه، لأن المضارع المنفي بلا، كالمثبت في أنه لا يقع حالاً مقروناً بالواو، إلا بإضمار مبتدإ وفيه كلفة. قوله: ﴿وهم نائمون﴾ الجملة حالية. قوله: [كالليل] سمي الليل صريماً لانصرامه وانفصاله من النهار، كما يسمى النهار صريماً أيضاً لانفصاله من الليل.

قوله: ﴿فتنادوا﴾ معطوف على ﴿أقسموا﴾ وما بينهما اعتراض. قوله: ﴿مصبحين﴾ حال. قوله: ﴿أن اغدوا﴾ أي بكروا وقت الغدو، وعداه بعلى لتضمنه معنى اقبلوا. قوله: [تفسير لتنادوا] أي فأن بمعني أي. قوله: [دل عليه ما قبله] أي وتقديره فاغدوا. قوله: [تفسير لتنادوا] أي فأن بمعني أي. قوله: [دل عليه ما قبله] أي وتقديره فاغدوا. قوله: ﴿فانطلقوا﴾ معطوف على ﴿فتنادوا﴾ وقوله: ﴿وهو يتخافتون﴾ حال. قوله: ﴿أن لا يدخلنها﴾ الخ أصل الكلام أن لا تدخلوها مسكيناً، فأوقع النهي على دخول المساكين لأنه أبلغ، لأن دخولهم أعم من أن يكون بإدخالهم أو بدونه. قوله: ﴿وغدوا﴾ أي ساروا إليها غدوة، وقوله: ﴿قادرين﴾ خبر ﴿غدوا﴾ إن كان بمعنى أصبح الناقصة وإن كانت تامة، يكون منصوباً على الحال. قوله: ﴿على حرد﴾ الحرد فيه أقوال كثيرة أشهرها ما قاله المفسر، ومنها أن معناه الغضب، ومنها السنة التي قل مطرها. قوله: [في ظنهم] أي وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم ليلاً. قوله: ﴿قالوا إنا لضالون﴾ أي قالوا ذلك في بادىء الرأي. قوله: [لما علموها] أي بعد التأمل والتفتيش. قوله: [بمنعها] الباء سببية. قوله: [خيرهم] أي رأياً وعقلاً ونفساً، أنكر عليهم بقوله: ﴿ألم أقل لكم﴾ الخ، في مفعوله محذوف، أي ألم أقل لكم أن ما فعلتموه لا يرضى به الله؟ قوله: [هلا] ﴿تسبحون﴾ [الله] أي تستغفرونه وتتوبون إليه من حيث عزمكم.

قوله: ﴿قالوا سبحان ربنا﴾ أي امتثلوا وتابوا. قوله: ﴿يتلاومون﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً، على ما صدر منهم سابقاً. قوله: [هلاكنا] أي إن لم يعف عنا ربنا، فقد حضر هلاكنا. قوله: ﴿عسى ربنا﴾ رجوع منهم إلى الرجاء في رحمة الله بعد التوبة. قوله: [بالتشديد والتخفيف] قراءتان سبعيتان. قوله: [روي أنهم أبدلوا] الخ أي فأمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر، بالزاي والغين المعجمتين بلدة بالشام بها عين غور مائها علامة خروج الدجال، ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها، قال ابن مسعود: إن القوم اخلصوا، وعلم الله منهم الصدق، فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً، وقال اليماني أبو خالد: دخلت تلك الجنة، فرأيت منها محل العنقود كالرجال القائم الأسود.

خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾٣٣: عذابها ما خالفوا أمرنا. ونزل لما قالوا أن بعثنا نعطى أفضل منكم ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ﴾٣٤ ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾٣٥: أي تابعين لهم في العطاء ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾٣٦: هذا الحكم الفاسد ﴿أَمْ﴾: أي بل أ ﴿لَكُمْ كِتَابٌ﴾: منزل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾٣٧: أي تقرؤون ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾٣٨: تختارون ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾: عهود ﴿عَلَيْنَا

قوله: ﴿كذلك﴾ خبر مقدم، و﴿العذاب﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: [أي مثل العذاب لهؤلاء] أي الذي بلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كان عندهم يحصل لأهل مكة، قال ابن عباس: هذا مثل لأهل مكة، حين خرجوا إلى بدر وحلفوا ليقتلون محمداً وأصحابه، ويرجعون إلى مكة، ويطوفون بالبيت، ويشربون الخمر، وتضرب القينات على رؤوسهم، فأخلف الله ظنهم، فقتلوا وأسروا وانهزموا، كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام، فخابوا وضاعت صفقتهم، وفيه تلطف بأهل مكة، حيث ضرب لهم المثل بأهل الجنة كما لا يخفى. قوله: [ونزل لما قالوا] الخ، ظاهره أن قولهم سبب لنزول ﴿إن للمتقين﴾ الخ، وليس كذلك، بل الآية سبب لقولهم المذكور، فلما صدر منهم ذلك القول أنزل رداً عليهم ﴿أفنجعل المسلمين﴾ الخ، قال مقاتل: لما نزل ﴿إن للمتقين﴾ الخ، قال كفار مكة للمسلمين: إن الله فضلنا عليكم في الآخرة، فإن لم يحصل التفضيل، فلا أقل من المساواة، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿أفنجعل المسلمين﴾ الخ. قوله: ﴿جنات النعيم﴾ أضيفت إلى ﴿النعيم﴾ لأنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا نقص كجنات الدنيا.

قوله: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أنحيف في الحكم، فنجعل المسلمين، وفي العبارة قلب، والأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين، لأنهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل؟ فحينئذ يكون الإنكار متوجهاً لجعلهم المذكور، وقد وبخوا باستفهامات سبعة تنتهي لقوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ أولها ﴿أفنجعل المسلمين﴾ ثانيها ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ ثالثها. رابعها ﴿أم لكم كتاب﴾ الخ، خامسها ﴿أم لكم أيمان﴾ الخ، سادسها ﴿أنهم﴾ الخ، سابعها ﴿أم لهم شركاء﴾ الخ. قوله: [أي تابعين لهم في العطاء] المناسب أن يقول: أي مساوين لهم في العطاء، بقي أن الآية إنما دلت على نفي المساواة، مع أن المشركين ادعوا الأفضلية، فلم تحصل الموافقة. أجيب: بأنها دلت على نفي الأفضلية بالأولى، لأنه إذا انتفت المساواة فالأفضلية أولى.

قوله: ﴿ما لكم﴾ مبتدأ وخبر، والمعنى: أي شيء ثبت واستقر لكم من هذه الأحكام البعيدة عن الصواب. قوله: ﴿كيف تحكمون﴾ جملة أخرى، فالوقف على ﴿لكم﴾ استفيد من هذه الجملة السؤال عن كيفية الحكم، هل هو عن عقل أو لا؟ قوله: ﴿أم لكم كتاب﴾ ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، وقيل للاضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام التوبيخي التقريعي، وكذا يقال فيما يأتي. قوله: ﴿إن لكم فيه لما تخيرون﴾ ﴿لكم﴾ خبر ﴿إن﴾ مقدم، وما اسمها مؤخر، واللام للتوكيد، وهذه الجملة هي المدروسة في الكتاب، فهي في المعنى مفعول لتدرسون، وكسر همزة إن لوقوع اللام المعلقة للفعل عن العمل بعدها، قال ابن مالك:

وكسروا من بعد فعل علقا ... باللام كاعلم إنه لذو تقى

قوله: [تختارون] أي تشتهون وتطلبون. قوله: [عهود] أي مؤكدة بالأيمان لأن العهد كلام مؤكد بالقسم. قوله:

﴿بَالِغَةٌ﴾: واثقة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾: متعلق معنى بعلينا وفي هذا الكلام معنى القسم أي أقسمنا لكم وجوابه ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ ٣٩: به لأنفسكم ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾: الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾ ٤٠: كفيل لهم ﴿أَمْ لَهُمْ﴾: أي عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾: موافقون لهم في هذا المقول يكفلون لهم به فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾: الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ٤١: اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾: هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء يقال كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد

﴿بالغة﴾ بالرفع في قراءة العامة نعت لأيمان، وقرئ شذوذاً بالنصب على الحال، إما من ﴿أيمان﴾ أو من الضمير في ﴿علينا﴾. قوله: [متعلق معنًى بعلينا] أي متصل به، وليس المراد التعلق الصناعي، فإنه مختص بالفعل، أو ما فيه رائحة الفعل، أو بالمقدر في الظرف، أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة، لا تخرج عن عهدتنا إلا يومئذٍ إذا حكمناكم. قوله: [وفي هذا الكلام] أي قوله: ﴿أم لكم أيمان﴾ الخ. قوله: [أي أقسمنا لكم] مفعوله محذوف، أي أقسمنا لكم أيماناً موثقة. قوله: ﴿سلهم أيهم بذلك﴾ الخ ﴿سلهم﴾ ينصب مفعولين الأول الضمير المتصل، والثاني جملة ﴿أيهم﴾، وأي مبتدأ، و﴿زعيم﴾ خبره، و﴿بذلك﴾ متعلق بزعيم.

قوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ ﴿لهم﴾ خبر مقدم، و﴿شركاء﴾ مبتدأ مؤخر، وهذه الجملة معطوفة معنًى على جملة أيهم زعيم، واختلف في الشركاء فقيل: المراد بهم ناس يشاركونهم في القول المذكور، وقيل المراد بها الأصنام، وكلام المفسر محتمل لهما. قوله: [يكفلون لهم به] أي بصحته ونفوذه. قوله: ﴿إن كانوا صادقين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: [اذكر] أشار بذلك إلى أن ﴿يوم﴾ معمول لمحذوف، والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها، وهذا أحد قولين، والآخر أن الظرف متعلق بيأتوا، والمعنى: فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم، تنفعهم وتشفع لهم. قوله: [هو عبارة] الخ أي هذا التركيب، وهو يكشف عن ساق كناية عن الشدة، فأصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل الشاق، ويقال: إذا اشتد الأمر في الحرب، كشف الحرب عن ساق. وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق ... وقامت الحرب بنا على ساق

وقال آخر:

ألا رب ساهي الطرف من آل مازن ... إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل: المراد الحقيقة وعليه فاختلف فقيل: يكشف عن ساق جهنم، وقيل: عن ساق العرش، وقيل: يكشف لهم الحجاب فيرون الله تعالى، ففي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن ناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: نعم قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن، لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله، من بر وفاجر وغير أهل الكتاب، فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم

تبعدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، حتى لا يبقى إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفوه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه، إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد إتقاء ورياء، إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قالوا: يا رسول الله وما الجسر. قال: دحض مزلقة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح والطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده، ما من أحد منكم بأشد من شدة الله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين هم في النار، فيقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقال لهم: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها خيراً. وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم **﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾** فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما تكون إلى الشمس أصفر أو أخضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة، بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي ما هو أفضل من هذا، فيقولون: ربنا أي شيء أفضل من هذا. فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

- تنبيه - قوله في الحديث: «أتاهم الله في أدنى صورة رأوه فيها» الخ، هو من المتشابه يجري فيه مذهب السلف والخلف، فالسلف يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها، ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى، مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس كمثله شيء، والخلف يؤولون الإتيان إما بالرؤية لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته، أو بإتيان ملك فيقول: أنا ربكم على سبيل الامتحان وهذا آخر امتحان المؤمنين، ومعنى الصورة الصفة، فمعنى «في أدنى صورة» الخ في غير الصفة التي يعرفونه في الدنيا بها، وقولهم: «فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم» أي فارقنا الناس من أجل توحيدك، حال كوننا مع المفارقة أفقر من أنفسنا عند صحبتهم، فهو إخبار منهم بمزيد صبرهم على المشاق لأجل الله، وقولهم «نعوذ بالله منك» إنما استعاذوا منه لكونهم رأوا سمات المخلوق، وقوله: «فيكشف عن

الأمر فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾: امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٤٢: تصير ظهورهم طبقاً واحداً ﴿خَاشِعَةً﴾: حال من ضمير يدعون أي ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾: لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾: في الدنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ ٤٣: فلا يأتون به بأن لا يصلوا ﴿فَذَرْنِي﴾: دعني ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥: شديد لا يطاق ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿تَسْـَٔلُهُمْ﴾: على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: مما

ساق»، معناه كشف الحزن وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الأهوال، فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك، ويتجلى لهم بالصفة التي يعرفونها فيخرون سجداً، وهذه الرؤية غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أوليائه، وإنما هذه الرؤية امتحان لعباده، وقوله: «وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة» معناه أنه تحجب عنهم بالصفة التي رأوه فيها أول مرة، وقوله: «ثم يضرب الجسر» معناه الصراط، وتحل الشفاعة بكسر الحاء وضمها معناه تقع ويؤذن فيها، وقوله: «دحض مزلقة» أي طريق تزلق فيه الأقدام ولا تثبت، وقوله: «فيه خطاطيف» جمع خطاف، وهو الذي يخطف الشيء، والكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب، ومعنى «الخبرة» اليقين، ومعنى «قبض قبضة» أي جمع جماعة، وقوله: «قد عادوا حمماً» أي صاروا فحماً، وقوله: «في أفواه الجنة» جمع فوهة وهي أول النهر، وقوله: «فيخرجون كاللؤلؤ» أي في الصفاء، وقوله: «في رقابهم الخواتيم»، قيل: معناه أنهم يعلقون أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها، والله أعلم.

قوله: ﴿ويدعون﴾ أي الكفار. قوله: [امتحاناً لإيمانهم] أي لا تكليفاً بالسجود، لأنها ليست دار تكليف. قوله. [طبقاً واحداً] أي عظماً واحداً. قوله: ﴿أبصارهم﴾ فاعل بـ﴿خاشعة﴾، ونسب الخشوع والذل إليها، لأن ما في القلب يعرف في العين، وفي ذلك المقام يسجد المؤمنون شكراً لله تعالى على ما أعطوه من النعيم، فيرفعون رؤوسهم من السجود، ووجوههم أضوأ من الشمس، ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة. قوله: ﴿ترهقهم﴾ حال أخرى. قوله: ﴿وقد كانوا يدعون﴾ أي دعوة تكليف والجملة حالية، وكذا قوله: ﴿وهم سالمون﴾. قوله: [بأن لا يصلوا] أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الثاني هو الصلاة، واتفق المفسرون على أن المراد بالسجود الأول حقيقته. قوله: ﴿فذرني﴾ تسلية له ﷺ وتخويف للكافرين، والمعنى: أترك أمر المكذبين إلي أكفك ذلك. قوله: ﴿ومن يكذب﴾ في محل نصب إما معطوف على الياء في ذرني، أو مفعول معه، والأول أرجح، قال ابن مالك:

والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق ... والنصب مختار لدى عطف النسق

قوله: ﴿سنستدرجهم﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد إجمالاً من قوله ذرني الخ. قوله: [نأخذهم قليلاً قليلاً] أي فالاستدراج: الأخذ بالتدريج شيئاً فشيئاً، والمعنى: كلما أنعمنا عليهم، اعتقدوا أن ذلك الإنعام تفضيل لهم على المؤمنين، وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم. قوله: ﴿وأملي لهم﴾ عطف على ﴿سنستدرجهم﴾ عطف تفسير. قوله: ﴿إن كيدي متين﴾ الكيد في الأصل الاحتيال، وهو أن تفعل ما فيه نفع ظاهر، أو تريد به الضر، وإنما سمي إنعامه عليهم استدراجاً بالكيد لأنه في صورته، فما وقع لهم من سعة الأرزاق وطول الأعمار وعافية الأبدان بإحسان ونفع ظاهري فقط، والمقصود به معاقبتهم وتعذيبهم على ذلك، ووصف الكيد بالمتانة إشارة إلى أنه لا يتأتى إفلات المستدرجين مما أراده بهم، بخلاف كيد المخلوق فتارة يقع وتارة لا يتمكن منه.

قوله: ﴿أم تسألهم أجراً﴾ هو في المعنى مرتبط بقوله سابقاً ﴿أم لهم شركاء﴾ الخ، والمعنى: أم تلتمس منهم

يعطونكه ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ ٤٦: فلا يؤمنون لذلك ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾: أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ٤٧: منه ما يقولون ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾: في الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾: دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ٤٨: مملوء غماً في بطن الحوت ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُ﴾: أدركه ﴿نِعْمَةٌ﴾: رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ﴾: من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾: بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ ٤٩: لكنه رحم فنبذ غير مذموم ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُ﴾: بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٥٠: الأنبياء ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾: بضم الياء وفتحها ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾: أي ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد أن يصرعك

ثواباً على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله تعالى. قوله: ﴿مثقلون﴾ أي مكالفون حملاً ثقيلاً. قوله: [فلا يؤمنون لذلك] أي لسؤال الأجر المترتب عليه الغرم، وهو ثقيل على النفس، لأن شأن النفس أن تستثقل ما يطلب منها. قوله: [أي اللوح] الخ هذا قول ابن عباس، وقيل: ﴿الغيب﴾ هو علم ما غاب عنهم. قوله: [ما يقولون] أي ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك. قوله: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ الخ نزلت هذه الآية بأحد، حين فر أصحاب رسول الله بإغراء المنافقين، فأراد أن يدعو على الذين انهزموا، وقيل: نزلت حين ضاق صدره من أهل مكة، فخرج يدعو ثقيفاً، فأغروا به سفهاءهم، وصاروا يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريف، فأراد أن يدعو عليهم، فعلى الأول تكون مدنية، وعلى الثاني تكون مكية.

قوله: ﴿إذ نادى﴾ منصوب بمضاف محذوف، والتقدير: ولا يكن حالك كحاله في وقت ندائه. قوله: ﴿وهو مكظوم﴾ الجملة حال من ضمير ﴿نادى﴾. قوله: [مملوء غماً] أي من أجل خوفه من الله تعالى حيث خرج من غير إذن، فظن أن الله آخذه بذلك، وقيل: معنى مكظوم محبوس، ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أي يحبس غضبه. قوله: ﴿نعمة﴾ اختلف في المراد بها، فقيل: الرحمة وهو الذي اختاره المفسر، وقيل: هي العصمة، وقيل: نداؤه بقوله ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾. قوله: [بالأرض الفضاء] أي الخالية من النبات والأشجار والجبال. قوله: ﴿وهو مذموم﴾ أي مؤاخذ بذنبه، والجملة حال من نائب فاعل نبذ، وهو محط النفي المستفاد من ﴿لولا﴾. قوله: [لكنه رحم] الخ أشار بذلك إلى أن ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود، والممتنع الذم، والمعنى: امتنع ذمه لسبق العصمة له، فاجتباه ربه وجعله من الصالحين، فيونس لم تحصل منه معصية أبداً، لا صغيرة ولا كبيرة، وإنما خروجه من بينهم باجتهاد منه وعتابه من الله من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وتقدم ذلك مفصلاً.

قوله: ﴿فاجتباه ربه﴾ عطف على مقدر، والمعنى: فأدركته نعمة من ربه فاجتباه. قوله: [بالنبوة] هذا مبني على أنه وقت هذه الواقعة لم يكن نبياً، وإنما نبىء بعدها وهو أحد قولين، والآخر أنه كان نبياً، ومعنى اجتباه اختاره واصطفاه ورقاه مرتبة أعلى من التي كان فيها. قوله: ﴿فجعله من الصالحين﴾ أي الكاملين في الصلاح، قال ابن عباس: رد الله عليه الوحي، وشفعه في نفسه وفي قومه، وقبل توبته وجعله من الصالحين، بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون، فهداهم الله بسبب صبره.

قوله: ﴿وإن يكاد﴾ ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. قوله: [بضم الياء وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيان، فالضم من أزلق، والفتح من زلق. قوله: ﴿بأبصارهم﴾ الباء إما للتعدية أو السببية. قوله: [أي ينظرون إليك نظراً شديداً] أي فليس المراد أنهم يصيبونه بأعينهم، كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما المراد أنهم ينظرون إليه نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، وهذا ما مشى عليه المفسر، وقيل: أرادوا أن يصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش

ويسقطك من مكانك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾: حسداً ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[٥١]: بسبب القرآن الذي جاء به ﴿وَمَا هُوَ﴾: أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾[٥٢]: الجن والإنس لا يحدث بسببه جنون.

المجربة أصابتهم، فعصمه الله وحماه من أعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت، وذكر العلماء أن العين كانت في بني أسد من العرب، وكان إذا أراد أحد منهم أن يصيب أحداً في نفسه أو ماله، تجوع نفسه ثلاثة أيام، ثم يتعرضون للمعيون أو ماله فيقول: ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر ولا أحسن، فيهلك المعيون هو وماله، وهذه الآية تنفع كتابة وقراءة للمعيون، فلا تضره العين. قوله: ﴿لما سمعوا الذكر﴾ ظرف ﴿ليزلقونك﴾. قوله: [حسداً] أي وبغضاً وتنفيراً عنه. قوله: ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يقولون﴾ مفيدة لبطلان قولهم، وتعجب السامعين حيث جعلوا عظة للعالمين، ويذكرهم سبباً لجنون من أتى به، وهذا دليل على سخافة عقلهم وسوء رأيهم، لأن هذا القرآن لا يدركه إلا من كان كامل العقل، فكيف بمن نزل على قلبه؟

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سُوْرة الحاقة

[مكية وهي إحدَى أو إثنتان وخمسون آية]

﴿الحَاقَّةُ﴾[1]: القيامة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾[2]: تعظيم لشأنها وهو مبتدأ وخبر خبر الحاقة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾[3]: زيادة تعظيم لشأنها فما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾[4]: القيامة لأنها تقرع القلوب بأهوالها ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[5]: بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الحاقة مكية

وهي إحدى أو اثنتان وخمسون آية.

أي بالإجماع. قوله: [الحاقة] صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: [القيامة]. قوله: [التي يحق] من باب ضرب، ورد أي يثبت ويتحقق، فإسناد التحقيق للزمان مجاز عقلي على حد ليل قائم، فالمراد بها الزمان الذي يتحقق فيه ما أنكر في الدنيا من البعث وغيره، فيصير محسوساً معاينا. قوله: [أو المظهرة لذلك] أي لما أنكر في الدنيا، وأشار بهذا المعنى إلى أن ﴿الحاقة﴾ اسم فاعل، أي المحققة والمظهرة، وهو إسناد مجازي أيضاً، وهذان معنيان للحاقة من جملة معان كثيرة كلها متلازمة. قوله: [تعظيم لشأنها] أي فالمقصود من الاستفهام تفخيم شأنها وتعظيم قدرها كأنه قال: أي شيء هو لا تحيط به العبارة ولا تحصره إشارة. فالمقام للإضمار، ووضع الظاهر موضعه لتأكيد هولها وتفظيعه كقوله: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾. قوله: [وهما مبتدأ وخبر] الخ، أي أن ﴿الحاقة﴾ مبتدأ أول، و﴿ما﴾ مبتدأ ثان، و﴿الحاقة﴾ خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول، والرابط إعادة المبتدأ بلفظه.

قوله: ﴿وما أدراك﴾ الخ ﴿ما﴾ استفهامية وهو للإنكار، أي إنك لا علم لك بكهنها وشدة عظمها. قوله: [زيادة تعظيم] أي أن حكمة تكرار الاستفهام زيادة تعظيم لها وتهويل لشأنها. قوله: [وما بعدها] أي وهو جملة أدراك. قوله: [في محل المفعول الثاني] المناسب أن يقول: والثالث، لأن أدري بالهمز يتعدى لثلاثة لأنه بمعنى أعلم. قوله: ﴿كذبت ثمود﴾ استئناف مسوق لبيان بعض أحوال الحاقة وثمود قوم صالح، وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز. قوله: ﴿وعاد﴾ هم قوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف، وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن. قوله: [لأنها تقرع القلوب] أي تؤثر فيها خوفاً وفزعاً.

بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: شديدة الصوت ﴿عَاتِيَةٍ﴾[٦]: قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم ﴿سَخَّرَهَا﴾: أرسلها بالقهر ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾: أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء ﴿حُسُوماً﴾: متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾: مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾: أصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٧]: ساقطة فارغة ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾[٨]: صفة نفس مقدرة أو التاء للمبالغة أي باق؟ لا ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن﴾ ﴿قَبْلَهُ﴾: أتباعه وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾: أي أهلها وهي قرى قوم لوط ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾[٩]: بالفعلات ذات الخطأ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: أي لوطاً وغيره ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾[١٠]: زائدة في الشدة على

قوله: ﴿فأما ثمود﴾ تفصيل لما حصل لهم في الدنيا من العذاب، بسبب تكذيبهم بالقيامة. قوله: [بالصيحة] أي بصيحة جبريل، واعلم أن ما نزل بثمود، يسمى في القرآن بأربعة أسماء: في الأعراف بالرجفة، وفي هود بالصيحة، وفي حم السجدة بالصاعقة، وفي هذه السورة بالطاغية، فالمراد بالرجفة الزلزلة لتزلزل الأرض بهم عند صيحة جبريل عليهم، والصاعقة لصعقهم أي موتهم بها، والطاغية لخروجها عن الحد، وما ذكره المفسر أحد تفاسير للطاغية، وعليه فالباء للآلة، وقيل الطاغية مصدر كالكاذبة والعافية، والمعنى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم، وعليه فالباء سببية، وقيل الطاغية عاقر ناقة صالح، والمعنى أهلكوا بسبب ما فعله طاغيتهم من عقر الناقة، وإنما أهلكوا جميعاً، وإن كان الفاعل واحداً لأنهم علموا بفعله ورضوا به. قوله: [المجاوزة للحد] أي لحد الصيحات من الهول والشدة. قوله: [قوية شديدة على عاد] الخ، هذا أحد قولين في تفسير ﴿عاتية﴾ والآخر أن المراد عتت على خزانها، فخرجت بلا كيل ولا وزن، لما في الحديث: «ما أرسل الله سفة من ريح إلا بمكيال، ولا قطرة من ماء إلا بمكيال، إلا يوم عاد ويوم نوح، فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان، فلم يمكن لهم عليه سبيل، وإن الريح يوم عاد عتت على الخزان، فلم يكن لهم عليها سبيل». قوله: [أرسلها] أي سلطها. قوله: [أولها من صبح يوم الأربعاء] أي وآخرها غروب شمس يوم الأربعاء التالي للأربعاء الأول، وكان الشهر كاملاً، فكان آخرها هو اليوم الأخير منه. قوله: ﴿حسوماً﴾ نعت لسبع ليال وثمانية أيام، أو حال من مفعول سخرها، أي ذات حسوم، والحسم في الأصل تتابع الكي على الداء حتى تنقطع مادته، أطلق عن قيده وأريد منه مطلق تتابع عذاب، فقول المفسر [متتابعات] فيه إشارة إلى أنه مجاز مرسل علاقته التقييد ثم الإطلاق.

قوله: ﴿فترى القوم﴾ أي على فرض حضورك واقعتهم. قوله: ﴿صرعى﴾ حال جمع صريع كقتلى وقتيل، والضمير فيها عائد على الأيام والليالي، أو البيوت أو الريح. قوله: [أصول] ﴿نخل﴾ أي بلا رؤوس، فكانت الريح تقطع رؤوسهم كما تقطع رؤوس النخل. قوله: [فارغة] أي من الحشو لما روي من أن الريح كانت تدخل من أفواههم، فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم. قوله: ﴿من باقية﴾ ﴿من﴾ زائدة في المفعول. قوله: [لا] أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري، قال ابن جرير: مكثوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في العذاب بالريح، فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا، فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ أي المنقلبات، وهي التي اقتلعها جبريل على جناحه ورفعها قرب السماء ثم قلبها. قوله: [أي أهلها] أشار بذلك إلى أنه على حذف مضاف على حد ﴿واسئل القرية﴾. قوله: [وهي قرى قوم لوط] وكانت خمسة: صنعة وصعره وعمره ودوما وسذوم وهي أعظمها. قوله: [ذات الخطأ] أشار بذلك إلى أن الخاطئة صيغة نسب كتامر ولابن. قوله: ﴿فعصوا﴾ أي فرعون ومن قبله والمؤتفكات. قوله: ﴿رسول ربهم﴾ المراد بالرسول الجنس،

غيرها ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾: يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾[١١]: السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾: أي هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾: ولتحفظها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[١٢]: حافظة لما تسمع ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[١٣]: للفصل بين الخلائق وهي الثانية ﴿وَحُمِلَتِ﴾: رفعت ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾: دقتا ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[١٤] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾[١٥]: قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[١٦]: ضعيفة ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: يعني الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: جوانب السماء

قوله: [وغيره] المراد بالغير خصوص موسى على قراءة كسر القاف، وموسى ومن قبله من الرسل على قراءة فتحها.

قوله: [على غيرها] أي من عذاب الأمم. قوله: [علا فوق كل شيء من الجبال] الخ، أي فزاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعاً. قوله: [زمن الطوفان] المناسب أن يقول زمن نوح. قوله: [يعني آباءكم] جواب عما يقال: إن المخاطبين لم يدركوا حمل السفينة، فكيف يمتن الله عليهم؟ فأجاب: بأن الكلام على حذف مضاف أي آباءكم. وقوله: [إذ أنتم] الخ، ظاهره أنه تعليل لما أجاب به، وليس كذلك، بل هو جواب آخر وحاصله أن الكلام باق على ظاهره، ويراد ﴿حملناكم﴾ حال كونكم في أصلاب آبائكم الذين حملوا، وهم أولاد نوح: سام وحام ويافث. قوله: [أي هذه الفعلة] هذا أحد قولين في مرجع الضمير في نجعلها، وقيل عائد على السفينة، والمعنى لنجعل السفينة تذكرة وعظة لهذه الأمة، فبقيت منها بقية حتى أدركها أوائلهم. قوله: ﴿وتعيها﴾ بكسر العين باتفاق السبعة، وهو منصوب عطفاً على نجعل، وماضيه وعى، وأصل المضارع يوعى، حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها. قوله: [حافظة لما تسمع] إسناد الحفظ للأذن مجاز، وحقه أن يسند لصاحبها، والمعنى: شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الأقوال والأفعال وتعمل بمقتضاه.

قوله: ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ الخ، لما ذكر الله تعالى القيامة وأهوالها إجمالاً بقوله: ﴿الحاقة﴾ الخ، اشتاقت النفس لتفصيل ذلك، ففصل الله تعالى بعضه بقوله: ﴿فإذا نفخ﴾ الخ، وإذا شرطية وجوابها قوله: ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ وقيل قوله: ﴿يومئذ تعرضون﴾. قوله: ﴿نفخة﴾ نائب الفاعل و﴿واحدة﴾ نعت مؤكد لأن ﴿نفخة﴾ مصدر مختص دال على الوحدة، فيصح إقامته مقام الفاعل والممنوع إقامة المبهم نحو ضرب ضرب، ولم يؤنث الفعل وهو ﴿نفخ﴾ لأن التأنيث مجازي لوجود الفصل. قوله: [وهي الثانية] هذا هو الصحيح كما روي عن ابن عباس، لأن الثانية هي التي يعقبها الحساب والجزاء، وقيل هي الأولى.

قوله: ﴿وحملت الأرض والجبال﴾ أي رفعتها الملائكة أو الرياح أو القدرة بعد خروج الناس من القبور.

قوله: [دقتا] أي فتتا وصارتا كثيباً مهيلاً وهباء منثوراً. قوله: ﴿دكة واحدة﴾ بالنصب على المصدرية باتفاق السبعة، وإنما لم يرفع بالنيابة لوجود الضمير بخلافه في ﴿نفخ﴾ فلم يوجد ضمير، فأنيب ﴿نفخة﴾ مناب الفاعل، فرفع باتفاق السبعة. قوله: ﴿فيومئذ﴾ التنوين عوض عن جملتين محذوفتين وهما ﴿نفخ﴾ و﴿حملت﴾. قوله: [قامت القيامة] أي حصلت ووجدت. قوله: ﴿وانشقت السماء﴾ أي انصدعت وتفطرت من هول ذلك اليوم. قوله: [ضعيفة] أي ليس فيها تماسك ولا صلابة، فتصير بمنزلة الصوف المنفوش. قوله: ﴿على أرجائها﴾ أي أطرافها

---

* أسباب نزول الآية ١٢: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وأن تعي، وحق لك أن تعي، قال: فنزلت هذه الآية ﴿وتعيها أذن واعية﴾، لا يصح.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: أي الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[١٧]: من الملائكة أو من صفوفهم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾: للحساب ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾: بالتاء والياء ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[١٨]: من السرائر ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾: خطاباً لجماعته لما سُرَّ به ﴿هَاؤُمُ﴾: خذوا ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[١٩]: تنازع فيه هاؤم واقرؤوا ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾: تيقنت ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[٢٠] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[٢١]: مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٢٢] ﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾[٢٣]: قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع فيقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾: حال أي متهنئين ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي

لينتظروا أمر الله لهم لينزلوا، فيحيطوا بالأرض ومَنْ عليها. قوله: ﴿فوقهم﴾ حال من العرش، والضمير عائد على الملائكة الواقفين على الأرجاء. قوله: ﴿ثمانية﴾ [من الملائكة أو من صفوفهم] هذان قولان من جملة أقوال خمسة، ثالثها: ثمانية آلاف، رابعها: ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة، خامسها: ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء، ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى، فكانوا ثمانية على صورة الأوعال، أي تيوس الجبل من أظلافهم إلى ركبهم، كما بين سماء إلى سماء».

قوله: ﴿يومئذ تعرضون﴾ أي تسألون وتحاسبون، وعبر بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان العسكر لينظر في أمرهم، فيختار منهم المصلح للتقريب والإكرام، والمفسد للإبعاد والتعذيب، وروي أن في القيامة ثلاث عرضات، عرضتان للاعتذار والتوبيخ، والثالثة فيها تنتشر الكتب، فيأخذ الفائز كتابه بيمينه، ويأخذ الهالك كتابه بشماله. قوله: ﴿لا تخفى منكم خافية﴾ حال من الواو في قوله: ﴿تعرضون﴾ والمعنى: لا يخفى على الله من سرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا، وتظنون أنه لا يطلع عليها، بل يذكركم بجميعها حتى تعلموها علماً ضرورياً. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿فأما من أوتي كتابه﴾ الخ، تفصيل لأحوال الناس عند العرض. قوله: [خطاباً لجماعته] أي أهله وأقربائه ومن حوله، وإنما أحب إظهار ذلك سروراً وفرحاً لكونه من الناجين. قوله: ﴿هاؤم﴾ لها استعمالان: تكون اسم فعل، وتكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وتكون فعلاً وتلحقها العلامات، ومعناها على كل من الاستعمالين خذ، ولغة القرآن أنها اسم فعل، والهمزة بعدها بدل من كاف الخطاب، والميم علامة الجمع. قوله: ﴿كتابيه﴾ أصله كتابي، دخلت هاء السكت لتظهر فتحة الياء، وكذا في الباقي. قوله: [تنازع فيه] الخ، أي فأعمل الثاني عند البصريين، والأول عند الكوفيين، وأضمر في الآخر وحذف لأنه فضلة.

قوله: ﴿أني ظننت﴾ [تيقنت] أي فالمراد بالظن اليقين، وقال ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى، إشارة إلى أنه نجا بسبب خوفه من يوم الحساب، وذلك أنه تيقن أن الله يحاسبه فعمل للآخرة، فحقق الله رجاءه وأمن خوفه. قوله: [مرضية] أشار بذلك إلى أن صيغة فاعل بمعنى مفعول، أي يرضى بها صاحبها ولا يسخطها، لما ورد: أنهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويصحون فلا يمرضون أبداً، وينعمون فلا يرون بأساً أبداً. قوله: ﴿في جنة عالية﴾ أي مرتفعة المكان والدرجات والأبنية والأشجار. قوله: ﴿قطوفها﴾ جمع قطف بكسر القاف أي المقطوف، وهو ما يجتنيه من الثمار. قوله: ﴿كلوا واشربوا﴾ أي يقال لهم ذلك، والأمر للامتنان. قوله: [متهنئين] أي بذلك الأكل الطيب اللذيذ الشهي، البعيد عن كل أذى، السالم من كل آفة وقذر، فلا بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا صداع ولا ثقل.

﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾٢٤: الماضية في الدنيا ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾٢٥ ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾٢٦ ﴿يَا لَيْتَهَا﴾: أي الموتة في الدنيا ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾٢٧: القاطعة لحياتي بأن لا أبعث ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾٢٨ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾٢٩: قوتي وحجتي وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفاً ووصلاً إتباعاً للمصحف الإمام والنقل ومنهم من حذفها وصلاً ﴿خُذُوهُ﴾: خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ﴾٣٠: اجمعوا يديه إلى عنقه في الغل ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ﴾: النار المحرقة ﴿صَلُّوهُ﴾٣١: أدخلوه ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾: بذراع الملك ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾٣٢: أي أدخلوه فيها بعد إدخاله النار ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا

قوله: ﴿بما أسلفتم﴾ الباء سببية وما مصدرية أو اسم موصول. قوله: [الماضية في الدنيا] وقيل هي أيام الصيام، والمعنى: كلو واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله تعالى.

قوله: ﴿وأما من أوتي كتابه﴾ الخ، جرت عادة الله تعالى في كتابه حيث ذكر أحوال السعداء يذكر أثر ذلك أحوال الأشقياء. قوله: ﴿فيقول﴾ أي لما يرى من سوء عاقبته التي رآها. قوله: ﴿ولم أدر ما حسابيه﴾. ﴿ما﴾ استفهامية مبتدأ، و﴿حسابيه﴾ خبرها، والجملة سدت مسد مفعولي ﴿أدر﴾ والاستفهام للتعظيم والتهويل، والمعنى: ولم ادر عظم حسابي وشدته. قوله: [أي الموتة في الدنيا] المعنى: يا ليت الموتة في الدنيا كانت القاطعة لحياتي، ولم أبعث بعد ذلك أصلاً. قوله: ﴿ما أغنى عني﴾ ﴿ما﴾ نافية والمفعول محذوف، والمعنى: لم يغن عني مالي شيئاً، أو استفهامية للتوبيخ، أي أي شيء أغنى ما كان لي من اليسار الذي منعت منه حق الفقراء وتكبرت به على عباد الله. قوله: ﴿ماليه﴾ يحتمل أن ﴿ما﴾ اسم موصول فاعل اغنى، والجار والمجرور صلة ﴿ما﴾ ويحتمل أن ماليه كلمة واحدة بمعنى المال فاعل ﴿أغنى﴾ مضاف لياء المتكلم. قوله: [قوتي وحجتي] أشار المفسر بذلك إلى أن في السلطان تفسيرين: أحدهما القوة التي كانت له في الدنيا، والثاني الحجة التي كان يحتج بها على الناس. قوله: [وهاء كتابيه] الخ [هاء] مبتدأ، و[للسكت] خبر أول، وقوله: [تثبت] خبر ثان. قوله: [تثبت وقفاً] أي على القاعدة في هاء السكت. قوله: [ووصلا] هذا مخالف لقاعدة هاء السكت، ولما كان مخالفاً أجاب بجوابين: الأول قوله: [اتباعاً للمصحف] أي فلما كانت ثابتة فيه ثبتت في الظن ولو في الأصل اتباعاً للرسم الثاني. قوله: [والنقل] أي واتباعاً للنقل عن النبي عليه الصلاة والسلام، فقد ثبت عنه ثبوتها وصلا فليس لحناً، لأن ما خرج عن القواعد لا يكون لحناً إلا إذا لم يثبت، وهذا قد ثبت عن النبي ونقل إلينا بالتواتر. قوله: [ومنهم] أي القراء السبعة وهو حمزة، والعشرة وهو يعقوب.

قوله: ﴿خذوه﴾ معمول القول مقدر جواب عن سؤال مقدر تقديره ما يفعل به بعد ذلك؟ فقيل: يقال الخ. قوله: [خطاب لخزنة جهنم] أي زبانيتها، وسيأتي في المدثر أن عدتهم تسعة عشر، قيل: ملكاً، وقيل: صفاً، وقيل صنفاً. قوله: ﴿ثم الجحيم﴾ الترتيب في الزمان والرتبة، فإن إدخاله في النار بعد غله، وكذا إدخاله في السلسلة بعد إدخاله النار، وكل واحد أشد مما قبله. قوله: ﴿صلوه﴾ أي كرروا غمسه في النار، كالشاة التي تصلى، أي تشوى على النار مرة بعد مرة. قوله: ﴿ذرعها سبعون ذراعاً﴾ [بذراع الملك] هذا قول ابن عباس قال: فتدخل في دبره وتخرج من منخره، وقيل: سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد ما بين مكة والكوفة، وقيل: سبعون ذراعاً كل ذراع سبعون ذراعاً، وقيل: ليس المراد بالعدد حقيقته، بل هو كناية عن عظمها وطولها، قال كعب: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها، اجارنا الله منها، وأشار سبحانه إلى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتفسيره

يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ ٣٥: قريب ينتفع به ﴿وَلَا طَعَامٌ
إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ ٣٦: صديد أهل النار أو شجر فيها ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ ٣٧: الكافرون ﴿فَلَآ﴾ زائدة ﴿أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ٣٨: من المخلوقات ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ ٣٩: منها أي بكل مخلوق ﴿إِنَّهُۥ﴾: أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ﴾ ٤٠: أي قاله رسالة عن الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا

بالسلك فقال: فاسلكوه أي ادخلوه بحيث يكون كأنه السلك الذي يدخل في ثقب الخرز، لإحاطتها بعنقه وبجميع أجزائه.

قوله: ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ تعليل على طريق الاستئناف كأنه قيل: ما باله يعذب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك، ولعل وجه التخصيص لهذين الأمرين بالذكر أن الكفر أقبح الأشياء، والبخل مع قسوة القلب يليه. قوله: ﴿ولا يحض﴾ أي لا يحث ولا يحرض نفسه ولا غيره، وقوله: ﴿على طعام المسكين﴾ أي إطعامه. قوله: ﴿فليس له اليوم ههنا﴾ الخ أي في الآخرة، و﴿حميم﴾ وما عطف عليه اسم ليس، وخبرها الظرف قبله. فإن قلت: ما التوفيق بين ما هنا وبين قوله في محل آخر ﴿إلا من ضريع﴾ وفي موضع آخر ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ وفي موضع آخر ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ قلنا: لا منافاة إذ جمع ذلك طعام لهم، فالحصر أضافي، والمنفي بالحصر طعام فيه نفع. قوله: [صديد أهل النار] هو ما يجري من الجراح إذا غسلت. قوله: [أو شجر فيها] أي إذا أكلوه يغسل بطونهم، أي يخرج ما فيها من الحشو.

قوله: ﴿إلا الخاطئون﴾ العامة يهمزون ﴿الخاطئون﴾ هو اسم فاعل من خطىء يخطأ إذا فعل غير الصواب متعمداً والمخطىء من يفعله غير متعمد. قوله: [زائدة] أي والمعنى أقسم لكم يا عبادي بما تشاهدون من المخلوقات وبما لا تشاهدون الخ، وإنما اقسم بالمخلوقات لعظمها وشرفها، بعظم خالقها وموجدها، فالقسم بالمخلوقات لا من حيث ذاتها، بل من حيث إنها آثار عظمته ومظهر صفاته سبحانه وتعالى، والنهي عن القسم بغير الله خاص بالمخلوق، وأما هو سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما يشاء، وما ذكره المفسر أحد قولين، والآخر أنها أصلية، والمعنى: أن هذا الأمر لظهوره ووضوحه غني عن القسم، والأول أوضح وأوجه. قوله: [من المخلوقات] بيان لما. قوله: [أي بكل مخلوق] تفسير لمجموع. قوله: ﴿بما تبصرون وما لا تبصرون﴾.

قوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ هذا هو المحلوف عليه، وكذا قوله: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ وما بعده، والمراد بالرسول الكريم محمد ﷺ، وكرمه اجتماع الكمالات فيه، فهو أكرم الخلق على الإطلاق، وقيل: المراد به جبريل عليه السلام، ويؤيده قوله في سورة التكوير ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وكرمه كونه رئيس العالم العلوي. قوله: [أي قاله رسالة] الخ، جواب عما يقال: إن القرآن قول الله تعالى وكلامه، فكيف يقال: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾؟ فأجاب: بأنه قوله على سبيل التبليغ، والحاصل أنه ينسب لله من حيث إيجاده، ولجبريل من حيث تلقيه عن الله، ولمحمد من حيث تلقيه عن جبريل.

قوله: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ الخ إنما عبر بالإيمان في جانب نفي الشعر، والتذكر في جانب نفي الكهانة، لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر ظاهر؛ لا ينكره إلا معاند كافر، بخلاف مغايرته للكهانة، فإنها متوقفة على التذكر والتدبر في أحواله ﷺ الدالة على أنه ليس بكاهن. قوله: ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ أي تؤمنون بشيء قليل مما جاء مما يوافق طبعكم، وهكذا ما درج عليه المفسر، وقيل: أراد بالقلة نفي إيمانهم أصلاً لأن الإيمان بشيء دون شيء كلا

تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٢: بالتاء والياء في الفعلين وما مزيدة مؤكدة والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئاً بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ٤٣ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾: أي النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ ٤٤: بأن قال عنا ما لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا﴾: لنلنا ﴿مِنْهُ﴾: عقاباً ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾ ٤٥: بالقوة والقدرة ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ ٤٦: نياط القلب وهو عرق متصل إذا انقطع مات صاحبه ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: هو اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد ﴿عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ٤٧: مانعين خبر ما وجمع لأن أحداً في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي ﷺ أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب ﴿وَإِنَّهُ﴾: أي القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٨ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾: أيها الناس ﴿مُّكَذِّبِينَ﴾ ٤٩: بالقرآن ومصدقين ﴿وَإِنَّهُ﴾: أي القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ ٥٠: إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به ﴿وَإِنَّهُ﴾: أي القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ ٥١: أي اليقين الحق ﴿فَسَبِّحْ﴾: نزه ﴿بِٱسْمِ﴾: زائدة ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٥٢: سبحانه.

إيمان، وذلك كقولك لمن يزورك: قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلاً. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما سبعيتان، فالأولى لمناسبة ﴿تبصرون﴾، والثانية التفات عن الخطاب إلى الغيبة. قوله: [وما زائدة مؤكدة] أي لمعنى القلة، و﴿قليلا﴾ صفة لمصدر محذوف في الموضعين، أي إيماناً قليلاً، وتذكراً قليلاً. قوله: [مما أتى به النبي] من للتبعيض في محل الحال من أشياء، والمعنى: حال كون تلك الأشياء اليسيرة بعض ما أتى به النبي، وقوله: [من الخير] بيان للأشياء اليسيرة التي هي بعض ما أتى به النبي، فكان المناسب للمفسر أن يقدمه على قوله: [مما أتى به النبي] والمراد بالخير الصدقة، وبالصلة الأرحام، وبالعفاف الكف عن الزنا، وإنما آمنوا بهذه الأشياء لموافقتها طباعهم.

قوله: ﴿ولو تقول علينا﴾ أي تكلف التقول. قوله: ﴿بعض الأقاويل﴾ إما جمع أقوال وهو جمع قول، أو جمع أقوولة كأعاجيب جمع أعجوبة، فعلى الأول أقاويل جمع الجمع، وعلى الثاني جمع فقط، والمعنى: لو نسب إلينا قولاً لم نقله، أو لم نأذن له في قوله. ﴿لأخذنا﴾ الخ. قوله: [لنلنا] فسر الأخذ بالنيل لتعديته بالجار، وعليه فمن والباء غير زائدتين، والمعنى: لنلنا منه بالقوة والقدرة، فاليمين كناية عن القوة والغلبة، وأل عوض عن المضاف إليه، أي يمين الله، ويصح أن يراد باليمين الجارحة، والباء زائدة والمعنى: لأخذنا منه يمينه، كما يفعل بالمقتول صبراً يؤخذ بيمينه، ويضرب بالسيف في عنقه، مواجهة. قوله: [وهو عرق متصل به] الخ، هذا قول ابن عباس والجمهور، وقيل: الوتين هو القلب ومراقه وما يليه، وقيل: هو عرق بين العنق والحلقوم، وقيل: هو كناية عن إماتته. والمعنى: لو كذب علينا لأمتناه، فكان كمن قطع وتينه. قوله: ﴿عنه﴾ أي عن عقابه، فهو على حذف مضاف. قوله: ﴿حاجزين﴾ مفعوله محذوف أي حاجزين لنا.

قوله: ﴿وإنه لتذكرة﴾ هذا وما بعده معطوف على جواب القسم، فهو من جملة المقسم عليه. قوله: ﴿للمتقين﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون به. قوله: ﴿أن منكم مكذبين﴾ أي فنمهلهم، ثم بعد بعثهم نجازيهم على تكذيبهم، وقوله: ﴿ومصدقين﴾ أشار بذلك إلى أنه من إضافة الصفة للموصوف، والمعنى: من تمسك به وعمل بمقتضاه، صار من أهل حق اليقين. قوله: [زائدة] أي لفظ باسم زائد. والمعنى: نزه ربك العظيم، واشكره على ما أعطاك من النعم العظيمة، ولا تلتفت لهم ولا لكيدهم.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة المعارج

[مكية وهي أربع وأربعون آية]

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ٢﴾: هو النضر بن الحارث قال: ﴿اللهمّ إن

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة المعارج مكية

وهي أربع وأربعون آية

وتسمى سورة سأل سائل. قوله: [مكية] أي إجماعاً. قوله: ﴿سأل﴾ بالهمزة والألف قراءتان سبعيتان، فالهمز هو الأصل من السؤال وهو الدعاء، وأما قراءة الألف فيحتمل أنها بمعنى قراءة الهمزة، غير أنه خففت بقلب الهمزة ألفاً، والألف منقلبة عن واو، كخاف يخاف، والواو منقلبة عن الهمزة أو من السيلان، فالألف منقلبة عن ياء، والمعنى سال سائل: أي واد في جهنم، وأما سائل فبالهمز لا غير، لأن العين إذا أعلت في الفعل، تعل في اسم الفاعل أيضاً، وقد أعلت بالقلب همزة كقائل وبائع وخائف، واعلم أن مادة السؤال تتعدى لمفعولين، يجوز الاقتصار على أحدهما، ويجوز تعديته بحرف الجر، وحينئذ فيكون التقدير هنا: سأل سائل الله أو النبي عذاباً واقعاً. قوله: [دعا داع] أشار بذلك إلى أن ﴿سأل﴾ من السؤال وهو الدعاء، ولما ضمن معناه تعدى تعديته، ويصح أن الباء زائدة للتوكيد كقوله تعالى ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾ ويصح أن الباء بمعنى عن. قوله: ﴿واقع للكافرين﴾ أي سيقع، وعبر بذلك إشارة لتحقق وقوعه، إما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر، فإن النضر قتل يوم بدر صبراً، وإما في الآخرة وهو عذاب النار. قوله: ﴿للكافرين﴾ اللام للتعليل، والتقدير نازل من أجل الكافرين، أو بمعنى على أي واقع؟ على الكافرين.

قوله: ﴿ليس له دافع﴾ إما نعت آخر لعذاب، أو حال منه، أو مستأنف. قوله: [هو النضر ابن الحارث] هذا قول ابن عباس، وقيل: هو الحرث بن النعمان، وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله ﷺ: «يا علي من كنت مولاه فعلي مولاه». ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله،

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿سأل سائل﴾ قال: هو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿سأل سائل﴾ قال: نزلت بمكة في النضر بن الحارث وقد قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية، وكان عذابه يوم بدر.

* أسباب نزول الآية ٢: وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال: نزلت ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ فقال الناس: على من يقع العذاب؟ فأنزل الله ﴿للكافرين ليس له دافع﴾.

كان هذا هو الحق﴾ الآية ﴿من الله﴾: متصل بواقع ﴿ذي المعارج﴾[٣]: مصاعد الملائكة وهي السموات ﴿تعرج﴾: بالتاء والياء ﴿الملائكة والروح﴾: جبريل ﴿إليه﴾: إلى مهبط أمره من السماء ﴿في يوم﴾: متعلق بمحذوف أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[٤]: بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث ﴿فاصبر﴾: هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿صبراً جميلاً﴾[٥]: أي لا جزع فيه ﴿إنهم يرونه﴾: أي العذاب ﴿بعيداً﴾[٦]: غير واقع ﴿ونراه قريباً﴾[٧]: واقعاً لا محالة ﴿يوم تكون السماء﴾: متعلق بمحذوف أي يقع ﴿كالمهل﴾[٨]: كذائب الفضة ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾[٩]: كالصوف في الخفة والطيران بالريح ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾[١٠]: قريب قريبه لاشتغال كل

فقبلناه منك، وأن نحج فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك، ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا، أفهذا شيء منك أم من الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: «والذي لا إله إلا هو، ما هو إلا من الله». فولى الحرث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول حقاً، فأمطر علينا حجارة من السماء، فوالله ما وصل إلى ناقته، حتى رماه الله بحجر، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت، وقيل: أبو جهل، وقيل: جماعة من كفار قريش، وقيل: هو نوح عليه السلام سأل العذاب على كفار قومه. قوله: [قال اللهم] الخ، أي استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة، حيث جزم ببطلانه. قوله: [متصل بواقع] أي متعلق به، وعليه فجملة ﴿ليس له دافع﴾ معترضة بين العامل والمعمول إن جعلت مستأنفة، وأما إن جعلت صفة لعذاب، فليست اعتراضية.

قوله: ﴿ذي المعارج﴾ أي صاحبها وخالقها، فليس لغيره مدخل فيها. قوله: [مصاعد الملائكة] أشار بذلك إلى أن العروج بمعنى الصعود، والمعارج جمع معرج بفتح الميم، وهو الصعود وما مشى عليه المفسر أحد أقوال، وقيل: المراد معارج المؤمنين في دار الثواب وهي الجنة، وقيل: معارج الأعمال الصالحة، فإنها تتفاوت بحسب الإخلاص والآداب ونحو ذلك. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [جبريل] أشار بذلك إلى أن عطف ﴿الروح﴾ على ما قبله، عطف خاص على عام. قوله: [إلى مهبط أمره] بكسر الباء بوزن مسجد، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره: إن ظاهر الآية يقتضي أن الله تعالى في مكان، والملائكة يصعدون إليه، فأجاب: بأن الكلام على حذف مضاف، أي إلى محل هبوط أمره وهو السماء. قوله: [متعلق بمحذوف] أي دل عليه ﴿واقع﴾. قوله: [لما يلقى فيه من الشدائد] أشار بذلك إلى أن الكلام من باب التمثيل والتخييل، فليس المراد حقيقة العدد، بل المراد أنه يطول على الكافر، لما يلقى فيه من الشدائد، فتارة يمثل بالألف وبالخمسين ألفاً كناية عن عظم الشدائد، أو يقال: يمثل بالخمسين ألفاً في حق قوم من الكفار، والألف في حق قوم آخر منهم، وحينئذ فلا منافاة بين ما هنا وآية السجدة، وقيل: خمسون ألفاً حقيقة لما ورد: أن مواطن الحساب خمسون موطناً، يحبس الكافر في كل موطن ألف. قوله: [كما جاء في الحديث] أي وهو ما رواه أبو سعيد الخدري، أنه قيل لرسول الله ﷺ يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فما أطول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا.

قوله: ﴿فاصبر﴾ مفرع على قوله: ﴿سأل سائل﴾ لأنه على سبيل الاستهزاء، والمعنى: اصبر على استهزاء قومك ولا تضجر منه، فهو تسلية له ﷺ. قوله: [هذا قبل أن يؤمر] الخ، أي فهو منسوخ آية القتال. قوله: ﴿إنهم يرونه﴾ أي يعتقدونه. قوله: ﴿ونراه﴾ أي نعلمه، والنون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى. قوله: [متعلق بمحذوف] أي دال عليه واقع. قوله: [كذائب الفضة] وقيل: المهل دردي الزيت. قوله: [كالصوف] أي مطلقاً، وقيل: بقيد كونه أحمر أو

بحاله ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: أي يبصر الأحماء بعضهم بعضاً ويتعارفون ولا يتكلمون والجملة مستأنفة ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾: يتمنى الكافر ﴿لَوْ﴾: بمعنى أن ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾: بكسر الميم وفتحها ﴿بِبَنِيهِ[١١] وَصَاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وَأَخِيهِ[١٢] وَفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته لفصله منها ﴿ٱلَّتِي تُؤْوِيهِ﴾[١٣]: تضمه ﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ﴾[١٤]: ذلك الافتداء عطف على يفتدي ﴿كَلَّآ﴾ رد لما يوده ﴿إِنَّهَا﴾: أي النار ﴿لَظَىٰ﴾[١٥]: اسم لجهنم لأنها تتلظى أي تتلهب على الكفار ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[١٦]: جمع شواة وهي جلدة الرأس ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾[١٧]: عن الإيمان بأن تقول إلي إلي ﴿وَجَمَعَ﴾: المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾[١٨]: أمسكه في وعائه ولم يؤد حق الله منه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾[١٩]: حال مقدرة وتفسيره ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً﴾[٢٠]: وقت مس الشر ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[٢١]: وقت

مصبوغاً ألواناً، وهذه الأقوال في معنى العهن في اللغة. قوله: ﴿ولا يسئل حميم﴾ الخ، القرّاء السبعة على بناء ﴿يسئل﴾ للفاعل، و﴿حميماً﴾ مفعول أول، والثاني محذوف تقديره شفاعة، وقرأ أبو جعفر من العشرة ببنائه للمفعول، و﴿حميم﴾ نائب للفاعل، و﴿حميماً﴾ إما مفعول ثان على حذف مضاف أي إحضاره، أو منصوب على نزع الخافض أي عن حميم.

قوله: ﴿يبصرونهم﴾ جمع الضميرين نظراً لمعنى الحميمين، لأنهما نكرتان في سياق النفي، يعمان سائر الأقارب. قوله: [والجملة مستأنفة] أي استئنافاً بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر نشأ من قوله: ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ تقديره: إن عدم السؤال ربما يكون لعدم رؤيته، فأجاب: بأنهم يعرفون بعضهم وينظرون إلى بعضهم، غير أن كل مشغول بحاله، فلا يمكنه السؤال لذلك. قوله: [بمعنى أن] أي المصدرية فلا جواب لها، بل ينسبك منها ومما بعدها، مصدر مفعول ليود، أي يود افتداءه. قوله: [بكسر الميم] أي على الإعراب، وقوله: [وفتحها] أي على البناء، والقراءتان سبعيتان، والتنوين عوض عن جمل متعددة، والمعنى: يوم إذ تكون السماء كالمهل الخ. قوله: [لفصله منها] أي فهي فعلية بمعنى مفعولة، أي مفصول منها، والفصيلة قيل الآباء الأقربون، وقيل الفخذ، وقيل العشيرة. قوله: [تضمه] أي في النسب وعند الشدة.

قوله: ﴿كلا﴾ يحتمل أن تكون هنا بمعنى حقاً؛ فالكلام تم عند قوله: ﴿ثم ينجيه﴾ ويحتمل أن تكون بمعنى لا النافية، فالكلام تم عليها. قوله: [أي النار] أنما عاد الضمير عليها وإن لم يتقدم لها ذكر، لدلالة لفظ العذاب عليها. قوله: ﴿لظى﴾ خبر إن، و﴿نزاعة﴾ خبر ثان. قوله: [اسم لجهنم] أي منقول، إذ هو في الأصل اللهب، جعل علماً عليها، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث. قوله: [جمع شواة] أي كنوى ونواة. قوله: [وهي جلدة الرأس] أي وقيل هو جلد الإنسان، ومعناه قلاعة للجلد، وكلما قلعت عادت. قوله: [بأن تقول إلي إلي] أي ثم تلتقطهم التقاط الطائر للحب.

قوله: ﴿إن الإنسان﴾ أل فيه للجنس، أي حقيقة الإنسان وجنسه والأصل فيه، وسمي بذلك إما لأنسه بجنسه، أو لنسيانه حقوق ربه. قوله: [حال مقدرة] أي لأنه ليس متصفاً بذلك وقت خلقه، ولا وقت ولادته. قوله: [وتفسيره] أي الهلوع، وهو مستند اللغويين في قولهم: الهلع فحش الجزع، مع شدة الحرص وقلة الصبر، والشح بالمال والسرعة فيما لا ينبغي. قوله: [وقت مس الشر] أشار بذلك إلى أن ﴿إذا﴾ معمولة لجزوعاً، وكذا ما بعده، ونصب ﴿جزوعاً﴾ إما حالان من ضمير ﴿هلوعاً﴾ أو خبر إن لكان المحذوفة، أي إذا مسه الشر كان جزوعاً، وإذا مسه الخير كان منوعاً، أو

مسّ الخَيرُ أي المالُ لحقّ الله منه ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ ٢٢: أي المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ ٢٣: مواظبون ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ ٢٤: هو الزكاة ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ ٢٥: المتعفف عن السؤال فيُحرم ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ٢٦: الجزاء ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ ٢٧: خائفون ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ ٢٨ نزوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ ٣١: المتجاوزون الحلالَ إلى الحرام ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾: وفي قراءة بالإفراد ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَٰعُونَ﴾ ٣٢: حافظون ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾: وفي قراءة بالجمع ﴿قَآئِمُونَ﴾ ٣٣: يقيمونها ولا يكتمونها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٣٤: بأدائها في أوقاتها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ﴾: نحوك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ ٣٦: حال أي مديمي النظر ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾: منك ﴿عِزِينَ﴾ ٣٧: حال

نعتان لهلوعاً. قوله: [أي المال] أي جمع من جميع ما أنعم الله به عليه بأن لا يصرفه إلا في طاعة ربه.

قوله: ﴿إلا المصلين﴾ استثناء من الإنسان، وتقدم أن المراد به الجنس، فالاستثناء متصل. قوله: [أي المؤمنين] فسّر ﴿المصلين﴾ بالمؤمنين، لأن الصلاة الشرعية تستلزم الإيمان، وليكون لقوله: ﴿الذي هم على صلاتهم دائمون﴾ معنى، وإلا كان ضائعاً، واعلم أنه ذكر الصلاة ثلاثاً، فأراد بها أولاً الإيمان، وثانياً المداومة عليها ولو قضاء، وثالثاً المحافظة عليها في خصوص أوقاتها. قوله: [مواظبون] أي لا يتركونها أداءً ولا قضاءً، بل يفعلونها ولو خارج الوقت، فهذا راجع للصلاة في نفسها، وما يأتي راجع لوصفها. قوله: [فيحرم] أي لكونه يظن غنياً على حد: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

قوله: ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أي يؤمنون به ويجزمون بحصوله، فيستعدون له بالأعمال الصالحة. قوله: ﴿غير مأمون﴾ أي لا ينبغي لأحد أن يأمنه، وإن بلغ في الطاعة ما بلغ، فالمطلوب من الشخص أن يغلب في حال صحة الخوف، وفي حال مرضه الرجاء. قوله: ﴿لفروجهم حافظون﴾ أي عن المحرمات. قوله: [من الإماء] بيان لما، ولشبههن بغير العاقل، عبّر عنهن بما التي لغير العاقل. قوله: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أي طلب الاستمتاع بغير النكاح وملك اليمين. قوله: [المتجاوزين الحلال إلى الحرام] دخل في هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا. قوله: [وفي قراءة بالإفراد] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [المأخوذ عليهم في ذلك] أي فيما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا، فالعهد إمّا من الله أو من المخلوق، فالواجب حفظه وعدم تضييعه. قوله: [وفي قراءة بالجمع] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [ولا يكتمونها] أي بل يؤدونها، ولو كانت تنفع العدو وتضر الحبيب، فلا يخافون في الله لومة لائم. قوله: [بأدائها في أوقاتها] أشار بذلك للفرق بين قوله فيما سبق ﴿دائمون﴾ وقوله هنا: ﴿يحافظون﴾ وحكمة تكرار ذكر الصلاة، الإشارة إلى أنها أعظم من غيرها، لأنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

قوله: ﴿فمال الذين كفروا﴾ ما مبتدأ، و﴿الذين كفروا﴾ خبره، والمعنى أي شيء ثبت لهم وحملهم على نظرهم إليك والتفرق. قوله: ﴿قبلك﴾ حال، وكذا قوله: ﴿مهطعين﴾ و﴿عن اليمين وعن الشمال﴾ فالأربعة أحوال من الموصول. قوله: [أي مديمي النظر] أي أو مسرعين، فالإهطاع إدامة النظر أو الإسراع. قوله: ﴿عزين﴾ جمع عزة وهي الجماعة، واختلفوا في لام عزة، فقيل هي واو من عزوته أعزوه أي نسبته، وقيل هي ياء، فيقال عزيته أعزيه، وقيل هي هاء، فأصله عزهة، وعلى كلٍّ حذفت وعوض عنها تاء التأنيث، وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم في إعرابه،

أيضاً أي جماعات حلقاً حلقاً يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم قال تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ٣٨ كَلَّا﴾: ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾: كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٩: من نطف فلا يطمع بذلك في الجنة وإنما يطمع فيها بالتقوى ﴿فَلَا﴾: لا زائدة ﴿أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾: الشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ٤٠ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ﴾: نأتي بدلهم ﴿خَيْراً مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٤١: بعاجزين عن ذلك ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اتركهم ﴿يَخُوضُوا﴾: في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: في دنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا﴾: يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ٤٢: فيه العذاب ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: القبور ﴿سِرَاعاً﴾: إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ﴾: وفي قراءة بضم الحرفين شيء منصوب كعلم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾ ٤٣: يسرعون ﴿خَاشِعَةً﴾: ذليلة ﴿أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ٤٤: ذلك مبتدأ وما بعده الخبر ومعناه يوم القيامة.

لكونه اسماً ثلاثياً، حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم هذه المقالة. قوله: ﴿جنة نعيم﴾ أضيفت له لأنه ليس فيها غيره. قوله: [من نطف] أي ثم من علق ثم من مضغ، والمعنى: المقصود من هذه الآية أنهم مخلوقون من نطفة، وهي لا تناسب عالم القدس لاستقذارها، فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة، ولم يتخلق بالأخلاق الملكية، لم يستعد لدخولها، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران
انهض إلى الروح واستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

قوله: ﴿إنا لقادرون﴾ جواب القسم. قوله: ﴿على أن نبدل خيراً منهم﴾ أي بأن نخلق خلقاً غيرهم، أو نحول أوصافهم، فيكونوا أشد بطشاً في الدنيا، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأعلى قدراً، وأكثر حشماً وخدماً وجاهاً، فيكونوا عندك على قلب واحد، في سماع قولك وتعظيمك والسعي في مرضاتك، بدل فعل هؤلاء من الاستهزاء والتصفيق وكل ما يغضبك، وقد فعل سبحانه وتعالى ما ذكر من الأوصاف بالمهاجرين، والأنصار والتابعين، فأعطاهم أموال الجبارين وبلادهم، وصاروا ملوك الدنيا والآخرة. قوله: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ هذا من جملة المقسم عليه. قوله: ﴿فذرهم﴾ مفرع على قوله: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي إذا تبين لك أننا غير عاجزين عنهم، فدعهم فيما هم فيه من الأباطيل، ولا تلتفت لهم، ففيه تهديد لهم، وتسلية له ﷺ. قوله: ﴿يلاقوا﴾ أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابه. قوله: ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ هو كشف الغطاء، وأوله عند الغرغرة، وآخره النفخة الثانية، ودخول كل من الفريقين في داره، وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

قوله: ﴿يوم يخرجون﴾ بدل من ﴿يومهم﴾ بدل بعض من كل. قوله: ﴿سراعاً﴾ حال من فاعل ﴿يخرجون﴾.

قوله: ﴿إلى نصب﴾ متعلق بيوفضون. قوله: [وفي قراءة بضم الحرفين] أي وهي سبعية أيضاً، فالأولى مفرد بمعنى العلم المنصوب الذي يسرع له الشخص عند الشدائد، وقيل: هو شبكة الصائد يسرع إليها خوف انفلات الصيد، والثانية بمعنى الصنم المنصوب للعبادة، وقرىء شذوذاً بفتحتين وبضم وسكون. قوله: [يسرعون] أي يسعون ويستبقون. قوله: ﴿خاشعة﴾ حال إما من فاعل ﴿يوفضون﴾ أو ﴿يخرجون﴾ و﴿أبصارهم﴾ فاعل بخاشعة. قوله: ﴿ترهقهم ذلة﴾ إما مستأنف أو حال من فاعل ﴿يوفضون﴾ والمعنى: يغشاهم الذل جزاء لعزهم في الدنيا عن الحق. قوله: ﴿الذي كانوا يوعدون﴾ أي في الدنيا أن لهم فيه العذاب، وهذا هو العذاب الذي طلبوه أول السورة، فقد رد عجزها لصدرها. قوله: [وما بعده] أي الذي هو لفظ يوم، وأما الموصول وصلته فهو صفة للخبر.

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

سورة نوح

[مكية وهي ثمان أو تسع وعشرون آية]

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾: أي بإنذار ﴿قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾: إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]: مؤلم في الدنيا والآخرة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[2]: بيّن الإنذار ﴿أَنِ﴾: أي بأن أقول لكم ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[3] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: من زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾: بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ﴾: بعذابكم إن لم تؤمنوا

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة نوح مكية

وهي ثمان أو تسع وعشرون آية

قوله: [ثمان] بكسر النون وضمها، وأصله على كلٍّ ثماني، حذفت الياء إما اعتباطاً كيد ودم، فهو بضم النون والإعراب عليها، والعلة تصريفية كقاض فهو بكسر النون، والإعراب على الياء المحذوفة. قوله: ﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾ أي على رأس الأربعين، كما قال ابن عباس، وقيل: أرسل وهو ابن ثلاثمائة وخمسين، وقيل: أرسل وهو ابن خمسين سنة، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فهو أطول الناس عمراً، ولا يرد شعيب لأن ما جاء في عمره رواية آحاد، ونوح أول رسول أرسل بالنهي عن الشرك، لأن الشرك إنما حدث في زمنه، وأما قبله فلم يعرفوا عبادة غير الله حتى يؤمروا بتركها. قوله: ﴿إلى قومه﴾ المراد بهم جميع أهل الأرض. قوله: [أي بانذار] أشار بذلك إلى أن ﴿أن﴾ مصدرية، ويصح جعلها تفسيرية لأن الإرسال فيه معنى القول دون حروفه. قوله: [في الدنيا والآخرة] أي وهو الطوفان وعذاب النار. قوله: [بين الانذار] أي واضحه. قوله: [أي بأن أقول لكم] الخ أشار بذلك إلى أن ﴿أن﴾ تفسيرية، ويصح كونها مصدرية كالسابقة، فيصح في كلٍّ منهما الوجهان.

قوله: ﴿يغفر لكم﴾ مجزوم في جواب الأوامر الثلاثة. قوله: [من زائدة] أي على رأي الأخفش القائل: بأنه لا يشترط في زيادتها تقدم نفي وكون مدخولها نكرة. قوله: [فإن الإسلام] الخ تعليل لما قبله، والمعنى: أن الإسلام يغفر به ما تقدمه من الذنوب ولو حقوق العباد، فلا يؤاخذ بها في الآخرة. قوله: [لاخراج حقوق العباد] أي فإنها لا تغفر بالاسلام، أي فيطالب الكافر إذا أسلم، بالحدود وبالأموال التي ظلم فيها، والديون المستقرة في ذمته. قوله: [بلا عذاب] جواب عن سؤال مقدر، كيف قال ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ مع أنه قال في الآية الأخرى ﴿ولن يؤخر الله

﴿إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]: ذلك لآمنتم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾[٥]: أي دائماً متصلاً ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً﴾[٦]: عن الإيمان ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: غطوا رؤوسهم بها لئلا ينظروني ﴿وَأَصَرُّوا﴾: على كفرهم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾: تكبروا عن الإيمان ﴿اسْتِكْبَاراً﴾[٧] ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً﴾[٨]: أي بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾: صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾: الكلام ﴿لَهُمْ إِسْرَاراً﴾[٩] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾[١٠] ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾: المطر وكانوا قد منعوه ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾[١١]: كثير الدرور ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[١٢]: جارية ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾[١٣]: أي تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا ﴿وَقَدْ

نفساً إذا جاء أجلها﴾؟ فالجواب: أن المراد بالأجل هنا أولاً وثانياً العذاب، وهو معلق على ترك الايمان، وفي الآية الأخرى انتهاء العمر، وهو لا يتقدم ولا يتأخر، آمنوا أم لم يؤمنوا. قوله: ﴿مسمى﴾ أي معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص.

قوله: ﴿إن أجل الله﴾ أضاف الأجل له سبحانه لأنه هو الذي أثبته، وقد يضاف إلى القوم كما في قوله ﴿إذا جاء أجلهم﴾ لأنه مضروب لهم. قوله: [لآمنتم] أشار بذلك إلى أن ﴿لو﴾ شرطية. قوله: ﴿فلم يزدهم دعائي﴾ بفتح الياء وسكونها قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿إلا فراراً﴾ مفعول ثان ليزدهم، وهو استثناء من محذوف، والتقدير: فلم يزدهم دعائي شيئاً من أحوالهم التي كانوا عليها إلا فراراً، أي بعداً واعراضاً عن الإيمان. قوله: ﴿وإني كلما دعوتهم﴾ ﴿كلما﴾ معمول لجعلوا، والجملة خبر إن ومعمول ﴿دعوتهم﴾ محذوف، والتقدير إلى الايمان بك لأجل مغفرتك.

قوله: [لئلا ينظروني﴾ أي فكرهوا النظر إليّ من فرط كراهتهم دعوتي، فقد خالفوه باطناً بالاصرار والاستكبار، وظاهراً بتعطيل الاسماع والابصار، ولا أقبح من هذه المخالفة. قوله: ﴿جهاراً﴾ إما نعت مصدر محذوف أي دعاء جهاراً، أو حال على حد زيد عدل، والمعنى: أنه فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ابتدأ أولاً بالأهون، ثم ترقى للأشد فالأشد، فافتتح بالسر؛ فلما لم يفد ثنى بالجهر، فلما لم يفد ثلث بالجمع بين السر والجهر، وثم للدلالة على تباعد الأحوال.

قوله: ﴿استغفروا ربكم﴾ أي اطلبوا منه محو ذنوبكم بأن تأمنوا به وتتقوه، فليس المراد بالاستغفار مجرد قول أستغفر الله، ومن لازم الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، عن الحسن أن رجلاً شكا إليه الجدب، فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، وشكا إليه آخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون إليك أبواباً، ويسألونك أنواعاً، فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فتلا الآية. قوله: [وكانوا قد منعوه] أي لما كذبوا نوحاً، حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح ﴿استغفروا ربكم﴾ الخ. قوله: ﴿مدراراً﴾ حال من السماء، ولم يؤنث لأن مفعالاً يستوي فيه المذكر والمؤنث. قوله: [بساتين] أشار بذلك إلى أن المراد جنات الدنيا؛ وكرر فعل الجعل، ولم يقل بجعل لكم جنات وأنهاراً، لتغاير المعمولين، فإن الجنات مما لهم فيها مدخل بخلاف الانهار، ولذا قال ﴿يمددكم بأموال وبنين﴾ ولم يقل بجعل لتغاير المعمول.

قوله: ﴿ما لكم﴾ مبتدأ وخبر، والمعنى أي شيء ثبت لكم، وقوله: ﴿لا ترجعون﴾ جملة حالية من الكاف، وقوله: ﴿وقاراً﴾ أي توقيراً من الله لكم، واللام بمعنى من، والمعنى أي شيء ثبت لكم لا تؤملون الله في كونه يوقركم

﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ ١٤: جمع طور وهو الحال فطوراً نطفة وطوراً علقة إلى تمام خلق الإنسان والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾ ١٥: بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾: أي في مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ ١٦: مصباحاً مضيئاً وهو أقوى من نور القمر ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم﴾: خلقكم ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾: إذ خلق أباكم آدم منها ﴿نَبَاتاً﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾: للبعث ﴿إِخْرَاجاً وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً﴾ ١٩: مبسوطة ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً﴾: طرقاً ﴿فِجَاجاً﴾ ٢٠: واسعة ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا﴾: أي السفلة والفقراء ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾: وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك وولد بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما والأول قيل جمع ولد بفتحهما كخشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل ﴿إِلَّا خَسَاراً﴾ ٢١: طغياناً وكفراً ﴿وَمَكَرُوا﴾: أي الرؤساء ﴿مَكْراً

ويعظمكم، بل المطلوب منكم أن ترجعوا وقار الله إياكم بأن تؤمنوا به، فالمقصود الحث على الايمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله لأن الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه يحصل في المستقبل مع الأخذ في الاسباب، وهو لا يكون إلا بالايمان والطاعة. قوله: ﴿وقد خلقكم﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿ترجون﴾ و﴿أطواراً﴾ حال مؤولة بمشتق أي منتقلين من حال إلى حال. قوله: [والنظر] أي التأمل. قوله: [في خلقه] أي الأنسان، والمعنى أن التأمل في أحوال الانسان، من أسباب الايمان بالله تعالى. قوله: [تنظروا] أي نظر اعتبار وتفكر.

قوله: ﴿كيف خلق الله﴾ الخ، هذه الجملة سدت مسد مفعولي ﴿تروا﴾. قوله: [بعضها فوق بعض] أي من غير مماسة، بل بين كل واحدة والأخرى خمسمائة عام، وسمك الواحدة منهن خمسمائة عام. قوله: [أي في مجموعهن] دفع بذلك ما يقال: إن القمر لم يكن إلا في خصوص سماء الدنيا، فما معنى إضافته إلى الكل؟ فأجاب بما ذكر، وفيه أن المجموع لا بد فيه من تعدد أفراد، وهنا ليس كذلك، فالأحسن الجواب بأن السماوات شفافة، فيرى الكل كأنه سماء واحدة، وما في واحدة كأنه في الكل. قوله: ﴿وجعل الشمس﴾ أي فيهن، فحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، واعلم أن القمر في سماء الدنيا اتفاقاً؛ واختلف في الشمس فقيل في السماء الرابعة، وقيل في الخامسة، وقيل في الشتاء في الرابعة، ووجههما مما يلي السماء، وقفاهما مما يلي الأرض.

قوله: ﴿سراجاً﴾ أي مثل السراج في كونها تزيل ظلمة الليل كما يزيلها السراج. قوله: [وهو أقوى من نور القمر] إن قلت: إن القمر أقوى من المصباح بالمشاهدة لعمومه المشارق والمغارب وانتشاره. أجيب: بأن الضمير عائد على الضوء المفهوم من [مضيئاً] أو يقال: إن المصباح في محل انتشاره أقوى من القمر، وإن كان أوسع امتداداً منه، لأن الانسان يمكنه قراءة الخط في المصباح دون القمر، فلا يقرؤه إلا القليل من الناس. قوله: [خلقكم] أي أنشأكم منها؛ فالانبات استعارة للخلق. قوله: [إذ خلق أباكم آدم منها] أي أو باعتبار النطفة فإن أصلها وهو الغذاء من الأرض. قوله: ﴿نباتاً﴾ مصدر لأنبت على حذف الزوائد، ويسمى اسم مصدر. قوله: [مقبورين] حال. قوله: [مبسوطة] أي لا مسنمة فتتعب من عليها. قوله: ﴿فجاجاً﴾ جمع فج وهو الطريق الواسع، وقيل هو المسلك بين الجبلين.

قوله: ﴿قال نوح﴾ أي بعد يأسه من إيمانهم وصبره المدة الطويلة عليهم، وهذا مقدمة لدعائه عليهم. قوله: ﴿إنهم عصوني﴾ أي وعصياني عصيان لك يا رب. قوله: [وبفتحهما] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ومكروا﴾ معطوف على صلة ﴿من﴾ كأنه قال واتبعوا من مكروا، وجمع الضمير نظراً لمعنى من، وأفرد في قوله ﴿يزده﴾ باعتبار

﴿كُبَّاراً﴾ ٢٢: عظيماً جداً بأن كذبوا نوحاً وآذوه ومن اتبعه ﴿وَقَالُوا﴾: للسفلة ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾: بفتح الواو وضمها ﴿وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ ٢٣: هي أسماء أصنامهم ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾: بها ﴿كَثِيراً﴾: من الناس بأن أمروهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً﴾ ٢٤: عطفاً على قد أضلوا دعا عليهم لما أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴿مِمَّا﴾: ما صلة ﴿خَطَايَاهُمْ﴾: وفي قراءة خطيآتهم بالهمز ﴿أُغْرِقُوا﴾: بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾: عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ﴾: أي غير ﴿اللَّهِ أَنْصَاراً﴾ ٢٥: يمنعون عنهم العذاب ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ ٢٦: أي نازل دار والمعنى أحداً ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ ٢٧: من يفجر ويكفر قال ذلك لما تقدم من

لفظها قوله: ﴿كباراً﴾ بضم الكاف وتشديد الباء، وهي قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالضم والتخفيف، وهي صيغة مبالغة أيضاً بمعنى المشدد والكسر والتخفيف جمع كبير. قوله: ﴿وقالوا﴾ عطف على الصلة أيضاً. قوله: ﴿ولا تذرن وداً﴾ عطف خاص على عام. قوله: [بفتحك الواو وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ولا يغوث ويعوق﴾ بغير تنوين في قراءة العامة، ومنع الصرف إن كانا عربيين للعلمية، ووزن الفعل، وإن كانا أعجمين فالعلمية والعجمة، وقرئ شذوذاً بالصرف للتناسب لأن ما قبلهما مصروف وما بعدها مصروف. قوله: ﴿ويعوق ونسراً﴾ لم يذكر النفي مع هذين لكثرة التكرار وعدم اللبس. قوله: [هي أسماء أصنام] أي كانوا يعبدونها، وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، ولذا خصوها بالذكر، وأصلها كما قال عروة بن الزبير أنه كان لآدم خمس بنين، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكانوا عباداً فمات رجل منهم فحزنوا عليها فقال الشيطان: أنا أصور لكم مثله، إذا نظرتم إليه ذكرتموه، قالوا: افعل، فصوره في المسجد من صفر ورصاص، ثم مات آخر فصوره، حتى ماتوا كلهم وصورهم، فلما تقادم الزمان، تركت الناس عبادة الله، فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدون شيئاً؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم، ألا ترون أنها في مصلاكم، فعبدوها من دون الله تعالى، حتى بعث الله نوحاً عليه السلام فقالوا ﴿لا تذرن آلهتكم﴾ الآية.

قوله: ﴿وقد أضلوا﴾ معمول لقول مقدر، أي وقال قد أضلوا، فهو معطوف على قوله: ﴿قال نوح رب إنهم عصوني﴾. قوله: [دعا عليهم لما أوحي إليه] الخ، جواب عما يقال: إنه مبعوث لهدايتهم، فكيف ساغ له الدعاء عليهم بالضلال؟ فأجاب: بأنه لما يئس من إيمانهم، بإخبار الله له بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، ساغ له الدعاء عليهم. قوله: [ما صلة] أي ومن تعليلية. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿فأدخلوا ناراً﴾ أي في الدنيا عقب الأغراق، فكانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى، وهذا ما أفاده المفسر، ويحتمل أن المراد بها نار الآخرة، وهو من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق الوقوع.

قوله: ﴿وقال نوحك رب﴾ الخ عطف على قوله: ﴿قال نوح رب﴾ وما بينهما أعتراض مبين لسبب استحقاقهم العذاب. قوله: [أي نازل دار] هذا معنى الديار في اللغة، والمراد صاحب دار، سواء كان نازلاً بها أم لا، فهو مرادف لأحد، فديار من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما بالديار ديار. قوله: [من يفجر] الخ أشار بذلك إلى أن فيه مجاز الأول، لأنهم لم يفجروا وقت الولادة، بل بعدها. قوله: [قال ذلك] أي قوله: ﴿لا تذر﴾ الخ، وأما قوله: ﴿ولا يلدوا﴾ الخ فعلمه بالتجربة لكونه عاش فيهم زماناً طويلاً، فعرف طباعهم وأحوالهم، فكان الرجل ينطلق إليه

الإيحاء إليه ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾: وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾: منزلي أو مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[٢٨]: هلاكاً فأهلكوا.

بابنه ويقول له: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرني منه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك. قوله: [وكانا مؤمنين] أي واسم أبيه لمك، بفتحتين أو بفتح فسكون، ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام، ابن اخنوخ وهو إدريس واسم أمه شمخا بوزن سكرى بنت أنوش. قوله: [منزلي أو مسجدي] أي أو سفينتي.

قوله: ﴿مؤمنا﴾ حال. قوله: [إلى يوم القيامة] أي من مبدإ الدنيا إلى يوم القيامة. قوله: ﴿إلا تباراً﴾ مفعول ثان لـ﴿تزد﴾، والاستثناء مفرغ، وفعله تبر من باب قتل وتعب، ويتعدى بالتضعيف فيقال تبره والاسم التبار. قوله: [فأهلكوا] أي وغرقت معهم صبيانهم على القول بأنهم لم يعقموا ومواشيهم، لكن لا على وجه العقاب لهم، بل لتشديد عذاب المكلفين، قال عليه الصلاة والسلام: «يهلكون مهلكا واحداً، ويصدرون مصادر شتى». وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال: علم الله براءتهم، فأهلكهم بغير عذاب، وما قيل في صبيان قوم نوح، يقال في صبيان كل أمة هلكت، والله أعلم.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الجن

[مكية وهي ثمان وعشرون آية]

﴿قُلْ﴾: يا محمد للناس ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: أي أخبرت بالوحي من الله تعالى ﴿أَنَّهُ﴾: الضمير للشأن ﴿ٱسْتَمَعَ﴾: لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: جن نصيبين وذلك في صلاة الصبح ببطن نخل موضع بين مكة والطائف

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم
سورة الجن مكية
وهي ثمان وعشرين آية

أي التي ذكرت فيها قصة إيمان الجن برسول الله ﷺ لأن رسالته عامة للإنس والجن، والجن أجسام نارية هوائية، لها قدرة على التشكلات بالصور الشريفة والخسيسة، وتحكم عليهم الصورة، وبهذا ظهر الفرق بينهم وبين الملائكة، لأن الملائكة أجسام نورانية، لها قدرة على التشكلات بالصور غير الخسيسة، ولا تحكم عليه الصورة، واختلف في الجن فقيل: هم ذرية إبليس، غير أن المتمرد منهم يسمى شيطانا، كما أن الأنس أولاد آدم، وقيل: إن الجن ولد الجان، والشياطين ولد إبليس يموتون مع إبليس عند النفخة، والراجح الأول، فمن آمن من الجن، فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحقق بآدم، ومن كفر من الانس، فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحقق بإبليس. قوله: [أي أخبرت بالوحي] أي أخبرني جبريل، وظاهر الآية، أن النبي لم يشعر بهم ولا باستماعهم، وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته، وبه قيل: والصحيح أنه رآهم وعلم بهم، ويجاب عن الآية، بأن مصب الايحاء قصة الجن مع قومهم، حين رجعوا إليهم بعد استماعهم القرآن من رسول الله ﷺ. قوله: ﴿أنه استمع﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل ﴿أوحي﴾، والتقدير أوحي إلي استماع.

قوله: ﴿نفر من الجن﴾ النفر الجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة، واختلف في عددهم، فقيل كانوا تسعة، وقيل سبعة. قوله: [جن نصيبين] قرية باليمن بالصرف على الأصل وعدمه للعلمية والعجمة. قوله: [في صلاة الصبح] وذلك

---

* أسباب نزول الآية ١ : أخرج البخاري والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعوا إلى قومهم فقالوا ما هذا إلا لشيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا هذا الذي حدث فانطلقوا فانصر النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً فأنزل الله على نبيه ﴿قل أوحي إلي﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن.

وأخرج ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة بسنده عن سهل عن عبد الله قال كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة تأويه الجن فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم أتعجب من عظم خلقته =

وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ الآية ﴿فقالوا﴾: لقومهم لما رجعوا إليهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[1]: يتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[2] ﴿وَأَنَّهُ﴾: الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾: تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾: زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾[3] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾[4]: غلواً في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ﴾: مخففة أي أنه ﴿لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[5]: بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ﴾: يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾: حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر

أنه سار النبي ﷺ في جملة من أصحابه قاصدين سوق عكاظ، وهو سوق معروف بقرب مكة، كانت العرب تقصده في كل سنة مرة في الجاهلية، وأول الاسلام، وكان في ذلك الوقت قد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فقال بعضهم لبعض: ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها لتنظروا، ما الذي حال بيننا وبين السماء، حتى منعنا بالشهب، فانطلق جماعة منهم. فمروا بالنبي ﷺ وأصحابه وهو يصلي الصبح يقرأ فيها سورة الرحمن، وقيل ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وكان ببطن نخل قاصدين سوق عكاظ. فلما سمعوا القرآن قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجباً﴾ الخ. قوله: [بين مكة والطائف] بينه وبين مكة مسيرة ليلة. قوله: [في فصاحته] في بمعنى من، فهو بدل مما قبله، أو هي سببية. قوله: [وغزارة معانيه] أي كثرتها. قوله: [وغير ذلك] كالإخبار بالمغيبات.

قوله: ﴿ولن نشرك بربنا أحداً﴾ هذا يدل على أنهم كانوا مشركين، وروي أنهم كانوا يهوداً، وقيل: إن منهم يهوداً ونصارى ومجوساً ومشركين. قوله: [وفي الموضعين بعده] أي وهما وأنه كان يقول وأنه كان رجال، واسم كان ضمير الشأن، والجملة بعدها خبرها، وهي واسمها وخبرها خبر أن. قوله: ﴿جد ربنا﴾ الجد يطلق على معان، منها العظمة وهي المرادة هنا، ومنها الغنى والحظ، ومنه: ولا ينفع ذا الجد منك الجد، ومنها أبو الأب، وأما الجد بالكسر فهو السرعة في الشيء ضد التأني. قوله: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ هذه الجملة مفسرة لما قبلها.

قوله: ﴿وأنا ظننا﴾ الخ اعتذار من هؤلاء النفر، عما صدر منهم قبل الايمان من الشرك، وإيضاحه أنهم يقولون: إنا ظننا واعتقدنا أن أحداً لا يكذب على الله، وأن ما قاله سفهاؤنا من نسبة الصاحبة والولد إليه حق وصدق، فلما سمعنا القرآن أسلمنا وعلمنا أنه كذب. قوله: [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن مضمر، والجملة المنفية خبرها. قوله: ﴿كذباً﴾ نعت مصدر محذوف، أي قولاً كذباً. قوله: [بوصفه بذلك] أي بالصاحبة والولد. قوله: [حتى تبينا كذبهم] أي ظهر لنا. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن هذه المقالة والتي بعدها من كلامه تعالى؛ مذكورتان في خلال كلام الجن المحكي عنهم، وهو أحد قولين، وقيل: إنهما أيضاً من كلام الجن.

قوله: ﴿كان رجال﴾ أي في الجاهلية. قوله: [حين ينزلون] الخ، أي وذلك أن العرب كانوا إذا نزلوا وادياً،

= كتعجبي من طراوة جبته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت وإن هذه الجبة علي منذ سبعمائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام فآمنت بهما فقلت له ومن أنت؟ قال من الذين نزلت فيهم ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾.

* أسباب نزول الآية ٦: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب =

سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾: بعوذهم بهم ﴿رَهَقاً﴾[6]: طغياناً فقالوا: سدنا الجن والإنس ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: أي الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾: يا إنس ﴿أَن﴾: مخففة أي أنه ﴿لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً﴾[7]: بعد موته قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: رمنا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً﴾: من الملائكة ﴿شَدِيداً وَشُهُباً﴾[8]: نجوماً محرقة وذلك لما بعث النبي ﷺ ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾: أي قبل مبعثه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾: أي نستمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً﴾

عبثت بهم الجن في بعض الأحيان، لأنهم كانوا لا يتحصنون بذكر الله، وليس لهم دين صحيح، فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم، فكان الرجل يقول عند نزوله: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح، فلا يرى إلا خيراً، وربما هدوه إلى الطريق، وردوا عليه ضالته، وأول من تعوذ بالجن، قوم من اليمن من بني حنيفة، ثم فشا في العرب، فلما جاء الإسلام، صار التعوذ بالله لا بالجن. قوله: ﴿فزادوهم﴾ الواو عبارة عن رجال الإنس، والهاء عبارة عن رجال الجن. قوله: [فقالوا] أي الجن المستعاذ بهم. قوله: [سدنا الجن] بضم السين، أي حصلت لنا السيادة على الجن غيرنا لقهرنا إياهم، وسدنا الإنس الذين استعاذوا بنا، وهذه المقالة بسبب الطغيان. قوله: ﴿أن لن يبعث الله أحداً﴾ هذه الجملة سادة مسد مفعولي الظن، والمسألة من باب التنازع، أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف. قوله: [رمنا] أي قصدنا وطلبنا.

قوله: ﴿فوجدناها ملئت﴾ الخ، الضمير مفعول أول لوجد، وجملة ﴿ملئت﴾ مفعول ثان لها، و﴿حرساً﴾ تمييز؛ جمع حارس كخدم وخادم. قوله: ﴿وشهباً﴾ جمع شهاب ككتب وكتاب. قوله: [نجوماً محرقة] المناسب أن يقول: شعلاً منفصلة من نار الكواكب، لأن الشهاب شعلة من نار تنفصل من الكواكب، وتقدم ذلك عن المفسر. قوله: [وذلك] أي امتلاؤها بالحرس والشهب. قوله: ﴿مقاعد للسمع﴾ أي لأجل الاستماع. قوله: ﴿الآن﴾ ظرف حالي، والمراد الاستقبال. والحاصل: أن الشياطين كانوا أولاً يسترقون السمع، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات بغير شهب، فلما ولد ﷺ منعوا من السماوات كلها بالشهب، فلما بعث ازداد تساقط الشهب حتى ملأ الفضاء وصارت

= الراعي فقال: عامر الوادي جارك فنادى مناد لا تراه يا سرحان فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم وأنزل الله على رسوله بمكة ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ الآية، وأخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بعث رسول الله ﷺ وقد رعيت على أهلي وكفيت مهنتهم فلما بعث النبي ﷺ خرجنا هراباً فأتينا على فلاة من الأرض وكنا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا إنا نعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة فقلنا ذاك فقيل لنا إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من أقر بها أمن على دمه وماله فرجعنا فدخلنا في الإسلام، قال أبو رجاء إني لأرى هذه الآية نزلت في وفي أصحابي ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾ الآية.

وأخرج الخرائطي في كتاب هواتف الجان: حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثنا عمارة بن زيد حدثني عبد الله بن العلاء حدثنا محمد بن عكبر عن سعيد بن جبير إن رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عمير حدث عن بدء إسلامه إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وقد تعوذت قبل نومي فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعاً فنظرت يميناً وشمالاً فلم أرى شيئاً فقلت هذا حلم ثم عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حرب ورجل شيخ ممسك بيده يدع عنها فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الإنسي، فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف ثم التفت إلى الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هوله فقل أعوذ برب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها قال: فقلت له: ومن محمد هذا: قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي بعث يوم الأثنين، قلت: فأين مسكنه؟ قال: بيثرب ذات النخل، فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة فرآني رسول الله ﷺ فحدثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئاً، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت قال سعيد بن جبير وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾.

رَّصَداً﴾[٩]: أي أرصد له ليرمي به ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾: بعدم استراق السمع ﴿بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾[١٠]: خيراً ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾: بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾: أي قوم غير صالحين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾[١١]: فرقاً مختلفين مسلمين وكافرين ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾: مخففة أي أنه ﴿لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَباً﴾[١٢]: أي لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها في السماء ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾: القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾: بتقدير هو ﴿بَخْساً﴾: نقصاً من حسناته ﴿وَلَا رَهَقاً﴾[١٣]: ظلماً بالزيادة في سيئاته ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾: الجائرون بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾[١٤]: قصدوا هداية ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[١٥]: وقوداً وأنا وأنهم وأنه في اثني عشر موضعاً هي وأنه تعالى وأنا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافاً وبفتحها بما يوجه به قال تعالى في كفار مكة: ﴿وَأَن﴾: مخففة من الثقيلة

لا تخطئهم، فمنعوا من الصعود بالكلية، لكن ما زالوا يتوجهون إلى الصعود فتعاجلهم الشهب. قوله: ﴿رصداً﴾ صفة لشهاباً، وهو بمعنى اسم المفعول، أي مرصوداً له. قوله: ﴿أشر أريد﴾ الخ قيل: القائل ذلك إبليس، وقيل: الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبي ﷺ، والمعنى: لا ندري أشر أريد بمن في الأرض بإرسال محمد ﷺ إليهم، فإنهم يكذبون ويهلكون بتكذيبه؛ أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا، فالشر والرشد على هذا الإيمان والكفر.

قوله: ﴿ومنا دون ذلك﴾ ﴿منا﴾ خبر مقدم، و﴿دون﴾ مبتدأ مؤخر، إما بمعنى غير وفتح لإضافته لغير متمكن، أو صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق دون ذلك، وحذف الموصوف مع من التبعيضية كثير، ومن ذلك قولهم منا ظعن ومنا أقام، أي منا فريق ظعن الخ. قوله: [أي قوم غير صالحين] أي غير مسلمين. قوله: ﴿كنا طرائق﴾ أي ذوي مذاهب مختلفة وأديان متفرقة. قوله: ﴿قدداً﴾ جمع قدة بالكسر، وهي في الأصل الطريق والسيرة، فاستعمالها في الفرق مجاز. قوله: ﴿وأنا ظننا﴾ أي علمنا وتيقنا. قوله: ﴿في الأرض﴾ حال، وكذا قوله: ﴿هرباً﴾. قوله: [بتقدير هو] أي بعد الفاء، فهو جملة اسمية، ولولا ذلك لحذفت الفاء وجزم جواباً للشرط. قوله: ﴿وأنا منا المسلمون﴾ أي وأنا بعد سماعنا القرآن مختلفون، فمنا من أسلم، ومنا من كفر. قوله: [الجائرون] أي فالقاسط الجائر، وأما المقسط فهو من أقسط بمعنى عدل، وأعاد هاتين الجملتين مع ذكرهما أولاً، ليصرح بمجازاة المسلم وضده.

قوله: ﴿فكانوا لجهنم حطباً﴾ إن قلت: الجن مخلوقون من النار، فكيف يعذبون بها؟ أجيب: بأنهم وإن خلقوا منها، لكن هم ضعاف، والنار قوية، وقوي النار يأكل ضعيفها. قوله: [وأنا وإنهم وإنه] للمبتدأ، وقوله: [في اثنى عشر موضعاً] خبر أول، وقوله: [بكسر الهمزة] خبر ثان، وقوله: [هي] مبتدأ، و[إنه تعالى] الخ خبر، والجملة اعتراضية لبيان الاثنى عشر، وقوله: [وإنا] أي في ثمان مواضع، وإنا ظننا؛ وإنا لمسنا الخ، وقوله: [وإنهم] أي في موضع واحد، وإنهم ظنوا، وقوله: [وإنه] أي في ثلاثة مواضع، وإنه تعالى، وإنه كان يقول، وإنه كان رجال، فصح قوله في اثنى عشر موضعاً، وقوله: [وإنه تعالى] أي وهي أولها وآخرها، [وإنا منا المسلمون وما بينهما] أي بين الأول والآخر، وهو عشرة مواضع، وقيل هذه الاثنى عشر موضعاً، أحدهما بالفتح لا غير أنه استمع نفر، وثانيهما بالكسر لا غير، إنا سمعنا قرآناً عجباً، وبعدها موضعان أحدهما بالفتح لا غير، وأن المساجد لله، وثانيهما فيه الوجهان وإنه لما قام عبد الله، فالجملة ستة عشر علم تفصيلها فتدبر. قوله: [بما يوجه به] أي بأن يؤول بمصدر يعطف على المصدر. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ١٦: وأخرج عن مقاتل في قوله ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾ قال نزلت في كفار قريش حين منع المطر سبع سنين.

واسمها محذوف أي وأنهم وهو معطوف على أنه استمع ﴿لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: أي طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[١٦]: كثيراً من السماء وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾: لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾: فنعلم كيف شكرهم علم ظهور ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: القرآن ﴿نَسْلُكْهُ﴾: بالنون والياء ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾[١٧]: شاقاً ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾: مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾: فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[١٨]: بأن

[قال تعالى في كفار مكة] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وأن لو استقاموا﴾ إلى آخره ليس متعلقاً بالجن، بل هو من جملة الموحى به. قوله: [وهو معطوف على أنه استمع] أي والتقدير: أوحي إلي استماع نفر، وكونهم لو استقاموا الخ.

قوله: ﴿لو استقاموا على الطريقة﴾ أي لو آمن هؤلاء الكفار، لبسطنا لهم الرزق، ووسعنا عليهم في الدنيا زيادة على ما يحصل لهم في الآخرة من النعيم الدائم، فيحوزون عز الدنيا والآخرة، والعامة على كسر واو ﴿لو﴾ على الأصل، وقرىء شذوذاً بضمها تشبيهاً بواو الضمير. قوله: [أي طريقة الاسلام] أي بالعمل بها، وهو امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات. قوله: ﴿لأسقيناهم﴾ الخ ليس المراد خصوص السقيا، بل المراد التوسعة عليهم في الدنيا وبسط الرزق، وإنما اقتصر على ذكر الماء، لأن الخير والرزق كله في الماء، فهو أصل الأرزاق، قال عمر: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة. قوله: ﴿غدقاً﴾ بفتحتين في السبع، وقرىء شذوذاً بفتح الغين وكسر الدال، وهو مصدر غدق من باب تعب، يقال غدقت عينه تغدق، أي هطل دمعها، وغدقت العين غدقاً كثر ماؤها. قوله: [وذلك] اسم الاشارة عائد على معلوم من السياق، والتقدير: ونزول الآية كان بعدما رفع الخ.

قوله: ﴿لنفتنهم فيها﴾ أي الماء، وفي للسببية. قوله: [علم ظهور] أي للخلائق، وإلا فهو تعالى لا يخفى عليه شيء، فالمعنى ليظهر لهم متعلق علمنا، وفي الآية معنى إشاري للصوفية، وهو أن العباد، لو حصلت منهم الاستقامة على الطريقة بالانهماك في مرضات الله تعالى، لملأ الله قلوبهم بالأسرار والمعارف والمحبة الشبيهة بالماء في كونها حياة الأرواح، كما أن الماء حياة الأجسام، فيحصل لهم بسبب ذلك الفتنة، بأن يسكروا ويطربوا ويدهشوا ويخرجوا عن الأهل والأوطان، فالاستقامة سبب للرزق الظاهري والباطني. قوله: [بالنون والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [ندخله] أشار بذلك إلى أنه ضمن نسلك معنى ندخل، فعداه للمفعول الثاني. قوله: ﴿صعداً﴾ مصدر صعد بكسر العين كفرح، وصف به العذاب على تأويله باسم الفاعل. قوله: [شاقاً] هذا تفسير باللازم، وإلا فمعنى الصعود العلو والارتفاع.

قوله: ﴿وأن المساجد لله﴾ هو من جملة الموحى به، أي وأوحي إلي كون المساجد مختصة بالله؛ واختلف في المراد بالمساجد، فقيل هي جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود، فالمراد به جميع البقاع لأن الأرض جعلت كلها مسجداً لهذه الأمة، وقيل: جمع مسجد بالفتح وهو الأعضاء الواردة في الحديث: «الجبهة والأنف والركبتان واليدان والقدمان». والمعنى: أن هذه الأعضاء نعم أنعم الله بها عليك، فلا تسجد لغير الله، فتجحد نعمة الله، وقيل: المراد بها الأماكن المبنية للعبادة، وإضافة المساجد إلى الله تعالى للتشريف والتكريم، وقد تنسب لغيره على سبيل التعريف، كما في الحديث «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام». قوله: ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ أي لا تعبدوا غير الله، فهو توبيخ للمشركين في عبادتهم الأصنام، وقيل المعنى: أفردوا

---

* أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال قالت الجن يا رسول الله إئذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جرير قال قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك أو كيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت ﴿وأن المساجد لله﴾ الآية.

تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا ﴿وَإِنَّهُ﴾: بالفتح والكسر استئنافاً والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾: محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾: يعبده ببطن نخل ﴿كَادُوا﴾: أي الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ١٩: بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً ازدحاماً حرصاً على سماع القرآن ﴿قَالَ﴾: مجيباً للكفار في قولهم ارجع عما أنت فيه وفي قراءة قل ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾: إلهاً ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ٢٠ ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: غياً ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ ٢١: خيراً ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه إن عصيته ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ﴾: أي غيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ٢٢: ملتجأ ﴿إِلَّا بَلَاغًا﴾: استثناء من مفعول أملك أي لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي عنه ﴿وَرِسَالَاتِهِ﴾: عطف على بلاغاً وما بين المستثنى منه والاستثناء

المساجد بذكر الله تعالى، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً، كما في الحديث: «من نشد ضالة في المسجد فقولوا: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا». وفي الحديث: «كان إذا دخل المسجد، قدم رجله اليمنى وقال: وأن المساجد لله، فلا تدعوا مع الله أحداً، اللهم أنا عبدك وزائرك، وعلى كل مزور حق، وأنت خير مزور، فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار». وإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال «اللهم صب علي الخير صباً، ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبداً، ولا تجعل معيشتي كداً، واجعل لي في الأرض جداً» أي غنى.

قوله: ﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ الخ، سياق هذه الآية إنما يظهر في المرة الثانية، وهي التي كانت في الحجون، وكان معه فيها ابن مسعود، وكان الجن إذ ذاك اثني عشر ألفاً، وقيل سبعين ألفاً، وبايع جميعهم وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر، ووصفه الله بالعبودية، زيادة في تشريفه وتكريمه. قوله: [ببطن نخل] المناسب أن يقول: بحجون مكة، وهي المرة الثانية، وأما الأولى التي هي ببطن نخل، فكانوا سبعة أو تسعة، فلا يتأتى قوله: ﴿كادوا يكونون عليه لبداً﴾. قوله: [بكسر اللام وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [جمع لبدة] أي بكسر اللام، كسدرة وسدر، على قراءة الكسر أو ضمها، كغرفة وغرف على قراءة الضم.

قوله: ﴿قال إنما أدعو ربي﴾ الخ، سبب نزولها: أن كفار قريش قالوا له: إنك جئت بأمر عظيم، قد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هذا ونحن نجيرك وننصرك. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية أيضاً، وعليها ففي الكلام التفات من الغيبة للخطاب. قوله: [إلهاً] قدره إشارة إلى أن أدعو بمعنى اعتقد، فتتعدى لمفعولين، ولو فسرها بأعبد لاستغنى عن هذا التقدير. قوله: [غياً] أشار بذلك إلى أن المراد بالضر الغي؛ فأطلق المسبب وأريد السبب، فإن الضر مسببة الغي فهو مجاز مرسل، وكذا يقال في قوله: ﴿ولا رشداً﴾.

قوله: ﴿قل إني لن يجيرني﴾ الخ، بيان لعجزه عن شؤون نفسه، بعد بيان عجزه عن شؤون غيره. قوله: [استثناء من مفعول أملك] أي من مجموع الأمرين وهما قوله: ﴿ضراً﴾ ﴿ولا رشداً﴾ بعد تأويلهما بشيئاً، كأنه قال: لا أملك لكم شيئاً إلا بلاغاً، فهو استثناء متصل، وجملة ﴿قل إني لن يجيرني﴾ الخ معترضة بين المستثنى والمستثنى منه، أتى بها لتأكيد نفي الاستطاعة. قوله: [عطف على بلاغاً] أي كأنه قال: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالة، والمعنى: إلا أن أبلغ عن الله فأقول: وقال الله كذا، وأن أبلغ رسالاته، أي أحكامه التي أرسلني بها، من غير زيادة ولا نقصان. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٢٢: وأخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له أن جنياً من الجن من أشرافهم ذا تبع قال إنما يريد محمد أن يجيره الله وأنا اجيره فأنزل الله ﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد﴾ الآية.

اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ : في التوحيد فلم يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ : حال من ضمير من في له رعاية في معناها وهي حال مقدرة والمعنى يدخلونها مقدراً خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا﴾٢٣ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا﴾ : حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أي لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ : من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ : عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾٢٤ : أعواناً أهم أم المؤمنون على القول الأول أو أنا أم هم على الثاني فقال بعضهم متى هذا الوعد فنزل ﴿قُلْ إِنْ﴾ : أي ما ﴿أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ : به من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾٢٥ : غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ : ما غاب عن العباد ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ : يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾٢٦ : من الناس ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ﴾ : مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ : يجعل ويسير ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ : أي الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾٢٧ : ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ : الله علم ظهور ﴿أَن﴾ : مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿قَدْ

[في التوحيد] أخذ ذلك من قوله: ﴿خالدين فيها أبداً﴾ لأن الخلود قرينة كون المراد بالعاصي الكافر.

قوله: ﴿فإن له نار جهنم﴾ العامة على كسر إن لوقوعها بعد فاء الجزاء، وقرىء شذوذاً بفتحها، على أنها مع ما في حيزها تأويل مصدر خبر محذوف، والتقدير فجزاؤه أن له نار جهنم. قوله: [في له] أي حال من الهاء المجرورة باللام. قوله: ﴿فسيعلمون﴾ جواب ﴿إذا﴾ والسين لمجرد التأكيد لا للاستقبال لأن وقت رؤية العذاب، يحصل العلم المذكور. قوله: ﴿من أضعف ناصراً﴾ ﴿من﴾ إما استفهامية مبتدأ، و﴿أضعف﴾ خبره، أو موصولة، و﴿أضعف﴾ خبر لمحذوف أي هو أضعف، والجملة صلة الموصول، و﴿ناصراً﴾ و﴿عدداً﴾ تمييزان محولان عن المبتدأ على حد: أنا أكثر منك مالاً. قوله: [أو أنا] الضمير للنبي ﷺ، وهذا التوزيع تكلف لا داعي له، بل يصلح كل المعنيين لك من القولين. قوله: [فقال بعضهم] هو النضر بن الحرث وقال هذا استهزاء به ﷺ وانكاراً للعذاب. قوله: ﴿قريب﴾ مبتدأ، و﴿ما توعدون﴾ فاعل سد مسد الخبر، و﴿ما﴾ موصولة، وعائدها محذوف أو مصدرية. قوله: [من العذاب] بيان لما. قوله: [لا يعلمه إلا هو] صفة لأجلاً.

قوله: ﴿عالم الغيب﴾ بالرفع في قراءة العامة، على أنه بدل من ﴿ربي﴾ أو خبر لمحذوف، وقرىء شذوذاً بالنصب على المدح، وقرىء شذوذاً علم الغيب، فعلاً ماضياً ناصباً للغيب. قوله: [ما غاب به] المناسب حذف قوله به. قوله: ﴿فلا يظهر على غيبة أحداً﴾ أي إظهاراً تاماً كاملاً يستحيل تخلفه، فليس في الآية ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف، ولكن اطلاع الأنبياء على الغيب أقوى من اطلاع الأولياء، لأن اطلاع الأنبياء يكون بالوحي، وهو معصوم من كل نقص، بخلاف اطلاع الأولياء، فعصمة الأنبياء واجبة، وعصمة الأولياء جائزة. قوله: ﴿إلا من ارتضى﴾ أي إلا رسولاً ارتضى له لإظهاره على بعض غيوبه، فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه.

قوله: ﴿فإنه يسلك﴾ الخ تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء، كأنه قال: إلا من رسول، فإنه إذا أراد إظهاره على غيبه، جعل له ملائكة من جميع جهاته، يحرسونه من تعرض الشياطين له. قوله: [ملائكة يحفظونه] أي من الجن، قال قتادة وغيره: كان الله إذا بعث رسولاً أتاه إبليس في صورة ملك يخبره، فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك، أخبروه بأنه شيطان فيحذره، فإذا جاء ملك قالوا له: هذا رسول ربك. قوله: ﴿ليعلم﴾ [الله] الخ، متعلق بيسلك غاية له، وقوله: [علم ظهور] دفع به

أَبْلَغُوا﴾ : أي الرُسُل ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ : روعي بجَمْع الضمير معْنى مِنْ ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ : عُطف على مقدَّر أي فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ٢٨ : تمييز وهو محول عن المفعول والأصل أحصى عدد كل شيء.

ما قد يتوهم من قوله يعلم، أن العلم متجدد. فأجاب: بأن المعنى ليظهر متعلقب علمه. قوله: ﴿رسالات ربهم﴾ أي كما هي محفوظة من الزيادة والنقصان. قوله: [معنى من] أي في قوله: ﴿من ارتضى﴾. قوله: ﴿وأحاط مما لديهم﴾ الضمير عائد على الرُسل والملائكة، والمعنى: أحاط علمه بما عند الرُسل والملائكة. قوله: ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾ أي من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار، وجميع الأشياء جليلها وحقيرها، وهذا كالتعليل لقوله: ﴿وأحاط بما لديهم﴾.

* *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة المزمل

[مكية أو إلا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى آخرها فمدني تسع عشرة أو عشرون آية]

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[١]: النبي وأصله المتزمل أدغمت التاء في الزاي أي المتلفف بثيابه حين مجيء الوحي له خوفاً منه لهيبته ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾: صلِّ ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢] ﴿نِصْفَهُ﴾: بدل من قليلاً وقلته بالنظر إلى الكل ﴿أَوِ انْقُصْ مِنْهُ﴾: من

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة المزمل مكية

أو إلّا قوله ﴿إن ربك يعلم﴾ إلى آخرها فمدني. وهي تسع عشرة أو عشرون آية

أي وهو قول الجمهور، لأنها أول ما نزل من بعد آية ﴿اقرأ﴾ وقوله: [أو إلا قوله] الخ، هذا قول الثعلبي، وعليه هو ناسخ لأول السورة، وليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها سواها، ولم ينزل آخرها عقب أولها، بل بينهما مدة أكثر ما قيل فيها عشر سنين. قوله: ﴿يا أيها المزمل﴾ الخطاب للنبي ﷺ، واختلف في معنى المزمل، فقيل: المتلفف بثيابه، وهو ما مشى عليه المفسر، وقيل: المزمل بالنبوة، والمدثر بالرسالة، وقيل: المزمل بالقرآن، وقيل معناه: يا أيها الذي زمل هذا الأمر، أي حمله. واعلم أن هذا الوصف أثبته العلماء من جملة أسمائه ﷺ وهو الصحيح، وخالف في ذلك السهيلي محتجاً بأنه اسم مشتق من حاله التي كان عليها حين الخطاب، ورد بأن هذا لا يضر في التسمية، وأيضاً فأسماؤه ﷺ توقيفية، وقد ورد نداؤه به في القرآن، وحينئذ فيجوز لنا أن نطلقه عليه. قوله: [أدغمت التاء في الزاي] أي بعد قلبها زاياً. قوله: [حين مجيء الوحي] أي جبريل في ابتداء الرسالة، بعد أن جاءه باقرأ باسم ربك، وذلك أنه ﷺ لما جاءه الوحي في غار حراء، رجع إلى خديجة زوجته يرجف فؤاده فقال: زملوني زملوني، لقد خشيت على نفسي، أي من عدم القيام بحقه لهيبته وجلاله، فقالت له خديجة، وكانت وزيرة صدق رضي الله عنها: كلا والله، ما يخزيك الله أبداً، إنك تصل الرحم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

قوله: ﴿قم الليل﴾ العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين، وقرىء شذوذاً بضمها وفتحها، و﴿الليل﴾ ظرف

---

* اسباب نزول الاية ١: اخرج البزار والطبراني بسند واه عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت: سموا هذا الرجل اسماً يصد عنه الناس قالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه فتدثر فيها فأتاه جبريل فقال ﴿يا أيها المزمل﴾ ﴿يا أيها المدثر﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي في قوله ﴿يا أيها المزمل﴾ قال نزلت وهو في قطيفة.

النصف ﴿قَلِيلًا﴾٣: إلى الثلث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾: إلى الثلثين وأو للتخيير ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾: تثبت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا﴾٤ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾: قرآناً ﴿ثَقِيلًا﴾٥: مهيباً أو شديداً لما فيه من التكاليف ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾: موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾٦: أبين قولاً ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾٧: تصرفاً في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾: أي قل بسم الله الرحمن

للقيام على طريقة البصريين، أو مفعول به على طريقة الكوفيين، والأمر للوجوب، واختلف فيه فقيل: كان واجباً عليه وعلى أمته، وقيل: كان واجباً عليه وعلى جميع الأنبياء قبله، وقيل: خاص به ﷺ، ثم نسخ التعيين بآخر السورة، ثم نسخ بالصلوات الخمس. قوله: [صل] أي فالمعنى: قم للصلاة والعبادة. قوله: [وقلته] الخ، جواب عما يقال: إن النصف مساو للنصف الآخر إلا قليل، فأجاب: بأنه يوصف بالقلة بالنظر لكل الليل، لا بالنظر للنصف الآخر. قوله: [إلى الثلث] أي أنقص من النصف الذي تنامه، فمعناه قم ثلثي الليل، وقوله: [إلى الثلثين] أي زد على النصف الذي تنامه حتى تبلغ الثلثين، فمعناه قم ثلث الليل، فتحصل أن المعنى قم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه فهو من الواجب المخير.

قوله: ﴿ورتل القرآن﴾ أي في أثناء قيامك: والمعنى اقرأ بترتيل وتؤدة وسكينة ووقار. قوله: ﴿إنا سنلقي﴾ الخ هذه الجملة معترضة بين الأمر بقيام الليل وتعليله بقوله: ﴿إن ناشئة الليل﴾ وفي الحقيقة هذه الجملة أيضاً تصلح أن تكون علة للأمر بقيام الليل كأنه قال: وقم الليل للتهيء لتحمل القول الثقيل الذي سننزله عليك. قوله: [مهيباً] أي عظيماً جليلاً، واختلف في معنى كونه ﴿ثقيلا﴾ فقال قتادة: ثقيل والله فرائضه وحدوده، وقال مجاهد: حلاله وحرامه، وقال محمد بن كعب: ثقيل على المنافقين لأنه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم، وقيل: ثقيل بمعنى كريم، وقيل ثقيل لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد، وأجمع من هذا، أن معناه كثير الفوائد والمعاني، لا يدركه عقل واحد، فهو كالبحر المحيط الذي لا ينقص باغتراف، فجميع العلماء المتقدمين والمتأخرين يغترفون منه، قال البوصيري:

لها معان كموج البحر في مدد ... وفوق جوهره في الحسن والقيم
فلا تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام على الإكثار بالسأم

وما مشى عليه المفسر، من أن المراد بالقول القرآن هو أحد أقوال، وقيل: إن المراد بالوحي لما في الحديث أنه ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته، وضعت صدرها على الأرض، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسري عنه. وقالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً. وقيل: القول الثقيل هو قول: لا إله إلا الله لما ورد أنها خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان. قوله: [القيام بعد النوم] أشار بذلك إلى أن ﴿ناشئة﴾ مصدر نشأ إذا قام ونهض، كالعاقبة والعافية، ويصح أن تكون صفة لموصوف، أي أن النفس الناشئة بالليل، أي القائمة فيه أشد وطأ الخ. قوله: ﴿وطأ﴾ تمييز أي من جهة المواطأة، أي الموافقة فيها. قوله: [موافقة السمع للقلب] أي أن هذا الوقت توافق الحواس القلب، فكل ما وقع في الحواس وعاه القلب لخلو القلب عن الشواغل، فلا مفهوم لقول المفسر السمع، وفي ﴿وطأ﴾ قراءتان سبعيتان، بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف، وفتح الواو وسكون الطاء بعدها همزة، ومعناهما ما قاله المفسر. قوله: [أبين قولا] أي أصوب قراءة، وأصح قولاً من النهار لسكون الأصوات.

قوله: ﴿سبحاً طويلاً﴾ السبح مصدر سبح، استعير من السباحة في الماء للتصرف في الأشغال. قوله: [لا تفرغ

الرحيم في ابتداء قراءتك ﴿وَتَبَتَّلْ﴾: انقطع ﴿إِلَيْهِ﴾: في العبادة ﴿تَبْتِيلاً﴾ [٨]: مصدر بتّل جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل هو ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [٩]: موكولاً له أمورك ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: أي كفار مكة من أذاهم ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ [١٠]: لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم ﴿وَذَرْنِي﴾: اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: عطف على المفعول أو مفعول معه والمعنى أنا كافيكهم وهم صناديد قريش ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾: التنعم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ [١١]: من الزمن فقتلوا بعد يسير منه ببدر ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً﴾: قيوداً ثقالاً جمع نكل بكسر النون ﴿وَجَحِيماً﴾ [١٢]: ناراً محرقة ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾: يغص به في الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَاباً أَلِيماً﴾ [١٣]: مؤلماً زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تزلزل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً﴾: رملاً مجتمعاً ﴿مَّهِيلاً﴾ [١٤]: سائلاً بعد اجتماعه وهو من هال يهيل

فيه] الخ، أي فعليك بها في الليل الذي هو محل الفراغ، وفرغ من باب دخل. قوله: [أي قل بسم الله الرحمن الرحيم] الخ، تبع في ذلك السهيلي، وقال جمهور المفسر: إن قوله: ﴿واذكر اسم ربك﴾ عام بعد خاص، والمعنى: دُم عليه ليلاً ونهاراً، على أي وجه كان، من تسبيح وتحميد وتهليل ونحو ذلك. قوله: [انقطع] ﴿إليه﴾ [في العبادة] أي أخلص لوجهه. قوله: [مصدر بتل] أي كعلّم تعليماً على حد قول ابن مالك:

وغير ذي ثلاثة مقيس مصدره كقدّس التقديس

وهذا إشارة لسؤال حاصله: أن هذا المصدر ليس لهذا الفعل، وإنما هو مصدر لفعل آخر، أجاب عنه بجوابين: الأول قوله: [جيء به لرعاية الفواصل] والثاني قوله: [وهو ملزوم التبتل] وإيضاحه أن التبتل الذي هو مصدر تبتّل كتكرم أطلق وأريد التبتيل الذي هو مصدر بتل كقدّس، كونه لازماً له ومن مادته. قوله: [هو] ﴿رب المشرق﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿رب المشرق﴾ بالرفع خبر لمحذوف؛ ويصح قراءته بالجر بدل من ﴿ربك﴾، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿فاتخذه وكيلاً﴾ نتيجة ما قبله، والمعنى حيث علمت أنه مالك المشرق والمغرب، ولا إله غيره، فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه. قوله: ﴿واصبر على ما يقولون﴾ هذا شروع في بيان كيفية معاملته للخلق إثر بيان كيفية معاملته للخالق. قوله: ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ أي بأن تذرهم ولا تكافئهم بأفعالهم، فالهجر الجميل هو الترك مع عدم الإيذاء. قوله: [وهذا قبل الأمر بقتالهم] أي فهو منسوخ بآية القتال.

قوله: ﴿وذرني والمكذبين﴾ أي فلا تشفع لهم، ولا تحل بيني وبينهم، بل اتركني أنتقم منهم، وهذا من مزيد تعظيم الله له ﷺ واجلال قدره. قوله: ﴿أولي النعمة﴾ نعت للمكذبين، و﴿النعمة﴾ بالفتح التنعم، وبالكسر الشيء المنعم به، وبالضم السرور. قوله: ﴿ومهلهم قليلا﴾ أي بلغهم عني أني أمهل لهم زمناً قليلاً، وهو إلى خروجك من مكة، فلما خرج ﷺ منها، سلط الله عليهم السنين المجدبة، وهو العذاب العام، ثم قتل صناديدهم ببدر، وهو العذاب الخاص. قوله: ﴿إن لدينا أنكالاً﴾ الخ، هذا وعيد لهم بعذاب الآخرة، إثر الوعيد بعذاب الدنيا. قوله: [جمع نكل] أي وهو القيد، وقيل الغل. قوله: [وهو الزقوم] تقدم في الدخان أنه شجر من أخبث الشجر. قوله: [أو الضريع] سيأتي للمفسر في الغاشية، أنه نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه. قوله: [أو الغسلين] تقدم في الحاقة أنه صديد أهل النار. قوله: [لا يخرج ولا ينزل] تفسير لقوله: [يغص به] فكان المناسب ذكره بلصقه.

قوله: ﴿يوم ترجف﴾ الخ ظرف منصوب بما تعلق به قوله: ﴿لدينا﴾ والتقدير: استقر لهم عندنا ما ذكر يوم ترجف الخ. قوله: [تزلزل] أصله تتزلزل حذفت منه إحدى التاءين. قوله: ﴿وكانت الجبال﴾ أي وتكون، فعبر

وأصله مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ ١٥ هو محمد ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾: هو موسى عليه الصلاة والسلام ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ١٦: شديداً ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾: في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾: مفعول تتقون عذابه أي بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ١٧: جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والأصل في شين شيباً الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال وهو مجاز ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ﴾: ذات انفطار أي انشقاق ﴿بِهِ﴾: بذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾: تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفْعُولًا﴾ ١٨: أي هو كائن لا محالة ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾: الآيات المخوفة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ١٩: طريقاً بالإيمان والطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى﴾: أقل ﴿مِنْ

بالماضي لتحقق الحصول. قوله: [وحذفت الواو] أي عند سيبويه، وإنما كانت أولى بالحذف لأنها زائدة، ولذا اختاره المفسر، وقال الكسائي: إن المحذوف الياء، لأن القاعدة أن الذي يحذف لالتقاء الساكنين هو الأول. قوله: [يا أهل مكة] أي ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب.

قوله: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون﴾ الخ، خص موسى وفرعون بالذكر، لأن قصتهما مشهورة عند أهل مكة. قوله: ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ أل للعهد الذكري، لأنه تقدم ذكره في قوله: ﴿رسولا﴾ والقاعدة أن النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى. قوله: [شديداً] هذا القول ابن عباس ومجاهد، ومنه مطر وابل، أي شديد، وقيل: الوبيل الثقيل الغليظ، وقيل: المهلك. قوله: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم﴾ أي لا سبيل لكم إلى الوقاية من عذاب ذلك اليوم، إن وقع الكفر منكم في الدنيا. قوله: ﴿يجعل الولدان﴾ الخ، هذه الجملة صفة ليوماً، والضمير في ﴿يجعل﴾ إما عائد على الله، أو على اليوم مبالغة، أي إن نفس اليوم يجعل الولدان شيباً. قوله: [وهو مجاز] أي لفظ الشيب مجاز، أن كناية عن شدة الهول. قوله: [ويجوز] الخ، أي فيكون الشيب على حقيقته ولا مانع منه، ثم إن في كلام المفسر إجمالاً، وإيضاحه أن يقال: إن كون الشيب على حقيقته مبني على أن المراد باليوم آخر أوقات الدنيا، وهو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا، وكونه مجازاً مبني على أن المراد باليوم النفخة الثانية، لأن القيامة ليس فيها شيب.

قوله: ﴿السماء منفطر به﴾ صفة ثانية ليوماً. قوله: [ذات انفطار] جواب عما يقال: لم لم تؤنث الصفة فيقال منفطرة؟ فأجاب: بأن هذه صيغة نسبة أي ذات انفطار، ويجاب أيضاً: بأن السماء تذكر باعتبار أنها سقف، قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾. قوله: [به] الباء بمعنى في. قوله: ﴿كان وعده﴾ [تعالى] أشار به إلى أن إضافة وعد للضمير، من إضافة المصدر لفاعله، وهو الله تعالى. قوله: ﴿إن هذه﴾ [الآيات] أي القرآنية، وهو قوله ﴿إن لدينا﴾ الخ، ويصح أن يكون اسم الاشارة عائداً على السورة بتمامها. قوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ من شرطية و﴿شاء﴾ فعل الشرط، ومفعوله محذوف أي النجاة، وجملة ﴿اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ جواب الشرط، ويصح أن يكون جملة ﴿شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ فعل الشرط، وجوابه محذوف تقديره فليفعل. قوله: [بالإيمان والطاعة] أشار بذلك إلى أن المراد باتخاذ السبيل، التقرب إلى الله تعالى، بامتثال مأموراته واجتناب منهياته.

قوله: ﴿إن ربك يعلم﴾ الخ، شروع في بيان الناسخ لقوله ﴿قم الليل﴾ الخ، ومحله قوله ﴿فتاب عليكم﴾ وما

﴿ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ﴾: بالجرّ: عطف على ثُلثي، وبالنصب: عطف على أدنى وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾: عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به ومنهم من كان لا يدري كم صلّى من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطاً فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾: يحصي ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿لَّن تُحۡصُوهُ﴾: أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾: رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾: في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَن﴾: مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: يسافرون ﴿يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾: يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾: وكل من الفرق الثلاثة يشق

قبله توطئة وتمهيد له. قوله: [أقل] ﴿من ثلثي الليل﴾ الخ، إن قلت: إن الأقلية باعتبار الثلثين والنصف والثلث ظاهرة، ولا تظهر بالنسبة للثلث؛ لأنهم غير مأمورين بالنقص عنه، بل هم مخيرون كما تقدم بين قيام الثلثين والنصف، وهذا على قراءة الجر، وقد يجاب: بأن معنى قوله: ﴿أدنى﴾ التقريب، أي يعلم أنك تقوم كما أمرك أقرب من ثلثي الليل الخ، وعبّر بالأدنى لأنها أمور ظنّية تخمينية لا تحقيقية، وهم مكلفون بالظن، لا التحقيق والتحرير بالدقيقة. قوله: [وبالنصب] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [عطف على أدنى] أي فهو معمول لتقوم، والمعنى: تقوم نصفه تارة وثلثه تارة أخرى. قوله: [وقيامه] مبتدأ، وقوله: [نحو ما أمر به] خبره أو مثله، فقوله هنا ﴿أدنى من ثلثي الليل﴾ المراد به الثلثان على سبيل التقريب، وهو المذكور أولاً بقوله ﴿قم الليل إلا قليلا نصفه﴾ وقوله: ﴿وثلثه﴾ المراد به الثلث تقريباً وهو المذكور أولاً بقوله ﴿أو زد عليه﴾ ولا يحتاج لقولنا تقريباً، إلا على قراءة الجر، وأما على قراءة النصب فظاهرة. قوله: [وجاز] أي العطف على ضمير الرفع المتصل، من غير تأكيد بالضمير المنفصل، وقوله: [للفصل] أي بغير الضمير على حدّ قول ابن مالك أو فاصل ما. قوله: [وقيام طائفة] مبتدأ، وقوله: [للتأسي به] خبره، وقوله [كذلك] أي ثلثين ونصفاً وثلثاً. قوله: [ومنهم من كان لا يدري] الخ، بيان للطائفة الأخرى التي لم تتأس به، فافترقت الصحابة فرقتين، فرقة تأست به في قيام الثلثين والنصف والثلث، وفرقة شددوا على أنفسهم فأحيوا الجميع. قوله: [سنة] أي على القول بأن السورة كلها مكية، وقوله: [أو أكثر] أي ستة عشر شهراً على القول بأنها مكية أيضاً، أو عشر سنين على القول بأن قوله ﴿إن ربك يعلم﴾ الخ مدني. قوله: [فخفف عنهم] أي عن الطائفتين من الصحابة. قوله: [أي الليل] أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على الليل؛ لأن المحدث عنه من أول السورة. قوله: [رجع بكم إلى التخفيف] أي فالمراد التوبة اللغوية، لا التوبة من الذنوب، لكونهم لم يفعلوا ذنوباً.

قوله: ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ بيان للناسخ، فنسخ التقدير بالأجزاء الثلاثة إلى جزء مطلق من الليل. قوله: [في الصلاة] بيان لمعنى القراءة في الأصل. قوله: [بأن تصلوا] أشار بذلك إلى أن المراد بالقراءة الصلاة، من اطلاق الجزء على الكل. قوله: [ما تيسر] أي ولو ركعتين. قوله: ﴿علم أن سكون﴾ الخ، استئناف مبين لحكمة أخرى للترخيص والتخفيف. قوله: [مخففة من الثقيلة] أي واسمها ضمير الشان، وجملة ﴿سيكون﴾ خبرها، و﴿مرضى﴾ اسم يكون، و﴿منكم﴾ خبرها.

قوله: ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ الخ، سوى الله تعالى في هذه الآية، بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال؛ لنفقته على نفسه وعياله، إشارة إلى أن كسب المال بمنزلة الجهاد، لما ورد في الحديث: «ما من جالب

عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾: كما تقدم ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ المفروضة ﴿**وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ**﴾: بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿**قَرْضًا حَسَنًا**﴾: عن طيب قلب ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا**﴾: مما خلفتم وهو فصل وما بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف ﴿**وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ٢٠: للمؤمنين.

تجلب طعاماً من بلد إلى بلد، فيبيعه بسعر يومه، إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**﴾ وقال ابن مسعود أيما رجل جلب شيئاً من مدينة من مدائن الإسلام، صابراً محتسباً، فباعه بسعر يومه، كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ ﴿**وآخرون يضربون في الأرض**﴾ الآية. قوله: [**وغيرها**] أي كطلب العلم وصلة الرحم.

قوله: ﴿**فاقرؤوا ما تيسر منه**﴾ إنما كرره تأكيداً، ولكونه قرنه بحكم أخرى غير الأولى. قوله: [**ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس**] أي في حق الأمة اتفاقاً، وأما هو ﷺ فقال مالك: لم ينسخ في حقه ﷺ، بل بقي وجوب التهجد عليه، لكن في خصوص الحضر، وقال الشافعي: نسخ في حقه أيضاً. إن قلت: إن وجوب الصلوات الخمس، لا ينافي وجوب قيام الليل، وشرط الناسخ أن يكون حكمه منافياً للحكم المنسوخ، فالحق أن النسخ بالحديث، وهو أنه ﷺ أخبر أعرابياً بأن الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة، فقال الأعرابي: هل علي غيرها يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لا، إلا أن تطوع» فقوله لا ينفي وجوب أي صلاة كانت غير الخمس.

قوله: ﴿**وما تقدموا لأنفسكم**﴾ ﴿**ما**﴾ شرطية، و﴿**تجدوه**﴾ جواب الشرط، و﴿**من خير**﴾ بيان لما، و﴿**عند الله**﴾ ظرف لتجدوه و﴿**خيراً**﴾ مفعول ثان لتجدوه. قوله: [**مما خلفتم**] أي وراءكم. إن قلت: إن الذي خلفه وراءه ميراث لغيره، فلا خير فيه له، فالأحسن أن يقول: مما أنفقتم على أنفسكم في العاجل. قوله: [**وهو فصل**] أي ضمير فصل. قوله: [**وما بعده**] الخ أشار بذلك لسؤال حاصله: أن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، وهنا وقع بين معرفة ونكرة، فأجاب بقوله: [**يشبهها**] وقوله: [**لامتناعه من التعريف**] أي لأنه اسم تفضيل، وهو لا يجوز دخول أل عليه، إذا كان معه من لفظاً أو تقديراً، وهنا من مقدرة كأنه قال هو معرفة لولا المانع، وهو كونه مقروناً بمن. قوله: ﴿**واستغفروا الله**﴾ أي اطلبوا مغفرته في جميع أحوالكم، فإن الإنسان لا يخلو من تفريط يوجب حجبه عن بركات الدنيا والآخرة، ولا يزيل ذلك الحجاب إلا الاستغفار، كما قال تعالى ﴿**فقلت استغفروا ربكم**﴾ الآيات، وكما قال تعالى ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾ وفي الحديث: «إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه».

* * *

---

* أسباب نزول الآية ٢٠: وأخرج الحاكم عن عائشة قالت لما أنزلت ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم فأنزلت ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾. وأخرج ابن جرير مثله عن ابن عباس وغيره.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة المدثر

[مكية وهي خمس وخمسون آية]

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[١]: النبي ﷺ وأصله المتدثر أدغمت التاء في الدال أي المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[٢]: خوّف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٣]: عظّم عن إشراك المشركين ﴿وَثِيَابَكَ

بسم الله الرحمٰن الرّحيم
سورة المدّثّر مكية
وهي خمس وخمسون آية

أي بالإجماع. قوله: ﴿يا أيها المدثر﴾ وقع خلاف طويل في أول ما نزل من القرآن والصحيح إن أول ما نزل على الإطلاق ﴿اقرأ باسم ربك﴾ إلى ﴿ما لم يعلم﴾ وأول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى ﴿فاهجر﴾. والحاصل: أنه ﷺ كان يتعبد في غار حراء؛ فنزل جبريل بآية ﴿اقرأ﴾ كما في حديث البخاري، فذهب بها يرجف فؤاده، فقال لخديجة: زملوني، فنزل عليه ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾ ثم فتر الوحي، فحزن ﷺ وجعل يعلو شواهق الجبال، ويريد أن يرمي بنفسه، فنودي وهو بغار حراء: يا محمد إنك رسول الله، قال: فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي، فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض، يعني الملك الذي ناداه، فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت: دثروني، دثروني، فنزل جبريل وقال ﴿ياأيها المدثر﴾ والتدثر لبس الدثار، وهو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار ما يلي الجسد. قوله: [أدغمت التاء] أي بعد قلبها دالاً وتسكينها. قوله: [أي المتلفف بثيابه] أي من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك، وقيل: المتدثر بالنبوة والمعارف الإلهية.

قوله: ﴿قم فأنذر﴾ إنما اقتصر على الإنذار، وإن كان مبعوثاً بالتبشير أيضاً؛ لأنه في ذلك الوقت، لم يكن أحد يصلح للتبشير إلا ما قل جداً، فلما اتسع الإسلام نزل عليه ﴿إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾. قوله: ﴿وربك فكبر﴾ أي خص ربك بالتكبير والتعظيم ظاهراً وباطناً، والفاء في هذا وما بعده لإفادة معنى الشرط، كأنه قال: مهما يكن من شيء فكبر، والمعنى اعتقد أن ربك منزه عن كل نقص، متصف بكل كمال.

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الشيخان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فلم أر أحداً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت فقلت: دثروني فأنزل الله ﴿يا أيها المدثر ثم فأنذر﴾.

﴿فَطَهِّرْ﴾[٤]: عن النجاسة أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها نجاسة ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾: فسره النبي ﷺ بالأوثان ﴿فَٱهْجُرْ﴾[٥]: أي دم على هجره ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[٦]: بالرفع حال أي لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه وهذا خاص به ﷺ لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[٧]: على الأوامر والنواهي ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي

قوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ [عن النجاسة] أي لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة، لا تصح إلا بها، وهي الأولى والأحب في غير الصلاة، لأن المؤمن طاهر طيب، لا يليق منه أن يحمل خبثاً، ففي هذا رد على المشركين، فإنهم كانوا لا يصونون ثيابهم عن النجاسات، فأمره الله تعالى أن يخالفهم في ذلك. قوله: [قصرها] أي لأن تطويل الثياب شأنه إصابة النجاسة، فعبّر بالملزوم عن اللازم، وتقصير الثياب مطلوب كما في الحديث: «إزار المؤمن إلى انصاف ساقيه، ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان على أسفل من ذلك ففي النار، فمن السفه أن يطيل الرجل ثيابه، ثم يتكلف رفعها بيديه» وورد: «من جر إزاره خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة» قال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقي إزاري يسترخي، إلا أني أتعهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: «لست ممن يصنعه خيلاء» فيؤخذ من ذلك أن تطويل الثياب بقصد الخيلاء حرام، وأما من غير قصد بل لمجرد عادة أهل بلده مثلاً، فهو مكروه إن كان يتحفظ من النجاسة، وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية، وقيل: المراد طهر نفسك من الصفات المذمومة، كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك، مأخوذ من قولهم: فلان طاهر الثياب والذيل، إذا أراد وصفه بالنقاء من أدناس الأخلاق، ومن ذلك قول عكرمة: لا تلبسها على معصية ولا على غدر، وقال الحسن: خلقك فحسن، وقال سعيد بن جبير: قلبك وبيتك فطهر، وقال مجاهد: عملك فأصلح، وقيل: المراد بالثياب الأهل، أي طهرهم عن الخطايا بالموعظة والتأديب، والعرب تسمي الأهل ثوباً ولباساً وإزاراً، قال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ والآية صالحة لجميع تلك المعاني.

قوله: ﴿والرجز﴾ بضم الراء وكسرها سبعيتان، والزاي منقلبة عن السين ومعناهما واحد. قوله: [أي دم عل هجره] دفع بذلك ما يقال: ظاهر الآية يقتضي أنه كان متلبساً بعبادة الأوثان وليس كذلك. قوله: ﴿ولا تمنن﴾ المن هنا الأنعام، والمعنى لا تعط شيئاً مستكثراً له، وقوله [حال] أي من فاعل ﴿تمنن﴾. قوله: [لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه] أي فالاستكثار هنا، عبارة عن طلب العوض، بأن يهب شيئاً، ويطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الشيء الموهوب، وقيل: المعنى لا تعط شيئاً مستكثراً له، أي رائياً ما تعطيه كثيراً، بل عده قليلاً لقوله تعالى: ﴿متاع الدنيا قليل﴾ وقال البوصيري.

مستقل دنياك أن ينسب الأمساك منها إليه والإعطاء

قوله: [أكثر منه] أي ولا مساوياً ولا أقل، فالمراد النهي عن طلب العوض مطلقاً، ليكون عطاؤه ﷺ خالياً عن انتظار العوض، والتفات النفس إليه، وحكمة تخصيصه بذلك أنه عليه السلام خليفة الله الأعظم في خليفة الله الأعظم في خلقه دنيا وأخرى، يقسم عليه من خزائن الله تعالى، فجميع ما بذله لعباده بالنسبة لما عند الله قليل، فلا يليق أن يراه كثيراً، ولا أن يطلب عوضاً من الفقراء، وهو خليفة عن الغني المطلق فتدبر. قوله: [وهذا] أي النهي، وقوله: [خاص به] أي وأما أمته فليس حرام في حقهم.

---

* أسباب نزول الآية ١ ـ ٧: وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر وقال بعضهم: ليس بساحر وقال بعضهم: كاهن وقال بعضهم ليس بكاهن وقال بعضهم: شاعر وقال بعضهم: ليس بشاعر وقال بعضهم: سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه فأنزل الله ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ إلى قوله تعالى ﴿ولربك فاصبر﴾.

ٱلنَّاقُورِ﴾[٨]: نُفخ في الصور وهو القرن ٱلنفخة ٱلثانية ﴿فَذَٰلِكَ﴾: أي وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بدل مما قبله المبتدأ وبني لإضافته إلى غير متمكن وخبر المبتدأ ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[٩]: والعامل في إذا ما دلت عليه الجملة أي اشتد الأمر ﴿عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[١٠]: فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أي في عسره ﴿ذَرْنِي﴾: اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾: عطف على المفعول أو مفعول معه ﴿وَحِيداً﴾[١١]: حال من مَنْ أو من ضميره المحذوف من خلقت أي منفرداً بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومي ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً﴾[١٢]: واسعاً متصلاً من الزروع والضروع والتجارة ﴿وَبَنِينَ﴾: عشرة أو أكثر ﴿شُهُوداً﴾[١٣]: يشهدون المحافل وتسمع شهادتهم ﴿وَمَهَّدتُّ﴾:

قوله: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ من النقر، وهو القرع الذي هو سبب الصوت، فأطلق السبب وأريد المسبب وهو التصويت، والمعنى: إذا صوت إسرافيل في الصور. قوله: [وهو القرن] أي وهو مستطيل، سعة فمه كما بين السماء والأرض، وفيه ثقب بعدد الأرواح كلها، وتجمع في تلك الثقبة، فيخرج بالنفخة الثانية من كل ثقب روح إلى الجسد الذي نزعت منه، فيعود الجسد حياً بإذن الله تعالى. قوله: [أي وقت النقر] أي الذي هو معنى إذا. قوله: [بدل مما قبله] أي وهو اسم الاشارة، وقوله: [المبتدأ] بيان لما، وقوله: [وبني] أي لفظ يوم، وقوله: [إلى غير متمكن] أي وهو إذ، وتنوينها عوض عن الجملة، أي يوم إذ نقر في الناقور، وقوله: [وخبر المبتدأ] ﴿يوم عسير﴾ أي لفظ ﴿يوم﴾ وقوله: ﴿عسير﴾ صفة أولى له، و﴿غير يسير﴾ صفة ثانية. قوله: [ما دلت عليه الجملة] أي جملة الجزاء وهي قوله: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ فقد دلت على جملة فعلية، فعلها عامل في إذا، فالناصب لها مدلول جوابها، لا جوابها نفسه. قوله: ﴿على الكافرين﴾ متعلق بعسير، وقوله: [فيه دلالة] أي في التقييد بهذا الجار والمجرور، دلالة على أنه يسير على المؤمنين، وأشار به إلى جواب ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه، ففيه زيادة وعيد وغيظ للكافرين، وبشرى وتسلية للمؤمنين.

قوله: ﴿ذرني﴾ خطاب للنبي ﷺ، وفيه مزيد إجلال وتعظيم له، وإشعار بأن رحمته ﷺ غالبة على غضبه. قوله: [على المفعول] أي وهو الياء في ﴿ذرني﴾. قوله: [أو مفعول معه] أي فالواو للمعية. قوله: [أو من ضميره المحذوف] أي عائده المحذوف من ﴿خلقت﴾ أي خلقته ويحتمل أنه حال من التاء في ﴿خلقت﴾ أي خلقته وحدي، لم يشاركني في خلقه أحد، والأول أقرب. قوله: [هو الوليد بن المغيرة المخزومي] أي الذي تقدمت بعض أوصافه في سورة ن. قوله: ﴿وجعلت له﴾ عطف على ﴿خلقت﴾. قوله: ﴿مالا ممدوداً﴾ اختلف في مبلغه، فقيل ألف دينار، وقيل ستة آلاف، وقيل تسعة آلاف مثقال فضة. قوله: [من الزروع] أي فكان له بستان بالطائف، لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفاً. قوله: [والضروع] أي المواشي. قوله: [عشرة] أي من الذكور، وقد عد الخازن منهم سبعة وهم: الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس، وقوله: [أو أكثر] قيل اثنا عشر، وقيل ثلاثة عشر، وقيل سبعة عشر، وعلى كل، فقد أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام والوليد.

* أسباب نزول الآية ١١: وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله، قال: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له، فقال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ اسناده صحيح على شرط البخاري، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى نحوه.

بسطتُ ﴿لَهُ﴾: في العَيش والعُمر والوَلد ﴿تَمْهِيداً﴾ ١٤ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ١٥ ﴿كَلَّا﴾: لا أزيدُه على ذلك ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا﴾: أي القرآن ﴿عَنِيداً﴾ ١٦: معانداً ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾: أكلفه ﴿صَعُوداً﴾ ١٧: مشقة من العذاب أو جَبلاً من نار يَتصعد فيه ثم يهوي أبداً ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾: فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وَقَدَّرَ﴾ ١٨: في نفسه ذلك ﴿فَقُتِلَ﴾: لعن وعذب ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ١٩: على أيّ حالٍ كان تقديره ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ٢٠ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ٢١: في وجوه قومه أو فيما يقدح به فيه ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبض وجهه وكلحه ضيقاً بما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾ ٢٢: زاد في القبض والكلوح

قوله: ﴿شهوداً﴾ جمع شاهد بمعنى حاضر. قوله: [يشهدون المحافل] أي مجامع الناس لوجاهتهم بين الناس، أو المراد الحضور مع أبيهم لعدم احتياجهم السفر، هو كناية عن كثرة النعم والخدم. قوله: [وتسمع شهادتهم] أي كلامهم. قوله: ﴿ومهدت له تمهيداً﴾ التمهيد في الأصل التسوية والتهيئة، اطلق واريد به بسط المال والجاه. قوله: [بسطت] ﴿له﴾ [في العيش والعمر والولد] أي حتى لقب ريحانة قريش والوحيد. قوله: ﴿ثم يطمع﴾ عطف على ﴿جعلت﴾ و﴿مهدت﴾. قوله: [لا أزيده] أي بل أنقصه، فقد ورد: أنه بعد نزول هذه الآية ما زال في نقصان ماله وولده، حتى هلك فقيراً بخدشة سهم أصابته في رجله، كما قال البوصيري:

وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء

قوله: ﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ تعليل للردع المستفاد من قوله: ﴿كلا﴾. قوله: [معانداً] العناد ينشأ من كبر في النفس، أو يبس في الطبع، أو شراسة في الأخلاق، أو خبل في العقل. قوله: [يصعد فيه] أي سبعين عاماً كلما وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت. قوله: [ثم يهوي] أي سبعين عاماً. قوله: [أبداً] راجع لكل من الصعود والهوي.

قوله: ﴿إن فكر﴾ أي ردد فكره فيما يطعن به في القرآن، وذلك أنه ﷺ لما نزل عليه ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ إلى قوله ﴿إليه المصير﴾ قام في المسجد، والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته، اعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد بن المغيرة، حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً، ما هو من كلام البشر، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم، فقام أبو جهل وقال: أنا أكفيكموه، فانطلق فقعد إلى جنب الوليد حزيناً، فقال له الوليد: ما لي أراك حزيناً يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني أن لا أحزن، وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك، ويزعمون أنك زينت كلام محمد، وأنك دال على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة، تسأل من فضل طعامهم، فغضب الوليد وقال: ألم تعلم أني من أكثرهم مالاً وولداً، وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام، فيكون لهم فضل؟ ثم قام مع أبي جهل، حتى أتى مجلس قومه فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتموه يختنق قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن، فهل رأيتموه قط تكهن؟ فقالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا: اللهم لا، وكان رسول الله ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه، فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه وقدر ثم قال: ما هذا إلا سحر يؤثر.

قوله: ﴿فقتل﴾ أي في الدنيا. قوله: ﴿ثم قتل﴾ أي فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة، و﴿ثم﴾ لدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى، فهي في هذه المواضع للتراخي. و﴿كيف﴾ منصوبة على الحال من الضمير في قدر، وهي للاستفهام، والمقصود منه توبيخه والتعجب من تقديره. قوله: [في وجوه قومه] أي نظر بعين الغضب من أجل الأمر

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: عن الإيمان ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ ٢٣: تكبر عن اتباع النبي ﷺ ﴿فَقَالَ﴾: فيما جاء به ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ٢٤: ينقل عن السحرة ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾: كما قالوا إنما يعلمه بشر ﴿سَأُصْلِيهِ﴾: أدخله ﴿سَقَرَ﴾ ٢٦: جهنم ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ ٢٧: تعظيم لشأنها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ ٢٨: شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ ٢٩: محرقة لظاهر الجلد ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ٣٠: ملكاً خزنتها قال بعض الكفار وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا

الذي قالوا فيه، وقوله: [أو فيما يقدح به] أي في القرآن، فالنظر على هذا بمعنى التأمل، فيكون تأكيداً لقوله: ﴿إنه فكر وقدر﴾. قوله: ﴿ثم عبس﴾ يقال: عبس عبساً وعبوساً أي قطب وجهه، والعبس يطلق على ما ييبس في أذناب الإبل من البعر والبول، وقوله: ﴿وبسر﴾ يقال: بسر يبسر بسراً، وبسوراً إذا قبض بين عينيه كراهية للشيء واسود وجهه منه، يقال: وجه باسر، أي منقبض مسود، فالبسور غاية في العبوس. قوله: [والكلوح] مرادف للقبض.

قوله. ﴿واستكبر﴾ عطف سبب. قوله: ﴿إلا سحر﴾ أي أمور تخييلية لا حقائق لها، وهي لدقتها تخفى أسبابها، وقوله: ينقل عن السحرة، أي كمسيلمة وأهل بابل. قوله: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ نتيجة حصره في السحر. قوله: ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من قوله: ﴿سأرهقه صعوداً﴾ ثم إن كان المراد بالصعود المشقة، فالبدل واضح، وإن كان صعود الجبل والهبوط، فهو بدل اشتمال فتدبر. قوله: ﴿ما سقر﴾ ﴿ما﴾ مبتدأ، و﴿سقر﴾ خبره، والجملة سدت مسد المفعول الثاني لأدرى. قوله: [تعظيم لشأنها] أي نظير ما تقدم في سورة الحاقة. قوله: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ حال وفيها معنى التعظيم، والجملتان بمعنى واحد، والعطف للتوكيد، هذا ما يقتضيه صنيع المفسر. قوله: ﴿لواحة للبشر﴾ خبر مبتدأ محذوف، وقوله: [محرقة لظاهر الجلد] أي فالمراد بالبشر الجلد، ويطلق البشر على الناس جميعاً، أو معنى لواحة تظهر لهم وتلوح قبل أن يسقطوا فيها، ولكن المعنى الأول أقرب.

قوله: ﴿عليها تسعة عشر ملكاً﴾ أي وهم مالك ومعه ثمانية عشر، وقيل تسعة عشر نقيباً، وقيل تسعة عشر ألف ملك، والقول الثاني موافق لقوله تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ وفي القرطبي قلت: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال. قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» اهـ. وقد ورد في صفة الخزنة، أن أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي أي قرون البقر، وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة، يدفع أحدهم سبعين ألفاً مرة واحدة، فيرميهم حيث شاء من جهنم، وفي رواية: إن لأحدهم مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل، فيرمي بهم في النار، ويرمي الجبل عليهم. قوله: [خزنتها] أي يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها ولا يتألمون منها، بل هم فيها كخزنة الجنة في الجنة. قوله: [قال بعض الكفار] هو أبو

---

* أسباب نزول الآية ٣٠: وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث، عن البراء أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن خزنة جهنم، فجاء فأخبر النبي ﷺ ساعتئذ ﴿عليها تسعة عشر﴾.

* أسباب نزول الآية ٣١: وأخرج عن ابن اسحاق قال: قال أبو جهل يوماً: يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عدداً فيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله ﴿وما جلعنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ الآية. وأخرج نحوه عن قتادة قال: ذكر لنا فذكره. وأخرج عن السدي قال: لما نزلت ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال رجل من قريش يدعى أبا الأشد: يا معشر قريش لا يهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة وبمنكبي الأيسر التسعة فأنزل الله ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾.

مَلائِكَةً﴾: أي فلا يطاقون كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾: ذلك ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾: ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾: ليستبين ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: أي اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: من أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾: تصديقاً لموافقة ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: من غيرهم في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شك بالمدينة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾: بمكة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾: العدد ﴿مَثَلًا﴾: سموه لغرابته بذلك وأعرب حالاً ﴿كَذَلِكَ﴾: أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾: أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ﴾: أي سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ ٣١ ﴿كَلَّا﴾: استفتاح بمعنى ألا ﴿وَالْقَمَرِ﴾ ٣٢ ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ﴾: بفتح الذال ﴿أَدْبَرَ﴾ ٣٣: جاء بعد النهار وفي قراءة إذا أدبر

الأشد بن كلدة بن خلف الجمحي، قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم، فقال أبو الأشد: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، واكفوني أنتم اثنين، وفي رواية أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط، فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن، وتسعة بمنكبي الأيسر في النار، ونمضي فندخل الجنة، فأنزل الله تعالى ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾.

قوله: ﴿إلا فتنة﴾ مفعول ثان لجعل على حذف مضاف، أي إلا سبب فتنة، وقوله: ﴿للذين﴾ صفة لفتنة، وإنما صار هذا العدد فتنة لهم من وجهين: الأول أن الكفار يستهزئون ويقولون: لم لا يكونون أزيد من ذلك؟ والثاني أن هذا العدد قليل، كيف يتولى تعذيب أكثر العالم من الجن والإنس، من أول ما خلق الله إلى قيام الساعة؟ قوله: ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ متعلق بجعلنا الثاني، والمعنى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد وصدق القرآن، لما رأوا ذلك موافقاً لما في كتابهم. قوله: [من غيرهم] أي غير اليهود فحصل التغاير، فالمراد بالذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أولاً اليهود، والمراد بالذين أوتوا الكتاب ثانياً هم النصارى والمؤمنون المذكورون بعدهم من غير اليهود بل من هذه الأمة، فاندفع ما يقال إن في الآية تكراراً. قوله: [بالمدينة] حال من ﴿الذين﴾ أي حال كونهم بالمدينة، وهذا من الله إخبار بما سيقع، لأن السورة نزلت قبل الهجرة بمكة.

قوله: ﴿ماذا﴾ الخ ما اسم استفهام مبتدأ، وذا موصول خبره، و﴿أراد الله﴾ صلة الموصول، و﴿مثلاً﴾ حال، والمعنى ما الذي أراد الله بهذا حال كونه مثلاً لا حقيقة لغرابته، لأن هذا العدد أمر غريب لم تسعه عقولنا. قوله: [أي مثل إضلال] أشار به إلى أن الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف، أي يضل إضلالاً مثل ذلك. قوله: [وهدى مصدقه] بوزن رمى بفتح أوله وسكون ثانيه، أو بضم أوله وفتح ثانيه. قوله: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ هذا جواب لأبي جهل حين قال: ما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر. قوله: [أي سقر] أعاد الضمير على سقر، ويجوز أن يعود على الآيات المذكورة فيها.

قوله: ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ أي يتذكرون ويعلمون كمال قدرته تعالى. قوله: [استفتاح بمعنى ألا] أي فأتى بها تعظيماً للمقسم عليه، وحينئذ فالوقف على ما قبلها، وقيل: إنها حرف ردع وزجر، وعليه فيوقف عليها. قوله: [بفتح الذال] أي فإذا ظرف لما يستقبل، ودبر فعل ماض بوزن ضرب، وقوله: [في قراءة] الخ، أي فإذ ظرف لما مضى من الزمان و﴿أدبر﴾ بوزن أكرم، والقراءتان سبعيتان، والرسم محتمل لكل منهما، إذ الصورة الخطية لا تختلف، وقرئ

بسكون الذال بعدها همزة أي مضى ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ ٣٤: ظهر ﴿إِنَّهَا﴾: أي سقر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ ٣٥: البلايا
العظام ﴿نَذِيرًا﴾: حال من إحدى وذكر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ ٣٦ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من البشر ﴿أَن
يَتَقَدَّمَ﴾: إلى الخير أو الجنة بالإيمان ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ ٣٧: إلى الشر أو النار بالكفر ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٨:
مرهونة مأخوذة بعملها في النار ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ ٣٩: وهم المؤمنون فناجون منها كائنون ﴿فِى جَنَّٰتٍ
يَتَسَآءَلُونَ﴾ ٤٠ بينهم ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ٤١: حالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾:
أدخلكم ﴿فِى سَقَرَ﴾ ٤٢ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ ٤٣ ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ ٤٤ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾: في الباطل ﴿مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ﴾ ٤٥ ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ٤٦: البعث والجزاء ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ ٤٧: الموت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ
ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ ٤٨: من الملائكة والأنبياء والصالحين والمعنى لا شفاعة لهم ﴿فَمَا﴾: مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره متعلق
بمحذوف انتقل ضميره إليه ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ ٤٩: حال من الضمير والمعنى أي شيء حصل لهم في

شذوذاً ﴿إذا أدبر﴾ بالفين، واختلفوا أهل دبر وأدبر بمعنى واحد، أو دبر معناه جاء، وأدبر بمعنى مضى، وهو الذي مشى عليه المفسر. قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ جواب القسم. قوله: [حال من إحدى] هذا أحد احتمالات كثيرة نحو أحد عشر وهو أظهرها. قوله: ﴿لمن شاء منكم﴾ الخ هذا وعيد وتهديد نظير قوله ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

قوله: ﴿كل نفس﴾ أي مؤمنة أو كافرة عاصية أو غير عاصية، فالاستثناء متصل. قوله: ﴿رهينة﴾ أي على الدوام بالنسبة للكفار، وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين. قوله: [مأخوذة بعملها] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والكسب بمعنى العمل. قوله: ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ قد علمت أن الاستثناء متصل، وأهل اليمين يعم العصاة وغيرهم لأن الكل ناجون من الرهينة، إما ابتداء ودواماً، وإما دواماً. قوله: [كائنون] ﴿في جنات﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿في جنات﴾ متعلق بمحذوف خبر عن مبتدإ مقدر أي هم، وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، والتقدير ما شأنهم وحالهم. قوله: ﴿يتساءلون﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً، وقوله: ﴿عن المجرمين﴾ أي الكافرين، والكلام على حذف مضاف، أي عن حالهم. قوله: [ويقولون لهم] أي للمجرمين، وهذا القول خطاب أهل الجنة لأهل النار، وهو غير السؤال المتقدم فيما بينهم. والحاصل أن أهل الجنة حين يستقرون فيها، وينادي المنادي: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، يسأل بعضهم بعضاً عن معارفهم المجرمين الذين خلدوا في النار، ثم يكشف لهم عنهم فيخاطبونهم بقولهم ﴿ما سلككم في سقر﴾.

قوله: ﴿ما سلككم﴾ الخ الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم. قوله: ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ أي نعطيه ما يجب علينا عطاؤه، كزكاة ونحوها. قوله: ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ أي في القرآن فنقول فيه: إنه لسحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الأباطيل التي كانوا يخوضون فيها. قوله: ﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ تخصيص بعد تعميم، لأن الخوض في الأباطيل عام شامل، لتكذيب يوم الدين وغيره، وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، فيعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر. قوله: ﴿حتى أتانا اليقين﴾ غاية في الأمور الأربعة. قوله: [والمعنى لا شفاعة لهم] أي فالنفي مسلط على القيد والمقيد معاً، وهذا خلاف القاعدة، من أن النفي إذا دخل على مقيد تسلط على القيد فقط، فهنا ليس المراد أنه توجد شفاعة لكنها غير نافعة، بل المراد لا توجد شفاعة أصلاً. قوله: [انتقل ضميره] أي الضمير الذي كان مستكيناً في المحذوف، وقوله: [إليه] أي إلى هذا الخبر الذي هو الجار والمجرور، لأن

إعراضهم عن الاتعاظ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ ٥٠: وحشية ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ ٥١: أسد أي هربت منه أشد الهرب ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ ٥٢: أي من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴿كَلَّا﴾ ردع لما أرادوه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ ٥٣: أي عذابها ﴿كَلَّا﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُ﴾: أي القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ ٥٤: عظة ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ ٥٥ قرأه فاتعظ به ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾: بالياء والتاء ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: بأن يتقي ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ ٥٦: بأن يغفر لمن اتقاه.

القاعدة أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً، حذف متعلقه وجوباً، وانتقل ضميره إليه، وسمي حينئذ ظرفاً أو جاراً ومجروراً مستقراً لاستقرار الضمير فيه. قوله: [حال من الضمير] أي المجرور باللام.

قوله: ﴿كأنهم حمر﴾ حال من الضمير في ﴿معرضين﴾ فهي حال متداخلة. قوله: ﴿مستنفرة﴾ بكسر الفاء وفتحها سبعيتان، أي نافرة بنفسها من أجل الأسد، أو نفرها الأسد. فقوله: [وحشية] ليس تفسيراً لمستنفرة، فكان المناسب تقديمه عليه. قوله: [أسد] وقيل القسورة الجماعة الذين يصطادونها. قوله: ﴿بل يريد كل امرىء﴾ الخ، إضراب انتقالي عن محذوف، كأنه قيل: لا سبب لهم في الإعراض بل يريد الخ، وسبب نزول الآية أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا: يا محمد، لن نؤمن بك، حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان، ونؤمر فيه باتباعك، وكانوا يقولون: إن كان محمد صادقاً، ليصبحن عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار. قوله: ﴿منهم﴾ أي من كفار قريش. قوله: ﴿منشرة﴾ أي طرية لم تطو، بل تأتينا وقت كتابتها يقرؤها كل من رآها.

قوله: ﴿لا يخافون الآخرة﴾ إضراب انتقالي لبيان سبب تعنتهم واقتراحهم، إذ لو خافوا الآخرة لما تعنتوا، بل كانوا يكتفون بأي دليل ويؤمنون. قوله: [استفتاح] أي أو ردع وزجر. قوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ من شرطية، و﴿شاء﴾ شرطها، و﴿ذكره﴾ جوابها. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما سبعيتان. قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أي لا يحصل منكم ذكر، إلا في حال مشيئة الله له أي إرادته، لأن ما أراده يقع ولا بد فيه، تسلية للنبي حيث ينظر للحقيقة، وأن توحيدهم ليس بحولهم وقوتهم، قال بعض العارفين عن لسان الحضرة:

أيها المعرض عنا إن إعراضك منا
لو أردناك جعلنا كل ما فيك يردنا

قوله: ﴿هو أهل التقوى﴾ أي حقيق بأن تمتثل عباده أوامره وتجتنب نواهيه. قوله: ﴿وأهل المغفرة﴾ أي وهو جدير بأن يغفر لمن تقاه، ورد في الحديث أنه ﷺ قال في هذه الآية: «يقول الله تعالى: أنا أهل أن أتقي، فمن اتقى أن يشرك بي غيري، فأنا أهل أن أغفر له».

* * *

---

* أسباب نزول الآية ٥٢: وأخرج ابن المنذر عن السدي قال: قالوا: لئن كان محمد صادق فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار فنزلت ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القيامة

[مكية وهي أربعون آية]

﴿لا﴾: زائدة في الموضعين ﴿أقسم بيوم القيامة[١] ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾[٢]: التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وجواب القسم محذوف أي لتبعثن دل عليه ﴿أيحسب الإنسان﴾: أي الكافر ﴿ألن نجمع عظامه﴾[٣] للبعث والإحياء ﴿بلى﴾: نجمعها ﴿قادرين﴾: مع جمعها ﴿على أن نسوي بنانه﴾[٤] وهو الأصابع أي

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القيامة مكية

وهي أربعون آية

أي بالاجماع، وكذا قوله: [أربعون آية]. قوله: [زائدة في الموضعين] أي لتأكيد القسم، ففيه دليل على أن لا تزاد كثيراً في الكلام، سواء كان في أوله أو وسطه، خلافاً لمن يقول. إنها تزاد في وسط الكلام لا في أوله، وقيل: إن ﴿لا﴾ نافية لكلام تقدمها، أتى بها رداً على منكري البعث، كأنه قال: ليس الأمر كما زعموا أقسم الخ، كقولك: لا والله. قوله: [التي تلوم نفسها] أي في الدنيا لما شهدت من حقيقتها، وهي العدم وعظيم حق الله عليها، فالعبد وإن قطع نفسه إرباً في عبادة الله وطاعته، لا يفي بحق الله عليه، لأن الفاني لا يقدر على القيام بحق الباقي، واعلم أن الصوفية قسموا النفس إلى سبعة أقسام، الأول: الأمارة وهي نفوس الكفار ومن حذا حذوهم، لا تأمر بخير أصلاً، ومع ذلك راضية بأفعالها محسنة لها. الثاني: اللوامة وهي التي تلوم صاحبها، ولو كان مجتهداً في الطاعة، وهذا مبدأ الخير وأصل الترقي. الثالث: الملهمة وهي التي ألهمت فجورها وتقواها. الرابع: المطمئنة وهي التي اطمأنت بالله، وسكنت تحت مقاديره. الخامس: الراضية وهي التي رضيت عن الله في جميع حالاتها. السادس: المرضية وهي التي جوزيت بالرضا من الله، لأن من رضي له الرضا. السابع: الكاملة هي غاية المراتب. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومأخذ الجميع من القرآن، فالأمارة من قوله تعالى ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ واللوامة من هذه الآية، والملهمة من قوله تعالى ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ والمطمئنة وما بعدها من قوله تعالى ﴿يا أيها النفس المطمئنة﴾ الآية.

قوله: ﴿أيحسب الإنسان﴾ استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿ألن نجمع﴾ أن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولن وما في حيزها خبرها، وجملة أن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي حسب، وليس بين الهمزة واللام نون في الرسم، بل تكتب الهمزة موصولة باللام. قوله: ﴿بل﴾ جواب لما بعد النفي. قوله: ﴿قادرين﴾ حال من فاعل الفعل المقدر الذي دل عليه ﴿بلى﴾ والتقدير: نجمعها حال كوننا قادرين. قوله: ﴿بنانه﴾ اسم جمع أو جمع لبنانة.

نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ﴾: اللام زائدة ونصبه بأن مقدر أي أن يكذب ﴿أَمَامَهُۥ﴾٥: أي يوم القيامة دل عليه ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾: متى ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾٦: سؤال استهزاء وتكذيب ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾٧: بكسر الراء وفتحها دهش وتحير لما رأى مما كان يكذبه ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾٨: أظلم وذهب ضوؤه ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾٩: فطلعا من المغرب أو ذهب ضوؤهما وذلك في يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾١٠: الفرار ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾١١: لا ملجأ يتحصن به ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾١٢: مستقر الخلائق فيحاسبون ويجازون ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾١٣: بأول عمله وآخره ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾١٤: شاهد تنطق جوارحه بعمله والهاء للمبالغة فلا بد من جزائه ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾١٥: جمع معذرة على غير قياس أي لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه قال تعالى لنبيه ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾١٦: خوف أن ينفلت منك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾: في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾١٧: قراءتك إياه أي جريانه على لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾: عليك بقراءة جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾١٨: استمع

قوله: [وهو الأصابع] أي أطرافها فالبنان أطراف الأصابع. قوله: [كما كانت] أي في الدنيا. قوله: ﴿بل يريد الإنسان﴾ إضراب انتقالي. قوله: [ونصبه بأن مقدرة] أي والمصدر المنسبك منه ومن أن مفعول ﴿يريد﴾. قوله: ﴿أمامه﴾ منصوب على نزع الخافض أي بأمامه، والمعنى: يريد الإنسان دوام التكذيب بيوم القيامة.

قوله: ﴿يسأل أيان﴾ هذه الجملة إما بدل من الجملة قبلها، أو مستأنفة بيان، و﴿أيان﴾ خبر مقدم، و﴿يوم القيامة﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: [بكسر الراء وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان ولغتان معناه التحير والدهشة، وقيل ﴿برق﴾ بالكسر تحير، وبالفتح لمع من شدة شخوصه. فقوله: [دهش وتحير] تفسير القراءتين. قوله: [وذلك في يوم القيامة] إن قلت: إن طلوع الشمس والقمر من مغربهما ليس في يوم القيامة، بل قبله بمائة وعشرين سنة. أجيب: بأن المراد بيوم القيامة ما يشمل وقت مقدماته من الأمور العظام.

قوله: ﴿يقول الإنسان﴾ جواب إذا. قوله: ﴿يومئذ﴾ التنوين عوض عن جمل متعددة، والتقدير: يوم إذا برق البصر الخ. قوله: ﴿أي المفر﴾ أي من الله أو النار احتمالان. قوله: ﴿إلى ربك يومئذ﴾ أي يوم إذا كانت هذه الأمور المذكورة، والجار والمجرور خبر مقدم، و﴿المستقر﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿بل الإنسان﴾ مبتدأ، و﴿بصيرة﴾ خبر، و﴿على نفسه﴾ متعلق ببصيرة، وتأنيث الخبر باعتبار أن المراد بالإنسان جوارحه، أو أن الهاء للمبالغة كما قال المفسر، والمعنى: أنه لا يحتاج إلى شاهد غير جوارحه، بل هي تكفي في الشهادة عليها. قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ الجملة حالية من الضمير في ﴿بصيرة﴾ و﴿لو﴾ شرطية قدر المفسر جوابها بقوله: [ما قبلت منه]. قوله: [على غير قياس] أي وقياسه معاذر بدون ياء. قوله: [أي ولو جاء بكل معذرة] الخ أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية، حيث شبه المجيء بالعذر بإلقاء الدلو في البئر للاستقاء به، واشتق من الإلقاء ألقى بمعنى جاء. قوله: [قبل فراغ جبريل منه] أي من إلقائه عليك.

قوله: ﴿لتعجل به﴾ أي بقراءته وحفظه. قوله: ﴿إن علينا﴾ تعليل للنهي عن العجلة. قوله: [قراءتك إياه] أشار بذلك إلى أن قوله ﴿قرآنه﴾ مصدر مضاف لمفعوله. قوله: [بقراءة جبريل] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فإذا قرأناه﴾ من

---

* أسباب نزول الآية ١٦: وأخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل الوحي يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾.

قراءته فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٩: بالتفهيم لك والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها ﴿كَلَّا﴾: استفتاح بمعنى ألا ﴿بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ٢٠: الدنيا بالياء والتاء في الفعلين ﴿وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ٢١: فلا يعملون لها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: أي في يوم القيامة ﴿نَاضِرَةٌ﴾ ٢٢: حسنة مضيئة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٢٣: أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ٢٤: كالحة شديدة العبوس ﴿تَظُنُّ﴾: توقن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ٢٥: داهية عظيمة تكسر فقار الظهر ﴿كَلَّا﴾: بمعنى ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾: النفس ﴿التَّرَاقِيَ﴾ ٢٦: عظام الحلق ﴿وَقِيلَ﴾: قال من حوله ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ ٢٧: يرقيه ليشفى ﴿وَظَنَّ﴾: أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ ٢٨: فراق الدنيا ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ ٢٩: أي إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ٣٠: أي السوق وهذا يدل على العامل في إذا المعنى إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾: الإنسان

قبيل إسناد ما هو للمأمور للآمر. قوله: [بالتفهيم] أي تفهيم ما أشكل عليك من معانيه. قوله: [والمناسبة بين هذه الآية] أي قوله: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ والمراد بالآية الجنس، إذ المذكور ثلاث آيات. قوله: [وما قبلها] أي وهو قوله: ﴿أيحسب الإنسان﴾ إلى قوله: ﴿معاذيره﴾. قوله: [تضمنت الإعراض] الخ، أي لأنها في منكر البعث وهو كافر معرض عن القرآن، ومن المعلوم أن الضد أقرب خطوراً بالبال. قوله: ﴿بل يحبون العاجلة﴾ الضمير للإنسان المذكور في قوله: ﴿أيحسب الإنسان﴾ وجمع الضمير لأن المراد بالإنسان الجنس. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ﴿وجوه﴾ مبتدأ، و﴿ناضرة﴾ خبره، و﴿يومئذ﴾ ظرف لناضرة، وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل، و﴿ناظرة﴾ خبر ثان، و﴿إلى ربها﴾ متعلق بناظرة. قوله: [أي في يوم القيامة] تفسير لمعنى الظرفية، والتنوين في ﴿يومئذ﴾ عوض عن جملة: أي يوم إذ تقوم القيامة. قوله: [فقار الظهر] بفتح الفاء، ما يتصل من عظام الصلب من الكاهل إلى العجب. قوله: ﴿إذا بلغت﴾ [النفس] أي مؤمنة أو كافرة، والمعنى أخذت في النزع وقت الموت. قوله: ﴿التراقي﴾ جمع ترقوة. قوله: [عظام الحلق] أضافها إليه لقربها منه، وإلا فالتراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر يميناً وشمالاً، ولكل إنسان ترقوتان. قوله: ﴿من راق﴾ مبتدأ وخبر، والجملة قائمة مقام الفاعل، و﴿راق﴾ اسم فاعل من رقي يرقى بالفتح في الماضي، وبالكسر في المضارع من الرقية، وهي كلام يرقى به المريض ليشفى، وهو ما مشى عليه المفسر، وقيل: إنه من رقي يرقى بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود، أي أن ملك الموت يخاطب أعوانه بقول: من يصعد بهذه النفس، ويحتمل أن أعوانه يقولون له: من يرقى بهذه النفس، أملائكة الرحمة، أم ملائكة العذاب؟ قوله: [أيقن] سمى اليقين ظناً، لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه، فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لها. قوله: ﴿أنه﴾ أي النازل به.

قوله: ﴿والتفت﴾ أي التصقت ساق الإنسان عند موته بالأخرى، قال قتادة: أما رأيته إذا أشرف على الموت، يضرب إحدى رجليه بالأخرى؟ وقال سعيد بن المسيب: هما ساقا الإنسان إذا التفتا في الكفن، وقال زيد بن أسلم: التفت ساق الميت بساق الكفن، وكل صحيح. قوله: [والتفت شدة فراق الدنيا] الخ، أي فالمراد بالساق الشدتان، لأن الساق يطلق على الشدة، وهذا المعنى ظاهر في الكافر لأنه ينتقل من سكرات الموت إلى عذاب القبر. قوله: [وهذا يدل على العامل في إذا] أي الذي هو جوابها، وقد بينه بقوله: [تساق إلى حكم ربها]. قوله: ﴿فلا صدق﴾

﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ ٣١: أي لم يصدق ولم يصل ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾: بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ ٣٢: عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾ ٣٣: يتبختر في مشيته إعجاباً ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾: فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أي وليك ما تكره ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ ٣٤: أي فهو أولى بك من غيرك ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ٣٥: تأكيد ﴿أَيَحْسَبُ﴾: يظن ﴿الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ٣٦: هملاً لا يكلف بالشرائع أي لا يحسب ذلك ﴿أَلَمْ يَكُ﴾: أي كان ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ ٣٧: بالياء والتاء تصب في الرحم ﴿ثُمَّ كَانَ﴾: المني ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾: الله منها الإنسان ﴿فَسَوَّىٰ﴾ ٣٨: عدل أعضاءه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: من المني الذي صار علقة أي قطعة دم ثم مضغة أي قطعة لحم ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾: النوعين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ٣٩: يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾: الفعال لهذه الأشياء ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ ٤٠: قال ﷺ: بلى.

معطوف على قوله: **﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾** وصدّق من التصديق كما يشير له المفسر، أي فلا صدّق بالقرآن والنبي، وقوله: **﴿ولا صلى﴾** أي الصلاة الشرعية، فهو ذم بترك العقائد والفروع، ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب، استدرك على عمومه وبيّن أن المراد منه خصوص التكذيب فقال **﴿ولكن كذب وتولى﴾**.

قوله: **﴿ثم ذهب إلى أهله﴾** حكاية عما كان يتعلق به هذا الكافر في دنياه، وجملة **﴿يتمطى﴾** حالية من فاعل **﴿ذهب﴾** في معناه قولان: أحدهما أنه من المطا الذي هو الظهر، والمعنى يمد مطاه أي ظهره ويلويه تبختراً في مشيه، والثاني: أن أصله يتمطط من تمطط أي تمدد، ومعناه أن يتمدد في مشيته تبختراً، والمعنيان متقاربان. قوله: [**والكلمة اسم فعل**] أي مبنية على السكون لا محل لها من الإعراب، والفاعل ضمير يعود على ما يفهم من السياق، وهذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه، وقوله: [**للتبيين**] أي تبيين المفعول، فهي زائدة داخلة على المفعول على حد سقياً لك، وقوله: [**أي وليك**] بيان لمعنى الفعل الذي سمي. قوله: [**فهو أولى بك**] أي فالكلمة الثانية أفعل تفضيل، فدلت الأولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه، والثانية على الدعاء عليه بأن يكون أولى به من غيره، وهذا ما سلكه المفسر وهو حسن. قوله: [**أي لا يحسب ذلك**] أي لا ينبغي ولا يليق منه هذا الحسبان.

قوله: **﴿ألم يك نطفة﴾** استدلال على قوله: **﴿قادرين على أن نسوي بنانه﴾** والاستفهام للتقرير. قوله: **﴿يمنى﴾** فائدته بعد قوله: **﴿مني﴾** الإشارة إلى حقارة حاله، كأنه قيل: إنه مخلوق من المني الذي يجري مجرى البول. قوله: [**النوعين**] أي لا خصوص الفردين، فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى وبالعكس. قوله: [ﷺ **بلى**] روي أنه ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك اللهم بلى». وقال ابن عباس: من قرأ **﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾** إماماً كان أو غيره، فليقل: سبحان ربي الأعلى، ومن قرأ منكم **﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾** إلى آخرها، فليقل: سبحانك اللهم بلى إماماً كان أو غيره. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ **﴿والتين والزيتون﴾** فانتهى إلى آخرها **﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾** فليقل بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ **﴿والمرسلات﴾** فبلغ **﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾** فليقل: آمنا بالله.

---

* أسباب نزول الآية ٣٤ و ٣٥: وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم يخبركم ابن أبي كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم. فأوحى الله إلى رسوله أن يأتي أبا جهل فيقول له ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾. وأخرج النسائي عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن قوله ﴿أولى لك فأولى﴾ أشيء قاله رسول الله ﷺ من قبل نفسه أم أمره الله به؟ قال بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الإنسان

[مكية أو مدنية وهي إحدى وثلاثون آية]

﴿هَلْ﴾: قد ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾: آدم ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾: أربعون سنة ﴿لَمْ يَكُن﴾: فيه ﴿شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ ۝١: كان فيه مصوراً من طين لا يذكر أو المراد بالإنسان الجنس وبالحين مدة الحمل ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: الجنس ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: نختبره

بسم الله الرحمٰن الرّحيم
سورة الإنسان مكية أو مدنية
وهي إحدى وثلاثون آية

وتسمى سورة هل أتى، وسورة الأمشاج، وسورة الدهر، ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن كلاً منهما دليل على البعث. قوله: [مكية] أي على قول الجماعة، وقوله: [أو مدنية] وهو قول الجمهور. قوله: [قد] ﴿أتى﴾ أي فليست ﴿هل﴾ للاستفهام لأنه محال عليه تعالى، وقيل إنها للاستفهام التقريري، والمعنى: أتقرون بأنه أتى على الإنسان حين من الدهر؟ وجوابه: نعم، فالمقصود إلزام الخصم المنكر للبعث أنه قال: القادر على إيجاد الإنسان من العدم، قادر على إعادته، وهو بهذا المعنى صحيح أيضاً، ففي الآية تقريران. قوله: ﴿على الإنسان﴾ فسره هنا بآدم، وفيما يأتي بالجنس، وفيه أن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عيناً، إلا أن يجاب بأن القاعدة أغلبية، أو يقدر مضاف في قوله: ﴿خلقنا الإنسان﴾ أي ذريته، والإضافة تأتي لأدنى ملابسة. قوله: [أربعون سنة] أي مرت عليه قبل أن تنفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف، روي أن آدم خلق من طين فأقام أربعين سنة، ثم من حمإ مسنون فأقام أربعين سنة، ثم من صلصال، فأقام أربعين سنة، ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح، إذا علمت ذلك، فقول المفسر أربعون سنة، أي باعتبار كونه طيناً، وإلا فقد مر عليه مائة وعشرون سنة، لم يكن شيئاً مذكوراً. إن قلت: إن مقتضى الآية أنه يسمى إنساناً في حال كونه طيناً، مع أنه في ذلك الوقت لم يكن شيئاً مذكوراً. أجيب بأن التسمية باعتبار ما آل إليه نظير ﴿إني أراني أعصر خمراً﴾. قوله: [أو المراد بالإنسان الجنس] أي الصادق بآدم وأولاده، وقوله: [وبالحين مدة الحمل] أي ما يشمل مدة الحمل بالنسبة للذرية، والمائة والعشرين بالنسبة لآدم، لأن الحين هو المدة المحدودة، كثيرة أو قليلة.

قوله: ﴿من نطفة﴾ هي في الأصل الماء القليل في الوعاء، ويطلق على الماء الشافي قل أو كثر، سمي به مني

بالتكليف والجملة مستأنفة أو حال مقدرة أي مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿فجعلناه﴾: بسبب ذلك ﴿سميعاً بصيراً﴾[٢] ﴿إنا هديناه السبيل﴾: بينا له طريق الهدى ببعث الرسل ﴿إما شاكراً﴾: أي مؤمناً ﴿وإما كفوراً﴾[٣]: حالان من المفعول أي بينا له في حال شكره أو كفره المقدرة وإما لتفصيل الأحوال ﴿إنا أعتدنا﴾: هيأنا ﴿للكافرين سلاسل﴾: يسحبون بها في النار ﴿وأغلالاً﴾: في أعناقهم تشد فيها السلاسل ﴿وسعيراً﴾[٤]: ناراً مسعرة أي مهيجة يعذبون بها ﴿إن الأبرار﴾: جمع بر أو بار وهم المطيعون ﴿يشربون من كأس﴾: هو إناء شرب الخمر وهي فيه والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعيض ﴿كان مزاجها﴾: ما تمزج به ﴿كافوراً﴾[٥] ﴿عيناً﴾: بدل من كافوراً فيها

الرجل والمرأة، ليسارتهما ووضعهما في الرحم. قوله: ﴿أمشاج﴾ جمع مشج بفتحتين، أو مشج بكسر فسكون، أو مشيج بفتح فكسر كشريف، والمعنى: من نطفة قد امتزج فيها الماءان، وكل منهما مختلف الأجزاء، متباين الأوصاف، في الرقة والثخن، فماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان الشبه له، وإن سبق ماء الرجل، كان الولد ذكراً، وعكسه أنثى، وإن استويا فخنثى مشكل، وقال ابن عباس: يختلط ماء الرجل بماء المرأة، فيخلق منهما الولد، فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة. قوله: [أخلاط] جمعه باعتبار تعدد الأوصاف في الماءين كما علمت. قوله: [أي مريدين ابتلاءه] جواب عما يقال: إن الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف، إنما يكون بعد جعله ﴿سميعاً بصيراً﴾ لا قبله، فأجاب: بأنه حال مقدرة مؤولة بقوله: [مريدين ابتلاءه] وإرادة الابتلاء سبب لجعله سميعاً بصيراً، وجعله سميعاً بصيراً للابتلاء بالفعل، فلم يكن في الآية تقديم ولا تأخير. قوله: ﴿فجعلناه﴾ [بسبب ذلك] أي بسبب إرادتنا ابتلاءه. قوله: ﴿سميعاً بصيراً﴾ أي عظيم السمع والبصر، وخصهما بالذكر لأنهما أنفع الحواس، وقدم السمع لأنه أنفع في المخاطبات، ولأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية، ولأن البصر يعم البصيرة، وهي تتضمن الجميع، فيكون من ذكر العام بعد الخاص.

قوله: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ تعليل لقوله: ﴿نبتليه﴾ والمراد بالهداية الدلالة. قوله: [ببعث الرسول] أي جنسه الصادق بآدم وبمن بعده من الرسل إلى سيدنا محمد ﷺ. قوله: ﴿وإما كفوراً﴾ لم يقل كافراً مشاكلة لشاكراً، إما مراعاة رؤوس الآي، أو لأن الشاكر قليل والكافر كثير، فعبر في جانب الكفر بصيغة المبالغة. قوله: [من المفعول] أي وهو الهاء في ﴿هديناه﴾. قوله: ﴿إنا أعتدنا للكافرين﴾ الخ لف ونشر مشوش فهذه الآية راجعة لقوله: ﴿وإما كفوراً﴾ وقوله: ﴿إن الأبرار﴾ الخ، راجع لقوله: ﴿إما شاكراً﴾. قوله: ﴿سلاسل﴾ إما بمنع الصرف كمساجد، أو بالصرف لمناسبة قوله: ﴿وأغلالاً﴾ فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وأغلالاً﴾ [في أعناقهم] أي فتجمع أيديهم إلى أعناقهم.

قوله: ﴿إن الأبرار﴾ الخ، لما ذكر حال الكفار وجزاءهم في الآخرة، أتبعه بجزاء الشاكرين، وأطنب فيه ترغيباً لهم. قوله: [جمع بر] أي ككرب وأرباب، وقوله: [أو بار] أي كشاهد وأشهاد. قوله: [وهو المطيعون] أي المؤمنون الصادقون في إيمانهم وإن اقترفوا الذنوب، فكل من كان ليس مستوجباً للخلود في النار فهو من الأبرار لذكرهم في مقابلة الفجار في قوله تعالى ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ وهذا تعريف لمطلق الأبرار، فلا ينافي قولهم البر هو الذي لا يؤذي الذر، أو الذي يؤدي حق الله ويوفي بالنذر، أو غير ذلك، فإنه تعريف للأبرار الكاملين كما هنا. قوله: [وهي فيه] أي فإن لم تكن فيه فهو إناء. قوله: [والمراد من خمر] دفع بذلك ما يقال: إن الضمير في قوله: ﴿مزاجها﴾ عائد على الكأس، مع أن الكافور لا يمزج بالكأس بل بما فيه، فأجاب المفسر: بأن المراد بالكأس الخمر نفسه، من باب تسمية الحال باسم المحل.

رائحته ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: منها ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾: أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ ٦: يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: في طاعة الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ ٧: منتشراً ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾: أي الطعام وشهوتهم له ﴿مِسْكِيناً﴾: فقيراً ﴿وَيَتِيماً﴾: لا أب له ﴿وَأَسِيراً﴾ ٨: يعني المحبوس بحق ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾: لطلب ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ ٩: شكراً فيه علة الإطعام وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به قولان ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً﴾: تكلح الوجوه فيه أي كريه المنظر لشدته

قوله: ﴿كافوراً﴾ إن قلت: إن الكافور غير لذيذ وشربه مضر، فما وجه مزج شرابهم به؟ أجيب: بأن المراد أنه كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرودته. قوله: [بدل من كافوراً] أي على حذف مضاف، أي ماء عين، لأن العين اسم لمنبع الماء، وهو لا يبدل من الماء، وما ذكره المفسر أحد احتمالات في وجه نصب ﴿عيناً﴾ ويصح أنه مفعول ﴿يشربون﴾ وقوله: ﴿من كأس﴾ حال لأنه نعت نكرة قدم عليها، والأصل يشربون عيناً من كأس، أي خمر ممزوج بالكافور وهو أسهلها. قوله: ﴿يشرب بها عباد الله﴾ الجملة صفة لعيناً، وقوله: [ومنها] إشارة إلى أن الباء بمعنى من الابتدائية، أي يبتدئون الشرب من العين. قوله: [أولياؤه] أي وهم المؤمنون. قوله: [يقودونها] أي فهي سهلة لا تمتنع عليهم، ورد: أن الرجل منهم يمشي في بيوته ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله على الأرض المستوية، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلا قصوره.

قوله: ﴿يوفون بالنذر﴾ هذا بيان لأعمالهم التي استوجبوا بها هذا النعيم الدائم، والمراد بالنذر العهد أي يوفون بالعهد الذي أوجبه الله عليهم، أو الذي التزموه مع الله ومع عباده، من صلاة وزكاة، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وغير ذلك. قوله: ﴿ويخافون يوماً﴾ أشار بذلك إلى أن حسن بواطنهم كظواهرهم. قوله: ﴿كان شره﴾ أي شدائده، من تشقق السماوات، وتناثر الكواكب، وتكوير الشمس والقمر، وغير ذلك من الأهوال والشدائد التي تقع في ذلك اليوم. قوله: [منتشراً] أي وأما المستطيل باللام فمعناه الممتد، ومن هنا يقال: الفجر فجران، مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب، ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الأفق.

قوله: ﴿ويطعمون الطعام﴾ الخ نزلت في علي بن أبي طالب وأهل بيته، وذلك أنه أجر نفسه ليلة ليسقي نخلاً بشيء من شعير، حتى أصبح وقبض الشعير، وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الخريرة، فلما تم نضجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم صنع الثلث الثاني، فلما تم نضجه أتى يتيم فأطعموه، ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. قوله: ﴿على حبه﴾ مصدر مضاف للمفعول، و﴿على﴾ بمعنى مع، أي مع حبه وشهوته، ففيه إيثار على النفس، ويصح رجوع الضمير لله، أي على حب الله، أي لوجهه وابتغاء رضوانه، والأول أبلغ في المدح.

قوله: ﴿مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ خص الثلاثة لأنهم من العواجز المعدمين الكسب. قوله: [يعني المحبوس بحق] أي وأولى المحبوس بباطل. قوله: [فيه علة الإطعام] أي بيان سببه. قوله: [وهل تكلموا بذلك] أي ليطمئن الفقير بذلك، لأنه قد يقول في نفسه: إنه يطعمني ويريد أن يخدمني مثلاً. قوله: [قولان] رجح سعيد بن جبير ومجاهد الثاني. قوله: ﴿إنا نخاف من ربنا﴾ أي فلذلك نطعمكم ولا نريد منكم جزاء، فهو تعليل لقوله: ﴿إنما نطعمكم﴾ الخ.

---

* أسباب نزول الآية ٨: أخرج ابن المنذر عن ابن جرير في قوله ﴿وأسيراً﴾ قال: لم يكن النبي ﷺ يأسر أهل الإسلام ولكنها نزلت في أسارى أهل الشرك كانوا يأسرونهم في العذاب، فنزلت فيهم فكان النبي ﷺ يأمرهم بالإصلاح إليهم.

﴿قَمْطَرِيراً﴾[١٠]: شديداً في ذلك ﴿فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ﴾: أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾: حسناً وإضاءة في وجوههم ﴿وَسُرُوراً﴾[١١] ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾: بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾: أدخلوها ﴿وَحَرِيراً﴾[١٢]: ألبسوه ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من مرفوع أدخلوها المقدر ﴿فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَائِكِ﴾: السرر في الحجال ﴿لَا يَرَوْنَ﴾: لا يجدون

قوله: ﴿عبوساً﴾ إسناد العبوس لليوم مجاز عقلي، والمراد أهله من إسناد الشيء إلى زمانه، كنهاره صائم. قوله: [في ذلك] أي العبوس.

قوله: ﴿فوقاهم الله﴾ الفاء سببية، أي فسبب خوفهم، دفع الله عنهم شر ذلك اليوم وشدته، وذكر القرطبي في تذكرته حديثاً في بيان ما ينجي المؤمن من أهوال يوم القيامة، وهو ما روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: «إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرده عنه. ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله تعالى فخلصه من بينهم. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً، كلما دنا لحلقة طرد، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبي. ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور. ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه، فإنه كان واصلاً للرحم، فكلموه وصافحوه. ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه. ورأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله. ورأيت رجلاً من أمتي قد اهوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله، فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكاها من خشية الله في الدنيا، فاستخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن الظن بالله تعالى فسكن رعدته ومضى. ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط، يزحف أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته علي فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط. ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب كلها وأدخلته الجنة».

- قلت - هذا حديث عظيم، ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة والله أعلم. وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقم أخاه لقمة حلوة، صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة».

قوله: ﴿نضرة﴾ أي بدل العبوس. قوله: ﴿وسروراً﴾ أي فرحاً في قلوبهم بدل الحزن. قوله: [بصبرهم عن المعصية] أي بترك فعلها، وكذا على الطاعة بفعلها، وعلى المعصية بالاسترجاع وعدم الشكوى. فأقسام الصبر ثلاثة، وإنما اقتصر المفسر على الصبر عن المعصية لأنه يستلزم القسمين الآخرين، فمن صبر عن المعصية، فقد أدام الطاعة ولم يشك مولاه. قوله: [حال من مرفوع ادخلوها] أي ويصح أن يكون حالاً من مفعول ﴿جزاهم﴾. قوله: [في

حال ثانية ﴿فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾ ١٣: أي لا حراً ولا برداً وقيل الزمهرير القمر فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر ﴿وَدَانِيَةً﴾: قريبة عطف على محل لا يرون أي غير رائين ﴿عَلَيْهِمْ﴾: منهم ﴿ظِلَالُهَا﴾: شجرها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ ١٤: أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾: فيها ﴿بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أقداح بلا عرا ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَاْ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾ ١٥: أي أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿قَدَّرُوهَا﴾: أي الطائفون ﴿تَقْدِيراً﴾ ١٦: على قدر ريّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك ألذ الشراب ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً﴾: أي خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلاً﴾ ١٧ ﴿عَيْناً﴾: بدل من زنجبيلاً ﴿فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ ١٨:

الحجال] واحده حَجلة بفتحتين، وهي المسماة بالناموسية. قوله: **[حال ثانية]** أي من القدر المذكور، أو من المفعول. قوله: **[أي لا حراً ولا برداً]** أي فهي معتدلة الهواء. قوله: **[وقيل الزمهرير القمر]** أي لأجل مقابلة قوله: ﴿شمساً﴾. قوله: **[من غير شمس ولا قمر]** أي بنور العرش، وهو أقوى من نور الشمس والقمر. قوله: **[عطف على محل لا يرون]** أي ولا عطف على متكئين. قوله: **[شجرها]** أشار بذلك إلى أن المراد بالظلال الشجر نفسه، فدفع بذلك ما يقال: إن الظل إنما يوجد حيث توجد الشمس، ولا شمس في الجنة. قوله: ﴿وذللت﴾ عطف على ﴿دانية﴾ وجعلت فعلية إشارة إلى أن التذليل متجدد، بخلاف التظليل فدائم، ولذا أتى فيه بجملة اسمية. قوله: **[أدنيت ثمارها]** أي سهل تناولها تسهيلاً عظيماً لكل أحد.

قوله: ﴿ويطاف عليهم﴾ الخ، هذا من جملة بيان وصف مشاربهم، وبني الفعل للمجهول هنا، لأن المقصود بيان المطاف به لا بيان الطائف، وفاعل الطواف الولدان المذكورون بعد في قوله: ﴿ويطوف عليهم ولدان﴾ ولما كان المقصود منها بيان وصف الطائف بناه للفاعل. قوله: ﴿بآنية﴾ أصله أأنية بهمزتين، الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة، أبدلت الثانية ألفاً، والجار والمجرور نائب الفاعل. قوله: ﴿من فضة﴾ بيان للآنية. قوله: ﴿وأكواب﴾ عطف خاص على عام. قوله: **[أقداح بلا عرى]** أي فيسهل الشرب منه من كل موضع، فلا يحتاج لإدارته.

قوله: ﴿كانت قواريرا﴾ جمع قارورة، وهي ما أقر فيه الشراب ونحوه، من كل إناء رقيق صاف، وقيل: هو خاص بالزجاج، وكرر لفظ قوارير توطئة للنعت بقوله من فضة، فجمعت صفاء الزجاج وبريقه، وبياض الفضة ولينها، قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء، إذ الذي في الجنة أشرف وأعلى. واعلم أن القراء السبعة في هاتين الكلمتين على خمس مراتب: إحداها تنوينهما معاً والوقف عليهما بالألف، الثانية عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالألف، الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالألف، الرابعة تنوين الأول والوقف عليه بالألف والثاني بدون تنوين ولا وقف عليه بالألف، الخامسة عدم تنوينهما معاً والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها، والتنوين للتناسب نظير ما تقدم في سلاسل، وعدم التنوين لمجيئه على صيغة منتهى الجموع. قوله: **[على قدر ري الشاربين]** أي شهوتهم، إذ لا عطش في الجنة، والري بكسر الراء وفتحها كفاية الشارب. قوله: **[وذلك ألذ الشراب]** أي لكونه لا يزيد على الحاجة فيستقذر الزائد، ولا ينقص فيحتاج إليه ثانياً، وهذا هو النعيم. قوله: **[بدل من زنجبيلاً]** أي ويصح أن يكون مفعول ﴿يسقون﴾ وقوله: ﴿كأساً﴾ منصوب على نزع الخافض، أي من كأس كما تقدم نظيره. قوله: ﴿تسمى﴾ أي تلك العين لسهولة إساغتها ولذة طعمها.

قوله: ﴿سلسبيلا﴾ هو ما كان في غاية السلاسة، وهي سهولة الانحدار في الحلق، زيدت الباء في الكلمة حتى صارت خماسية، وقال مقاتل وابن حبان: سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليه في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل

يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب سهل المساغ في الحلق ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: بصفة الولدان لا يشيبون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ ١٩: من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه في غير ذلك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾: أي وُجدت الرؤية منك في الجنة ﴿رَأَيْتَ﴾: جواب إذا ﴿نَعِيماً﴾: لا يوصف ﴿وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ ٢٠: واسعاً لا غاية له ﴿عَالِيَهُمْ﴾: فوقهم ونصبه على الظرفية وهو خبر لمبتدأ بعده وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المتصل به للمعطوف عليهم ﴿ثِيَابُ سُنْدُسٍ﴾: حرير ﴿خُضْرٌ﴾: بالرفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: بالجر ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما وفي أخرى برفعهما وفي أخرى بجرهما ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾: وفي موضع آخر من ذهب للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معاً ومفرقاً ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ ٢١: مبالغة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا

العرش، من جنة عدن إلى أهل الجنان، قال البغوي: شراب الجنة في برد الكافور، وطعم الزنجبيل، وريح المسك من غير لذع، قوله: [يعني أن ماءها كالزنجبيل] أي فهو مماثل له في الاسم، فجميع ما في الجنة من الأشجار والقصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار، لا يشبه ما في الدنيا، إلا في مجرد الاسم، لكن الله تعالى، يرغب الناس بذكر أحسن شيء والذه مما يعرفونه في الدنيا؛ لأجل أن يسعوا فيما يوصلهم إلى هذا النعيم المقيم.

قوله: ﴿ولدان﴾ بكسر الواو باتفاق السبعة، وهم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين على التحقيق، وقيل: هم أولاد المؤمنين الصغار، وَرُدّ بأنهم يلحقون بآبائهم تأنساً وسروراً بهم، وقيل: هم أولاد الكفار. قوله: [لا يشيبون] أي لعدم وجود الشعر لهم. قوله: [وهو أحسن منه في غير ذلك] جواب عما يقال: ما الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم؟ فأجاب: بأنه لحسنهم وانتشارهم في الخدمة، شبههم باللؤلؤ المنثور. قوله: ﴿وإذا رأيت﴾ الخطاب للنبي أو لكل من يدخل الجنة.

قوله: ﴿رأيت نعيماً﴾ أي ما يتنعم به من مأكل ومشرب وملبس ومركب وغير ذلك. قوله: [واسعاً لا غاية له] أي لا في الطول ولا في العرض، لما في الحديث: «أدنى أهل الجنة منزلة، من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه»، ومن الملك الكبير، تسليم الملائكة عليهم، ولبس التيجان على رؤوسهم، كما تكون على رؤوس الملوك، وأعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه كل يوم. قوله: ﴿عاليهم﴾ بفتح الياء وضم الهاء، وقوله: [وفي قراءة] أي سبعية أيضاً. قوله: [وهو خبر المبتدإ بعده] أي وهو ثياب ويصح العكس، وهو كون ﴿عاليهم﴾ مبتدأ، و﴿ثياب﴾ خبره.

قوله: ﴿ثياب سندس﴾ الإضافة على معنى مِن، والسندس ما رق من الحرير. قوله: [عكس ما ذكر] أي وهو جر ﴿خضر﴾ ورفع ﴿استبرق﴾ فجر ﴿خضر﴾ على الوصفية لسندس لأنه اسم جنس، ووصفه بالجمع جائز، ورفع ﴿استبرق﴾ عطف على ﴿ثياب﴾ على حذف مضاف، أي وثياب إستبرق، فالقراءات أربع سبعيات: رفع ﴿خضر﴾ و﴿إستبرق﴾ وجرهما، ورفع الأول وجر الثاني وعكسه، وأما ﴿سندس﴾ فمجرور لا غير، لإضافة ثياب إليه. قوله: ﴿وحلوا﴾ عبّر بالماضي إشارة لتحقق وقوعه. قوله: [وفي موضع آخر] الخ، أي فقال في سورة الحج وفاطر ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً﴾. قوله: [للإيذان] أي للإعلام، وقوله: [معاً] أي فيجمع في يد أحدهم، سواران من

● أسباب نزول الآية ٢٠: وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقد على حصير من جريد وقد أثر في جنبه فبكى عمر فقال ﷺ: ما يبكيك؟ قال عمر: ذكرت كسرى وملكه وهرمز وملكه وصاحب الحبشة وملكه وأنت رسول الله ﷺ على حصير من جريد، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ فأنزل الله ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾.

﴿إنَّ هذا﴾: النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾٢٢ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾: تأكيد لاسم أنّ أو فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾٢٣ خبر أنّ أي فصلناه ولم ننزله جملة واحدة ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾: أي الكفار ﴿آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾٢٤: أي عتبة بن ربيع والوليد بن المغيرة قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر ويجوز أن يراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما أيّاً كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾٢٥: يعني الفجر والظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ﴾: يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾٢٦: صلّ التطوع فيه كما تقدّم من ثلثه أو نصفه أو ثلثه ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدنيا

ذهب، وسواران من فضة، وسواران من لؤلؤ، وقوله: [ومفرقاً] أي فتارة يلبسون الذهب فقط، وتارة يلبسون الفضة فقط، وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط، على حسب ما يشتهون.

قوله: ﴿وسقاهم ربهم﴾ أسند الأسقاء لنفسه، إشارة لعلو منزلتهم ورفعة قدرهم، وإلى أن الشراب الطهور، نوع آخر يفوق على ما تقدم. قوله: ﴿شراباً طهوراً﴾ أي من أقذار لم تمسه الأيدي، ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا. قوله: ﴿إن هذا﴾ الخ، أي يقال لهم ذلك بعد دخولهم. فيها ومشاهدتهم نعيمها لمزيد الأنس والسرور. قوله: ﴿مشكوراً﴾ أي مقبولاً مرضياً. قوله: [تأكيد لاسم إن] أي ويصح أن يعرب مبتدأ، و﴿نزلنا﴾ خبره، والجملة خبر إن. قوله: [خبر إن] أي سواء جعلنا ﴿نحن﴾ تأكيداً أو فصلاً. قوله: [أي فصلناه] الخ أي لحكمة بالغة، وهي كما في الفرقان ﴿لنثبت به فؤادك﴾ ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ والمقصود من ذلك تسليته ﷺ وشرح صدره، وأن ما أنزل عليه ليس بشعر ولا كهانة.

قوله: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ مشى المفسر على أن المراد بالحكم التكليف بتبليغ الرسالة، وعليه فالآية محكمة، وقيل: إن المراد بالحكم القضاء، والمعنى اصبر على أذى المشركين الذي حتمه الله في الأزل، فلا مفر لك منه حتى يفرج الله عنك، وعليه فالآية منسوخة. قوله: [أي عتبة بن ربيعة] الخ أشار بذلك إلى أن المراد بالآثم عتبة، لأنه كان متعاطياً لأنواع الفسوق متظاهراً بها، وأن المراد بالكفور الوليد، فإنه كان متظاهراً بالكفر داعياً إليه، وبهذا ظهر التخصيص لك، وإن كان كل منهما آثماً وكفوراً. قوله: [قالا للنبي ارجع] الخ حاصله أنهما قالا للنبي ﷺ: إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال، فارجع عن هذا الأمر، فقال عتبة: أنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك من غير مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر، فنزلت الآية. قوله: [أي لا تطع أحدهما] الخ أي والنهي عن طاعتهما معاً معلوم بالأولى، فأو أبلغ من الواو، لأنها لنفي الأحد الدائر. قوله: [في الصلاة] أشار بذلك إلى أن المراد بالذكر الصلاة، والمعنى دم على الصلاة. قوله: [والظهر والعصر] إطلاق الأصيل على العصر ظاهر، وعلى الظهر باعتبار آخر وقتها، وإلا فالزوال وما يقرب منه لا يسمى أصيلاً.

قوله: ﴿ومن الليل﴾ ﴿من﴾ تبعيضية. والمعنى صل له بعض الليل، وقوله: ﴿فاسجد له﴾ الفاء دالة على شرط مقدر تقديره: مهما يكن من شيء فصلّ من الليل الخ فيه زيادة حث على صلاة الليل. قوله: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ الخ علة لما قبله من النهي والأمر. والمعنى لا تطعهم واشتغل بما أمرك الله به من العبادة، لأن هؤلاء تركوا

---

* أسباب نزول الآية ٢٤: وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة: أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه، فأنزل الله ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾.

﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ ٢٧: شديداً أي يوم القيامة لا يعملون له ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا﴾: قوينا ﴿أَسْرَهُمْ﴾: أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا﴾: جعلنا ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾: في الخلقة بدلاً منهم بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلاً﴾ ٢٨ تأكيد ووقعت إذا موقع إن نحو إن يشأ يذهبكم لأنه تعالى لم يشأ ذلك وإذا لما يقع ﴿إِنَّ هٰذِهِ﴾: السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ ٢٩: طريقاً بالطاعة ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ﴾: بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾: بخلقه ﴿حَكِيماً﴾ ٣٠: في فعله ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: جنته وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾: ناصبه فعل مقدر أي أعد يفسره ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ ٣١: مؤلماً وهم الكافرون.

الآخرة واشتغلوا بالدنيا، فاترك أنت الدنيا واشتغل بالآخرة. قوله: ﴿وراءهم﴾ حال من ﴿يوماً﴾ مقدم عليه؛ لأنه نعت نكرة قدم عليها، ووراء إما باق على معناه نظير فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن كونهم لا يعبأون به ولا يعملون له، أو مستعار لقدام. قوله: ﴿يوماً ثقيلاً﴾ مفعول ﴿يذرون﴾ ووصفه بالثقل مجاز، إذ الثقل من صفات الأعيان لا المعاني.

قوله: [قوينا] ﴿أسرهم﴾ أي ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب.

قوله: ﴿أمثالهم﴾ مفعول أول، والثاني محذوف، بيّنه بقوله: [بدلاً منهم]. قوله: [وقعت [إذا] الخ] جواب عما يقال: إن ﴿إذا﴾ تفيد التحقيق، مع أنه تعالى لم ينشأ ذلك فكان المقام؛ لأن التي تفيد الاحتمال، فأجاب بأنه استعمل ﴿إذا﴾ موضع إن مجازاً. قوله: [عظة للخلق] أي لأن في تدبرها وتذكرها، تنبيهاً للغافلين، وفوائد للطالبين المقبلين بكليتهم على الله تعالى. قوله: ﴿فمن شاء اتخذ﴾ الخ أي فالطريق واضح والحق ظاهر ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ منصوب على الظرفية والمعنى: إلا وقت مشيئة الله تعالى ففيه تسلية بالرجوع إلى الحقيقة. قوله: [أوعد] هذا المقدر يلاقي المذكور في المعنى، فهو على حد: زيداً مررت به.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة المرسلات

[مكية وهي خمسون آية]

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾١: أي الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً ونصبه على الحال ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾٢: الرياح الشديدة ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾٣: الرياح تنشر المطر ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾٤: أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾٥: أي الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء والرسل يلقون الوحي إلى الأمم ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾٦: أي للإعذار والإنذار من الله تعالى وفي قراءة بضم ذال نذراً وقرىء بضم ذال

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة المرسلات مكية

وهي خمسون آية.

وفي نسخة سورة والمرسلات، وهذه نزلت على النبي ﷺ ليلة الجن. قال ابن مسعود: ونحن معه نسير، حتى أوينا إلى غار منى، فنزلت، فبينما نحن نتلقاها منه وفاه رطب بها، إذ وثبت حية، فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيتم شرها؛ كما وقيت شركم»، والغار المذكور مشهور في منى يسمي غار المرسلات.

قوله: ﴿والمرسلات عرفاً﴾ الخ، اعلم أن الله تعالى أقسم بصفات خمسة، موصوفها محذوف، فقدره بعضهم الرياح في الكل، وبعضهم قدره الملائكة في الكل، وبعضهم غاير فجعله تارة الرياح وتارة الملائكة، وأما ما ذكره المفسر، فلم يعرج عليه المفسرون وهو حسن، وحاصل صنيعه: أنه جعل الصفات الثلاث الأول لموصوف واحد وهو الرياح، والرابعة لموصوف ثان وهو الآيات، والخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة. قوله: [أي الرياح] أي رياح العذاب، ليغاير قوله: ﴿والناشرات﴾. قوله: [ونصبه على الحال] أي من الضمير في المرسلات، والمعنى: حال كونه مشابهة لعرف الفرس، من حيث تتابعها وتلاحقها، فالعُرف بالضم شعر عنق الفرس، والمعرفة كمرملة موضع العرف من الفرس.

قوله: ﴿فالعاصفات﴾ من العصف وهو الشدة، فهو مرتب على قوله: ﴿المرسلات﴾ الذي هو ريح العذاب. قوله: [تنشر المطر] أي تفرقه حيث شاء الله تعالى. قوله: [أو الرسل] هذا تفسير ثان للملقيات. قوله: [أي للإعذار] الخ، أشار بذلك إلى أن ﴿عذراً أو نذراً﴾ مفعولان لأجله، والمعلل بهما هو الملقيات، والمراد بالإعذار إزالة أعذار الخلائق، وبالإنذار التخويف. قوله: [وفي قراءة بضم ذال نذراً] أي وهما سبعيتان. قوله: [وقرىء] هذه القراءة

عذراً ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: أي كفار مكة من البعث والعذاب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ ٧: كائن لا محالة ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ ٨: مُحي نورها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ ٩: شقت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ ١٠: فتتت وسيرت ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ ١١: بالواو وبالهمز بدلاً منها أي جُمعت لوقت ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾: ليوم عظيم ﴿أُجِّلَتْ﴾ ١٢: للشهادة على أممهم بالتبليغ ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ ١٣: بين الخلق ويؤخذ منه جواب إذا أي وقع الفصل بين الخلائق ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ ١٤: تهويل لشأنه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٥: هذا وعيد لهم ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ١٦ بتكذيبهم أي أهلكناهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ ١٧: ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ١٨: بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٩ تأكيد ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ

ليعقوب من العشرة، والحاصل أن الضم في ﴿عذراً﴾ و﴿نذراً﴾ على أنهما جمعان لعذير بمعنى المعذرة، ونذير بمعنى الإنذار، أو بمعنى العاذر أو المنذر، والسكون على أنهما مصدران.

قوله: ﴿إنما توعدون﴾ الخ، جواب القسم، وما بمعنى الذي، والعائد محذوف، أي إن الذي توعدونه. قوله ﴿فإذا النجوم طمست﴾ النجوم مرفوعة بفعل محذوف يفسره ما بعده من باب الاشتغال. قوله: [وسيرت] أي بعد التفتيت. قوله: ﴿أقتت﴾ أي جعل لهم وقت للقضاء بينهم وبين أممهم، وهو يوم القيامة. قوله: [بالواو] أي على الأصل لأنه من الوقت، وقوله: [وبالهمز] أي لأن الواو لما ضمت قلبت همزة وهما سبعيتان. قوله، ﴿لأي يوم﴾ متعلق بأجلت، والجملة مستأنفة أو مقولة لقول محذوف، أ يقال لأي يوم الخ، والقول منصوب على الحال من مرفوع أقتت، وقوله: ﴿ليوم الفصل﴾ بدل من أي يوم بإعادة العامل، والاستفهام للتهويل والتعظيم. قوله: [ويؤخذ منه] أي من قوله: ﴿ليوم الفصل﴾ وقوله: [جواب إذا] أي المحذوف، والتقدير [وقع الفصل].

قوله: ﴿وما أدراك﴾ ﴿ما﴾ استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿أدراك﴾ خبرها، والكاف مفعول أول، وقوله: ﴿ما يوم الفصل﴾ جملة من مبتدإ وخبر، سادة مسد المفعول الثاني، والاستفهام الأول للاستبعاد والانكار، والثاني للتعظيم والتهويل. قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ ﴿ويل﴾ مبتدأ، سوغ الابتداء به كونه دعاء، و﴿للمكذبين﴾ خبره، و﴿يومئذ﴾ ظرف للويل، وكررت هذه الجملة في هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب، والمراد بالويل قيل العذاب والخزي، وقيل واد في جهنم فيه ألوان العذاب، لما روي أنه ﷺ قال: «عرضت علي جهنم، فلم أر فيها وادياً أعظم من الويل». وقيل إنه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم.

قوله: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ الاستفهام تقريري وهو طلب الاقرار بما بعد النفي، والمراد بالأولين الأمم السابقة من آدم إلى محمد ﷺ، كقوم نوح وعاد وثمود، والمراد بالآخرين كفار أمة محمد ﷺ. قوله: [أي أهلكناهم] إفاد بذلك أن الاستفهام داخل على نفي، ونفي النفي اثبات نظير ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾. قوله: ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ العامة على رفع العين استئنافاً أو معطوفاً على جملة ﴿ألم نهلك الأولين﴾ وليس معطوفاً على الفعل، والاستفهام مسلط عليه، لأنه يقضي أن المعنى أهلكنا الأولين، ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك، وليس كذلك، لأن هلاك الآخرين لم يحصل حينئذ، وقرئ شذوذاً بتسكين العين، إما تخفيفاً والجملة مستأنفة أو معطوفة على المجزوم، ويكون المراد بالأولين: قوم نوح وعاد وثمود، بالآخرين: قوم شعيب ولوط وموسى، وحينئذ فالمراد بالمجرمين كفار أمة محمد عليه السلام.

قوله: [فنهلكهم] أي في الدنيا كوقعة بدر.

قوله: ﴿ألم نخلقكم﴾ الخ هذا تذكير من الله تعالى للكفار، بعظيم إنعامه عليهم، وبقدرته على ابتداء خلقهم،

﴿مَّهِينٍ﴾ ٢٠: ضعيف وهو المني ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ٢١: حريز وهو الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ٢٢: وهو وقت الولادة ﴿فَقَدَرْنَا﴾: على ذلك ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ ٢٣: نحن ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٢٤ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ ٢٥: مصدر كفت بمعنى ضم أي ضامة ﴿أَحْيَاءً﴾: على ظهرها ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ ٢٦: في بطنها ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾: جبالاً مرتفعات ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ ٢٧: عذباً ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٢٨: ويقال للمكذبين يوم القيامة ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ﴾: من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ ٢٩ ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ ٣٠: هو دخان جهنم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾: كنين يظلهم من حر ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغْنِي﴾: يرد عنهم شيئاً ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾ ٣١: النار ﴿إِنَّهَا﴾: أي النار ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾: هو ما تطاير منها ﴿كَالْقَصْرِ﴾ ٣٢: من البناء في عظمه وارتفاعه ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾: جمع جمالة جمع جمل وفي قراءة جمالة ﴿صُفْرٌ﴾ ٣٣: في هيئتها ولونها في الحديث شرار النار أسود كالقير والعرب تسمي سود الإبل صفراً لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر في الآية بمعنى: سود لما ذكر وقيل لا والشرار جمع شرارة والقير القار ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٣٤ ﴿هَٰذَا﴾: أي يوم القيامة ﴿يَوْمُ لَا

والقادر على الابتداء قادر على الإعادة، ففيها رد على منكري البعث. قوله: [حريز] أي يحفظ فيه المني من الفساد. قوله: ﴿إلى قدر معلوم﴾ أي مقدار معلوم من الوقت، قدّره تعالى للولادة. قوله: ﴿فقدرنا﴾ بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان، فالتشديد من التقدير والتخفيف من القدرة. قوله: [على ذلك] أي الخلق والتصوير. قوله: ﴿كفاتاً﴾ مفعول ثان لنجعل. قوله: [مصدر كفت] المناسب أن يقول اسم مكان لأن كفت من باب ضرب، فمصدره الكفت، فالمعنى: ألم نجعل الأرض موضع كفت؟ أي جمع وضم.

قوله: ﴿أحياء وأمواتاً﴾ أي تضمهم في دورهم، ومنازلهم في حال الحياة، وتضمهم في بطنها قبورهم حال الموت، ثم هي إما راضية عليه فتضمه ضمة الأم الشفوق، أو غير راضية فتضمه ضمة تختلف بها أضلاعه. قوله: [جبالاً مرتفعات] أي لولاها لتحركت بأهلها. قوله: ﴿ماء فراتاً﴾ أي من العيون والأنهار، فتشربون منه أنتم ودوابكم، وتسقون منه زرعكم. قوله: [من العذاب] بيان لما. قوله: [انطلقوا إلى ظل] توكيد لانطلقوا الأول. قوله: ﴿ذي ثلاث شعب﴾ أي فرق شعبة فوق الكافر، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن يساره، ففيه إشارة لعظم الدخان لأن شأن الدخان العظيم إذا ارتفع يصير ثلاث شعب، وقيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق، ويتشعب من دخانها ثلاث شعب، فتظلهم حتى يفرغ حسابهم، والمؤمنون في ظل العرش.

قوله: ﴿لا ظليل﴾ صفة لظل، و﴿لا﴾ متوسطة بين الصفة والموصوف لإفادة النفي، وهذا تهكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل من الراحة. قوله: [كنين] أي ساتر. قوله: ﴿بشرر﴾ هكذا براءين من غير ألف بينهما، وهي قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بألف بين الراءين، مع كسر الشين وفتحها، فالشرر جمع شررة، والشرار بكسر الشين جمع شررة أيضاً، كرقبة ورقاب، وبفتح الشين جمع شرارة، وهي كل ما تطاير من النار متفرقاً. قوله: ﴿كأنه﴾ أي الشرر، فشبهه أولاً بالقصر في العظم والكبر، وثانياً بالجمال في اللون والكثرة والتتابع. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية أيضاً. قوله: [في هيئتها] الخ، بيان لوجه الشبه. قوله: [لشوب سوادها] أي اختلاطه. قوله: [فقيل] الخ، تفريع على الحديث وصنيع العرب. قوله: [وقيل لا] أي ليس صفر بمعنى سود، بل هو باق على حقيقته. قوله: [القار] أي الزفت. قوله: [أي يوم القيامة] أي المدلول عليه بقوله: ﴿انطلقوا إلى ظل﴾ الخ.

يَنْطِقُونَ﴾ ٣٥: فيه بشيء ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾: في العذر ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ ٣٦: عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا إذن فلا اعتذار ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ﴾: أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ ٣٨: من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعاً ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ﴾ ٣٩: فافعلوه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾: أي تكاثف أشجار إذ لا شمس يظل من حرها ﴿وَعُيُونٍ﴾ ٤١: نابعة من الماء ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ٤٢: فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب ويقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾: حال أي متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٤٣: من الطاعة ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٤٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٥ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾: خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾: من الزمان وغايته إلى الموت وفي هذا تهديد لهم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ٤٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾: صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ ٤٨: لا يصلون ﴿وَيْلٌ

قوله: ﴿لا ينطقون﴾ أي في بعض المواقف، وفي بعضها يتكلمون ويعتذرون، فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ ونحوه. قوله: [من غير تسبب عنه] جواب عما يقال: إن العطف بالفاء أو الواو على المنفي، يقتضي نصب المعطوف، فلم رفع في الآية، وإيضاحه: أن محل نصبه إذا كان متسبباً عن المنفي نحو لا يقضي عليهم فيموتوا، وأما إذا لم يكن متسبباً كما هنا، لأن النفي متوجه للمعطوف والمعطوف عليه، فإنه يرفع. قوله: ﴿هذا يوم الفصل﴾ أي بين المحق والمبطل. قوله: ﴿والأولين﴾ إما عطف على الكاف في ﴿جمعناكم﴾ أو مفعول معه، وهذه الجملة مقولة لقول محذوف أي يقال لهم ﴿هذا يوم الفصل﴾. قوله: [حيلة] تسميتها كيداً تهكم بهم. قوله: ﴿فكيدون﴾ أي فاحتالوا لأنفسكم وقاووني فلم تجدوا مفراً.

قوله: ﴿إن المتقين﴾ الخ ذكر في سورة ﴿هل أتى على الانسان﴾ أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار، وأطنب في أحوال المؤمنين عكس ما فعل هنا، ليحصل التعادل بين السورتين. قوله: [أي تكاثف أشجار] من إضافة الصفة للموصوف. قوله: ﴿وعيون﴾ [نابعة من الماء] أي ومن العسل واللبن والخمر، كما في آية القتال. قوله: ﴿مما يشتهون﴾ راجع للعيون والفواكه. قوله: [بحسب شهواتهم] أي فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة، فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت، كما في أنواع فاكهة الدنيا، قال تعالى ﴿أكلها دائم وظلها﴾. قوله: [ويقال لهم] أي من قبل الله، أو القائل لهم الملائكة إكراماً لهم. قوله: [كما جزينا المتقين] أي بالظلال والعيون والفواكه نجزي المحسنين. إن قلت: لا مغايرة بين المتقين والمحسنين، ففيه تشبيه الشيء بنفسه. والجواب: أن يراد بالمتقين الكاملون في الطاعة، وبالمحسنين من عندهم أصل الإيمان، ويصير المعنى: إن هذا الجزاء كما هو ثابت للكاملين في الطاعة، ثابت لمن كان عنده أصل الإيمان، فالمماثلة في الأوصاف التي ذكرت في تلك الآية، لا في المراتب والدرجات فتدبر. قوله: [من الزمان] أي فقليلاً منصوب على الظرفية. قوله: [وغايته إلى الموت] أي فهو مدة العمر، قال بعض العلماء: التمتع في الدنيا من أفعال الكافرين، والسعي لها من أفعال الظالمين، والاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين، والسكون فيها على حد الإذن، والأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين، والإعراض عنها من أفعال الزاهدين، وأهل الحقيقة أجل خطراً من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي لهؤلاء المجرمين، أي من أي قائل كان. قوله: [صلوا] أي فسميت الصلاة باسم

---

* أسباب نزول الآية ٤٨: أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ قال: نزلت في ثقيف.

﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٤٩ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٠: أي لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

جزئها وهو الركوع، وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع والطاعة. قوله: ﴿فبأي حديث﴾ متعلق بيؤمنون، قال الرازي: إنه تعالى بالغ في زجر الكفار من أول السورة إلى آخرها، بهذه الوجوه العشرة المذكورة، وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق، ختم السورة بالتعجب من الكفار، وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل العظيمة مع وضوحها، لا يؤمنون بغيرها، قال البوصيري في همزيته:

وإذا البينات لم تغن شيئاً فالتماس الهدى بهن عناء

قوله: [لاشتماله على الإعجاز] أي فقد ورد: أن معجزات المصطفى مائة ألف وسبعون ألفاً في القرآن، منها مائة ألف والسبعون من غيره، وهذا التعليل لا ينتج ما قاله المفسر من عدم الامكان، إذ يجوز أن يؤمنوا بغيره مع عدم إعجازه، ويكذبون بالقرآن المعجز، فلو قال في التعليل: لأن القرآن مصدق للكتب القديمة، موافق لها في أصول الدين، فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب، لأن ما في غيره موجود فيه، فلا يمكن الإيمان بغيره مع تكذيبه لكان أولى.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة النبأ

[مكية وهي إحدى وأربعون آية]

﴿عَمَّ﴾: عن أيّ شيء ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾[١]: يسأل بعض قريش بعضاً ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٢]: بيان لذلك الشيء والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن المشتمل على البعث وغيره ﴿ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾[٣]: فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه ﴿كَلَّا﴾: ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾[٤]: ما يحل بهم على إنكارهم له ﴿ثُمَّ كَلَّا

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة التساؤل مكية
وهي إحدى وأربعون آية

وتسمى سورة النبأ العظيم، وسورة عم، وسورة عم يتساءلون. قوله: ﴿عم﴾ عن: حرف جر، وما استفهامية في محل جر، حذفت ألفها للقاعدة المقررة التي أشار لها ابن مالك بقوله:

وما في الاستفهام إن جرت حذفت ألفها وأولها الها إن تقف

ووقف البزي بهاء السكت جرياً على القاعدة، ونقل عن ابن كثير إثبات الهاء في الوصل أيضاً إجراء له مجرى الوقف، وقرىء شذوذاً بإثبات الألف، والجار والمجرور متعلق بيتساءلون، وقوله: ﴿عن النبأ﴾ عطف بيان. وسبب نزولها: أنه ﷺ لما بعث، جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون: ما الذي أتى به، ويتجادلون فيما بعث به، ومناسبتها لما قبلها أنه لما قال: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ أي بعد القرآن، فكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه فقال ﴿عم يتساءلون﴾. قوله: [بيان لذلك الشيء] أي للمعبر عنه بما الاستفهامية، والمراد بالبيان عطف البيان. قوله: [واستفهام لتفخيمه] أي فليس استفهاماً حقيقياً، بل هو كناية عن تفخيم الأمر وتعظيمه.

قوله: ﴿الذي﴾ صفة للنبأ، و﴿هم﴾ مبتدأ و﴿مختلفون﴾ خبره، و﴿فيه﴾ متعلق بمختلفون، والجملة صلة ﴿الذي﴾، وقوله: [فالمؤمنون] الخ أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿هم﴾ عائد على ما يشمل المؤمنين والكفار، وجعل الواو في ﴿يتساءلون﴾ محمولة على الكفار ليس بواضح لأنه يلزم عليه تشتيت الضمائر، فالمناسب أن يسوي بين الضميرين، بأن يجعلهما عائدين على الكفار، واختلافهم فيه من حيث إن بعضهم يقول فيه شعر، وبعضهم يقول

* أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم فنزلت ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾.

سَيَعْلَمُونَ﴾٥: تأكيد وجيء فيه بثم للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾٦: فراشاً كالمهد ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾٧: تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد والاستفهام للتقرير ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾٨: ذكوراً وإناثاً ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾٩: راحة لأبدانكم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾١٠: ساتراً بسواده ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾١١: وقتاً للمعايش ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾: سبع سموات ﴿شِدَادًا﴾١٢: جمع شديدة أي قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾: منيراً ﴿وَهَّاجًا﴾١٣: وقاداً يعني الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: السحابات التي حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾١٤: صباباً ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾: كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾١٥: كالتبن ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾١٦: ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾١٧: وقتاً للثواب والعقاب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ﴾: من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾١٨: جماعات مختلفة ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: بالتشديد والتخفيف شققت لنزول

فيه كهانة، وغير ذلك. قوله: [ردع] أي فيه معنى الوعيد والتهديد. قوله: [ما يحل بهم] مفعول يعلمون، والمعنى: ما ينزل بهم عند النزع أو في القيامة لكشف الغطاء عنهم ذلك الوقت، وحل يحل بالكسر والضم في المضارع بمعنى نزل. قوله: [تأكيد] أي لفظي، وقيل: عطف نسق فيه معنى التأكيد. قوله: [للإيذان بأن الوعيد الثاني] الخ أي فتغايرا بهذا الاعتبار، ومن هنا قيل: إن الأول عند النزع، والثاني في القيامة، وقيل: الأول للبعث، والثاني للجزاء. قوله: [ثم أومأ تعالى] أي أشار إلى الأدلة الدالة عليها، وذكر منها تسعة، ووجه الدلالة أن يقال: إنه تعالى حيث كان قادراً على هذه الأشياء، فهو قادر على البعث.

قوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ ﴿الأرض﴾ مفعول أول، و﴿مهاداً﴾ مفعول ثان إن جعلت بمعنى التصيير، وإن جعلت بمعنى الخلق فيكون ﴿مهاداً﴾ حالاً، وكذا يقال في قوله: ﴿أوتاداً﴾ وما بعده. قوله: [كالمهد] أي للصبي، وهو ما يفرش له لينام عليه. قوله: [للتقرير] أي مما بعد النفي. قوله: ﴿سباتاً﴾ بالضم كغراب النوم الثقيل، وأصله الراحة، وفعله سبت كقتل. قوله: [ساتراً بسواده] أي ظلمته ففيه تشبيه بليغ بحذف الأداة، أي كاللباس بجامع التستر في كل. قوله: [وقتاً للمعايش] أي تتصرفون فيه في حوائجكم.

قوله: ﴿وهاجاً﴾ أي مضيئاً. قوله: [يعني الشمس] أي لأنها كوكب نهاري، ينسخ ضوؤها ظلمة الليل. قوله: [التي حان لها أن تمطر] أي جاء وقت إمطارها المقدر لها. قوله: [الجارية] المراد بها مطلق الأنثى. قوله: [صباباً] أي بشدة وقوة. قوله: ﴿حبا ونباتا﴾ أي فالمراد ما يقتات به، وما يعلف به من التبن والحشيش. قوله: [جمع لفيف] وقيل جمع لف بكسر اللام، وقيل لا واحد له. قوله: ﴿إن يوم الفصل﴾ الخ كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما وقت البعث الذي أثبت بالأدلة المتقدمة فقال: ﴿إن يوم الفصل﴾ وأكده بإن لتردد الكفار فيه. قوله: ﴿كان ميقاتا﴾ أي في علمه وقضائه. قوله: [وقتاً للثواب والعقاب] أشار بذلك إلى ان الميقات زمان مقيد، بكونه وقت ظهور ما وعد الله به من الثواب والعقاب.

قوله: ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ أي في النفخة الثانية. قوله: [جماعات مختلفة] روي عن معاذ بن جبل: «قلت: يا رسول الله، أرأيت قول الله تعالى ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾؟ فقال النبي ﷺ: يا معاذ بن جبل، لقد سألت عن أمر عظيم، ثم أرسل عينيه باكياً ثم قال: يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا، قد ميزهم الله تعالى من

الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾١٩: ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾: ذهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾٢٠: هباء أي مثله في خفة سيرها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾٢١: راصدة أو مرصدة ﴿لِلطَّاغِينَ﴾: الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَآبًا﴾٢٢: مرجعاً لهم فيدخلونها ﴿لَابِثِينَ﴾: حال مقدرة أي مقدراً لبثهم ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾٢٣: دهوراً لا نهاية لها جمع حقب بضم أوله ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾: نوماً فإنهم لا يذوقونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴾٢٤: ما يشرب تلذذاً ﴿إِلَّا﴾:

جماعات المسلمين، وبدل صورهم، فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عمي مترددون، وبعضهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابة يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا، وأما العمي فهم من يجورون في الحكم، وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم، وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران، وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم، وأما الذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء.

قوله: ﴿وفتحت السماء﴾ عطف على قوله: ﴿فتأتون﴾ وعبر بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [شققت] أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالفتح ما عرف من فتح الأبواب، بل هو التشقق لموافقة قوله: ﴿إذا السماء انشقت﴾ ﴿إذا السماء انفطرت﴾، وخير ما فسرته بالوارد. قوله: [لنزول الملائكة] أي لأنهم يموتون بالنفخة الأولى، ويحيون بين النفختين، وينزلون جميعاً، يحيطون بأطراف الأرض وجهاتها، يسوقون الناس إلى المحشر. قوله: ﴿وسيرت الجبال﴾ أي في الهواء بعد تفتيتها. قوله: [هباء] المناسب إبقاء السراب على ظاهره، ويكون المعنى على التشبيه، أي فكانت مثل السراب، من حيث إن المرئي خلاف الواقع، فكما يرى السراب كأنه ماء، كذلك الجبال ترى كأنها جبال وليست كذلك في الواقع لقوله تعالى ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾ وإلا فتفسير السراب بالهباء لم يوجد في اللغة. قوله: [راصدة أو مرصدة] أشار بذلك إلى أن ﴿مرصاداً﴾ من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته، فهي راصدة للكفار مترقبة لهم، أو مرصدة بمعنى معدة ومهيأة لهم، يقال: أرصدت له أعددت له.

قوله: ﴿أحقاباً﴾ ظرف للابثين. قوله: [لا نهاية لها] أي لمجموعها وإن كان كل منها متناهياً، وإنما قال: [لا نهاية لها] ليوافق قوله تعالى: ﴿خالدين فيها أبداً﴾. قوله: [بضم أوله] أي وسكون ثانيه، وهو ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة، عن الحسن قال: إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل حقب إلى الأبد، وليس للأحقاب عدة إلا الخلود، وعن ابن مسعود قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا. قوله: [نوماً] سمي النوم برداً لأنه يبرد صاحبه، ألا ترى أن العطشان إذا نام سكن عطشه، وهي لغة هذيل، وقال ابن عباس: البرد برد الشراب، وقال الزجاج: أي لا يذوقون فيها برد ريح، ولا ظل نوم،

لكن ﴿حَمِيماً﴾: ماء حاراً غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقاً﴾ ٢٥: بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار فإنهم يذوقونه جوزوا بذلك ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾ ٢٦: موافقاً لعملهم فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾: يخافون ﴿حِسَاباً﴾ ٢٧ لإنكارهم البعث ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿كِذَّاباً﴾ ٢٨: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾: من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: ضبطناه ﴿كِتَاباً﴾ ٢٩: كتباً في اللوح المحفوظ لنجازي عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن ﴿فَذُوقُوا﴾: أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً﴾ ٣٠: فوق عذابكم ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً﴾ ٣١: مكان فوز في الجنة ﴿حَدَائِقَ﴾: بساتين بدل من مفازاً أو بيان له ﴿وَأَعْنَاباً﴾ ٣٢: عطف على مفازاً ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جواري تكعبت ثديهن جمع كاعب ﴿أَتْرَاباً﴾ ٣٣: على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ ٣٤: خمراً مالئة محالها وفي القتال وأنهار من خمر ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: أي الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال ﴿لَغْواً﴾: باطلاً من القول ﴿وَلَا كِذَّاباً﴾ ٣٥: بالتخفيف أي كذباً وبالتشديد أي

فجعل البرد برد كل شيء له راحة، فأما الزمهرير فهو برد عذاب لا راحة فيه. قوله: [لكن] ﴿حميماً﴾ قضية كلامه أن الاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً من عموم قوله ولا شراباً، والأحسن أنه بدل من شراباً، لأن الاستثناء من كلام غير موجب. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿جزاء وفاقاً﴾ منصوب على المصدرية لمحذوف قدره المفسر بقوله: [جوزوا بذلك] الخ. قوله: [موافقاً لعملهم] أشار بذلك إلى أن ﴿وفاقاً﴾ صفة لجزاء بتأويله باسم الفاعل. قوله: ﴿إنهم كانوا﴾ تعليل لقوله: ﴿جزاء وفاقاً﴾. قوله: ﴿كذاباً﴾ بالتشديد باتفاق السبعة. قوله: ﴿وكل شيء﴾ منصوب على الاشتغال، أي وأحصينا كل شيء أحصيناه. قوله: [كتباً] أشار بذلك إلى أن ﴿كتاباً﴾ مصدر من معنى الإحصاء على حد جلست قعوداً، فمعنى ﴿كتاباً﴾ إحصاء. قوله: [في اللوح المحفوظ] وقيل في صحف الحفظة على بني آدم. قوله: [ومن ذلك] أي كل شيء. قوله: ﴿فذوقوا﴾ أمر إهانة وتحقير، والجملة معمولة لمقدر كما أشار له المفسر. قوله: ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ قيل هذه أشد آية في القرآن على أهل النار، كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه.

قوله: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ مقابل قوله: ﴿إن للطاغين مآباً﴾ والمراد بالمتقين من اتقى الشرك بأن لم يموتوا كفاراً. قوله: [مكان فوز] أشار بذلك إلى أن ﴿مفازاً﴾ مصدر ميمي بمعنى المكان، ويصح أن يكون بمعنى الحدث أي نجاة وظفراً بالمقصود. قوله: [بدل من مفازاً] أي بدل بعض من كل. قوله: [عطف على مفازاً] المناسب عطفه على ﴿حدائق﴾ عطف خاص على عام لمزيد شرف الأعناب. قوله: [تكعبت] أي استدارت مع ارتفاع يسير كالكعب. قوله: [ثديهن] بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء التحتية جمع ثدي. قوله: [على سن واحد] أي فلا اختلاف بينهن في الشكل ولا في العمر، لئلا يحصل الحزن إن وجد التخالف، ولا حزن في الجنة. قوله: [خمراً مالئة محالها] فسر الكأس بالخمر، والدهاق الممتلئة، والمناسب ابقاء الكأس على ظاهرها، وتفسير الدهاق بالممتلئة كما في القاموس دهق الكأس ملأها، وفي المختار أدهق الكأس ملأها، وكأس دهاق أي ممتلئة.

قوله: ﴿لا يسمعون﴾ حال من المتقين. قوله: [وغيرها] الضمير عائد على الشرب، واكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو الخمر، لأنه يذكر ويؤنث، وفي بعض النسخ وغيره وهي ظاهرة. قوله: [بالتخفيف] أي بوزن كتاب مصدر كذب ككتب، وقوله: [وبالتشديد] أي فهو مصدر كذب المشدد قراءتان سبعيتان هنا لعدم التصريح بفعله، وأما

تكذيباً من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾: أي جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَاءً﴾: بدل من جزاء ﴿حِسَاباً﴾٣٦: أي كثيراً من قولهم أعطاني فأحسبني أي أكثر عليّ حتى قلت حسبي ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بالجر والرفع ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ﴾: كذلك وبرفعه مع جر رب ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾: أي الخلق ﴿مِنْهُ﴾: تعالى ﴿خِطَاباً﴾٣٧: أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفاً منه ﴿يَوْمَ﴾: ظرف للا يملكون ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾: جبريل أو جند الله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً﴾: حال أي مصطفين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾: أي الخلق ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾: في الكلام ﴿وَقَالَ﴾: قولاً ﴿صَوَاباً﴾٣٨: من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾: الثابت وقوعه وهو يوم القيامة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآباً﴾٣٩: مرجعاً أي رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ﴾: أي كفار مكة ﴿عَذَاباً قَرِيباً﴾: أي عذاب يوم القيامة الآتي وكل آت قريب ﴿يَوْمَ﴾: ظرف لعذاباً بصفته ﴿يَنظُرُ الْمَرْءُ﴾: كل امرىء ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من خير وشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا﴾:

قوله: ﴿وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾ فهو بالتشديد باتفاق السبعة، لوجود التصريح بالفعل المشدد. قوله: ﴿جزاء من ربك﴾ أي بمقتضى وعده الحسن لأهل الطاعة، وهذا من مزيد الإكرام لأهل الجنة، كما يقول الشخص الكريم إذا بالغ في إكرام ضيفه: هذا من فضلك وإحسانك مثلاً، وإلا فأي حق للمخلوق على خالقه. قوله: [بدل من جزاء] أي بدل كل من كل.

قوله: ﴿حساباً﴾ صفة لعطاء، وهو إما مصدر أقيم مقام الوصف، أو باق على مصدريته مبالغة، أو على حذف مضاف أي ذو كفاية، على حد زيد عدل. قوله: [بالجر] أي جر ﴿رب﴾ على أنه بدل من ربك، وقوله: [والرفع] أي على أنه خبر مبتدإ محذوف أي هو رب. قوله: [كذلك] أي بالجر والرفع، فالجر على أنه بدل من رب الأول، أو صفة للثاني، والرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف، والجملة مستأنفة، وقوله: [وبرفعه] أي الرحمن على أنه خبر لمحذوف، فالقراءات ثلاث سبعيات، رفعهما وجرهما، ورفع ﴿الرحمن﴾ مع جر ﴿رب﴾. قوله: [أي الخلق] أي من أهل السماوات والأرض، لغلبة الجلال في ذلك اليوم، فلا يقدر أحد على خطابه تعالى، في دفع بلاء ولا في رفع عذاب.

قوله: ﴿منه﴾ من ابتدائية متعلقة بلا يملكون أو بخطاباً. قوله: [أو جند الله] ذكر المفسر في معنى ﴿الروح﴾ قولين من جملة أقوال ثمانية، فقوله: [جند الله] أي جند من جنود الله، ليسوا ملائكة، لهم رؤوس وأيد وأرجل، يأكلون الطعام على صورة بني آدم كالناس وليسوا بناس، ثالثها: أنه ملك ليس بعد العرش أعظم منه في السماء الرابعة، يسبح الله تعالى كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً، فيجيء يوم القيامة وحده صفاً. رابعها: أنهم أشراف الملائكة. خامسها: أنهم بنو آدم. سادسها: أرواح بني آدم تقوم صفاً بين النفختين قبل أن ترد إلى الأجساد. سابعها: القرآن، لقوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً﴾. ثامنها: أنهم الحفظة على الملائكة.

قوله: ﴿لا يتكلمون﴾ الخ، تأكيد لقوله: ﴿لا يملكون﴾ والمعنى أن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله، إذا لم يقدروا أن يشفعوا إلا بإذنه؟ فكيف يملك غيرهم؟ قوله: ﴿فمن شاء﴾ مفعوله محذوف دل عليه. قوله: ﴿اتخذ إلى ربه مآباً﴾ ومن شرطية، وجوابها قوله: ﴿اتخذ﴾ الخ، أو محذوف تقديره فعل. قوله: ﴿إلى ربه﴾ أي إلى ثوابه، وهو متعلق بمآباً. قوله: [كل امرىء] أي مسلماً أو كافراً، وأخذ العموم من أل الاستغراقية، والنظر بمعنى الرؤية، والمعنى يرى كل ما قدمه من خير وشر ثابتاً في صحيفته، وخص اليدين بالذكر، لأن أكثر الأفعال تزاول بهما.

حرف تنبيه ﴿لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ٤٠: يعني فلا أعذب يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني ترابا.

قوله: [يقول ذلك عندما يقول الله للبهائم] الخ، هذا أحد احتمالات ثلاثة. ثانيها: أنه يتمنى أن لو كان ترابا في الدنيا، فلم يخلق انسانا ولم يكلف. ثالثها: أنه يتمنى أن لو كان ترابا في يوم القيامة، فلم يبعث ولم يحاسب. قوله: [بعد الاقتصاص من بعضها لبعض] أي فيقتص للجماء من القرناء إظهارا للعدل، وأما الجن فهم مكلفون كالإنس، يثابون ويعاقبون، فالمؤمن يدخل الجنة، والكافر يدخل النار على الصحيح.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة والنازعات

[مكية وهي ست وأربعون آية]

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾: الملائكة تنزع أرواح الكفار **﴿غَرْقًا﴾**[١]: نزعاً بشدة **﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾**[٢]: الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي تسلها برفق **﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾**: الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي تنزل **﴿فَالسَّابِقَاتِ**

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة والنازعات مكية
وهي ست وأربعون آية

وفي بعض النسخ: سورة النازعات بغير واو. قوله: **﴿والنازعات﴾** الخ: أعلم أن الله تعالى اقسم بخمسة أقسام موصوفها محذوف، فاختلف المفسرون في تقدير الموصوف في الأربعة الأول، فبعضهم قدره الملائكة، وبعضهم قدره النجوم، وأما الخامس فالمراد بهم الملائكة بالإجماع، والتأنيث في الأوصاف ظاهر إن كان المراد النجوم، وإن كان الملائكة فالتأنيث باعتبار الطائفة كأنه قال: والطائفة النازعات، ومشى المفسر على أن المراد بها الملائكة وهو ظاهر.

قوله: **[الملائكة تنزع أرواح الكفار]** الخ: قال ابن مسعود: إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر، كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل. قوله: **﴿غرقاً﴾** إما مصدر على حذف الزوائد بمعنى أغراقاً، فهو ملاق لعامله في المعنى كقمت وقوفاً أو حال أي ذوات إغراق، يقال: اغرق في الشيء إذا بلغ أقصى غايته. قوله: **[نزعاً بشدة]** أي لما ورد: أن كل نزعة أعظم من سبعين ألف ضربة بالسيف، ويرى أن السماوات السبع انطبقت على الأرض وهو بينهما.

قوله: **[تنشط أرواح المؤمنين]** بفتح أوله وكسر ثانيه من باب ضرب، يقال: نشط في عمله خف وأسرع فيه، وانشطت البعير من عقاله أطلقته، و**﴿نشطاً﴾** وما بعده مصادر مؤكدة لعواملها، والسبب في شدة نزع أرواح الكفار، وسهولة نزع أرواح المؤمنين: أن كلا يرى قبل الموت مقعده الذي أعد له، فالمؤمن يزداد فرحاً وشوقاً، فلا يشاهد ألماً ولا يحس به، والكافر تأبى روحه الخروج، لمزيد الحزن والكرب الذي تجده عند رؤية مقعدها في النار، فتنزع كرهاً بشدة فيجدها الكافر.

قوله: **﴿والسابحات﴾** أي الملائكة النازلين برفق ولطافة، كالسابح في الماء، وكالفرس الجواد إذا أسرع في جريه لقبض الأرواح، فملائكة الرحمة تذهب للمؤمن، وملائكة العذاب تذهب للكافر، فقوله المفسر **[بأمره تعالى]** محمول على أمر خاص، وهو قبض الأرواح كما علمت لترتب قوله: **﴿فالسابقات﴾** عليه، وأما التدبير العام فيأتي في

﴿سَبْقاً﴾[٤]: الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾[٥]: الملائكة تدبر الدنيا أي تنزل بتدبيره وجواب هذه الأقسام محذوف أي لتبعثن يا كفار مكة وهو عامل في ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[٦]: النفخة الأولى بها يرجف كل شيء أي يتزلزل فوصفت بما يحدث منها ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[٧]: النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾[٨]: خائفة قلقة ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾[٩]: ذليلة لهول ما ترى ﴿يَقُولُونَ﴾: أي أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكاراً للبعث ﴿أَإِنَّا﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾[١٠]: أي أنرد بعد الموت إلى الحياة والحافرة اسم لأول الأمر ومنه رجع فلان في حافرته إذا رجع من حيث جاء ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً﴾[١١] وفي قراءة ناخرة بالية متفتتة نحيا ﴿قَالُوا تِلْكَ﴾: أي رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذاً﴾: إن

قوله: ﴿فالمدبرات أمراً﴾. قوله: [تسبق بأرواحك المؤمنين إلى الجنة] أي وبأرواح الكفار إلى النار، ففي الكلام اكتفاء، وحينئذ فتلك الأوصاف الأربعة للملائكة التي تقبض الأرواح. قوله: [الملائكة تدبر أمر الدنيا] أي وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، فجبريل موكل بالرياح والجنود، وميكائيل موكل بالقطر والنبات، وعزرائيل موكل بقبض الأرواح، وإسرافيل موكل بالصور. قوله: [أي تنزل بتدبيره] أشار بذلك إلى أن إسناد التدبير إلى الملائكة مجاز؛ والمدبر حقيقة هو الله تعالى، فهم أسباب عادية مظهر للتدبير. قوله: [لتبعثن يا كفار مكة] خصهم وإن كان البعث عاما للمسلم والكافر، لأن القسم إنما يكون للمنكر، والمسلم مصدق بمجرد الإخبار، فلا يحتاج للإقسام. قوله: [بها يرجف كل شيء] أي فهذا وجه تسميتها راجفة.

قوله: ﴿تتبعها الرادفة﴾ سميت بذلك لأنها تردفها وتأتي بعدها، ولا شيء بينهما. قوله: [فاليوم واسع] الخ، جواب عما يقال: إن وقت الراجفة موت لا بعث، فكيف يجعل ظرفاً لتبعثن المقدر؟ وإيضاح جوابه: البعث يحصل في الوقت الذي يجمع النفختين إذ هو متسع، فكأنه قال: تبعثن وقت حصول النفخة الأولى المتبوعة بالنفخة الثانية. قوله: [للبعث] أي المقدر جواباً للقسم. قوله: ﴿قلوب﴾ مبتدأ، و﴿يومئذ﴾ ظرف لواجفة، و﴿واجفة﴾ صفة لقلوب، وهو المسوغ للابتداء بالنكرة، و﴿أبصارها﴾ مبتدأ ثان، و﴿خاشعة﴾ خبره، والجملة خبر الأول. قوله: ﴿أبصارها﴾ أي أبصار أصحاب القلوب.

قوله: ﴿يقولون﴾ حكاية حالهم في الدنيا، وهو استبعاد منهم. قوله: [وإدخال ألف بينهما] أي وتركه، فالقراءات أربع سبعيات في كل من الموضعين. قوله: ﴿في الحافرة﴾ متعلق بمردودون. قوله: [إلى الحياة] أشار بذلك إلى أن ﴿في﴾ بمعنى إلى، وأن ﴿الحافرة﴾ بمعنى الحياة. قوله: [والحافرة اسم لأول الأمر] أي والأصل فيها أن الإنسان إذا رجع في طريقه، أثرت قدماه فيها حفراً، فهو مثل لمن يرد من حيث جاء. قوله: ﴿أئذا كنا عظاماً﴾ العامل في إذا محذوف يدل عليه مردودون، والمعنى: أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث؟ والاستفهام لتأكيد الإنكار. قوله: ﴿نخرة﴾ من نخر العظم، فهو نخر وناخر، وهو البالي الأجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير أي تصويت.

قوله: ﴿قالوا تلك﴾ الخ حكاية لكفر آخر، مفرع على كفرهم السابق، و﴿تلك﴾ مبتدأ مشار بها للرجعة، والرد

---

* أسباب نزول الآية ١٠ و١٢: أخرج سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال: لما نزل قوله ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾ قال كفار قريش: لئن حيينا بعد الموت لنخسرن، فنزلت ﴿قالوا تلك إذاً كرة خاسرة﴾.

صحت ﴿كَرَّةٌ﴾: رجعة ﴿خَاسِرَةٌ﴾١٢: ذات خسران قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾: أي الرادفة التي يعقبها البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾: نفخة ﴿وَاحِدَةٌ﴾١٣: فإذا نفخت ﴿فَإِذَا هُم﴾: أي كل الخلائق ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾١٤: بوجه الأرض أحياء بعدما كانوا ببطنها أمواتاً ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾: يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾١٥: عامل في ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾١٦: اسم الوادي بالتنوين وتركه فقال ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾١٧: تجاوز الحد في الكفر ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾: أدعوك ﴿إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾١٨: وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أدلك على معرفته ببرهان ﴿فَتَخْشَىٰ﴾١٩: فتخافه ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ﴾

في ﴿الحافرة﴾، و﴿كرة﴾ خبرها، و﴿خاسرة﴾ صفة أي ذات خسران، والمعنى: إن كان رجوعنا إلى القيامة حقاً كما تقول، فتلك الرجعة رجعة خاسرة لعدم عملنا لها. قوله: ﴿إذاً﴾ حرف جواب وجزاء عند الجمهور دائماً، وقيل: قد لا تكون جواباً. قوله: [ذات خسران] أي والمراد خسران أصحابها. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن هذا من كلامه تعالى رداً عليهم. قوله: [نفخة] سميت زجرة لأنها صيحة لا يمكن التخلف عنها. قوله: ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ جواب شرط محذوف قدره بقوله: [فإذا نفخت] وسميت ساهرة لأنه لا نوم عليها من أجل الخوف والحزن. قوله: [بوجه الأرض] وقيل: أرض من فضة يخلقها الله تعالى، وقيل: جبل بالشام يمده الله تعالى يوم القيامة لحشر الناس عليه، وقيل غير ذلك. قوله: [أحياء] خبر عن ﴿هم﴾ وقوله: ﴿بالساهرة﴾ متعلق بأحياء، ولو قال: فإذا هم أحياء بالساهرة لكان أولى.

قوله: ﴿هل أتاك﴾ الخ، المقصود منه تسليته ﷺ وتحذير قومه من مخالفته، فيحصل لهم ما حصل لفرعون، كأن الله تعالى يقول لنبيه: اصبر كما صبر موسى، فإن قومك وإن بلغوا في الكفر مهما بلغوا، لم يصلوا في العتو كفرعون، وقد انتقم الله منه، مع شدة بأسه وكثرة جنوده، و﴿هل﴾ بمعنى قد، إن ثبت أنه أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام، وأما إذا لم يكن أتاه قبل ذلك، فالاستفهام لحمل المخاطب على طلب الإخبار. قوله: [عامل في] ﴿إذ ناداه﴾ أي فإذ معمول لحديث لا لأتاك لاختلاف الوقت. قوله: ﴿المقدس﴾ أي المطهر، حيث شرفه الله تعالى بإنزال النبوة فيه على موسى. قوله: [اسم الوادي] أي وسمي طوى، لطي الشدائد عن بني إسرائيل، وجمع الخيرات لموسى، وهو واد بالطور، بين أيلة ومصر. قوله: [بالتنوين وتركه] أي فالتنوين باعتبار المكان وكونه نكرة، وتركه باعتبار البقعة وكونه معرفة، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [فقال تعالى] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿اذهب إلى فرعون﴾ معمول لقول محذوف، ويصح أن يكون على حذف أن التفسيرية أو المصدرية. قوله: ﴿إلى فرعون﴾ كان طوله أربعة أشبار، ولحيته أطول منه وكانت خضراء، فاتخذ القفاص يمشي عليه خوفاً من أن يمشي على لحيته، وهو أول من اتخذه. قوله: ﴿إنه طغى﴾ تعليل للأمر. قوله: [تجاوز الحد في الكفر] أي بتكبره على الله واستعباده خلقه.

قوله: ﴿فقل هل لك﴾ الخ، أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يقول له قولاً ليناً، لعله يتذكر أو يخشى، فخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض، ليجره إلى الهدى باللطف والرفق. قوله: [أدعوك] الخ، هذا حل معنى لا حل إعراب، وإعرابه أن ﴿هل لك﴾ خبر مبتدأ محذوف، و﴿إلى أن تزكى﴾ متعلق بذلك المبتدإ، والتقدير: هل ثبت لك سبيل وميل إلى التزكية. قوله: [وفي قراءة بتشديد الزاي] أي سبعية أيضاً، وقوله: [بإدغام التاء الثانية] أي على التشديد، وأما على التخفيف ففيه حذف إحدى التاءين.

قوله: ﴿وأهديك﴾ معطوف على ﴿تزكى﴾ وقوله: [أدلك على معرفته بالبرهان] الخ، إشارة إلى أن الدلالة على

﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ ٢٠ : من الآيات التسع وهي اليد أو العصا ﴿فَكَذَّبَ﴾ : فرعون موسى ﴿وَعَصَىٰ﴾ ٢١ : الله تعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ : عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾ ٢٢ : في الأرض بالفساد ﴿فَحَشَرَ﴾ : جمع السحرة وجنده ﴿فَنَادَىٰ﴾ ٢٣ ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ٢٤ : لا رب فوقي ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ : أهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ﴾ : عقوبة ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ : أي هذه الكلمة ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ ٢٥ : أي قوله قبلها ما علمت لكم من إله غيري وكان بينهما أربعون سنة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ : المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ ٢٦ : الله تعالى ﴿ءَأَنتُمْ﴾ : بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه أي منكرو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ : أشد خلقاً ﴿بَنَىٰهَا﴾ ٢٧ : بيان لكيفية خلقها

المعرفة تحصل بعد التطهر من الشرك، فهي واجبة وجوب الفروع، وأما التطهر بالدخول في الإسلام فمن وجوب الأصول. قوله: ﴿فتخشى﴾ جعل الخشية غاية للهدى لأنها ملاك الأمور، إذ هي خوف مع تعظيم، فمن خشي ربه أتى منه كل خير، فالخشية أعظم من الخوف، وأعلم أن أوائل العلم بالله الخشية من الله، ثم الإجلال، ثم الهيبة، ثم الفناء عما سواه.

قوله: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ عطف على محذوف تقديره: فذهب إليه وقال له ما ذكر، فطلب منه آية فأراه الخ، والضمير المستتر فيه عائد على موسى، والبارز عائد على فرعون، وهو المفعول الأول، والثاني قوله: ﴿الآية الكبرى﴾ صفة للآية. قوله: [أو العصا] هذا هو التحقيق، إذ كل ما في اليد حاصل في العصا وتزيد أموراً أخرى، فغاية ما في اليد انقلاب لونها، ولا شك أن العصا لما انقلبت حية، لا بد وأن يتغير لونها وتزيد القوة الشديدة، وابتلاعها أشياء كثيرة، وكونها تصير حيواناً، ثم تصير جماداً، وغير ذلك، إذ كل واحد من هذه الوجوه معجز، ولا يصح أن يراد بالآية الكبرى مجموع معجزاته، لأن ما ظهر على يده من بقية الآيات، إنما كان بعد ما غلب السحرة.

قوله: ﴿فكذب﴾ [فرعون موسى] أي في كون ما أتى به من عند الله. قوله: ﴿وعصى﴾ أي بعدما رأى الآيات. قوله: ﴿ثم أدبر﴾ أي تولى وأعرض عن الإيمان. قوله: ﴿يسعى﴾ حال من الضمير في ﴿أدبر﴾. قوله: [جمع السحرة] أي للمعارضة. قوله: [وجنده] أي للقتال، وكان السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط، والسبعون من بني إسرائيل، وتقدم في الأعراف جملة أقوال في عددهم، وكانت عدة بني إسرائيل ستمائة ألف وسبعين ألفاً، وعدة جيش فرعون ألف ألف وستمائة ألف.

قوله: ﴿فنادى﴾ أي بنفسه أو بمناديه. قوله: ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ أي بعد ما قال له موسى: رب أرسلني إليك، فإن آمنت بربك تكون أربعمائة سنة في النعيم والسرور، ثم تموت فتدخل الجنة، فقال: حتى أستشير هامان، فاستشاره فقال: أتصير عبداً بعدما كنت رباً؟ فعند ذلك جمع السحرة والجنود، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾. قوله: ﴿نكال﴾ منصوب على أنه مصدر لأخذ، والمعنى: أخذه أخذ نكال، أو مفعول لأجله، أي لأجل نكاله. قوله: [أي هذه الكلمة] أي قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾. قوله: [المذكور] أي من التكذيب والعصيان والإدبار والحشر والنداء الواقع من فرعون. قوله: ﴿لمن يخشى﴾ أي لمن كان من شأنه الخشية، وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك.

قوله: ﴿أأنتم﴾ استفهام تقريع وتوبيخ لمنكري البعث من أهل مكة. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي مع إدخال ألف وتركه، فالقراءات خمس سبعيات: التحقيق والتسهيل إما مع الألف أو تركها والإبدال. قوله: ﴿أم السماء﴾ أي فمن قدر على خلقها مع عظمها يقدر على الإعادة، وهو عطف على ﴿أأنتم﴾ فالوقف على السماء، والابتداء بما

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: تفسير لكيفية البناء أي جعل سمتها في جهة العلو رفيعاً وقيل سمكها سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾[٢٨]: جعلها مستوية بلا عيب ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[٢٩]: أبرز نور شمسها وأضيف إليها الليل لأنه ظلها والشمس لأنها سراجها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[٣٠]: بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو ﴿أَخْرَجَ﴾: حال بإضمار قد أي مخرجاً ﴿مِنْهَا مَاءَهَا﴾: بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾[٣١]: ما ترعاه النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار وإطلاق المرعى عليه استعارة ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[٣٢]: أثبتها على وجه الأرض لتسكن ﴿مَتَاعًا﴾: مفعول له لمقدر أي ذلك متعة أو مصدر أي تمتيعاً ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٣٣]: جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[٣٤]: النفخة الثانية ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾: بدل من إذا ﴿مَا سَعَى﴾[٣٥]: في الدنيا من خير وشر ﴿وَبُرِّزَتِ﴾: أظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾: النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾[٣٦]: لكل راء

بعدها. قوله: ﴿أشد خلقاً﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أم السماء﴾ مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله. قوله: ﴿رفع سمكها﴾ أي ثخنها وغلظها، وهو الارتفاع الذي بين سطح السفلى الأسفل، وسطحها الأعلى وقدره خمسمائة عام. [أي جعل سمتها] أي مقدار ذهابها في سمت العلو، فالمراد بالسمت السمك. قوله: [وقيل سمكها سقفها] أي فمعنى رفع سمكها على هذا، جعلها مرفوعة عن الأرض. قوله: [جعلها مستوية] أي ملساء، ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض. قوله: [اظلمه] أي جعله مظلماً بتغييب شمسها. قوله: [أبرز نور شمسها] المراد بنور الشمس النهار، لوقوعه في مقابلة الليل، فكنى بالنور عن النهار، وعبر عن النهار بالضحى لأنه أكمل أجزائه. قوله: [لأنه ظلها] أي لأنه أول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء. قوله: [لأنها سراجها] أي الشمس سراج السماء وفيه: أنه يقتضي أن ضوء الشمس يظهر في السماء، مع أن المقدم خلافه، وهو أن نورها إنما يظهر في الأرض، ونور السماوات بنور العرش، ويجاب: بأنه لا يلزم من كونها موضع سراج لها أن يكون نورها به.

قوله: ﴿والأرض﴾ منصوب على الاشتغال. قوله: ﴿بعد ذلك﴾ أي بألفي عام، وقوله: ﴿دحاها﴾ يقال: دحا يدحو دحواً ودحياً كدعا، بسط ومد، فهو من ذوات الواو والياء. قوله: [وكانت مخلوقة] الخ، أي فلا معارضة بين ما هنا وآية فصلت، لأنه ابتدأ خلق الأرض غير مدحوة، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض. قوله: [وإطلاق المرعى عليه] أي على ما يأكله الناس. قوله: [استعارة] أي مجاز، فاستعمل المرعى في مطلق المأكول للإنسان، وغيره من استعمال المقيد في المطلق، أو هو استعارة تصريحية، بحيث شبه أكل الناس برعي الدواب. قوله: [مفعول له المقدر] أي لفعل مقدر. قوله: [أو مصدر] أي تمتيعاً، كالسلام بمعنى التسليم، وهو لفعل مقدر أيضاً تقديره متعناكم بها تمتيعاً. قوله: ﴿ولأنعامكم﴾ خص الأنعام لشرفها، وإلا فهو متاع لسائر دواب الأرض.

قوله: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ الفاء فاء الفصيحة، أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ما تقدم الخ. قوله: ﴿الطامة الكبرى﴾ أي الداهية التي تعلو على الدواهي، فهي أعظم من كل عظيم، وخص ما هنا بالطامة الكبرى، موافقة لقوله قبل ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ بخلاف ما في عبس، فإنه لم يتقدمه شيء من ذلك، فخصت بالصاخة، وهي الصوت الشديد الواقع بعد الداهية الكبرى فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة. قوله: [بدل من إذا] أي بدل كل أو بعض.

قوله: ﴿وبرزت﴾ عطف على ﴿جاءت﴾ والعامة على بنائه للمفعول مشدداً. قوله: ﴿لمن يرى﴾ بياء الغيبة مبنياً للفاعل، ومعناه يبصر، وهو مثل في الأمر المنكشف الذي لا يخفى على أحد. قوله: [لكل راء] أي من كل من له عين

وجواب إذا ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ ٣٧: كفر ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ٣٨: باتباع الشهوات ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ٣٩: مأواه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾: قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾: الأمارة ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ٤٠: المردي باتباع الشهوات ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ٤١: وحاصل الجواب فالعاصي في النار والمطيع في الجنة ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: أي كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ٤٢: متى وقوعها وقيامها ﴿فِيمَ﴾: في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ ٤٣: أي ليس عندك علمها حتى تذكرها ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ ٤٤: منتهى علمها لا يعلمه غيره ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ﴾: إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَاهَا﴾ ٤٥: يخافها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾: في قبورهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ٤٦: أي

وبصر من المؤمنين والكفار، لكن الناجي لا ينصرف بصره إليها فلا يراها بالفعل، والكافر هي مأواه. قوله: [وجواب إذا] ﴿فأما من طغى﴾ الخ فيه نوع تساهل، لأن قوله: ﴿فأما من طغى﴾ الخ بيان لحال الناس في الدنيا، وقوله: ﴿فإذا جاءت الطامة﴾ الخ، بيان لحالهم في الآخرة، فالأولى ما سلكه غيره، من أن الجواب محذوف، يدل عليه التفصيل المذكور تقديره: دخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة. قوله: [باتباع الشهوات] أي المحرمات. قوله: [مأواه] أي فأل عوض عن الضمير العائد على ﴿من طغى﴾.

قوله: ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ مقابل قوله: ﴿فأما من طغى﴾ الخ، واعلم أن الخوف من الله تعالى مرتبتان: مرتبة العامة وهي الخوف من العذاب، ومرتبة الخاصة وهي الخوف من جلال الله تعالى، والآية صادقة بهما، وأضيف المقام لله تعالى، وإن كان وصفاً للعبد، من حيث كونه بين يديه ومقاماً لحسابه. قوله: [الأمارة] قيد بها لأنها هي تكون مذمومة الهوى، وأما غيرها فهواها محمود، لما في الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به». قوله: [المردي] أي المهلك، وقوله: [باتباع الشهوات] متعلق بالمردي والباء سببية. قوله: [وحاصل الجواب] الخ أشار بذلك إلى أن ﴿أما﴾ لمجرد التأكيد وليست للتفصيل، لعدم تقدم مقتضيه، وصار المعنى [فالعاصي في النار] الخ وفيه أنه يحوج لتكلف، فالأحسن ما قدمناه من أن الجواب محذوف، والآية دليل عليه. قوله: ﴿أيان مرساها﴾ تفسير لسؤالهم.

قوله: ﴿فيم أنت﴾ ﴿فيهم﴾ خبر مقدم، و﴿أنت﴾ مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿من ذكراها﴾ متعلق بما تعلق به الخبر، والاستفهام إنكاري، والمعنى: ما أنت من ذكراها لهم، وتبيين وقتها في شيء، فليس لك علم بها حتى تخبرهم به، وهذا قبل إعلامه بوقتها، فلا ينافي أنه ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع مغيبات الدنيا والآخرة، ولكن أمر بكتم أشياء، منها كما تقدم التنبيه عليه غير مرة. قوله: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ أي إنك مرسل بالإنذار لمن يخافها، وهو لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها، وخص من يخشى بالذكر لأنهم المنتفع بها، وقد أشار له المفسر بقوله: [إنما ينفع إنذارك]. قوله: [يخافها] أي يخاف هولها.

قوله: ﴿كأنهم﴾ أي كفار قريش. قوله: ﴿إلا عشية﴾ هي من الزوال إلى غروب الشمس، وقوله: ﴿أو ضحاها﴾

---

* أسباب نزول الآية ٤٢: أخرج الحاكم وابن جرير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة، حتى أنزل عليه ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾ فانتهى. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، أن مشركي أهل مكة سألوا النبي ﷺ فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم، فأنزل الله ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ إلى آخر السورة، وأخرج الطبراني وابن جرير عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت ﴿فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾ وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن عروة.

عشية يوم أو بكرته وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما طرفا النهار وحسن لإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

أي ضحى عشية من العشاي، وهي البكرة إلى الزوال، والمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره، لا عشية بتمامها، أو ضحوة بتمامها. قوله: [أي عشية يوم] الخ، أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه. قوله: [وصح إضافة الضحى] الخ، جواب عن سؤال مقدر تقديره العشية، لا ضحى لها، وإنما الضحى لليوم، فما وجه إضافة الضحى لضمير العشية؟ فأجاب: بأنهما لما كانتا من يوم واحد، كانت بينهما ملابسة، فصح إضافة أحداهما للأخرى. قوله: [وقوع الكلمة فاصلة] أي رأس آية تناسب رؤوس الآي قبلها.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة عبس

[مكية وهي اثنتان وأربعون آية]

﴿عَبَسَ﴾: النبي كلح وجهه ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [١]: أعرض لأجل ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [٢]: عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به مما يرجو إسلامه من أشراف قريش الذي هو حريص على إسلامهم ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك فناداه علمني مما علمك الله فانصرف النبي ﷺ إلى بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة فكان بعد

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة عبس مكية
وهي اثنتان وأربعون آية

وتُسمَّى سورة السفرة، وسورةَ الأعمى. قوله: ﴿عبس وتولى﴾ الخ، إنما أتى بضمائر الغَيبة، تلطفاً به ﷺ وإجلالاً له، لما في المشافهة بتاء الخطاب، ما لا يخفى من الشدة والصعوبة، وهذا نظير تقديم العفو على العتاب في قوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم﴾ الخ، وناهيك بذلك محبة وشرفاً، ومن ذلك قول عائشة: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، فسيئات المحبوب حسنات، قال أبو الحسن الشاذلي: واجعل سيئاتنا سيئات مَنْ أحببتَ. قوله: [كلح] بالتخفيف من باب خضع، وجهه فاعل.

قوله: ﴿أن جاءه الأعمى﴾ تنازعه كل من عبس وتولى، أعمل الأول على مذهب الكوفيين، والثاني على مذهب البصريين، وأضمر في المهمل وحذف. قوله: [عبد الله] أي ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، اشتهر بأم أبيه أم مكتوم، واسمها عاتكة بنت عامر المخزومي، أسلم قديماً بمكة، وكان ابن خالة خديجة بنت خويلد، واستخلفه ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته، قتل شهيداً بالقادسية، قال أنس بن مالك: رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء. قوله: [فقطعه عما هو مشغول به] ما واقعة على القول بدليل قوله: [ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش] ففيه إطلاق ما على العاقل، وهو مذهب سيبويه. قوله: [الذي هو حريص على إسلامهم] نعت لأشراف قريش، وكان المناسب التعبير بالذين. قوله: [فناداه] أي وكرر ذلك، وقوله: [مما علمك الله] أي وهو

● أسباب نزول الآية ١: أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، فنزلت ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس.

ذلك يقول له إذا جاء: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يعلمك ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ ٣: فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾: فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ ٤: العظة المسموعة منك وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ ٥: بالمال ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ ٦: وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها تقبل وتتعرض ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ ٧: يؤمن ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ ٨: حال من فاعل جاء ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ ٩: الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ ١٠: فيه حذف التاء الأخرى في الأصل أي تتشاغل ﴿كَلَّآ﴾: لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا﴾: أي السورة أو الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ ١١: عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ ١٢: حفظ ذلك فاتعظ به

القرآن والإسلام، وإيضاح ما قاله المفسر: أن الأعمى جاءه وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام، رجاء أن يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم، فيتأيد بهم الإسلام، ويسلم بإسلامهم أتباعهم، فتعلو كلمة الله تعالى، فقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى، وكرر ذلك وهو لا يعلم، فتشاغل النبي ﷺ بالقوم، فكره رسول الله قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما اتبعه العميان والعبيد والسفلة، فعبس وجهه وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله هذه الآيات. إن قلت: إن ابن أم مكتوم أعطاه الله من السمع ما يغني عن البصر، فهو وإن لم ير القوم، لكنه لشدة سمعه كان يسمع مخاطبة النبي معهم، وحينئذ فيكون إقدامه على قطع كلام رسول الله إيذاء له فيكون معصية، فكيف يعاتب عليه ﷺ؟ وكيف يقول المفسر [ولم يدر الأعمى] الخ، أجيب: أن عدم علمه لعله من أجل دهشته بقدومه على رسول الله، ولا شك أن جلاله ﷺ وجماله يدهش العقول، ولا سيما بالمحب المشتاق الراغب في التعليم، وعتابه ﷺ بالنظر لما علمه الله من طردهم عن رحمته، لا بالنظر لظاهر شرعه، وإلا فهو ﷺ لم يفعل مكروها، ولا خلاف الأولى، إذ الأهم مقدم على المهم، وإنما ذلك من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: [ويبسط له رداءه] أي ويقول له: هل لك من حاجة؟

قوله: ﴿وما يدرك﴾ فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، و﴿ما﴾ استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿يدريك﴾ خبره، والكاف مفعول أول، وجملة قوله: ﴿لعله يزكى﴾ سادة مسد المفعول الثاني. قوله: [أي يتطهر من الذنوب] أي لا من الشرك لأنه أسلم قديما بمكة. قوله: ﴿أو يذكر﴾ عطف على ﴿يزكى﴾. قوله: ﴿فتنفعه﴾ بالرفع عطف على ﴿أو يذكر﴾. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضا. قوله: ﴿أما من استغنى﴾ أي عما عندك من الإيمان والقرآن والعلوم. قوله: ﴿فأنت له تصدى﴾ الجار والمجرور متعلق بتصدى، قدم عليه رعاية للفاصلة، وأصل ﴿تصدى﴾ تصدد، أبدلت الدال الثانية حرف علة. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضا. قوله: [تقبل] أي بالإصغاء إلى كلامه. قوله: ﴿وما عليك﴾ الخ ﴿ما﴾ نافية، و﴿عليك﴾ خبر مبتدإ محذوف، وقوله: ﴿ألا يزكى﴾ متعلق بالمبتدإ المحذوف، والتقدير: ليس عليك بأس في عدم تزكيته.

قوله: ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أي يسرع ويمشي في طلب الخير. قوله: [وهو الأعمى] تفسير لمن. قوله: [أي تشاغل] أي بدعاء قريش إلى الإسلام، وهذا الشغل وإن كان واجبا عليه، إلا أنه عوتب نظرا للحقيقة كما علمت. قوله: [لا تفعل مثل ذلك] روي أنه ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط، ولا تصدى لغني. قوله: ﴿ذكره﴾ أي التذكرة، وذكر

﴿في صُحُفٍ﴾: خبر ثان لأنها وما قبله اعتراض ﴿مُكَرَّمَةٍ﴾ ١٣: عند الله ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾: في السماء ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ ١٤: منزهة عن مس الشياطين ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ١٥: كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ١٦: مطيعين لله تعالى وهم الملائكة ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾: لعن الكافر ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ١٧: استفهام توبيخ أي ما حمله على الكفر ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ١٨: استفهام تقرير ثم بيّنه فقال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ ١٩: علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾: أي طريق خروجه من بطن أمه ﴿يَسَّرَهُ﴾ ٢٠ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ٢١: جعله في قبر يستره ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ ٢٢ للبعث ﴿كَلَّا﴾: حقاً ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾: لم يفعل ﴿مَا

الضمير لأن التذكرة بمعنى التذكر والوعظ. قوله: ﴿في صحف﴾ أي مثبتة في صحف مع الملائكة، منقولة من اللوح المحفوظ، قال المفسرون: إن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، أملاه جبريل على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه كله، وبقيت تلك الصحيفة عندهم، فصار جبريل ينزل منها بالآية والآيتين على النبي عليه الصلاة والسلام، حتى استكمل إنزال القرآن في ثلاث وعشرين سنة. قوله: [وما قبله اعتراض] أي بين الخبرين. قوله: ﴿سفرة﴾ جمع سافر، ككتبة وكاتب وزناً ومعنى.

قوله: ﴿كرام﴾ أي مكرمين معظمين عند الله. قوله: [لعن الكافر] أي طرد عن رحمة الله، وفيه إشارة إلى أن المراد بالإنسان الكافر، لا كل إنسان. وقوله: ﴿ما أكفره﴾ تعجب من إفراط كفره، مع كثرة إحسان الله عليه، وفي الآية إشكال من وجهين: الأول: إن قوله: ﴿قتل الإنسان﴾ يوهم الدعاء وهو إنما يكون من العاجز، فكيف يليق ذلك بالقادر على كل شيء؟ الثاني: أن التعجب استعظام أمر خفي سببه، وهذا المعنى محال على الله تعالى، إذ هو العالم بالأشياء إجمالاً وتفصيلاً. أجيب: بأن هذا الكلام جار على أسلوب العرب، لبيان استحقاقه لأعظم العقاب، حيث أتى بأعظم القبائح كقولهم: إذ تعجبوا من شيء قاتله الله ما أخبثه. وأجيب أيضاً: بأن الأول ليس دعاء، بل هو إخبار من الله بأنه طرده عن رحمته، والثاني أنه ليس تعجباً، بل استفهام توبيخ، وعليه درج المفسر، فهما تقريران. قوله: [أي ما حمله على الكفر] أي أي شيء دعاه إليه. قوله: [استفهام تقرير] أي وتحقير لحقارة النطفة التي هي أصله، ولذا قال بعضهم: ما لابن آدم والفخر، أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو بينهما حامل للعذرة. قوله: [ثم بينه] أي الشيء المخلوق هو منه. قوله: ﴿فقدره﴾ أي قدر أطواره، وهو تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿من نطفة خلقه﴾.

قوله: ﴿ثم السبيل﴾ منصوب على الاشتغال بفعل يفسره المذكور، ولم يقل ثم سبيله بالإضافة إلى ضميره، إشعاراً بأنه سبيل عام. قوله: [أي طريق خروجه من بطن أمه] قال بعضهم: إن رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجليه من تحت، فهو في بطن أمه على الانتصاب، فإذا جاء وقت خروجه، انقلب بإلهام من الله تعالى. قوله: ﴿ثم أماته﴾ الخ عد الإماتة من النعم باعتبار أنها وصلة في الجملة للحياة الأبدية والنعيم الدائم. قوله: ﴿فأقبره﴾ أي أمر بقبره، يقال: قبر الميت إذا دفنه بيده، وأقبره إذا أمر غيره به، فالقابر هو الدافن باليد، والمقبر هو الله تعالى لأمره به. قوله: [جعله في قبر يستره] أي ولم يجعل ممن يلقى للطيور والسباع إكراماً له.

قوله: ﴿ثم إذا شاء﴾ مفعول المشيئة محذوف، والتقدير: إذا شاء إنشاره أنشره. قوله: [حقاً] أي فتكون متعلقة بما بعدها أي حقاً، لم يفعل ما أمره به ربه، وحينئذ فلا يحسن الوقف على كلا، ويصح أن تكون حرف ردع وزجر

---

* أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ قال: نزلت في عتبة ابن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم.

أمره﴾٢٣: به ربه ﴿فلينظر الإنسان﴾: نظر اعتبار ﴿إلى طعامه﴾٢٤: كيف قدر ودبر له ﴿أنا صببنا الماء﴾: من
السحاب ﴿صبا﴾٢٥ ﴿ثم شققنا الأرض﴾: بالنبات ﴿شقا﴾٢٦ ﴿فأنبتنا فيها حبا﴾٢٧: كالحنطة والشعير ﴿وعنبا
وقضبا﴾٢٨: هو القت الرطب ﴿وزيتونا ونخلا﴾٢٩ ﴿وحدائق غلبا﴾٣٠: بساتين كثيرة الأشجار ﴿وفاكهة وأبا﴾٣١: ما
ترعاه البهائم وقيل التبن ﴿متاعا﴾: متعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها ﴿لكم ولأنعامكم﴾٣٢: تقدم فيها أيضا
﴿فإذا جاءت الصاخة﴾٣٣: النفخة الثانية ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾٣٤ ﴿وأمه وأبيه﴾٣٥ ﴿وصاحبته﴾: زوجته
﴿وبنيه﴾٣٦: يوم بدل من إذا وجوابها دل عليه ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾٣٧: حال يشغله عن شأن غيره
أي اشتغل كل واحد بنفسه ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾٣٨: مضيئة ﴿ضاحكة مستبشرة﴾٣٩: فرحة وهم المؤمنون

للإنسان، عما هو عليه من التكبر والتجبر. قوله: ﴿لما يقض﴾ بيان لسبب الردع والزجر. قوله: ﴿لما يقض﴾ أي لم يفعل الإنسان من أول مدة تكليفه إلى حين إقباره ما فرضه الله عليه. قوله: ﴿ما أمره﴾ [به ربه] أشار بذلك إلى أن ﴿ما﴾ موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف، والضمير عائد على الإنسان المتقدم ذكره وهو الكافر.

قوله: ﴿فلينظر الإنسان﴾ الخ بيان لتعداد النعم المتعلقة بحياته في الدنيا، إثر بيان النعم المتعلقة بإيجاده. قوله: [من السحاب] أي بعد نزوله من السماء. قوله: ﴿ثم شققنا الأرض﴾ [بالنبات] أي الذي هو أضعف الأشياء. قوله: ﴿وعنبا﴾ عطف على ﴿حبا﴾. قوله: [هو القت الرطب] أي علف الدواب الرطب، وسمي قضبا لأنه يقضب، أي يقطع مرة بعد أخرى. قوله: ﴿غلبا﴾ جمع أغلب وغلباء، كأحمر وحمراء. قوله: [كثيرة الأشجار] أي فإسناد الغلب لها مجاز، إذ هو وصف للأشجار. قوله: ﴿وفاكهة﴾ إما عطف على ﴿عنبا﴾ من عطف العام على الخاص، أو على ﴿حدائق﴾ فهو عطف خاص على عام. قوله: ﴿وأبا﴾ إما من أبه إذا أمه وقصده، لأنه يقصد المرعى، وأب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيىء للرعي. قوله: [ما ترعاه البهائم] أي رطبا أو يابسا، فهو أعم من القضب. قوله: [وقيل التبن] أي وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة. قوله: [متعة أو تمتيعا] أشار بذلك إلى أن ﴿متاعا﴾ يصح أن يكون مفعولا لأجله، أو مفعولا مطلقا، عامله محذوف تقديره: فعل ذلك متاعا، أو متعتكم تمتيعا. قوله: [تقدم فيها أيضا] أي وهو تفسير النعم بأنها البقر والإبل والغنم، وتقدم لنا أنه خصها لشرفها.

قوله: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ شروع في بيان أحوال معادهم، إثر بيان مبدإ خلقهم ومعاشهم، والصاخة الداهية التي تصخ آذان الخلائق، أي تصمها لشدة وقعها، وصفت بذلك مجازا، لأن الناس يصخون منها. قوله: ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ الخ، أي وسبب هروبه إما حذرا من مطالبتهم له بحقوقهم، فالأخ يقول: لم تواسني بمالك، والأبوان يقولان: قصرت في برنا، والصاحبة تقول: لم توفني حقي، والبنون يقولون: ما علمتنا وما أرشدتنا، أو لما يتبين له من عجزهم وعدم نفعهم له، أو لكثرة شغل الإنسان بنفسه فيدهش من غيره، وكل واقع. قوله: [بدل إذا] أي بدل كل أو بعض، والعائد محذوف أي يفر فيه.

قوله: ﴿لكل امرىء﴾ جملة مستأنفة لبيان سبب الفرار. قوله: [أي اشتغل] الخ، بيان لجواب إذا المحذوفة. قوله: ﴿وجوه﴾ مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل، و﴿مسفرة﴾ خبره، و﴿يومئذ﴾ متعلق به، وهذا بيان لمآل الخلائق، وانقسامهم إلى أشقياء وسعداء بعد وقوعهم في الداهية العظيمة. قوله: [مضيئة] إما من قيام الليل، أو من آثار الوضوء، أو من طول ما اغبرت في سبيل الله، وكل صحيح. قوله: [فرحة] أي بما رأته من كرامة الله ورضوانه.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[٤٠]: غبار ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾[٤١]: ظلمة وسواد ﴿أُولَٰئِكَ﴾: أهل هذه الحالة ﴿هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[٤٢]: أي الجامعون بين الكفر والفجور.

قوله: [ظلمة سواد] هذا قول ابن عباس، وقيل: القترة والغبرة معناهما واحد وهو الغبار، لكن القترة ما ارتفع منه إلى السماء، والغبرة ما انحط إلى الأرض. قوله: ﴿الكفرة الفجرة﴾ جمع كافر وفاجر، وهو الكاذب المفتري على الله تعالى، فجمع الله إلى سواد وجوههم الغبرة، كما جمعوا الكفر إلى الفجور.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكوير

[مكية وهي تسع وعشرون آية]

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١: لفت وذهب بنورها ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ ٢: انقضت وتساقطت على الأرض ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ٣: ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثاً ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ ٤: تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر إذ لم يكن مال أعجب إليهم منها ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون آية

مناسبتها لما قبلها، أن كلاً فيه ذكر أهوال القيامة، وفي الحديث: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة، فليقرأ ﴿إذا الشمس كورت﴾ و﴿وإذا السماء انفطرت﴾ و﴿إذا السماء انشقت﴾». قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ الخ. الأرجح عند جمهور النحاة، أن الاسم المرفوع الواقع بعد ﴿إذا﴾ الشرطية، مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور، ويمتنع أن يكون مرفوعاً بالابتداء، لأن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال لفظاً أو تقديراً، وأجاز الأخفش والكوفيون إيلاءها الاسم، فيرفع الاسم مبتدأ، وما بعده خبره، و﴿وإذا﴾ في المواضع الاثني عشر شرطية، جوابها قوله: ﴿علمت نفس﴾ ولا يجوز الوقف اختياراً قبل الجواب. قوله: [لفت] المناسبة أن يقول لفت، والمعنى: لف بعضها ببعض، ورمي بها في البحر، ثم يرسل الله عليها ريحاً دبوراً فتضربها فتصير ناراً. قوله: [بنورها] أي ضوئها. قوله: ﴿سيرت﴾ أي في الهواء بعد تفتيتها. قوله: [فصارت هباء] أي بعد صيرورتها كالصوف المندوف، فأولاً تتفتت ثم تصير كالصوف المندوف.

قوله: ﴿وإذا العشار﴾ جمع عشراء، كالنفاس جمع نفساء، وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر إلى أن تضع، وخصها بالذكر لأنها أغلى ما يكون عند أهلها، وأنفس أموالهم، لما ورد أنه ﷺ مر في أصحابه بعشار من النوق، فغض بصره فقيل له: هذه أنفس أموالنا، فلم لا تنظر إليها، فقال: قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ﴿ولا تمدن عينيك﴾ الآية، وإذا كان هذه حالهم مع أنفس أموالهم، فحالهم مع غيره أولى، وإلى هذه يشير المفسر بقوله: [ولم يكن مال أعجب إليهم منها]. قوله: [تركت بلا راع] أي مهملة، وقوله: [أو بلا حلب] بفتح اللام مصدر حلب يحلب بالضم، ويقال بالسكون من باب قتل.

﴿حُشِرَتْ﴾ ٥: جمعت بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير تراباً ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ٦: بالتخفيف والتشديد أوقدت فصارت ناراً ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧: قرنت بأجسادها ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾: الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة ﴿سُئِلَتْ﴾ ٨ تبكيتاً لقاتلها ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ ٩: وقرىء بكسر التاء حكاية لما تخاطب به وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾: صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ ١٠: بالتخفيف والتشديد فتحت

قوله: ﴿وإذا الوحوش﴾ أي دواب البر. وقوله: [جمعت] أي من ناحية. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أوقدت فصارت ناراً] هذا أحد أقوال في تفسير التسجير، وقيل: سجرت ملئت من الماء، وقيل: اختلط عذبها بمالحها حتى صارت بحراً واحداً، وقيل: يبست، ويمكن الجمع بين تلك الأقوال، فأولاً يفيض بعضها لبعض ثم تيبس ثم تقلب ناراً، ثم ما تقدم من الآيات الست، يجوز أن يكون مقدمة للنفخة الأولى، فالأحياء يشاهدون ذلك لما روي عن أبي بن كعب قال: ست آيات من قبل يوم القيامة، بينما الناس في أسواقهم، ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم، فتحيروا ودهشوا، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثوراً، ففزع الإنس إلى الجن، والجن إلى الإنس، واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير، وماج بعضها في بعض، فذلك قوله تعالى ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ ثم قالت الجن للإنس: نحن نأتيك بالخبر، فانطلقوا إلى البحار، فإذا نار تتأجج، فبينما هم كذلك، انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك، إذ جاءتهم ريح فأماتتهم، ويجوز أن يكون في النفخة الثانية، ويقال في تعطيل العشار، يحتمل أنه كناية عن شدة الهول، حتى لا يلتفت الشخص إلى أنفس أمواله، أو تبعث معطلة بلا راع، ولا يلتفت لها صاحبها، لأن البهائم تحشر للقصاص من بعضها لبعض، وأما الست الباقية فتحصل بالنفخة الثانية اتفاقاً. قوله: [قرنت بأجسادها] أي ردت الأرواح إلى أجسادها، فالتزويج على هذا جعل الشيء زوجاً، والنفوس بمعنى الأرواح، وقيل: قرن كل امرىء بشيعته فاليهودي يضم لليهود، والنصراني للنصارى، وهكذا، وقيل: قرن الرجل الصالح بالرجل الصالح في الجنة، والرجل السوء بالرجل السوء في النار، وقيل: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت الكفار بالشياطين، وكذلك المنافقون، وفي الحقيقة يحصل كل. قوله: [الجارية] المراد بها مطلق الأنثى، وقوله: [والحاجة] أي الفقر، فكان الرجل في الجاهلية إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها، ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد قتلها تركها، حتى إذا كانت بنت ست سنين يقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فيذهب بها إلى البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالأرض. وقال ابن عباس: كانت الحامل إذا قربت ولادتها، حفرت حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة، فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة، وإذا ولدت ولداً أبقته. قوله: [تبكيتاً لقاتلها] جواب عما يقال: ما معنى سؤال الموءودة، مع أن مقتضى الظاهر سؤال القاتل عن قتله إياها، فأجاب: بأن سؤالها هي لافتضاح القاتل وتبكيته، ولا يلزم من السؤال تعذيب القاتل، لأنه يقال: إن كان القاتل من أهل الفترة فلا يعذب، وإنما يرضي الله المقتولة بإحسانه، وإن كان ممن بلغته الدعوة، فهو آثم يعذب على القتل إن لم يغفر له الله تعالى. قوله: [وقرىء بكسر التاء] أي الثانية على أنها تاء المؤنثة المخاطبة، والفعل مبني للمفعول، وهذه القراءة شاذة، وقرىء شذوذاً أيضاً ببناء سئل للفاعل، مع قتلت بضم التاء للمتكلم، وبسكونها على التأنيث، فالقراءات الشاذة ثلاث. قوله: [صحف الأعمال] أي فإنها تطوى عند الموت، وتنشر عند الحساب. قوله: [بالتخفيف والتشديد]

وبسطت ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ ١١ : نُزعت عن أماكنها كما يُنزع الجلد عن الشاة ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ﴾ : النار
﴿سُعِّرَتْ﴾ ١٢ : بالتخفيف والتشديد أججت ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ ١٣ : قربت لأهلها ليدخلوها وجواب إذا أول
السورة وما عطف عليها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ : أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ ١٤ :
من خير وشر ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ : لا زائدة ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ ١٥ ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ ١٦ : هي النجوم الخمسة زحل والمشتري
والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون أي ترجع في مجراها وراءها بينما نرى النجم في آخر البرج، إذ كر
راجعاً إلى أوله. وتكنس: بكسر النون تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا
عَسْعَسَ﴾ ١٧ : أقبل بظلامه أو أدبر ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ ١٨ : امتد حتى يصير نهاراً بيناً ﴿إِنَّهُۥ﴾ : أي القرآن ﴿لَقَوْلُ
رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ١٩ : على الله تعالى وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ : أي شديد القوى ﴿عِندَ ذِى
ٱلْعَرْشِ﴾ : أي الله تعالى ﴿مَكِينٍ﴾ ٢٠ : ذي مكانة متعلق به عند ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ : أي تطيعه الملائكة في السموات
﴿أَمِينٍ﴾ ٢١ : على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ : محمد ﷺ عطف على أنه آخر المقسم عليه ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ ٢٢ : كما

شبعيتان. قوله: [فتحت وبسطت] أي بعد أن كانت مطوية. قوله: [نزعت عن أماكنها] أي أزيلت عنه، فالكشط القلع عن شدة التزاق والقشط لغة فيه، وبها قرئ شذوذاً، فالسماء تنزع من أماكنها، كما ينزع الغطاء عن الشيء، وقيل: تطوى كما يطوى السجل. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما سبعيتان. قوله: [أججت] أي أوقدت للكفار. قوله: [قربت لأهلها ليدخلوها] أي هيئت وأحضرت لهم وسهل طريقها، لا أنها تزول عن موضعها. قوله: [أول السورة] أي الواقعة في أولها، وقوله: [وما عطف عليها] أي وهو أحد عشر.

قوله: ﴿علمت نفس﴾ إن قلت: إن النفس نكرة في سياق الإثبات وهي لا تعم. أجيب بجوابين، الأول: أن العموم استفيد من قرينة المقام والسياق. الثاني: أن وقوعها في سياق الشرط، كوقوعها في سياق النفي فتعم أيضاً، ومعنى العلم بما أحضرته أنها تشاهد أعمالها مكتوبة في الصحف. قوله: [وهو] أي وقت حصول هذه الأمور. قوله: [هي النجوم] الخ أي السيارة غير الشمس والقمر. قوله: [أي ترجع في مجراها] أي من آخر الفلك القهقرى إلى أوله وخصها بالذكر لأنها تستقبل الشمس، فتخنس بالنهار، وتظهر بالليل، وتخفى وقت غروبها عن البصر. قوله: [إذ كر راجعاً] هو العامل في [بينما] وقوله: [إلى أوله] أي البرج. قوله: [في كناسها] أي محل اختفائها من كنس الوحش إذا دخل كناسه، وهو بيته الذي يتخذ من أغصان الشجر.

قوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ مناسبته لما قبله ظاهرة، لأنه إن كان المراد إقباله فهو أول الليل، وهذا أول النهار، وإن كان المراد إدباره، فهذه مجاورة له. قوله: ﴿إذ تنفس﴾ التنفس في الأصل خروج النفس من الجوف، ووصف به الصبح من حيث إنه إذا أقبل ظهر روح ونسيم، فجعل نفساً له. ﴿ذي قوة﴾ أي فكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، فرفعها إلى السماء ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام، فنفخه بجناحه نفخة ألقاه إلى أقصى جبل خلف الهند، وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف. قوله: [ذي مكانة] أي إكرام وتشريف. قوله: [متعلق به عند] أي فهو حال من ﴿مكين﴾ وأصله وصف، فلما قدم نصب حالاً، وقوله: ﴿ثم﴾ ظرف مكان للبعيد، والعامل فيه مطاع. قوله: [أي تطيعه الملائكة] تفسير لقوله: ﴿مطاع﴾ وقوله: [في السماوات] تفسير لقوله: ﴿ثم﴾. قوله: [عطف على أنه] الخ أي فهو من جملة المقسم عليه بالأقسام السابقة، وفي الحقيقة ذكر جبريل بالأوصاف المذكورة توطئة لذكر محمد ﷺ لأن

زعمتم ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾٢٣: البين وهو الأعلى بناحية المشرق ﴿وَمَا هُوَ﴾: محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾: ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِضَنِينٍ﴾٢٤: بمتهم وفي قراءة: بالضاد أي، ببخيل فينتقص شيئاً منه ﴿وَمَا هُوَ﴾: أي القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾٢٥: مرجوم ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾٢٦: فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾٢٧: الإنس والجن ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾: بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾٢٨: باتباع الحق ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ﴾: الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾٢٩: الخلائق استقامتكم عليه.

المقصود منه قولهم ﴿إنما يعلمه بشر﴾ ﴿أفترى على الله كذباً﴾ ﴿أم به جنة﴾ لا تعداد فضائل جبريل ومحمد، خلافاً للزمخشري الزاعم أن تلك الآية تشهد بتفضيل جبريل على محمد، بل إذا أمعنت النظر، وجدت إجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام، دال على بلوغ الغاية في تعظيم محمد، حيث جعل السفير بينه وبين الله، هذا الملك الموصوف بتلك الصفات، وفضل المصطفى مصرح به في هذا الكتاب، وفي سائر الكتب السماوية، كالشمس في رابعة النهار، هذا زبدة ما أفادته الأئمة في هذا المقام.

قوله: ﴿ولقد رآه﴾ معطوف على قوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ أيضاً فهو جملة المقسم عليه، وهذه الرؤية كانت في غار حراء، حين رآه على كرسيه بين السماء والأرض في صورته الأصلية، وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها، فوعده بحراء، ثم انجز له الوعد، وتقدم بسطه في قوله تعالى ﴿فاستوى وهو بالأفق الأعلى﴾ الخ. قوله: ﴿على الغيب﴾ متعلق بظنين. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي ببخيل] أي فلا يبخل به عليكم، بل يخبركم به على طبق ما أمر، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده، حتى يأخذ عليه حلواناً.

قوله: ﴿وما هو بقول شيطان﴾ الخ نفي لقولهم: إنه كهانة وسحر. قوله: ﴿فأين تذهبون﴾ أي ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون كما قال المفسر، فأي طريق تسلكون، حيث نسبتموه للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر؟ وهو بريء من ذلك كله، كما تقول لمن ترك الطريق الجادة بعد ظهورها: هذا الطريق الواضح فأين تذهب؟ قوله: ﴿أن يستقيم﴾ أي فالطريق واضح، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. قوله: ﴿وما تشاؤون﴾ رجوع للحقيقة وإعلام بأن العبد مختار في الظاهر، مجبور في الباطن على ما يريده الله منه.

---

* أسباب نزول الآية ٢٩: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى، قال: لما أنزلت ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: ذاك إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء رب العالمين﴾ وأخرج ابن أبي حاتم من طريق بقية عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة مثله، وأخرج ابن المنذر من طريق سليمان عن القاسم بن مخيمرة مثله.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الانفطار

[مكية وهي تسع عشرة آية]

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾١: انشقت ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾٢: انقضت وتساقطت ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾٣: فتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً واختلط العذب بالملح ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾٤: قلب ترابها وبعث موتاها وجواب إذا وما عطف عليها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾: أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ﴿مَا قَدَّمَتْ﴾: من الأعمال ﴿وَ﴾: ما ﴿أَخَّرَتْ﴾٥: منها فلم تعمله ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ﴾: الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الانفطار مكية
وهي تسع عشرة آية

مناسبتها لما قبلها، وما بعدها ظاهرة لأن كلاً متعلق بيوم القيامة. قوله: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ الخ، اعلم أن المراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا، وذلك أن السماء كالسقف، والأرض كالبناء، ومن أراد تخريب دار، فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف، ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب، ثم بعد تخريب السماء والكواكب، يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار، ثم بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات. قوله: [انشقت] أي لنزول الملائكة. قوله: [انقضت وتساقطت] أي فالانتثار استعارة لإزالة الكواكب، فشبهت بجواهر قطع سلكها وطوي ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الانتثار، فإثباته تخييل على طريق الاستعارة المكنية. قوله: ﴿فجرت﴾ العامة على قراءته مبنياً للمفعول مشدداً، وقرئ شذوذاً بالبناء للفاعل وللمفعول مع التخفيف. قوله: [فتح بعضها في بعض] أي لزوال البرزخ الحاجز. قوله: ﴿بعثرت﴾ يرادفه في معناه بحثر بالحاء مركبان من البعث والبحث، مضموماً إليهما راء. قوله: [قلب ترابها] أي الذي أهيل على الموتى وقت الدفن، وصار ما كان في باطن الأرض ظاهراً على وجهها. قوله: ﴿علمت نفس﴾ أي علماً تفصيلياً، وإلا فالعلم الإجمالي حصل لهم عند الموت حين يرى كل مقعده من الجنة أو النار، واعلم أن الإنسان يعلم ما قدمه من خير وشر عند موته علماً إجمالياً، فيعلم أنه من أهل السعادة أو الشقاوة، فإذا بعث وقرأ صحيفته، علم ذلك تفصيلاً.

قوله: ﴿يا أيها الإنسان﴾ [الكافر] هذا أحد قولين، والآخر أن المراد بالإنسان، ما يشمل الكافر والمؤمن

---

* أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله ﴿يا أيها الإنسان ما غرك﴾ الآية، قال: نزلت في أبي بن خلف.

﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ ٦: حتى عصيته ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾: بعد أن لم تكن ﴿فَسَوَّاكَ﴾: جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ ٧: بالتخفيف والتشديد جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا﴾: زائدة ﴿شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ ٨ ﴿كَلَّا﴾: ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾: أي كفار مكة ﴿بِٱلدِّينِ﴾ ٩: بالجزاء على الأعمال ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾ ١٠: من الملائكة لأعمالكم ﴿كِرَامًا﴾: على الله ﴿كَٰتِبِينَ﴾ ١١: لها ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ١٢: جميعه ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ ١٣: جنة ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾: الكفار ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ ١٤: نار محرقة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها ويقاسون حرها

المنهمك في المعاصي. قوله: ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ ﴿ما﴾ استفهامية، والمعنى: أي شيء خدعك وجرأك على عصيان الكريم، الذي من حقه عليك أن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه؟ ولا تغتر بحلمه وكرمه. إن قلت: كونه كريماً يقتضي أنه يغتر الإنسان بكرمه لأنه جواد، وهو يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب، فهذا يقتضي الاغترار به، فكيف جعله هنا مانعاً منه؟ أجيب: بأن الآية واردة لتهديد الكافر والعاصي، حيث أنعم عليه بتلك النعم، وكلفه بشكرها وأوعد من كفر بالعذاب الدائم، فلم يقم بشكرها، فتضمنت مخالفته استخفافه بالنعمة وبأوامر المنعم ونواهيه، فليس في الآية ما يقتضي الاغترار، كما تزعمه الحشوية حيث يقولون: إنما قال ﴿ربك الكريم﴾ دون سائر صفاته، ليلقن عبده الجواب حتى يقول: غرني كرم الكريم، ففي الحديث لما تلا هذه الآية قال: «غره جهله». وقال عمر: غره حمقه وجهله. وقال الحسن: غره والله شيطانه الخبيث. قوله: [حتى عصيته] أي بالكفر، وجحد الرسل وإنكار ما أتوا به.

قوله: ﴿الذي خلقك﴾ أي أوجدك من العدم. قوله: ﴿فسواك﴾ أي جعل أعضاءك سليمة مستوية تامة المنافع. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما سبعيتان، فالتسوية ترجع إلى عدم النقصان في الأعضاء، والتعديل يرجع إلى نفي العوج والقبح. قوله: ﴿في أي صورة﴾ متعلق بركبك، و﴿شاء﴾ صفة لصورة، والمعنى: ركبك في أي صورة من الصور التي اقتضتها مشيئته، من طول وقصر وذكورة وأنوثة. قوله: ﴿بل تكذبون﴾ إضراب انتقالي إلى بيان ما هو السبب الأصلي في اغترارهم، كأنه قال: إنكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وإرشادي لكم، بل تكذبون.

قوله: ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ الخطاب وإن كان مشافهة، إلا أن الآية عامة بالإجماع لجميع المكلفين، والجملة حالية من الواو في ﴿تكذبون﴾. قوله: [من الملائكة] أي فكل واحد من الآدميين له ملكان، ملك عن يمينه يكتب الحسنات، وآخر عن يساره يكتب السيئات. وقيل: اثنان بالليل، واثنان بالنهار، واختلفوا في الكفار فقيل: ليس عليهم حفظة، لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد، وقيل: عليهم حفظة لظاهر هذه الآية. إن قلت: فأي شيء يكتب الذي على يمينه مع أنه لا حسنة له؟ أجيب: بأن الذي عن شماله يكتب بإذن صاحب اليمين، فيكون شاهداً على ذلك، فالمراد بالحفظة هنا، حفظة الأعمال الكاتبون لها، وأما حفظة البدن فهم المذكورون في قوله تعالى ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ وفي هذه الآية دليل على أن الشاهد لا يشهد، إلا بعد العلم، لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراماً كاتبين، يعلمون ما يفعلون.

قوله: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ شروع في بيان ما يكتبون لأجله، كأنه قيل: يكتبون الأعمال ليجازي الأبرار بالنعيم. قوله: ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾ أل في الفجار للعهد الذكري، أي المتقدم ذكرهم في قوله: ﴿بل تكذبون

﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[١٥]: الجزاء ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾[١٦]: بمخرجين ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[١٧] ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[١٨]: تعظيم لشأنه ﴿يَوْمَ﴾: بالرفع أي هو يوم ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾: من المنفعة ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[١٩]: لا أمر لغيره فيه أي لم يمكن أحداً من التوسط فيه بخلاف الدنيا.

بالدين﴾. قوله: ﴿يصلونها﴾ الجملة مستأنفة أو حالية من الضمير في خبر ﴿إن﴾. قوله: [الجزاء] أي الذي كانوا يكذبون به. قوله: ﴿وما أدراك﴾ ﴿ما﴾ اسم مبتدأ، وجملة ﴿أدراك﴾ خبره، والكاف مفعول أول، وجملة ﴿ما يوم الدين﴾ من المبتدأ والخبر، سدت مسد المفعول الثاني، والاستفهام الأول للانكار، والثاني للتعظيم والتهويل، والمعنى: وأي شيء أدراك عظم يوم الدين وشدة هوله، أي لا علم لك به إلا بإعلام منا.

قوله: ﴿يوم﴾ بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان، فالرفع على أنه خبر لمحذوف أي هو يوم، والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف، وقرىء شذوذاً برفعه منوناً لقطعه عن الإضافة، والجملة بعده نعت له. قوله: ﴿شيئاً﴾ [من المنفعة] جواب عما يقال: إن بعض الناس المقبولين يملكون الشفاعة لغيرهم، فالجواب أن المنفي ثبوت الملك بالاستقلال، والشفاعة ليست كذلك، بل لا تكون إلا بإذن خاص. قوله: ﴿والأمر يومئذ لله﴾ أي ظاهراً أو باطناً، فلا تصرف لغيره فيه أصلاً. قوله: [بخلاف الدنيا] أي فالعبيد متصرفون فيها، وينسب لهم الملك والأمر والنهي ظاهراً.

* *

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

سورة التطفيف

[مكّيّة أو مدنية وهي ست وثلاثون آيةً]

﴿وَيْلٌ﴾: كلمةُ عَذاب أو واد في جهنم ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾١ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى﴾: أي مِنَ ﴿ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾٢:

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة التطفيف مكية أو مدنية وهي ست وثلاثون آية

وتسمى سورة المطففين. قوله: [مكية أو مدنية] أو لحكاية الخلاف، فالأول: قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل في أحد قوليه. والثاني: قول الحسن وابن عباس وعكرمة ومقاتل في قوله الآخر؛ وهذان قولان من أربعة أقوال. ثالثها: أنها نزلت بين مكة والمدينة. رابعها: كلها مدنية إلا قوله ﴿إن الذين أجرموا﴾ إلى آخر السورة فمكي، والمشهور أنها مدنية، لما روي عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك، قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا، وروي عنه أيضاً قال: هي أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ساعة نزل بالمدينة، وكان هذا فيهم، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح، وإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان، فلما نزلت هذه السورة انتهوا، فهم أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا، وقال جماعة: نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة واسمه عمرو، وكان له صاعان، يأخذ بواحد، ويعطي بآخر، ومناسبتها لما قبلها، أنه لما ذكر حال السعداء والأشقياء فيما قبلها، ذكر هنا ما أعد لبعض العصاة، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد يغني أحدهما ويفقر الآخر، ثم ذكر فيها ما أعد للكفار عموماً، وللمطيعين عموماً.

قوله: ﴿ويل﴾ مبتدأ، سوغ الابتداء به كونه دعاء، و﴿للمطففين﴾ خبره، وهذا على أنه كلمة عذاب، وأما على أنه اسم للوادي فهو معرفة، ويجوز نصبه في غير هذا الموضع، ويختار فيما إذا كان مضافاً أو معرفاً. قوله: [كلمة عذاب] أي معلمة بشدة عذابهم في الآخرة، فهو دعاء عليهم بالهلاك، وقوله: [أو واد في جهنم] أي يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، فهما قولان، ويمكن الجمع بأن الويل له اطلاقان.

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج النسائي وابن ماجة بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أبخس الناس كيلا، فأنزل الله ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

الكَيل ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾: أي كالوا لهم ﴿أَو وَزَنُوهُمْ﴾: أي وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾٣: ينقصون الكيل أو الوزن ﴿أَلَا﴾: استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾: يتيقن ﴿أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾٤ ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾٥: أي فيه وهو يوم القيامة ﴿يَوْمَ﴾: بدل من محل ليوم فناصبه مبعوثون ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾: من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾٦: الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه ﴿كَلَّا﴾: حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾: أي كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾٧: قيل هو كتاب جامع لأعمال

قوله: ﴿للمطففين﴾ جمع مطفف، وهو الذي يأخذ في كيل أو وزن شيئاً قليلاً، ومنه قولهم دون الطفيف، أي الشيء التافه لقلته، وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائداً، ويدفع إلى غيره ناقصاً قليلاً أو كثيراً، لكن إن لم يتب منه، فإن تاب قبلت توبته، ومن فعل ذلك وأصر عليه، كان مصراً على كبيرة من الكبائر، وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات، وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع، فلهذا السبب، عظم الله أمر الكيل والوزن، قال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق، فيكون عرقهم على قدر تفاوتهم في التطفيف، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وفي الحديث الصحيح: «خمس بخمس، ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة أي الزنا إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين من القحط، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر».

قوله: ﴿على الناس﴾ متعلق باكتالوا، و﴿على﴾ بمعنى [من] كما قال المفسر، ويصح أن يكون متعلق يستوفون، قدم لإفادة الاختصاص، والمعنى: يستوفون على الناس خاصة، وأما لأنفسهم فيستوفون لها. قوله: ﴿يستوفون﴾ أي يزيدون على حقهم، وليس المراد يستوفون حقهم فقط، إذ ليس في ذلك نهي. قوله: [أي كالوا لهم] أشار بذلك إلى أن ضمير ﴿هم﴾ في محل نصب مفعول لكالوا، تعدى إليه الفعل بنفسه بعد حذف اللام، وليس ضمير رفع مؤكداً للواو. قوله: ﴿أو وزنوهم﴾ حذفه مما تقدم لدلالة هذا عليه. قوله: ﴿يخسرون﴾ جواب ﴿إذا﴾. قوله: [استفهام توبيخ] أي فلا نافية، دخل عليها همزة الاستفهام، فألا هنا ليست استفتاحية، بل هي همزة الاستفهام، دخلت على لا النافية، فأفادت التوبيخ والإنكار.

قوله: ﴿ألا يظن أولئك﴾ الخ، أشار المفسر إلى أن الظن بمعنى اليقين، أي لا يوقن أولئك، إذ لو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن، وقيل: الظن بمعنى التردد، والمعنى: إن كانوا لا يستيقنون بالبعث، فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويأخذوا بالأحوط، وأولئك إشارة للمطففين، أتى بها نظراً إلى بعدهم عن مرتبة الأبرار، وعدهم من الأشرار. قوله: [فناصبه مبعوثون] أي مقدراً، لأن البدل على نية تكرار العامل. قوله: [حقاً] أي فكلا كلام مستأنف، فالوقف على ما قبلها، وقيل: إنها كلمة ردع وزجر، والمعنى: ليس الأمر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان، فعلى هذا يكون الوقف عليها. قوله: ﴿الفجار﴾ أظهر في مقام الإضمار، تسجيلاً عليهم بهذا الوصف الشنيع. قوله: [أي كتب أعمال الكفار] أشار بذلك إلى أن ﴿كتاب﴾ بمعنى كتب، والكلام على حذف مضاف، وبذلك اندفع ما يلزم من ظرفية الشيء في نفسه.

قوله: ﴿لفي سجين﴾ اختلف في نونه فقيل: أصلية مشتق من السجن وهو الحبس، وقيل: بدل من اللام مشتق من السجل وهو الكتاب. قوله: [قيل هو كتاب جامع] أي ديوان الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الثقلين، موضع تحت الأرض السابعة، في مكان مظلم موحش، وهو مسكن إبليس وذريته، يذهبون إليه ليستوفوا جزاء

الشياطين والكفرة وقيل هو مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ٨: ما كتاب سجين ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ٩: مختوم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٠ ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ١١: الجزاء بدل أو بيان للمكذبين ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: متجاوز الحد ﴿أَثِيمٍ﴾ ١٢: صيغة مبالغة ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣: الحكايات التي سطرت قديماً جمع أسطورة بالضم أو إسطارة بالكسر ﴿كَلَّا﴾: ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾: غلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: فغشيها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٤: من المعاصي فهو كالصدأ ﴿كَلَّا﴾: حقاً ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ ١٥: فلا يرونه ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ١٦: لداخلوا النار المحرقة ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾: لهم ﴿هَذَا﴾: أي العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ١٧ ﴿كَلَّا﴾: حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾: أي كتاب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل هو كتاب جامع

أعمالهم. قوله: [وقيل هو مكان] الخ، أي فهو اسم موضع، وعليه فقوله الآتي ﴿وما أدراك ما سجين﴾ على حذف مضاف والتقدير [ما كتاب سجين] كما ذكره المفسر، والإضافة على معنى في، وقد يجمع بأن ﴿سجين﴾ اسم الكتاب والموضع معاً. قوله: [وهو محل إبليس] الخ، أي وفيه أرواح الكفار.

قوله: ﴿وما أدراك﴾ ﴿ما﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿أدراك﴾ خبره، و﴿ما سجين﴾ مبتدأ وخبر، والجملة سادة مسد المفعول الثاني، والاستفهام الأول للإنكار، والثاني للتفخيم والتعظيم. قوله: ﴿مرقوم﴾ بيان للكتاب المذكور في قوله: ﴿إن كتاب الفجار﴾ والمعنى: أن هذا الكتاب مكتوب فيه أعمالهم مثبتة، كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى، وقيل: الرقم الختم بلغة حمير، وعليه مشى المفسر، والمعنى: أن هذا الكتاب مرقوم بعلامة يعرف أنه كافر. قوله: [أو بيان] أي أو نعت. قوله: [ردع وزجر] أي للمتعدي الأثيم عن ذلك القول الباطل، فهي حرف، وقال الحسن: إن ﴿كلا﴾ بمعنى حقاً.

قوله: ﴿بل ران﴾ أي احاط وغطي كتغطية الغيم للسماء، ورد: أن المؤمن إذا اذنب ذنباً، نكتت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإذا زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلكم الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه المبين، وقال أبو معاذ: الرين أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب، وهو اشد من الرين، والإقفال اشد من الطبع، وهو أن يقفل على القلب، قال تعالى ﴿أم على قلوب أقفالها﴾. قوله: [حقاً] وقيل: حرف ردع وزجر، أي ليس الأمر كما يقولون، بل ﴿إنهم عن ربهم﴾ الخ. قوله: [فلا يرونه] هذا هو الصحيح، وقيل: يرونه ثم يحجبون حسرة وندامة. قوله: ﴿ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ ثم للتراخي في الرتبة، فإن صلي الجحيم أشد من الإهانة والحرمان من الرحمة والكرامة. قوله: ﴿ثم يقال﴾ [لهم] أي من طرف الخزنة على سبيل التقريع والتوبيخ. قوله: ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ أي في الدنيا. قوله: ﴿كلا إن كتاب الأبرار﴾ بيان لمحل كتاب الأبرار، وما أعد لهم من النعيم الدائم، إثر بيان محل كتاب الفجار، وما أعد لهم من العذاب الدائم. قوله: [حقاً] وقيل: حرف ردع وزجر، فتحصل أن في كل واحدة من الأربعة الواقعة في هذه السورة قولين.

قوله: ﴿لفي عليين﴾ اسم مفرد على صيغة الجمع لا واحد له، من لفظه سمي بذلك، إما لأنه سبب العلو إلى أعلى الدرجات في الجنة، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة، علماً ورد مرفوعاً «عليين في السماء السابعة تحت العرش». قوله: [قيل هو كتاب] الخ، أي فهو علم على ديوان الخير الذي دون فيه كل عمل صالح للثقلين، ورد: «أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه، أوحي إليهم: أنتم حفظة على

لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ١٩ ما كتاب عليين؟ هو ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ ٢٠: مختوم ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ٢١: من الملائكة ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ٢٢: جنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَائِكِ﴾: السرر في الحجال ﴿يَنظُرُونَ﴾ ٢٣: ما أعطوا من النعيم ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ ٢٤: بهجة التنعم وحسنه ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾: خمر خالصة من الدنس ﴿مَّخْتُومٍ﴾ ٢٥: على إنائها لا يفك ختمه إلا هم ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾: أي آخر شربه يفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾ ٢٦: فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله ﴿وَمِزَاجُهُ﴾: أي ما يمزج به ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ ٢٧:

عبدي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه أخلص عمله، فاجعلوه في عليين وقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل العبد فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله، أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبدي، وأنا الرقيب على قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله، فاجعلوه في سجين، قال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيه، وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى، وقال بعض أهل المعنى: هو علو بعد علو، وشرف بعد شرف. قوله: [من الملائكة] ظاهره أن الملائكة تكتب أعمالهم ويثابون عليها، وانظر في ذلك. قوله: [وقيل هو مكان] الخ، قد يجمع بأن ﴿عليين﴾ اسم لكل من الكتاب والمكان. قوله: [ما كتاب عليين] هذا التقدير إنما يحتاج له على القول الثاني في تفسير ﴿عليين﴾ لا على الأول. قوله: [مختوم] وقيل: الرقم الكتاب، والمعنى مكتوب فيه: إن فلاناً أمن من النار. قوله: ﴿يشهده المقربون﴾ أي يحضرونه ويحفظونه ويشهدون بما فيه.

قوله: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ شروع في بيان عاقبة أمرهم، إثر بيان حال كتابهم، على سنن ما مر في شأن الكفار. قوله: [السرر في الحجال] جمع حجلة بفتحتين، بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير، يسمى في العرف الناموسية. قوله: ﴿ينظرون﴾ الجملة حالية من الضمير في خبر ﴿إن﴾ أو مستأنفة، وقوله: ﴿على الأرائك﴾ متعلق بينظرون. قوله: ﴿تعرف في وجوههم﴾ الخ، أي إنك إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل النعمة، لما ترى في وجوههم من الحسن والبياض، وفي قلوبهم من السرور والفرح، والخطاب للنبي ﷺ أو لكل من تصح منه المعرفة، وهذه قراءة العامة، وقرأ أبو جعفر بالتاء مبنياً للمفعول و﴿نضرة﴾ بالرفع نائب فاعل، وقرىء بالياء مبنياً للمفعول أيضاً مع رفع ﴿نضرة﴾ نظراً إلى أن التأنيث مجازي. قوله: [بهجة التنعم] الخ، أي لعدم ما يكدره من الأمراض والعلل وخوف الزوال وغير ذلك. قوله: [خالصة من الدنس] أي الكدر، قال تعالى ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾. قوله: ﴿مختوم﴾ [على إنائها] أي لشرفها ونفاستها، إن قلت: في سورة محمد ﷺ ﴿وأنهار من خمر﴾ والنهر لا ختم فيه، فكيف طريق الجمع بين الآيتين؟ أجيب: بأن هذه الأواني غير خمر الأنهار.

قوله: ﴿ختامه مسك﴾ صفة ثانية لرحيق، وفي قراءة سبعية أيضاً خاتمه بتاء مفتوحة بعد الألف بيان للجنس الخاتم، وقرىء شذوذاً بكسر التاء، والمعنى خاتم رائحته مسك. قوله: [يفوح منه رائحة المسك] أي إن رائحة المسك تظهر في آخر الشراب، فوجه التخصيص أن في العادة يمل آخر الشراب في الدنيا، فأفاد أن آخر الشراب، يفوح منه رائحة المسك، فلا يمل منه. قوله: ﴿وفي ذلك﴾ إشارة للرحيق وما بعده، أو إلى ما ذكر من أحوال الأبرار. قوله: ﴿المتنافسون﴾ أي الذين شأنهم المنافسة، بكثرة الأعمال الصالحة والنيات الخالصة، لعلو همتهم وطهارة نفوسهم، قال تعالى ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾. قوله: ﴿من تسنيم﴾ اسم للعين، سميت بذلك لما روي أنها تجري في الهواء مسنمة، فتصب في أواني أهل الجنة على مقدار الحاجة، فإذا امتلأت أمسكت، فالمقربون يشربونها

فسّر بقوله ﴿عَيْنًا﴾: فنصبه بالمدح مقدراً ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [٢٨]: أي منها أو ضمن يشرب معنى يلتذ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: كأبي جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: كعمار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ [٢٩] استهزاء بهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾: أي المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [٣٠]: أي يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا﴾: رجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [٣١]: وفي قراءة: فكهين معجبين بذكرهم المؤمنين ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: رأوا المؤمنين ﴿قَالُوٓا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [٣٢]: لإيمانهم بمحمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا﴾: أي الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ [٣٣]: لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: أي يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [٣٤] ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: في الجنة ﴿يَنظُرُونَ﴾ [٣٥]: من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾: جوزي ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [٣٦]: نعم.

صرفاً، وتمزج لسائر أهل الجنة. قوله: [أو ضمن] أشار بذلك إلى أن التضمين إما في الحرف أو في الفعل.

قوله: ﴿إن الذين أجرموا﴾ الخ؛ لما ذكر الله تعالى كرامة الأبرار في الآخرة، ذكر بعد قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا؛ تسلية للمؤمنين وتقوية لقلوبهم. قوله: [كأبي جهل ونحوه] أي وهو الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل وأصحابهم من أهل مكة. قوله: [ونحوهما] أي كخباب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين. قوله: [رجعوا] أي من مجالسهم. قوله: ﴿انقلبوا فاكهين﴾ أي متلذذين برفعتهم ومكانتهم الموصلة إلى الاستسخار بغيرهم، ففي الحديث: «إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر». وفي رواية: «ويكون المؤمن فيهم أذل من الأمة». وفي أخرى: «العالم فيهم أنتن من جيفة حمار» والله المستعان. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [معجبين] راجع للقراءتين، أي متلذذين بذكرهم المؤمنين وبالضحك.

قوله: ﴿وإذا رأوهم﴾ الضمير المرفوع عائد على المجرمين، أو المنصوب عائد على المؤمنين، أي إذا رأى المجرمون المؤمنين نسبوهم إلى الضلال. قوله: [لإيمانهم بمحمد] الخ؛ أي فهم يرون أنهم على هدى، والمؤمنون على ضلال، حيث تركوا النعيم الحاضر، بسبب شيء غائب لا يرونه. قوله: ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ حال من الواو في ﴿قالوا﴾ أي قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم. قوله: [حتى يردوهم إلى مصالحهم] أي بل أمروا بإصلاح أنفسهم لا بإصلاح المؤمنين.

قوله: ﴿فاليوم﴾ منصوب بـ ﴿يضحكون﴾ الواقع خبراً عن المبتدإ، ولا يضر تقدمه على المبتدإ لأمن اللبس، وذلك أن الظرف المبهم لا يصح وقوعه خبراً عن المبتدإ، بخلاف: في الدار زيد قام، فلا يجوز تقديم الجار والمجرور على المبتدإ؛ لصلاحيته للخبرية. قوله: ﴿ينظرون﴾ حال من ضمير ﴿يضحكون﴾. قوله: [من منازلهم] قال كعب: لأهل الجنة كوى، ينظرون منها إلى أهل النار، وقيل: حصن شفاف بينهم يرون منه حالهم، وفي سبب هذا الضحك وجوه منها: أن الكفار كانوا في ترفه ونعيم، فيضحكون من المؤمنين بسبب ما هم فيه من البؤس والضر، وفي الآخرة ينعكس الحال؛ فيكون المؤمنون في النعيم، والكفار في الجحيم. ومنها: أنه يقال لأهل النار وهم فيها اخرجوا، وتفتح أبوابها لهم، فإذا رأوها وقد فتحت أبوابها، أقبلوا عليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى أبوابها، أغلقت دونهم، يفعل ذلك بهم مراراً. ومنها: أنهم إذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الأرائك، ينظرون إلى الكفار كيف يعذبون في النار، يرفعون أصواتهم بالويل والثبور، ويلعن بعضهم بعضاً، فهذا سبب ضحكهم.

. . . .

قوله: ﴿هل ثوب الكفار﴾ الخ، يحتمل أنه مقول قول محذوف، والتقدير: يقول الله لأهل الجنة، أو يقول بعض المؤمنين لبعض: ﴿هل ثوب﴾ الخ، ويحتمل أنه متعلق بينظرون، والمعنى: ينظرون هل جوزي الكفار؟ فمحلها نصب، إما بالقول المحذوف، أو ينظرون، وقوله: [جوزي] إشارة إلى أن التثويب بمعنى الجزاء، وهو يكون في الخير والشر، والمراد هنا الثاني، وقوله: [نعم] جواب الاستفهام على كل.

**

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة الانشقاق

[مكية وهي ثلاث أو خمس وعشرون آية]

﴿إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ١ وَأذِنَتْ﴾: سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾٢: أي وحق لها أن تسمع وتطيع ﴿وَإذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾٣: زيد في سعتها كما يمد الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾: من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾٤: عنه ﴿وَأَذِنَتْ﴾: سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾٥: وذلك كله يكون يوم القيامة وجواب إذا وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقي الإنسان عمله ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث أو خمس وعشرون آية

قوله: ﴿إذا السّماء انشقت﴾ أي انصدعت بغمام يخرج منها، وهو البياض في جوانب السماء لتنزل الملائكة، قال تعالى ﴿ويوم تشقق السّماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا﴾. قوله: ﴿وأذنت لربها﴾ أي انقادت لأمره. قوله: [سمعت وأطاعت] أي فشبه حال السّماء في انقيادها، بتأثير قدرة الله تعالى، حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطيع لأمره، وذلك أن السّماوات لما علمت مراد الله، وتعلقت إرادته بانشقاقها، سلمت وفوضت أمرها، ولم تنازع في ذلك. قوله: ﴿وحقت﴾ بالبناء للمفعول، والفاعل في الأصل محذوف وهو الله تعالى، وكذا المفعول، والأصل وحق الله عليها استماعها، فحذف الفاعل ثم المفعول، واسند الفعل إلى ضمير السماوات. والمعنى: وحق الله لها استماعها لعلمها بأن مراد الله نافذ، فهي أهل لأن تسمع وتطيع، قال تعالى ﴿قالتا أتينا طائعين﴾.

قوله: ﴿وإذا الأرض مدت﴾ أي بسطت ودكت جبالها. قوله: [كما يمد الأديم] أي وهو الجلد، لأنه إذا مد زال كل انثناء فيه، وامتد واستوى. قوله: [ولم يبق عليها بناء ولا جبل] أي فيزاد في سعتها، لوقوف الخلائق عليها للحساب، حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه، لكثرة الخلائق فيها، وظاهر الآية أن الأرض تمد مع بقائها، وليس كذلك، بل تبدل بأرض أخرى بدليل آية ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾. قوله: [من الموتى] أي والكنوز والمعادن والزروع. قوله: ﴿وتخلت﴾ أي خلا جوفها، فلم يبق في بطنها شيء. قوله: ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ ليس تكراراً، لأن هذا في الأرض، وما تقدم في السّماوات. قوله: [وأطاعت في ذلك] أي الإلقاء والتخلي. قوله: [دل عليه ما بعده] أي وهو قوله: ﴿فملاقيه﴾. قوله: [تقديره لقي الإنسان] الخ قدره غيره علمت نفس وهو أحسن، لأنه تقدم في التكوير والانفطار، وخير ما فسرته بالوارد.

قوله: ﴿يا أيها الإنسان﴾ الخ يحتمل أن المراد به الجنس، وبه قال سعيد وقتادة، ويحتمل أنه معين وهو

كَادِحٌ﴾: جاهد في عملك ﴿إِلَى﴾: لقاء ﴿رَبِّكَ﴾: وهو الموت ﴿كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[٦]: أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾: كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِ﴾[٧]: هو المؤمن ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾[٨]: هو عرض عمله عليه كما في حديث الصحيحين وفيه من نوقش الحساب هلك وبعد العرض يتجاوز عنه ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾: في الجنة ﴿مَسْرُوراً﴾[٩]: بذلك ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[١٠]: هو الكافر تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾: عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُوراً﴾[١١]: ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه ﴿وَيَصْلَى سَعِيراً﴾[١٢]: يدخل النار الشديدة وفي قراءة: بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾: عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُوراً﴾[١٣]: بطراً باتباعه لهواه ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿لَنْ يَحُورَ﴾[١٤]: يرجع إلى ربه ﴿بَلَى﴾: يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾[١٥]: عالماً برجوعه إليه ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: لا زائدة ﴿بِالشَّفَقِ﴾[١٦]: هو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾[١٧]:

الأسود بن عبد الأسد، وقيل أبي بن خلف، وقيل جميع الكفار. قوله: ﴿إنك كادح﴾ الكدح العمل والكسب والسعي. قوله: ﴿إلى ربك﴾ ﴿إلى﴾ حرف غاية، والمعنى غاية كدحك في الخير أو الشر، ينتهي بلقاء ربك وهو الموت. قوله: ﴿فملاقيه﴾ إما معطوف على ﴿كادح﴾ وخبر مبتدأ محذوف، أي فأنت ملاقيه، والجملة معطوفة على جملة ﴿إنك كادح﴾. قوله: [أي ملاق عملك] أشار بذلك إلى أن الضمير في ملاقيه، عائد على الكدح الذي هو بمعنى العمل، والكلام على حذف مضاف، أي ملاق حسابه وجزاءه، ويصح أن يكون عائداً على الله تعالى، والمعنى ملاق ربه فلا مفر له منه. قوله: [هو المؤمن] أي ولو عاصياً مستحقاً للنار. قوله: [هو عرض عمله عليه] أي بأن تعرض أعماله، ويعرف أن الطاعة منها هذه، وأن المعصية هذه، ثم يثاب على الطاعة، ويتجاوز عن المعصية، فهذا هو الحساب اليسير، لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة، ولا يقال له: لم فعلت هذا؟ ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه. قوله: [كما فسر في حديث الصحيحين] أي وهو ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب عذب» قالت عائشة فقلت: أوليس يقول الله عز وجل ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب هلك» وفي رواية عذب.

قوله: ﴿وينقلب﴾ أي يرجع بنفسه. قوله: ﴿إلى أهله﴾ أي من الآدميات والحور العين وأصوله وفروعه. قوله: [وراء ظهره] منصوب بنزع الخافض. قوله: [تغل يمناه] الخ، قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾. قوله: [ينادي هلاكه] أي يتمناه إذ نداء ما لا يعقل هو تمنيه. قوله: [بطراً] أي فخراً أو رياء، فأبدله الله بذلك حزناً وغماً لا ينقطع أبداً. قوله: ﴿إنه ظن﴾ أي تيقن وعلم. قوله: [مخففة من الثقيلة] أي ولا يصح أن تكون مصدرية، لما يلزم عليه من دخول الناصب على مثله، والجملة سادة مسد مفعولي ﴿ظن﴾. قوله: [يرجع إلى ربه] أي فالحور الرجوع والتردد في الأمر وبابه قال ودخل. قوله: ﴿بلى﴾ جواب النفي، وقوله: ﴿إن ربه﴾ الخ، جواب قسم مقدر، فهو بمنزلة التعليل للجملة المستفاد من ﴿بلى﴾.

قوله: ﴿فلا أقسم﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر، أي إذا عرفت هذا ﴿فلا أقسم﴾ الخ. قوله: ﴿بالشفق﴾ أي وهو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس، وهو الحمرة التي تكون عند ذلك سمي شفقاً لرقته، ومنه الشفقة على الإنسان، وهي رقة القلب عليه. قوله: ﴿وما وسق﴾ ﴿ما﴾ موصول اسمي أو نكرة موصوفة أو مصدرية.

جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ ١٨ : اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ : أيها الناس أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال والواو لالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ ١٩ : حالاً بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ : أي الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٠ : أي أي مانع لهم من الإيمان أو أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه ﴿وَ﴾ : ما لهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ ٢١ : يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ ٢٢ : بالبعث وغيره ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ٢٣ : يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ : أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢٤ : مؤلم ﴿إِلَّا﴾ : لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ ٢٥ : غير مقطوع ولا منقوص ولا يمن به عليهم.

قوله: [جمع ما دخل عليه] أي ضم ما كان منتشراً بالنهار من الخلق والدوات والهوام. قوله: [وغيرها] أي كالأشجار والبحار، فإنه إذا دخل الليل انضم وسكن. قوله: [وذلك في الليالي البيض] أي وهي ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر.

قوله: ﴿لتركبن﴾ جواب القسم، بضم الباء خطاب للجمع، وبفتحها خطاب للواحد، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿طبقاً﴾ مفعول به أو حال. قوله: [بعد حال] أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد صفة لطبق. قوله: [وهو الموت ثم الحياة] الخ هذا قول ابن عباس، وقال عكرمة: رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ، وقيل: المعنى لتركبن سنن من قبلكم وأحوالهم. قوله: ﴿فمالهم﴾ الفاء لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجيب على ما قبلها، من أحوال يوم القيامة وأهواله الموجبة للإيمان لظهور الحجة، لأن ما أقسم به من التعبيرات العلوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة، يبعد عمن له عقل عدم الإيمان به والانقياد له.

قوله: ﴿وإذا قرىء عليهم القرآن﴾ أي من أي قارىء، وهذا شرط، وجوابه ﴿لا يسجدون﴾ وهذه الجملة الشرطية في محل نصب على الحال، معطوفة على الحال السابقة وهي قوله: ﴿لا يؤمنون﴾. قوله: [لا يخضعون] أي فالمراد بالسجود اللغوي لا العرفي، وهذا أحد قولين، والآخر أن المراد به السجود الحقيقي الذي هو سجود التلاوة، وقد اختلف الأئمة في ذلك. قوله: [في صحفهم] الأوضح أن يقول في صدورهم، لأن الوعي معناه لغة الحفظ. قوله: [لكن] ﴿الذين آمنوا﴾ الخ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن ما قبل إلا في الكفار لا غير. قوله: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ استئناف مقرر لما أفادة الاستثناء.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة البروج

[مكية وهي إثنتان وعشرون آية]

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[١]: الكواكب اثني عشر برجاً تقدمت في الفرقان ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾[٢]: يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ﴾: يوم الجمعة ﴿وَمَشْهُودٍ﴾[٣]: يوم عرفة كذا فسرت الثلاثة في الحديث فالأول موعود به والثاني: شاهد بالعمل فيه والثالث: تشهده الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد ﴿قُتِلَ﴾: لعن ﴿أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[٤]: الشق في الأرض ﴿النَّارِ﴾: بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ الْوَقُودِ﴾[٥]: ما توقد به ﴿إِذْ هُمْ

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة البروج مكية

وهي إثنتان وعشرون آية

حكمة نزول هذه السورة، تثبيت المؤمنين على إيمانهم وصبرهم على أذى الكفار، بتذكيرهم بما جرى لمن تقدمهم. قوله: ﴿ذات البروج﴾ أي صاحبة الطرق والمنازل التي تسير فيها الكواكب السبعة؛ سميت بروجاً لظهورها، لأن البرج في الأصل الأمر الظاهر من التبرج، ثم صار حقيقة عرفية للقصر العالي لظهوره. قوله: [تقدمت في الفرقان] نصه هناك ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو. انتهى. قوله: ﴿واليوم الموعود﴾ أي الموعود به، ففيه الحذف والإيصال. قوله: [يوم الجمعة] خص مع أن باقي الزمان يشهد كذلك لاختصاصه بمزية، وهي كونه فيه ساعة إجابة واجتماع الناس. قوله: [كذا فسرت الثلاثة في الحديث] أي وهو ما روي: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة» أخرجه الترمذي، واختلف في تفسير الشاهد والمشهود على أقوال كثيرة: منها ما ذكره في الحديث، ومنها الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة، ومنها الشاهد هو الله والمشهود يوم القيامة، ومنها الشاهد هم الأنبياء والمشهود عليهم هم الأمم، ومنها الشاهد أعضاء الإنسان والمشهود عليه هو ابن آدم، ومنها غير ذلك، والأحسن أن يراد ما هو أعم. ولذلك نكرهما ليعم كل شاهد ومشهود. قوله: [محذوف صدره] أي لأن المشهور عن النحاة أن الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام، وقد لا يجوز الاقتصار على أحدهما، إلا عند طول الكلام أو في ضرورة. قوله: [تقديره لقد] ﴿قتل﴾ الخ، أي وعليه فالجملة خبرية، والأصل فيها الدعاء. قوله: [الشق في الأرض] أي فالأخدود مفرد وجمعه أخاديد. قوله: [بدل اشتمال منه] أي

عَلَيْهَا﴾: أي حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٌ ۝﴾: حضور روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار إلى من ثم فأحرقتهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾: في

لأن الأخدود مشتمل على النار. قوله: [ما توقد به] أي فالوقود بالفتح الاسم، وأما بالضم فهو المصدر. قوله: ﴿إذ هم عليها قعود﴾ ظرف لـ ﴿قتل﴾ والمعنى: لعنوا حين حرقوا بالنار قاعدين عليها في مكان مشرف عليها من حافات الأخدود.

قوله: ﴿شهود﴾ أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك، بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به، فهو من الشهادة بمعنى تأدية الخبر، أو المراد شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين، فهو من الشهادة بمعنى الحضور، وعليه اقتصر المفسر. قوله: [روي أن الله أنجى المؤمنين] الخ أي وكانوا سبعة وسبعين، وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم، والذين رجعوا عشرة أو أحد عشرة. وقوله: [إلى من ثم] أي إلى من هم قعود على الأخدود، ولم يرد نص بتعيينهم، واعلم أنه اختلف المفسرون في أصحاب الأخدود، فروي عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلمّا كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه، فإذا أتى أهله ضربوه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجراً ثم قال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، فمضى الناس، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس بسائر الأدواء، فسمع جليس الملك وكان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما هنالك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله عز وجل، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: الله ربي وربك، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام، فجيء بالغلام فقال الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عز وجل، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع ثم تأخذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني،

مَلكه ﴿الْحَمِيدِ﴾٨: المحمود ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾٩: أي مَا أنكر الكُفار على المؤمنين إلاّ إيمانهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: بالإحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾١٠: أي عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة وقيل في الدنيا بأن خرجتْ النار فأحرقتهم كما تقدم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾١١ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾: بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ﴾١٢: بحَسَب إرادته ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾: الخلق ﴿وَيُعِيدُ﴾١٣: فلا

فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كِنانته، ثم وضع السهم في كبدِ القوس ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثاً، فأتى الملكَ فقال له: أرأيتَ ما كنتَ تحذر؟ فقد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود فخدت بأفواه السكك، وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنكِ على الحق». وروي عن مقاتل: كانت الأخاديد ثلاثة: واحدة بنجران باليمن، وأخرى بالشام، وأخرى بفارس، حرق أصحابها بالنار. أما التي بالشام والتي بفارس، فلم ينزل الله فيهما قرآناً، وأنزل في التي كانت بنجران، وذلك أن رجلاً مسلماً ممن يقرأ الإنجيل أجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنتُ المستأجر النور يعني من قراءة الإنجيل، فذكرت لأبيها فسأله فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون إنساناً ما بين رجل وامرأة، وهذا بعدَ ما رفع عيسى إلى السماء، وقبل مَبعث النبي ﷺ بسبعين سنة، فسمع ذلك الرجل اسمه يوسف بن ذي نواس، فخدَّ لهم في الأرض وأوقد لهم فيها، فعرضهم على الكفر، فمن أبى أن يكفر قذفه في النار، ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه. وروي أن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم، فلما قامت على شفير الخندق، نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار، فضُربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع، فقال لها ابنها: يا أماه إني أرى أمامك ناراً لا تطفأ، يعني نار جهنم، إن لم تقعي في هذه النار، فلما سمعت ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار، فجعلهما الله في الجنة، فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعين إنساناً. وروي غير ذلك.

قوله: ﴿وما نقموا منهم﴾ الخ، أي ما عابوا منهم إلاّ إيمانهم، وإنما عبر بالمستقبل مع أن الإيمان وقع منهم في الماضي، لأن تعذيبهم والإنكار ليس للإيمان الذي وجد منهم في الماضي، بل لدوامهم عليه في المستقبل، إذ لو كفروا في المستقبل، لما عذبوا على ما مضى، فكأنه قال: إلاّ أن يستمروا على إيمانهم. قوله: ﴿الذي له ملك السماوات والأرض﴾ بيان لكونه العزيز الحميد. قوله: ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ فيه وعد ووعيد.

قوله: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين﴾ الخ، أي حرقوهم بالنار، يقال: فتنتُ فلاناً إذا حرقته. قوله: ﴿ثم لم يتوبوا﴾ أي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر، وفيه دليل على أنهم إن تابوا وآمنوا قبلهم، وأخرجهم من هذا الوعيد، والتعبير بثم إشارة إلى أن التوبة مقبولة، ولو طال الزمان ما لم تحصل الغرغرة. قوله: ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ هو خبر ﴿إن الذين فتنوا﴾ ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من الشرط. قوله: ﴿عذاب الحريق﴾ من إضافة المسبب للسبب، أي عذاب سببه احراق المؤمنين. قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ لما ذكر وعيد الكفار، أتبعه بذكر ما أعدّ للمؤمنين. قوله: ﴿تجري من تحتها﴾ أي من تحت قصورها وغرفها، يتلذذون ببردها في نظير الحر الذي صبروا عليه في الدنيا، ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والأحزان. قوله: ﴿ذلك الفوز الكبير﴾ اسم الإشارة عائد على ما ذكر من حيازتهم للجنات، وعبر بالإشارة المفيدة للعبد، لعلو درجتهم في الفضل والشرف.

يعجزه ما يريد ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: للمذنبين المؤمنين ﴿ٱلْوَدُودُ﴾١٤: المتودد إلى أوليائه بالكرامة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خالقه ومالكه ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾١٥ بالرفع المستحق لكمال صفات العلو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾١٦: لا يعجزه شيء ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾: يا محمد ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾١٧ ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾١٨ بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي تَكْذِيبٍ﴾١٩: بما ذكر ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾٢٠: لا عاصم لهم منه ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾٢١: عظيم ﴿فِي لَوْحٍ﴾: هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾٢٢: بالجر من الشياطين ومن تغيير شيء منه طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهو من درة بيضاء، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

قوله: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ البطش الأخذ بعنف، فإذا وصف بالشدة كان متضاعفاً جداً، وهو انتقامه وتعذيبه للكفرة. قوله: [بحسب إرادته] رد بذلك على الفلاسفة القائلين: بأنه واجب بالذات كيف وقد قال تعالى ﴿فعال لما يريد﴾. قوله: ﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾ أي ومن كان قادراً على ذلك كان بطشه في غاية الشدة. قوله: ﴿وهو الغفور﴾ أي الماحي لذنوب المؤمنين وإن لم يتوبوا، لأن الآية مذكورة في معرض التمدح، والتمدح بكونه غفوراً مطلقاً أتم، فالحمل عليه أولى. قوله: [المتودد إلى أوليائه بالكرامة] أشار بذلك إلى أن فعولاً بمعنى فاعل، ويصح أن يكون بمعنى مفعول، أي يوده عباده ويحبونه. قوله: ﴿المجيد﴾ بالرفع أي وبالجر قراءتان سبعيتان فالرفع على أنه نعت للغفور، والجر على أنه نعت للعرش، ومجده علوه وعظمته. قوله: ﴿فعال لما يريد﴾ أتى بصيغة ﴿فعال﴾ إشارة للكثرة، وختم به الصفات لكونه كالنتيجة لها، والمعنى يفعل ما يريد، ولا يعترض عليه ولا يغلبه غالب، فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع، ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر، وفي هذه الآية دليل على أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، ولا يجب عليه شيء، لأن أفعاله بحسب إرادته.

قوله: ﴿هل أتاك﴾ الخ يصح أن تكون هل بمعنى قد، إن كان سبق له إتيان، أو لطلب الإخبار إن لم يكن أتاه كما تقدم. قوله: [بدل من الجنود] أي على حذف مضاف، أي جنود فرعون، وهو بدل كل من كل، أو المراد بفرعون هو وقومه، واكتفى بذكره عنهم لأنهم أتباعه، وعليه اقتصر المفسر، وخص فرعون وثمود بالذكر لشهرتهما عند العرب. قوله: [وحديثهم أنهم] الخ، أي فهو ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال، وما حل بهم من العذاب. قوله: ﴿بل الذين كفروا﴾ أي من قومك، وهو إضراب انتقالي للأشد كأنه قيل: ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك، فإنهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا. قوله: ﴿في تكذيب﴾ [بما ذكر] أي النبي والقرآن. قوله: ﴿والله من ورائهم محيط﴾ أي هم في قبضة قدرته وتصريفه، كالشيء المحاط به، الذي لا يجد مخلصاً ولا مفراً فيجازيهم بأعمالهم.

قوله: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ اضراب عن شدة تكذيبهم، وعدم كفهم عنه إلى وصف القرآن بما ذكر إشارة إلى أنه لا ريب ولا شك فيه، ولا يصل إليه تكذيب هؤلاء. قوله: [فوق السماء السابعة] أي متعلق بالعرش. قوله: [بالجر] أي والرفع فهما سبعيتان، فالجر على أنه نعت للوح، والرفع على أنه نعت للقرآن. قوله: [طوله ما بين السماء] الخ، أي وهو عن يمين العرش، مكتوب في صدره: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته. قوله: [وهو من درة بيضاء] أي وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه النور، وكتابته نور معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك.

**

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة والطارق

[مكية وهي سبع عشرة آية]

﴿وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ١: أصله كل آتٍ ليلاً ومنه النجوم لطلوعها ليلاً ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ٢: مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لأدرى وما بعد الأولى خبرها وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسّر بما بعده هو ﴿ٱلنَّجْمُ﴾: أي الثريا أو كل نجم ﴿ٱلثَّاقِبُ﴾ ٣: المضيء لثقبه الظلام بضوئه وجواب القسم ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ٤: بتخفيف ما فهي مزيدة وإن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه واللام فارقة وبتشديدها

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الطارق مكية
وهي سبع عشرة آية

قوله: ﴿والسماء والطارق﴾ الخ قد كثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم، لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة، دالة على انفراد صانعها بالكمالات، لأن الصنعة تدل على الصانع، قال بعضهم:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

قوله: [أصله كل آت] الخ أي ثم توسع فيه، فسمي به كل ما ظهر بالليل كائناً ما كان، ثم توسع به فسمي به كل ما ظهر مطلقاً ليلاً، أو نهاراً ومنه حديث: «أعوذ بك من شر طارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن». والطارق مأخوذ من الطرق وهو الدق، سمي به الآتي ليلاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً، ومنه المطرقة بالكسر وهي ما يطرق به الحديد. قوله: ﴿وما أدراك﴾ الاستفهام للإنكار. وقوله: ﴿ما الطارق﴾ الاستفهام للتعظيم والتفخيم.

قوله: ﴿النجم﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: [هو] واعلم أنه تعالى أقسم أولاً بما يشترك فيه النجم وغيره وهو الطارق، ثم أتى بالاستفهام عنه تفخيماً ثم فسره بالنجم إزالة لذلك الإبهام الحاصل بالاستفهام. قوله: [الثريا أو كل نجم] هذان قولان من ثلاثة، ثالثها: أن المراد به زحل، ومحله في السماء السابعة، لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة، فهو طارق حين ينزل وحين يصعد. قوله: [وجواب القسم] الخ، أي وما بينهما اعتراض، جيء به تفخيماً للمقسم به. قوله: [فهي مزيدة] أي

فإن نافية، ولما بمعنى إلا والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾[٥]: من أي شيء؟ جوابه ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[٦]: ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾: للرجل ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[٧]: للمرأة وهي عظام الصدر ﴿إِنَّهُۥ﴾: تعالى ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾: بعث الإنسان بعد موته ﴿لَقَادِرٌ﴾[٨]: فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾: تختبر وتكشف

و﴿كل﴾ مبتدأ، و﴿عليها﴾ خبر مقدم، و﴿حافظ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ﴿كل﴾. قوله: [واسمها محذوف] فيه نظر بل هي مهملة لا عمل لها، لأن لام الفرق يؤتى بها عند الإهمال لا عند الإعمال، كما قال ابن مالك:

وخففت إن فقل العمل وتلزم اللام إذا ما تهمل

قوله: [واللام فارقة] أي بين المخففة والنافية. وقوله: [وبتشديدها] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [والحافظ من الملائكة] الخ، يحتمل أن يراد الحفظ من العاهات والآفات، وهو عشرة بالليل وعشرة بالنهار لكل آدمي، فإن كان مؤمناً، وكل الله به مائة وستين ملكاً، يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين، أو حفظ الأعمال، وهما رقيب وعتيد، وعليه درج المفسر، وقيل: المراد بالحافظ الله تعالى، فتحصل أن الحافظ قيل الكاتب أو مطلق الملائكة الحفظة أو الله تعالى، والأحسن أن يراد ما هو أعم.

قوله: ﴿فلينظر الإنسان﴾ الخ، لما ذكر تعالى أن كل نفس عليها حافظ، أتبع ذلك توصية الإنسان بالنظر في أول نشأته، والأمر للإيجاب. قوله: ﴿مم خلق﴾ الجار والمجرور متعلق بخلق، والجملة في محل نصب بقوله: ﴿فلينظر﴾ المعلق عنها بالاستفهام. قوله: [ذي اندفاق] أي انصباب، وأشار بذلك إلى أن ﴿دافق﴾ صيغة نسب كلابن وتامر، فالمعنى خلق من ماء متدفق ومدفوق. قوله: [في رحمها] متعلق بدافق. قوله: ﴿من بين الصلب﴾ أي وهو عظام الظهر و﴿بين﴾ زائدة، لأن ﴿بين﴾ إنما تضاف لمتعدد، وهنا ليس كذلك إلا أن يقال: المراد من بين أجزاء الصلب الخ.

قوله: ﴿والترائب﴾ [للمرأة] وقال الحسن: المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل، وصلب المرأة وترائب المرأة. قوله: [وهي عظام الصدر] أي وهي محل القلادة، وهذا أحد أقوال، وقيل: الترائب ما بين ثدييها، وقيل: الترائب التراقي، وقيل: الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، وقال القرطبي: إن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع في الأنثيين، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ لأنه ينزل من الدماغ إلى الصلب، ثم يجتمع في الأنثيين.

قوله: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ نتيجة النظر المذكور، لأن الأمر بالنظر إنما هو لأجل التفكر في المعاد والبعث.

قوله: [بعث الإنسان] الخ، هذا هو الصحيح اللائق بمعنى الآية بدليل ما بعده، وفي الآية تفاسير أخر منها: أن الضمير يعود على الإنسان، والمعنى: أنه على رجع الإنسان لحالة النطيفة لقادر بأن يرده من الشيخوخة للشبوبة، ومنها للصبا ومنه إلى كونه حملاً إلى مضغة إلى علقة إلى نطفة، ومنها: أن الضمير عائد على الماء الدافق، والمعنى: أنه على رجع الماء للصلب والترائب بعد انفصاله للرحم وصيرورته ولداً لقادر.

---

* أسباب نزول الآية ٥: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ قال: نزلت في أبي الأشد كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش من أزالني عنه فله كذا، ويقول: إن محمداً يزعم إن خزنة جهنم تسعة عشر فأنا أكفيكم وحدي عشرة واكفوني أنتم تسعة.

﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾٩: ضمائر القلوب في العقائد والنيات ﴿فَمَا لَهُۥ﴾: لمنكر البعث ﴿مِن قُوَّةٖ﴾: يمتنع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾١٠: يدفعه عنه ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾١١: المطر لعوده كل حين ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾١٢: الشق عن النبات ﴿إِنَّهُۥ﴾: أي القرآن ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾١٣: يفصل بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾١٤: باللعب والباطل ﴿إِنَّهُمۡ﴾: أي الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾١٥: يعملون المكايد للنبي ﷺ ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾١٦: أستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿فَمَهِّلِ﴾: يا محمد ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ﴾: تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أي أنظرهم ﴿رُوَيۡدَۢا﴾١٧: قليلاً وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رود أو أرواد على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الإمهال بآية السيف أي الأمر بالقتال والجهاد.

قوله: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ ظرف لرجعه لا لقادر؛ لأنه تعالى قادر في جميع الأوقات، لا تختص قدرته بوقت دون وقت. قوله: [ضمائر القلوب] أي ما أخفي فيها، وقيل: السرائر فرائض الأعمال: كالصلاة والصوم والوضوء والغسل من الجنابة، فإنها سرائر بين الله وبين العبد، ولو شاء العبد لقال: صمت ولم يصم، وصليت ولم يصل، واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها، فيبيض وجه المؤدي، ويسود وجه المضيع.

قوله: ﴿فما له من قوة﴾ أي في نفسه، وقوله: ﴿ولا ناصر﴾ أي من غيره. قوله: [المطر] هذا أحد أقوال، وقيل ﴿الرجع﴾ الأحوال التي تجيء وتذهب، كالليل والنهار والأمطار، والفصول من الشتاء وما فيه من برد ونحوه؛ والصيف وما فيه من حر ونحوه، وقيل: المراد ذات النفع، وقيل: ذات الملائكة لرجوعهم فيها بأعمال العباد. قوله: [الشق عن النبات] وقيل: ذات الحرث لأنه يصدعها، وقيل: ذات الطرق التي تصدعها المشاة، وقيل: غير ذلك، واعلم أنه تعالى كما جعل كيفية خلق الحيوان دليلاً على معرفة المبدأ والمعاد، ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات، فقوله: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ أي هي كالأب ﴿والأرض ذات الصدع﴾ هي كالأم تتولد من بينهما النعم العظيمة التي ينتفع بها ما دامت الدنيا.

قوله: ﴿أنه لقول فصل﴾ جواب القسم الذي هو ﴿والسماء﴾ الخ، والمراد بالفصل الحكم الذي ينفصل به الحق من الباطل. قوله: ﴿وما هو بالهزل﴾ أي بل هو جد كله، فالواجب أن يكون مهاباً في الصدر، معظماً في القلوب، كيف وهو خطاب رب العالمين لعباده، فالإصغاء إليه والاستماع له، والائتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه فرض. قوله: ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾ اختلف فيها فقيل: هي إلقاء الشبهات كقولهم ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ ﴿ومن يحيي العظام وهي رميم﴾ ونحو ذلك، وقيل: قصد قتله ﷺ، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: ﴿وأكيد كيداً﴾ أي أجازيهم على كيدهم، وسمي الجزاء كيداً مشاكلة، وقيل: المعنى أعاملهم معاملة ذي الكيد، بأن أمدهم ظاهراً بالنعم استدراجاً لهم، وعليه اقتصر المفسر.

قوله: ﴿فمهل الكافرين﴾ أي لا تستعجلهم بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم. قوله: ﴿مخالفة اللفظ﴾ أي من حيث إن الأول مسند للظاهر مع التضعيف، والثاني مسند للضمير مع الهمز. قوله: [على الترخيم] راجع لقوله: [أو أرواد] أي تصغير ترخيم وهو حذف الزوائد، واعلم أن ﴿رويداً﴾ يستعمل مصدراً بدلاً من اللفظ بفعله، فيضاف تارة كقوله فضرب الرقاب، ولا يضاف أخرى نحو رويداً رويداً، ويقع حالاً نحو ساروا رويداً أي متمهلين، ونعتاً لمصدر محذوف نحو ساروا رويداً أي سيراً رويداً. قوله: [ونسخ الأمهال بآية السيف] أي على أن المعنى: اترك الكافرين ولا تتعرض لهم، واصبر على أذاهم.

**

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة الأعلى

[مكية وهي تسع عشرة آية]

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾: أي نزه ربك عما لا يليق به، واسم زائد ﴿ٱلْأَعْلَى﴾[١]: صفة لربك ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[٢]: مخلوقه جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ﴾: ما شاء ﴿فَهَدَىٰ﴾[٣]: إلى ما قدره من خير

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الأعلى مكية
وهي تسع عشرة آية

أي في قول الجمهور، وقال الضحاك: مدنية، وكان النبي ﷺ يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات، وفي الحديث سئلت عائشة بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ؟ قالت: كان يقرأ في الأولى بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وفي الثانية بـ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفي الثالثة بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين، ومن جملة فوائدها أن الإكثار من تلاوتها يورث الحفظ. قوله: ﴿سبح اسم ربك﴾ الأمر وإن كان للنبي، إلا أن المراد منه العموم؛ لأن الأصل عدم الخصوصية إلا لدليل. قوله: [أي نزه ربك] أي اعتقد أنه منزه عن كل ما لا يليق به، في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه، فتنزيه الذات اعتقاد أنها ليست كالذوات، فلا توصف بالجوهرية ولا بالعرضية، ولا بالكبر ولا بالصغر، ولا بغير ذلك من أوصاف الحدوث، وتنزيه الصفات اعتقاد أنها ليست حادثة ولا متناهية ولا ناقصة، وتنزيه الأفعال اعتقاد أنه تعالى ليست أفعاله كأفعال المخلوقين، وتنزيه الأسماء عدم ذكره بالأسماء التي توهم نقصاً بوجه من الوجوه، وتنزيه الأحكام عدم الأغراض فيها، فتكليفنا لأنفسنا لا لنفع يعود عليه. [ولفظ اسم زائد] ليس بمتعين، بل كما تنزه الذات ينزه الاسم أيضاً، عن أن يسمى به غيره، ومن جملة تنزيه الاسم، أن لا يذكر في موضع الأقذار، بأن يذكر على وجه التعظيم والتفخيم، في المواضع الطاهرة الفاخرة، ومن جملة تنزيه الاسم، استحضارك عظمة المسمى عند ذكره.

قوله: ﴿الأعلى﴾ من العلو وهو الارتفاع، بمعنى القهر والغلبة والسلطنة، فهو علو مكانة لا مكان. قوله: [صفة لربك] أي فهو مجرور بكسرة مقدرة على الألف، وهذه الصفة جارية مجرى التعليل، كأنه قال: سبح اسم ربك لكونه مرتفع المكانة منزهاً عن النقائص أزلاً وأبداً، ولا يصح أن يكون صفة لاسم منصوب بالفتحة المقدرة مع جعل ﴿الذي خلق﴾ الخ، صفة لربك، لما يلزم عليه من الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره، نظير قولك جاءني غلام هند العاقل الحسنة: وهو ممتنع، فإن جعل الموصول نعتاً مقطوعاً جاز.

قوله: ﴿الذي خلق فسوى﴾ جواب عن سؤال مقدر، كأنه قيل: الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد معرفة المولى،

وشر ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾[٤]: أنبت العشب ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ جافاً هشيماً، ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابساً ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[٦]: ما تقرؤه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكأنه قيل له لا تعجل بها إنك لا تنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها ﴿إِنَّهُ﴾: تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾: من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾[٧]: منهما ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾[٨]: للشريعة السهلة وهي الإسلام

فما الدليل على وجوده؟ فأجاب بما ذكر، ومفعول ﴿خلق﴾ محذوف، أي كل شيء. قوله: [متناسب الأجزاء] الخ أي فجعله معتدل القامة تام المنافع. قوله: ﴿والذي قدره﴾ مفعوله محذوف قدره بقوله: [ما شاء] أي من أنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها، وغير ذلك من أحوالها. قوله: ﴿فهدى﴾ أي أرشد ما قدره لمصالحه، فهدى الإنسان ودله على سبيل الخير والشر، وهدى الأنعام لمراعيها، وجميع الدواب لمعاشها ومصالحها.

قوله: ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي ما يرعى كالحشيش ونحوه. قوله: ﴿غثاء﴾ بضم الغين والمد من باب قعد، وهذا مثل ضربه الله للكفار، بذهاب الدنيا بعد نضارتها. قوله: ﴿أحوى﴾ نعت لغثاء، وهو ما يشير له المفسر، وقوله: [أسود بالياً] أي بعد وصفه بالغثاء، يكون أسود بالياً، كما هو العادة في الزرع الجاف إذا تقادم، ويطلق الأحوى على الأسود الذي يضرب إلى الخضرة أو الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وعليه فيكون حالاً من المرعى، والأصل: أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، والفاء لمجرد الترتيب، والمعنى: فمضت مدة فجعله الخ، إذ لا يصير غثاء عقب إخراجه، بل بعده بمدة.

قوله: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله، إثر بيان هدايته لجميع الخلق، وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين، الأول: الإخبار من الله تعالى بما يحصل في المستقبل. الثاني: كونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبداً. قوله: ﴿فلا تنسى﴾ [ما تقرؤه] أي منسوخاً أو غيره، ليظهر كون الاستثناء متصلاً، وقوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ استثناء مفرغ. قوله: [بنسخ تلاوته وحكمه] الباء سببية، والمعنى أن نسخ تلاوته وحكمه معاً، تسبب في جواز نسيانك له، وأما ما نسخت تلاوته فقط أو حكمه فقط فلا ينساه للاحتياج إلى تبليغ حكمه أو تلاوته. قوله: [فكأنه قيل] الخ أي فهو نظير قوله ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾.

قوله: ﴿إنه يعلم الجهر﴾ الخ تعليل لما قبله، جيء به تسلية له ﷺ كأنه قيل: لا تخش ضياع ما ألقي عليك، فإنه تعالى يعلم الجهر وما يخفى، ومنه ما ألقي عليك فيثبت في فؤادك ما ينفع، وصنيع المفسر يقتضي أنه تعليل لمحذوف قدره بقوله: [فلا تتعب نفسك]. قوله: ﴿وما يخفى﴾ ما اسم موصول، وعائده محذوف، ولا يصح أن تكون مصدرية، لئلا يلزم خلو الفعل عن فاعل، ولا يقال يجعل ضميراً لأنا نقول: يمنع منه عدم وجوده وما يعود عليه

قوله: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ عطف على نقرئك، وما بينهما اعتراض جيء به للتعليل، والمعنى نوفقك توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى، في كل باب من أبواب الدين علماً وتعليماً وإهداء وهداية وغير ذلك، ولذا ورد: ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً، وورد: بعثت بالحنيفية السمحاء، وحكمة إسناد التيسير لذاته، ولم يقل ونيسر اليسرى لك الإيذان بقوة تمكنه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها، بحيث صار ذلك جبلة له ﷺ، فبين طبعه ودينه

---

* أسباب نزول الآية ٦: أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله، مخافة أن ينساه فأنزل الله ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾، في اسناده جويبر ضعيف جداً.

﴿فَذَكِّرْ﴾: عظ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ ٩: من تذكرة المذكور في سيذّكّر يعني وإن لم تنفع ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: بها ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ ١٠: يخاف الله تعالى كآية فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: أي الذكرى أي يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأَشْقَى﴾ ١١: بمعنى الشقي أي الكافر ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ ١٢: هي نار الآخرة والصغرى نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ١٣: حياة هنيئة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: فاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ ١٤: تطهر بالإيمان ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾: مكبراً ﴿فَصَلَّىٰ﴾ ١٥: الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة وكفار مكة معرضون عنها ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾: بالتحتانية والفوقانية ﴿الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ ١٦: على الآخرة ﴿وَالْآخِرَةُ﴾: المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ١٧ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: أي إفلاح من تزكى وكون الآخرة خيراً ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ١٨: أي المنزلة قبل القرآن ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ ١٩: وهي عشرة صحف لإبراهيم والتوراة لموسى.

موافقة في اليسر والسهولة. قوله: [للشريعة السهلة] أي الطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين. قوله: ﴿إن نفعت الذكرى﴾ إن قلت: هو ﷺ مأمور بأن يذكرهم، سواء نفعتهم الذكرى أو لم تنفعهم، ليكون حجة لهم أو عليهم، أجيب: بأن في الآية اكتفاء، أي أو لم تنفع على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد، ويؤيده قوله: ﴿سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى﴾ فتدبر.

قوله: ﴿سيذكر من يخشى﴾ أي من خلق الله في قلبه الخشية، وهذا وعد من الله تعالى، بأن من يخشى يحصل به الاتعاظ وينتفع به، والوعد لا يتخلف. قوله: [هي نار الآخرة] الخ هذا قول الحسن، ويدل له ما ورد: ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وقيل: يكون في الآخرة نيران ودركات متفاضلة، فالكافر يصلى أعظم النيران، وقيل: النار الكبرى هي السفلى، قال تعالى ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾. قوله: [فيستريح] جواب عما يقال: لا واسطة بين الحياة والموت، فكيف وصف الله الأشقى بأنه لا يموت فيها ولا يحيا؟ فأجاب: بأن المعنى لا يموت موتاً فيستريح به، ولا يحيا حياة ينتفع بها. قوله: [مكبراً] أي تكبيرة الإحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة. قوله: [وذلك من أمور الآخرة] تمهيد لارتباط هذه الآية بما بعدها، فقوله: ﴿بل تؤثرون﴾ الخ إضراب عن مقدر يستدعيه المقام. قوله: [بالتحتانية] أي وعليه فالضمير راجع للأشقى، وقوله: [والفوقانية] أي وعليه فهو التفات، والخطاب إما للكفار فقط، أو لعموم الناس، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿خير وأبقى﴾ أي لاشتمالها على السعادة الجسمانية والروحانية، ولذاتها غير مخلوطة بالآلام، وهي دائمة باقية، والدنيا ليست كذلك. قوله: [أي إفلاح من تزكى] الخ، أي فالإشارة إلى قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ إلى قوله: ﴿وأبقى﴾ وما ذكر في الصحف الأولى بالمعنى لا بهذا اللفظ، فالشرائع المتقدمة متفقة على ما في هذه الآيات، وورد عن أبي ذر قال: دخلت تركعهما، قلت: يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: يا أبا ذر أقرأ ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾. قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يغضب، عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل». وعن أبي ذر أيضاً قال: «قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها، أيها الملك المسلط المبتلي المغرور، إني لم

. . . .

أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من فم كافر، وكان فيها أمثال، وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يفكر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون طامعاً إلا في ثلاث: تزود لمعاد، ومرمة لمعاش، ولذة في غير محرّم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن عدّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه، قال: قلت: فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً إلى آخره». وقوله: ومرمة لمعاش؛ أي إصلاح له.

* *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة الغاشية

[مكية وهي ست وعشرون آية]

﴿هَلْ﴾: قد ﴿أَتَـٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾[١]: القيامة لأنها تغشى الخلائق بأهوالها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: عبّر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾[٢]: ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾[٣]: ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال ﴿تَصْلَىٰ﴾: بضم التاء وفتحها ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾[٤] ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾[٥]: شديدة الحرارة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾[٦]: هو نوع

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الغاشية مكية

وهي ست وعشرون آية

أي بالإجماع. قوله: ﴿هل أتاك﴾ أشار المفسر إلى أنّ ﴿هل﴾ بمعنى قد. قوله: ﴿أتاك﴾ أي في هذه السورة، فالماضي إخبار عما وقع له في الحال، ويصح أن يراد بالاستفهام التعجب والتشويق إلى استماع حديثها المذكور بقوله: ﴿وجوه يومئذ﴾ الخ. قوله: ﴿الغاشية﴾ من الغشاء وهو الغطاء، ومنه الغشاوة وهي شيء يغطي العين. قوله: ﴿وجوه يومئذ﴾ الخ، استئناف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره وما حديث الغاشية، و﴿وجوه﴾ مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل، و﴿خاشعة﴾ خبره، و﴿عاملة ناصبة﴾ خبران آخران. قوله: ﴿يومئذ﴾ أي يوم إذ غشيت، فالتنوين عوض عن جملة. إن قلت: إنه لم يتقدمها جملة يصح أن يكون التنوين عوضاً عنها. أجيب: بأن تقدمها لفظ الغاشية، وهو في معنى الجملة، لأن أل موصولة باسم الفاعل، فكأنه قال التي غشيت، فالتنوين عوض عن هذه الجملة التي انحل لفظ الغاشية إليها. قوله: [عبر بها عن الذوات] أي فهو مجاز مرسل من التعبير عن الكل بالجزء، وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء، ولأنه يظهر عليه ذلك أولاً. قوله: [بالسلاسل والأغلال] أي بسبب جر السلاسل وحمل الأغلال، وكذلك يخوضون في النار خوض الإبل في الوحل، والصعود والهبوط في تلال النار، قال تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ وهذا جزاء لما ارتكبوه من إراحة أبدانهم في اللذات والشهوات قال سعيد بن جبير: تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى، فأعملها الله تعالى وأنصبها في النار، بجر السلاسل الثقال وحمل الأغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. قوله: [بضم التاء وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان، والضمير للوجوه على كل.

قوله: ﴿ناراً حامية﴾ أي لأنه أوقد عليها مدة طويلة، ففي الحديث: «أحمي عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم

من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ ٧ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ٨: حسنة ﴿لِسَعْيِهَا﴾: في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ﴾ ٩: في الآخرة لما رأت ثوابه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ١٠: حساً ومعنى ﴿لَا تَسْمَعُ﴾: بالياء والتاء ﴿فِيهَا لَاغِيَةً﴾ ١١: أي نفس ذات لغو أي هذيان من الكلام ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ١٢: بالماء بمعنى عيون ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ١٣: ذاتاً وقدراً ومحلاً ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: أقداح لا عرا لها ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ ١٤: على حافات العيون معدة لشربهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾: وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ ١٥: بعضها بجنب بعض يستند إليها ﴿وَزَرَابِيُّ﴾: بسط طنافس لها خمل

أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى استودت، فهي سوداء مظلمة». قوله: ﴿آنية﴾ أي بلغت أناها في الحرارة، والمعنى انتهى حرها. قوله: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ قال أبو الدرداء والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع، حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، وهو ذو غصة فيغصون به، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء، فيستسقون فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون من عين آنية، لا هنيئة ولا مريئة، فإذا أدنوه من وجوههم، سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل بطونهم قطعها، فذلك قوله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ وقوله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾. إن قلت: كيف حصر الطعام هنا في الضريع، مع أنه في الحاقة قال: ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾؟ أجيب: بأن العذاب ألوان، والمعذبون أنواع، فمنهم من يكون طعامه الزقوم، ومنهم من يكون طعامه الضريع، ومنهم من يكون طعامه الغسلين، وهكذا.

قوله: ﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ كل منهما صفة لضريع، والمعنى: لا يحصل السمن لآكله، ولا يدفع عنه جوعاً. قوله: [حسنة] أي ذات بهجة وحسن، وقيل: متنعمة، والجمع حاصل فهي حسنة ومتنعمة. قوله: ﴿لسعيها راضية﴾ اللام بمعنى الباء متعلقة براضية الواقعة خبراً ثانياً عن الوجوه، والمعنى أنهم راضون بأعمالهم لما رأوا من الجزاء عليه. قوله: [حساً] أي لأن الجنة درجات على عدد آي القرآن، بعضها أعلى من بعض، فبين الدرجتين مثل ما بين السماء والأرض، وقوله: [ومعنى] أي وفي الشرف والرفعة. قوله: [بالياء والتاء] أي ولكن الفعل على الياء مبني للمفعول لا غير، وعلى التاء فهو مبني للفاعل والمفعول، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: ﴿لاغية﴾ صفة للجماعة، أي جماعة لاغية، ويصح أن يكون مصدراً كالعاقبة والعافية كقوله: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً﴾.

قوله: ﴿فيها عين جارية﴾ أي على وجه الأرض من غير أخدود، لا ينقطع جريها أبداً، والمراد بالعين الجنس الصادق بالأنهار المتقدم ذكرها في سورة محمد عليه السلام. قوله: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، مرتفعة في السماء ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها، تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها. قوله: ﴿وأكواب﴾ جمع كوب. قوله: [لا عري لها] أي ولا خرطوم. قوله: [معدة لشربهم] أي فكلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة بالشراب، ويصح أن المراد موضوعة بين أيديهم يتلذذون بالنظر إليها، ويصح أن المراد موضوعة عن حد الكبر فهي متوسطة، وحينئذ فيكون نظير قوله تعالى: ﴿قدروها تقديراً﴾. قوله: ﴿ونمارق﴾ جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان. قوله: [وسائد] جمع وسادة وهي المعروفة بالمخدة. قوله: ﴿مصفوفة﴾ أي فوق الطنافس. قوله: ﴿وزرابي﴾ جمع زربية بتثليث الزاي. قوله: [طنافس] جمع طنفسة بتثليث الفاء والطاء ففيه تسع لغات صفة لبسط، وتسمى أيضاً السجادة، فلها ثلاثة أسماء: سجادة وطنفسة وزربية.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾١٦: مبسوطة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾: أي كفار مكة نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾٢٠: أي بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته وصدرت بالإبل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها وقوله: ﴿سطحت﴾ ظاهر في أن الأرض كرة وعليه علماء الشرع وكما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركناً من أركان الشرع ﴿فَذَكِّرْ﴾: هم نعم الله ودلائل توحيده ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾٢٢: وفي قراءة بالصاد بدل السين أي بمسلط وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾٢٣: بالقرآن ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾٢٤:

قوله: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ استئناف مقرر لما مضى من حديث الغاشية، والهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أعموا فلا ينظرون، وهو استفهام إنكاري توبيخي، وخصت الإبل لكثرة منافعها، كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها وركوبها والتنقل عليها إلى البلاد البعيدة، وعيشها بأي نبات أكلته، كالشجر والشوك، وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر، وطواعيتها لكل من قادها ولو صغيراً، ونهوضها وهي باركة بالأحمال الثقيلة، ولا تؤذي من وطئته برجلها وتتأثر بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها، ولا شيء من الحيوانات جمع هذه الأشياء غيرها، ولكونها أفضل ما عند العرب، جعلوها دية القتل، والإبل اسم جمع لا واحد له من لفظه، وإنما له واحد من معناه، كبعير وناة وجمل. قوله: ﴿كيف خلقت﴾ ﴿كيف﴾ منصوب بـ﴿خلقت﴾ على الحال، والجملة بدل اشتمال من الإبل، فهي في محل جر. قوله: ﴿كيف رفعت﴾ أي فوق الأرض من غير عمد.

قوله: ﴿كيف نصبت﴾ أي على وجه الأرض، نصباً راسخاً لا يتزلزل. قوله: [فيستدلون بها] الخ، الحكمة في تخصيص هذه الأشياء بالذكر، أن القرآن نزل على العرب، وكانوا يسافرون كثيراً في الأودية والبراري منفردين عن الناس، والإنسان إذا انفرد أقبل على التفكر، فأول ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه، فيرى منظراً عجيباً، وإن نظر إلى فوق لم ير غير السماء، وإن نظر يميناً وشمالاً لم ير غير الجبال، وإن نظر إلى تحت لم ير غير الأرض، فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد، ولا يحمله الكبر على ترك النظر. قوله: [وصدرت] أي هذه الأربعة. قوله: [وإن لم ينقض] أي ما قاله أهل الهيئة من قواعدهم التي ذكروها، وقوله: [ركناً] أي قاعدة من قواعد الشرع، فلا يضر في العقيدة، لأن علماء الهيئة قالوا: إن الأرض كرة بطبعها وحقيقتها، كالبيضة في السماوات السبع، محيطة بالأرض من كل جانب، والعرش محيط بالجميع، لكن الله تعالى أخرج الأرض عن طبعها بفضله وكرمه، بتسطيح بعضها لإقامة الحيوانات عليها رحمة بهم.

قوله: ﴿فذكر﴾ مفرع على ما تقدم من ذكر دلائل التوحيد. قوله: ﴿إنما أنت مذكر﴾ تعليل للأمر بالتذكير. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي بمسلط] هذا تفسير للقراءتين. قوله: [وهذا قبل الأمر بالجهاد] أي فهو منسوخ بآية السيف. قوله: [لكن] ﴿من تولى﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، والاستدراك لدفع توهم أنهم متروكون في الآخرة كالدنيا، وذلك أنه أمر بعدم التعرض لهم في مبدأ الأمر، فربما يتوهم أنهم في الآخرة

---

* أسباب نزول الآية ١٧: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾.

عذابَ الآخرة والأصغر عذابُ الدنيا بالقَتْل والأسر ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ٢٥ : رجوعهم بَعد الموْتِ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ٢٦ : جزاءهم لا نتركه أبداً.

كذلك، أفاد أنه وإن أمهلهم في الدنيا لا يفلتهم من العذاب في الآخرة. قوله: ﴿إن إلينا إيابهم﴾ تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر. قوله: ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ أي بمقتضى وعيدنا لا وجوباً علينا، وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان، فإن الترتيب الزماني بين ﴿إيابهم﴾ و ﴿حسابهم﴾ لا بين كون ﴿إيابهم﴾ إليه تعالى، و ﴿حسابهم﴾ عليه تعالى، فإنهما أمران مستمران، وجمع الضمير في ﴿إيابهم﴾ و ﴿حسابهم﴾ باعتبار معنى من.

* * *

بسم الله الرّحمن الرّحيم

سورة الفجر

[مكية أو مدنية وهي ثلاثون آية]

﴿وَٱلْفَجْرِ﴾١: أي فجر كل يوم ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾٢: أي عشر ذي الحجة ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾: الزوج ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾٣: بفتح الواو وكسرها لغتان الفرد ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾٤ مقبلا ومدبراً ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾: القسم ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾٥:

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة والفجر مكية أو مدنية وهي ثلاثون آية

أي في قول الجمهور، وقوله: [أو مدنية] أي في قول علي بن أبي طلحة. قوله: [أي فجر كل يوم] هذا أحد أقوال كثيرة في تفسير الفجر، وهو قول علي وابن الزبير وابن عباس، أو فجر أول يوم من المحرّم، منه تنفجر السنة، أو فجر يوم النحر، لأن فيه أكثر مناسك الحج، وفيه القربات، أو فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر. قوله: [أي عشر ذي الحجة] أي وإنما ذكرت لأنها أفضل ليالي السنة، وما ذكره المفسر أحد أقوال، وقيل: هي العشر الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول من المحرّم.

قوله: ﴿والشفع والوتر﴾ قال مجاهد ومسروق: الشفع الخلق كله، قال تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس. والوتر هو الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ وقيل ﴿الشفع﴾ تضاد صفات المخلوقين: من العز والذل، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمي. والوتر انفراد صفات الله تعالى: عز بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت. وقيل: الوتر يوم عرفة لأنه تاسع، والشفع يوم النحر لأنه عاشر، وقيل غير ذلك. قوله: [بفتح الواو وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان، ولغتان جيدتان.

قوله: ﴿والليل﴾ قسم خامس، بعدما أقسم بالليالي العشر على الخصوص، أقسم بالليل على العموم، وقيل: ليلة المزدلفة خاصة، وقيل: ليلة القدر لسريان البركة فيها. قوله: ﴿إذا يسر﴾ ﴿إذا﴾ معمول لمحذوف هو فعل القسم، والمعنى: أقسم بالليل وقت سراه. قوله: [مقبلا] أي بإدبار النهار، وقوله: [ومدبراً] أي بإقبال النهار، وفيه إشارة إلى أن إسناد السرى لليل حقيقة، وقال غيره: إسناد السرى له مجاز عقلي من الإسناد للزمان، والمعنى يسرى فيه وكل صحيح. قوله: ﴿هل في ذلك﴾ الخ استفهام تقريري لفخامة شأن الأمور المقسم بها، واسم الإشارة عائد على

عقل وجواب القسم محذوف أي لتعذبن يا كفار مكة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[٦] ﴿إِرَمَ﴾: هي عاد الأولى فإرم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[٧]: أي الطول كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[٨]: في بطشهم وقوتهم ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾: قطعوا

الأمور المقسم بها. قوله: [القسم] أي الحلف، وأل جنسية صادقة بالمذكور من الأقسام وهي خمسة، وكذا يقال في قوله: [وجواب القسم] الخ. قوله: [عقل] سمي حجراً لأنه يحجر صاحبه ويمنعه من القبائح. قوله: [وجواب القسم محذوف] وقيل هو قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿ألم تر﴾ الخ شروع في بيان أحوال الأمم الماضية، وذكر منهم عاداً وثمود وفرعون؛ لأن أخبارهم كانت معلومة، والخطاب للنبي ﷺ ولكنه عام لكل أحد. قوله: ﴿إرم﴾ هو في الأصل اسم جد عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، سميت القبيلة باسم جدهم عاد، وعاش ألف سنة ومائتي سنة، ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد، وتزوج ألف امرأة، ومات كافراً. قوله: [أي الطول] هذا أحد أقوال، وقيل: إن المراد به الابنية المرتفعة على العمد، فكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور، وقيل ﴿ذات العماد﴾ ذات القوة والشدة، قال تعالى: ﴿من أشد منا قوة﴾ وقيل: غير ذلك. قوله: [كان طول الطويل] الخ نحوه قول الكازروني: طول الطويل منهم خمسمائة ذراع، والقصير ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه، ورد ذلك ابن العربي بقوله: هو باطل، لأن في الصحيح: «إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في الهواء، فلم يزل الخلق ينقصون إلى الآن» اهـ. وقال قتادة: إن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعاً.

قوله: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: من أشد منا قوة؟ وقيل: هي مدينة بناها شداد بن عاد، وحاصل قصتها: أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد، فملكا بعده وقهرا العباد والبلاد، فمات شديد وخلص الملك لشداد، فملك الدنيا ودانت له ملوكها، وكان يحب قراءة الكتب القديمة، فسمع بذكر الجنة وصفتها، ودعته نفسه إلى بناء مثلها عتواً على الله وتجبراً، فروي وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة، أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو يسير في صحاري عدن، إذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كثيرة، فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله عن إبله، فلم ير خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته وعقلها، وسل سيفه ودخل من باب المدينة، فإذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر، فلما رأى ذلك دهش، ففتح الباب ودخل، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا فيها قصور في كل قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت، وإذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة، يقابل بعضها بعضاً، وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فلما عاين ذلك ولم ير أحداً هاله ذلك، ثم نظر إلى الأزقة، فإذا في تلك الأزقة أشجار مثمرة، وتحت تلك الأشجار أنهار يجري ماؤها في قنوات من فضة، فقال الرجل في نفسه: هذه الجنة، وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها، ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى، فبلغ ذلك معاوية، فأرسل إليه فقدم عليه، فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار، فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، هي إرم ذات العماد، بناها شداد بن عاد، قال: فحدثني حديثها، فقال: لما أراد شداد بن عاد عملها، أقر عليها مائة قهرمان، مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوهم بما في بلادهم من الجوهر، فخرجت القهارمة يسيرون في الأرض ليجدوا أرضاً موافقة، فوقفوا على صحراء نقية من التلال، وإذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا: هذه الأرض التي أمر الملك أن نبني فيها، فوضعوا أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة، وكان عمر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وقد فرغوا

﴿ٱلصَّخْرَ﴾: جمع صخرة واتخذوها بيوتاً ﴿بِٱلْوَادِ﴾ ٩: وادي القرى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ﴾ ١٠: كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يدَيْ ورِجْلَيْ مَنْ يعذبه ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا﴾: تجبروا ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ ١١ ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ ١٢: القتل وغيره ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾: نوع ﴿عَذَابٍ﴾ ١٣ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ ١٤: يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الكافر ﴿إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾: اختبره ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾: بالمال وغيره ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ

منها قال: انطلقوا فاجعلوا حصناً يعني سوراً، واجعلوا حوله ألف قصر، وعند كل قصر ألف علم، ليكون في كل قصر وزير من وزرائي، ففعلوا، وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير، أن يتهيؤوا للنقلة إلى إرم ذات العماد، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة، بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً، ولم يبق منهم أحد. ثم قال كعب: وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك، أحمر أشقر قصير على حاجبه خال، وعلى عنقه خال، يخرج في طلب إبل له، ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال: هذا والله ذاك الرجل، وهذه المدينة تزعم العامة أنها دائرة في الدنيا، وهو من الخرافات، بل هي في مكانها، غير أن الله تعالى يعمي الخلق عنها، فلم يهد لها إلا من وعده بها. قوله: [في بطشهم] متعلق بمثلها، والضمير عائد على القبيلة باعتبار أهلها.

قوله: ﴿الذين جابوا الصخر﴾ صفة لثمود، والباء في بالوادي بمعنى في و﴿ثمود﴾ عطف على ﴿عاد﴾ وهي قبيلة مشهورة. قوله: [واتخذوها بيوتاً] قيل: أول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود، وروي أنهم بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة، وقيل: سبعة آلاف كلها من الحجارة. قوله: [وادي القرى] موضع بقرب المدينة من جهة الشام. قوله: [كان يتد أربعة أوتاد] الخ أي يدقها للمعذب، ويشده بها مطروحاً على الأرض، ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرهما.

قوله: ﴿الذين طغوا﴾ إما مجرور صفة للمذكورين، أو منصوب أو مرفوع على الذم. قوله: [نوع] ﴿عذاب﴾ فسره بذلك لقول الفراء: سوط العذاب كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب. والمعنى: أنزل على كل نوعاً من العذاب، فأهلكت عاد بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون بالغرق. قوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ تعليل لما قبله، إعلاماً بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب. قوله: [يرصد أعمال العباد] أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تمثيلية، شبه حفظه تعالى لأعمال عباده ومجازاته عليها، بحال من قعد على الطريق مترصداً لمن يسلكها ليأخذه فوقع به ما يريد، واستعير اسم المشبه به للمشبه.

قوله: ﴿فأما الإنسان﴾ أما هنا لمجرد التأكيد، لا للتأكيد مع التفصيل، لعدم تقدم مقتضيه، وهو مرتبط بقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ فكأنه قيل: إن الله لا يرضى من عباده إلا الطاعة والإخلاص، لما في الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فأما الإنسان فلا يلتفت لذلك، لكونه مطبوعاً على خلافه، وإنما يلتفت للعاجل، وما قررناه سالم من الدسيسة الاعتزالية الواقعة في كلام الزمخشري حيث نفى عن الله إرادة المعاصي والقبائح ونص عبارته: فإن قلت: بم اتصل قوله ﴿فأما الإنسان﴾؟ قلت: بقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ فكأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة، فأما الإنسان فلا يريد ذلك، ولا يهمه إلا العاجلة اهـ فتدبر.

قوله: ﴿إذا ما ابتلاه ربه﴾ الخ، إنما سمي كلاً من بسط الرزق، وتقديره ابتلاء، لأنه يختبر حال العبد في الحالين، فإذا بسط له الرزق فقد اختبر حاله، أيشكر أم يكفر؟ وإذا قدر عليه، فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع؟ فالحكمة

﴿رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ﴾: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦ كَلَّا﴾: ردع أي ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر وإنما هو بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿بَل لَّا يُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ١٧﴾: لا يحسنون إليه مع غناهم أو لا يعطونه حقه من الميراث ﴿وَلَا يَحُضُّونَ﴾: أنفسهم ولا غيرهم ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾: أي إطعام ﴿ٱلْمِسْكِينِ ١٨ وَيَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا ١٩﴾: أي شديد اللمم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم ﴿وَيُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠﴾: أي كثيراً فلا ينفقونه وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة ﴿كَلَّآ﴾: ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١﴾: زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها

فيهما واحدة. قوله: [اختبره] أي عامله معاملة المختبر. قوله: [بالمال وغيره] أي كالجاه والولد. قوله: ﴿ونعمه﴾ أي جعله متلذذاً بتلك النعم. قوله: ﴿فيقول ربي أكرمن﴾ أي فضلني وأحسن إلي. قوله: ﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾ ﴿ما﴾ زائدة لوقوعها بعد ﴿إذا﴾ وكذا يقال في الأولى. قوله: ﴿فقدر﴾ بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان، إن قلت: مقتضى المقابلة أن يقول: فأهانه وقدر عليه رزقه، كما قال: فأكرمه ونعمه. أجيب: بأن البسط إكرام من الله لعبده، وليس ضده إهانة، بل ترك للكرامة، فإذا أهدي لك إنسان هدية فقد أكرمك بها، وإذا لم يهد إليك فلم يحصل منه إكرام ولا إهانة، وأيضاً فيه إشارة إلى أن تقتير الرزق لا يلزم منه أن يكون دليلاً على إهانة، بل قد يكون دليلاً على المحبة والتكريم، لما ورد: أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل. فقول العبد: ربي أهانني من قصوره وغفلته، وإلا فالمطلوب منه أن يرضى ويسلم.

قوله: ﴿فيقول ربي أهانن﴾ أي لم يحسن إلي ولم يفضلني. في ياء أهانني وأكرمني خلاف بين القراء، فبعضهم يثبتهما وصلا ووقفاً، وبعضهم يحذفهما في الحالين، وبعضهم يثبتهما وصلاً ويحذفهما وقفاً. قوله: [ردع] أي عن الشقين بدليل قوله: [أي ليس الإكرام] الخ. قوله: [وكفار مكة] الخ، توطئة للدخول على قوله: ﴿بل لا يكرمون﴾ الخ، وقوله [لذلك] أي لكون الإكرام بالطاعة، والإهانة بالكفر والمعاصي، وكثير من جهلة المؤمنين يعتقدون هذا الاعتقاد، وهو غلط وغرور.

قوله: ﴿بل لا يكرمون اليتيم﴾ إضراب من قبيح إلى أقبح منه ترقياً في ذمهم. قوله: ﴿ولا يحضون﴾ أي يحثون ومفعوله محذوف قدره بقوله: [أنفسهم ولا غيرهم]. قوله: [أي إطعام] أشار بذلك إلى أن الطعام مصدر بمعنى الإطعام، وفيه إيماء إلى أن إكرام اليتيم، والحث على إطعام المساكين، من أعظم الخصال فضيلة. قوله: ﴿ويأكلون التراث﴾ التاء فيه مبدلة من الواو لأنه من الوراثة، كما في تجاءة وتكاءة.

قوله: ﴿أكلا لماً﴾ أي جمعاً، فاللم الجمع، يقال: لممت الشيء جمعته، ومنه لمّ الله شعثه، أي جمع ما تفرق من أموره. قوله: [أي شديداً] صفة لموصوف محذوف، أي جمعاً شديداً. قوله: [اللمم نصيب النساء] الخ أي فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان، ويأكلون أنصباءهم، أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام، عالمين بذلك، إن قلت: إن السورة مكية، وآية المواريث مدنية، ولا يعلم الحل والحرمة إلا من الشرع. أجيب: بأن حكم الإرث كان معلوماً لهم من بقايا شريعة إسماعيل، فهو ثابت عندهم بطريق عادتهم. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وقرئ في السبع أيضاً تحاضون، وأصله تتحاضون، حذفت إحدى التاءين، أي لا يحض بعضكم بعضاً. قوله: [ردع لهم عن ذلك] أي عن جمع المال وحبه، وعدم إكرام اليتيم.

قوله: ﴿إذا دكت الأرض﴾ أي حصل رجها وزلزلتها لتسويتها. قوله: ﴿دكاً دكاً﴾ ليس تأكيداً، بل التكرار للدلالة

وينعدم ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: أي أمره ﴿وَالْمَلَكُ﴾: أي الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾٢٢: حال أي مصطفين أو ذوي صفوف كثيرة ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾: تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ ﴿يومئذ﴾: بدل من إذا وجوابها ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾: أي الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾٢٣: استفهام بمعنى النفي أي لا ينفعه تذكره ذلك ﴿يَقُولُ﴾: مع تذكره ﴿يَا﴾: للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾: الخير والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾٢٤: الطيبة في

على الاستيعاب كقولك: رتبته باباً باباً، أي باباً بعد باب، وكذا يقول هنا: دكاً بعد دك حتى تزول الجبال وتستوي الأرض. قوله: [أي أمره] دفع بذلك ما يقال: إن المجيء يقتضي الانتقال، وهو على الله محال. فأجاب: بأن الكلام على حذف مضاف، أي حصل أمره وظهر سلطانه وقهره وتجليه على عباده.

قوله: ﴿صفاً صفاً﴾ أي صفاً بعد صف. لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الخلائق إذا جمعوا في صعيد واحد، الأولين والآخرين؛ أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم، فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين، إنساً وجناً ووحشاً وطيراً، ويحولوهم إلى الأرض الثانية، أي التي تبدل، وهي أرض بيضاء من فضة نورانية، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات، ثم إن الله تعالى يأمر ملائكة السماء الثانية، فيحدقون بهم حلقة واحدة، وإذا هم مثلهم عشرين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فإذا هم مثلهم ثلاثين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة، فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة، فيكونون مثلهم خمسين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مثلهم ستين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مثلهم سبعين مرة، والخلق تتداخل وتندمج، حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام، ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة، إلا الأذقان وإلى الصدور وإلى الحقوين وإلى الركبتين، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام، ومنهم من تصيبه البلة، بكسر الموحدة وتشديد اللام، كالعاطش إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق، وقد قربت الشمس من رؤوسهم، حتى لو مد أحدهم يده لنالها، وتضاعف حرها سبعين مرة، وقال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة، لاحترقت الأرض وذاب الصخر وانشقت الأنهار، فبينما الخلائق يمرجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله حيث يقول ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض إذ جيء بجهنم﴾ الخ.

قوله: ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ ﴿يومئذ﴾ منصوب بـ ﴿جيء﴾ و﴿بجهنم﴾ قائم مقام الفاعل قوله [كل زمام علمه لم افهمها سبعين ألف ملك] أي يجرونها حتى تقف عن يسار العرش قال أبو سعيد الخدري: لما نزل ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تغير لون رسول الله ﷺ وعرف في وجهه، حتى اشتد على أصحابه ثم قال: أقرأني جبريل ﴿كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً﴾ الآية، ﴿وجيء يومئذ بجنهم﴾ قال علي رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، كيف يجاء بها؟ قال: يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، يقود بكل زمام سبعون ألف ملك، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثم تعرض لي جهنم فتقول: مالي ولك يا محمد، إن الله قد حرم لحمك علي، فلا يبقى أحد إلا قال نفسي نفسي، إلا محمد ﷺ فإنه يقول: يا رب أمتي أمتي. قوله: [لها زفير] أي صوت شديد. قوله: [وتغيظ] أي غليان كغليان صدر الغضبان. قوله: [بدل من إذا] أي والعامل فيها يتذكر الذي هو الجواب، وهذا مذهب سيبويه، وقال غيره البدل على نية تكرار العامل، فالعامل في البدل محذوف، نظير عامل المبدل منه.

قوله: ﴿وأنى﴾ اسم استفهام خبر مقدم، و﴿الذكرى﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿له﴾ متعلق بما تعلق به الظرف. قوله: [استفهام بمعنى النفي] أي فهو إنكاري. قوله: [للتنبيه] أي والتحسر قوله: [الخير والإيمان] أشار بذلك إلى أن

الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ﴾: بكسر الذال ﴿عَذَابَهُ﴾: أي الله ﴿أَحَدٌ﴾[٢٥]: أي لا يكله إلى غيره ﴿وَ﴾: كذا ﴿لَا يُوثِقُ﴾: بكسر الثاء ﴿وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[٢٦]: وفي قراءة بفتح الذال والثاء فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى: لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[٢٧]: الآمنة وهي المؤمنة ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾: يقال لها ذلك عند الموت أي ارجعي إلى أمره وإرادته ﴿رَاضِيَةً﴾: بالثواب ﴿مَرْضِيَّةً﴾[٢٨]:

مفعول ﴿قدمت﴾ محذوف. قوله: ﴿لحياتي﴾ اللام إما للتعليل أي لأجل حياتي هذه الكائنة في الآخرة، أو بمعنى وقت، والمراد بالحياة الحياة الدنيوية، وقد أشار لها المفسر. قوله: [بكسر الذال] وقوله: [بكسر الثاء]، أي فأحد فاعل فيهما. قوله: [أي لا يكله إلى غيره] أي لا يأمر غيره بمباشرته، والمراد بالغير غير الملائكة، فلا ينافي أنه تعالى يكله إلى ملائكة العذاب، لأنهم يباشرونه بإذن الله وأمره لهم، ويحتمل أن المعنى لا يعذب أحد من خلق الله تعذيباً مثل تعذيب الله هذا الكافر، ولا يوثق أحد من خلق الله إيثاقاً مثل إيثاق الله لهذا الكافر، وكل صحيح. قوله: ﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ أي لا يشد ولا يربط بالسلاسل والأغلال أحد مثل ربطه وشده. قوله: [وفي قراءة بفتح الذال والثاء] أي وهما سبعيتان، و﴿أحد﴾ على هذه القراءة نائب الفاعل بهما الذي هو الله تعالى، أو الزبانية المتولون العذاب بأمره تعالى. قوله: [مثل تعذيبه] مصدر مضاف للمفعول وهو الكافر.

قوله: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ لما ذكر حال من كانت همته الدنيا، ذكر حال من اطمأنت نفسه بالله، فسلم إليه أمره واتكل عليه. قوله: [الآمنة] أي التي لا يستفزها خوف ولا حزن. قوله: [وهي المؤمنة] هذا يقول ابن عباس، وقال الحسن: [المؤمنة] المؤمنة، وعن مجاهد أيضاً: الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها. وقال ابن عطاء: العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين، وقيل: المطمئنة بذكر الله، وقيل غير ذلك، وفي الحقيقة كل من تلك المعاني صحيح لأنه متى ثبت لها الإيمان عند الموت، تحققت بذلك الخطاب، فكلام المفسر من جوامع الكلم.

قوله: ﴿ارجعي إلى ربك﴾ هو خبر في المعنى، وإن كان أمراً في الظاهر. قوله: [عند الموت] قال عبد الله بن عمر: إذا توفي العبد المؤمن، أرسل الله عز وجل إليه ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنة، فقال: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان، وربك عنك راض، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلا فتح لها، ولا بملك إلا صلى عليها، حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه النفس، فاجعلها مع أنفس المؤمنين، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً طوله، وينبذ فيه الروح والريحان، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس، ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه. وإذا توفي الكافر، أرسل الله إليه ملكين، وأرسل قطعة من كساء، أنتن من كل نتن، وأخشن من كل خشن، فيقال: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم، وربك عليك غضبان اهـ. وما ذكره المفسر من أن النداء عند الموت أحد قولين، والآخر أنه عند البعث، ومعنى قوله: ﴿ارجعي إلى ربك﴾ أي صاحبك وهو الجسد، فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك.

---

* أسباب نزول الآية ٢٧: أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ قال: نزلت في حمزة، وأخرج من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: من يشتري بئر رومة يستعذب بها غفر الله له، فاشتراها عثمان فقال: هل لك أن تجعلها سقاية للناس، قال: نعم، فأنزل الله في عثمان ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾.

عند الله بعملك أي جامعة بين الوصفين وهما حالان ويقال لها في القيامة: ﴿فَٱدْخُلِي فِي﴾ : جملة ﴿عِبَادِي﴾ ٢٩ : الصَّالحين ﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ ٣٠ : معهم.

قوله: ﴿فادخلي في عبادي﴾ الإضافة للتشريف، وإلا فالكل عباده. قوله: ﴿وادخلي جنتي﴾ [معهم] أي الصالحين، لتفوزي بالنعيم المقيم، ولأهل الإشارات تفاسير، منها: أن الله يناديها في الدنيا بهذا النداء، حيث اتصفت بتلك الصفات، يقول لها ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾ بفنائك عما سواه، ﴿راضية﴾ بأحكامه، ﴿مرضية﴾ له بأوصافك ﴿فادخلي في عبادي﴾ [الصالحين] أي فكوني معدودة فيهم ومحسوبة منهم ﴿وادخلي﴾ جنة شهودي في الدنيا ما دامت فيها، وهي الجنة المعجلة، ويقال لها ذلك أيضاً عند البعث على التفسير المتقدم، ويراد حينئذ بالجنة جنة الخلود، وفسروا بذلك قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ أي جنة الشهود في الدنيا، التي قال فيها العارف ابن الفارض:

أبلنا مع الأحباب رؤيتك التي إليها قلوب الأولياء تسارع

وجنة الخلود في العقبى، وهذا النداء الواقع في الدنيا يسمعه العارفون، إما في المنام أو بالإلهام، وتقدم تقسيم النفس، ومأخذ كل قسم في سورة القيامة.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة البلد

[مكية وهي عشرون آية]

﴿لَآ﴾: زائدة ﴿أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[1]: مكة ﴿وَأَنتَ﴾: يا محمد ﴿حِلٌّ﴾: حلال ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[2]: بأنْ يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فالجملة اعتراض بين المقسَم به وما عطف عليه. ﴿وَوَالِدٍ﴾: أي آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾[3]: أي ذريته وما بمعنى مَنْ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أي الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾[4]: نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ﴿أَيَحْسَبُ﴾: أيظن الإنسان قوي قريش وهو أبو الأشد بن كلدة ـ بقوته

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة البلد مكية وهي عشرون آية.

أي بالإجماع. قوله: [زائدة] هذا أحد احتمالين، والآخر أنها نافية لكلام تقدمها وتقدم ذلك قوله: [مكة] أي لأنها مهبط الرحمات، يجبى إليها ثمرات كل شيء، جعلها الله حرماً آمناً ومثابة للناس، وجعل فيها قبلة أهل الدنيا بأسرها، وحرم فيها الصيد، وجعل البيت المعمور بإزائه؛ وغير ذلك من فضائلها، فلما استجمعت تلك المزايا والفضائل، أقسم الله تعالى بها. قوله: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ جملة حالية جيء بها تسلية له ﷺ وتعجيلاً لمسرته، حيث وعده فتح مكة في المستقبل، وعبر عنه بالحال لتحقق الوقوع على حد ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقد أنجز الله له ذلك، فعندما نزع المغفر عنه يوم الفتح جاء رجل فقال: يا رسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه، فقتله الزبير وخص هذا الحال، لأن مكة وإن كانت عظيمة في نفسها، إلا أنها في تلك الحالة أعظم، لانتقال أهلها من الظلمات إلى النور، وفيه إشارة إلى عظم قدر المصطفى وشرف البقاع به، فمكة زادها الله تشريفاً بقدومه بها وهو حلال. قوله: [فالجملة اعتراض] أي لا تعلق لها بما قبلها ولا بما بعدها، قصد بها الإخبار بما سيكون، والأحسن جعلها حالية كما علمت لأنه يستفاد منها تشريف مكة في تلك الحالة المستلزم زيادة تشريفه ﷺ وإكرامه وتعظيمه؛ حيث أحل له ما لم يحل لأحد قبله ولا بعده.

قوله: ﴿ووالد وما ولد﴾ أقسم الله بهم لأنهم أعجب خلقه، لما فيهم من البيان والنطق والتدبير، واستخراج العلوم، وفيهم الأنبياء والصلحاء، ولا سيما أمر الملائكة بالسجود لآدم، وتعليمه جميع الأسماء، وما مشى عليه المفسر من أن المراد بما ولد ذريته، يستفاد منه العموم الصالح والطالح، وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته، وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده.

قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ هذا هو المقسم عليه. قوله: ﴿في كبد﴾ بفتحتين المشقة من المكابدة للشيء، وهي تحمل المشاق في فعله، وفي الآية إشارة إلى أنها قد أحاطت به إحاطة الظرف بالمظروف. قوله: [يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة] وذلك لأنه أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطاً وشد عليه، يكابد الضيق والتعب، ثم

﴿أنْ﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ٥ والله قادر عليه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾: على عداوة محمد ﴿مَالاً لُبَداً﴾ ٦: كثيراً بعضه على بعض ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾: أي أنه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧ فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيء ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ﴾ استفهام تقرير أي جعلنا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ١٠: بينا له طريقي الخير والشر ﴿فَلا﴾: فهلا ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ١١:

يكابد الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه وتحريك لسانه، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والترويج، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، ومصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ويكابد محناً في المال والنفس مثل الضرب والحبس؛ ولا يمضي عليه يوم إلا ويقاسي فيه شدة ويكابد مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم سؤال الملكين، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله تعالى، إلى أن يستقر به القرار، إما في جنة، وإما في نار، هكذا قرره العلماء. قوله: [وهو أبو الأشد] بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة، هو بالإفراد في كثير من النسخ تبعاً لكثير من المفسرين، وفي بعض النسخ الأشدين بصيغة التثنية تبعاً لبعض المفسرين، ولينظر وجهها، واسمه أسيد بن كلدة. قوله: [بقوته] الباء سببية ومن قوته أنه كان يجعل الأديم العكاظي تحت قدميه ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه.

قوله: ﴿أن لن يقدر عليه﴾ أي على بعثه ومجازاته. قوله: ﴿يقول﴾ أي افتخاراً. قوله: [على عداوة محمد] [على] بمعنى في. قوله: ﴿لبداً﴾ بضم اللام وكسرها مع فتح الباء قراءتان سبعيتان جمع لبدة وهو ما تلبد، والمراد به الكثرة. قوله: ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ استفهام إنكاري. قوله: [ليس مما يتكثر به] أي يفتخر بكثرته لأنه أنفقه فيما يغضب الله.

قوله: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ أي يبصر بهما المرئيات، شققناهما له وهو في ظلمة الرحم، وقدرنا بياضهما وسوادهما، وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن إدراكها. قوله: ﴿ولساناً﴾ أي يترجم به عما في ضميره. قوله: ﴿وشفتين﴾ أي يستر بهما فاه، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك، وفي الحديث يقول: «يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعك فرجك إلى بعض ما حرمت عليك، فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق». قوله: [طريقي الخير والشر] وصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر، بخلاف الشر، فإنه هبوط من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقوة، ففيه تغليب، والمعنى: بينا له أن طريق الخير ينجي، وطريق الشر يردي، وسلوك الأول ممدوح، والثاني مذموم، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود، وقال عكرمة: النجدان الثديان، أي لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه. قوله: [فهلا] أشار بذلك إلى أن لا بمعنى هلا للتحضيض وهو أحد احتمالين، والآخر أنها باقية على أصلها للنفي، أي لم يشكر على تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة، إن قلت: لم أفردت لا، مع أنها إذا دخلت على ماض تكرر كقوله تعالى: ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ أجيب: بأنها مكررة في المعنى كأنه قال: فلا فك رقبة، ولا أطعم مسكيناً.

قوله: ﴿اقتحم العقبة﴾ هي في الأصل الطريق الصعب في الجبل واقتحامها مجاوزتها، ثم أطلق على مجاهدة

جاوزها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ ١٢: التي يقتحمها تعظيم لشأنها والجملة اعتراض وبيّن سبب جوازها بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ ١٣: من الرق بأن أعتقها ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ١٤: مجاعة ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ ١٥: قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ١٦: أي لصوق بالتراب لفقره وفي قراءة: بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة وينون الثاني فيقدر قبل العقبة اقتحام والقراءة المذكورة بيانه ﴿ثُمَّ كَانَ﴾: عطف على اقتحم وثم للترتيب الذكري والمعنى كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾: أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالصَّبْرِ﴾: على الطاعة وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ ١٧: الرحمة على الخلق ﴿أُولَئِكَ﴾: الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ١٨: اليمين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ١٩: الشمال ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ ٢٠: بالهمزة والواو بدله، مطبقة.

النفس، في فعل الطاعات وترك المحرمات، والمراد باقتحامها فعلها وتحصيلها والتلبس بها، إذا علمت ذلك، فقول المفسر جاوزها تفسير لاقتحام العقبة لكن باعتبار الأصل، وليس مراداً هنا، فلو قال: أي تلبس بها ودخلها لكان أوضح أو يقال: المراد بالعقبة الطريق التي توصل إلى الجنة، فإنه ورد: أن بين العبد والجنة سبع عقبات، والمراد باقتحامها مجاوزتها بفعل الطاعات في الدنيا، فمعنى قول المفسر [جاوزها] أي فعل أسباب المجاوزة. قوله: [والجملة اعتراض] أي لبيان العقبة. قوله: [بأن أعتقها] أي مباشرة وهو ظاهر، أو تسبباً كشراء القريب.

قوله: ﴿ذي مسغبة﴾ مصدر ميمي بوزن مفعلة، من سغب يسغب، من باب فرح جاع، وقيد الإطعام بذلك الوقت، لأن إخراج المال فيه أثقل على النفس. قوله: ﴿ذا مقربة﴾ قيد اليتيم بكونه قريباً لأنه يجتمع حينئذ في الإطعام جهة الصلة والصدقة. قوله: [أي لصوق بالتراب] أي فهو كناية عن الافتقار. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [مضاف الأول لرقبة] أي من إضافة المصدر إلى مفعوله. قوله: [فيقدر قبل العقبة] إنما احتيج إلى تقدير هذا المضاف، ليطابق المفسِّر المفسَّر، وذلك لأن المفسِّر بكسر السين مصدر، والمفسَّر بفتحها وهو العقبة غير مصدر، فلو لم يقدر المضاف لكان المصدر وهو فك مفسراً لاسم العين وهي العقبة، وذلك غير جائز، وأما قراءة الأولى فالفعل فيها بدل من قوله: ﴿اقتحم﴾ فلا يحتاج لتقدير مضاف.

قوله: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ أتى بـ ﴿ثم﴾ إشارة لبعد رتبة الإيمان وعلوها، عن رتبة العتق والصدقة. قوله: [وثم للترتيب الذكري] أي لأن الإيمان هو السابق، لا يصح عمل إلا به.

قوله: ﴿بالصبر﴾ [على الطاعة] الخ أي وعلى ما أصابه من المحن والشدائد. قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿أصحاب الميمنة﴾ خبره، وأتى باسم الإشارة تكريماً لهم بأنهم حاضرون عنده، في مقام قربه وكرامته، فذكرهم بما يشار به للبعيد تعظيماً لهم وإشارة لعلو درجاتهم وارتفاعها.

قوله: ﴿أصحاب الميمنة﴾ أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، أو لأن منزلتهم عن يمين العرش. قوله: ﴿هم أصحاب المشأمة﴾ ذكرهم بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامة أنسه. قوله: [الشمال] أي لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، أو لأن منزلتهم عن الشمال. قوله: ﴿عليهم نار﴾ خبر ثان أو مستأنف. قوله: [بالهمز والواو] أي فيهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان، يقال: آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته. قوله: [مطبقة] أي عليهم تفسير لكل من القراءتين، والمعنى لا يخرجون منها أبداً، ولا يدخلها روح وريحان.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة والشمس

[مكية وهي خمس عشرة آية]

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾١: ضوئها ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾٢: تبعها طالعاً عند غروبها ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾٣: بارتفاعه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾٤: يغطيها بظلمته وإذا في الثلاثة لمجرد الظّرفية والعامل فيها فعل القسم ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾٥ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾٦: بسطها ﴿وَنَفۡسٖ﴾: بمعنى نفوس ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾٧: في الخلقة وما في الثلاثة

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة والشمس مكية

وهي خمس عشرة آية

أقسم سبحانه وتعالى بسبعة أشياء، إظهاراً لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية، وأشار إلى كثرة مصالح تلك الأشياء وعموم نفعها. قوله: ﴿وضحاها﴾ أي وهو وقت ارتفاعها. والحاصل أن الضحوة ارتفاع النهار، والضحى بالضم والقصر فوق ذلك، والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار كاد ينتصف. قوله: ﴿ضوئها﴾ هو أحد أقوال ثلاثة، وقيل: هو النهار كله، والثالث هو حر الشمس، وحكمة القسم بذلك أن العالم في وقت غيبة الشمس عنهم كالأموات، فإذا ظهر أثر الصبح، صارت الأموات أحياء، وتكاملت الحياة وقت الضحوة، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها. قوله: [تبعها] أي ظهر ضوؤه وسلطانه بعد غروبها وخلفها في انتشار الضياء، فلا ينافي أنه قد يوجد مصاحباً لها، كالليلة الخامسة من الشهر مثلاً. قوله: [طالعاً عند غروبها] حال من ضمير [تبعها] والمراد ظهوره بعد غيبتها في أي وقت من الليل، فيشمل أول الشهر وأوسطه وآخره. قوله: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ الضمير المستتر المرفوع إما عائد على ﴿النهار﴾ أو على الله تعالى، والبارز المنصوب إما للشمس أو للظلمة، والمعنى: أظهرها وكشفها. قوله: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ أتى به مضارعاً، ولم يقل غشيها للفواصل، أو إشارة لدوام القسم بهذا الأمر، واستمراره شيئاً بعد شيء، فلم يلتزم فيه صيغة الماضي، وأتى به متوسطاً، إشارة إلى أن ما قبله وما بعده محمول عليه. قوله: [يغطيها بظلمته] أي فيزيل ضوءها، فالنهار يجليها ويظهرها، والليل يغطيها ويسترها. [لمجرد الظرفية] من إضافة الصفة للموصوف، أي الظرفية المجردة عن الشرطية. قوله: [والعامل فيها فعل القسم] استشكل بأنه يلزم عليه اختلاف العامل والمعمول في الزمان، وذلك لأن فعل القسم إنشاء، وزمانه الحال، وإذا للاستقبال، وحينئذ فلا يصح عمله في إذا. أجيب: بأن فعل القسم يدل على الحال، ما لم يكن مقروناً بظرف يفيد الاستقبال كإذا، وإلا فيكون للاستقبال تبعاً لمعموله. قوله: [بسطها] أي على الماء. قوله: [بمعنى نفوس] أشار بذلك

مَصْدريةٌ أو بمعنى مَنْ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^٨ : بيّن لها طريقي الخير والشر وأخّر التقوى رعاية لرؤوس الآي وجواب القسم ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ : حذفت منه اللام لطول الكلام ﴿مَن زَكَّاهَا﴾^٩ طهّرها من الذنوب ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ : خسر ﴿مَن دَسَّاهَا﴾^١٠ : أخفاها بالمعصية وأصله دسسها أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ : رسولها صالحاً ﴿بِطَغْوَاهَا﴾^١١ : بسبب طغيانها ﴿إِذِ انبَعَثَ﴾ : أسرع ﴿أَشْقَاهَا﴾^١٢ : واسمه قدار إلى عقر الناقة برضاهم ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ : صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ : أي ذروها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾^١٣ : شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ : في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ : قتلوها ليسلم لهم ماء

إلى أن التنكير للتكثير. قوله: ﴿وما سواها﴾ [في الخلقة] أي عدلها على هذا القانون المحكم والتركيب المتقن. قوله: [وما في الثلاثة مصدرية] أي وبناها السماء الخ، وحينئذ فالكلام إما على حذف مضاف، أي ورب البناء والطحو والتسوية، أو القسم بتلك الأشياء لعظمتها وجلالة قدرها، كما تقدم في القسم بالشمس ونحوه. قوله: [أو بمعنى من] أي ومن بناها الخ، وبه استدل من يجوز وقوعها على آحاد أولي العلم، لأن المراد به الله تعالى. قوله: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ الإلهام في الأصل إلقاء شيء في القلب بطريق الفيض، ينشرح له الصدر ويطمئن، ثم أطلق هنا على مطلق التبيين. قوله: [طريقي الخير والشر] لف ونشر مشوش. قوله: [حذفت منه اللام] أي لطول الكلام، لأن الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله عليه إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام، وقد يجوز الاقتصار على أحدهما عند طول الكلام أو للضرورة. قوله: ﴿من زكاها﴾ الخ الفاعل ضمير ﴿من﴾ في الموضعين، وقيل: ضمير عائد على الله، والتقدير: من زكاها الله بالطاعة، وقد خاب من دساها الله بالمعصية. قوله: ﴿وقد خاب من دساها﴾ كرر ﴿قد﴾ إشارة لمزيد الاعتناء بمضمونها. قوله: [وأصله دسسها] مأخوذ من التدسيس وهو الإخفاء، والمعنى: أخمدها وأخفاها بالكفر والمعصية، لأن المعاصي تذل النواصي. قوله: ﴿كذبت ثمود﴾ مناسبتها لما قبلها أنه لما أقسم بتلك الأقسام المذكورة. على فلاح المطيع وخيبة العاصي، ذكر في تلك القصة المطيع وهو صالح عليه السلام، والعاصي وهو قومه.

قوله: [بسبب طغيانها] أشار بذلك إلى أن الباء سببية. قوله: ﴿إذ انبعث﴾ مطاوع بعث تقول: بعثت فلاناً على أمر فانبعث له، والباعث لهم على ذلك التكذيب والطغيان. قوله: [واسمه قدار] أي بوزن غراب ابن سالف، وهو أشقى الأولين، وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً، وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: أتدري من أشقى الأولين؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: عاقر الناقة، قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك». قوله: [برضاهم] قال قتادة: بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم.

قوله: ﴿فقال لهم﴾ أي بسبب الانبعاث، والمعنى أنه لما عرف منهم العزم على عقرها قال لهم ما ذكر. قوله: [ناقة الله] الإضافة للتشريف، من حيث إنها دالة على توحيد الله، بسبب ما فيها من الأمور الغريبة المخالفة للعادة التي لا تمكن من غيره تعالى. قوله: [أي ذروها] أشار بذلك إلى أن ﴿ناقة﴾ منصوب على التحذير، والكلام على حذف مضاف، أي ذروا عقرها واحذروا سقياها. قوله: [شربها] بضم الشين وكسرها اسمان، وبفتحها مصدر شرب، والمعنى ومشروبها. قوله: [ولهم يوم] أي يوم يشربون فيه هم ومواشيهم.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي استمروا على تكذيبه. قوله: [في قوله ذلك عن الله] دفع بذلك ما يقال: إن تحذيرها من الناقة وسقياها إنشاء، والتكذيب من معارض الأخبار. فأجاب المفسر: بأن تكذيبه من حيث نقله عن الله فهو خبر. قوله: [المرتب عليه نزول العذاب بهم] وذلك أن صالحاً قال لهم: يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام، قالوا: وما العلامة

شربها ﴿فَدَمْدَمَ﴾: أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾: العذاب ﴿بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[١٤]: أي الدمدمة عليهم أي عمّهم بها فلم يفلت منهم أحداً ﴿وَلَا﴾: بالواو والفاء ﴿يَخَافُ﴾: تعالى ﴿عُقْبَاهَا﴾[١٥]: تبعتها.

على ذلك العذاب؟ قال: تصبحون في اليوم الأول وكان هو الأربعاء وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني وهو الخميس وجوهكم محمرة، وفي الثالث وهو الجمعة وجوهكم مسودة، وفي الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب، فحصل ذلك وتقدم بسطه. قوله: ﴿فعقروها﴾ أي عقرها قدار في رجليها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها. قوله: [ماء شربها] أي الماء الذي كانت تشربه.

قوله: ﴿فدمدم﴾ [أطبق] ﴿عليهم﴾ الخ، أي فهو مأخوذ من الدمدمة، من إطباق الشيء على الشيء، يقال: دمدم عليه القبر أطبقه، والمعنى أهلكهم. قوله: [فلم يفلت منهم أحداً] أي إلا من آمن مع صالح، وهم أربعة آلاف. قوله: [بالواو والفاء] أي فهما سبعيتان، أما الواو فإما للحال أو مستأنفة، والفاء للتعقيب. قوله: [تبعتها] أي عاقبة هلكتهم، كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله فهو استعارة تمثيلية، لإهانتهم وإذلالهم، ويجوز عود الضمير على الرسول، أي أنه لا يخاف عاقبة إنذاره لهم لعصمته بالله تعالى، وقيل: الضمير يرجع للعاقر، فهو زيادة في التقبيح عليه.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة الليل

[مكية وهي إحدى وعشرون آية]

[﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ ١ : بظلمته كلّ ما بيْن السّماء والأرض ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ٢ : تكشف وظهر و﴿إذا﴾ في الموضعين

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الليل مكية
وهي إحدى وعشرون آية

هذه السورة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي أمية بن خلف، فالصدّيق بلغ الغاية في الإيمان والصدق والكرم، وأمية بلغ الغاية في الكفر والكذب والبُخل، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿والليل إذا يغشى﴾ أقسم به تعالى، لكونه جليلاً عظيماً، تسكن الخلق فيه عن التحرك، ويغشاهم النوم الذي هو راحة لأبدانهم. قوله: [كل ما بين السماء والأرض] أشار به إلى أن مفعول ﴿يغشى﴾ محذوف تقديره [كل ما بين السماء والأرض] وقيل تقديره النهار أو الشّمس، وكل صحيح. قوله: ﴿والنهار إذا تجلى﴾ أقسم به لأنه مظهر جمال الله، إذ به ينكشف ما كان مستوراً بظلمة الليل، وفيه تتحرك الناس لمعايشهم، والطيور، من أوكارها، والهوام من مكانها، فلو

● أسباب نزول الآية ١ ـ ٢١: أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس: أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء فدخل الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فربما تقع ثمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل من نخلته فيأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم أحدهم أدخل اصبعه حتى يخرج الثمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ فقال: اذهب، ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له: أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة، فقال الرجل: لقد أعطيت وإن لي لنخلاً كثيراً وما فيه نخلة أعجب إلي ثمرة منها، ثم ذهب الرجل ولقي رجلاً كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: أتعطيني يا رسول الله ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها، قال: نعم، فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة، ولكليهما نخل، فقال له صاحب النخلة: أشعرت أن محمداً ﷺ أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها ولي نخل كثير ما فيه نخلة أعجب إلي ثمرة منها، فقال له الآخر: أتريد بيعها، فقال: لا إلا أن أعطى بها ما أريد ولا أظن أعطى، فقال: فكم مناك فيها، قال: أربعون نخلة، قال: لقد جئت بأمر عظيم، ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة فاشهد لي إن كنت صادقاً، فدعا قومه فأشهد له، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن النخلة قد صارت لي وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله ﴿والليل إذا يغشى﴾ إلى آخر السورة قال ابن كثير: حديث غريب جداً.

المُجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم ﴿وَمَا﴾: بمعنى مَنْ أو مصدرية ﴿خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ ٣: آدم وحوّاء وكل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكراً ولا أنثى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾: عملكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾ ٤: مختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾: حق الله ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ٥: الله ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ ٦: أي بلا إله إلا الله في الموضعين ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ ٧: للجنة ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾: بحق الله ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ ٨: عن ثوابه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾: نهيئه ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ ١٠: للنار

كان الدهر كله ليلاً لتعذر المعاش، ولو كان كله نهاراً لعُدمت الراحة، فكانت المصلحة في تعاقبهما. قوله: **[المجرد الظرفية]** أي الظرفية المجردة عن الشرط. قوله: **[والعامل فيها فعل القسم]** أي المقدر، ويأتي هنا ما تقدم من الأشكال والجواب. قوله: **[بمعنى من]** أي فهي اسم موصول، ويكون تعالى أقسم بنفسه، أي والقادر على خلق الذكر والأنثى. قوله: أو **[مصدرية]** أي وخلق الله الذكر والأنثى، أي تعلقت قدرته بخلقهما. قوله: **[آدم وحواء]** أي فتكون أل للعهد. قوله: **[أو كل ذكر وكل أنثى]** أي من جميع المخلوقات، فأل للاستغراق، وقيل: كل ذكر وكل أنثى من الآدميين، فتكون أل استغراقية استغراقاً عرفياً. قوله: **[والخنثى المشكل]** مبتدأ، وقوله: **[عندنا]** ظرف لقوله **[المشكل]** وقوله: **[ذكر]** الخ خبر، وقوله: **[عند الله]** ظرف لقوله: **[ذكر]** الخ، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره: لم لم يدخل الخنثى المشكل في عموم الذكر ولا في عموم الأنثى؟ فأجاب بما ذكر. قوله: **[فيحنث بتكليمه]** أي لأن الله تعالى لم يخلق من ذوي الأرواح، من ليس ذكراً ولا أنثى، والخنثى إنما هو مشكل بالنسبة إلينا، خلافاً لمن قال: هو نوع ثالث، ويرده قوله تعالى ﴿يهب لن يشاء إناثاً﴾ الآية.

قوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ جواب القسم، وسعيكم مصدر مضاف يفيد العموم، فهو جمع في المعنى، وإن كان لفظه مفرداً، ولذا خبر عنه بالجمع وهو شتى، فهو بمعنى مساعيكم. قوله: **[مختلف]** أي متباعد الأبعاض، لأنه منقسم إلى ضلال وهدى، والضلال أنواع، والهدى أنواع، ويصح أن المعنى مختلف الجزاء، فمنكم مثاب بالجنة، ومعاقب بالنار. قوله: ﴿فأما من أعطى﴾ تفصيل لتلك المساعي المختلفة وتبيين لأحكامها. قوله: **[حق الله]** الخ، أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿أعطى﴾ ﴿واتقى﴾ محذوفان لإفادة العموم، فيشمل إعطاء حقوق الله في المال بإنفاقه في وجوه البر، والنفس ببذلها في طاعة الله تعالى، وتقوى الله تعالى هي امتثال مأموراته واجتناب منهياته. قوله: **[أي بلا إله إلا الله]** أي مع محمد رسول الله، وقيل: المراد بالحسنى الجنة لقوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ ومعنى تصديقه بها إيمانه بالبعث والجزاء.

قوله: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ التنفيس ليس مراداً، لأن التيسير حاصل في الحال، وإنما الإتيان بالسين لتحسين الكلام وترقيقه. قوله: **[الجنة]** أي لما ورد: «ما من نفس منفوسة إلا كتب الله مكانها من الجنة أو النار، فقال القوم: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال ﷺ: بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فإنه ميسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فإنه ميسر لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ: **﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾** وقيل: معنى اليسرى أسباب الخير والصلاح. قوله: ﴿واستغنى﴾ **[عن ثوابه]** أي تكبراً

---

* أسباب نزول الآية ٥: وأخرج الحاكم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك يا بني، فقال: يا أبت إني إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات فيه ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ إلى آخر السورة.

﴿وَمَا﴾ نافية ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾١١: في النار ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾١٢: لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الأول ونهينا عن ارتكاب الثاني ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾١٣: أي الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾: خوفتكم يا أهل مكة ﴿نَاراً تَلَظَّى﴾١٤: بحذف إحدى التاءين من الأصل وقرىء بثبوتها أي تتوقد ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾: يدخلها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾١٥: بمعنى الشقي ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾: النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾١٦: عن الإيمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فيكون المراد الصلي المؤبد ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: يبعد عنها ﴿الْأَتْقَى﴾١٧: بمعنى التقي ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾١٨: متزكياً به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى لا رياء ولا سمعة فيكون زاكياً عند الله وهذا نزل في الصديق رضي الله تعالى عنه لما اشترى بلالاً

وعناداً. قوله: ﴿بالحسنى﴾ أي بالتوحيد أو الجنة. قوله: [نهيئه] دفع بذلك ما يقال: إن العسرى لا تيسير فيها، فأجاب: بأن المراد بالتيسير التهيئة، وهي كما تكون في اليسرى تكون في العسرى، والمعنى تجري على يديه عملاً يوصله إلى النار. قوله: ﴿وما يغني عنه ماله﴾ متعلق بالشق الثاني، والمعنى إذا هيأناه لعمل النار سقط فيها وهلك، ولا ينفعه ماله الذي بخل به وتركه لورثته. قوله: ﴿إذا تردى﴾ أي سقط.

قوله: ﴿إن علينا للهدى﴾ أي بمقتضى حكمتنا وتعلق قدرتنا، وإلا فلا يجب على الله تعالى شيء. قوله: ﴿لتبيين طريق الهدى﴾ الخ دفع بذلك ما يقال: إن في الآية اكتفاء، والتقدير: إن علينا للهدى والضلال أي تبيين كل منهما، وإيضاح جواب المفسر: أن المراد بالهدى التبيين ومعموله محذوف، والتقدير: إن علينا لتبيين طريق الحق من طريق الباطل. قوله: [فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ] أي فهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾. قوله: ﴿تلظى﴾ مرفوع بضمة مقدرة على الألف للتعذر صفة لناراً. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً. قوله: ﴿لا يصلاها﴾ مضارع صلي بكسر اللام، والمصدر صلياً بضم فكسر مع تشديد الياء. قوله: [وهذا الحصر مؤول] أي مصروف عن ظاهره، وقصد المفسر بهذا الكلام الرد على المرجئة القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب، مستدلين بظاهر هذه الآية، حيث حصر دخول النار في الكفار، فمقتضاها: أن المؤمن لا يدخلها ولو فعل الكبائر، ووجه الرد: أن الآية محمولة على الدخول المؤبد، فلا ينافي أن عصاة المؤمنين يدخلونها، ثم يخرجون منها بالشفاعة، إذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر لا يلاقي كلام المرجئة، فكان محله أن يقول: مؤول بحمل الصلي على التأبيد والخلود، وأما قوله: [لقوله تعالى ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾] فلا مدخل له في رد كلام المرجئة إلا أن يقال له مدخل من حيث مفهومه، إذ مفهوم ﴿لمن يشاء﴾ أن من لم يشأ الغفران له لم يغفر له، بل يدخله النار.

قوله: ﴿يتزكى﴾ بدل من يؤتي أو حال من فاعله، ومشى المفسر على الثاني حيث قال [متزكياً]. قوله: [وهذا نزل في الصديق] الإشارة لقوله: ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى﴾. قوله: [لما اشترى بلالاً] أي من سيده وهو أمية بن خلف، وكان الصديق رضي الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال له أبوه: أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك، فقال: منع ظهري أريد، فنزلت الآية، ورد أنه كان بلال لبعض بني جمح، وهو بلال بن رباح، واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس، فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، فيقول وهو

---

* أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله، وفيه نزلت ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ إلى آخر السورة.

المعذب على إيمانه وأعتقه فقال الكفار إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩ إِلَّا﴾: لكن فعل ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ٢٠: أي طلب ثواب الله ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ ٢١: بما يعطاه من الثواب في الجنة والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب.

في ذلك: أحد أحد، فمر النبي ﷺ فقال: أحد ينجيك، يعني الله تعالى، ثم قال النبي ﷺ لأبي بكر: إن بلالاً يعذب في الله، فعرف أبو بكر الذي يريده رسول الله ﷺ، فانصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من ذهب ومضى إلى أمية بن خلف فقال: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه بما ترى، ففي رواية أنه فداه برطل من ذهب، وفي رواية أنه قال له: عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، وهو على دينك، فأعطاه له وأخذ بلالاً فأعتقه. وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال له أتبيعه؟ قال: نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبي بكر، وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش، وكان مشركاً، حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له: فأبى فأبغضه أبو بكر، فلما قال أمية: أبيعك بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به، وكان قد أعتق قبله ست رقاب وهم: عامر بن فهيرة شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة شهيداً. وأعتق أم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا وبيت الله، ما تضر اللات والعزى وما ينفعان، فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق الفهرية وابنتها وكانتا لامرأة لبني عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما تحتطبان لها وهي تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر: كلا يا أم فلان، فقالت: كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبكم؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان. ومر بجارية من بني المرسل وهي تعذب، فابتاعها فأعتقها، وفي ذلك يقول عمار بن ياسر:

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه ... عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل
عشية هما في بلال بسوءة ... ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الأنام وقوله ... شهدت بأن الله ربي على مهل
فإن تقتلوني تقتلوني ولم أكن ... لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب إبراهيم والعبد يونس ... وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل
لمن ظل يهوى الغي من آل غالب ... على غير حق كان منه ولا عدل

قوله: [فقال الكفار] الخ المناسب أن يقول: ولما قال الكفار: [إنما فعل ذلك] الخ نزل قوله تعالى: ﴿وما لأحد﴾ الخ. قوله: [إنما فعل] أي أبو بكر، وقوله: [ذلك] أي شراء بلال وإعتاقه، وقوله: [ليد كانت له] أي نعمة كانت لبلال عند أبي بكر، بأن صنع مع أبي بكر معروفاً فأحب أبو بكر مكافأته بما فعله معه، وقوله: [فنزل] أي تكذيباً للكفار. قوله: ﴿وما لأحد عنده﴾ أي عند أبي بكر، لا من بلال ولا غيره. قوله: ﴿تجزي﴾ صفة لـ ﴿نعمة﴾ أي يجزي الإنسان بها، وأتى به مضارعاً مبنياً للمفعول رعاية للفواصل. قوله: [لكن فعل ذلك] الخ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة، وهو منصوب على أنه مفعول لأجله. قوله: ﴿ولسوف يرضى﴾ جواب قسم مقدر، أي والله لسوف يرضى، وهو وعد من الكريم تعالى لأبي بكر بنيل جميع ما يتمناه على أبلغ وجه وأجمله، والعامة على بناء ﴿يرضى﴾ للفاعل، وقرئ شذوذاً ببنائه للمفعول، أي يرضيه الله، أي يعطيه حتى يرضى.

---

* أسباب نزول الآية ١٩: وأخرج البزار عن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ إلى آخرها في أبي بكر الصديق.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة والضحى

[مكية وهي إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبّر ﷺ آخرها فسن التكبير آخرها وروي الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر أو لا إله إلا الله والله أكبر.

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الضحى مكية
وهي إحدى عشرة آية

قوله: [كبر] أي قال: الله أكبر أو: لا إله إلا الله والله أكبر. و: لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد. وحكمة تكبيره: تذكره عظمة نعمة الله تعالى عليه، فشكر ربه على ذلك، ولم تشغله النعم عن المنعم. قوله: [فسن التكبير آخرها] أي أخذاً من فعله عليه الصلاة والسلام ومن أمره. واعلم أنه اختلف هل التكبير لأول السورة أو لخاتمتها؟ فعلى الأول: يكبر بين الليل والضحى، وفي أول الناس، ولا يكبر في آخرها. وعلى الثاني: لا يكبر أول الضحى، ويكبر آخر الناس. ومنشأ الخلاف أنه كان تكبيره ﷺ آخر قراءة جبريل وأول قراءته هو ﷺ. واعلم أيضاً: أنه يتأتى على القولين المذكورين، حال وصل السورة بما بعدها ثمانية أوجه، يمتنع منها وجه واحد، وهو وصل آخر السورة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها، لئلا يتوهم أن البسملة لآخر السورة، والسبعة الباقية جائزة، اثنان منها على تقدير: أن يكون التكبير لآخر السورة، وهما وصل التكبير بآخر السورة التي بعدها، والوقف عليه مع وصل البسملة بأول السورة التي بعدها، ووصله بآخر السورة، والوقف عليه وعلى البسملة، فيقف على كل منهما وقفاً مستقلاً، واثنان منها على تقدير: أن يكون لأولها وهما قطعه عن آخر السورة، ووصله بالبسملة مع الوقف عليها، ثم الابتداء بأول السورة، وقطعه عن آخر السورة، ووصله بالبسملة مع وصلها بأول السورة، وثلاثة محتملة للتقديرين وهي: وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة، وبأول السورة التي بعدها، وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة، مع وصل البسملة بأول السورة، وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة، وقطع البسملة عن أول السورة، وهذه الأوجه السبعة تجري من آخر الضحى إلى آخر الفلق، وأما بين الليل والضحى، فيجوز خمسة أوجه فقط: الاثنان على تقدير كونه لأول السورة، والثلاثة المحتملة وبين الناس والفاتحة يجوز خمسة أيضاً، الاثنان على تقدير كونه لآخر السورة، والثلاثة المحتملة. قوله: [أو لا إله إلا الله] هذه هي النسخة الصحيحة، وفي بعض النسخ: ولا إله إلا الله بالواو وهي بمعنى أو، فأفاد المفسر روايتين، وبقيت رواية ثالثة وهي الجمع بين التهليل والتكبير والتحميد وعليها العمل.

﴿وَالضُّحَى﴾[١]: أي أول النهار أو كله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[٢]: غطى بظلامه أو سكن ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٣]: أبغضك نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً إن ربه ودعه

قوله. ﴿والضحى﴾ الخ، قدم ﴿الضحى﴾ هنا على ﴿الليل﴾ وفي السورة التي قبلها قدم الليل، وذلك لأن في كل مزية تقتضي تقديمه، فقدم هذا تارة، والآخر أخرى، فالليل به السكون والهدوء، ومحل الخلوات والعطايا الربانية، والنهار به النور والسعي في المصالح واجتماع الناس، أو لأن السورة المتقدمة سورة أبي بكر، وهو قد سبق له الكفر، فقدم فيها الليل، وهذه سورة محمد ﷺ وهو محض نور، فقدم فيها ﴿الضحى﴾. إن قلت: ما الحكمة في ذكر ﴿الضحى﴾ وهو ساعة، وذكر ﴿الليل﴾ بجملته؟ أجيب: بأن ذلك إشارة إلى أن ساعة من النهار توازي جميع الليل، كما أن محمداً يوازي جميع الخلق، وأيضاً الضحى وقت سرور، والليل وقت وحشة، ففيه إشارة إلى أن سرور الدنيا أقل من شرورها. قوله: [أو كله] أي وعليه ففيه مجاز من إطلاق الجزء على الكل.

قوله: ﴿إذا سجى﴾ ﴿إذا﴾ لمجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم المقدر كما تقدم نظيره. قوله: [غطى بظلامه] أي كل شيء. قوله: [أو سكن] إسناد السكون له مجاز عقلي، والمعنى: سكن أهله من إسناد الشيء لزمانه.

قوله: ﴿ما ودعك﴾ بالتشديد في قراءة العامة من التوديع، وهو في الأصل مفارقة المحبوب مع التألم، أطلق وأريد منه مطلق الترك، بدليل القراءة الشاذة بالتخفيف من الودع وهو الترك.

قوله: ﴿وما قلى﴾ مضارعه من باب ضرب وقتل. قوله: [نزل هذا] الخ، اختلف في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال: الأول: ما روي أنه ﷺ اشتكى ليلتين أو ثلاثاً فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب وقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فنزلت. الثاني: أبطأ الوحي حتى شق عليه، فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو، وأنزل عليه الآية. الثالث: ما روي أن خولة كانت تخدم النبي ﷺ فقالت: إن جرواً دخل البيت فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي، فقال ﷺ: يا خولة ما حدث في بيتي؟ إن جبريل لا يأتيني، قالت خولة: فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة، فقال: يا خولة دثريني، فلما نزل جبريل عليه سأله النبي ﷺ عن التأخر فقال: أما علمت أنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة؟ الرابع: ما روي أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف فقال ﷺ: سأخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله، فاحتبس عنه

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الشيخان وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة، فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾. وأخرج سعيد بن منصور والفريابي عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد ودع محمد فنزلت، وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال: مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك، فأنزل الله ﴿والضحى﴾ الآيات، وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة في مسنده، والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن مسيرة القرشي عن أمه عن أمها خولة، وقد كانت خادم رسول الله ﷺ: أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت الجرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي فقال: يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني، فقلت في نفسي: لو هيأت البيت فكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ يرعد بجبته وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله ﴿والضحى﴾ إلى قوله ﴿فترضى﴾ قال الحافظ ابن حجر: قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح.

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت لنبي الله ﷺ: ما أرى ربك إلا قد قلاك فنزلت، وأخرج أيضاً عن عروة قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً، فقالت خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك فنزلت، وكلاهما مرسل ورواتهما ثقات. قال الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلاً من أم جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل قالته شماتة وخديجة قالته توجعاً.

وقلاه ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ﴾: لما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[٤]: الدنيا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾: في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلاً ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾[٥]. فقال ﷺ: «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار» إلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾: استفهام تقرير أي وجدك ﴿يَتِيمًا﴾: بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾[٦]: بأن ضمك إلى عمك أبي طالب ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾: عما أنت عليه الآن من الشريعة

الوحي، إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ وأخبره بما سأل عنه، ونزلت هذه الآية. قوله: ﴿خمسة عشر يوماً﴾ هذا قول ابن عباس، وقال ابن جرير: اثني عشر يوماً، وقال مقاتل: أربعون يوماً روي أنه لما جاءه جبريل قال له: ما جئت حتى اشتقت إليك، فقال جبريل: إني كنت إليك أشوق، ولكني عبد مأمور، وأنزل عليه ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾.

قوله: ﴿وللآخرة﴾ اللام للابتداء مؤكدة لمضمون الجملة. قوله: ﴿خير لك﴾ إنما قيد بقوله: ﴿لك﴾ لأنها ليست خيراً لكل أحد، بل الناس على أربعة أقسام: منهم من له الخير في الدارين، وهم أهل الطاعة الأغنياء. ومنهم من له الشر فيهما، وهم الكفرة الفقراء. ومنهم من له صورة خير في الدنيا، وشر في الآخرة، وهم الكفرة الأغنياء. ومنهم من له صورة شر في الدنيا، وخير في الآخرة، وهم الفقراء المؤمنون. قال بعض أهل الإشارات في الآية إشارة إلى أنه ﷺ دائماً يترقى في الكمالات إلى غير نهاية، فمقامه في المستقبل أعلى منه في الماضي وهكذا، ويدل لذلك أيضاً قوله في الحديث: «إني ليغان على قلبي، فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة» فاستغفاره لكونه ارتقى مقاماً أعلى من الأول، فرأى أن الذي انتقل منه بالنسبة للذي انتقل إليه ذنباً.

قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ [في الآخرة] المناسب أن يبقى على عمومها لأن اعطاءه حتى يرضى ليس قاصراً على الآخرة، بل عام في الدنيا والآخرة، فهو وعد شامل، لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين، ولما ادخر له مما لا يعلم كنهه سواه قال، وقيل: عطاؤه هو الشفاعة، وقيل: يعطيك ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك، وفيها ما يليق بها، والحق التعميم بما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى. قوله: [وواحد من أمتي] أي الموحدين، فالمراد أمة الإجابة، وقد أشار لذلك بعض العارفين بقوله:

قرأنا في الضحى ولسوف يعطي　　　فسر قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يا رسول الله ترضى　　　وفينا من يعذب أو يساء

قوله: ﴿ألم يجدك يتيماً﴾ الخ القصد من هذا تسليته ﷺ ليزداد شكراً وصبراً، والوجود بمعنى العلم فـ ﴿يتيماً﴾ مفعول ثان، والكاف مفعوله الأول. قوله: [استفهام تقريري] أي بما بعد النفي. قوله: [بفقد أبيك] مصدر مضاف لمفعوله. قوله: [قبل ولادتك] أي بعد حمله بشهرين، وقيل قبل ولادته بشهرين، وقوله: [أو بعدها] أي وعليه فقيل بشهرين، وقيل بسبعة، وقيل بتسعة أشهر، وقيل بثمانية وعشرين شهراً، والصحيح الأول، وكانت وفاته بالمدينة الشريفة، ودفن في دار التابعة، وقيل دفن بالأبواء قرية من أعمال الفرع، وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين، وقيل بخمس،

---

* أسباب نزول الآية ٤: وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني فأنزل الله ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ إسناد حسن.

* أسباب نزول الآية ٥: وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كفراً كفراً، أي قرية قرية، فسر به فأنزل الله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾.

﴿فَهَدَى﴾٧: أي هَدَاكَ إليها ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً﴾: فقيراً ﴿فَأَغْنَى﴾٨: أغناكَ بما قَنَعك به من الغنيمة وغيرها وفي

وقيل ست، وقيل سبع، وقيل ثمان، وقيل تسع، وقيل ثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام، وكانت وفاتها بالأبواء، وقيل بالحجون، ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب لأنه كان شقيق أبيه، وورد أنه لما مات أبواه قالت الملائكة: بقي نبيك يتيماً، فقال الله تعالى: أنا له كافل، وسئل بعض العلماء لم يتم ﷺ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه منة، فيتمه ﷺ كمال، ولذا قال البوصيري:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

قوله: ﴿فآوى﴾ العامة على قراءته بألف بعد الهمزة رباعياً، من آواه يؤويه، وأصله أأوى بهمزتين: الأول مفتوحة، والثانية ساكنة، أبدلت الثانية ألفاً، ومصدره الإيواء كالإكرام، وهو متعد باتفاق، وقرئ شذوذاً بغير ألف ثلاثياً كرمى، ومصدره إيواء بوزن كتاب، وأوى بوزن فعول بالضم، وأوى بوزن ضرب، وهو يستعمل لازماً ومتعدياً. قوله: [بأن ضمك إلى عمك أبي طالب] أي بعد وفاة جدك عبد المطلب، وقيل هو من قولهم درة يتيمة، والمعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير، فآواك إليه، وشرفك بنبوته، واصطفاك برسالته.

قوله: ﴿ووجدك ضالاً﴾ [عما أنت عليه الآن من الشريعة] أي وجدك خالياً من الشريعة، فهداك بإنزالها إليك، والمراد بضلالة كونه من غير شريعة، وليس المراد به الانحراف عن الحق، لكونه مستحيلاً عليه قبل النبوة وبعدها، فهذا كقوله تعالى ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية، وقيل الضلالة بمعنى الغفلة، قال تعالى: ﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ وهو قريب من الأول، وقيل وجدك ضالاً، أي في قوم ضلال، فهداهم الله تعالى بك، وقيل وجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها، وقيل ناسياً شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فذكرك، وقيل وجدك طالباً للقبلة فهداك إليها، قال تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ الآية، فيكون الضلال بمعنى الطلب والحب، قال تعالى ﴿إنك لفي ضلالك القديم﴾ أي محبتك، وقيل إن حليمة لما قضت حق الرضاع، جاءت برسول الله ﷺ لترده على عبد المطلب، فسمعت عند باب مكة: هنيئاً لك يا بطحاء مكة، اليوم يرد الله إليك النور والبهاء والجمال، قالت: فوضعته لأصلح شأني، فسمعت هدة شديدة، فالتفت فلم أره، فقلت: يا معشر الناس أين الصبي؟ فقالوا: لم نر شيئاً، فصحت: وامحمداه، فإذا شيخ فان يتوكأ على عصاه فقال: اذهبي إلى الصنم الأعظم، فإن شاء أن يرده إليك فعل، ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال: يا رب لم تزل منتك على قريش، وهذه السعدية كما تزعم أن ابنها قد ضل، فرده إن شئت، فانكب على وجهه، وتساقطت الأصنام وقالت: إليك عنا أيها الشيخ، فهلاكنا على يد محمد، فألقى الشيخ عصاه وارتعد وقال: إن لابنك رباً لا يضيعه فاطلبيه على مهل، فانحشرت قريش إلى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه، فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعاً، وتضرع إلى الله تعالى أن يرده، فسمعوا منادياً ينادي من السماء: معاشر الناس لا تضجوا، فإن لمحمد رباً لا يخذله ولا يضيعه، وإن محمداً بوادي تهامة عند شجرة السمر، فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل، فإذا النبي ﷺ قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان وبالورق، وفي رواية: ما زال عبد المطلب يردد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد ﷺ بين يديه وهو يقول: ألا تدري ماذا جرى من ابنك؟ فقال عبد المطلب: ولم؟ فقال: إني أنخت الناقة وأركبته خلفي، فأبت الناقة أن تقوم، فلما أركبته أمامي قامت الناقة. قال ابن عباس: رده الله تعالى إلى جده بيد عدوه، كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه فرعون، وقيل: إنه عليه السلام خرج مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة عبد خديجة، فبينما هو

الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ٩: بأخذ ماله أو غير ذلك ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ١٠: تزجره لفقره ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: عليك بالنبوة وغيرها ﴿فَحَدِّثْ﴾ ١١: أخبر وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل.

راكب ذات ليلة مظلمة ناقة، فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل عليه السلام، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة وردّه إلى القافلة.

قوله: ﴿عائلاً﴾ هذه قراءة العامة، يقال: عال زيد أي افتقر، وأعال كثرت عياله، وقرئ شذوذاً عيلاً بكسر الياء المشدّدة. قوله: [بما قنعك به] أي بما رضاك به وقوله: [من الغنيمة] أي وإن كانت لم تحصل إلا بعد نزول هذه السورة، لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع كان كالواقع، وقيل: أغناك بمال خديجة وتربية أبي طالب، ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر، ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم، لما روي: «جعل رزقي تحت ظل سيفي ورمحي». قوله: [وغيرها] أي كمال خديجة، ومال أبي بكر، وبإعانة الأنصار حين الهجرة. قوله: [عن كثرة العرض] بفتحتين المال، وفي الحديث: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه».

قوله: ﴿فأما اليتيم﴾ منصوب بـ ﴿تقهر﴾ وهذا مفرع على قوله: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ فالمعنى: أصنع مع عبادي كما صنعت معك. قوله: [بأخذ ماله] أي كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم. وروي أنه ﷺ قال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، ثم قال بأصبعيه: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وهو يشير بأصبعيه. قوله: [أو غير ذلك] أي كإذلاله واحتقاره.

قوله: ﴿وأما السائل﴾ منصوب بـ ﴿تنهر﴾ والمعنى: إما أن تطعمه أو ترده برفق، وقيل: المراد بالسائل ما يشمل طالب العلم، فيكرمه وينصفه ولا يعبس في وجهه ولا يتلقاه بمكروه، وهذا العموم أولى، وهو مفرع على قوله: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ والمعنى: اغن عبادي وأعطهم، كما أغنيتك وأعطيتك. قوله: ﴿وأما بنعمة ربك﴾ الخ هذا عام، وإنما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لأنهما محتاجان، والله هو الغني، وتقديم المحتاج أولى، ولأن المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله تعالى وشكره، فختمت به للعموم.

قوله: ﴿فحدث﴾ أي بالنعمة، لأن التحدث بها هو شكرها، والتحدث بالنعمة جائز لغيره ﷺ إذا قصد به الشكر، وأن يقتدي به غيره، وأمن على نفسه الغرور والكبر، قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: إذا عملت خيراً فحدث به إخوانك ليقتدوا بك. وورد أن شخصاً كان جالساً عنده ﷺ فرآه رث الثياب فقال له: ألك مال؟ قال: نعم، فقال: له «إذا آتاك الله مالاً فلير أثره عليك» وورد: إن الله جميل يحب الجمال، ويجب أن يرى أثر النعمة على عبده. قوله: [بالنبوة وغيرها] أي من العلوم والقرآن وسائر عطاياه التي لا تتناهي، وقد فعل ﷺ فحدث بما أعطاه ربه من النعم فبلغ القرآن، ونشر العلوم، وأعطى حقوق ربه عز وجل. قوله: [في بعض الأفعال] أي وهو ﴿فآوى﴾ ﴿فهدى﴾ ﴿فأغنى﴾ والأصل: فآواك، فهداك، فأغناك.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة ألم نشرح

[مكية وهي ثمان آياتٍ]

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾: استفهام تقرير أي شرحنا ﴿لَكَ﴾: يا محمد ﴿صَدْرَكَ﴾ [١]: بالنبوة وغيرها ﴿وَوَضَعْنَا﴾: حططنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ [٢] ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ﴾: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾ [٣]: وهذا كقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة ألم نشرح مكية

وهي ثمان آيات

أي في قول الجمهور، وقال ابن عباس: إنها مدنية. قوله: [استفهام تقرير] أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفي، لأن الاستفهام إذا دخل على منفي قرّره فصار معناه: قد شرحنا، ولذلك عطف عليه الماضي، وليس معناه الإنشاء حتى يقال: يلزم عليه عطف الخبر على الإنشاء، فيما لا محل له من الإعراب، وهو مردود أو ضعيف، بل المراد لازمه، وهو الإخبار بشرح الصدر وما بعده، فهذه السورة من جملة النعم التي أمر بالتحدث بها في السورة قبلها. قوله: [أي شرحنا] الشرح في الأصل بسط اللحم ونحوه، يقال: شرحت اللحم، بسطته وشققته، والمراد هنا توسعة الصدر بالنور الإلهي، ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق، فصار مهبط الرحمات ومنبع البركات. قوله: [بالنبوة وغيرها] روي أن جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة، وهو ابن ثلاث سنين أو أربع، فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه وملأه علماً وإيماناً، ثم رده في صدره، وحكمة ذلك لينشأ على أكمل حال، ولا يعبث كالأطفال، وشق أيضاً عند بلوغه عشر سنين، ليأتي عليه البلوغ، وهو على أجمل الأخلاق وأطيبها، وعند البعثة ليتحمل القرآن والعلوم، وليلة الإسراء ليتهيأ لملاقاة أهل الملأ الأعلى، ومناجاة الحق جل جلاله ومشاهدته وتلقيه عنه، فمرات الشق أربع زيادة في تنظيفه وتطهيره، ليكون كاملاً مكملاً، لا يعلم قدره غير ربه، والحكمة في قوله: ﴿لك﴾ ولم يقل ألم نشرح صدرك، التنبيه على أن منافع الرسالة عائدة عليه ﷺ، لا لغرض يعود عليه، تعالى الله عن الأغراض والعلل.

قوله: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ معطوف على مدلول الجملة السابقة كأنه قال: قد شرحنا لك صدرك، ﴿ووضعنا﴾ و﴿عنك﴾ متعلق بـ ﴿وضعنا﴾، وقدمه على المفعول الصريح تعجيلاً للمسرة، وتشويقاً إلى المؤخر. قوله: ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ الإنقاض في الأصل الصوت الخفي الذي يسمع من الرحل فوق البعير من شدة الحمل، والمراد لازمه وهو الثقل. قوله: [وهذا كقوله تعالى ليغفر لك] الخ، أي فهو مصروف عن ظاهره، فيجاب عنه بأجوبة

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾٤: بأن تذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾: الشدة ﴿يُسْرًا﴾٥: سهولة ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾٦: والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم

قتها: أن المراد ﴿ووضعنا عنك وزر أمتك﴾، وإنما أضافها إليه لاشتغال قلبه بها، قال تعالى ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ فأوزار أمته قبل إسلامهم موضوعة عنهم بالإسلام، فلا يؤاخذون بها، لأن الإسلام يجب ما قبله، وبعد الإسلام توضع عنهم بالتوبة أو بشفاعته ﷺ لمن مات مصراً. ومنها: أن المراد ﴿ووضعنا عنك﴾ أثقال النبوة والتبليغ، وذلك أنه ﷺ كان في ابتداء البعثة، يشق عليه الأمر ويقول: أخاف ألا أقوم بحق الدعوة، فوضعه الله عنه. ومنها: أن المراد بالوزر خلاف الأولى، فكان إذا ارتكبه وعاتبه الله عليه ثقل ذلك الأمر عليه وشق، وتسميته وزراً بالنسبة لمقامه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، كإذنه للمنافقين في التخلف حين اعتذروا، وأخذه الفداء من أسارى بدر، ونحو ذلك. ومنها: أن المراد بالوضع العصمة، فالمعنى: عصمناك من الوزر ابتداء وانتهاء، فلم نقدر عليك وزراً أصلاً. وكل من هذه الأجوبة صحيح، ولا مانع من حمل الآية على الجميع.

قوله: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ أي أعليناه، فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلا ودينك يظهر عليه، وأخذنا على الأنبياء العهد إن ظهرت وأحدهم حي، ليؤمنن بك ولينصرنك، وهم يأخذون على أممهم ذلك العهد، كما تقدم في قوله تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكم﴾ الآية، وفي هذا المعنى قال البوصيري:

ما مضت فترة من الرسل إلا ... بشرت قومها بك الأنبياء

والحكمة في زيادة لك مما سبق، من أن رفع الذكر عائد ثمرته عليه، لا لغرض يعود عليه تعالى. قوله: [والخطبة] أي على المنابر، وخطبة النكاح. قوله: [وغيرها] أي كيوم الفطر والأضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند رمي الجمار وعلى الصفا والمروة ومشارق الأرض ومغاربها، ولو أن رجلاً، عبد الله تعالى، وصدق بالجنة والنار، وكل شيء، ولم يشهد أن محمداً رسول الله، لم ينتفع بشيء وكان كافراً.

قوله: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ ﴿مع﴾ بمعنى بعد، وعبر بها إشارة إلى أن اليسر يجيء عقب العسر بسرعة، كأنه مقارن، زيادة في التسلية وتقوية القلوب، وأل في ﴿العسر﴾ الأول للجنس، وفي الثاني للعهد الذكري، ولذلك ورد في الحديث لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام: «أبشروا قد جاءكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين» وورد: «لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين». قوله: [الشدة] أي المشاق التي تحصل للشخص في الدنيا أو الآخرة، وقوله: [سهولة] أي تحصل له في الدنيا أو الآخرة، والتنكير في ﴿يسراً﴾ للتفخيم والتعظيم.

قوله: ﴿إن مع العسر يسراً﴾ جرت عادة العرب، أنها إذا ذكرت اسماً معرفاً، ثم أعادته كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت اسماً نكرة، ثم أعادته كان الثاني غير الأول، فجاء القرآن على أسلوبهم، ففيه إشارة إلى أن اليسر غالب على العسر، ووجه ذلك أن العسر الذي يصيب المؤمن في الدنيا لا بد له من يسر في الدنيا، ويسر في الآخرة، فيسر الدنيا ما ذكره في الآية الأولى، ويسر الآخرة ما ذكره في الآية الثانية، ومعلوم أن يسر الآخرة دائم أبداً غير زائل، فنفي

---

* أسباب نزول الآية ٦: قال: نزلت لما عير المشركون المسلمين بالفقر، وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إن مع العسر يسراً﴾ قال رسول الله ﷺ: أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾: من الصلاة ﴿فَانْصَبْ﴾٧: اتعب في الدعاء ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾٨: تضرّع.

غلبة العُسْر لليسرين، إنما هو بالنسبة ليُسر الدنيا، وأما الآخرة فليس للمؤمن إلا اليُسر، فتدبر، قال بعض الشعراء في هذا المعنى:

فلا تيأس إذا أعسرتَ يوماً فقد أيسرتَ في دهرٍ طويل
فلا تظنن بربك ظنّ سوءٍ فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار وقول الله أصدق كل قيل

قوله: ﴿فإذا فرغت﴾ [من الصلاة] الخ ما ذكره المفسر أحد أقوال، وقيل: إذا فرغت من دنياك فصلّ. وقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل. وقيل: إذا فرغت من التشهد فادعُ لدنياك وآخرتك. وقيل: إذا فرغت من تبليغ الرسالة ﴿فانصب﴾ استغفر لذنبك وللمؤمنين، والحمل على العموم أولى. قال عمر بن الخطاب: إني أكره أن أرى أحدكم فارغاً، لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة، وفي الحديث: «إن الله يكره العبد البطال».

قوله: ﴿وإلى ربك فارغب﴾ أي اجعل رغبتك إلى ربك الذي أحسن إليك بفضائل النعم في جميع أحوالك، لا إلى أحدٍ سواه، فالمطلوب من الشخص أن يرى ساعياً في حسنةٍ لمعاده، أو درهمٍ لمعاشه، ويكون أكبر همّه الآخرة.

ـ فائدة ـ ذكر بعض الصالحين خواصّ لهذه السورة، منها أن من كتبها في إناء من زجاج، ومحاها بماء وَرْد وشربها، يزول عنه الهمّ والحزن وضيق الصدر. وتكتب في مطلق إناءٍ، وتمحى بماءٍ وتشرب للحفظ والفهم. ومن لازمها عقب الصلوات الخمس عشر مراتٍ، حصل له التيسير في الرزق، والتوفيق في العبادة، ولقضاء ما أهمّ العبد، يصلي ركعتين ويجلس مستقبلاً على طهارة، ويقرؤها عدة حروفها وثلاثة، ثم يدعو بما أهمّه، يستجاب له إن شاء الله تعالى، وهو مجرب صحيح.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة التين

[مكية أو مدنية وهي ثمان آيات]

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ١: أي المأكولين أو جبلين بالشام ينبتان المأكولين ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ٢: الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه موسى ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣: مكة لأمن الناس

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة والتين مكية أو مدنية

وهي ثمان آيات

أي في قول الجمهور، وقوله: [أو مدنية] أي في قول ابن عباس وقتادة. قوله: ﴿والتين والزيتون﴾ الخ، أقسم سبحانه وتعالى بأقسام أربعة على مقسم واحد تعظيماً للمقسم به، وغرابة المقسم عليه. قوله: [أي المأكولين] هو قول ابن عباس، وخص التين لأنه فاكهة وغذاء، ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم، ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الانهضام، لا يمكث في المعدة، يخرج رشحاً، ويلين الطبع، ويقلل البلغم، ويطهر الكليتين، ويزيل ما في المثانة من الرمل، وهو مرض يستولي على مقر البول فيحجز الماء عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل يعسر معها البول، ويتأذى به الإنسان، فإذا زاد صار حصاة، ويفتح سدد الكبد والطحال، ويسمن البدن، ويقطع البواسير، ويطول الشعر، وهو أمان من الفالج، ومن أكلها مناماً، نال مالاً ورزقه البدن، ويقطع البواسير، ويطول الشعر، وهو أمان من الفالج، ومن أكلها مناماً، نال مالاً ورزقه الله أولاداً، وقد تستر آدم بورق التين حين خرج من الجنة، وأما الزيتون فهو من شجرة مباركة، فيه إدام ودهن، يؤكل ويستصبح به، وشجرته في أغلب البلاد، ولا يحتاج إلى خدمة وتربية، ويثبت في الأرض ألوفاً من السنين، ومن رأى ورق الزيتون في المنام، استمسك بالعروة الوثقى. قوله: [أو جبلين بالشام] ما ذكره المفسر قولان من أقوال كثيرة في المراد بالتين والزيتون، ومنها: أن التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي، والزيتون مسجد بيت المقدس. ومنها: أن التين المسجد الحرام، والزيتون المسجد الأقصى. ومنها: أن التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس، ومنها غير ذلك. قوله: [الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى] أي وهو جبل عظيم فيه عيون وأشجار. إن قلت: كيف ذلك مع قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾ المقتضى أنه دك ولم يبق له أثر؟ أجيب: بأنه متسع، والذي دك قطعة منه، وتخصيصه لكونه مباركاً، تشرف بتكليم موسى ربه عليه. قوله: [ومعنى سينين المبارك] أي فهو من إضافة الموصوف لصفته، و﴿سينين﴾ يجوز أن يعرب بالحركات الثلاث على النون، مع

فيها جاهلية وإسلاماً ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ﴾: الجنس ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤: تعديل لصورته ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾: في بعض أفراده ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥*: كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره بقوله تعالى: ﴿إِلَّا﴾: أي لكن ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦: مقطوع وفي الحديث «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل» ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾: أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾: أي بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث ﴿بِٱلدِّينِ﴾ ٧: بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب أي ما يجعلك مكذباً بذلك ولا جاعل له ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينَ﴾ ٨: أي هو

لزومه الياء في أحواله كلها، ويكون ممنوعاً عن الصرف للعلمية والعجمة، لأنه علم على البقعة أو الأرض، وأن يعرب كجمع المذكر السالم بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجراً. قوله: [لأمن الناس فيها] أي فلا ينفر صيده ولا يقطع شجره.

قوله: [الجنس] أي الماهية من حيث هي الشاملة للمؤمن والكافر.

قوله: ﴿في أحسن تقويم﴾ أي في أعدل قامة وأحسن صورة، يتناول مأكوله بيده. مزيناً بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق والأدب. قوله: [في بعض أفراده] أشار بذلك إلى أن في الآية استخداماً، حيث ذكر الإنسان أولاً بمعنى وهو الجنس، ثم أعاد الضمير عليه بمعنى آخر وهو الإنسان بمعنى بعض أفراده. قوله: ﴿أسفل سافلين﴾ السافلون هم الصغار والزمني والأطفال، فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء، لأنه لا يستطيع حيلة، ولا يهتدي سبيلاً لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وثقله على أهله وجيرانه. قوله: [كناية عن الهرم والضعف] أي فالمعنى ثم جعلناه ضعيفاً هرماً فهو بمعنى ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾ وما ذكره المفسر أحد قولين في المراد بالرد إلى أسفل سافلين، والآخر أن المراد ﴿رددناه﴾ إلى النار، لأنها دركات بعضها أسفل من بعض.

قوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ، مشى المفسر على أن الاستثناء منقطع، وحينئذ فيكون المعنى ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ فزال عقله وانقطع عمله، فلا يكتب له حسنة، [لكن] ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة والهرم والضعف، فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف، مثل الذي كانوا يعملونه في حال الشباب والصحة، وأما على القول الآخر فالاستثناء متصل، ويكون المعنى ﴿رددناه أسفل﴾ ممن سفل خلقاً وتركيباً، حساً ومعنى، وهم أهل النار ﴿إلا الذين آمنوا﴾ الخ، فيكون بمعنى قوله تعالى ﴿إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا﴾. قوله: [غير مقطوع] أي ولا يمن به عليهم. قوله: [من الكبر ما يعجزه] [من] تعليلية و[ما] مفعول به واقعة على زمان. والمعنى: إذا بلغ المؤمن بسبب الكبر زماناً يعجز فيه عن العمل، وفي بعض النسخ ما يعجزه، وحينئذ فيكون من الكبر بياناً لما مقدماً عليه، والمعنى: إذا بلغ المؤمن كبراً يعجزه عن العمل.

قوله: ﴿فما يكذبك﴾ الخ، الاستفهام إنكاري، والخطاب للإنسان الكافر بطريق الالتفات، والمعنى: فما الذي يحملك أيها الإنسان على التكذيب بالبعث؟ أي أي سبب يحملك على التكذيب؟ ففي الكلام تعجب وتعجيب، وذلك أنه تعالى لما قرر أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم رده إلى أرذل العمر، دل على كمال قدرته على الانشاء والاعادة، سأل بعد ذلك عن تكذيب الإنسان بالجزاء، لأن ما يتعجب منه يخفى سببه، وهذا ما مشى عليه المفسر،

---

* أسباب نزول الآية ٥: أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ قال: هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ فسئل عنهم حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم.

أقضى القاضين وحكمه بالجزاء من ذلك وفي حديث: «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

وقيل: إن ما بمعنى من، والخطاب له ﷺ، والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول الصادق المصدق بما جئت به من الحق بعد ظهور الدلائل القطعية على تصديقك؟ قوله: [وحكمه بالجزاء] مبتدأ، وقوله: [من ذلك] أي من جملة قضائه خبره.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة اقرأ (العلق)

[مكية وهي تسع عشرة آية]

صدرها إلى ﴿ما لم يعلم﴾، أول ما نزل من القرآن، وذلك بغار حراء رواه البخاري.

﴿إقرأ﴾: أوجد القراءة مبتدئة ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[١]: الخلائق ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ﴾: الجنس ﴿مِنْ

بسم الله الرحمٰن الرّحيم
سورة اقرأ (العلق) مكية
وهي تسع عشرة آية

(١) صدرها إلى ما لم يعلم

وفي نسخة سورة العلق، وفي أخرى سورة القلم، فأسماؤها ثلاثة. قوله: [أول ما نزل من القرآن] أي ثم بعده ن والقلم، ثم المزمل، ثم المدثر، وهكذا قال الخازن. ولكن المشهور عن غيره أن الأول ما نزل بعد اقرأ، سورة المدثر، واختلف السلف في ترتيب سور القرآن، والصحيح أن اختلافهم كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الأخيرة، ومن يوم العرض المذكور، رتب رسول الله ﷺ القرآن على ما هو عليه الآن. عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ. وذكر ابن الأنباري في كتابه الرد، أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فرقه على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية تنزل جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية، فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف، فكله عن رسول الله خاتم النبيين، عن رب العالمين، فمن أخر سورة مقدمة، أو قدم أخرى مؤخرة، كمن أفسد نظم الآيات، وغير الحروف والكلمات، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة، لأن النبي ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب، وهو كان يقول: ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن، وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى. إن قلت: حيث كان الجمع والترتيب من رسول الله، فما معنى قولهم: إن عثمان بن عفان جامع القرآن؟ فالجواب: أن النبي ﷺ روى عنه القرآن وترتيبه حفظاً لا وضعاً في المصاحف، وعثمان جمعه في المصحف على طبق المروي عن رسول الله ﷺ، فإن المحفوظ كان مفرقاً في صدور الرجال، وفي صحائف غير كاملة، فليفهم هذا المقام. قوله: [رواه البخاري] أي وعبارته عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، ويتحنث فيه الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة ويتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له ﴿اقرأ﴾ قال: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال

﴿عَلَقٍ﴾٢: جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ ﴿اقْرَأْ﴾: تأكيد للأول ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾٣: الذي لا يوازيه كريم حال من ضمير اقرأ ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾: الخط ﴿بِالْقَلَمِ﴾٤: وأول من خط به إدريس عليه السلام ﴿عَلَّمَ

﴿اقرأ﴾ قلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال ﴿اقرأ﴾ قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت له خديجة: كلا أبشر، فوالله لا يخزنك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة، وكان ممن تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال له رسول الله ﷺ: أومخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً إلى أن يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل، لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبرئيل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل ليلقي نفسه منه، تبدى له جبرئيل فقال له مثل ذلك. قوله: [مبتدئاً] ﴿باسم ربك﴾ أي قل: باسم الله ثم اقرأ ما يوحى إليك، فالباء متعلقة بمحذوف حال، ومفعول ﴿اقرأ﴾ محذوف، وقيل: إن الباء مزيدة، والتقدير ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وعبر بالرب تلطفاً به ﷺ، وإشارة إلى أنه تعالى، كما ربى جسمه، يربي أمته وقرآنه، قال البوصيري في هذا المعنى:

سور منه أشبهت صوراً   منا ومثل النظائر النظراء

وإضافة رب إلى كاف الخطاب للتشريف. قوله: ﴿الذي خلق الإنسان﴾ يجوز أن يكون الثاني توكيداً لفظياً نظير: قام قام زيد، ويجوز أن يكون تفسيراً للأول، أبهمه ثم فسره تفخيماً بـ ﴿خلق الإنسان﴾ ويجوز أن يكون حذف المفعول من الأول تقديره ﴿خلق﴾ [الخلائق] كما قال المفسر، وقوله: ﴿خلق الإنسان﴾ تخصيص له بالذكر لشرفه. قوله: [الجنس] أي الصادق بالذكر والأنثى. قوله: [جمع علقة] أي لأن كل واحد مأخوذ من علقة كما في الآية الأخرى، وأطلق الجمع على العلق تسمحاً أو هو جمع لغوي، وإلا فـ ﴿علق﴾ اسم جنس جمعي. قوله: [من الدم الغليظ] أي الذي أصله المني، فأول الأطوار المني، ثم العلقة وهو الدم الغليظ المتجمد، ثم المضغة، إلى آخر ما ذكر الله تعالى في آية المؤمنون. قوله: [تأكيد للأول] هذا أحد قولين، والآخر أنه تأسيس، فالأول معناه اقرأ في نفسك، والثاني معناه اقرأ للتبليغ وتعليم الأمة. قوله: [الذي لا يوازيه كريم] أي لا يساويه فضلاً عن أن يزيد عليه، لأنه تعالى يعطي الشيء من غير عوض ولا غرض، وليس ذلك لأحد غيره. قوله: [حال من ضمير اقرأ] أي فالمعنى: اقرأ ما يوحى إليك، والحال أن ربك الأكرم لا ينتظر منك عوضاً، ولا يخزيك، فهو تطمين له ﷺ حيث خشي على نفسه أن لا يقوم بما أمره به ربه.

قوله: ﴿الذي علم﴾ ﴿علم﴾ ينصب مفعولين، وهما محذوفان هنا، والتقدير: علم الإنسان الخط بالقلم،

﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الجنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ٥: قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها ﴿كَلَّآ﴾: حقاً ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ ٦ ﴿أَن رَّءَاهُ﴾: أي نفسه ﴿ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ ٧: بالمال نزل في أبي جهل ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: يا إنسان ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ ٨: أي الرجوع تخويف له فيجازي الطاغي بما يستحقه ﴿أَرَءَيْتَ﴾: في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ ٩: هو أبو جهل ﴿عَبْدًا﴾: هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ ١٠ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾:

والمفسر قدّر الثاني وسكت عن تقدير الأول اتكالاً على قوله بعد ﴿علم الإنسان﴾. قوله: [الخط] أي الكتابة التي بها تعرف الأمور الغائبة، وفيه تنبيه على فضل الكتابة، لما فيها من المنافع العظيمة، لأن بها ضبطت العلوم، ودونت الحكم، وعرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم، ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين ولا الدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا القلم والخط لكفى فيه.

قوله: ﴿بالقلم﴾ قال القرطبي: الأقلام ثلاثة في الأصل، القلم الأول الذي خلقه الله تعالى بيده، وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ، والثاني قلم الملائكة الذين يكتبون به المقادير والكوائن من اللوح المحفوظ، والثالث: أقلام الناس، يكتبون بها كلامهم، ويصلون بها إلى ماربهم، وعن عمر قال: خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده، ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهي: القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام. قوله: [إدريس] وقيل آدم. قوله: [الجنس] هذا أحد أقوال، وقيل: المراد به آدم، ومصدوق ﴿ما﴾ الأسماء كلها، فهو نظير ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ وقيل: هو محمد ﷺ. قوله: [قبل تعليمه] متعلق بالنفي، والمعنى: علمه الشيء الذي انتفى علمه به قبل أن يعلمه. قوله: [من الهدى] بيان لما، والمراد به الرشد، والصواب في القول والفعل. قوله: [حقاً] هذا مذهب الكسائي ومن تبعه، وعليه فـ ﴿كلا﴾ مرتبطة بما بعدها، لأنه ليس قبلها شيء يقتضي الزجر والردع حتى تكون ﴿كلا﴾ ردعاً له، وقال أبو حيان: وصوبه ابن هشام أنها بمعنى ألا الاستفتاحية لوجود كسر همزة ﴿إن﴾ بعدها، ولو كانت بمعنى حقاً لما كسرت ﴿إن﴾ بعدها، لكونها واقعة موقع مفرد، فتحصل أن كونها بمعنى حقاً صحيح من جهة المعنى، إلا أنه يبعده كسر ﴿إن﴾ فكان المناسب للمفسر أن يجعلها بمعنى ألا الاستفتاحية. قوله: [أي نفسه] أشار بذلك إلى أن في رأى ضميراً عائداً على الإنسان هو فاعل الرؤية، والضمير البارز عائد أيضاً مفعوله ورأى هنا قلبية تجوز اتحاد الضميرين متصلين فيها فتقول: رأيتني وظننتني، وقوله: ﴿استغنى﴾ مفعول ثان. والمعنى: إن الإنسان ليتحقق بالطغيان والكفر من أجل رؤيته نفسه مستغنياً عن الله تعالى. قوله: [نزل في أبي جهل] أي والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من اعتقد أنه غني عن ربه طرفة عين، فقد تحقق بالطغيان والكفر، لأن كل مخلوق مفتقر لخالقه في حركاته وسكناته. قوله: [مفعول له] أي لأجله. قوله: [يا إنسان] أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿ربك﴾ عائد على ﴿الإنسان﴾ المتقدم ذكره، ففيه التفات من الغيبة للخطاب، تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطغيان، كأنه قال: لا تغتر باستغنائك، فإن مرجعك إلى خالقك، فكما أغناك هو قادر على إفقارك، فلا تعتقد أنك غني حقيقة، فلو أعطي العبد الدنيا ومثلها معها، هو فقير إلى ربه في كل طرفة عين. قوله: [أي الرجوع] أي من الغنى للفقر، ومن العز للذل، ومن القوة للعجز، ومن الحياة للممات، فلا مفر من الله. قوله: [للتعجب] أي التعجيب، وهو إيقاع المخاطب في العجب

---

* أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأنزل الله ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ الآيات.
* أسباب نزول الآية ٩: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فنهاه، فأنزل الله ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ إلى قوله ﴿كاذبة خاطئة﴾.

أي المنهي ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ ١١ ﴿أَوْ﴾ للتقسيم ﴿أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ ١٢ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾: أي الناهي النبي ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ ١٣: عن الإيمان ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ١٤: ما صدر منه أي يعلمه فيجازيه عليه أي أعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث أن المنهي على الهدى آمر بالتقوى ومن حيث أن الناهي مكذب متول عن الإيمان ﴿كَلَّا﴾: ردع له ﴿لَئِن﴾: لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ ١٥: لنجرن بناصيته إلى النار ﴿نَاصِيَةٍ﴾: بدل نكرة من معرفة ﴿كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ١٦: وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ ١٧: أي

والخطاب، قيل: للنبي ﷺ، وقيل: لكل من يتأتى منه الخطاب، واعلم أن أرأيت هنا بمعنى أخبرني، فتتعدى إلى مفعولين، ثانيهما جملة استفهامية، وقد ذكرت ثلاث مرات، صرح بعد الثالثة بجملة استفهامية، فهي موضع المفعول الثاني لتلك الثالثة، ومفعولها الأول محذوف، وهو ضمير يعود على الذي ينهي عبداً، وذكر مفعول الأولى الأول، وهو الاسم الموصول، ومفعولها الثاني محذوف، وهو جملة استفهامية كالواقعة بعد الثالثة، حذف لدلالة المذكور عليه، وأما الثانية فمفعولاها محذوفان لدلالة المفعول الأول من الأولى، والمفعول الثاني من الثالثة عليه، فتحصل أنه حذف المفعول الثاني من الأولى، والمفعولان من الثانية، والأول من الثالثة، لدلالة المذكور، وليس من باب التنازع، لأنه يقتضي إضماراً، والجمل لا تضمر، وإنما الإضمار في المفردات، وجواب الشرط الواقع في حيز الثانية والثالثة محذوف، دل عليه الجملة الاستفهامية. قوله: [هو أبو جهل] وذلك أنه قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال النبي ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً.

قوله: ﴿عبداً﴾ لم يقل ينهاك تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدره. قوله: [للتقسيم] المناسب أن يقول: بمعنى الواو. قوله: ﴿إن كذب وتولى﴾ أي دام على التكذيب والتولي. قوله: [أي يعلمه] تفسير ليرى. قوله: [ردع له] أي لأبي جهل. قوله: ﴿لنسفعاً﴾ يحتمل أن النون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى، أو لله وملائكته، والسفع: القبض على الشيء بشدة، والنون في ﴿نسفعاً﴾ للتوكيد الخفيفة، فيوقف عليها بالألف تشبيهاً لها بالتنوين، وتكتب الفاء اتباعاً للوقف، وقرىء شذوذاً لنسفعن بالنون الثقيلة.

قوله: ﴿بالناصية﴾ وهي في الأصل مقدم الرأس أو شعر المقدم، أطلق وأريد هنا الشخص بتمامه. قوله: [إلى النار] وقيل في الدنيا يوم بدر لما ورد أنه جاءه عبد الله بن مسعود، فوجده طريحاً بين الجرحى وبه رمق، فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه، فوضع الرمح على منخريه من بعيد فطعنه، ثم لم يقدر ابن مسعود على الرقي على صدره لضعفه وقصره، فارتقى إليه بحيلة، فلما رآه أبو جهل قال: يا رويعي الغنم، لقد رقيت مرقى عالياً فقال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، ثم قال لابن مسعود: اقطع رأسي بسيفي هذا، لأنه أحد واقطع، فلما قطع رأسه به لم يقدر على حمله، فشق أذنه وجعل فيه خيطاً وجره إلى رسول الله ﷺ وجبريل بين يديه يضحك.

قوله: ﴿كاذبة﴾ أي في قولها، وقوله: ﴿خاطئة﴾ أي في فعلها، والخطأ ضد الصواب في الدين وغيره، والمراد هنا ارتكاب خلاف الصواب عن قصد، لقول بعضهم: الخاطىء المرتكب خلاف الصواب لا عن عمد. قوله: [أي

● أسباب نزول الآية ١٧: وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾ قال الترمذي: حسن صحيح.

أهل ناديه وهو المجلس ينتدي يتحدث فيه القوم وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني، لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً. ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[١٨]: الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه في الحديث لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾: يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَٱسْجُدْ﴾: صلِّ لله ﴿وَٱقْتَرِب﴾[١٩] منه بطاعته.

أهل ناديه أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن النادي هو المجلس الذي يتحدث فيه القوم، والمجلس لا يدعى، فاحتيج لتقدير مضاف، والمعنى فليدع عشيرته ليستنصر بهم. قوله: [لما انتهره] أي انتهر النبي ﷺ أبا جهل، وقوله: [حيث نهاه] أي نهى أبو جهل النبي ﷺ. قوله: [لقد علمت ما بها] أي بمكة. قوله: [خيلاً جرداً] أي قصيرة الشعر، وقوله: [مرداً] أي شباباً.

قوله: ﴿سندع الزبانية﴾ واحدها زبنية، بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه، من الزبن وهو الدفع. قوله: [الغلاظ الشداد] أي وهم خزنة جهنم، أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء، سموا زبانية لأنهم يزبنون الكفار، أي يدفعونهم في جهنم. قوله: ﴿صل﴾ أي دم على الصلاة، وعبر عنها بالسجود لأنه أفضل أركانها، كما في الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

قوله: ﴿واقترب﴾ [منه] أي من الله، وما مشى عليه المفسر، من أن المراد بالسجود الصلاة، هو المشهور عند جمهور الأئمة، وقال الشافعي: المراد بالسجود سجود التلاوة، لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال: سجدت مع رسول الله ﷺ في ﴿إذا السماء انشقت﴾ وفي ﴿اقرأ باسم ربك﴾ سجدتين، فيسن السجود عند الشافعي في هذين الموضعين، ومعنى اقترب تقرب إلى ربك بطاعته وبالدعاء قال ﷺ «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فيه فقمن - أي حقيق - أن يستجاب لكم» وكان ﷺ يكثر في سجوده البكاء والتضرع.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة القدر

[مكية أو مدنية وهي خمس أو ست آيات]

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾: أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١]: أي الشرف

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة القدر مكية أو مدنية

وهي خمس أو ست آياتٍ

قوله: [أو مدنية] هذا هو الأرجح. وحكى بعضهم أنها أول ما نزل بالمدينة، ولعله تكرر نزولها، تنبيهاً على مزيد شرف ليلة القدر. قوله: [أو ست آيات] أي بناء على أن قوله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم﴾ آية مستقلة. قوله: ﴿إنا﴾ يؤتى بأن لتأكيد الحكم، والرد على منكر أو شاك، والمخاطبون فيهم ذلك، فقد قالوا: من تلقاء نفسه، وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا: تنزلت به الشياطين، فرد على جميع ذلك بذكر الإنزال، لا أنه مختلق، ولا من أساطير الأولين. إن قلت: إن المؤمنين يصدقون خبر المولى بلا توكيد، والكافرون يعاندون ولو تعدد التأكيد. أجيب بجوابين، الأول: بمنع أن الكافرين يعاندون مع التأكيد، فإن عادتهم الانقياد للتأكيدات، فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك. الثاني: على تسليم أنهم يعاندون مع التأكيد، فلا نسلم حصر إن في التأكيد، بل قد يؤتى بها ترغيباً في تلقي الخبر، والتنبيه بتعظيم قدره وشرف حكمه، ويحتمل أنها للمتكلم المعظم نفسه، وهو الله تعالى، إشعاراً بتعظيم المنزل والمنزل به، ويحتمل أنها للمتكلم ومعه غيره، فإن الله أنزله، والملائكة لهم مدخلية في إنزاله، والمعنى: إنا وملائكة قدسنا أنزلناه على حد ﴿إن الله وملائكته يصلون﴾ والإسناد لله حقيقة إجماعاً، وللملائكة قيل كذلك، وقيل مجاوز عليه، فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز يقال: بنى الأمير وعملته المدينة، ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث في ضمير واحد، فإنه حاصل في ضمير ﴿يصلون﴾ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ ونحوه، وأما قوله عليه السلام للخطيب: بئس الخطيب لما قال: من يطع الله ورسوله فقد اهتدى، ومن يعصهما فقد غوى، فلأن الخطب محل إطناب، وقيل: وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب.

قوله: ﴿أنزلناه﴾ إن قلت الإنزال وصف للأجسام، والقرآن عرض لا جسم، فكيف يوصف بالإنزال؟ أجيب

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير عن الحسن بن علي قال: أن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ونزلت ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ تملكها بعدك بنو أمية، قال

والعظم ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ﴾: أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ ٢: تعظيم لشأنها وتعجيب منه ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

بجوابين، الأول: أن الإنزال بمعنى الإيحاء، وفي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه الإيحاء بالإنزال، واستعير الإيحاء للإنزال، واشتق من الإنزال أنزلنا بمعنى أوحينا. الثاني: أن إسناد النزول إليه مجاز عقلي، وحقه أن يسند لحامله، فالتجوز إما في الظرف أو الإسناد. قوله: [أي القرآن] أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿أنزلناه﴾ عائد على القرآن. إن قلت: إنه لم يتقدم له ذكر. أجيب: بأنه اتكل على عظم قدره وشهرة أمره، حتى لا يحتاج للتصريح. قوله: [جملة واحدة من اللوح المحفوظ] الخ، أي ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ نجوماً مفرقة في مدة عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين سنة، ومعنى إنزاله جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا: أن جبريل أملاه على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه في صحف، وكانت تلك الصحف في محل في تلك السماء يقال له بيت العزة. قوله: [من سماء الدنيا] أي بيت العزة منها، وما ذكره المفسر، من أن المراد إنزال القرآن جملة إلى سماء الدنيا، أحد أقوال في تفسير الآية، وقيل: المعنى ابتدأنا إنزاله على محمد ﷺ تلك الليلة. إن قلت: إن البعثة على رأس الأربعين وميلاده كان في ربيع، فكيف يكون مبدأ الوحي في رمضان في ليلة القدر؟ أجيب: بأنه ألغى الكسر أو جبر أو ذلك بناء على أن ميلاده في رمضان؛ وقد قيل به، أو مبدأ الوحي المنام في ربيع، ومبدأ إنزال القرآن في رمضان، وحكمة إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم إنزاله منها مفرقاً ولم ينزله مفرقاً من اللوح أن سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوي والسفلي، فإنزاله إليها جملة فيه تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه، وإنزاله منها مفرقة فيه تأنيس للقلوب، وترويح للنفوس، وتلطف به ﷺ وبأمته، فلم يفته نزوله جملة ولا مفرقاً. قوله: [الشرف والعظم] هذا أحد أقوال، وقيل: ﴿القدر﴾ بمعنى تقدير الأمور، أي إظهارها في دواوين الملأ الأعلى، سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك، ويسلمه إلى مدبرات الأمور، وهم الأربعة الرؤساء: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقولنا: أي إظهارها في دواوين الملأ الأعلى، يدفع ما أورد أن تقدير الأمور أزلي، فإن قلت: إن تقدير الأمور ليلة النصف من شعبان، يجاب: بأن ابتداء التقدير ليلة النصف من شعبان، وتسليمه للملائكة ليلة القدر، وقيل: القدر بمعنى الضيق من قوله: ﴿فقدر عليه رزقه﴾ ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ لضيق الفضاء بازدحام مواكب الملائكة فيها.

قوله: ﴿ما ليلة القدر﴾ أي ما مقدار شرفها، وليس المراد ما حقيقتها، فإنها مدة مخصوصة من الزمن. قوله: [تعظيم لشأنها] أي تفخيم لأمرها، قال سفيان بن عيينة: إن كل ما في القرآن من قوله: ﴿وما أدراك﴾ أعلم الله به نبيه ﷺ وما فيه، وما يدريك لم يعلمه به، والمراد إعلام الله تعالى في ذلك السياق نفسه، فلا ينافي أنه عليه السلام لم يخرج من الدنيا، حتى أعلمه الله بكل ما خفي عنه مما يمكن البشر علمه، وأما التسوية بين علم القديم والحادث فكفر.

قوله: ﴿خير من ألف شهر﴾ أي وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، واختلف في حكمة ذكر العدد، فقيل:

= القاسم الحراني: فعددنا وإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص، قال الترمذي: غريب، وقال المزني وابن كثير: منكر جداً. وأخرج ابن أبي حاتم والواحدي عن مجاهد: أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله.

* أسباب نزول الآية ٣: وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر فأنزل الله ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ عملها ذلك الرجل.

شهر﴾[٣]: ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها ﴿تنزل الملئكة﴾: يحذف

المقصود مطلق الكثرة، وقيل: إنه ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل، حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله عز وجل ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وتمنى ذلك لأمته فقال: يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً، فأعطاه الله ليلة القدر، فهي من خصائص هذه الأمة، وهي باقية على الصحيح، خلافاً لمن قال برفعها مستدلاً بحديث «خرجت لأعلمكم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت» ورد بأن الذي رفع تعيينها بدليل أن في آخر الحديث نفسه «وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في العشر الأواخر» إذ رفعها بالمرة لا خير فيه، ولا يتأتى معه التماس. إن قلت: الرفع بسبب الملاحاة يقتضي أنه من شؤم الملاحاة، فكيف يكون خيراً؟ قلت: هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة، فإذا تلقي بالرضا والتسليم صار خيراً. إن قلت: فما هو الذي فات بشؤم الملاحاة؟ وما هو الخير الذي حصل؟ قلت: الفائت معرفة عينها، حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد في خصوصها، والخير الذي حصل، هو الحرص على التماسها حتى يحيي ليالي كثيرة، في الجملة قالوا: أخفى الرب أموراً في أمور لحكم: ليلة القدر في الليالي لتحيا جميعها وساعة الإجابة في الجمعة ليدعى في جميعها. والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ على الكل. والاسم الأعظم في أسمائه ليدعى بالجميع ورضاه في طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات وغضبه في معاصيه لينزجر عن الكل. والولي في المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم. ومجيء الساعة في الأوقات للخوف منها دائماً. وأجل الإنسان عنه ليكون دائماً على أهبة. فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها، نعم العالم بها أكمل، هذا هو الأظهر، واختلفت المذاهب فيها، فقال مالك: إنها دائرة في العام كله، والغالب كونها في رمضان، والغالب في العشر الأواخر منه. وقال أبو حنيفة والشافعي: هي في رمضان لا تنتقل منه والغالب في العشر الأواخر، واشتهر عن أبي بن كعب وابن عباس وكثير أنها ليلة السابع والعشرين، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر التي أعز الله بها الدين، وأنزل الله ملائكته فيها مدداً للمسلمين، وأيده بعضهم بطريق الإشارة، بأن عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان، واتفق أن كلمة هي تمام سبعة وعشرين، وطريق آخر في الإشارة أن حروف ليلة القدر تسعة، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات، وثلاثة في تسعة بسبعة وعشرين، ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بأول الشهر من أيام الأسبوع، فعن أبي الحسن الشاذلي: إن كان أوله **الأحد** فليلة تسع وعشرين، أو **الاثنين** فإحدى وعشرين، أو **الثلاثاء** فسبع وعشرين، أو **الأربعاء** فتسع عشرة، أو الخميس فخمس وعشرين، أو الجمعة فسبع عشرة، أو السبت فثلاث وعشرين. ومنها ما قاله بعضهم:

يا حب الاثنين والجمعة مواعيدك ... والحد والأربعاء طي لتبعيدك
بكالي السبت هيي يا خميس عيدك ... كابد ثلاثا ليالي القدر ثم سيدك

فإذا كان أول الشهر الاثنين أو الجمعة تكون ليلة إحدى وعشرين ورمزه يا حب بالجمل، أو الأحد أو الأربعاء فتسع وعشرين ورمزه طي، أو السبت فثلاث وعشرين رمزه بكالي، أو الخميس فخمس وعشرين ورمزه هيي، أو الثلاثاء فسبع وعشرين ورمزه كابد، والمشهور في ألسنة علماء الحديث أن الغالب كونها في العشر الأواخر، وأنها في الأوتار، قال سيدي أحمد زروق وغيره: لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر، ونحوه عن ابن العربي. قوله: [ليس فيها ليلة قدر] جواب عما يقال: إن الألف شهر لا بد فيها من ليلة قدر، فيلزم عليه تفضيل الشيء على نفسه وغيره. قوله: [فالعمل الصالح فيها] أي من صلاة ودعاء وتسبيح وغير ذلك.

إحْدى التاءَيْن من الأصْلِ ﴿وَٱلرُّوحُ﴾: أي جبريل ﴿فِيهَا﴾: في الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾٤: قَضاهُ اللهُ فيها لتلك السَّنة إلى قابل ومِن سببية بمعنى الباءِ ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾: خبرٌ مقدم ومبتدأ ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾٥:

قوله: ﴿تنزل الملائكة﴾ أصله تتنزل بتاءَيْن، حذفت إحداهما تخفيفاً كما قال المفسر، على حدِ قول ابن مالك:

وما بتاءين ابتدي قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

والتاء في الملائكة لتأنيث الجمع، وإذا حذفت امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع، وبه يلغز فيقال: كلمة إذا حذف من آخرها حرف امتنع صرفها، جمع مَلَك وأصله ملأك وزنه فعال، فالهمزة زائدة، ومادته تدل على الملك والقوة والسلطنة، وقيل: وزنه مفعل فالميم زائدة، وقيل: هو مقلوب وأصله مألك من الألوكة وهي الرسالة، قلبت قلباً مكانياً فصار ملأك، وفي وزنه القولان المتقدمان، وعلى كل فيقال: سقطت الهمزة فصار ملك، والملائكة أجسام نورانية، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، ولهم قدرة على التشكلات بالصور الغير الخسيسة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وعبّر بـ ﴿تنزل﴾ إشارة إلى أنهم ينزلون طائفة بعد طائفة، فينزل فوج ويصعد فوج، وروي أنه إذا كان ليلة القدر، تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى، وجبريل عليه السلام، ومعه أربعة ألوية، فينصب لواء على قبر النبي ﷺ، ولواء على ظهر بيت المقدس، ولواء على ظهر المسجد الحرام، ولواء على ظهر طور سيناء، ولا يدع بيتاً فيه مؤمن أو مؤمنة إلا دخله وسلّم عليه ويقول: يا مؤمن أو يا مؤمنة، السلام يقرئكم السلام، إلا على مدمن خمر، وقاطع رحم، وآكل لحم خنزير. وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة، يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى». وروي أن الملائكة في تلك الليلة، أكثر من عدد الحصى.

قوله: ﴿والروح﴾ إما مرفوع بالابتداء والجار بعده خبره، أو بالفاعلية عطفاً على ﴿الملائكة﴾ قوله: [جبريل] هذا أحد أقوال في تفسير الروح، وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص لشرفه، وقيل: الروح نوع مخصوص منهم، وقيل: خلق آخر غير الملائكة، وقيل: أرواح بني آدم، وقيل: عيسى مع الملائكة، وقيل: ملك عظيم الخلقة تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وله ألف رأس، كل رأس أعظم من الدنيا، وفي كل رأس ألف وجه، وفي كل وجه ألف فم، وفي كل فم ألف لسان، يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد، ولكل لسان لغة لا تشبه لغة الآخر، فإذا فتح أفواهه بالتسبيح، خرت ملائكة السماوات السبع سجداً مخافة أن يحرقهم نور أفواهه، وإنما يسبح الله غدوة وعشية، فينزل في ليلة القدر لشرفها وعلو شأنها، فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد ﷺ بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر. قوله: ﴿فيها﴾ إما متعلق بـ ﴿تنزل﴾ أو حال من ﴿الملائكة والروح﴾ وقوله: ﴿بإذن ربهم﴾ إما متعلق بـ ﴿تنزل﴾ أو بمحذوف حال أيضاً، والمعنى ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ حال كونهم متلبسين ﴿بإذن ربهم﴾ لا من تلقاء أنفسهم.

قوله: ﴿من كل أمر﴾ يحتمل أن ﴿مِنْ﴾ بمعنى باء السببية، وعليه درج المفسر، ويصح أنها للتعليل متعلق بـ ﴿تنزل﴾ أي تنزل من أجل كل أمر. قوله: [قضاه الله فيها] أي أراد إظهاره لملائكته، هذا هو المراد بالقضاء فيها، لا القضاء الأزلي. قوله: [لتلك السنة] أي مما هو منسوب لتلك السنة، من أجل أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك.

قوله: [إلى قابل] متعلق بمحذوف تقديره من تلك الليلة إلى مثلها من قابل.

بفتح اللام وكسرها إلى وقت طلوعه جعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه.

قوله: ﴿سلام هي﴾ يصح أن يكون ضمير هي عائداً على ﴿الملائكة﴾ و﴿سلام﴾ بمعنى التسليم، والمعنى أن الملائكة يسلمون على المؤمنين، ويصح أن يعود على ليلة القدر سلام أيضاً بمعنى التسليم، والمعنى أن الليلة ذات تسليم من الملائكة على المؤمنين أو على بعضهم بعضاً، ويصح على هذا الوجه أن يجعل سلام بمعنى سلامة، أي ليلة القدر ذات سلامة من كل شر، قال القرطبي: ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى مطلع الفجر، وقال الضحاك: لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة، وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة، وقيل: هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة. قوله: [خبر مقدم] أي فيفيد الحصر أي ما هي إلا سلام، وجعلت عين السلام مبالغة على حد: زيد عدل، وما ذكره المفسر هو المشهور، وجوز الأخفش رفع سلام بالابتداء، وهي بالفاعلية به، لأنه لا يشترط عنده اعتماد الوصف على نفي أو استفهام.

قوله: ﴿حتى مطلع الفجر﴾ متعلق بـ ﴿تنزل﴾ وهو ظاهر أو بسلام، وفيه أنه يلزم عليه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو المبتدأ على إعراب المفسر، إلا أن يتوسع في الجار، وأما على إعراب الأخفش فلا إشكال. قوله: [بفتح اللام وكسرها] أي وهما سبعيتان، وهل هما مصدران، أو المفتوح مصدر، والمكسور اسم مكان؟ خلاف.

- فائدة - ذكر العلماء لليلة القدر علامات منها: قلة نبح الكلاب، ونهيق الحمير، وعذوبة الماء الملح، ورؤية كل مخلوق ساجداً لله تعالى، وسماع كل شيء يذكر الله بلسان المقال، وكونها ليلة بلجة مضيئة مشرقة بالأنوار، وطلوع الشمس يومها صافية نقية، ليست بين قرني الشيطان كيوم غيرها، وأحسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية كما ورد، وينبغي لمن شق عليه طول القيام، أن يتخير ما ورد في قراءته كثرة الثواب، كآية الكرسي فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن، وكأواخر البقرة لما ورد من قام بهما في ليلة كفتاه، وكسورة إذا زلزلت لما ورد أنها تعدل نصف القرآن، وكسورة الكافرون لما ورد أنها تعدل ربع القرآن، والإخلاص تعدل ثلثه، ويس لما ورد أنها قلب القرآن وأنها لما قرئت له، ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل وأنواع الذكر، والصلاة على النبي ﷺ، ويدعو بما أحب لنفسه ولأحبابه أحياء وأمواتاً ويتصدق بما تيسر له، ويحفظ جوارحه عن المعاصي، ويكفي في قيامها صلاة العشاء والصبح في جماعة، وورد «من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر» وورد «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل، فإذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر» وقد ورد «من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات، كان كمن أدرك ليلة القدر» فينبغي الإتيان بذلك كل ليلة.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة لم يكن (البينة)

[مكية أو مدنية وهي تسع آيات]

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾: للبيان ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي عبدة الأصنام عطف على أهل ﴿مُنفَكِّينَ﴾: خبر يكن أي زائلين عما هم عليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾: أي أتتهم ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾[1]: أي الحجة الواضحة وهي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البينة مكية أو مدنية

وهي تسع آيات

وتسمى سورة لم يكن، وسورة المنفكين، وسورة القيامة، وسورة البرية: قوله: [مكية] هو قول ابن عباس، وقوله: [أو مدنية] هو قول الجمهور، ومناسبتها لما قبلها: أنه لما ثبت إنزال القرآن، أخبر تعالى أن الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه، حتى يأتيهم الرسول يتلو عليهم الصحف المطهرة التي ثبت إنزالها عليه، وفيها تسلية له ﷺ، كأن الله يقول له: لا تحزن على تفرقهم وكفرهم، بل تسل بما أوحي إليك. روي أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ فقال أبي: وسماني لك؟ قال النبي ﷺ: نعم، فبكى أبي، فقرأها ﷺ. واستفيد من الحديث آداب منها: قراءة الأعلى على من دونه للتواضع، ولا يأنف الكبير من قراءته على الصغير. ومنها تخصيص سريع الحفظ والإتقان بالعلم، وفي ذلك فضيلة عظيمة لأبي، حيث جعل موضع سر رسول الله ونظره، إشعاراً بأنه ثقة يصلح للتعليم والتعلم، وأمر رسول الله من الله بأن يقرأ عليه.

قوله: ﴿من﴾ [للبيان] أي فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون، إن قلت: إن أهل الكتاب لم يكونوا جميعاً كفاراً قبل النبي، بل بعضهم كان متمسكاً بنبيهم وكتابهم، والبعض كفار كمن غير وبدل، ومقتضى المفسر أن جميعهم كفار ليس كذلك، فالأحسن جعل ﴿من﴾ للتبعيض، والواو في ﴿والمشركين﴾ للمعية، و﴿المشركين﴾ مفعول معه، والعامل فيه ﴿يكن﴾. قوله: ﴿منفكين﴾ اسم فاعل من انفك الذي يعمل عمل كان، واسمها ضمير مستكن فيها والخبر محذوف قدره المفسر بقوله: [عما هم عليه] ويصح أن تكون تامة، فلا تحتاج لتقدير خبر. قوله: [خبر يكن] أي واسمها الاسم الموصول فهي ناقصة، وقوله: ﴿من أهل الكتاب﴾ حال من فاعل ﴿كفروا﴾ والمعنى: أن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، والمشركين وهم عبدة الأوثان من العرب، كانوا يقولون قبل بعثة النبي ﷺ: لا ننفك عما نحن فيه من ديننا، حتى يبعث النبي ﷺ الذي هو في التوراة والإنجيل، فلما بعث تفرقوا، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر،

محمد ﷺ ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بدل من البينة وهو النبي ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾[٢]: من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾: أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ﴾[٣]: مستقيمة أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾[٤]: أي هو ﷺ أو القرآن الجائي به معجزة له وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾: في كتابيهم التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: من الشرك ﴿حُنَفَآءَ﴾: مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ

فحكى الله تعالى ما كانوا يقولون أولاً، وما فعلوه آخراً. قوله: [أي زائلين] الخ، أشار بذلك إلى أن الانفكاك بمعنى الزوال، والمعنى: أنهم متعلقون بدينهم، لا يتركونه إلا عند مجيء محمد ﷺ.

قوله: ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ غاية لعدم انفكاكهم عما هم عليه، والحاصل أن في الآية تفسيرين الأول: حمل ما كانوا عليه قبل مجيء النبي على شرعهم في حق أهل الكتاب، وعلى عبادة الأصنام في حق المشركين، فالمعنى: لم يكن الفريقان منفكين عما كانوا عليه، لم يفارقوه إلا وقت مجيء محمد، فلما ظهر محمد تفرقوا، فمنهم من آمن به، ومنهم من بقي على ما كان عليه، وهذا المعنى ليس فيه مدح ولا ذم لهم. الثاني: أن المراد بما كانوا عليه، هو إيمانهم بمحمد إذا ظهر، والمعنى: لم يكونوا منفكين عن العزم على الإيمان بمحمد إذا ظهر، أي لم يفارقوه ولم يتركوه إلا بعد مجيئه ﷺ، وفي هذا المعنى توبيخ لهم، إذ كيف يؤمنون في الغيب قبل مجيئه، ويكفرون به لما جاء، ورأوا أنواره ومعجزاته؟ إذا علمت ذلك، تعلم أن كلام المفسر أولاً محتمل للمعنيين، وآخراً معرج على المعنى الثاني. قوله: [بدل من البينة] أي بدل اشتمال، و﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف صفة لرسول أو حال من ﴿صحفاً﴾ لكونه نعت نكرة قدم عليها. قوله: [وهو النبي محمد] وقيل جبريل قوله: ﴿مطهرة﴾ أي مطهراً ما فيها وهو القرآن. قوله: [من الباطل] أي فتطهير الصحف كناية عن كونها لا يأتيها الباطل أصلاً.

قوله: ﴿فيها كتب﴾ أي مكتوبات في قراطيس، فالقرآن يجمع ثمرة كتب الله تعالى المقدمة عليه، والرسول وإن كان أمياً، لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها، فصحت نسبة تلاوة الصحف إليه، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب. قوله: [أي يتلو مضمون ذلك] أي مضمون المكتوب في الصحف وهو القرآن لا نفس المكتوب، لأنه ﷺ كان يتلو القرآن عن ظهر قلب، ولم يكن يقرؤه من كتاب، فتحصل أن المراد بالصحف القراطيس التي يكتب فيها القرآن، والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوبة لفظه ونقشه. قوله: [فمنهم من آمن] مفرع على محذوف، والتقدير: فلما أتتهم البينة فمنهم الخ.

قوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ الخ: تصريح بما أفادته الغاية قبله، وأفرد أهل الكتاب بالذكر، بعد الجمع بينهم وبين المشركين، إشارة لبشاعة حالهم؛ لأنهم أشد جرماً ويعلم غيرهم بالطريق الأولى، وذلك لأنهم لما تفرقوا مع علمهم، كانوا أسوأ حالاً من الذين تفرقوا مع الجهل.

قوله: ﴿وما أمروا﴾ الخ الجملة حالية مفيدة لقبح ما فعلوا، والمعنى: تفرقوا بعدما جاءتهم البينة، والحال أنهم ما أمروا إلا بعبادة الله الخ. قوله: [وزيدت اللام] الأولى أن تجعل بمعنى الباء، والمعنى: وما أمروا إلا بأن يعبدوا الخ. قوله: ﴿مخلصين﴾ حال من ضمير يعبدوا، والإخلاص هو صفاء القلب من الأغيار، بأن يكون مقصوده بالعمل وجه الله تعالى. قوله: ﴿حنفاء﴾ حال ثانية، والحنف في الأصل الميل مطلقاً، ثم استعمل في الميل إلى الخير، وأما الميل إلى

﴿دِينُ﴾: الملة ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾[٥]: المستقيمة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: حال مقدرة أي مقدراً خلودهم فيها من الله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[٧]: الخليقة ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بثوابه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[٨]: خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى.

الشرع فيسمى إلحاداً، والحنيف المطلق هو الذي يكون متبرئاً عن أصول الملل الخمسة: اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين، وعن فروعها من جميع الاعتقادات الباطلة وتوابع ذلك، وهو مقام المتقين، فإذا ترقى العبد منه إلى ترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات، فهو مقام الورعين، فإذا زاد حتى ترك بعض المباحات خوف الوقوع في الشبهات، فهو مقام الأورع والزاهد، فالآية جامعة لذلك كله.

قوله: ﴿ويقيموا الصلاة﴾ عطف على ﴿يعبدوا الله﴾ وخص الصلاة والزكاة لشرفهما. قوله: ﴿وذلك﴾ اسم الإشارة عائد على المأمور به من العبادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. قوله: [الملة] ﴿القيمة﴾ قدره إشارة إلى أن ﴿دين﴾ مضاف لمحذوف، و﴿القيمة﴾ صفة لذلك المحذوف دفعاً لما يقال: إن إضافة ﴿دين﴾ إلى ﴿القيمة﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته، وهي بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسه، وفيها خلاف. قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ شروع في بيان جزاء كل فريق ومقره. قوله: ﴿في نار جهنم﴾ خبر ﴿إن﴾ والمعنى: أنهم مشتركون في جنس العذاب لا في نوعه، لأن عذاب الكفار مختلف على حسب كفرهم. قوله: [حال مقدرة] أي من الضمير المستكن في الخبر. قوله: [من الله تعالى] متعلق بـ [خلودهم] والمعنى: نحن ننتظر خلودهم، بسبب اعتقادنا أن الله يخلدهم فيها، فالتقدير منا، والخلود المقدر من الله تعالى. قوله: ﴿شر البرية﴾ أفعل تفضيل، وذلك لأنهم أشر من قطاع الطريق؛ لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق، وأشر من الجهال؛ لأن الكفر مع العلم أسوأ منه مع الجهل، و﴿البرية﴾ بالهمز في الموضعين وتشديد الياء سبعيتان.

قوله: ﴿جزاؤهم﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿عند ربهم﴾ حال، وقوله: ﴿جنات عدن﴾ خبره، وهذا من مقابلة الجمع بالجمع، فيقتضي القسمة على الآحاد، فيكون لكل واحد جنة، وأدنى جنة الواحد مثل الدنيا، وما فيها عشر مرات، كما أفاده بعض المفسرين. قوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي الأربعة: الخمر والماء والعسل واللبن. قوله: ﴿خالدين فيها﴾ عامله محذوف، أي دخلوها وأعطوها، وقوله: ﴿أبداً﴾ ظرف زمان منصوب بـ ﴿خالدين﴾ و﴿رضي الله عنهم﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون خبراً ثانياً، وعبر هنا في أهل الجنة أبداً، ولم يذكرها في أهل النار؛ لأن المقام مقام بسط وجمال، فالإطناب فيه من البلاغة. قوله: [بطاعته] أي بسببها وهو مصدر مضاف لمفعوله، أي طاعتهم إياه، أي قبلها منهم وجازاهم عليها. قوله: [بثوابه] أي بسبب إثابته لهم، فهو من إضافة المصدر لفاعله، قال الجنيد: الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة، ويصحب العبد في الدنيا والآخرة، وليس كالخوف والرجاء والصبر والإشفاق وسائر الأحوال التي تزول عن العبد في الآخرة، بل العبد يتنعم في الجنة بالرضا، ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم: برضائي أحلكم داري، أي برضائي عنكم، وقال محمد بن الفضل: الروح والراحة في الرضا واليقين، والرضا باب الله الأعظم، ومحل استرواح العابدين. قوله: ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ اسم الإشارة عائد على المذكور من تفصيل الجزاء الحسن.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الزلزلة

[مكية أو مدنية وهي تسع آيات]

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: حركت لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾[١]: تحريكها الشديد المناسب لعظمها ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٢]: كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ﴾: الكافر بالبعث ﴿مَا لَهَا﴾[٣] إنكاراً لتلك الحالة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: بدل من إذا وجوابها ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٤]: تخبر بما عمل عليها من خير وشر ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أنّ

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الزلزلة مكية أو مدنية
وهي تسع آيات

أي في قول ابن مسعود وعطاء وجابر، وقوله: [أو مدنية] أي في قول ابن عباس وقتادة. قوله: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ الخ، ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان، جوابه تحدث وهو عامل النصب في ﴿إذا﴾ ولذا يقولون: خافض لشرطه منصوب بجوابه، وهذا هو التحقيق عند الجمهور. قوله: [حركت لقيام الساعة] هذا أحد قولين، وهو أن الزلزلة المذكورة تكون عند النفخة الأولى، ويشهد له قوله تعالى ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ الآية، وعليه جمهور المفسرين. والثاني أنها عند النفخة الثانية، ويؤيده قوله بعد ﴿تحدث أخبارها﴾ فإن شهادتها بما وقع عليها، إنما هو بعد النفخة الثانية، وكذلك انصراف الناس من القبور، وأما قوله: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ فمحتمل. قوله: ﴿زلزالها﴾ مصدر مضاف لفاعله، وهو بالكسر في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالفتح، وهما مصدران بمعنى واحد، وقيل: المكسور مصدر، والمفتوح اسم. قوله: [تحريكها الشديد] الخ أي فلا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها، من جبل وشجر وبناء.

قوله: ﴿وأخرجت الأرض﴾ إظهار في مقام الإضمار لزيادة التقرير. قوله: ﴿أثقالها﴾ جمع ثقل بالكسر كحمل وأحمال. قوله: [كنوزها وموتاها] المناسب أن يعبر بأو لأنهما قولان، قيل: المراد إخراج الأموات، وقيل: المراد إخراج الكنوز، والأول بعد النفخة الثانية في زمن عيسى وما بعده، وهما مفرعان على القولين فأعطى الله الأرض قوة على إخراج الأثقال، كما أعطاها القوة على إخراج النبات اللطيف الطري الذي هو أنعم من الحرير. قوله: [الكافر بالبعث] أي بخلاف المؤمن، فإنه يعترف بها ويقول: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾. قوله: [إنكاراً لتلك الحالة] المناسب أن يقول تعجباً من تلك الحالة، لأنه وقت وقوع ذلك لا يسعه إنكار، بل يتعجب من تلك الحالة

﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾٥: أي أمرها بذلك في الحديث تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾: ينصرفون من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾٦: أي جزاءها من الجنة أو النار ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: زنة نملة صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾٧: ير ثوابه ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾٨: ير جزاءه.

الفظيعة. قوله: [بدل من إذا] أي والعامل فيه هو العامل في المبدل منه، وقيل غيره، والتنوين عوض عن الجمل الثلاث المذكورة بعد ﴿إذا﴾.

قوله: ﴿تحدث أخبارها﴾ اختلف في هذا التحديث، فقيل: هو كلام حقيقي، بأن يخلق الله فيها حياة وإدراكاً، فتشهد بما عمل عليها من طاعة ومعصية وهو الظاهر، وقيل: هو مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال، ما يقوم مقام التحدث باللسان، وحدث يتعدى إلى مفعولين: الأول محذوف تقديره الناس، والثاني قوله: ﴿أخبارها﴾. قوله: ﴿أوحى لها﴾ عداه باللام لمراعاة الفواصل، والوحي إليها إما بإلهام أو رسول من الملائكة. قوله: [بذلك] أي بالتحديث بأخبارها. قوله: [في الحديث] الخ، أشار بذلك إلى حديث جرير قال: «قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ فقال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل علي كذا وكذا» رواه أحمد والترمذي، وصححه الحاكم وغيره.

قوله: ﴿يومئذ﴾ بدل من ﴿يومئذ﴾ قبله، ومنصوب بـ ﴿يصدر﴾. قوله: [من موقف الحساب] أي وقيل: يرجعون من قبورهم إلى ربهم. قوله: ﴿أشتاتاً﴾ حال من ﴿الناس﴾ جمع شتيت، قوله: [متفرقين] أي على حسب وصفهم بالإيمان وضده، وتفاوتهم في الأعمال، فأهل الإيمان على حدة، وأهل الكفر على حدة، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار. قوله: ﴿ليروا أعمالهم﴾ متعلق بـ ﴿يصدر﴾ وهو من الرؤية البصرية، يتعدى بالهمز إلى اثنين، أولهما: الواو التي هي نائب الفاعل، وثانيهما: أعمالهم.

قوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ الخ، تفصيل للواو في قوله: ﴿ليروا أعمالهم﴾ قال مقاتل: نزلت في رجلين: أحدهما كان يأتيه السائل، فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول: إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر، فنزلت هذه الآية لترغيبهم في القليل من الخير يعطونه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»، ولتحذرهم اليسير من الذنب. ولهذا قال ﷺ لعائشة: «إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً». وقال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية في القرآن وأصدق، وقال كعب الأحبار: لقد أنزل على محمد ﷺ آيتان أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ إن قلت: كيف عم، مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر، وسيئات المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر؟ أجيب: بأن المعنى يرى كل من المؤمن والكافر حسناته وسيئاته مكتوبة في الصحف، ولا يلزم من رؤيتها جزاؤه عليها، لما ورد عن ابن عباس: ليس من مؤمن وكافر عمل خيراً كان أو شراً، إلا أراه الله إياه، فأما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته تحسراً ويعذب

---

* أسباب نزول الآية ٧: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ الآية، كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة وأشباه ذلك ويقولون: وإنما وعد الله النار على الكبائر فأنزل الله ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

. . . .

بسيئاته، وهذا يشاعده النظم الكريم. قوله: [زنة نملة صغيرة] أي وكل مائة منها وزن حبة شعير، وأربع ذرات وزن خردلة. وقال ابن عباس: إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها، فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة، وفسر الذرة بعضهم بالهباءة التي ترى طائرة في الشعاع الداخل من الكوة، وقيل: الذرة جزء من ألف وأربعين جزءاً من الشعيرة.

قوله: ﴿خيراً﴾ تمييز من ﴿مثقال﴾ وكذا ﴿شراً﴾ ويصح أنهما بدلان من ﴿مثقال﴾ و﴿يره﴾ في الموضعين جواب الشرط مجزوم بحذف الألف وهي قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بإثباتها، ويكون مجزوماً بحذف الحركة المقدرة على حد قول الشاعر:

إذا العجوز غضبت فطلّقي ... ولا ترضاها ولا تملّقي

وفي الهاء قراءتان سبعيتان، إحداهما سكونها وقفاً ووصلاً في الحرفين، والثانية بضمها وصلاً، وسكونها وقفاً.

ـ فائدة ـ ورد أن «من قرأ ﴿إذا زلزلت﴾ أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله». وورد عن ابن عباس عنه ﷺ قال: «﴿إذا زلزلت﴾ تعدل نصف القرآن، و﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن».

* * *

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة والعاديات

[مكية أو مدنية وهي إحدى عشرة آية]

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾: الخيل تعدو في الغزو وتضبح ﴿ضَبْحاً﴾[1]: هو صوت أجوافها إذا عدت ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾: الخيل توري النار ﴿قَدْحاً﴾[2]: بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجاة بالليل ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾[3]: الخيل تغير على العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها ﴿فَأَثَرْنَ﴾: هيجن ﴿بِهِ﴾: بمكان عدوهن أو بذلك الوقت ﴿نَقْعاً﴾[4]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة والعاديات مكية أو مدنية

وهي إحدى عشرة آية

وتسمى سورة العاديات بغير واو. قوله: [مكية] أي في قول ابن مسعود وغيره، وقوله: [أو مدنية] أي في قول ابن عباس وغيره، ويؤيده ما روي أنه عليه السلام بعث خيلاً، فمضى شهر لم يأته منهم خبر، فنزلت إعلاماً له بما حصل منهم. قوله: ﴿والعاديات﴾ الخ أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة، على أمور ثلاثة، تعظيماً للمقسم به، وتشنيعاً على المقسم عليه، و﴿العاديات﴾ جمع عادية، وهي الجارية بسرعة من العدو، وهو المشي بسرعة. قوله: [الخيل تعدو في الغزو] أي تسرع في الكر على العدو، وهو كناية عن مدح الغزاة وتعظيمهم. قوله: [وتضبح] أشار بذلك إلى أن ﴿ضبحاً﴾ منصوب بفعل محذوف، وهذا الفعل حال من ﴿العاديات﴾. قوله: [هو صوت أجوافها] أي صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو، وليس بصهيل، ولا همهمة. وقال ابن عباس: ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب، وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب أو فزع.

قوله: ﴿فالموريات﴾ عطفه وما بعده بالفاء، لأنه مرتب على العدو. قوله: [توري النار] أي تخرجها من الحجارة إذا ضربتها بحوافرها، يقال: وري الزند يري ورياً من باب وعد فهو لازم، وأوريت رباعياً لازماً ومتعدياً، وما في الآية من قبيل المتعدي بدليل تفسير المفسر. قوله: ﴿قدحاً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره تقدح ولم يذكره المفسر اتكالاً على ما قاله في ﴿ضبحاً﴾. قوله: ﴿فالمغيرات﴾ أسند الإغارة وهي مباغتة العدو للنهب أو القتل أو الأسر للخيل، مجازاً عقلياً لمجاورتها لأصحابها، وحقه أن يسند لهم. قوله: [وقت الصبح] أشار بذلك إلى أن ﴿صبحاً﴾

* أسباب نزول الآية ١ أخرج البزار وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلا ولبث شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت ﴿والعاديات ضبحاً﴾.

غباراً لشدة حركتهن ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: بالنقع ﴿جَمْعًا﴾[٥]: من العدو أي صرن وسطه وعطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل أي واللاتي عدون فأورين فأغرن ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[٦]: لكفور يجحد نعمته تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: أي كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾[٧]: يشهد على نفسه بصنعه ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾: أي المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾[٨]: أي لشديد الحب له فيبخل به ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾: أثير وأخرج ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٩]: من الموتى أي

منصوب على الظرفية، و[الصبح] هو الوقت المعتاد في الغارات، يسيرون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو، ويهجمون عليهم صباحاً، ليروا ما يأتون وما يذرون. قوله: [بمكان عدوهن] الخ، أعاد الضمير على المكان وإن لم يتقدم له ذكر، لأن العدو لا بد له من مكان، وقوله: [أو بذلك الوقت] أي وقت الصبح، فهما تفسيران؛ وعلى كل فالباء من ﴿به﴾ بمعنى في.

قوله: ﴿فوسطن﴾ أتى بالفاء في هذا واللذين قبله لترتب كل على ما قبله، فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المتقدمة على الإغارة المترتبة على العدو. قوله: [بالنقع] أشار بذلك إلى أن ضمير ﴿به﴾ عائد على النقع والباء للملابسة، والمعنى: صرن وسط الجمع من الأعداء ملتبسات بالنقع. قوله: [أي صرن وسطه] أي الجمع، ووسط بسكون السين إن صح حلول بين محله كما هنا، وإلا فهو بالتحريك، ويجوز على قلة إسكانها يقال: جلست وسط القوم بالسكون، ووسط الدار بالتحريك. قوله: [على الاسم] أي على كل من الأسماء الثلاثة بدليل قوله: [واللاتي عدون] الخ، وقوله: [لأنه] أي الاسم، وقوله: [في تأويل الفعل] أي لوقوعه صلة لأل، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

واعطف على اسم شبه فعل فعلا وعكساً استعمل تجده سهلا

قوله: ﴿إن الإنسان﴾ هذا هو جواب القسم. قوله: [الكافر] هذا أحد وجهين، والآخر أن المراد به الجنس، والمعنى: أن الإنسان مجبول على ذلك، إلا من عصمه الله من تلك الخصال. قوله: [لكفور] أي فيقال كند النعمة أي كفرها، وبابه دخل، وفي الحديث: «الكنود الذي يأكل وحده، ويمنع رفده ـ أي عطاءه ـ ويضرب عبده» وقال ذو النون المصري: الهلوع والكنود هو الذي إذا مسه الشر جزوع، وإذا مسه الخير منوع، وقيل: هو الجهول لقدره، وفي الحكم: من جهل قدره هتك ستره، وقيل: هو الحقود الحسود.

قوله: ﴿وإنه على ذلك﴾ الضمير عائد على الإنسان، واسم الإشارة عائد على الكنود، والمعنى: وإن الإنسان على كنوده لشهيد، والمراد شهادته في الدنيا، فإن حاله وعمله يدلان على كنوده وكفره، وهذا ما مشى عليه المفسر، وهو أحد احتمالين، والآخر أن الضمير في ﴿إنه﴾ له عائد على الله تعالى، والمعنى: وإن الله تعالى لشهيد على كنود الإنسان، فيكون زيادة في الوعيد. قوله: [بصنعه] أي بما صنعه وعمله، فالباء سببية. قوله: ﴿لحب الخير﴾ متعلق بشديد، قدم كالذي قبله رعاية للفواصل، واللام للتقوية، وحبه للمال يحمله على البخل، وقيل: للتعليل ومعنى شديد بخيل.

قوله: ﴿أفلا يعلم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم الخ، والهمزة للإنكار وعلم بمعنى عرف، فتتعدى لمفعول واحد وهو محذوف تقديره أنا نجازيه، دل عليه قوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ وقوله: ﴿إذا بعثر﴾ ظرف للمفعول المحذوف، ولا يصح أن يكون ظرفاً للعلم، لأن الإنسان لا يقصد منه العلم في ذلك الوقت، وإنما يراد العلم وهو في الدنيا، ولا لبعثر لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا لقوله خبير لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها، فتعين أن يكون ظرفاً للمفعول المحذوف تأمل.

بعثوا ﴿وَحُصِّلَ﴾ بُيّن وأفرز ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾[١٠]: القلوب من الكفر والإيمان ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[١١]: لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم أي أنا نجازيه وقت ما ذكر وتعلق خبير بيومئذ وهو تعالى خبير دائماً لأنه يوم المجازاة.

قوله: ﴿إذا بعثر ما في القبور﴾ البعثرة بالعين والبحثرة بالحاء، استخراج الشيء واستكشافه، وعبّر بما تغليباً لغير العاقل. قوله: [نظراً لمعنى الإنسان] أي لأنه اسم جنس. قوله: [دلت على مفعول يعلم] أي المحذوف الذي هو عامل في ﴿إذا﴾ والتنوين في ﴿يومئذ﴾ عوض عن جملتين، والتقدير: يوم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وهو يوم القيامة. قوله: [وقت ما ذكر] أي من البعثرة وتحصيل ما في الصدور، وأشار بذلك إلى أن ﴿إذا﴾ ظرفية بمعنى وقت، لا شرطية فلا جواب لها. قوله: [وتعلق خبير بيومئذ] الخ، جواب عما يقال: كيف قال ذلك، مع أنه تعالى خبير بهم في كل زمن؟ فأجاب: بأنه أطلق العلم وأراد المجازاة، فمعنى قوله: ﴿لخبير﴾ أنه يجازيهم، ولا شك أن الجزاء مقيد بذلك اليوم، نظير قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ أي يجازيهم.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة القارعة

[مكية وهي ثمان آيات]

﴿الْقَارِعَةُ﴾¹: أي القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾²: تهويل لشانها وهما مبتدأ وخبر القارعة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾³: زيادة تهويل لها وما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى ﴿يَوْمَ﴾: ناصبه دل عليه القارعة أي تقرع ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾⁴:

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة القارعة مكية

وهي ثمان آيات

مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر بعثرة القبور، وختم السورة المتقدمة بقوله: [إن ربهم بهم يومئذ لخبير] أتبعه بأحوال القيامة كأنه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: هو القارعة. قوله: [ثمان آيات] هذا أحد أقوال، وقيل عشر، وقيل إحدى عشرة آية. قوله: ﴿القارعة﴾ هي في الأصل الصوت الشديد، سميت القيامة بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع والشدائد، وعليه درج المفسر، وقيل: لأن إسرافيل يقرع الصور بالنفخ، فإذا نفخ النفخة الأولى تمات جميع الخلائق، وبالثانية يحيون. قوله: [تقرع القلوب] أي تفزعها ولا مفهوم للقلوب، بل تؤثر في الأجرام العظيمة، فتؤثر في السماوات بالانشقاق، وفي الأرض بالتبديل، وفي الجبال بالدك والنسف، وفي الكواكب بالانتثار، وفي الشمس والقمر بالتكوير، وغير ذلك. قوله: [تهويل لشأنها] أي وتأكيد لفظاعتها بكونها خارجة عن دائرة علم الخلائق، وفي كلام المفسر إشارة إلى أن ﴿ما﴾ استفهامية، فيها معنى التعظيم والتعجب. قوله: [وهما مبتدأ وخبر] المبتدأ هو ﴿ما﴾ الاستفهامية، والخبر ﴿القارعة﴾ وقوله: ﴿القارعة﴾ أي الأولى الواقعة مبتدأ، والرابط إعادة المبتدأ بلفظه. قوله: [زيادة تهويل لها] أشار بذلك إلى أن الاستفهام الثاني وهو قوله: ﴿ما القارعة﴾ للتهويل والتعظيم، وأما الأول وهو ﴿ما أدراك﴾ فهو إنكاري والمعنى: أنت لا تعلم هول القارعة لشدته وفظاعته إلا بوحي منا، فالمنفي علمه من غير وحي. قوله: [في محل المفعول الثاني لأدري] أي والكاف مفعول أول. قوله: [دل عليه القارعة] أي ولا يصح أن يكون العامل فيه لفظ ﴿القارعة﴾ الأول للفصل بينهما بالخبر، ولا الثاني ولا الثالث لعدم التئامه معه في المعنى، فتبين أن يكون عامله محذوفاً دل عليه لفظ ﴿القارعة﴾.

قوله: ﴿كالفراش المبثوث﴾ أي ووجه الشبه الكثرة والانتشار، والضعف والذلة، والاضطراب والتطاير إلى

كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحَيرة إلى أن يدعوا للحساب ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ ٥: كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٦: بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ٧: في الجنة أي ذات رضا بأن يرضاها أي مرضية له ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٨: بأن رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُ﴾: فمسكنه ﴿هَاوِيَةٌ﴾ ٩ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ ١٠: أي ما هاوية

النار، والطيش الذي يلحقهم، وركوب بعضهم بعضاً، ففي هذا التشبيه مبالغات شتى. قوله: ﴿كغوغاء الجراد﴾ الغوغاء الجراد الصغير بعد أن يثبت جناحه الذي ينتشر في الأرض ولا يدري أين يتوجه، وقيل: هو شيء يشبه البعوض ولا يعض لضعفه، ووجه الجمع بين ما هنا، وبين آية [كأنهم جراد منتشر] أن أول حالهم كالفراش، يقومون من قبورهم متحيرين لا يدرون أين يتوجهون، ثم لما يدعون للحساب يكونون كالجراد، لأن لها وجهاً تقصده. قوله: [كالصوف المندوف] أي بعد أن تتفتت كالرمل السائل، ثم بعد كونها ﴿كالعهن﴾ ثم صيرورتها هباء منبثاً، وقوله: [المندوف] أي المضروب بالمندفة، وهي الخشبة التي يطرق بها الوبر ليرق، وإنما جمع بين حال ﴿الناس﴾ وحال ﴿الجبال﴾ تنبيهاً على أن تلك ﴿القارعة﴾ أثرت في ﴿الجبال﴾ العظيمة الصلبة حتى تصير ﴿كالعهن المنفوش﴾ مع كونها غير مكلفة، فكيف حال الإنسان الضعيف الذي هو مقصود بالتكليف والحساب.

قوله: ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ تفصيل لأحوال الناس في ذلك اليوم، والمراد بالموازين الموزونات، أي الأعمال، التي توزن. قوله: [بأن رجحت حسناته] الخ أي وأولى إذا عدمت سيئاته، ولم يوجد له إلا حسنات. قوله: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي حياة طيبة، وقوله: [في الجنة] تفسير باللازم. قوله: [أي ذات رضا] أشار بذلك إلى أن المراد ﴿عيشة﴾ منسوبة للرضا كلابن وتامر، ولذا فسرها بقوله: [أي مرضية] وفي نسخة أو مرضية، فهو إشارة إلى أن الإسناد مجازي، أي راض صاحبها بها، فهو مجاز عقلي، أو أطلق اسم الفاعل وأراد اسم المفعول، فهو مجاز مرسل، والمعنى: أن من رجحت حسناته على سيئاته، فهو في حياة طيبة في الجنة، ورضاً من الله تعالى عليه، وهو مع ذلك راض بما أعطاه له ربه، فرضي الله عنهم ورضوا عنه. قوله: [بأن رجحت سيئاته على حسناته] أي وأولى إذا عدمت حسناته رأساً، إن قلت: إن ظاهر الآية يقتضي أن المؤمن العاصي، إذا زادت سيئاته على حسناته تكون أمه هاوية. وأجيب: بأن ذلك لا يدل على خلوده فيها، بل إن عامله ربه بالعدل أدخله النار بقدر ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة، فقوله: ﴿فأمه هاوية﴾ يعني ابتداء إن عامله بالعدل، وهذا ما درج عليه المفسر، وقيل: المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية، وتلك موازين الكفار، والمراد بثقل الموازين خلوها من السيئات بالكلية، أو وجود سيئات قليلة لا توازي الحسنات، وبقي قسم ثالث وهو: من استوت حسناته وسيئاته، وحكمه أنه يحاسب حساباً يسيراً ويدخل الجنة. والحاصل: أن من وجدت له حسنات فقط، أو زادت على سيئاته فهو في الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته، فهو يحاسب حساباً يسيراً ويدخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته فهو تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخل الجنة، ومن وجدت له سيئات فقط وهو الكافر، فمأواه النار خالداً فيها، نسأل الله السلامة. قوله: [فمسكنه] عبر عن المسكن بالأم، لأن أهله يأوون إليه كما يأوي الولد إلى أمه، فتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها، وقيل: المراد أم رأسه، يعني أنهم يهوون في النار على رؤوسهم، وبه قال قتادة.

قوله: ﴿هاوية﴾ سميت بذلك لغاية عمقها وبعد مهواها، روي أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفاً، فتحصل أن المراد بالهاوية النار بجميع طباقها، وتطلق على طبقة أسفل يعذب فيها المنافقون، فمثل لظى والحطمة والهاوية

هي ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ ١١: شديدة الحرارة وهاء هيه للسكت تثبت وصلاً ووقفاً وفي قراءة تحذف وصلاً.

وجهنم وبقية أسمائها تطلق عامة وخاصة، وفي الآية احتباك حذف من الأول، فأمه الجنة، وذكر في عيشة راضية، وحذف من هنا في عيشة ساخطة، وذكر ﴿فأمه هاوية﴾ فحذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿ماهيه﴾ مبتدأ وخبر، والجملة سدت مسد المفعول الثاني لأدراك، والكاف مفعوله الأول. قوله: [هي] ﴿نار﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿نار﴾ خبر لمحذوف. قوله: [وفي قراءة] أي وهما سبعيتان. قوله: [تحذف وصلاً] أي وتثبت [وقفاً].

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة التكاثر

[مكية وهي ثمان آيات]

﴿أَلْهَاكُمُ﴾: شغلكم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾[١]: التفاخر بالأموال والأولاد والرجال ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[٢]: بأن متم فدفنتم فيها أو عددتم الموتى تكاثراً ﴿كَلَّا﴾: ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣] ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٤]: سوء عاقبة

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان آيات

أي السورة التي ذكر فيها ذم التكاثر، ومناسبتها لما قبلها، أنه لما ذكر أهوال القيامة ذم اللاهين والمشتغلين عنها. قوله: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ ألهى فعل ماض رباعي، والكاف مفعول مقدم، ﴿والتكاثر﴾ فاعل مؤخر، فالهمزة من بنية الكلمة تثبت ولو في الدرج، والمعنى: شغلكم التباهي بكثرة الأموال عن عبادة ربكم، ﴿والتكاثر﴾ تفاعل كالتجاذب، وهو يكون بين اثنين، لأن أحد الشخصين المتفاخرين يقول لصاحبه: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ وأل في التكاثر للعهد، وهو التكاثر في الدنيا، ولذاتها وعلائقها المشغل عن حقوق الله تعالى. قوله: [عن طاعة الله] هي شاملة للواجبة والمندوبة. قوله: [والرجال] أي الانتساب إليهم كالأقرباء والأحباب.

قوله: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ حتى غاية للإلهاء المذكور، وهذا هو محط الذم، وإلا فإن تاب من ذلك قبل موته، قيل: وكأنه لم يحصل منه تكاثر. قوله: [بأن متم فدفنتم فيها] أي فيقال: زار قبره إذا مات ودفن، والمعنى: ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم، حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك، ولا يقال: إن الزيارة تكون ساعة وتنقضي، والميت يمكث في قبره لأنا نقول: إن الموتى يرتحلون من القبور للحساب، فكان مدة مكثه في قبره زيارة له، والمقابر جمع مقبرة بتثليث الباء، وهي المحل الذي تدفن فيه الأموات. قوله: [أو عددتم الموتى] تفسير ثان للزيارة، فعبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكماً بهم، وعليه فزيارة المقابر كناية عن الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان ومثل فلان؟ يشيرون إلى القبر، وتقول الأخرى مثل ذلك، فأنزل الله ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ وأخرج ابن جرير عن علي قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿ألهاكم التكاثر﴾ إلى ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ في عذاب القبر.

تفاخركم عند النزع ثم في القبر ﴿كَلَّا﴾: حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ ٥: أي علماً يقيناً عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ ٦: النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه وألقي حركتها على الراء ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ ٧: مصدر لأن رأى وعاين بمعنى واحد ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾: حذف منه نون الرفع لتوالي

الأموات تفاخراً، وإنما كان تهكماً لأن زيارة القبور شرعت، لتذكر الموت ورفض حب الدنيا، وترك المباهاة والتفاخر، وهؤلاء عكسوا، حيث جعلوا زيارة القبور سبباً لمزيد القساوة، والاستغراق في حب الدنيا، والتفاخر في الكثرة. فحاصل الوجهين راجع إلى أن المراد بالزيارة إما الانتقال إلى الموت، أو الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات، وتعدادهم والتفاخر بهم، ومن ذلك ما يفعله أهل زماننا، من زخرفة النعوش والقبور، وما يتبع ذلك مما هو مذموم شرعاً وطبعاً، وأما ذكر مكارم الأخلاق والطاعات فيجوز، إن لم يكن على وجه التعجب، بل على سبيل التحدث بالنعم أو ليقتدي به. قوله: [ردع] مشى المفسر على أن كلا الأولى والثانية حرف ردع، والثالثة بمعنى حقاً، ومشى غيره على التسوية بين الثلاثة فهي إما للردع أو بمعنى حقاً، وقيل: إنها في الثلاثة بمعنى ألا الاستفتاحية. قوله: **[عند النزع ثم في القبر]** لف ونشر مرتب فقوله: **[عند النزع]** راجع لقوله: **﴿سوف تعلمون﴾** الأول، وقوله: **[ثم في القبر]** راجع للثاني، و**﴿ثم﴾** على بابها من المهلة، وهذا قول علي بن أبي طالب، والحكمة في حذف متعلق العلم من الأفعال الثلاثة أن الغرض هو الفعل لا متعلقه، والعلم بمعنى المعرفة، فيتعدى لمفعول واحد أشار له المفسر بقوله: **[سوء عاقبة تفاخركم]**. قوله: **[أي علماً يقيناً]** أشار بذلك إلى أن إضافة العلم إلى **﴿اليقين﴾** من إضافة الموصوف إلى صفته، والمعنى: لو تعلمون ما بين أيديكم يقيناً ما شغلكم التكاثر عن طاعة الله تعالى. قوله: **[عاقبة التفاخر]** بيان لمفعول العلم، وقوله: **[ما اشتغلتم به]** جواب لو. قوله: **[جواب قسم محذوف]** أي ولا يصح أن يكون جواباً للو، لأنه محقق الوقوع، فلا يصح تعليقه، والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد. قوله: **[وحذف منه لام الفعل]** أي وهي الياء، وقوله وعينه أي وهو الهمزة، لأن أصله ترءيون بوزن تفعلون، نقلت حركة الهمزة للراء قبلها، فسقطت الهمزة وتحركت الياء، وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فالتقى ساكنان، حذفت الألف لالتقاء الساكنين، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة، فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، وحركت الواو بالضمة لالتقاء الساكنين، ولم تحذف لعدم الدليل الذي يدل عليها. قوله: **[تأكيد]** هذا أحد قولين، والآخر أن الأول هو رؤية اللهب، والثاني هو رؤية ذاتها، وما فيها من أنواع العذاب.

قوله: **﴿عين اليقين﴾** صفة لمصدر محذوف، أي لترونها رؤية هي عين اليقين، ووصفت هي سبب اليقين، بكونها نفس اليقين مبالغة، والفرق بين علم اليقين وعين اليقين، أن علم اليقين هو إدراك الشيء من غير مشاهدة، وعين اليقين الرؤية التي هي العلم به مع المشاهدة، وأما حق اليقين فهو المشاهدة مع الملاصقة والممازجة، وقد أخبر الله هنا بالأوليين، وأخبر بالثالث في سورة الواقعة حيث قال **﴿وأما إن كان من المكذبين﴾** الآية.

قوله: **﴿ثم لتسألن﴾** الأظهر أن الخطاب للكفار، لأنهم هم المشتغلون بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى، وقيل: هو عام في حق المؤمن والكافر، فعن أنس أنه قال: لما نزلت الآية قام رجل أعرابي محتاج فقال: هل علي من النعم شيء؟ فقال له رسول الله ﷺ: «الظل والنعلان والماء البارد»، والأولى أن يقال: السؤال يعم المؤمن والكافر، لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لتركه الشكر، وسؤال المؤمن تشريف وإظهار لفضله، وتبشير بأن يجمع له بين نعم الدنيا والآخرة، وثم على بابها من الترتيب المعنوي لأنهم يرون النار في الموقف تحدق بهم، ثم يذهبون

النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ : يوم رؤيتها ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ٨: ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

للحساب فيسألون. قوله: [حذفت منه نون الرفع] أي فأصله تسألون، حذفت نون الرفع لتوالي النونات، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، وبقيت الضمة دليلاً عليها.

قوله: ﴿عن النعيم﴾ أي عن جميع أفراده وأنواعه، فأل للاستغراق. قوله: [وغير ذلك] أي كظلال المساكن والأشجار والأخبية التي تقي من الحر والبرد، والماء البارد، وكحل العين، ولبس الإنسان ثوب أخيه، وشبع البطن، ولذة النوم، والعافية، ونحو ذلك مما لا يحصى عدداً. روى الحاكم والبيهقي: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟ قالوا: ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية؟ قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾؟».

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة والعصر

[مكية أو مدنية وهي ثلاث آيات]

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾[١]: الدهر أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاة العصر ﴿إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ﴾: الجنس ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾[٢]: في تجارته ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾: فليسوا في خسران ﴿وَتَوَاصَوْا﴾: أوصى بعضهم

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم
سورة والعصر مكية أو مدنية
وهي ثلاث آيات

أي في قول ابن عباس والجمهور، وقوله: [أو مدنية] أي في قول قتادة، ونقل عن ابن عباس أيضاً. قوله: [ثلاث آيات] هذه السورة والكوثر أقصر سور القرآن، وهما وإن كانتا من جهة الألفاظ قليلتان، فمعناهما كثير لا يقف عند حد.

قوله: ﴿والعصر﴾ قسم من الله تعالى، وجوابه قوله: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾. قوله: [الدهر] الخ، هذا أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرها المفسر في معنى العصر، ووجه قسمه بالدهر أنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، ونحو ذلك، ولأن العمر لا يقاوم بشيء، فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني، ثم ثبتت السعادة في اللمحة الأخيرة، بقيت في الجنة أبد الآباد، فكان أشرف الأشياء حياتك في تلك اللمحة، ولأن الدهر والزمان من جملة أصول النعم، وقوله: [أو ما بعد الزوال إلى الغروب] أي ووجه القسم به أن فيه العجائب، وأيضاً يدرك المقصر فيه ما فاته أول النهار، وقوله: [أو صلاة العصر] أي فأقسم بها لشرفها، ولأنها الصلاة الوسطى في قول، بدليل ما في مصحف عائشة وحفصة: ‹حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر› ولما ورد: «من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله». وقيل: العصر زمان رسول الله ﷺ، فأقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ وبعمره في قوله ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ ففيه تنبيه على أن عصره أفضل العصور، وبلده أفضل البلاد، وحياته أفضل من حياة غيره، وقيل ﴿العصر﴾ زمانه وزمان أمته لأنه ختام العصور وأفضلها، وفيه ظهور الساعة وعجائبها.

قوله: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ مشى المفسر على أن المراد بالإنسان الجنس الشامل للمسلم والكافر، وذلك لأن الإنسان لا ينفك عن خسران، لأن الخسران هو تضييع العمر، فإن كل ساعة تمر من عمر الإنسان، إما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية، فإن كانت في معصية فهو الخسران البين، وإن كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل، وهو قادر عليه، فكان فعل غير الأفضل تضييعاً وخسراناً، وأيضاً ربح الإنسان في طلب الآخرة وحبها، والأعراض عن الدنيا،

بعضاً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ : أي الإيمان ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ﴾[٣] : على الطاعةِ وعن المعصية .

فلما كانت الأسباب الداعية إلى الآخرة خفية، والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة، وكثرة اشتغال الناس بحب الظاهر كانوا في خسار وبوار، قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يخلقوا له، وقوله: ﴿لفي خسر﴾ أي غبن، وقيل هلكة، وقيل عقوبة، وقيل شر، وقيل نقص، والمعنى متقارب، وقيل: المراد بالإنسان الكافر بدليل استثناء المؤمنين بعد وخسرانه ظاهر.

قوله : ﴿إلا الذين آمنوا﴾ الاستثناء متصل إن أريد بالإنسان الجنس، وأما إن أريد به خصوص الكافر فهو منقطع، لأن المؤمنين لم يدخلوا في عموم الخسران. قوله : ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي امتثلوا المأمورات، واجتنبوا المنهيات، واعلم أنه سبحانه وتعالى، يحكم بالخسران على جميع الناس، إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة وهي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والحكمة في ذلك أن هذه الأمور اشتملت على ما يخص الإنسان في نفسه، وهو الإيمان والعمل الصالح، وما يخص غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فإذا جمع ذلك، فقد قام بحق الله وحق عباده. قوله: [أوصى بعضهم بعضاً] أشار بذلك إلى أن ﴿تواصوا﴾ فعل ماض لا فعل أمر. قوله: [أي الإيمان] أي وفروعه من الطاعات، واتباع السلف الصالح، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ونحو ذلك.

قوله : ﴿وتواصوا بالصبر﴾ كرر الفعل لاختلاف المفعولين، والصبر وإن كان داخلاً في عموم الحق، إلا أنه أفرده بالذكر اعتناء بشأنه، لما فيه من زيادة حبس النفس والرضا بأحكام الربوبية. قوله: [على الطاعة وعن المعصية] أي وعلى البلايا والمصائب، وهذا ما ذكره المفسر، وقيل المعنى أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم، لفي نقص وتراجع حساً، ومعنى ﴿إلا الذين آمنوا﴾ فإن الله يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم، التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، فإنهم وإن ضعفت أجسامهم لا ينقصون معنى ؛ فتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ .

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الهُمزة

[مكية أو مدنية وهي تسع آيات]

﴿وَيْلٌ﴾: كلمة عذاب أو واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[١]: أي كثير الهمز واللمز أي الغيبة نزلت فيمن

بسم الله الرحمٰن الرحيم
سورة الهمزة مكية أو مدنية
وهي تسع آيات

مناسبتها لما قبلها: أنه لما قال ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ بيّن في هذه حال الخاسرين ومآلهم. قوله: [كلمة عذاب] أي كلمة يطلب بها العذاب ويدعى بها، وعلى هذا فتكون الجملة إنشائية، سوغ الابتداء بها مع كونها نكرة، قصد الدعاء عليهم بالهلكة. إن قلت: كيف يدعو الله بذلك، مع أنه هو المنشىء للأفعال كلها؟ أجيب: بأنه طلب من نفسه الحاق الويل لهم إظهاراً لآثار غضبه، كما يفعل الغضبان بمن غضب عليه، وتقدم ذلك. قوله: [أو واد في جهنم] أو لتنويع الخلاف، وعلى هذا فالجملة خبرية، ويكون ﴿ويل﴾ حينئذ معرفة لكونه علماً.

قوله: ﴿لكل همزة لمزة﴾ الهمزة في الأصل الكسر، واللمز الطعن الحسيان، ثم خصّا بالكسر لأعراض الناس والطعن فيهم، والتاء فيهما للمبالغة في الوصف، واطرد بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل، أي المكثر من الفعل، وإذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول، يقال: رجل لعَنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره، ولعْنة بسكون العين إذا كان ملعوناً للناس، والهمزة كاللمز وزناً ومعنى، وبابه ضرب. قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون العيب للبريء، وقال ﷺ: «شر عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب». وعلى هذا القول فاللمزة تأكيد للهمزة، من باب التأكيد بالمرادف، كقولهم: حسن بسن، وعفريت نفريت، وقيل: إن معناهما مختلف، فقال مقاتل: الهمزة الذي يعيبك في الغيب، واللمزة الذي يعيبك في الوجه، وقيل: بالعكس. وقيل: الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم. وقيل: الهمز باللسان واللمز بالعين، وقيل: الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عينه ويشير برأسه

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن أبي حاتم عن عثمان وابن عمر قالا: ما زلنا نسمع أن ﴿ويل لكل همزة﴾ نزلت في أبي بن خلف، وأخرج عن السدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق، وأخرج ابن جرير عن رجل من أهل الرقة قال: نزلت في جميل بن عامر الجمحي، وأخرج ابن المنذر عن ابن إسحاق قال: كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزة ولمزة. فأنزل الله ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ السورة كلها.

كان يعتاب النبي ﷺ والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾[٢] أحصاه وجعله عُدة لحوادث الدهر ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾[٣] جعله خالداً لا يموت ﴿كَلَّا﴾: ردع ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾: جواب قسم محذوف أي ليطرحن ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾[٤]: التي تحطم كل ما ألقي فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ﴾[٥] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾[٦]: المسعرة ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾: تشرف ﴿عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[٧]: القلوب فتحرقها وألمها أشد من ألم غيرها للطفها ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾: جمع الضمير رعاية لمعنى كل ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾[٨]: بالهمز وبالواو بدله مطبقة ﴿فِي عَمَدٍ﴾: بضم الحرفين وبفتحهما ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾[٩]: صفة لما قبله فتكون النار داخل العمد.

ويرمز بحاجبيه، وهذه الأقوال كلها ترجع إلى الطعن وإظهار العيب، فيدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه. قوله: [وغيرهما] أي كالأخنس بن شريق، والعاص بن وائل السهمي، وجميل بن معمر، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا وعيد لمن يعتاب المسلمين، ولا سيما العلماء والصلحاء، ولكن يقال: هو مخلد في النار إن مات كافراً، وإلا فهو تحت المشيئة.

قوله: ﴿الذي جمع مالاً﴾ بدل من كل. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما سبعيتان، فقراءة التشديد تفيد التفاني والمبالغة، وفي الجمع بخلاف قراءة التخفيف، ونكر ﴿مالاً﴾ للتعظيم. قوله: ﴿وعدده﴾ العامة على تشديد الدال الأولى، وقرئ شذوذاً بتخفيفها، والضمير إما عائد على المال والتقدير وجمع عدده أي أحصاه وعلمه، أو عائد على نفسه والمعنى جمع مالاً وجمع عدد نفسه من عشيرته وأقاربه، وعلى هذين الوجهين فـ ﴿عدده﴾ اسم معطوف على ﴿مالاً﴾، ويحتمل أن ﴿عدد﴾ فعل ماض بمعنى عده، إلا أنه غير مدغم. قوله: [وجعله عدة] الواو بمعنى أو لأنهما تفسيران، فعلى الأول مأخوذ من العد، وعلى الثاني من العدة، بمعنى الاستعداد والادخار لحوادث الزمن.

قوله: ﴿يحسب أن ماله﴾ الخ إما مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ما باله يجمع المال ويهتم به، أو حال من فاعل جمع. قوله: ﴿أخلده﴾ هو ماض معناه المضارع، أي يظن لجهله أن ماله يوصله إلى رتبة الخلود في الدنيا، فيصير خالداً فيها ولا يموت، أو يعمل من تشييد البنيان وغرس الأشجار وعمارة الأرض، عمل من يظن أن ماله أبقاه حياً. قوله: [ردع] أي عن حسبانه المذكور، فالمعنى ليس الأمر كما يظن أن المال أخلده، وقيل: إن كلا بمعنى حقاً. قوله: [التي تحطم] أي تكسر، ففي ﴿الحطمة﴾ مماثلة لعمله لفظاً ومعنى لأنها بوزن ﴿همزة﴾ و ﴿لمزة﴾.

قوله: ﴿وما أدراك﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لم تعلم قدر هولها وعظمه إلا بوحي من ربك. قوله: ﴿نار الله﴾ الإضافة للتفخيم والتعظيم. قوله: [المسعرة] بالتفخفيف والتشديد، أي المهيجة الشديدة اللهب التي لا تخمد أبداً.

قوله: ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ أي تغشاها وتحيط بها، وخص الأفئدة بالذكر، لكونها ألطف ما في الجسد وأشده تألماً بأدنى عذاب، أو لأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة، فهي منشأ الأعمال السيئة. قوله: [وألمها] أي القلوب. والمعنى أن تألمها أشد من تألم غيرها من بقية البدن، ومن المعلوم أن الألم إذا وصل إلى الفؤاد مات صاحبه، فهم في حال من يموت وهم لا يموتون، قال تعالى: ﴿ولا يموت فيها ولا يحيا﴾ قال محمد بن كعب: تأكل النار جميع ما في أجسادهم، حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خلقوا خلقاً جديداً، فترجع تأكلهم وهكذا. قوله: [بالهمز وبالواو] أي فهما سبعيتان. قوله: [بضم الحرفين وبفتحهما] أي فهما سبعيتان، وقرئ شذوذاً بضم فسكون، وهو تخفيف للقراءة الأولى، فعلى الضم يكون جمع عمود كرسول ورسل، وقيل: هو جمع عماد ككتاب وكتب، وعلى الفتح يكون اسم

. . . .

[جمع] لعمود، وقيل: هو جمع له، و﴿في﴾ بمعنى الباء، أي مؤصدة بعمد ممدودة، كما ورد عن النبي ﷺ: «أن الله يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار، ومسامير من نار، وعمد من نار، فتطبق عليهم بتلك الأطباق، وتشد بتلك المسامير، وتمد بتلك العمد، فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح، ولا يخرج منه غم، وينسوهم الرحمن على عرشه، أي يحجبهم عن رحمته، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها، وينقطع الكلام، فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً، فذلك قوله تعالى ﴿إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة﴾». وقيل: إن النار داخل العمد، وهم داخله ويطبق عليهم، وعليه درج المفسر، وقيل: المعنى يعذبون بعمد، وقيل: العمد الأغلال في أعناقهم، وقيل: القيود في أرجلهم، وقيل: معنى عمد ممدودة دهر مؤبد لا آخر له.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الفيل

[مكية وهي خمس آيات]

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام تعجّب أي اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ﴾[١]: هو محمود، وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه، بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة، فأحدث رجل من كنانة فيها، ولطخ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الفيل مكية
وهي خمس آيات

قوله: ﴿ألم تر﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، والرؤية علمية لا بصرية لأنه لم يكن وقت الواقعة موجوداً. قوله: [استفهام تعجيب] أي وتقرير، والمعنى: أقر بأنك علمت قصة الفيل، وحذفت الألف من ﴿تر﴾ للجازم. قوله: ﴿كيف فعل ربك﴾ ﴿كيف﴾ معلقة للرؤية، منصوبة على المصدرية بالفعل بعدها، و﴿ربك﴾ فاعل، والتقدير: أي فعل فعله، والجملة سدت مسد مفعولي ﴿تر﴾ ولا يصح نصبها على الحال من الفاعل لأنه يلزم وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز. قوله: [هو محمود] أي وهو الذي برك وضربوه في رأسه، وكان معه اثنا عشر فيلاً، وقيل ثمانية عشر، وقيل ألف، وأفرد الفيل إما موافقة لرؤوس الآي، أو لكونه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذي يقال له [محمود]. قوله: [أبرهة] بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء، واسمه الأشرم، سمي بذلك لأن أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه، وكان نصرانياً. قوله: [ملك اليمن] بدل من [أبرهة] وكان من قبل النجاشي ملك الحبشة، وكان جيش أبرهة ستين ألفاً. وقوله: [وجيشه] معطوف على [أبرهة]. قوله: [بنى بصنعاء كنيسة] الخ شروع في بيان قصة أصحاب الفيل. وحاصل تفصيلها على ما ذكره محمد بن إسحاق، عن سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس: أن النجاشي ملك الحبشة وهو أصحمة جد النجاشي الذي آمن بالنبي ﷺ كان بعث أبرهة أميراً على اليمن فأقام به، واستقامت له الكلمة هناك، ثم إنه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله عز وجل، فحسد العرب على ذلك، ثم بنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها، ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع به مالك بن كنانة، فخرج لها ليلاً فدخل إليها فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال: من اجترأ علي؟ فقيل له: صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت قد سمع بالذي قلت، فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة ثم يهدمها، فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان فيلا يقال له محمود، وكان

. . . .

فيلاً لم يُرَ مثله عِظَماً وجسماً وقوةً، فبعث به إليه، فخرج أبرهة من الحبشة سائراً إلى مكة، وخرج معه بالفيل، فسمعت العرب بذلك، فعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملِكٌ من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر فقال لأبرهة: يا أيها الملك استبقني فإن بقائي خيرٌ لك من قتلي، فاستحياه وأوثقه، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع من قبائل اليمن، فهزمهم وأخذ نفيلاً فقال نفيل: أيها الملك إني دليل بأرض العرب، فاستبقاه وخرج معه يدله، إذ مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال: أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك، إنما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه، فبعثوا معه أبا رغال مولى لهم، فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال، وهو الذي يرجم قبره الآن، وبعث أبرهة رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نعم الناس، فجمع الأسود إليه أموال أصحاب الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير، ثم إن أبرهة أرسل حناطة الحميري إلى أهل مكة وقال له: سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه، أخبره أني لم آت لقتال، إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة، فلقي عبد المطلب فقال له: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه، وإنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم، فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال، ولا لنا يدان ندفعه عما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبين ذلك، فوالله ما لنا بدفعه قوة، قال: فانطلق معي إليه، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها، وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر، وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فقال: يا ذا نفر هل عندك من غناء أي نفع فيما نزل بنا؟ قال: أنا رجل أسير، لا آمن أن أقتل بكرة أو عشية، ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فإنه لي صديق، فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير، ويعظم خطوتك ومنزلتك عنده، قال: فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال: إن هذا سيد قريش وصاحب عير مكة، يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب الملك مائتي بعير، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه، فإنه صديق لي أحب ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة، الذي يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، يستأذن عليك، وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك؛ فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك، فأذن له، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً وسيماً، فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه عن أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره، فجلس على بساطه، وأجلس عبد المطلب بجنبه، ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال له عبد المطلب حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها، فقال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، قال: لم؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك، وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه، لم تكلمني فيه، وتكلمني في مائتي بعير غصبتها لك، قال عبد المطلب: أنا رب هذه الإبل، ولهذا البيت رب سيمنعه منك، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: فأنت وذاك، فأمر بإبله فردت عليه، فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج، فأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب، ويتحرزوا في رؤوس الجبال خوفاً عليهم من معرة الحبش ففعلوا، وأتى عبد المطلب وأخذ حلقة الباب وجعل يدعو، فلما فرغ من دعائه، توجه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول، وهيأ جيشه وهيأ فيله، وكان فيلاً لم ير مثله في العظم والقوة، ويقال: كانت الأفيال اثني عشر فيلاً، فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه وقال له: ابرك محموداً، وارجع رشيداً، فإنك ببلد الله الحرام فبرك، فبعثوه فأبى، فضربوه بالمعول في رأسه، فادخلوا محاجنه تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى قدامه ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم

قبلتها بالعذرة احتقاراً بها، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله ﴿ألم يجعل﴾: أي جعل ﴿كيدهم﴾: في هدم الكعبة ﴿في تضليل﴾[٢]: خسار وهلاك ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾[٣]: جماعات جماعات قيل لا واحد له كأساطير وقيل واحده أبول أو آبال أو أبيل كعجول ومفتاح وسكين ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾[٤]: طين مطبوخ ﴿فجعلهم كعصف

فبرك وأبى أن يقوم، وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل، وأرسل الله عز وجل طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار، حجران في رجليه وحجر في منقاره، أكبر من العدسة وأقل من الحمصة، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك، وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه، وصرخ القوم، وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل، وبعث الله على أبرهة داء في جسده، فجعل تتساقط أنامله، كلما سقطت أنملة أتبعها مدة من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك، وانفلت وزير أبرهة أبو يكسوم، وطائره فوق رأسه، حتى وقف بين يدي النجاشي، فلما أخبره الخبر سقط عليه الحجر فمات بين يديه، وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا، وأما الفيلة الأخر فشجعوا فرموا بالحصباء. قوله: [كنيسة] أي وكان قد بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأسود والأصفر، وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر، وأذل أهل اليمن في بنائها، ونقل فيها الرخام المجزع، والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس، وكان على فرسخ من موضعها، ونصب فيها صلباناً من ذهب وفضة، ومنابر من عاج وآبنوس وغير ذلك، وكان بناؤها مرتفعاً عالياً، تسقط قلنسوة الناظر عن رأسه عند نظره إليها. قوله: [ليصرف إليها الحجاج] أي وقد صرفهم بالفعل، وأمرهم بحجها فحجوها سنين، وكانوا يحجون البيت في هذه المدة أيضاً، كذا قيل. قوله: [فأحدث رجل] أي من العرب وهو مالك بن كنانة. قوله: [أرسل الله عليهم] الخ أي فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق، وكان هلاكهم قرب عرفة، قبل دخول أرض الحرم على الصحيح، وقيل: بوادي محسر بين مزدلفة ومنى، وأصيب أبرهة في جسده بداء الجدري، فتساقطت أنامله وأصابعه وأعضاؤه، وسال منه الصديد والقيح والدم، وما مات حتى انشق قلبه.

قوله: ﴿ألم يجعل كيدهم﴾ أي مكرهم، وسماه كيداً لأن سببه حسد سكان الحرم، وقصد صرف شرفهم له وهو خفي، فسمي كيداً لذلك. قوله: [أي جعل] أشار بذلك إلى أن المضارع لحكاية الحال الماضية. قوله: ﴿وأرسل عليهم﴾ عطف على قوله ﴿يجعل﴾ والاستفهام مسلط عليه، فالمعنى قد جعل وأرسل. قوله: ﴿طيراً﴾ الطير اسم جنس يذكر ويؤنث. قوله: ﴿أبابيل﴾ أي وكانت من جهة السماء، لم ير قبلها ولا بعدها مثلها، ورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ». قال ابن عباس: كان لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب. وقال عكرمة: كان طيراً خضراً خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع، ولم تر قبل ذلك ولا بعده. وقالت: إنها أشبه شيء بالخطاطيف، وقيل: بل كانت أشباه الوطاويط حمراً وسوداً. قوله: [جماعات جماعات] أي بعضها إثر بعض. قوله: [قيل لا واحد له] أي من لفظه، يكون اسم جمع. قوله: [إبول] بكسر الهمزة وفتح الموحدة المشددة وسكون الواو كسنور. قوله: [طين مطبوخ] أي محرق كالآجر، وكان طبخه بنار جهنم، وهي من الحجارة التي أرسلت على قوم لوط، وناسب إهلاكهم بالحجارة، لأنهم أرادوا هدم الكعبة. قال ابن عباس: كان الحجر إذا وقع على أحدهم نفط جلده، وكان ذلك أول الجدري، ولم يكن موجوداً قبل ذلك اليوم، وعنه أيضاً: أنه رأى من تلك الحجارة عند أم هانىء نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري.

مَأْكُولِۭ﴾ ٥: كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته أي أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

قوله: ﴿كعصف﴾ واحده عصفة وعصافة وعصيفة. قوله: [وداسته] صوابه وراثته أي ألقته روثاً ثم يبس وتفتت، ولم يقل فجعلهم كروث استجهاناً للفظ الروث. قوله: [مكتوب عليه اسمه] أي وإدراك الطائر أن هذا لفلان بخصوصه، إما بمجرد إلهام أو بمعرفته ذلك من الكتابة، والله أعلم بحقيقة الحال. قوله: [يخرق البيضة] أي التي فوق رأس الرجل من حديد، وقوله: [والرجل] أي فيدخل من دماغه ويخرج من دبره، وقوله: [والفيل] أي الذي هو راكبه، وجميع الفيلة قد هلكت إلا كبيرها وهو محمود، فإنه نجا لما وقع منه من الفعل الجميل الذي لم يقع مثله من العقلاء، ولذا قال البوصيري:

كم رأينا ما ليس يعقل قد أُلْـ ... ـهِمَ ما ليس يلهم العقلاء

إذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيـ ... ـل ولم ينفع الحجا والذكاء

قوله: [عام مولد النبي ﷺ] أي قبل مولده بخمسين يوماً على الصحيح، وذلك ببركة النور المحمدي. إن قلت: إنه انتقل من عبد المطلب، بل ومن عبد الله إلى أمه آمنة. أجيب: بأنه وإن انتقل من جده وأبيه، إلا أن بركته حاصلة وباقية في محله، كوعاء المسك إذا فرغ منه فإن رائحته تبقى، وقيل: كان عام الفيل قبل ولادته ﷺ بأربعين سنة، وقيل: بثلاث وعشرين، وقيل: غير ذلك.

***

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم
سورة قريش

[مكية أو مدنية وهي أربع آيات]

﴿لإيلاف قريش ۱ إيلافهم﴾: تأكيد وهو مصدر آلف بالمد ﴿رحلة الشتاء﴾: إلى اليمن ﴿و﴾: رحلة

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم
سورة قريش مكية أو مدنية
وهي أربع آيات

أي السورة التي ذكر فيها الامتنان على قريش، وتذكيرهم بنعم الله عليهم ليوحدوه ويشكروه. قوله: [مكية] أي في قول الجمهور وهو الأصح، وقوله: [أو مدنية] أي في قول الضحاك والكلبي. قوله: ﴿لإيلاف قريش﴾ اختلف المفسرون في هذه اللام، فقيل: هي متعلقة بقوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ في السورة قبلها، كأنه قال: أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما ألفوا من رحلتي الشتاء والصيف. قال الزمخشري: وهو بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أن يعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به، ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة، ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسملة، ورد هذا القول بأن الصحابة أجمعت على أنهما سورتان منفصلتان، بينهما بسملة، وقيل: متعلقة بمحذوف تقديره فعل ذلك، أي إهلاك أصحاب الفيل ﴿لإيلاف قريش﴾ وقيل: تقديره اعجبوا، والمعنى اعجبوا ﴿لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف﴾ وتركهم عبادة رب هذا البيت، وقيل: متعلقة بما بعدها تقديره: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة، وإنما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط، كأنه قال: إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لإيلافهم، فإنها أظهر نعمة عليهم، وعليه درج المفسر، و﴿قريش﴾ مشتق إما من التقرش وهو التجمع، سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم، قال الشاعر:

أبونا قريش كان يدعى مجمعاً ... به جمع الله القبائل من فهر

أو من التقريش، يقال: قرش يقرش بمعنى فتش، لكونهم كانوا يفتشون على ذي الخلات ليسدوا خلتهم، قال الشاعر:

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الحاكم وغيره عن أم هانىء بنت أبي طالب قالت. قال رسول الله ﷺ. فضل الله قريشاً بسبع خصال، وفيه. نزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿لإيلاف قريش﴾.

﴿الصَّيْفِ﴾٢: إلى الشام في كلّ عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم وهم ولد النضر بن كنانة ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾: تعلق به لإيلاف والفاء زائدة ﴿رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾٣ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾:

أيها الشامت المقرّش عنا ... عند عمرو فهل له إبقاء

وقال ابن عباس: سميت باسم دابة في البحر يقال لها القرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى، قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر ... على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك ... فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش ... يأكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الأرض خيلة ورجالا ... يحشرون المطي حشرا كميشا

وهو مصروف هنا إجماعاً، لكونه مراداً به الحي، إذ لو أريد به القبيلة لامتنع صرفه. قال سيبويه في معد وثقيف وقريش وكنانة: هذه للأحياء أكثر، وإن جعلتها اسماً للقبائل فهو جائز حسن، واختلف القراء في قوله لإيلاف، فبعضهم قرأ لإيلاف بإثبات الياء قبل اللام الثانية، وبعضهم قرأ بحذفها، وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني وهو قوله: ﴿إيلافهم﴾، ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين، أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول، مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطاً، واتفقوا على إثبات الياء في الثاني، مع اتفاق المصاحب على سقوطها منه خطاً، فهو أدل دليل على أن القراءة سنة متبعة مأخوذة عن رسول الله ﷺ، لا إتباعاً لمجرد الخط. قوله: [تأكيد] أي لفظي و﴿رحلة﴾ مفعول للأول عليه، وقيل بدل لأنه أطلق المبدل منه، وقيد البدل بالمفعول وهو ﴿رحلة﴾.

قوله: [وهو مصدر آلف بالمد] أي أن إيلاف الثاني، وكذا الأول على قراءة إثبات الياء مصدر آلف بالمد كأكرم، يقال: آلفته أؤالفه إيلافاً، وأما على قراءة حذف الياء، فهو مصدر لألف ثلاثياً، ككتب كتاباً.

قوله: ﴿رحلة الشتاء﴾ مفعول به بالمصدر، والمصدر مضاف لفاعله، أي لأن ألفوا رحلة، والأصل رحلتي الشتاء والصيف، وإنما أفرد لأمن اللبس، وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف، وكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير، حتى كان فقيرهم كغنيهم، واتبع هاشماً على ذلك إخوته، فكان هاشم يؤالف إلى الشام، وعبد شمس إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وكانت تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار، بجاه هؤلاء الإخوة، أي بأمانهم الذي أخذوه من ملك كل ناحية من هذه النواحي، والرحلة بالكسر اسم مصدر بمعنى الارتحال وهو الانتقال، وأما بالضم فهو الشيء الذي يرتحل إليه مكاناً أو شخصاً. قوله: [وهم ولد النضر بن كنانة] أي فكل من ولده النضر فهو قرشي، دون من لم يلده النضر وإن ولده كنانة، وهذا هو الصحيح، وقيل: هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، فمن يلده فهر فليس بقرشي وإن ولده النضر، قال العراقي:

أما قريش فالأصح فهر ... جماعها والأكثرون النضر

فالحاصل أن بني فهر قرشيون اتفاقاً، وبنو كنانة الذين لم يلدهم النضر ليسوا بقرشيين، واختلف في بني النضر وبني مالك، وفهر هو الجد الحادي عشر من أجداده ﷺ، والنضر هو الثالث عشر، وذلك أنه ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن

أي من أجله ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ٤: أي من أجله وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل.

مالك بن النضر بن كنانة، إلى آخر النسب الشريف. قوله: [والفاء زائدة] أي ولهذا جاز تقديم معمول ما بعدها عليها، وقيل: إنها ليست زائدة، بل هي واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لإيلافهم، فإنها أظهر نعمة عليهم. قوله: [أي من أجله] أشار بذلك إلى أن ﴿من﴾ تعليلية، والكلام على حذف مضاف، والتقدير: أطعمهم من أجل إزالة الجوع عنهم، وآمنهم من أجل إزالة الخوف عنهم، وقيل: إن ﴿من﴾ بمعنى بدل، ولا يحتاج لتقدير مضاف. والمعنى: فأطعمهم بدل الجوع، وآمنهم بدل الخوف، نظير قوله تعالى ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ وقيل ﴿من﴾ بمعنى بعد، وقيل في معنى الآية: أنهم لما كذبوا محمداً ﷺ دعا عليهم فقال: «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف» فاشتد عليهم القحط، وأصابهم الجهد والجوع، فقالوا: يا محمد ادع لنا فإنا مؤمنون، فدعا رسول الله ﷺ وأخصبت البلاد، وأخصب بأهل مكة بعد القحط والجهد، وهذا حجة من يقول: إن السورة مدنية. قوله: [وخافوا جيش الفيل] أي وهذا وجه مناسبتها لما قبلها، وذلك أنه بعد أن ذكر لهم أسباب خوفهم، امتن عليهم بإزالتها كأنه قال: قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع، فالواجب عليكم أن تشكروا تلك النعم، وتصرفوها في مصارفها، وقيل: آمنهم من خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم الجذام، وقيل: آمنهم بمحمد ﷺ وبالإسلام، وكل حاصل.

* *

بسم الله الرحمٰن الرّحيم
سورة الماعـون

[مكية أو مدنية أو نصفها ونصفها وهي ست أو سبع آيات]

﴿أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾[١]: بالجزاء والحساب أي هل عرفته وإنْ لم تعرفه **﴿فَذَٰلِكَ﴾**: بتقدير هو بعد الفاء **﴿ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾**[٢]: أي يدفعه بعنف عن حقه **﴿وَلَا يَحُضُّ﴾**: نفسه ولا غيره **﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾**[٣]: أي إطعامه، نزلت في العاص بن وائل، أو الوليد بن المغيرة **﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾**[٤] **﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾**[٥]:

بسم الله الرحمٰن الرّحيم
سورة الماعون مكية أو مدنية، أو نصفها ونصفها وهي ست أو سبع آيات

وتسمى سورة الدين. قوله: **[أو نصفها ونصفها]** أي نصفها الأول نزل بمكة في العاص بن وائل، والثاني بالمدينة في عبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق، وعلى القول بأن جميعها مكيّ، تكون توبيخاً لكفار مكة، كالعاص بن وائل وأضرابه، وتسميتهم مصلين باعتبار أنها مفروضة عليهم، وعلى القول بأنه مدني، يكون توبيخاً للمنافقين الكائنين في المدينة، كعبد الله بن أبيّ وأضرابه، وتكذيبهم بالدين باعتبار باطنهم، والعبرة على كل بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالوعيد المذكور لمن اتصف بتلك الأوصاف. قوله: **[أي هل عرفته]** أشار بذلك إلى أن الرؤية بمعنى المعرفة، فتنصب مفعولاً واحداً، وهو الاسم الموصول، وقيل: إن الرؤية بصرية، فتتعدى لمفعول واحد أيضاً، وقيل: إنها بمعنى أخبرني، فتتعدى لاثنين: الأول الموصول، والثاني محذوف تقديره من هو. قوله: **[بتقدير هو بعد الفاء]** أي فاسم الإشارة خبر لمحذوف تقديره هو، و﴿الذي﴾ بدل أو عطف بيان على اسم الإشارة، والجملة جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله: **[إن لم تعرفه]** وقرنت بالفاء لأن الجملة اسمية.

قوله: **﴿الذي يدع اليتيم﴾** كأبي جهل كان وصياً على يتيم، فجاء عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه، ويصح حمل الحق على الميراث، لأنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويقولون: إنما يحوز المال، من يطعن بالسنان، ويضرب بالحسام، ودعّ بالتشديد من باب ردّ، وقرئ شذوذاً بالتخفيف أي يدعوه ليستخدمه قهراً. قوله: **[أي إطعامه]** أشار بذلك إلى أن الحض يتعلق بالمصدر الذي هو فعل الفاعل، لا بالشيء المطعوم. قوله: **[نزلت في**

---

* أسباب نزول الآية ٤: أخرج ابن المنذر عن طريف بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿فويل للمصلين﴾ الآية قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمنعونهم العارية.

غافلون يؤخرونها عن وقتها ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾٦: في الصلاة وغيرها ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾٧: كالإبرة والفاس والقدر والقصعة.

العاص بن وائل] وقيل: نزلت في أبي جهل وقيل: في عمرو بن عائذ المَخْزومي، وقيل: في عبد الله بن أبي بن سلول، وتقدم ذلك.

قوله: **﴿فويل للمصلين﴾** ﴿ويل﴾ مبتدأ، و﴿للمصلين﴾ خبره، والفاء سببية، والمعنى: أن الدعاء عليهم بالويل متسبب عن هذه الصفات الذميمة، ووضع الظاهر وهو المصلين موضع المضمر لأنهم مع التكذيب، وما أضيف إليه، ساهون عن الصلاة، غير مكترثين بها، وهذا على أن السورة كلها إما مكي أو مدني، وعلى القول بالتنصيف، فالويل متعلق بالمصلين الموصوفين بكونهم عن صلاتهم ساهون، وما بعده فلا ارتباط له بما قبله، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إن أردت معرفة جزاء أهل النفاق في الصلاة وغيرها فويل الخ.

قوله: **﴿الذين﴾** نعت **﴿للمصلين﴾** أو بدل أو بيان، وكذا الموصول بعده. قوله: **﴿عن صلاتهم﴾** إنما عبر بـ﴿عن﴾ دون في لأن صلاة المؤمن لا تخلو عن السهو فيها، فالمذموم السهو عنها بمعنى تركها والتفريط فيها، لا السهو فيها لوقوعه من الأنبياء. قوله: **[يؤخرونها عن أوقاتها]** أي ولا يفعلونها بعد ذلك، ووجه تسميتهم مصلين مع أنهم تاركون لها، أنها مفروضة عليهم، فكانت جديرة بأن تضاف لهم، فتحصل أن معنى **﴿ساهون﴾** تاركون لها رأساً، أو إن حصلت منهم تكون رياء وسمعة، قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا، وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن موحد، فهو عاص عليه أن يتوب ويقضيها، فإن مات وهو مصر على تركها فهو تحت المشيئة، وأما إن تاب وشرع في القضاء فمات قبل تمامه، فإنه مغفور له.

قوله: **﴿الذين هم يراءون﴾** أصله يرائيون كيقاتلون، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما، وضمت الهمزة لمناسبة الواو والمفاعلة، باعتبار أن المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه، والفرق بين المنافق والمرائي، أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان، والمرائي يظهر الأعمال مع زيادة الخشوع، ليعتقد فيه من يراه، أنه من أهل الدين والصلاح، أما من يظهر النوافل ليقتدي به، وقلبه خالص مع الله، فليس بمذموم. قوله: **[في الصلاة وغيرها]** أي كالصدقة ونحوها من أنواع البر.

قوله: **﴿ويمنعون الماعون﴾** منع يتعدى لمفعولين، ثانيهما. قوله: **﴿الماعون﴾** أولهما محذوف تقديره الناس حذف للعلم به، و﴿الماعون﴾ فاعول من المعنى، وهو الشيء القليل، يقال: مال معنى أي قليل، أو اسم مفعول من أعان يعين، فأصله معوون دخله القلب المكاني فصار موعون، تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، وهو اسم جامع لمنافع البيت، كالقدر والفاس ونحوهما، وعليه درج المفسر، لما روي عن ابن عباس قال: كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر، وهذا أحد تفاسير للماعون، وقيل: هو الزكاة، وقيل: هو ما لا يحل منعه، مثل الماء والملح والنار، ويلحق بذلك البئر والتنور، وقيل: هو المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم، ففي هذه الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة، فإن البخل بها في نهاية البخل، قال العلماء: ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران، فيعيرهم ويتفضل عليهم، ولا يقتصر على الواجب.

* *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة الكوثر

[مكية أو مدنية وهي ثلاث آيات]

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾: يا محمد ﴿الْكَوْثَرَ﴾ [١] هو نهر في الجنة هو حوضه ترد عليه أمته والكوثر الخير الكثير من

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الكوثر مكية أو مَدنية

وهي ثلاث آيات

وتُسمى سورة النحر. قوله: [مكية] أي في قول ابن عباس والكلبي ومُقاتل والجمهور، وقوله: [أو مدنية] أي في قول الحسن وعِكرمة ومُجاهد وقتادة، والمشهور الأول، ويؤيده سبب النزول، وهو أن العاص بن وائل السهمي، تلاقى مع رسول الله ﷺ في المسجد عند باب بني سَهْم، فتحدثا وناس من صَناديد قريش جلوس في المسجد، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تتحدث معه؟ فقال: ذلك الأبتر، يعني به النبيّ ﷺ، وكان قد توفي ولده القاسم.

قوله: ﴿إنا أعطيناك﴾ أي إنا بجلالنا وعظمة قُدسنا، فالإتيان بإنّ ونون العَظَمة للتأكيد ولزيادة تشريفه ﷺ، والمعنى: قضَينا به لك، وخصصْناك به، وأنجزناه لك في علمنا وتقديرنا الأزلي، وإن لم تستول عليه وتتصرف فيه إلا في القيامة، فالعطاء ناجز، والتمكن والاستيلاء مستقبل. إن قلتَ: إنه عبّر هنا بالماضي، وفي الضحى بالمضارع حيث قال: ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ فكيف الجمع بينهما؟ أجيبَ: بأن ما في الضحى باعتبار التمكن والاستيلاء، وذلك يحصُل في المستقبل في يوم القيامة، وما هنا باعتبار التقدير الأزلي.

قوله: ﴿الكوثر﴾ فَوْعَل من الكثرة، وُصف مُبالغة في المبالغ الغاية في الكثرة. قوله: [هو نهر في الجنة] ويؤيده قوله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من الذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج». وقوله: [هو حوضه] الصواب أن يقول: أو هو حوضه، لأنهما قولان مذكوران في التفاسير من جملة ستة عشر قولاً، ويدلّ لهذا الثاني قول أنس: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً؛ فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلتْ عليّ آنفاً سورة فقرأ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر. قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد

النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: صلاة عيد النحر ﴿وَانْحَرْ﴾٢: نسكك ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: أي

منهم فأقول: يا ربّ إنه مِن أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك». وورد في صفة الحوض أحاديث منها قوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبداً» زاد في رواية: «وزواياه سواء». ومنها غير ذلك. الثالث: أنه النبوة. الرابع: القرآن. الخامس: الإسلام. السادس: تيسير القرآن وتخفيف الشريعة. السابع: كثرة الأصحاب والأمة والأتباع. الثامن: رفعة الذكر. التاسع: نور في قلبك دلك علي وقطعك عما سواي. العاشر: الشفاعة. الحادي عشر: المعجزات. الثاني عشر: لا إله إلا الله محمد رسول الله. الثالث عشر: الفقه في الدين. الرابع عشر: الصلوات الخمس. الخامس عشر: العظيم من الأمر. السادس عشر: الخير الكثير الدنيوي والأخروي. وكل من هذه الأقوال تحقق به رسول الله ﷺ وفوق ذلك مما لا يعلم غايته إلا الله تعالى. وزاد بعضهم فوق تلك الأقوال: أنه الذرية الكثيرة المباركة، وقد حقق الله ذلك، فلا تجد ذرية لأحد من الخلق مثل ذرية المصطفى ﷺ في الكثرة ولا في البركة إلى يوم القيامة، واختلف في الحوض، هل هو بعد الصراط أو قبله. وهل هو بعد الميزان أو قبله. والصحيح أنه قبلهما، لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً، فيشربون منه شربة لا يظمؤون بعدها أبداً. روي عن ابن عباس أنه سأل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين، هل فيه ماء. قال: «إي والذي نفسي بيده، إن فيه لماء، وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من نار، يذودون الكفار عن حياض الأنبياء» وهذا الطرد لا يكون بعد الصراط، لأنه لا يسلم من الصراط إلا المؤمنون، فلا وجود للكفار هناك حتى يذادوا لسقوطهم في جهنم قبل ذلك. قوله: [ونحوها] أي من الحكمة وكثرة الأتباع والأمة وغير ذلك.

قوله: ﴿فصل لربك﴾ كان مقتضى الظاهر أن يقول: فصل لنا، فانتقل إلى الاسم الظاهر، لأنه يوجب عظمة ومهابة. قوله: [صلاة عيد النحر] هو قول عكرمة وعطاء وقتادة، وهو يؤيد كون السورة مدنية، وقال سعيد بن جبير ومجاهد: فصل الصلاة المفروضة بجمع مزدلفة، وانحر البدن بمنى، وقيل: هو أمر بكل صلاة مفروضة أو نافلة، وهو يؤكد كونها مكية.

قوله: ﴿وانحر﴾ [نسكك] أي هداياك وضحاياك، وهو في الإبل بمنزلة الذبح في البقر والغنم، فقد ورد أنه ﷺ نحر من خالص ماله في حجة الوداع صبيحة منى مائة بدنة، سبعين بيده الكريمة، وثلاثين بيد علي رضي الله عنه،

● اسباب نزول الآية ٣: اخرج البزار وغيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المنصبر المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة، قال: أنتم خير منه، فنزلت ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال: لما أوحي إلى النبي ﷺ قالت قريش: بتر محمد منا، فنزلت ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل: بتر فلان، فلما مات ولد النبي ﷺ قال العاصي بن وائل: بتر محمد، فنزلت. وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي، وسمى الولد القاسم. وأخرج عن مجاهد قال: نزلت في العاصي بن وائل وذلك أنه قال: أنا شانيء محمد.

وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب، قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا: إن هذا الصابيء قد بتر الليلة، فأنزل الله ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ إلى آخره السورة. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال: نزلت يوم الحديبية أتاه جبريل فقال: انحر واركع، فقام فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحرها، قلت: فيه غرابة شديدة. وأخرج عن شمر بن عطية قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول إنه لا يبقى للنبي ﷺ ولد، وهو أبتر، فأنزل الله فيه ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: بلغني أن إبراهيم ولد النبي ﷺ لما مات قالت قريش: أصبح محمد أبتر، فغاظه ذلك، فنزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ تعزية له.

مبغضك ﴿هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ ٣: المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب نزلت في العاص بن وائل، سمى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

وخص الصلاة والنحر بالذكر لأن الصلاة مجمع العبادات وعماد الدين، والنحر فيه إطعام الطعام، ولا شك أنه قيام بحقوق العباد، ففي تلكما الخصلتين القيام بحقوق الله وحقوق عباده.

قوله: ﴿إن شانئك﴾ اسم فاعل شنيء من بابي سمع ومنع، شنا بفتح النون وسكونها. قوله: ﴿هو الأبتر﴾ يصح أن يكون هو مبتدأ، و﴿الأبتر﴾ خبره، والجملة خبر ﴿إن﴾ ويصح أن يكون ضمير فصل، و﴿الأبتر﴾ خبر ﴿إن﴾ و﴿الأبتر﴾ في الأصل الشيء المقطوع من بتره قطعه، وحمار أبتر لا ذنب له. قوله: [أو المنقطع العقب] أي النسل. قوله: [سمي النبي ﷺ أبتر] أي حيث قال: بتر محمد، فليس له من يقوم بأمره من بعده، فلما قال تلك المقالة نزلت السورة تسلية وتبشيراً له ﷺ. قوله: [عند موت ابنه القاسم] هو أول أولاده ﷺ عاش سنتين وقيل سبعة عشر شهراً، وقيل: بلغ ركوب الدابة، ومات قبل البعثة وقيل بعدها، وهو أول من مات من أولاده وهم سبعة: القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر وإبراهيم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم، وكلهم من خديجة، إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، وماتوا جميعاً في حياته، إلا فاطمة فعاشت بعده زمناً يسيراً وماتت رضوان الله عليهم أجمعين، وذريته ﷺ الباقية إلى يوم القيامة من نسلها.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سُورة الكافرون

[مكية او مدنية وهي ست آيات]

نزلت لما قال رَهط من المُشركين لرسولِ الله ﷺ تعبدُ آلهتنا سَنَةً ونعبد إلٰهك سنة.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ﴾[١] **لا أَعْبُدُ﴾** : في الحال **﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾**[٢] : من الأصنام **﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾** : في الحال

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سُورة الكافرون مكية أو مدنية

وهي ست آياتٍ

وتُسمىٰ سُورة المعابدة، أي المخالَفة في العبادةِ والمعانَدة فيها، وسورةَ الإخلاص؛ لأنها دالةٌ على الإخلاص في العبادة والدين، كما أنّ ﴿قل هو الله أحد﴾ تُسمى سُورةَ الإخلاص، لكن هذه دالّة على الإخلاص في الظّاهِر والباطِن، والصَمَدِيّة دالّة على إخلاص القلبِ من الشِرْك، فمن عمل بهما واعتقدهما، بَرِئ ظاهره وباطنه من الكفر والنِفاق، ولذلك لا يجتمعان في منافق ولا كافر، ويُقال لها وللإخلاص المقشقشتان أي المبرئتانِ. وورد في فضلها أحاديث منها «أنها تعدل ثُلث القرآن». ومنها قوله ﷺ: «قل يا أيها الكافرون تعدِلُ ربع القرآن». ومنها: أن رجلاً قال النبي ﷺ: أوصِني فقال: «اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون فإنها بَراءة من الشِرْك». ومنها قول ابن عباس: ليس في القرآن أشد غيظاً منها؛ لأنها توحيدٌ وبراءة من الشِرْك، وإنما زادتْ الإخلاص في الثواب عنها؛ لأنها مُشتملة على صفاتِ الرب تعالى صَريحاً، مع دلالتها على الإخلاص في التوحيد. قوله: [مكية] أي في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة، وقوله: [أو مدنية] أي في قول قتادة والضحاك. قوله: [نزلت لما قال رهط من المشركين] الخ حاصله كما قال ابنُ عباس: أن سببَ نزولها: أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف؛ لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هلم فلتعبدْ ما نَعبد، ونعبدْ ما تعبد، ونشترك نحن وأنتَ في أمرنا كله، فإن كان الذي جئتَ به خيراً مما بأيدينا؛ كنا قد أشركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كانَ الذي بأيدينا خيراً مما بيدك، كنتَ قد أشركتنا في أمرنا، وأخذتَ بحظك منه، فأنزل الله عز وجل ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخرها، والرهْط بسكون الهاءِ أفصح من فتحها، جمع لا واحد له

---

* أسباب نزول الآية ١. أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد (وتك عن شتم) آلهتنا ولا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فأنزل الله ﴿فقل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخر السورة، وأنزل ﴿قل أفغير الله تأمرني أعبد أيها الجاهلون﴾.

وأخرج عبد الرزاق عن وهب قال. قالت كفار قريش للنبي ﷺ: إن سرك أن تتبعنا عاماً ونرجكم إلى دينك عاماً، فأنزل الله ﴿قل يا أيها =

﴿مَا أَعْبُدُ﴾ ٣ : وهو الله تعالى وحده ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ : في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ ٤ ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ : في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ ٥ : علم الله منهم أنهم لا يؤمنون وإطلاق ما على الله على وجه المقابلة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ : الشرك ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ٦ : الإسلام وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة السبعة وقفاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب في الحالين.

من لفظه، يقال على ما دون العشرة من الرجال، وقيل: ما فوق العشرة إلى الأربعين. قوله: ﴿الكافرون﴾ هم جماعة من الكفار مخصوصون، علم الله تعالى عدم إيمانهم أصلاً.

قوله: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ اعلم أنه اختلف المفسرون في هذه السورة، هل فيها تكرار أو لا؟ فعلى الأول: هو للتأكيد، وفائدته قطع أطماع الكفار، وتحقيق الإخبار بأنهم لا يسلمون أبداً. وعلى الثاني: فكل جملة مقيدة بزمن غير الزمن الذي قيدت به الأخرى. فدرج المفسر على أن النفي الأول محمول على الحال، والثاني على الاستقبال، ودرج غيره عليه على العكس، وما يصح أن يكون موصولة بمعنى الذي، فإن كان المراد بها الأصنام كما في الأولى والثالثة فالأمر واضح، لأنهم غير عقلاء وما لغير العاقل، وأما الثانية والرابعة فإما أن تكون واقعة على الله تعالى، وتكون دليلاً لمن يجوز وقوعها على العالم، أو تجعل مصدرية والتقدير: ولا أنتم عابدون عبادتي، أي مثل عبادتي، ويصح أن يكون جميعها مصدرية أو موصولة، أو الأوليان موصولتان، والأخريان مصدريتان، فتحصل أن ما في هذه السورة فيها أربعة أقوال: الأول: أنها كلها بمعنى الذي. الثاني: أنها كلها مصدرية. الثالث: أن الأوليين بمعنى الذي، والأخرين مصدريتان. الرابع: أن الأولى والثالثة بمعنى الذي، والثالثة والرابعة مصدرية. إن قلت: ما الحكمة في التعبير في جانبه ﷺ بلفظ ﴿أعبد﴾ وفي جانبهم بلفظ ﴿عبدتم﴾؟ أجيب: بأنه ﷺ وإن كان يعبد الله تعالى قبل البعثة، إلا أنه لم يدع الناس إلا بعدها، فلم يشتهر بها إلا حين الدعوة، وأما هم فكانوا متلبسين قديماً بعبادة الأصنام متظاهرين بها. قوله: [علم الله منهم أنهم لا يؤمنون] جواب عن سؤال مقدر حاصله: كيف يقنطهم من الإيمان، مع أنه مبعوث لهدايتهم، وقد كان حريصاً على إيمانهم. وحاصل الجواب: أن هذا في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون أبداً، فأخبر نبيه بذلك لتظهر شقاوتهم. قوله: [وإطلاق ما على الله] أي في الثانية والرابعة، وأما في الأولى والثالثة فهي واقعة على الأصنام. قوله: [على وجه المقابلة] أي المشاكلة، وهذا مبني على القول بأنه لا يجوز وقوع ما على العالم، وأما على مذهب من يجوز ذلك، فلا يحتاج للاعتذار بالمقابلة، وكان المناسب للمفسر أن يقول: وإطلاق ما على العالم فصيح وحسنه المشاكلة.

قوله: ﴿لكم دينكم﴾ الخ، أتى بهاتين الجملتين المثبتتين بعد جمل منفية، لأنه لما كان الأهم تباعده عليه السلام عن دينهم، بدأ بالنفي سابقاً، فلما تحقق النفي رجع إلى خطابهم مهادنة لهم، فهاتان الجملتان مؤكدتان لمجموع الجمل الأربع. قوله: ﴿ولي دين﴾ بفتح الياء من ﴿لي﴾ وإسكانها سبعيتان. قوله: [وهذا قبل أن يؤمر بالحرب] الإشارة راجعة إلى الآية الأخيرة، وقيل: إلى جميع السورة، وهذا مبني على أن المراد بالدين العبادة والتدين، وقيل: إن المراد بالدين الجزاء، أي لكم جزاء أعمالكم، ولي جزاء أعمالي، وعليه فلا نسخ. قوله: [وقفاً ووصلاً] أي لأنها من ياءات الزوائد، فيراعى فيه رسم المصحف، وهي غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسر. قوله: [وأثبتها يعقوب] أي وهو من العشرة.

= الكافرون﴾ إلى آخر السورة، وأخرج ابين المنذر نحوه عن ابن جريج. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن ميناء قال: لقي الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله ﷺ فقالوا. يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فأنزل الله ﴿قل يا أيها الكافرون﴾.

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

سورة النصر

[مدنية وهي ثلاث آيات]

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ : نَبيه ﷺ على أعدائه ﴿وَالْفَتْحُ﴾[١] : فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ :

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة النصر مدنية
وهيَ ثلاث آيات

أيْ بالإجماع ، وتُسمى سوْرة التَوْديع ، لما فيها من الدلالةِ على توْديع الدنيا ، واتفق الصَحابة على أنّ هذه السورة دلّتْ على نعي رسول الله ﷺ وذلكَ لوجوه منها: أنهم عرَفوا ذلكَ حين خطَب وقال: إن عبداً خيّره الله تعالى بين الدنيا وبيْن لقائه ، فاختار لقاءَ الله تعالى ، فقالَ أبو بكر: فديناكَ بأنفسِنا وأموالِنا وآبائنا وأولادِنا . ومنها: أنه لمّا ذكر حصولَ النصر والفتح ، ودخولَ الناس في الدينِ أفواجاً دلّ على حصول الكمال والتمام ، قال الشاعر :

إذا تَــمّ أمْرٌ بَـدا نَـقْـصُـه ... تــوقّــعْ زوالاً إذا قــيــل تَــمّ

ومنها: أنه تعالى أمرَه بالتسبيح والحمدِ والاستغفار ، واشتغالُه بذلكَ يمنعه من اشتغاله بأمْر الأمةِ ، فكان هذا كالتنبيه على أن أمْرَ التبليغ قد تمّ وكمل ، وذلكَ يقتضي انقضاءَ الأجل ، إذ لو بقيَ بعد ذلك ، لكانَ كالمعزولِ من الرسالة ، وذلكَ غير جائز .

قوله : ﴿إذا جاء نصر الله﴾ المجيء في الأصل اسمٌ للموجودِ الغائبِ إذا حضر ، والمراد حصَل وتحقّق ، ففيه استعارة تبعيّة ، حَيْث شبه حصول النصر عند حضور وقْته بالمَجي ، ثم اشتق منه لفْظ جَاءَ بمعْنى حَصَل ، وعبّر بالمَجيء إشعاراً بأن الأمور متوجهة من الأزلِ إلى أوقاتها المُعيّنة لها ، وأن ما قدرَ الله حصولَه فهوَ كالحاصِل ، كأنهُ موجود حضر من غيبته ، ﴿و إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان ، منصوب بسبّحْ الواقع جوابها ، وهي على بابها إن كانت السورة نزلتْ قبل الفتح ، فإن كان النزول بعد الفتح فـ ﴿إذا﴾ بمعنى إذْ ، مُتعلقة بمحذوف تقديرُه أكملَ الله الأمر ، وأتمّ النعمة على العباد ، إذ جَاء نَصْر الله ، و﴿نصر الله﴾ مضاف لفاعلِه ، ومفعولُه محذوف قدرهُ المفسرُ بقوله : [نبيه] .

---

* أسباب نزول الآية ١ . أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفو قريش بأسفل مكة ، حتى هزمهم الله ، ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم ، فدخلوا في الدين فأنزل الله ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختمها .

قوله: ﴿والفتح﴾ أل فيه عوض عن المضاف إليه عند الكوفيين، أي وفتحه، أو العائد محذوف عند البصريين، أي والفتح منه، وعطفه على النصر عطف خاص على عام. قوله: [فتح مكة] أي التي حصل به أعظم فتوح الإسلام، وأعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه. واستبشر به أهل السماء، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وسببها أنه وقع الصلح بالحديبية، على أنه ﷺ لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش، وأنهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده، وكان ممن دخل في عقده خزاعة، وفي عقدهم بنو بكر، وكانا متعاديين، فخرج بعض بني بكر وبني خزاعة فاقتتلوا، فأمدت قريش بني بكر، فخرج أربعون من خزاعة إليه ﷺ يخبرونه ويستنصرونه، فقام وهو يجر رداءه ويقول: لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي، ولما أحس أبو سفيان، جاء إلى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة، فأبى ﷺ فرجع، فأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، وأعلم الناس أنه سائر إلى مكة وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها، فتجهز الناس، ومضى رسول الله ﷺ بهم عامداً إلى مكة لعشر مضين من رمضان، وقيل: لليلتين مضتا منه سنة ثمان من الهجرة، فصام رسول الله والناس معه، حتى إذا كان بالكديد أفطر، وعقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل، ثم مضى حتى نزل مر الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة في عشرة آلاف، وقيل: اثني عشر ألفاً من المسلمين، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد، فلما نزل به أمرهم أن يوقدوا عشر آلاف نار كل نار على حدة، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار، وكان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق مهاجراً بعياله، فلما رأى ذلك الأمر قال: والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يستأمنوه، لهلكت قريش إلى آخر الدهر، قال العباس: فركبت بغلة رسول الله البيضاء، وخرجت لأجد حطاباً أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله، ليخرجوا إليه فيستأمنوه، قبل أن يدخلها عليهم عنوة، وإذا أنا بأبي سفيان فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي، قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قبل لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين، قال: وما الحيلة؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك، فأردفته ورجع صاحباه، فخرجت أركض به بغلة رسول الله، كلما مررت بنار من نيران المسلمين نظروا وقالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: يا أبا سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله، وركضت البغلة فسبقته، فلما وصلت النبي ﷺ دخلت عليه ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، قال: فقلت: يا رسول الله إني قد أجرته، فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به، قال: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله، فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله، قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، فما زال به حتى أسلم، قال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه عليه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله، قال: ففعلت ومرت به القبائل على راياتها، كلما مرت به قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي ولسليم، ثم تمر قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة؟ فلا تمر قبيلة إلا سألني عنها، حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، وفيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة، والله يا أبا

أي الإسلام ﴿أَفْوَاجاً﴾٢: جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي متلبساً بحمده ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾٣: وكان ﷺ بعد نزول هذه

الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، قلت: ويحك إنها النبوة، قال: فنعم إذاً، فقلت: الحق الآن بقومك فحذرهم، فخرج سريعاً حتى أتى مكة، فصرخ في المسجد بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به. قالوا: فكيف السبيل؟ قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: ويحك وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله ﷺ فأسلما وبايعاه، ثم بعثهما رسول الله بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الإسلام، ثم إن رسول الله ﷺ دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة، وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من خزاعة وبني سليم، أن يدخلوا من أسفل مكة وقال لهم: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس، فقال سعد: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي الحرب، اليوم تستحل الحرمة، فبلغ النبي ﷺ ذلك، فأمره على لسان علي كرم الله وجهه أن يدفع الراية لابنه قيس، وأخبر أبا سفيان أنه لم يأمر بقتل قريش، وأن اليوم يوم المرحمة، وأن الله يعز قريشاً، وخشي سعد أن ابنه يقع منه شيء أيضاً، فذكر ذلك للنبي ﷺ فدفعها للزبير، وكانت راية النبي ﷺ والمهاجرين مع الزبير أيضاً، فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم، وأمره أن يدخل من أعلى مكة، وأن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه، وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والأحابيش بأسفل مكة، فقاتلوهم فهزمهم الله، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك، فقتل من المشركين اثنا عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً، ولم يقتل من المسلمين إلا ثلاثة، وكان قد أمرهم النبي أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا نفراً سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد، وعبد الله بن خطل، كانا قد أسلما ثم ارتدا، ومنهم قينتان كانتا تغنيان بهجاء النبي ﷺ لعبد الله بن خطل، ومنهم الحويرث بن وهب، ومقيس بن صبابة، وأناس أخر، ثم إن رسول الله ﷺ خرج لما أطمأن بالناس، حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له فدخلها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، ثم قال: اذهبوا أنتم الطلقاء، فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله أمكن منهم عنوة، فبذلك سمي أهل مكة الطلقاء، ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب، ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية، فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر، واجتمع الناس للبيعة فجلس إليهم رسول الله على الصفا، وعمر ابن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ إذا فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم به؟ فقال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبي ﷺ: معاذ الله المحيا محياكم، والممات مماتكم، وقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج إلى هوازن وثقيف. قوله: ﴿يدخلون﴾ نصب على الحال إن كانت رأى بصرية، أو مفعول ثان إن كانت علمية. قوله: ﴿أفواجاً﴾ حال من فاعل ﴿يدخلون﴾ وهو جمع فوج. والمعنى: يدخلون زمراً زمراً من غير قتال، وقوله: [جاءه العرب] لا مفهوم له بل وغيرهم.

قوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي قل: سبحان الله والحمد لله، تعجباً مما رأيت من عجيب إنعامه عليك. قوله:

السورة يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

﴿واستغفره﴾ أي سل الله الغفران، وإنما أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار، مع أنه معصوم من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، ليترقى ويرجع إلى حضرة الحق، فإنه وإن كان مشغولاً بهداية الخلق، إلا أن مقام الصفوة والحضور والأنس أعلى وأجل، فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، ليزداد في التواضع والافتقار، وليكون ختام عمله التنزيه والاستغفار، وفيه تشريع للأمة، إذا طعن أحدهم في السن، فالغالب قرب أجله، فليكثر من ذلك ليختم عمله به.

قوله: ﴿إنه كان تواباً﴾ أي ولم يزل، فكان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها، ومعنى كونه ﴿تواباً﴾ أنه يكثر قبول التوبة، وبهذا اندفع ما يقال: إن كان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها في الماضي، وإذا كان كذلك فلا يصح أن يكون علة للاستغفار في الحال أو المستقبل. قوله: [وعلم بها أنه قد اقترب أجله] أي لقول مقاتل لما نزلت قرأها النبي ﷺ على أصحابه، وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس، ففرحوا واستبشروا وبكى العباس، فقال له النبي ﷺ ما يبكيك يا عم؟ قال: نعيت إليك نفسك، قال: إنه كما قلت، فعاش بعدها ستين يوماً، ما رؤي فيها ضاحكاً. وقيل: نزلت في منى بعد أيام التشريق في حجة الوداع، فبكى عمر والعباس، فقيل لهما: هذا يوم فرح، فقالا: بل فيه نعي النبي ﷺ، أي إخبار بموته. وعن ابن عمر: نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع، ثم نزل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ فعاش النبي ﷺ بعدها ثمانين يوماً، ثم نزلت آية الكلالة، فعاش بعدها خمسين يوماً، ثم نزل ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ فعاش بعدها إحدى وعشرين يوماً، وقيل: سبعة أيام، وقيل: غير ذلك. قوله: [توفي ﷺ سنة عشر] إن قلت: إن سنة عشر حج فيها وتوفي فيها ولده إبراهيم، فالصواب سنة إحدى عشرة. وأجيب: بأن المراد على تمام عشر من الهجرة إلى المدينة، وذلك لأن الهجرة كانت لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول، وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، فكانت وفاته ﷺ على رأس العاشرة، بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة، وإن كانت لشهرين وشيء مضت من الحادية عشرة إذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم، فيصح أن يقال: توفي سنة إحدى عشرة، بالنظر لجعل التاريخ من المحرم، وتوفي سنة عشر بالنظر لجعل التاريخ من يوم دخوله المدينة.

* *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة تبت

[مكية وهي خمس آيات]

لما دعا النبيّ ﷺ قومه وقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال عمه أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة تبت مكية

وهي خمس آيات

وتُسمى سورة أبي لهب. قوله: [مكية] أي بالإجماع. قوله: [لما دعا النبي] أي نادى، وقوله: [قومه] أي المؤمنين والكافرين، وذلك أنه لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ خرج ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بن عبد مناف، يا بني عبد المطلب، فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت هذه السورة، فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليه، أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ، فلم تر إلا أبا بكر فقالت: يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغني بأنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، والله إني لقائلة: مذمماً عصينا، وأمره أبينا، ودينه قلينا، ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ قال: ما رأتني، لقد أخذ الله بصرها عني، وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ مذمماً ثم يسبونه، أي ذو ذمة وعهد صادق، وقال صاحب الهمزية في هذا المعنى:

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفي مثلي من أحمد يقال الهجاء
فتولت وما رأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل: إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد، أن أبا لهب أتى النبي ﷺ فقال: ماذا أعطى إن آمنت بك يا محمد؟ فقال: كما يعطى المسلمون، قال: ما لي عليهم فضل، قال: وأي شيء تبتغي؟ قال: تباً لهذا من دين، إن أكن وهؤلاء سواء.

نزل ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: أي جملته وعبر عنها باليدين مجازاً لأن أكثر الأفعال تزاول بهما وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّ﴾[١]: خسر هو وهذه خبر كقولهم أهلكه الله وقد هلك ولما خوفه النبي بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفتدي منه بمالي وولدي نزل: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[٢]: أي وكسبه ولده وأغنى بمعنى يغني ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾[٣]: أي تلهب وتوقد فهي مآل تكنيته لتلهب وجهه إشراقاً وحمرة ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾: عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل ﴿حَمَّالَةَ﴾: بالرفع والنصب ﴿الْحَطَبِ﴾[٤]: الشوك والسعدان تلقيه في طريق النبي ﷺ ﴿فِي جِيدِهَا﴾: عنقها ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[٥]: أي ليف

قوله: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ بفتح الهاء وسكونها، سَبْعيتان ولغتان جيدتان، واتفق القراء على فتح الهاء في قوله: ﴿ذات لهب﴾ والفرق أنها فاصلة، فلو سكنت زال التشاكل. قوله: [وهذه خبر] أي إخبار بحصول التباب له الذي دعا به عليه في الجملة الأولى، وهذا أحد قولين، وقيل: إن كلتا الجملتين دعاء، وصرح بكنيته لقبح اسمه، فإن اسمه عبد العزى، أو لأن الله تعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار.

قوله: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ يصح أن تكون ﴿ما﴾ نافية أو استفهامية، وعلى الثاني فهو في محل نصب بـ ﴿أغنى﴾ والتقدير: أي شيء أغنى قدم لكونه له صدر الكلام. قوله: ﴿ماله﴾ أي الموروث من آبائه. قوله: [وكسبه] أشار بذلك إلى أن ﴿ما﴾ مصدرية، ويصح أن تكون اسم موصول بمعنى الذي، والعائد محذوف، أي والذي كسبه. قوله: [أي ولده] وهو عتيبة بالتصغير، وأما عتبة ومعتب فقد أسلما، قال بعضهم:

كرهت عتيبة إذ أجرما وأحببت عتبة إذ أسلما
كذا معتب مسلم فاحترز وخف أن تسب فتى مسلما

ومات أبو لهب بداء يسمى العدسة، بعد وقعة بدر لسبع ليال، والعدسة قرحة تخرج بالبدن فتقتل صاحبها، كانت العرب تهرب منها لزعمهم أنها تعدي.

قوله: ﴿سيصلى ناراً﴾ أي يحترق بها. قوله: [فهي مآل تكنيته] جواب عما يقال: كيف ذكره بكنيته دون اسمه وهو عبد العزى، مع أن ذلك إكرام واحترام؟ وإيضاحه أنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لها، فإن مصيره إلى النار ذات اللهب، أو لأن ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة، لأنه عبد الله لا عبد العزى [وهي أم جميل] أي وهي أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت عوراء وماتت مخنوقة بحبلها.

قوله: ﴿حمالة الحطب﴾ إن قلت: إنها كانت من بيت العز والشرف، فكيف يليق بها حمل الحطب؟ قلت: إنها لشدة عداوتها للنبي ﷺ لا تستعين في ذلك بأحد، بل تفعله بنفسها. قوله: [بالرفع] أي على أنه نعت لامرأته، وقرأ عاصم ﴿حمالة﴾ بالنصب على الذم أو الحال من امرأته، والمعنى: أنها تصلى النار حال كونها ﴿حمالة الحطب﴾ لما

---

* أسباب نزول الآية ١. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فنادى. يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال. أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم او ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا، فأنزل الله ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخرها. وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل عن ابن إسحاق عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد: أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي ﷺ الشوك، فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ إلى ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾، وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذي هو نعت لامرأته أو خبر مبتدأ مقدر.

وَرد: «أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار، كما كانت تحمل الحطب في الدنيا». قوله: **[والسعدان]** هو نبت له شوك يشبه به حلمة الثدي، وهو بوزن سرحان. قوله: **[تلقيه]** أي بالليل لقصد أذية النبي ﷺ.

قوله: **﴿في جيدها حبل من مسد﴾** قيل: إنها في الدنيا كانت تحتطب في حبل من ليف تجعله في عنقها، فبينما هي ذات يوم حاملة للحزمة، فقعدت على حجر لتستريح، إذ أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها خنقاً بحبلها، وقيل: هذا في الآخرة، قال ابن عباس: هو سلسلة من حديد، ذرعها سبعون ذراعاً، تدخل من فيها وتخرج من دبرها، ويكون سائرها في عنقها، فتلت من حديد فتلاً محكماً اهـ. ويكون المراد بالمسد الحديد، فإنه يطلق عليه أيضاً كما يؤخذ من القاموس، ولا مانع من الجمع. قوله: **[أي ليف]** قيل: هو ليف المقل وهو شجر الدوم أبيض مشهور، وقيل: مطلق الليف. قوله: [وهذه الجملة] أي المركبة من المبتدإ الذي هو **﴿حبل﴾**، ومن الخبر الذي هو **﴿في جيدها﴾**. قوله: **[أو خبر مبتدإ مقدر]** أي وتقديره: المرأة المذكورة **﴿في جيدها حبل من مسد﴾**.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الإخلاص

[مكية أو مدنية وهي أربع وخمس آيات]

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الإخلاص مكية أو مدنية
وهي أربع أو خمس آيات

مناسبتها لما قبلها: أنه لمّا تقدم في التي قبلها، ذكر عداوة المشركين له ﷺ، ولا سيما أقرب الناس إليه وهو عمه أبو لهب، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عبدة الأوثان، تسليةً له ﷺ وإشعاراً بأن من تعلق بالله، لا يكله إلى غيره ولا يعتريه حزن، ولهذه السورة أسماء كثيرة، وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمّى، أنهاها بعضهم إلى عشرين اسماً: أولها: الإخلاص. ثانيها: التنزيل. ثالثها: التجريد لأن من تعلق بها تجرد عن الأغيار. رابعها: التوحيد لأنها دالة عليه. خامسها: النجاة لنجاة قارئها من النار. سادسها: الولاية لأن من تعلق بها أعطاه الله الولاية. سابعها: النسبة لقوله في السؤال: انسب لنا ربك. ثامنها: المعرفة لأن من فهمها عرف الله تعالى. تاسعها: الجمال لدلالتها على جمال الله، أي اتصافه بالكمالات وتنزيهه عن النقائص. عاشرها: المقشقشة أي المبرئة من الشرك والنفاق. الحادي عشر: المعوذة أي المحصنة لقارئها من فتن الدنيا والآخرة. الثاني عشر: الصمد لذكره فيها. الثالث عشر: الأساس لأنها أصل الدين والحديث: «أسست السماوات السبع والأرضون السبع على ﴿قل هو الله أحد﴾». الرابع عشر: المانعة لأنها تمنع فتنة القبر وعذاب النار. الخامس عشر: سورة المحتضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت. السادس عشر: المنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها. السابع عشر: سورة البراءة لأنها براءة من الشرك. الثامن عشر: المذكّرة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد. التاسع عشر: النور لأنها تنور القلب. العشرون: سورة الإنسان لأنه لا غنى له عنها. وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل: يا عبدي ادخل بيمينك الجنة». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ خمسين مرة، غفرت له ذنوب خمسين سنة». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ عشر مرات بني له قصر في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاثة قصور في الجنة». قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله إذن تكثر قصورنا، فقال رسول الله ﷺ: «أوسع من ذلك». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ في مرضه الذي يموت فيه، لم يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها، حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ ﴿قل

سئل ﷺ عن ربه فنزل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾١ : فالله خبر هو وأحد بدل منه أو خبر ثانٍ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾٢ : مبتدأ

هو الله أحد﴾ حين يدخل منزله، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة بورك عليه، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله، ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه، ومن قرأها اثنتي عشرة مرة، بنى الله له اثني عشر قصراً في الجنة، فإن قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة، ما خلا الدماء والأموال، فإن قرأها مائتي مرة كفر الله عنه ذنوب مائة سنة، فإن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه في الجنة، أو يرى له». ومنها: أنه شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الفقر وضيق المعيشة، فقال له رسول الله ﷺ: «إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد، فإن لم يكن فيه أحد فسلم علي واقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة واحدة» ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه. ومنها: أن من قرأها مائة ألف مرة، فقد اشترى نفسه من الله، ونادى مناد من قبل الله تعالى في سماواته وفي أرضه: ألا إن فلاناً عتيق الله، فمن كان له قبله بضاعة فليأخذها من الله عز وجل، فهي عتاقة من النار، لكن بشرط أن لا يكون عليه حقوق للعباد أصلاً، أو عليه وهو عاجز عن أدائها، أما من قدر عليها فهو كالمستهزىء بربه، كما ورد في الحديث: «يا داود قل للظلمة لا يذكروني، فإنهم إن ذكروني ذكرتهم وذكري لهم أن ألعنهم». قوله: [سئل ﷺ] أي والسائل له قريش أو أحبار اليهود أو النصارى حيث قالوا: إن آلهتنا ثلاثمائة وستون ولم تقض حوائجنا، فكيف بواحد؟ أو صورة السؤال: وما صفة ربك؟ هل هو من نحاس أو من ذهب أو زبرجد أو كيف هو؟ قولان في كيفية السؤال، وورد: أن ابن سلام لما سمع بمخرج النبي ﷺ بمكة ذهب إليه، فقال له النبي ﷺ: أنت ابن سلام عالم يثرب؟ قال: نعم، قال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أتجدني في التوراة قال: انسب ربك، فارتج النبي ﷺ، فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام: ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها، فقرأها فقال ابن سلام: أشهد أنك رسول الله، وأن الله يظهرك ويظهر دينك على الأديان، وإني لأجد صفتك في كتاب الله التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليست بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا تجزىء بالسيئة مثلها، ولكن تعفو وتصفح، ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا: لا إله إلا الله، يفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً. قوله: [فالله خبر هو] الخ هذا مبني على أن ضمير ﴿هو﴾ عائد على المسؤول عنه في كلام الكفار، وقيل: إنه ضمير الشأن يفسره الجملة بعده فـ ﴿الله﴾ مبتدأ و﴿أحد﴾ خبره، والجملة خبر ﴿هو﴾ وهمزة ﴿أحد﴾ بدل من واو لأنه من الوحدة، أو ليست مبدلة من شيء قولان، وإثبات لفظ ﴿قل﴾ مع تنوين ﴿أحد﴾ هو قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بحذف ﴿قل﴾ وقرىء أيضاً: قل هو الله أحد، وقرىء أيضاً بحذف التنوين لالتقاء الساكنين، واعلم أن هذه الآية يؤخذ منها عقائد التوحيد، وذلك لأن الله تعالى علم على الذات الواجب الوجود

---

* أسباب نزول الآية ١ : وأخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك فأنزل الله ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها. وأخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبد الله، فاستدل بها على أن السورة مكية. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن اليهود جاءت إلى النبي ﷺ منهم كعب بن الأشر وحيي بن أخطب فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها.

وأخرج ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله، فاستدل بهذا على أنها مدنية. وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قال قتادة: قالت الأحزاب: انسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة، وهذا المراد بالمشركين في حديث أبي، فتكون السورة مدنية، كما دل عليه حديث ابن عباس، وينتفي التعارض بين الحديثين، لكن أخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق ابان عن أنس قال: أتت يهود خيبر إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب، وآدم من حمأ مسنون، وإبليس من لهب النار، والسماء من دخان، والأرض من زبد الماء، فأخبرنا عن ربك، فلم يحبهم فأتاه جبريل بهذه السورة ﴿قل هو الله أحد﴾.

وخبر أي المقصود في الحوائج على الدوام ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتفاء الحدوث عنه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: أي مكافئاً ومماثلاً وله متعلق بكفواً وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة.

المستحق لجميع المحامد، ومن كان وجوده واجباً، لزم اتصافه بسائر الكمالات، كالقدرة والإرادة والعلم والحياة، وقوله: ﴿أحد﴾ يدل على الصفات السلبية وهي: القدم والبقاء والغنى المطلق والتنزه عن الشبيه والنظير والمثيل في الذات والصفات والأفعال، وبذلك انتفت الكموم الخمسة وهي: الكم المتصل والمنفصل في الذات والصفات والمنفصل في الأفعال، فالمتصل في الذات والصفات هو التركيب، والمنفصل فيهما هو الشبيه والنظير، والمنفصل في الأفعال هو الشبيه فيها، وكل هذه منفية ومستحيلة عليه تعالى، وأما المتصل في الأفعال فهو ثابت، لأن أفعال الله متعددة لا نهاية لها، بقي شيء آخر وهو أن ﴿أحد﴾ يستعمل في النفي، وأما واحد فيستعمل في الإثبات، فلم ذكره في الإثبات؟ أجيب: بأن ذلك أغلبي، وقد يستعمل كل في كل، والقرآن ورد بذلك في غير آية، وآثر الأحد على الواحد لمراعاة الفواصل. قوله: [واحد بدل] أي بدل نكرة من معرفة وهو جائز.

قوله: ﴿الله الصمد﴾ نتيجة ما قبله، ولذا ترك العاطف، وذلك لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزه عن النقائص، فلا يقصد غيره، ولا يعول إلا عليه. قوله: [أي المقصود في الحوائج] هذا أحد أقوال في معنى ﴿الصمد﴾ وهو المشهور، وقيل: هو الذي لا جوف له، وقيل: هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه، وقيل: هو الذي ليس فوقه أحد، وقيل: غير ذلك، وإنما عرف ﴿الصمد﴾ لعلمهم به ومعرفتهم إياه، بخلاف أحديته، وكرر لفظ ﴿الله﴾ إشعاراً بأن من لم يتصف به لا يستحق الألوهية.

قوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ رد على مشركي العرب القائلين: الملائكة بنات الله، واليهود القائلين: عزير ابن الله، والنصارى القائلين: المسيح ابن الله، وهذه الجملة نتيجة ما قبلها، لأنه حيث ثبت إنه متصف بالكمالات، منزه عن النقائص، مقصود في جميع الأمور، فلم يكن علة في غيره، ولا غيره علة فيه، وأتى بالعاطف في الجملتين الأخيرتين دون ما عداهما لأنهما سيقتا لمعنى وهو نفي المماثلة عنه تعالى بوجوهها لأن المماثلة إما ولد أو والد أو نظير، فلتغاير الأقسام أتى بالعطف لأنه يقتضي المغايرة، وترك العاطف في ﴿لم يلد﴾ لأنه مؤكد للصمدية لأنه الغني عن كل شيء، المحتاج إليه كل ما سواه، لا يكون والداً ولا مولوداً، فهذه الجمل الثلاث في معنى جملة واحدة. قوله: [الانتفاء مجانسته] أي لغيره، لأن الولد من جنس أبيه، والله لا يجانسه أحد، لأنه واجب وغيره ممكن، ولأن الولد يطلب إما لإعانة والده، أو لتخلفه بعده، والله تعالى غني عن كل شيء ولا يفنى. قوله: [لانتفاء الحدوث عنه] أي لأن كل مولود جسم ومحدث، والله تعالى ليس كذلك. قوله: [ومماثلا] عطف تفسير، واعلم أن الكفر يعم الشبيه والنظير والمثيل، فالمثيل هو المشارك لك في جميع صفاتك، والشبيه هو المشارك في غالبها، والنظير هو المشارك في أقلها، والله تعالى منزه عن ذلك كله. قوله: [وقدم عليه] أي وكان الأصل أن يؤخر الظرف، لكن قدم لأهميته اعتناء بنفي المكافأة عنه تعالى لأنه المقصود. قوله: [لأنه محط القصد بالنفي] أي فالقصد نفي المكافأة عن ذات الله، فكان تقديمه أولى، وهذه السورة الشريفة، نفت أصول الكفر الثمانية: التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير، أما الكثرة والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ والنقص والقلة بقوله: ﴿الله الصمد﴾ والعلة والمعلول بقوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ والشبيه والنظير بقوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سورة الفلق

[مكية أو مدنية وهي خمس آيات]

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة فأعلمه الله

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم
سورة الفلق مكية أو مدنية
وهي خمس آيات

مناسبتها لما قبلها، أنه تعالى لما بين أمر الألوهية في السورة قبلها، بين هنا ما يستعاذ منه بالله تعالى، لأنه ملجأ لا سواه. قوله: [مكية] أي في قول الحسن وعطاء وعكرمة، وقوله: [أو مدنية] أي في قول ابن عباس وقتادة وجماعة وهو الصحيح، ويؤيده سبب النزول، فإنه كان بالمدينة، ولم يظهر للقول بأنها مكية وجه، وورد في فضل هذه السورة والتي بعدها أحاديث: منها قوله ﷺ: «لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما، وإنه لن يقرأ أحد أحب ولا أرضى عند الله منهما» يعني المعوذتين. وقوله: «ما أنزل مثلهما» أي في التحصن والتعوذ. ومنها قوله ﷺ: «يا ابن عامر ألا أخبرك بأفضل مما تعوذ به المتعوذون»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس» ومنها أنه كان ﷺ يتعوذ من عين الجان ومن عين الإنس، فلما نزلت سورتا المعوذتين، أخذ بهما وترك ما سواهما، ومنها قوله ﷺ لبعض أصحابه: «أقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين ثلاثاً يكفيك من كل شيء». وفي رواية: من قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين ثلاث مرات إذا أخذ مضجعه، فإذا قبض قبض شهيداً، وإن عاش عاش مغفوراً له». قوله: **[نزلت هذه السورة والتي بعدها]** الخ، أي بإجماع الصحابة. قوله: **[لما سحر لبيد]** أي ابن الأعصم، وحاصله أنه لما رجع

---

* أسباب نزول المعوذتين: أخرج البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً فأتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما ترى؟ قال: طب، قال: وما طب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في ركية، فأتوا الركية فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة ثم خذوا الكرية واحرقوها، فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر في نفر، فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الكرية وأحرقوها فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه هاتان السورتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ﴿قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس، لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال: صنعت اليهود لرسول الله ﷺ شيئاً، فأصابه من ذلك وجع شديد فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه لما به، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحاً.

بذلك، وبمحله، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال.

رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة، ودخل المحرم سنة سبع، وفرغ من وقعة خيبر، جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم، وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً، فقالوا: أنت أسحرنا أي أعلمنا بالسحر، وقد سحرنا محمداً فلم يؤثر فيه سحرنا شيئاً، ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً يؤثر فيه، فجعلوا له ثلاثة دنانير، فأتى غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ، فلم يزل به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ، وعدة أسنان من مشطه وأعطاه له فسحره بها، وكان من جملة السحر، صورة من شمع على صورة رسول الله ﷺ، قد جعلوا في تلك الصورة إبراً مغروزة إحدى عشرة، ووتر فيه إحدى عشرة عقدة، وكان النبي ﷺ كلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألم في بدنه، ثم يجد بعدها راحة، وكانت مدة سحره ﷺ أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر، وقيل: عاماً، قال ابن حجر وهو المعتمد: إن قلت: كيف يؤثر السحر فيه ﷺ مع أنه معصوم بنص ﴿والله يعصمك من الناس﴾؟ أجيب: بأن المعصوم منه ما أدى لخبل في عقله، أو لضياع شرعه أو لموته، وأما ما عدا ذلك، فهو من الأعراض البشرية الجائزة في حقه، كما أن جرحه وكسر رباعيته، لا يقدح في عصمته، وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر، زاعمين أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، وما أدى لذلك فهو باطل، وزعموا أيضاً أن تجويز السحر على الأنبياء يؤدي لعدم الثقة بما أتوا به من الشرائع، إذ يحتمل أن يخيل إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو، ثم وهذا كله مردود، لقيام الدليل على ثبوت السحر بإجماع الصحابة، وعصمته ﷺ وجميع الأنبياء، وصدقهم فيما يبلغونه عن الله، وأما ما كان متعلقاً بأمور الدنيا، فهم كسائر البشر تعتريهم الأعراض، كالصحة والسقم والنوم واليقظة والتألم بالسحر ونحو ذلك، وأما ما ورد في قصة السحر، من أنه كان يخيل إليه أنه يأتي أهله ولم يأت، فمعناه أنه يظهر له من نشاطه وسابق عادته الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك، كما هو شأن المعقود، وتسمية العامة المربوط لما ورد: أنه حبس عن عائشة سنة، وعن ابن عباس: أنه مرض وحبس عن النساء والطعام والشراب، ففي ذلك دليل على أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده لا على عقله، ثم اعلم أن مذهب أهل السنة أن السحر حق وله حقيقة، ويكون بالقول والفعل، ومن جملة أنواعه: السيمياء وهي حيل صناعية، يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء، والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها، وأكثرها تخيلات، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، والحق أنه من الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها، فيؤثر في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر؛ وفي الأبدان بالألم والسقم، وأما قلب الجماد حيواناً وعكسه فباطل لا يتصور، إذ لو قدر الساحر على هذا، لقدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم، وأن يمنع نفسه من الموت، وهو حرام إن لم يكن ثم ما يعظم به غير الله، أو يعتقد تأثيره بنفسه، وإلا فهو كفر. قوله: [في وتر] بفتحتين أي وتر القوس. قوله: [فأحضر بين يديه] روي أنه ﷺ كان نائماً ذات يوم، إذ أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ فقال الذي عند رجليه: طب أي سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: وبم طبه؟ قال بمشط ومشاطة، قال: وأين هو؟ قال: في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان، فانتبه النبي ﷺ ثم أمر علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة، وإذا تمثال من شمع على صورته ﷺ مغروز فيه إحدى عشرة إبرة، وكانت هذه المذكورات كلها موضوعة في الجف، وهو بضم الجيم وتشديد الفاء، وعاء طلع النخل، والراعوفة حجر أسفل البئر يقوم عليه المائح.

قوله: [كأنما نشط من عقال] أي كأنما حل وأطلق منه. قوله: [الصبح] هذا أحد أقوال في معنى الفلق، وأثره إشارة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾١: الصبح ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾٢: من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾٣: أي الليل إذا أظلم، أو القمر إذا غاب ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السواحر تنفث ﴿فِي ٱلْعُقَدِ﴾٤: التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق. وقال الزمخشري معه كبنات لبيد المذكور ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾٥: أظهر حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ وذكر الثلاثة الشامل لها ﴿مَا خَلَقَ﴾ بعده لشدة شرها.

إلى التفاؤل الحسن، فإن مقصود العائذ من الاستعاذة أن يتغير حاله بالخروج من الخوف إلى الأمن، ومن الوحشة إلى السرور والصبح أدل على هذا؛ لما فيه من زوال الظلمة بإشراق أنواره، وتغير وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته، وقيل: الفلق سجن في جهنم، وقيل: جب في جهنم إذا فتح صاح أهل جهنم من حره، وقيل: هو اسم من أسماء جهنم، وقيل: واد في جهنم، وقيل: شجرة في النار، وقيل: الرحم لانفلاقه عن الولد، وقيل: كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والحب والنوى وكل نبات، وقيل: غير ذلك.

قوله: ﴿من شر ما خلق﴾ هذا عام وما بعده خاص، والجار والمجرور متعلق بـ﴿أعوذ﴾ و﴿ما﴾ موصولة أو مصدرية. قوله: [وغير ذلك] أي كالإحراق بالنار والإغراق في البحار. قوله: ﴿ومن شر غاسق﴾ نكر ﴿غاسق﴾ و﴿حاسد﴾ لإفادة التبعيض؛ لأن الضرر قد يتخلف فيهما، وعرف ﴿النفاثات﴾ لأنهن معهودات، فقيل: بنات لبيد، وقيل: أخواته. قوله: [أي الليل إذا أظلم] سمي الليل غاسقاً لانصباب ظلامه، واستعيذ من الليل لشدة الآفات فيه، و﴿إذا﴾ منصوبة بـ﴿شر﴾ أي أعوذ بالله من الشر في وقت كذا. قوله: [أو القمر] سمي غاسقاً لذهاب ضوئه بالكسوف، أو المحاق في آخر الشهر واسوداده، وقوله: [إذا غاب] أي استتر بالكسوف، أو أخذ في المحاق أو النقص، وذلك آخر الشهر، وفيه تتوفر أسباب السحر المصححة له، ويسميه المنجمون إذ ذاك نحساً، وهو أنسب بسبب النزول، وهذان قولان من جملة أقوال كثيرة، وقيل: الثريا وذلك لأنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين؛ وإذا طلعت ارتفع ذلك، وقيل: هو الشمس إذا غربت، وقيل: هو الحية إذا لدغت، وقيل: كل هاجم يضر كائناً ما كان. قوله: [السواحر] صفة لموصوف محذوف أي النساء السواحر، وخص النساء بالذكر، لأن سحرهن أشد من سحر الرجال؛ لما ورد: أنه بعد إغراق فرعون وقومه، وتوجه موسى وقومه لقتال الجبارين، ملك نساء القبط مصر، وأقمن فيها ستمائة سنة؛ كلما قصدهن عسكر صورن صورته، وفعلن بالصورة ما يشين من قلع الأعين وقطع الأعضاء، فيتفق نظيره للعسكر القاصد لهن فتخافهن العسكر. قوله: [بشيء] أي مع شيء أي قول تقوله. وقوله: [من غير ريق] متعلق بـ[تنفخ]. واختلف في النفث عند الرقية والمسح باليد، فمنعه قوم لما فيه من التشبه بالسحر، وأجازها آخرون وهو الصحيح؛ لما ورد عن عائشة: كان النبي ﷺ ينفث في الركية، وورد عنها أيضاً أنها رقت ونفثت، وقال علي كرم الله وجهه: «اشتكيت فدخل علي النبي ﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فاشفني وعافني، وإن كان بلاء فصبرني، فقال ﷺ: كيف قلت؟ فقلت له، فمسحني بيده ثم قال: اللهم اشفه، فما عاد ذلك الوجع بعد». اهـ. قوله: [وقال الزمخشري: معه] أي الريق، ففي النفث قولان.

قوله: ﴿ومن شر حاسد إذ حسد﴾ الحسد تمني زوال نعمة المحسود عنه، وإن لم يصر للحاسد مثلها، والغبطة تمني مثلها، فالحسد مذموم دون الغبطة، وعليها حمل حديث: «لا حسد إلا في اثنتين» والحسد أول ذنب عصي الله به

. . . .

في السماء، وأول ذنب عُصي به في الأرض، فحسد إبليس آدم وقابيل وهابيل، والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون، قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه، أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. ثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول: لم قسمت لي هذه القسمة؟ ثالثها: أنه يعاند فعل الله تعالى، رابعها: أنه يريد خذلان أولياء الله. خامسها: أنه أعان عدو الله إبليس، وقال بعضهم: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال في الآخرة إلا حزناً واحتراقاً، ولا ينال من الله إلا بعداً ومقتاً. وفي الحديث: «في الإنسان ثلاثة: الطيرة والظن والحسد، فيخرجه من الطيرة أن لا يرجع، ويخرجه من الظن أن يحقق، ويخرجه من الحسد أن لا يبغي». قوله: [أظهر حسده] أي حمله الحسد على إظهاره، لأنه لم يظهر الحسد، لا يتأذى به إلا الحاسد وحده لاغتمامه بنعمة غيره، وفي هذا المعنى قال بعض العارفين:

ألا قُلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حَاسِداً ... أتدري على مَنْ أسأتَ الأدبْ
أسأتَ على الله في فعله ... لأنك لم ترضَ لي ما وهبْ
فكانَ جزاؤك أنْ خصَّني ... وسدّ عليك طريقَ الطلبْ

وقال بعضهم:

اصبرْ على حسدِ الحسو ... دِ فإنّ صبرَك قاتلُهْ
فالنارُ تأكلُ بعضَها ... إنْ لم تجدْ ما تأكلُهْ

ـ فائدة ـ كرر لفظ شر مع كل جمع لئلا يتوهم أنه شر واحد مضاف للجميع.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة النـاس

[مكية أو مدنية وهي ست آيات]

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ١: خالقهم ومالكهم خصّوا بالذكر تشريفاً لهم ومناسبة للاستعاذة من شرّ الموسوس في صدورهم ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ ٣: بدلان أو صفتان أو عطفا بيان وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الناس مكية أو مدنية

وهي ست آيات

قوله: [أو مدنية] أي وهو الصحيح لما تقدم من أنّ سببَ النزول واقعة السّحر، وهي بالمدينة سَنة سَبع. قوله: [ست آيات] أي والسورة التي قبلها خمس، فتكون الجملة إحدى عشرة آية، عدّة العقد والإبر الحاصلين في السحر.

قوله: ﴿قل أعوذ﴾ أي أتحصّن، والأمر للنبي ﷺ ويتناول غيره من أمته؛ لأن أوامر القرآن ونواهيه لا تخص فرداً دون فرد.

قوله: ﴿الناس﴾ أصله إما أناس حذفت الهمزة، أو نوس مأخوذة إما من ناس إذا تحرك خصّ بالبشر؛ لأنه المتحرك الحركة المعتد بها الناشئة عن رؤية وتدبر، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً أو من الأنس ضد الوحشة لأنه يؤنس به؛ أو من النسيان لكونه شأنه وطبعه. قوله: [خالقهم] أي موجدهم من العدم. قوله: [خصوا بالذكر] أي وإن كان رب جميع الخلائق. قوله: [تشريفاً لهم] أي من حيث إنه تعالى أخدم لهم ملائكة قدسه، وجعل لهم ما في الأرض جميعاً، وأمدهم بالعقل والعلم وكلفهم بخدمته، فإن قاموا بتلك الوظيفة، كان لهم العز دنيا وأخرى، وإن لم يقوموا بها، ردوا لأسفل السافلين، فلم يساووا كلباً ولا خنزيراً، وإذا علمت بذلك أنه رب الناس، فهو رب غيرهم بالأولى. قوله: [ومناسبته للاستعاذة] الخ، أي فكأنه قال: أعوذ من شرّ الموسوس إلى الناس بربهم المالك لهم.

قوله: ﴿ملك الناس﴾ بإسقاط الألف هنا باتفاق القراء، بخلاف الفاتحة ففيها قراءتان سبعيتان ثبوت الألف وحذفها، ومعنى الملك: المتصرف فيهم بأنواع التصرفات، من إعزاز وإذلال وإغناء وإفقار وغير ذلك.

قوله: ﴿إله الناس﴾ هذا الترتيب بديع، وذلك أن الإنسان أولاً يعرف أن له رباً لما شاهده من أنواع التربية، ثم إذا تأمل عرف أن هذا الربّ متصرف في خلقه، غني عن غيره فهو الملك، ثم إما زاد تأمله، عرف أنه يستحق أن يعبد، لأنه لا يعبد إلا الغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه. قوله: [زيادة للبيان] حاصله أنه ورد إشكال وهو: لم كرّر لفظ الناس ثانياً وثالثاً، ولم يكتف بضميرهم، مع أن اتحاد اللفظين في اللفظ، والمعنى معيب كالإبطاء في الشعر.

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾: أي الشيطان سمي بالحدث لكثرة ملابسته له ﴿الْخَنَّاسِ﴾ ٤ لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ٥ قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ٦: بيان

فأجاب المفسر بقوله: [زيادة للبيان] وهو جواب خفي، وأحسن منه أن يقال: إن التكرار لإظهار شرف الناس وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم، كما أنه يحسن التكرار للتلذذ، وإظهار فضل المكرر في قول بعضهم:

محمد ساد الناس كهلاً ويافعاً ... وساد على الأملاك أيضاً محمد
محمد كل الحسن من بعض حسنه ... وما حسن كل الحسن إلا محمد
محمد ما أحلى شمائله وما ... ألذ حديثاً راح فيه محمد

وهذا على تسليم أن المراد بالناس في الجميع شيء واحد، وأما إن أريد بالناس الأول: الصغار وأضيفوا للرب؛ لاحتياجهم إلى التربية أكثر من غيرهم. وبالثاني: الشباب وأضيفوا للملك؛ لأن شأنهم الطغيان والطيش، فهم محتاجون لملك يسوسهم ويسكن هيجان شبوبيتهم. وبالثالث: الشيوخ أضيفوا للإله؛ لأن شأنهم كثرة العبادة لقرب ارتحالهم وقدومهم على ربهم وفناء شهواتهم، فهم أقرب من غيرهم للتعلق بالإله، فلا اتحاد في المعنى.

قوله: ﴿من شر الوسواس﴾ متعلق بـ ﴿أعوذ﴾ إن قلت: ما الحكمة في وصف الله تعالى في هذه السورة نفسه بثلاثة أوصاف، وجعل المستعاذ منه شيئاً واحداً، وفي السورة قبلها بعكس ذلك، لأن وصف نفسه بوصف واحد؛ وجعل المستعاذ منه أربعة أشياء؟ أجيب: بأنه في السورة المتقدمة المستعاذ منه أمور تضر في ظاهر البدن، وهنا إن كان أمراً واحداً، إلا أنه يضر الروح، وما كان يضر الروح يهتم بالاستعاذة منه. إن قلت: كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام، وهو الاستعاذة من شر الوسواس؛ إذ سلامة الروح مقدمة على البدن؟ أجيب: بأن تقديم سلامة البدن وسيلة للمقصود بالذات، وهو سلامة الروح. قوله: [سمي بالحدث] أي المصدر، وقوله: [لكثرة ملابسته له] أي ملازمته للوسوسة، فهو على حد: زيد عدل، وما ذكره المفسر ليس بمتعين، فإن الوسواس بالفتح، كما يستعمل اسم مصدر بمعنى الحدث، يطلق على نفس الشيطان الموسوس، ويطلق أيضاً على ما يخطر بالقلب من الشر. واعلم أن خواطر القلب أربعة: رحماني وملكي ونفسي وشيطاني، الرحماني ما يلزم طاعة بعينها، والملكي ما يلزم طاعة لا بعينها، والنفسي ما يلزم معصية بعينها، والشيطاني ما يلزم معصية لا بعينها فتمسك بهذا الميزان. قوله: [لأنه يخنس] من باب دخل، أي يتوارى ويختفي بعد ظهوره المرة بعد المرة. قوله: [كلما ذكر الله] أي فالذكر له كالقامع الذي يقمع المفسد، فهو شديد النفور منه، ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلاً، وعن بعض السلف: أن المؤمن يضني شيطانه، كما يضني الرجل بعيره في السفر. قال قتادة: ﴿الخناس﴾ له خرطوم كخرطوم الكلب، وقيل: كخرطوم الخنزير في صدر الإنسان، فإذا ذكر العبد ربه خنس، ويقال: رأسه كرأس الحية، واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس وتأخر، وإذا غفل رجع، وهل المراد الحقيقة. أو خرطوم الكلب والخنزير كناية عن قبحه وخبثه ونجاسته، ورأس الحية كناية عن شدة الأذية، ووضعه على الفؤاد كناية عن شدة التمكن؟ كل محتمل. قوله: [إذا غفلوا عن ذكر الله] أي بقلوبهم ولو كانوا ذاكرين بألسنتهم، وذلك لأن الوسوسة حالة في القلب، فلا يطردها إلا الذكر الحال في القطر، فمن كان من أهل الذكر، فلا تسلط للشيطان عليه، قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾، ولا يترك الإنسان الذكر اللساني إذا وجد الغفلة والوسواس في قلبه، بل يكثر الذكر ويديمه، فلعله يستيقظ قلبه ويتنور، قال العارفون: الذكر اللساني كقدح الزناد، فإذا تكرر أصاب، قال بعضهم في ذلك:

اطلب ولا تضجرن من مطلب ... فآفة الطالب أن يضجرا

للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي، كقوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس وعلى كل يشمل شر لبيد وبناته المذكورين واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس، إنما يوسوس في صدورهم الجن وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك والله تعالى أعلم.

أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

قوله: ﴿من الجنة﴾ اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالياء، فيقال: جن وجني، كزنج وزنجي وغالباً يفرق بالتاء كتمر وتمرة، وزيدت التاء في الجنة لتأنيث الجماعة، سموا بذلك لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون، وهم أجسام نارية هوائية، يتشكلون بالصور الشريفة والخسيسة، وتحكم عليهم الصورة وتقدم ما فيهم. قوله: [بيان للشيطان الموسوس] أي المذكور بقوله: ﴿من شر الوسواس﴾ فـ﴿من﴾ بيانية مشوبة بتبعيض، أي بعض الجنة وبعض الناس.

قوله: [كقوله تعالى] الخ ويشهد له حديث: «تعوذوا بالله من شياطين الجن والإنس». قوله: [والناس] عطف على الوسواس، أي ولفظ ﴿شر﴾ مسلط عليه كأنه قال: من شر الوسواس الذي يوسوس وهو الجنة، ومن شر الناس، وعليه فالناس لا يصدر منهم وسوسة. قوله: [وعلى كل] أي من الاحتمالين. وقوله: [يشمل] أي الشر المستعاذ منه شر لبيد الخ. قوله: [المذكورين] أي في السورة السابقة. وفيه تغليب المذكر وهو لبيد، على المؤنث وهو بناته. قوله: [واعتراض الأول] أي وهو أنه بيان للشيطان الموسوس. قوله: [لا يوسوس في صدورهم الناس] كذا في بعض النسخ، والمناسب كما في بعضها لا يوسوسون في صدور الناس. قوله: [بمعنى يليق بهم] أي كالنميمة ويخنسون إذا زجروا.

قوله: [المؤدي] أي الموصل إلى ثبوتها في القلب. قوله: [والله أعلم] أشار بذلك إلى تمام القرآن، وفي ختم القرآن بهذه السورة إشارة حسنة كأنه قيل: ما أنزلناه كاف، ما فرطنا في الكتاب من شيء، فلا تطلب بعده شيئاً، بل اقتصر على العمل به، واستعذ بالله من الشيطان والحاسد، لأن العبد إذا تمت نعمة الله عليه، كثرت حساده إنساً وجناً، قيل: عدد حروف هذه السورة غير المكرر ثلاث وعشرون حرفاً، وكذا عدد الفاتحة بعدد السنين التي أنزل فيها القرآن، وهو سر بديع، وأول القرآن باء البسملة، وآخره سين والناس، كأنه قال: بس أي تم وكمل، ثم اعلم أن الجلال المحلي رضي الله عنه، بعد أن ختم هذا النصف الأخير، وابتداؤه من سورة الكهف، شرع في تفسير النصف الأول، وأوله سورة الفاتحة، فقال في شروعه بخطه سورة الفاتحة الخ، ولم يفتتحه بخطبة على عادة المؤلفين، مشتملة على حمد وصلاة على النبي ﷺ وغير ذلك، قصداً للاختصار، وورعاً للاقتصار على محط الفائدة. ثم إنه لما فرغ من تفسير سورة الفاتحة، توفي إلى رحمة الله تعالى، فقيض الله تعالى تلميذه الجلال السيوطي لتتميم تفسيره، فابتدأ بأول سورة البقرة، وختم بالإسراء، كما ذكر في خطبته، فصار تفسير الفاتحة في نسخ الجلال، مضموماً لتفسير آخر القرآن لا أوله، ليكون تفسير المحلي مضموماً بعضه لبعض، رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم.

خاتمة نسأل الله حسنها
في آداب تتعلق بالقرآن

منها: أن لا يمسه إلا طاهراً، قال تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ ومنها: أن التالي يتطيب ويستاك، لقول يزيد بن أبي مالك: إن أفواهكم طريق من طرق القرآن، فطهروها ونظفوها ما استطعتم. ومنها: أن يستوي له قاعداً ولا يكون متكئاً. ومنها: أن يلبس ثياب التجمل، كما يلبسها للدخول على الملوك، لأنه مناج ربه. ومنها: أن يستقبل القبلة لأنها أشرف المجالس. ومنها: أنه إذا تثاءب يمسك عن القراءة حتى يذهب تثاؤبه، لأنه من الشيطان. ومنها: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القراءة، وإن لم يكن في أول سورة، ويبسمل إن كان في أول سورة، وإلا فيخير. ومنها: إذا أخذ في القراءة لم يقطعها لمكالمة أحد من غير ضرورة. ومنها: أن يقرأه على تؤدة وترتيل وتدبر، حتى يعقل ما يخاطبه به ربه، فيرغب في الوعد، ويخاف عند الوعيد. ومنها: إذا انتهت قراءته يقول: صدق الله العظيم، وبلغ رسوله الكريم، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومنها: أن يقرأ القرآن على الترتيب ولا ينكس. ومنها: أن يضع المصحف على مكان طاهر مرتفع أو في حجره. ومنها: أن لا يمحو القرآن من اللوح بالبصاق، ولكن يغسله بالماء، ويشرب الغسالة بقصد الاستشفاء، أو يدفنها في مكان طاهر بعيد عن ممر الأقدام. ومنها: أن لا يتخذ الصحيفة إذا بليت، بل يمحوها بالماء ويفعل بها ما تقدم. ومنها: أن يعطي عينيه حقهما من النظر في المصحف، ففي الحديث قال ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة». قالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال: «النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه». وقال ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظراً». ومنها: أن لا يتأول القرآن بشيء من أمور الدنيا يعرض له، كقول الرجل إذا جاءه أحد: ﴿جئت على قدر يا موسى﴾ وكقوله لضيوفه مثلاً: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ ومنها: أن لا يقرأ القرآن بألحان الغناء، كلحون أهل الفسق. ومنها: أن يجود خطه إذا كتبه. ومنها: أن لا يقرأ في الأسواق، أو في مواطن اللغط ومجمع السفهاء، والتعرض بتلاوته لسؤال الخلق. ومنها: أن لا يصغر المصحف، فإنه ورد النهي عن تصغير المسجد والمصحف. ومنها: أن لا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل في المساجد، ففي الحديث: مر رسول الله ﷺ بكتابة في أرض فقال لشاب من هذيل: «ما هذا؟» قال: من كتاب الله كتبه يهودي، فقال: «لعن الله من فعل هذا، لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه». ورأى عمر بن عبد العزيز ولده يكتب القرآن على حائط فضربه. ومنها: أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور، فكان رسول الله ﷺ إذا ختم القرآن يقرأ من أوله قدر خمس آيات. وقال ﷺ لرجل سأله عن أفضل العمل فقال: «عليك بالحال المرتحل»، قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ثم يضرب في أوله كلما حل ارتحل». ومنها: إذا ختم القرآن، أن يجمع أهله ويدعو بخير الدارين، كما كان السلف الصالح يفعلونه لإجابة الدعاء عند ختمه، كما هو مذكور في الأحاديث الصحيحة. ومنها: إذا كتبه وشربه ينوي به الشفاء من كل داء، وبلوغ الآمال من كل خير، فإن الله يؤتيه على قدر نيته. ومنها: إذا كتبه حرزاً، فليجعله في غمد يحفظه من كل أذى، كجلد محيط به ونحوه، انتهى ملخصاً من القرطبي. وهذا آخر ما قدر الله تعالى من هذا التعليق الشريف، ولم يكن في ظني أن يجيء على هذا المنوال المنيف، لقصور باعي، وفتور همتي، وضعف ذهني، ولكن فضل الله يحصل بواسطة حبيبه المصطفى ﷺ

وأشياخنا الكرام بنور الظلام، فجاء ذلك التعليق متضمناً في أصله وفائقاً، صغير الحجم، سهل الألفاظ، رائقاً كافياً للمقتصر عليه، شافياً للناظرين فيه بتعين الرضا، وافياً بالمطالب كلها معقولاً ومنقولاً، شريعة وحقيقة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد المخلوقات، وعلى آله وأصحابه السادات، وعلى أشياخنا ولا سيما أبو البركات.

فهرس الجزء الرابع من حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

الموضوع	الصفحة
سورة غافر	٣
سورة فصّلت	٢٢
سورة الشّورى	٣٩
سورة الزخرف	٥٨
سورة سورة الدّخان	٧٥
سورة الجاثِية	٨٥
سورة الأحقاف	٩٤
.سورة محمد	١٠٨
سورة الفتح	١٢١
سورة الحجرات	٤٩
سورة قٓ	١٤٩
سورة الذاريات	١٥٩
سورة الطور	١٦٨
سورة النجم	١٧٥
سورة القمر	١٨٧
سورة الرّحمٰن	١٩٧
سورة الواقعة	٢٠٧
سورة الحديد	٢١٧
سورة المجادلة	٢٣٠
سورة الحشر	٢٤٠
سورة الممتحنة	٢٥١
سورة الصّف	٢٦٠
سورة الجُمُعة	٢٦٥
سورة المُنافقون	٢٧٠
سورة التغابن	٢٧٤
سورة الطلاق	٢٧٨
سورة التحريم	٢٨٦
سورة المُلك	٢٩٤
سورة القلم	٣٠٢
سورة الحاقّة	٣١٣
سورة المعارج	٣٢٠
سورة نوح	٣٢٥
سورة الجنّ	٣٣٠
سورة المزّمل	٣٣٨
سورة المدثر	٣٤٤
سورة القيامة	٣٥٢
سورة الإنسان	٣٥٦
سورة المرسلات	٣٦٤
سورة النبإ	٣٦٩
سورة النازعات	٣٧٥
سورة عبس	٣٨٢
سورة التكوير	٣٨٧
سورة الانفطار	٣٩١
سورة المطفّفين	٣٩٤
سورة الانشقاق	٤٠٠
سورة البُروج	٤٠٣
سورة الطارق	٤٠٧
سورة الأعلى	٤١٠
سورة الغاشية	٤١٤
سورة الفجر	٤١٨
سورة البلد	٤٢٥
سورة الشمس	٤٢٨
سورة الليل	٤٣١
سورة والضحى	٤٣٥
سورة الشرح	٤٤٠
سورة التين	٤٤٣
سورة العلق	٤٤٦
سورة القدْر	٤٥١
سورة البيّنة	٤٥٦
سورة الزلزلة	٤٥٩

سورة العاديات ٤٦٢
سورة القارعة ٤٦٥
سورة التكاثر ٤٦٨
سورة العصر ٤٧١
سورة الهُمزة ٤٧٣
سورة الفيل ٤٧٦
سورة قريش ٤٨٠
سورة الماعون ٤٨٣
سورة الكوثر ٤٨٥
سورة الكافرون ٤٨٨
سورة النصر ٤٩٠
سورة المسد ٤٩٤
سورة الإخلاص ٤٩٧
سورة الفلق ٥٠٠
سورة الناس ٥٠٤
خاتمة نسأل الله حسنها ٥٠٧